مجمع البيان فی
تفسیر القرآن

ج اول

ابی علی الفضل بن
الحسن الطبرسی

مجمع البيان في
تفسير القرآن

ج اول

ابي علي الفضل بن
الحسن الطبرسي

هذا المجلد الأول من مجلد كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارتفعت عن مطارح الفكر جلالة ذاته وجلت عن مطامح الهمم عزته وتعالت عن مشابهة الأنام صفته وأعجزت مدارك الأوهام
حكمته وفاتت مبالغ الأوهام عظمته الذي له في كل ما أنشأ الأبصار اللاحظة وذكرته الألسن اللافظة وبلغته العقول الزاكية وعرفته القلوب الواعية بأنه واحد
في وحدانيته لا أن ناطقه على ربوبيته أو واحد لا ثاني له في القدم الخالق للأشياء بعد العدم أنشأها بلا روية ولا رؤية آل إليها ولا فرحة عزة أضمر عليها هو
عليها بسلطانه وقدرته الباطن لها بعلمه ولطيف صنعته الأول الذي لا يتقدمه قبل الآخر الذي لا يعقبه بعد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع لا ينفع ذا الجد منه الجد
أحمده على آلائه المتوالية المتظاهرة ونعمه الباطنة والظاهرة حمداً يستدر شآبيب جوده الهاطلة ويمري أخلاف فضله الحافلة حمداً يكافئ ولا يبيد ويستدعي بمثله المزيد
أشهد أنه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسأله بأوضح بيان وأفصح لسان أن يصلي على نبيه وصفيه وحبيبه ونجيبه محمد سيد الأنبياء والمرسلين
وخير الأولين والآخرين المؤكد دعوته بالتأييد المخصوص شرعه بالتأبيد نسخ بها شرائع الماضين ولا نبي بعده إلى يوم الدين وعلى آله وعترته المنتقرين من شعبة النسخ
المحكمين الحافظين لشريعته أعلام الإسلام وأئمة الأنام ما اعتقبت الليالي والأيام واختلف الضياء والظلام ثم الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان ونوراً يتوقد مصباحاً وضياء يتلألأ إصباحاً ودليلاً لا يخبو برهاناً وحجة لا يخذل أعواناً وحبلاً وثيقاً عروته وحبلاً متيناً ذروته وشفاء للصدور
ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس مثله دواء وإماماً يقتدى به المقتدون وعلماً يهتدي به المهتدون جعله سبحانه لأفئدة الأئمة ربيعاً ولجود ذوي الحاجات
من الأمة منتجعاً يأمر بما فيه رياض الحكم وأنوارها وينابيع العلوم بل بحارها وأودية الحق وغيطانه ومرابع العدل وغدرانه وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وبعد فإن أحق الفضائل بالتعظيم وأسبقها في استحقاق التقديم هو العلم إذ لا شرف إلا وهو نظامه ولا كرم
إلا وهو ملاكه وقوامه ولا سيادة إلا وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة إلا وبه صحتها وقوامها به يكتسب الإنسان رفعة القدر وعلو الأمر في حياته ويحوز بعد
جزيل الأجر وجميل الذكر بعد وفاته وهو لصديق وللشقيق إذا خان كل صديق وشقيق إذ لم يوثق بكل ناصح شفيق والعلماء ورثة الأنبياء وساسة المسلمين والدعاة إلى
يوم الدين وقد صح عن النبي فيما رواه الناس الثقات بالأسانيد الصحيحة مرفوعاً إلى إمام الهدى وكهف الورى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه سيد
عن سيد وإمام عن إمام إلى أن اتصل به عليه وآله السلام أنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله فإن تعلمه لله
حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة
والمؤنس في الوحشة والمصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل في السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً
فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم ويُنتهى إلى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلواتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب
ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه. اعلم أن العلم حياة القلوب من الجهل ونور الأبصار من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل
الأخيار ومجالس الأبرار والدرجات العلى في الآخرة والأولى والأخرى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الأرحام ويعرف
الحلال والحرام العلم إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه وفي مثل هذا من الأخبار كثيرة لا أطول بذكرها
ثم إن أشرف العلوم وأعلاها وأبهرها وأبهاها وأجلها وأفضلها وأنفعها وأكملها علم القرآن فإنه جميع العلوم الأصل منه يتفرع أفانينها والعماد عليه تتشيد مبانيها
وقد قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وقد روي عن عبد الله بن مسعود

أنه قال إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وعن سعيد عن قتادة في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً قال هو القرآن
وعن جابر بن حيون قال كنت أنا وأبي عند عطاء بن جبل فقال من هذا يا حيون قال هذا ابني قال فقال هل علمته القرآن قال لا قال فعلمه القرآن فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما
ثم ضرب بيده على كتفي فقال يا بني إن استطعت أن تكسو أبويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قال
في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رواية العام والخاص أنه قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وأيما الحديث بأسانيد أمثال هذه الأحاديث إيثاراً للتخفيف ولاشتهارها عند أصحاب الحديث وقد
قد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مصونه وألفوا فيه كتباً جماً غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه وشققوا الشعر
في إيضاح حججه وحققوا في تفتيح أبوابه وتغلغل شعابه إلا أن أصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصر نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار
ولم يعنوا ببسط المعاني فيه وكشف الأسرار إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان فإنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء
الحق ويلوح عليه رواء الصدق وقد تضمن فيه من المعاني الأسرار البديعة واختصر من الألفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون
تحقيقها وهو القدوة أستضيء بأنواره وأطأ مواقع آثاره غير أنه خلط في أشياء مما ذكره في الإعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز
الصلاح مما ذكر منه والفساد وأدى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد وأخل بحسن الترتيب وجودة التهذيب فلم يقع لذلك من القلوب السليمة
الموقع المرضي ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع قلق التشوق
إلى جمع كتاب في التفسير ينتظم أسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة ويفي بموارد القراءات من متوجهاتها مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها
ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من مبانيها المتحصلة كوامنها إلى غير ذلك من علوم الجمة مطلقة من العلق الأكمة فيعترض لي دون ذلك صوارف الزمان
وعوائق الحدثان وعوارض الهموم وحوادث الفلك المحموم حتى الآن وقد ذرفت سني على الستين واشتعل الرأس شيباً وامتلأت العيبة عيباً فحداني
على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن الإسلام فخر آل رسول الله نقيب الملوك والسلاطين سيد
الشرف تاج أمراء السادة فخر آل رسول الله صلى الله عليه وآله أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني أدام الله علاه وكبت كبت أعداه بهذا
العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن وقصر همته على تحصيل حقائقه والاحتواء على جلائله ودقائقه والله تعالى المسؤول أن يحرس للإسلام
والمسلمين رفيع حضرته ويفيض على الفضل الفضلاء سجال سيادته ويديم على العلم والعلماء أمداد سعادته ويبقي إقباله في دولة سماء الأمر تقوم قضبانها
وتعد ساميات الشام لا تبلغ جنانها ويوفي آماله في ظلال المجد محاولاً ظلاله مطاولاً حلاله وجلال فضل من زهو وعليه حلاه مضمر وعليه كلاله ويديم
جماله في غبطة رفيعة الظلال وبسطة مريعة الظلال حتى يحوز من المنى غاياتها متلقياً بيمينه راياتها ويفوز بالآمال غير مدافع يتلو عليه سعد آياتها ويطل تمس الحمد
في سمائه يجلو عليه جوها بأفلاكها فكل غاية في المجد أدنى درجات قدره وكل نهاية في الشرف أدون طبقات فخره فأوجبت على نفسي إجابته إلى مطلوبه واستعانة بمحبوبه
واستخرت الله تعالى ثم قصدت وهو وهي على إنشاء هذه الذخيرة الخطيرة والكنز من هذه الفضيلة النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد
وأسهرت الناظر وأتعبت الخاطر وأطلت التفكر وأحضرت التفاسير واستمددت من الله التوفيق والتيسير وابتدأت بتأليف كتاب هو غاية في التلخيص والتهذيب وحسن
النظم والترتيب يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ويحوي فصوصه وعيونه من علم قراءاته وإعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره
وقصصه وآثاره وحدوده وأحكامه وحلاله وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما ينفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلال بمواضع كثيرة منه
على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز دون الإكثار فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء
العلوم الكثيرة وتضعف عن الإجراء في الحلبات الخطيرة إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء ومن العلوم إلا الذماء وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم
ذكر الاختلاف في عدد آياتها ثم ذكر فضل تلاوتها ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ثم ذكر العلل والاحتجاجات ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الإعراب والمشكلات
ثم ذكر الأسباب والنزولات ثم ذكر المعاني والأحكام والتأويلات والقصص والجهات ثم ذكر انتظام الآيات على أني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة وفي إعرابه كل حجة
واضحة وفي معانيه كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للأديب عمدة وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث
محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة وسميته كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن وأرجو إن شاء الله تعالى أن يكون كتاباً كبير القدر عزيز العز مستوصف اللسان شاسع
الصيت سيار في الأنجاد والأغوار طيار في الآفاق والأقطار مهذب لمريديه مذهب التهذيب أحكام الشريعة مساعداً منوطة وأعلام الحقيقة مبانيه مربوطة جره
أستعصم بقوته وعونه أفتتح وأختتم وإياه أسأل الهداية للتي هي أقوم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. قبل أن نشرع في تفسير السور والآيات فنحن
نصدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها لمن أراد الخوض في علومه وجمعها في سبعة فنون **الفن الأول** في أعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها اعلم
أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم أنه قال فاتحة الكتاب سبع آيات إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد أهل المدينة منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع القاري وشيبة بن نصاح وهما المدني
الأول وإلى إسماعيل بن جعفر وهو المدني الأخير وقيل المدني الأول هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وعبد الله بن عمر والمدني الأخير هو أبو جعفر وشيبة و

اسماعيل والاول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن ابي الصباح الجحدري وايوب بن المتوكل لا يختلفان الا في آية واحدة من قوله فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر والى اسمعيل المكي وقيل لا يثبت عنهم الى احد بل وجد مصاحفهم على راس كل آية ثلث نقط فلما قل وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر والفائدة في معرفة آي القرآن ان القارئ اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا لانه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه وبالحري ان يشهد له يوم القيمة فانها مسؤلة ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القارئ لا يامن السهو وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال علي لبعض الناس اعقد بالانامل فانهن مسؤلات ومستنطقات وقال حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدد بآي القرآن

الفن الثاني في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرء على عبد الله بن عياش على مولاه عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي وهما قرءا على ابي بن كعب وقرا ابي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن وقرا على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرا على ابن عباس وله ثلث روايات رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون وهو عيسى بن مينا ورواية اسمعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرا على مجاهد وقرء مجاهد على ابن عباس وله ثلث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسن القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي النجود بهدلة وله روايتان رواية حفص بن سليمان البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية ابي يوسف الاعشى والبرجمي ويحيى بن آدم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحارث ورواية ابي حمدون الزاهد ورواية حمدويه بن ميمون النجاح ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرا على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرا على علي بن ابي طالب عليه السلام وقرا ايضا على زر بن حبيش وهو قرء على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرء على جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وقرا ايضا على الاعمش سليمن بن مهران وقرا الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرا على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وقرؤا على عبد الله بن مسعود وقرا حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرء على ابي الاسود الدئلي وهو قرا على علي بن ابي طالب عليه السلام واما الكسائي فقرا على حمزة وقيل من شيوخ حمزة ابن ابي ليلى وقرا عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلث روايات رواية شجاع بن ابي نصر ورواية عباس بن الفضل ورواية اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد وابي عمر الدوري واوقية وابي نعيم غلام ابي سجادة وابي ايوب الخياط وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل الكوفة والبصرة قيل عراقي واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرا على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرا المغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او في ازمنتهم ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه او الحديث او غير ذلك من العلوم والآخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا وسماعا حرفا حرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن فاذا تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع في اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد وما روته العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تاويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين في مبتدأ الاسلام في ان يقرؤا بما شاؤا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات وذكر ان الاختلاف في القراءة سبعة اوجه احدها الاختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالزاء والراء والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم وقال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلف اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي وجدل وقصص ومثل وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال وروى ابو قلابة عن النبي ص انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتاويل لا يعلمه الا الله

الفن الثالث في ذكر التفسير والتاويل والمعنى والتفسير جملة موجزة ان التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتاويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر

التفسير البيان وقال ابو العباس المبرد التفسير والتاويل والمعنى واحد وقيل التفسير كشف المغطى والتاويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره وقولهم المعنى ماخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته فكان المراد بقولهم عنى بكذا قصد بالكلام كذا وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروت العامة عن النبي ص انه قال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وذكر ان القرآن نزل بلسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا وقال النبي ص اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رايه ولم يعمل بشواهد الفاظه فاصاب الحق فقد اخطأ الدليل وقد روي عن النبي ص انه قال ان القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروي عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فاما الذي لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزمه الكافة من الشرائع التي في القرآن وجمل دلائل التوحيد واما الذي يعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة وموضوع كلامهم واما الذي يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذي لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القرآن فان اليه يفتقر كل بيان وهو الذي يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وقد روي عن النبي ص انه قال اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه واذا كان ظاهر القرآن طبقا لمعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف نحوه وعلم مراد الله تعالى به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير محتمل لاكثر من معنى واحد ولا يحتمل المعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله قل هو الله احد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك واما ما كان مجملا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وآتوا حقه يوم حصاده فانه يحتاج فيه الى بيان النبي ص بوحي من الله تعالى اليه فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب في الزكوة وامثالها كثيرة والشروع في بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذي تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة او لامرين فلا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد به الا وجها واحدا فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذي يوافق الدليل ويجوز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد منها مرادا فلا ينبغي ان يقدم عليه بجسارة فيقال ان المراد به كذا قطعا الا بقول نبي او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه الا بقول احد من المعصومين الا ان يكون التاويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لانعقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التي تخصها اصل يجب ان يرجع اليه في تعبير وجوه التفسير مما اختلف فيه العلماء من وجوه القرآن والمعاني والاحكام

الفن الرابع في ذكر اسامي القرآن ومعانيها القرآن معناه القراءة في الاصل وهو مصدر قرات اي تلوت وهو المروي عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرأت الشيء اي جمعت بعضه الى بعض قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا اي لم تضم جنينها في رحمها وهو المروي عن قتادة وانما سمي بالمصدر وهو في الحقيقة المقروء كما سمي المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو ماخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز ومن اسمائه الفرقان سمي بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل سمي بذلك لانه يؤدي الى النجاة والمخرج كقوله ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والآخر انه شرف لمن آمن به وصدق بما فيه كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع في الخبر عن النبي ص انه قال اعطيت مكان التورية السبع الطول ومكان الانجيل المثاني ومكان الزبور المئين وفضلت بالمفصل وفي رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المئين ومكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه السور الطول لانها اطول سور القرآن واما المثاني فهي السور التي تلي السبع الطول واولها سورة يونس وآخرها النحل وانما سميت مثاني لانها ثنت الطول اي تلتها فكانت الطول هي المبادي والمثاني لها ثواني واحدها مثنى مثل المعنى والمعاني وقال الفراء واحدها مثناة وقيل المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله كتابا متشابها مثاني هو قول ابن عباس وانما سميت مثاني لانه سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثاني في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني سورة الحمد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وبه قال الحسن البصري واما المئون فهي كل سورة تكون نحوا من مائة آية او فويق ذلك او دوينه وهي سبع اولها سورة بني اسرائيل وآخرها المؤمنون وقيل ان المئين ما كان بعد السبع الطول ثم المثاني بعدها وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل سميت المثاني لان المئين مبادئها واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن سميت مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم

الفن الخامس في شيء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها من الكتب المؤلفة فيها ان ذلك العلم يكون

القرآن معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي صلعم والكلام في وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او ما له من النظم المخصوص والاسلوب البديع او الصرفة وهو ان الله صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذي به يتمكنون من مماثلته في نظمه وفصاحته فموضع ذلك جمع كتب الاصول وقد دونت جملها المتكلمين في كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي رض في كتابه الموضح عن جهة اعجاز القرآن فانه فرع الكلام فيه هناك الى غاية ما يتفرع ونهاه الى نهاية ما ينتهي فلا يشق غباره غاية الابد اذا استولى فيه على الامد ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير فاما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان في القرآن تغييرا ونقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات وذكر في مواضع ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني فان اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلا ادخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اضبط من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا رضي الله عنه ان القرآن كان على عهد رسول الله صلعم مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الآن واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وانه كان يعرض على النبي صلعم ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلعم عدة ختمات وكل ذلك يدل بادنى تأمل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث وذكر ان من خالف في ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ومن ذلك الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وحدودها واقسام النسخ وشرائطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فان ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقرآن فان موضعها الكتب المؤلفة في اصول الفقه وسيأتي منه ما يليق بالتفسير في مظانه من الكتاب ان شاء الله تعالى

الفن السادس في ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة في فضل القرآن واهله انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته وعنه انه قال افضل العبادة قراءة القرآن وعنه انه قال صلعم القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال اشراف امتي حملة القرآن واصحاب الليل عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم عشر ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحارث بن الاعور عن امير المؤمنين عليه السلام قال سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلعم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار عبد الله بن عمر عنه عليه السلام قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها وعنه انه قال من قرأ القرآن فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقره الله وعنه انه قال من قرأ القرآن فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ابو سعيد الخدري عنه صلعم قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المؤمنين عليه السلام من دخل في الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في كل سنة مأتا دينار في بيت مال المسلمين ان منع في الدنيا اخذها يوم القيمة وافية احوج ما يكون اليها وهذه الاخبار يسير من كثير وغيض من فيض ونذر من غمر اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار

الفن السابع في ذكر ما يستحب للقاري من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينوا القرآن باصواتكم حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلعم اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسوق واهل الكبائر وسيجيء قوم من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن وكان عبد الله بن مسعود يرسل الي فاقرأ عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي وامي فاني سمعت رسول الله صلعم يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن انس بن مالك عن النبي صلعم ان لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فاتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله يقول ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه وههنا نبتدئ الكلام في التفسير والله ولي التسهيل والتيسير وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا والكافي

بسم الله

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس وقتادة ومدنية عن مجاهد وقيل انزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة **اسماؤها** فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة الحمد سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد ام الكتاب سميت بذلك لانها متقدمة على سائر سور القرآن والعرب تسمي كل جامع لامر او متقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون ام الرأس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها اما وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سائرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور لان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن السبع سميت بذلك لانها سبع آيات لا خلاف في جملتها المثاني سميت بذلك لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل وقيل لانها انزلت مرتين هذه اسماؤها المشهورة وقد ذكر في اسمائها الوافية لانها لا تنتصف في الصلوة والكافية لانها تكفي عما سواها ولا يكفي ما سواها عنها ويؤيد ذلك ما رواه عبادة بن الصامت عن النبي صلعم ام القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها والاساس لما روي عن ابن عباس ان لكل شيء اساسا واساس الحديث الى ان قال واساس القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم والشفاء لما روي عن النبي صلعم فاتحة الكتاب شفاء من كل داء والصلوة لما روي عن النبي صلعم قال قال الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي فاذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل اخرجه مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء **فضلها** ذكر الشيخ ابو الحسين الجبار المقري في كتابه في القراءة اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم والشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليمن المدني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلعم ايما مسلم قرأ فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرأ ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كانما قرأ القرآن وروي عن ابي بن كعب انه قال قرأت على رسول الله فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي ام الكتاب وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي باسناده ان النبي صلعم قال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى بابي انت وامي يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بابي انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت وعن سلمة بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء وروي عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلعم ان الله تعالى قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمن فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني القي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قرأها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل له من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قارئ يقرؤها كان له قدر ثلث ما للقاري فليستكثر احدكم من هذا الخير المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة **الاستعاذة** اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عامر والكسائي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وابو حاتم اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم **اللغة** الاستعاذة الاستجارة ومعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو اللجأ والشيطان في اللغة هو كل متمرد من الجن والانس والدواب لذلك جاء في القرآن شياطين الجن والانس ووزنه فيعال من شطنت الدار اي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا بطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية بن ابي الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي **المعنى** امر الله بالاستعاذة من الشيطان انه لا يكاد يخلو من وسوسة الانسان فقال فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله الجأ الى الله من شر الشيطان اي البعيد من الخير المفارق اخلاق جميع جنسه وقيل المبعد من رحمة الله الرجيم المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعن ان الله هو السميع بجميع المسموعات العليم بجميع المعلومات قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلوة بطلت صلوته سواء كانت الصلوة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الامة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدها آية جعل من قوله صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمن والتبرك واما القراء فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسمية والباقون يفصلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة **فضلها** روي عن علي بن موسى الرضا انه قال بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها وروي عن ابن عباس عن النبي صلعم انه قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية

التسعة

الجزء الاول

التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق ع انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم **اللغة** الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة واصله سمو بالواو لان جمعه اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء وتصغيره سمي قال الراجز باسم الذي في كل سورة سمه قد ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة وعدة ووصل ووعد لا تدخله همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسيم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه الله اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قوله افالله لتفعلن ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انه للتعريف فقد اخطأ لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه لقولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم الذي هو لهي مفتوحا كما تركوا آخر ان مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته في كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء في لهي والالف على هذا القول منقلبة كما ترى وفي القول الاول زائدة لانها الف فعال ويقول العرب ايضا لاه ابوك تريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدواني لاه ابن عمك لا افضلت في حسب عني ولا انت دياني فتخزوني اي لله ابن عمك قال سيبويه حذفوا لام الاضافة واللام الاخرى ولم يكن بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم لاه لاخرجن يريدون والله ومثله كثير يطول الكلام بذكره فاما الكلام في اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق اذ ليس يجب في كل لفظ ان يكون مشتقا لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه على وجوه فمنها انه مشتق من الالوهة التي هي العبادة والتأله التعبد قال رؤبة لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي اي تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والاهتك اي عبادتك ويقال اله الله فلان الاهة كما يقال عبده عبادة فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة ولذلك لا يسمى به غيره ويوصف فيما لم يزل بانه اله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحير يقال اله يأله اذا تحير عن ابي عمرو فمعناه انه الذي تتحير العقول في كنه عظمته ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اي فزعت اليه لان الخلق يألهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم فقيل للمألوه اله كما يقال للمؤتم به امام ومنها انه مشتق من الهت اليه اي سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه مشتق من لاه اي احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن الاوهام الظاهر بالدلائل والاعلام الرحمن الرحيم اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهي النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل وحكي عن ابي عبيدة انه قال الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التأكيد واما ما روي عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطوف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر عن ذلك بالرقة وما حكي عن ثعلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هي ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى قالوا وما الرحمن انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة في اشعارها قال الشنفرى الا ضربت تلك الفتاة هجينها الا قضب الرحمن ربي يمينها وقال سلامة بن جندل وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق **الاعراب** بسم الله الباء حرف جر واصله الالصاق والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله او قولوا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف وتقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذي قام مقامه اي ابتدائي ثابت بسم الله او ثبت ثم حذف هذا الخبر فافضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد في الدار ولا يجوز ان تتعلق الباء بابتدائي المضمر لانه مصدر واذا تعلقت به صار من صلته ويبقى المبتدأ بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل البناء السكون فجوابه انه حرك للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه وان لزم كاف التشبيه في كزيد فجوابه ان الكاف لا يلزم الجر فيه وقد يكون اسما في نحو قوله يضحكن عن كالبرد المنهم خولف بينه وبين الحروف التي لا انفراد لها وهذا قول ابي عمر الجرمي واحتجا فاما ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان الغرض التوصل الى الابتداء فاي حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهي لغة ضعيفة وانما حذفت الهمزة من بسم الله في اللفظ لانها همزة الوصل تسقط في الدرج وحذفت ههنا في الخط ايضا لكثرة الاستعمال ولو وقعت في موضع معنى ولا ايجاز فيه اللبس لم تحذف في نحو قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق لقلة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمته الضمة او الفتحة تفخيما لذكره وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات الله مجرور بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران بالاتباع **المعنى** بسم الله قيل المراد به تضمن الاستعانة فتقديره استعينوا بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابي عبيدة ان الاسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان العلم على الاسم ذكرا او خطابا معلقا على المسمى تقول رايت زيدا فتعلق الرؤية على الاسم والحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم ... فانه الاسم هنا المسمى وقيل المراد به ابتدائي بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال اكرمته كرامة اي اكراما وهذه

فاتحة الكتاب

اي اهانه ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا اي بعد اعطائك وقال الآخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في طولا رجائك اشعبا اراد في طول رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتدأ قراءتي بتسمية الله او اقرأ مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لانا انما امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بالخبر عن كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبائح الا ترى ان الذابح لو قال بالله ولم يقل بسم الله لكان مخالفا للامر به ومعنى الله والاله انه الذي تحق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة وهو تعالى اله للحيوان والجماد لانه قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما من قال معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون الها في الازل لانه لم يفعل الافعال التي يستحق بها العبادة وهذا خطأ وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي ص ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع الخلق هو انشاؤه اياهم وخلقه احياء قادرين ورزقه اياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم في الدنيا من التوفيق وفي الآخرة من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والآثام والى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق ع انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول ص ان لله عز وجل مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه بها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وروي ان الله قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة قوله تعالى الحمد لله رب العالمين آية **القراءة** اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروي في الشواذ بكسر الدال واللام وبفتح الدال وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء من رب وروي عن زيد بن علي نصب الباء ويحمل على انه على المدح **اللغة** الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض الهجاء والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعمة الا ان الحمد يوضع موضع الشكر ويقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه فاذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه واما الرب فله معان منها السيد المطاع كقول لبيد واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر يريد سيد كندة ومنها المالك نحو قول النبي ص لرجل ارب غنم ام رب ابل فقال من كل قد آتاني الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابي ذؤيب قد ناله رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع اي صاحب الكلاب ومنها المربي ومنها المصلح واشتقاقه من التربية يقال ربه يربه بمعنى رباه ويقال فلان يرب صنيعته اذا كان ينميها ولا يطلق هذا الاسم الا على الله ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة والعالمون جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والجيش وغيرهما واشتقاقه من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو في اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات ويدل عليه قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملائكة والجن والانس وقيل هم الانس لقوله تعالى اتأتون الذكران من العالمين وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا **الاعراب** الحمد رفع بالابتداء والابتداء عامل معنوي غير ملفوظ به وهو خلو الاسم عن العوامل اللفظية لتسند اليه خبره وخبره في الاصل جملة هي فعل مسند الى ضمير المبتدأ وتقديره الحمد حق واستقر لله الا انه قد استغني عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها اليه حيث سد مسدها وحتى هذه الجملة ظرفية هذا قول الاخفش وابي علي الفارسي واصل اللام للتحقيق والملك واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمد الحمد لله الا ان الرفع في الحمد اقوى وامدح لان معنى الحمد وجب لله واستقر الحمد لله وهذا يقتضي العموم لجميع الخلق واذا نصب الحمد كان تقديره احمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام ومن ضمهما اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا ايسر من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا البيت اصل اكثر النحويين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ بالخبر لانه اتبع فيهما فاذا احد الجزئين في الجزء الآخر وجعل بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لاحظ له في الاعراب ولكنه يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بالساكن فاختير له الفتح لانه اخف الحركات تقول رايت زيدا وعمرا فالواو مفتوحة وكذلك الكاف كذلك اللام فعرا الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا اي في ملكه وان المال لهذا اي هو هو واذا دخلوا لام على مضمر ردوها الى اصلها وهو الفتح فقالوا المال له لان اللبس قد ارتفع وذلك لان ضمير الجر يخالف ضمير الرفع اذا قلت ان هذا له وان هذا لانت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لان هذه الياء لا يكون ما قبلها الا مكسورا نحو غلامي وفرسي وهذا كله قول سيبويه وجميع المحققين وليس من الحروف في المبتدأ ما هو على حرف واحد مكسور الا الباء وحدها وقد مضى القول فيها واما لام الجزم في ليفعل فانما كسر ليفرق بينها وبين لام التاكيد نحو ليفعل فاعلم ورب العالمين مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند ابي الحسن الاخفش كونه صفة فذلك الذي يرفعه وينصبه ويجره وهو

وانما تحق العبادة

او احمد الحمد لله

الجزء الاول

عامل معنوي كما ان المبتدأ انما رفعه الابتداء وهو معنى عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيها ما يعمل في الموصوف بانك تجد في الصفات ما يخالف الموصوف في اعرابه نحو ما رايت العاقل الان الشاعر مبني والعاقل الذي هو صفته معرب ودليل ثان وهو ان في هذه التوابع ما يعرب باعراب ما يتبعه لا يصح ان يعمل فيه ما يعمل في الموصوف وذلك نحو اجمع وجمع وجمعاء وما صح وجوب هذا فانه دل على ان الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجماعهم في انهما تابعان وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ومن نصب رب العالمين فانما ينصبه على المدح والثناء كانه لما قال الحمد لله استدل بهذا اللفظ على انه ذاكر لله فكانه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا الوقف في غير القرآن على العالمين ولو رفع على المدح ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر وقد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب على مذهب سيبويه والنون فيه عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان غلامان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين وقيل انما فتحت نون الجمع حتى لا يجتمع ثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والنون من اين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء **المعنى** معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحق له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم وفاعلا لها ولكونه منشئا للخلق ومربيا لهم ومصلحا لشأنهم وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه قوله تعالى الرحمن الرحيم آية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن الرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بذكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار قوله تعالى مالك يوم الدين آية **القراءة** قرأ عاصم والكسائي وخلف ويعقوب الحضرمي مالك بالالف والباقون ملك بغير الالف ولم يمل احد الف مالك … وروي عن الاعمش … فيقول ملك يوم الدين بسكون اللام **الحجة** اختلفوا في ان اي القراءتين امدح فمن قرأ مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في المالك ما لا يصح دخوله في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف بالملك والله تعالى مالك كل شيء وقد وصف نفسه بانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرأ ملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السراج قال ان الملك الذي يملك الكثير من الاشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه وكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا فمعناه انه يملك ملك الدنيا فيعطي الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الا ملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء ويراد بذلك ان من دونه ملوك وامراء ولا يقال ملك الملك ولا امير الامارة لان اميرا وملكا صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها الى المصدر واما اضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الاول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والآية انما نزلت في الثناء والمدح لله الا ترى الى قوله رب العالمين في الربوبية والملك متشابهان قال ابو علي الفارسي يشهد لمن قرأ ملك من التنزيل قوله تعالى والامر يومئذ لله لان قولك الامر له وهو ملك الامر الا ترى انه لا يجري معناهما الملك والاستحقاق وكذلك قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرأ ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم وهذا مع قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس ملك الناس **اللغة** الملك القادر الواسع المقدرة الذي له السياسة والتدبير والمالك القادر على التصرف في ماله وله ان يتصرف في ماله فيه على وجه ليس لاحد منعه ويوصف العاجز بانه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك والملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طال ملكهم أي رقهم ملكهم بكسر اللام وفتحها وهذا الوادي … ذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره … قال ابو بكر محمد بن السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشد كما قالوا ملكت العجين أي شددته قال الشاعر ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها يصف طعنة … ومنه الاملاك ومعناه ربط الرجل بالمرأة والدين معناه في الآية الجزاء قال الشاعر واعلم بانك ما تدين تدان وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر وابن عباس وابن جريج والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا والدين العادة قال الشاعر يقول اذا درأت لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الاقوال ويدل على ان المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون **الاعراب** مالك مجرور على الوصف لله تعالى وما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كانك قلت الحمد لله يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرأ ملك يوم الدين باسكان اللام فاصله ملك فخفف كما يقال فخذ وفخذ ومن قرأ ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا ويوم مجرور باضافة مالك وملك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن النهال نوافله فكانه قال هو مالك هذا اليوم والمعنى انه الملك فيه كما انه في الدنيا … فلا ملك يومئذ غيره ومن قرأ مالك يوم فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه تقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وانما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم واما الدنيا فليس كذلك فقد يحكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولا بها على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كانت الساعة ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت

فاتحة الكتاب

والمعنى انه يعلم الساعة **المعنى** انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيما لشأنه وتفخيما لامره كما قال رب العرش وفي هذه الآية دلالة على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لان المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو ويخاف قوله اياك نعبد واياك نستعين **اللغة** العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطء قال طرفة تباري عتاقا ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به **الاعراب** قال ابو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها واياك اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايا زيد حدثت كان قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم الظاهر الا ترى انه يعتقب عليه الحركات في آخره ويحكم له في موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفنا يدل على انه مضمر ليس بمظهر قال وحكى السراج عن ابي العباس عن ابي الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما يتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين وان الكاف في اياك كالتي في ذلك في انه دلالة على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامة للمضمر فلا محل لها من الاعراب واقول وهكذا الحكم في اياي واياه واياها في انها حروف لحقت ايا فالياء في اياي دليل على المتكلم والهاء في اياه تدل على الغيبة لا على نفس الغائب … وايتهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ويحمله على الشذوذ ولان الغرض في الاضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه لاضافته والاصل في نستعين نستعون لانه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين … لان هذا من الاعلال الذي يتبع بعضه بعضا … وقوله نعبد ونستعين في موضع رفع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابدك وانا مستعينك لصح وهذا المعنى عمل فيه الرفع واما الاعراب في الفعل المضارع فلمضارعته الاسم لان الاصل في الفعل البناء وانما يعرب منه ما ضارع الاسماء … وله زيادة من هذه الزيادات الاربع التي هي الهمزة والنون والتاء والياء **المعنى** قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان يقول نعبدك ونستعينك لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك كما اذا قال الرجل اياك اعني معناه لا اعني غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اعنيك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التي هي خلق الحياة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض العبادة كما يستحق بعضنا على بعض الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا يحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هي الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر … ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لها اذ لا يتصور من جهتها الامر ومعنى قوله اياك نستعين نطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يمكنه ان يجمع بين جميع الاسباب التي يحتاج اليها في حصول الفعل وانما كرر قوله اياك لانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله الا بالجمع بينهما ولا يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر في عظمة الله كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتأكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جائزا قال عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وقال الاعشى حمار بين الاشج وقيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود وهذا القول فيه نظر لان التكرار انما يكون تأكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان وهاهنا اياك الثاني في الآية محمول على نستعين فكيف يكون تأكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا في تجديد ذكره عند كل حاجة فان قيل … فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة … فان احدهما اذا كان مرتبطا بالآخر لم يختلف التقديم والتأخير كما يقال قضيت حقي فاحسنت الي واحسنت الي فقضيت حقي وقيل ان السؤال انما يقع على عبادة مستأنفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه كقوله رب احكم بالحق ولانه ربما لا يكون اللطف في ادامة التكليف الا في فعل المعانة … من العبد فقد اخطأ من استدل بهذه الآية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعانة وجه لان للرغبة الى الله في طلب المعونة وجهين احدهما ان يسأل الله من الطافه وما يقوي دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل … الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه ورغبته والثاني ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها واما العدول عن لفظ الغيبة الى الخطاب في قوله اياك فعلى عادة العرب في تفننهم في الكلام وتصرفهم فيه … قال لبيد باتت تشكي الي النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا وقال ابو كبير الهذلي يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر فجعل رجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها في البيت الاول ورجع من الاخبار عن خالد الى خطابه في البيت الثاني وقال الكسائي تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أي يقولون سلام قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم آية **القراءة** قرأ حمزة باشمام الصاد الزاي الا العجلي برواية خلاد وابن سعدان … في الموضعين فقط وقرأ الكسائي من طريق ابي حمدون باشمام السين وقرأ يعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد **الحجة** الاصل في الصراط السين لانه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره …

١٢ ولهي الاصل من قرء بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة بالاستعلاء والاطباق وكراهة ان يتنقل بالسين التي تتصعد بالطاء في سراط اذا كانوا قد ابدلوا
من السين الصاد مع القاف في صقب وصويق ليجعلوها في استعلاء القاف مع القاف بعدها من السين وقرب الطاء منها فان يبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد
الى الطاء اقرب لانهما جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء يدغم في الصاد ومن قرء بالزاي فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج
السين وهو الزاي من غير ابطال الاصل **اللغة** الهداية في اللغة الارشاد والدلالة على الشيء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اي دال ماهر ثم اتسع فيه فقال الطريق
عقل بعيثر حيث هديت قادمه والهداية التوفيق قال فلا تعجلن هديت للمليك فان لكل مقام مقالا اي وفقت والصراط الطريق الواضح المتسع سمي
بذلك لانه يسرط المارة اي يبلعها والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه قال جرير امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم **الاعراب** اهدنا مبني على الوقف
وفاعله الضمير المستكن فيه للمتكلم والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول
ثان **المعنى** قيل في معنى اهدنا وجوه احدها ان معناه ثبتنا على الدين الحق لان الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن
ان يسأل الله ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التي هي احد اسباب الثبات على الدين كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره
وهو يأكل كل اي دم على الاكل وثانيها ان الهداية هي الثواب لقوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله تعالى الحمد لله الذي
هدانا لهذا وثالثها ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا كقوله قل رب احكم بالحق وقوله
حكاية عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسألة في ذلك وقد فعله الله تعالى فالجواب انه يجوز
ان يكون لنا في الدعاء بذلك مصلحة في ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك و
كثيرة يجوز ان يكون الله يعلم ان اشياء تكون اصلح لنا اذا سألناه واذا لم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجها في حسن المسألة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف
والتعريض للثواب لان ادامته ليس بواجب بل هو تفضل محض جاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل في معنى الصراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله وهو
المروي عن النبي ص وعن علي ع وابن مسعود وثانيها انه الاسلام وهو المروي عن جابر وابن عباس والثالث انه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية
والرابع انه النبي ص والائمة القائمون مقامه وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل الاية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لان الصراط المستقيم هو الدين الذي امر الله تعالى به
من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله تعالى طاعته قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين **القراءة** قرء حمزة عليهم بضم
الهاء المذكر والمؤنث واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرء يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهم
وفيهم وبيهن وعليهن وقرء الباقون عليهم ولديهم واليهم بالكسر وقرء في الشواذ عليهمو عن ابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعليهمي قراءة الحسن البصري وعمرو بن فائد
وعليهم بكسر الهاء وضم الميم بغير واو وعليهم بضم الهاء والميم من غير بلوغ واو مروية عن الاعرج فهذه سبع قراءات ثم اختلف القراء في الميم فاهل الحجاز وصلوا
الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت فقالوا عليهمو وعلى قلوبهمو وفيهمو الا ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون يسكنون الميم فاما اذا لقي الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا ٧ وعليهمو
فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امرأتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي يضمان الهاء والميم معا كل هذا
الاختلاف في الهاء التي قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء الا الضم وقرء صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن اهل
البيت وقرء في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وهو عن عمر بن الخطاب ويروى ذلك عن اهل البيت وقرء في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب قرء عمر بن الخطاب وروي ذلك عن علي
الحجة من قرء عليهم بضم الهاء فانه رده الى الاصل لان الهاء اذا انفردت من حرف يتصل بها قبلها هم فعلوا بضم الهاء قال السراج هي القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم
من فصحاء اليمن وانما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لان الياء قبلها كان الفاصل على الفوق لدى الفوق ولا يجوز كسرها اذا كان قبلها الف ومن قرء عليهمو فانه
اتبع الهاء ما اشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والالف على الاصل وهو الضم ومن قرء عليهم فكسر الهاء واسكن الميم فلانه امن اللبس اذ كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين
ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف اذ كان لا يشكل واما كسر الهاء مع ان الاصل الضم فللياء التي قبلها ومن قرء عليهمو فلانه الاصل لان
هذه الواو في الجمع بمنزلة الالف في التثنية اعطى ان اثبات الواو كاثبات الالف ومن قرء عليهمي فانه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة الخروج من كسر الهاء الى
ضمة الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانه غير لازم اذ كانت الف التثنية تفتحها كقوله
الواو ونفادا من ثقلها مع ثقل الضمة ومن قرء عليهم فانه حذف الواو استخفافا ولم يحتمل الضمة قبلها دليلا عليها ومن ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما
احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء على كسرها لانه لم تأت ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل لان الهاء انما اتبعت الياء لانها تشبهها ولم يتبعها الميم
بعد فانه احتج من كسر الميم والهاء بان قال اتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه تكسر الهاء اذا كان قبلها ياء او كسرة لانها خفية وهي حرف من حروف الزيادة كما ان الياء من حروف
الزيادة وهي من موضع الالف وهي اشبه الحروف بالياء وكما امالوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة فلو
ترك ... **الاعراب** صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا والفصل بين الصفة والبدل ان البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة
تكرير حرف الجر في قوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرافع والناصب في تقدير التكرير
فكانه قال اهدنا صراط الذين انعمت عليهم وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين للاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه في المسكين كما ان الامر
ولا بك المسكين جاز ذلك في الغائب نحو مررت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلته وقد تم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه والايقاع في موضع النصب

لانه

عن الفضل بن

فاتحة الكتاب

٣ لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطون في حال الرفع واما غير المغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الهاء والميم في عليهم كقول
الشاعر على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم فجر حاتما على البدل من الهاء في جوده وثانيها ان يكون بدلا من الذين وثالثها ان يكون صفة للذين وان كان
اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك كانك قلت مررت برجل آخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين ههنا ليس بمقصود قصد
قوم باعيانهم فهو بمنزلة قولك اني لامر بالرجل مثلك فاكرمه وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز ان يكون نعتا للذين لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو
وانما هي كالنكرات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما
جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفة قال ابو بكر السراج الذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون
معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء ترى سوى المخاطب فهو غيره وكذلك اذا قلت رأيت مثلك فما هو
مثله لا يحصى فاما اذا كان شيء معرفة له ضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة
غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة كانك كررت الحركة تأكيدا فكذلك قوله الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم فغير المغضوب عليهم هم الذين انعم عليهم فمتى كانت غير هذه
الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف انسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج
لان النكرة قد تبدل من المعرفة وتنصب غير بثلاثة اوجه احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم
لا مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لان المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون نصبا على اعني كانه قال اعني غير المغضوب عليهم
ولم يجز ان يقال غير المغضوبين عليهم لان الضمير قد جمع في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا الحكم حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهوب
بهم استغنيت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهوب واما لا في قوله ولا الضالين فذهب البصريون الى انها زائدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون الى انها
بمعنى غير ووجه قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال
وغير متضمن معنى النفي ولهذا اجاز النحويون انت زيدا غير ضارب لانه بمنزلة قولك انت زيدا لا ضارب ولا يجيزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب فلا يتقدم ٧
عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بئر لا حور سرى وما شعر اي في بئر هلكة وتقديره غير المغضوب عليهم و
الضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد **المعنى** **اللغة** معنى الاية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله في
قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء
فانعمت دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليه به
ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه بشن اي كانك جمل من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود
عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الحسن
البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود من الضلالة باضافة الضلالة الى النصارى ولم يبرئ النصارى من الغضب باضافة الغضب الى اليهود بل كل واحد من الطائفتين مغضوب عليهم
وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار
وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر الجرجاني قولا آخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان يكون
حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريده بقولك اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا
تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن تديم له النعمة وهم يريدون
ان يقولوا ادم علي النعمة فلا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم عنده
او عند غيره ولكنه اراد ان يقول انك محبة مكرمة عندي واما الغضب من الله فهو ارادة انزال العذاب والعقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة
وهي الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل المغضوب والحية الخبيثة والناقة العضوب واصل الضلال الهلاك ومنه قوله تعالى ائذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه
قوله تعالى واضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيارا لحسن
اللفظ المستطاب في تفسير العياشي روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى
فيها القول قال وقال رسول الله ان الله تعالى من علي بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الاية التي يقول الله فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم قط الا صدقه الله واهل سمائه اياك نعبد اخلاص
للعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود
ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن ابي عبد الله انه كان يقرء ملك يوم الدين ويقرء اهدنا صراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين وروى جميل عن ابي عبد
الله اذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عنه قال اذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها فانت في الصلوة
فقل الحمد لله رب العالمين **النظم** اما نظم هذه السورة فاقول فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد وادل دليل اعترف بالمنعم

اشتغل

وان الغضب من الله هو ارادة ... العقاب

استعطفنا باسم المنعم واعترافا بالهيبة ولسنو ولحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد له فقال الحمد لله ولما راى نعم الله تعالى على خلقه واضحة كما شاهد اثارها على نفسه لا تحصى عددا نبه انه رب الخلائق اجمعين فقال رب العالمين ولما راى عموم فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما راى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الانزجار عند زجره واجتنابهم امتثال امره وانه يتجاوز عنهم بالغفران ولا يواخذهم عاجلا بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرحيم ولما راى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالب والتكاثر واذ ليس بعضهم من شر بعض بمامن علم ان وراءهم يوما ينتصف فيه للمظلومين من الظالمين فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا رازقا رحيما يحيي ويميت ويبدئ ويعيد هو الحي لا شبه له والاله الذي لا يستحق العبادة سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد هذا كان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا راه اعرض عن الوصف الى الخطاب ولما راى اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الاراء المختلفات ولم يجد معينا غير الله سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له انه بلغ من معرفته الحق المدلول مستقيما على منهج الهدى ولم يامن العثرة لارتفاع العصمة سال الله التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة المعرفة بالاحكام والتوفيق لاقامة شرايع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله تعالى طاعته من ائمة الانام واجتناب المحارم والاثام واذا علم ذلك علم ان لله عبادا خصهم بنعمته واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على خليقته فسأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم ويعصمه من مثل احوال الزائلين المزلين الضالين المضلين ممن حاد وعاند الحق وعمي عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له الخزي المقيم والعذاب الاليم او شك في واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة

مدنية كلها الا اية واحدة منها وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية فانها نزلت في حجة الوداع بمنى عدد ايها مائتان وست وثمانون اية في العدد الكوفي وهو العدد المروي عن امير المؤمنين وسبع في العدد البصري وخمس حجازي واربع شامي خلافها احدى عشرة اية عد الكوفي الم اية وعد البصري الآخا اثنتين اية وقول الا معرفا نصب عذاب اليم شامي مصلحون عنهم يا اولي الالباب عراقي والدنيا والآخرة من خلاق الثاني غير المدني الاخير يسئلونك ماذا ينفقون مكي والمدني الاول تتفكرون كوفي شامي والمدني الاخير الحي القيوم مكي بصري والمدني الاخير من الظلمات الى النور المدني الاول وترك عد اهل مكة ولا شهيد فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قراها فصلوات الله عليه ورحمته واعطي من الاجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته قال لي يا ابي مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حسرة لا يستطيعها البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قراها في بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال ومن قراها في بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثة ايام وعن النبي صلى الله عليه وآله انه بعث بعثا ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي سور القرآن افضل قال البقرة قيل اي البقرة افضل قال اية الكرسي وقال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاءا يوم القيامة تظلانه على راسه مثل الغمامتين او مثل الغيابتين بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين تفسيرها اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها لا يعلم تاويلها الا الله وهذا هو المروي عن ائمتنا وروت العامة عن امير المؤمنين انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال لله في كل كتاب سر وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في اوائل السور وفسرها الآخرون على وجوه احدها انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله الم معناه انا الله اعلم وارى والمص معناه انا الله اعلم وافصل والكاف في كهيعص من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه تدل على اسم الله واللام تدل على اسم جبرئيل والميم تدل على اسم محمد وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله الم فقال في الالف ست صفات من صفات الله تعالى الابتداء فان الله ابتدأ جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جائر والالف مستو في ذاته والانفراد فالله فرد والالف فرد واتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون الى الله والله غني عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله تعالى باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله تعالى سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تالفت الحروف وهو سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله تعالى منقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم تقول الر وحم ونون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير ورابعها انها اسماء القرآن عن قتادة وخامسها انها اقسام اقسم الله بها وهي من اسمائه عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش انما اقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه فكانه هو اقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه وسادسها ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله وليس منها حرف الا وهو في الائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو مدة قوم واجال آخرين عن ابي العالية وقد ورد ايضا مثل ذلك في اخبارنا وسابعها ان المراد بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمن قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة واربعا واربعين سنة وهي بقية مدة هذه الامة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة الاف وخمسا وستين سنة بحذف المكرر فوقفي ست وثلاث وستون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت الر والمر والمص وكهيعص اتسع عليهم الامر وهذه اقوال اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال ابني في اب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز لما رايتها في خط

اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المراة بانها في ابجد فاقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليها وتاسعها انها تنبيهات للكفار لان المشركين كانوا تواصوا بينهم ان لا يسمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليغلطوا النبي فانزل الله هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سببا موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لان العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني

اللغة اجود هذه الاقوال القول الاول المحكي عن حسن لان اسماء الاعلام منقولة الى التسمية عن اصولها للتفرقة بين المسميات فتكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا في اسماء العرب نظير قالوا اوس بن حارثة بن لام الطائي والخلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمل نحو تأبط شرا وبرق نحره وكل كلمة لم يكن على معنى الاصل فهي منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن منقولا الى العلمية وكذلك اشباهها ولو سميت بالف لام لحكيت جميع ذلك وما قوله عباس انه اختصار من كلمات يعلم النبي تمامها فنحو قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الآخر قلنا لها قفي لنا قالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف يريد قالت انا واقفة

الاعراب اما موضع الم من الاعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتدأ محذوف وكانه قال هذه الم واجاز الزجاج ان يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره ويكون خروج حروف المعجم ذلك الكتاب هذا فيه بعد لان حكم المبتدأ ان يكون هو الخبر في المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم في موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها اقساما فموضعها نصب باضمار فعل لان حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه تقول في معنى قولك بالله لافعلن الله لافعلن بالنصب حذفت الباء واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانها بمنزلة قولك زيد قائم في انه موضع لا حظ له في الاعراب انما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد تقول زيد ابوه قائم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما يفعل بحروف التهجي لانها مبنية على السكت كما ان العدد مبني على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين في قولك لام ميم تقول في العدد واحد اثنان ثلثه اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين الف وصل وتذكر الهاء في ثلثه واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلثة بالتاء ويدل عليه قول الشاعر اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق لام الف قال لام الف ولكنه القى حركة همزة الالف على الميم ففتحها فاذا اخبرت عن حروف الهجاء واسماء الاعداد اعربتها لانك ادخلتها بالاخبار عنها في جملة الاسماء المتمكنة وخرجت بذلك عن حيز الاصوات كما قال الشاعر كما بينت كاف تلوح وميمها وقال الخراز اذا اجتمعوا على الف وباء وتاء هاج بينهم جدال وتقول هذا كاف حسنة وهذه كاف حسنة من ذكر فعلى معنى الحرف ومن انث فعلى معنى الكلمة

قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين القراءة قرأ ابن كثير فيهي هدى بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص في قوله فيه مهانا وقرئ في قوله فلا اثم عليه فاسقونا ولا يشبعون فان تحرك ما قبل الهاء فانهم يجمعون على اشباعها الحجة اعلم انه يجوز في الهاء في قيل ونحوه وجه وفيهي فمن قرأ فيهي فاشبع فهو الاصل فهو كما قيل لهو وشكلها من كسرها من نحو منه ونحوه معهن من الاصل الضم فلاجل الياء والكسرة قبل الهاء والهاء تشبه الالف لكونها من حروف الحلق لما فيه من الخفاء فكما ينحو بالالف بالامالة لاجل الكسرة والياء كذلك كسر والهاء للكسرة والياء تجانسا للصوت وطلبا للانسجام فلكراهة اجتماع المتشابهات لانها حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو رديه ومنه هو كما لم يعتدوا بها في نحو ردها من ابتع الضم لضم اذا وصل الفعل بضمير المؤنث قال ردها بالفتح لا غير ومن اتبع الضم الضم وجعل الدال كانها لا دخلها بالالف ما قبل اشبع اتبعها الياء الهاء وان كانت خفية فليس يخرجها ذلك من ان يكون كغيرها من حروف المعجم التي لا اخفاء فيها واذا كان كذلك كان خروجها بين الساكنين كخروج غيرها من الحروف التي لا اخفاء فيها

اللغة ذلك لفظ يشار بها الى ما بعد هذا الى ما قرب الاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للخطاب واللام للاعراب لها من الاعراب واللام تزاد للتوكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وحذفها تقول ذاك وذلك وهذاك ولا تقول هذا لك والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر بشرت عيالي اذ رايت صحيفة اتتك من الحجاج يتلى كتابها اي مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها والكتيبة الخرزة وكتبت البغل اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو سوء الشك وهو مصدر رابني الشيء من فلان يريبني اذا كنت مستيقنا بالريبة فاذا اساء بالظن ولم تستيقن بالريبة قلت ارابني من فلان امرا بتهمة وارابني الرجل اي صار ذا ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والهدى الدلالة مقصور مصدر هديته وفعل قليل في المصادر قال ابو علي يجوز ان يكون فعل مصدرا اختص به المعتل وان لم يكن في الصحاح كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح الفعل منه يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثاني منهما بحرف جر الواو واللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل الى المفعول كقوله اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا فيه كانه استجاز لما وعد به في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام اي سبل دار السلام والاصل المتقين الموتقين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمت في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة من الياء استثقالا لها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين فبقي متقين والتقوى اصله وقوى فقلبت الواو تاء كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقاه بالترس اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم ومنه الوقاية لانها تمنع وقع الشعر

الاعراب ذلك في موضع رفع من وجوه احدها ان يجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها ان يكون مبتدأ والكتاب خبره وثالثها ان يكون مبتدأ والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر ورابعها ان يكون مبتدأ وخبره هدى ويكون لا ريب فيه في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة ويجوز ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض اي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر من يك ذا بت فهذا بتي مقيظ مصيف مشتي وشانها

ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب واذا حمل على هذا الوجه على انه مبتدأ ولا ريب فيه خبره وعلى انه خبر ثان او على ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب
على الحال اي هاديا للمتقين والعامل فيه معنى الاشارة او الاستقرار الذي يتعلق به فيه وقوله لا ريب فيه قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من
النحويين جعل لا مع النكرة التي بعدها كشيء واحد [illegible]
ولا اراد فلما صار كذلك بني على الفتح [illegible] موضع رفع على الابتداء [illegible]

[illegible]

فمنعنا المؤمن عذابه [illegible]
اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة [illegible]
كما لقاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب [illegible]
ارسل رسله [illegible]
قوله وخشي الرحمن بالغيب [illegible] ويقيمون الصلوة

[illegible]

وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الآخر والآخر ان يكون من جمع الاوصاف لموصوف واحد والمعنى ثم بين بالاتمام صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل
اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني الكتب المتقدمة وقوله وبالآخرة اي بالدار الآخرة لأن الآخرة صفة فلا بد لها من موصوف بدليل الدار الآخرة وانما وصفت
بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنائتها هم يوقنون يعلمون وسمي العلم يقينا لحصوله لقطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم و
ليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال والنظر لغموض المعلوم المنظور فيه او لاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال في صفة الله موقن لان الاشياء
كلها في الجلاء عنده على السواء وانما خصهم بالايمان بالآخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدهم اياها في نحو ما حكى عنهم قوله وقالوا ما هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اللغة اولئك اسم مبهم يصلح لكل
حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع لذا في المعنى ولا جمع له في المعنى ومن قصر قال اولا واولاك واذا مده لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهمزة قال الشاعر
اولالك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا اولالكا والمفلحون المنجحون الفائزون والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان
عقل اي ظفر بحاجته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وتبعا واصل الفلح القطع ومنه قيل الفلاح للاكار لانه يشق الارض
وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كأنه قطع له بالخير الاعراب موضع اولئك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو مبني على الكسر وكان حقه في الاصل الجزم
لعدم الاعراب فكسرت الهمزة فيها لالتقاء الساكنين وكذلك قوله واولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان احدهما انه فصل يدخل بين المبتدأ والخبر وما كان في الاصل مبتدأ
وخبرا للتأكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الآخر ان
يكون هم مبتدأ ثانيا والمفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبرا لاولئك المعنى لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عند الله تعالى فقال اولئك اشارة الى الموصوفين
بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي على بيان ودلالة وبصيرة من ربهم وانما قال من ربهم لان كل خير وهدى فمن الله تعالى اما لانه فعله واما
لانه عرضه له بالدلالة اليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تعظيما فقال واولئك هم المفلحون اي
الظافرون بالبغية والباقون في الجنة النزول قال مجاهد اربع آيات من اول السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلت في الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين
قوله تعالى عز وجل ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون آية القراءة قرأ عاصم وحمزة والكسائي قوله تعالى ءانذرتهم فيه ثلاث قراءات كلها
حق بهمزتين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية والباقون يجعلونها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خففت وابو عمرو اطول مدا من ابن كثير
والخلف في المد عن نافع وقرأ ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلاثة اوجه غيرها ءانذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بجعلها بين بين وانذرتهم بهمزة واحدة
وعليهم انذرتهم على القاء حركة الهمزة على الميم نحو قد افلح فمار وي عن نافع الحجة اما وجه من حقق فهو الاصل لان الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل
واما ادخال الالف بين الهمزتين فمن قرأ اراد ان يفصل بين الهمزتين استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في نحو اضربنان استثقالا لاجتماع النونات وقد قرئ والرمة
فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقاء أانت ام ام سالم واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية فوجه التخفيف من جهة الفصل والتليين لانك اذا لينتها فقد اتيت بها
اللفظ كانه لا استفهام فيه فمعنى المد توكيد الدلالة على الاستفهام كما في تخفيف الهمزة واما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لانه جعل التليين عوضا
عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فانه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف قد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان و
اما من القى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب اذا ليّنوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن القوا حركتها على ما قبلها فقالوا من بوك ومن مك وكم بلك
اللغة الكفر خلاف الشكر كما ان الجحد خلاف الاقرار فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها
اي سترها وسواء اسم مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك رجل عدل وصوم ومعناه مستو والاستواء الاعتدال والسواء العدل قال زهير ارونا خطة لا ضيم فيها يسوي بيننا فيها السواء
قال الاخفش معنى سواء كما قالوا في قولها وسيا اي سيان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ووصف القديم بانه تعالى منذر لان الاعلام يجوز
وصفه به والتخويف ايضا كذلك لقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز بما اشتمل عليهما وانذر يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا وقد يعدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار الاعراب
ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها اشبهت الفعل لكونها على وزنه ولانها توكيد التوكيد من معاني الفعل وتشبهه في اتصال ضمير المتكلم نحو
انني وهي مبنية على الفتح كالفعل الماضي وانما لزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على وجه التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا
في موضع نصب لكونه اسم ان وكفر في صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان احدهما ان يكون الجملة التي هو سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فعلى هذا يكون سواء
يرتفع بالابتداء وما بعده قد دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب على حد معه صقرا صائدا
به غدا وبالغ الكعبة وبشقهم ان يكون سببا فائيا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون
له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع في الوجه الاول فاما اذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدأ لانه
يكون تقديره الانذار وتركه سواء عليهم وانما قلنا انه يرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه اذا لم يكن خبر عنه
بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتدأ وايضا فانه قبل الاستفهام لا يكون داخلا في خبر الاستفهام فلا يجوز ان يكون الخبر عنه في الاستفهام مشتملا على الاستفهام
ونظيره في الآية من رجز المبتدأ ليس المبتدأ والله فيذكرها انشده ابو زيد فان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو وقوله ءانذرتهم ام

تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية آلتها همزة الاستفهام وام تقول ازيد عندك ام عمرو وتريد ايهما عندك ولا يكون
في مكانها او لانك لا تكون مع الالف الهمزة وتفسير المعادلة ان تكون ام مع الهمزة بمنزلة اي فاذا قلت ازيد عندك ام عمرو كان معناه احد هذين عندك وبدل على ذلك ان
الجواب مع ازيد عندك ام عمرو كان معناه يقع بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء على أقمت
ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما
التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام وكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون نظير سواء في هذا قولك ما
ابالي أقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي كانك قلت ما ابالي اي هذين كان ومثله ما ادري أحسنت ام اسأت وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان ما ابالي انب بالحزن تيس
ام لحاني بظهر غيب لئيم ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح ولو كان استفهاما لم يكن مدحا
وقول الآخر سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقى ام باسعد النزول قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي
وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي صلعم عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم والطبع علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي
وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر الله تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع خوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم
واختار الشيخ ابو جعفر ان يكون على الاختصاص وتجويز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا الظهر وسبق الى الفهم المعنى لما بين تعالى حال المتقين المؤمنين وصلة بذكر
الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الآية تدل
على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لهم لطف لآمنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انه لا لطف لهم وتدل على صدق النبي لانه اخبر بانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدل
على انه يجوز ان يخاطب الله بالعام والمراد به الخاص لقوله من قال الآية عامة لانا نعلم ان في الكفار من آمن وانتفع بالانذار سؤال ان قائل قال اذا علم الله انهم لا
يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال ما علم الله بانهم لا يؤمنون فالجواب انه لا يجب ذلك كما انه لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان
ان يكونوا مأمورين بابطال ما علم الله كما لا يجب اذا كان قادرا على ان يقيم القيامة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمها الساعة والصحيح ان نقول ان العلم يتناول
الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم
عذاب عظيم القراءة القراءة الظاهرة بكسر الغين ورفع الهاء وروى عن عاصم السواد غشاوة وعن الحسن بضم الغين وعن بعضهم غشوة بغير الالف وقرأ ابو عمرو والدوري
الكسائي على ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقراء في الامالة مذاهب يطول شرحها الحجة حجة من رفع غشاوة انه لم يحملها على ختم كما في الآية الاخرى وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرتفعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيبويه يرتفع غشاوة
وعذاب بانه مبتدأ فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش يرتفع بالظرف لان الظرف في تقدير فعل ويستغرب لانه تجمل اليهما في هذه السلة
بعد انشاء الله ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لانه فصل بين
حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضمر كانه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا
اي وسقيتها وقال الآخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اي حاملا رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار فقد صح ان الرفع اولى ويكون الواو عاطفة جملة
على جملة والغشاوة فيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيها ثلاث لغات اللغة الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه نقيا
طبعه بغير حرف ولا يمتنع ختم للتطلكه قراءة نقاء طبعها بطين من الحول كتاب اعجم وقوله ختامه مسك اي آخره ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال
الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر تقول يعجبني ضربكم فيوحد لانه مصدر يريد يجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذف مواضع ودل
على معنى اسماعهم قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقال الآخر في حلقكم عظم وقد شجينا اي حلوقكم والغشاوة الغطاء
وكل ما اشتمل على الشيء مبني على فعالة نحو العمامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالخياطة والقصارة لان معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها
وكذلك كل من استولى على شيء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة ونحو ذلك وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه والرأي
يعزب بالانسان اطوارا والفؤاد محل القلب والصدر محل الفؤاد وقد يعبر بالقلب عن محله كقوله لنثبت به فؤادك وقوله الم نشرح لك صدرك يعني به القلب في
الموضعين العذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب عذوبة اي اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر بالعطش فلم يأكل من
شدة العطش وفرس عذوب وقال الدلالة عنه عن الشيء بمعنى فطمه والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشأن ومن الشأن سمي عظيما وعظمته بادوه
المعنى تأويل في معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء
تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها وقد تقدم ذلك
انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرفه بها الملائكة كفره كذلك يسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها وقد
على مثل هذه مثالة الكتاب باليمين والشمال في انها علامة ان المثال باليمين من اهل الجنة والمثال بالشمال من اهل النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل
امرين احدهما انه طبع عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع وثانيها ان المراد بالختم على القلوب
ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل ما يقول فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تفلح اي شهدت وذلك استعارة

ثم قال ثانيها ان المراد بذلك انه ذمهم بانها كالمختوم عليها في انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر لقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول الآخر
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصارت ابصارهم كمن لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم
دابي سمعه لا صغيا وثالثها ان الله وصف من دعتهم بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له وهو خلاف من ذكره في قوله افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة وتحقيق ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما
يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ويبين ذلك قوله قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذه السمع والبصر مع ختمها وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل
بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بانه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كان
فبان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت ثبته فهمه وكما وصف الجبان بانه لا فؤاد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك وصف من بعد
عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه كأنه في غلاف هذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما
قال ختم الله وطبع الله لان ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لا تفعل به شيئا لانه هلك في اتباعها سؤال ان
قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر فالجواب قيل لانها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السماع او الرؤية قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين اللغة الناس البشر والانس نظائر وهي الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية واصله اناس من الانس وزنه فعال فحذفت
الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس ماخوذ من النوس
وهو الحركة وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل ماخوذ من الظهور فسمي بذلك لانهم ظاهرون وادراك البصر اياه ولذلك قيل انسته بمعنى ابصرته شيئا وقال
الله تعالى آنس من جانب الطور نارا والاول احسن لان الناس جمع لا من لفظه وقيل ماخوذ من النسيان لانه عهد اليه فنسي ولم نجد له عزما واصل انسان انسيان ولذلك قيل في تصغيره انيسيان
فرد الى الاصل اليوم الآخر يوم القيامة وانما سمي آخرا لانه يوم لا يوم بعده سواه وليس بعده ليلة وقيل لانه متأخر عن ايام الدنيا وانما فتحت نون من عند التقاء الساكنين
استثقالا لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فاما من الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لان اول حرف مفتوح ومن يقول النون يدغم في الياء فمنهم من يدغم بغنة ومنهم بغير غنة
الاعراب من يقول موصول وصلة وهو مرفوع بالابتداء وبالظرف على ما تقدم بيانه وقوله آمنا بالله وباليوم الآخر جملة تعلق بقوله وما هم بمؤمنين ما مشبهة
بليس من حيث يدخل على المبتدأ والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نفي الحال كما في ليس فاجري مجراها في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لانه
اسم ما والباء في قوله بمؤمنين زائدة دخلت توكيدا للنفي وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبرها ولفظة من تقع على
الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى مثل قول الفرزدق تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فثنى
الضمير العائد الى من على المعنى النزول انها نزلت في المنافقين وهم عبد الله بن ابي بن سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود المعنى ثم ان قسم ثالثهم
سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وبما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يطلعوا على اسرار المسلمين فينقلوها الى الكفار او يتقرب
الرسول اليهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الايمان فقال وما هم بمؤمنين في هذا تكذيبهم فيما اخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث فبين ان ما قالوه
بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون القراءة
قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون الحجة حجة من قرأ يخدعون ان فعل هاهنا اليق بالموضع من فاعل لان فاعل في اكثر الامر
يكون لفاعلين يدل عليه قوله تعالى في الآية الاخرى يخادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرأ يخادعون هو ان ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة آخر يجاذبه ذلك ويقاوضه
اياه فيكون الفعل كانه من اثنين فيلزم ان يقول فاعل كقول الكميت وذكر حمارا اراد الورود تذكر من انى ومن اين شربه يؤامر نفسيه كذي الهجمة الابل يجعل
ما يكون منه من وروده الماء او تركه الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين اللغة اصل الخدع الاخفاء والايهام بخلاف الحق والتزيين يقال خدعت الرجل اخدعه
خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لاخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا اذا قصدت خدعه والنفس الكلام على ثلاثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التأكيد تقول
جاءني زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل يقال النفس غير الروح يقال ما شعرت به يشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشيء من جهة تدق ومن
هذا اشتقاق الشعر لان الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتحيل الاعراب يخادعون فعل وفاعل و
النون علامة الرفع والجملة في موضع نصب لكونها حالا وذو الحال الضمير الذي في قوله آمنا العائد الى من والله منصوب بيخادعون والذين آمنوا عطف وما نفي والايجاب
وانفسهم نصب لانه مفعول يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعل وكل موضع يأتي فيه الا بعد نفي فهو ايجاب ونقض للنفي المعنى معنى قوله يخادعون الله
اي يعملون عمل المخادع لان الله لا يصح ان يخادعه من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يتوهم بالرب في معاملته ما اجهله يخادع
الله وهو اعلم به من نفسه اي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العاقل وغير العاقل وقيل المعنى يخادعون رسول الله لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذه كقوله تعالى ان الذين يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل
كذلك يخادعون هاهنا هو من واحد ومعنى يخادعون يظهرون غير ما في انفسهم وقوله والذين آمنوا اي ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين
او يجالسونهم ويخالطونهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا تسمى خداعا فكأنهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم

خداعا من حيث انهم نجوا بها من اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم انهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فانهم يخادعون انفسهم لانهم
يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت لهم فهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع الى انفسهم وما يشعرون اي ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم
في الحقيقة انما يخدعون انفسهم كما لو قاتل الانسان غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا وما قتل الا نفسه قوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اهل
المعارف لانه تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم لا يعلمون ذلك قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون القراءة قرأ ابن عامر وحمزة
فزادهم الله بامالة الزاي وكذلك شاء وجاء وقرأ اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذبون الحجة حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة
على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين وبيض جمع اعين وابيض لتصح الياء ولا تنقلب الى الواو وحجة من قرأ يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وما
بعدها لان قولهم آمنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما اتصلت به في المصدر قولهم فيما بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم
ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولى وحجة من قرأ يكذبون بالتشديد قوله ولقد كذبت وقوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم وقوله بل كذبوا بالحق
وقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لان كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم عذاب اليم
بتكذيبهم واذا كان يدل على ذلك كان فيها مضى اللغة المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى
الى مفعولين قال وزدناهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة والزيد يقال كذلك يزيد المرء بعد اسقامه والاليم الموجع فعيل بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع الذي
بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال ذو الرمة يصك خدودها وهج اليم والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو
نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في قوله قد قالت الانساع للبطن الحق جاز ايضا في الكذب ان يجعل غير نطق في قوله وذبيانية وصت بنيها بان
كذب القراطف والقروف فيكون في ذلك انتفاؤها كما اذا انه اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق اي كذب القراطف فاوجبها بالغارة المعنى قيل
مرض المراد بالمرض في الآية الشك والنفاق بلا خلاف وانما سمي الشك في الدين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سويا
وكذلك القلب ما لم يصبه آفة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتور عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي
يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه احدها ان معناه ازدادوا شكا عندما زاد الله
من البيان بالآيات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فعله نسبه اليه كقوله في قصة نوح لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح نسبه اليه وكذلك قوله
واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم الآيات لم تزدهم رجسا انما ازدادوا رجسا عندها وثانيها ما قاله ابو علي الجبائي ان اراد في قلوبهم غم بنزول
النبي المدينة وتمكنه بها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زادهم من التمكين والقوة وامده به من التأييد والنصرة وثالثها ما قاله السدي ان معناه
زادهم عداوة الله مرضا هذا على حذف المضاف مثل قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله ورابعها ان المراد به في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم
ومخازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار مخازيهم ومعايبهم والاخبار من خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض وخامسها
ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعا عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة
التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمنين فيكون خذلانا لهم وهو في الحقيقة اخبار عن خذلان الله اياهم وان خرج اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو
عذاب النار بما كانوا يكذبون اي بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين قوله واذا قيل لهم لا
تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون آيتان القراءة قرأ الكسائي قيل وغيض وجيء وسيء وسيئت وحيل وسيق وجيء بضم اوائل
كل ذلك وروي عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما نافع في سيء وسيئت وابن عامر فيهما وفي حيل وسيق والباقون بكسر من كلها الحجة في هذه وكلها ثلاث لغات الكسر
واشمام الكسرة الضم و قول بالواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لان اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد
في كل ما اعتلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع تخفيف اللغة الافساد احداث الفساد وهو كل ما تغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض
الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال لقوائم الفرس ارض لانه يستقر عليها قال اذا ما استحمت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق الاعراب اذا
لفظة وضعت للوقت بشرط ان يكون ظرفا زمانيا وفيه معنى الشرط وانما يعمل فيها جوابها افعل هذه الآية اذا في محل نصب لانه ظرف قالوا لانه الجواب ولا يجوز ان
تعمل فيه قيل لانه لا يعمل في المضاف اليه والمضاف لا يعمل فيه وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا للمفاجأة وانما يتضمنه معنى الجزاء
اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجثة وقيل مبني
على الفتح وكذلك كل فعل ماض فمبني على الفتح لا حرف جزم وهي تعمل الجزم في الفعل تقول لم يخرج وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعلين وانما في قوله
انما كافة كفت ان عن العمل فصار ما بعدها الى ما كان عليه في الاصل من كونه مبتدأ وخبرا وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدأ ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا
كما تقول قلت حقا او باطلا ونحن مبنية لمشابهتها الحروف وحقيقة بنيت على الضم لانها من ضمائر الرفع والضمة علامة الرفع ولانها ضمير الجمع والضمة بعض الواو
والواو علامة الجمع نحو ضربوا وبعضهم يقول وقوله لا تفسدوا في الارض في موضع رفع على تقدير وقيل لهم شيء هو هذا الكلام لانه اسم ما لم يسم فاعله وقوله الا كلمة تنبيه واستفتاح
للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله واصله لا ادخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجه
الى معنى التقرير والتحقيق كقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لانه لا يجوز للمجيب الا ان يقول بلى وانهم في موضع نصب بان وهم الاخر يجوز ان يكون فصلا

على ما فسرناه وقيل يجوز ان يكون مبتدأ والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ورده الى الاصل النزول الآية نزلت في صفة المنافقين
الذين يزيلهم الايات المتقدمة وروي عن سلمان انه قال ان اهل هذه الصفة لم يأتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صفتهم صورة هؤلاء
فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية المعنى واذا قيل لهم المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بعمل المعاصي
وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس او بممايلة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا
انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك لنسلم من الفريقين والآخر انهم جحدوا ذلك فقالوا انا
لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الكفار ولا نحرف الكتاب كان ذلك نفاقا منهم كما قالوا آمنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هؤلاء المنافقين الذين يعملون
الفساد هم المفسدون وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون انهم يفعلون فسادا وليس صلاحا ولو علموا ذلك لرجعوا عن فسادهم وقيل لا يعلمون
ما يستحقون من العقاب هذه الآيات تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان لهم طريقا الى
العلم بذلك قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون آية القراءة السفهاء الا اهل الكوفة وابن عامر
حققوا الهمزتين واهل الحجاز وابو عمرو حققوا الهمزة الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في
كلمة والحذو هو قوله انذرتهم اللغة السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله تعالى الصبيان والنساء
سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مورج السفيه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما
يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وتسفهته الريح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس
وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي ص وانما سموا الناس لان الغلبة كانت لهم الاعراب قوله كما آمن الكاف في موضع نصب لكونه صفة مصدر
محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي آمنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستخبار والاستفهام وقوله
انطعم من لو يشاء الله اطعمه اذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه المعنى المراد بالآية واذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد ص وما انزل اليه كما صدق اصحابه
وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن آمن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لان الجاهل انما سمي سفيها لانه
يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يؤمن به قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزئون آية القراءة بعض القراء ترك الهمزة من مستهزئون وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا الى حذفوا الهمزة والقوا حركتها على الواو قبلها وكذلك الى
والباقون اسكنوا الواو وحققوا الهمزة الحجة قال سيبويه الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها يجعلها اذا خففتها بين بين وكذلك الهمزة المكسورة اذا كان ما قبلها مضموما نحو
مرتع ابلك يجعلها بين بين ومذهب الاخفش ان تقلب الهمزة ياء في مستهزئون قلبا صحيحا لاجل الكسرة التي قبلها ولا يجعلها بين بين ولا تقلبها واوا مع تحركها بالضمة لخروجه الى
ما لا نظير له الا ترى انه ليس في كلامهم واو مضمومة قبلها كسرة اللغة اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شيء يستقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقاء الاجتماع مع
على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل والخلاء نقيض الملأ ويقال خلوت اليه خلوة وخلوت به على ضربين
احدهما بمعنى خلوت معه والآخر بمعنى سخرت منه وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزئون اي يهزؤن ومثله يستسخر ويسخر وقر واستقر وعلا قرنه
واستعلاه ورجل هزأة يهزأ به الناس وهزأة يهزأ بالناس هذا قياس الاعراب انا اصلها اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحذوفة النون الثانية من انا لانها
التي تحذف في نحو كان وان كل لما جميع لدينا وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما ومعكم منصوب لانه ظرف نحو انا خلفكم اي انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين
ويجوز للشاعر اسكان العين قال ودنيتي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما المعنى واذا لقوا الذين آمنوا يعني المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا اي
صدقنا بمحمد ص وبما انزل عليه كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل رؤساؤهم من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وروي عن ابي جعفر
الباقر انهم كهانهم قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزئون اي نستهزئ باصحاب محمد ص ونسخر بهم في قولنا آمنا قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون آية
اللغة المد اصله الزيادة في الشيء والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شيء يكون مددا لغيره وقال بعضهم كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت
بغير الف كما تقول مد النهر ومده نهر آخر وكل زيادة احدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف كما يقال امد الجرح وامددت الجيش والطغيان ومنه طغى الماء يطغى اذا تجاوز
الحد والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه قال رؤبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه الاعراب يعمهون جملة في موضع
الحال المعنى ذكر في معنى الآية وتأويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب تسمي الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل وجزاء سيئة سيئة مثلها
ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما جاز ذلك لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة وثانيها
ان يكون معنى استهزاء الله بهم تخطئته اياهم وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم على الضلال والعرب تقيم الشيء مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر ان دهرا يلف
شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وقال آخر كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق
والهم وانما ذكر ذلك على الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه سبحانه هو ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روي عن ابن عباس انه قال في معنى
الاستدراج انهم كلما احدثوا خطيئة جدد الله لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء لان ذلك في الظاهر نعمة والمراد استدراجهم الى الهلاك والعقاب الذي يستحقونه
بما تقدم من كفرهم ورابعها ان معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان قد اعد لهم

الآخرة

الآخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الآخرة وخامسها ما روي عن ابن عباس انه قال يفتح لهم وهم في
النار باب من الجنة فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذا الوجه
الذي ذكرناه ممكن ان نذكره في قوله ويمكرون ويمكر الله ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان احدهما ان يريد يملي لهم ليؤمنوا
وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والآخر ان يريد يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا كشرح الصدور وتنوير القلوب بتعظيم
او كفرهم ومثله لانهم بعصيانهم يحرمون لانهم قد اعرضوا عن حججه فحيرهم وابعدهم قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين آية القراءة
فيه جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وروى الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو في قوله لو استطعنا وروي عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو تشبيها بواو الجمع الحجة
الواو في اشتروا ساكنة فاسقطت همزة الوصل التي مع الساكن المبدل من لام المعرفة فالتقى ساكنان فحرك الاول منهما لالتقائهما واختير الضم ليفصل بالضمة بينها وبين واو
لو واو يدل على ذلك انهم قد اتفقوا على التحريك بالضمة نحو قوله لتبلون ولترون الجحيم مصطفوا الله لا الله على الجمع بل على انه كذلك في هذه الواو انهم شبهوا بها الواو التي
او ولو فحركوها بالضم تشبيها بها كما شبهوا الواو التي في او ولو بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم في لو استطعنا تشبيها لها بواو الجمع ومثل
هذا التشبيه كثير في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه وجاء النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل اللغة حقيقة الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشيء و
ترك غيره قد اشتراه وليس ثمة شراء ولا بيع قال الشاعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والربح
الزيادة على راس المال ومن يتجر بيسه نقلا بحج والتجارة التعرض للربح في البيع قوله فما ربحت تجارتهم اي فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك على
على معنى ربحت في بيعك وانما اضافوا الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها الاعراب اولئك في موضع رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت كان على وجهين
الفعل ويستعمل على نحوين احدهما ان لا يتم الا بخبر فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لان الجملة غير مكتفية بنفسها فلا بد من خبر يحدث به
عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبرا فيجب لذلك ان يكون خبره هو الاسم في المعنى كان في الآية الواو في موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين منصوب لانه خبره والياء
علامة النصب والجمع حرف الاعراب والنون عوض من الحركة والتنوين في الواحد كان في الاصل مهتديين فاستثقلت الكسرة على الياء التي هي لام الفعل فحذفت ثم حذفت لالتقاء
الساكنين وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والآخر من نحوي كان ان يكون فعلا حقيقيا يدل على زمان وحدث كقوله الا ان تكون تجارة اي تحدث فاذا استعمل هكذا فهي جملة
لا تحتاج الى خبر المعنى اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا
الكفر بالايمان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان فقول العلماء فيه وجوه احدها ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان كل مشتر مختار
ما في يد صاحبه على ما في يديه عن قتادة وثانيها انهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك الى الكفر فكأنهم استبدلوه به وثالثها انهم استبدلوا الايمان الذي كانوا عليه قبل
البعثة بالكفر لانهم كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به فلما بعث كفروا به فكأنهم استبدلوا الكفر بالايمان عن الكلبي ومقاتل قوله فما ربحت تجارتهم اي خسروا في استبدالهم الكفر
بالايمان والعذاب بالثواب قوله وما كانوا مهتدين اي مصيبين في تجارتهم كما يصيب التجار في تجاراتهم وقيل اراد انه نفى عنهم الربح والهداية فان التاجر قد لا يربح ويكون على هدى فان قيل
كيف قال فما ربحت تجارتهم وهو موضع هيئة وانما يوصف بذلك التاجر فالجواب انه ذكر الضلالة والهدى كانه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه انه ذهب رأس مالهم ويجوز
ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون آية اللغة المثل والمثل والشبه والشبه نظائر وحقيقة المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثاني بالاول قال كعب
بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد والمثال الذي ترتيب الصورة الذي وضع موضع الجمع كقوله
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ثم قال اولئك هم المتقون وقال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب
وقيل استوقد اي طلب الوقود والوقود بفتح الواو الحطب والوقود بالضم التوقد والنار جوهر مضيء حار واصله من النور يقال نار ونيران وتنار والاضاءة فعل الضياء يكون لازما ومتعديا
يقال اضاء الشيء بنفسه واضاءه غيره والآية تحتمل الامرين والترك للشيء الكف عنه والظلمات جمع ظلمة واصلها انتقاص الحق من قوله ولم تظلم منه شيئا اي
لم تنقص منه شيئا فالظلمة انتقاص حق البصر والابصار ادراك الشيء بحاسة البصر يقال ابصره يبصره والابصار بالقلب تشبيه الاعراب مثلهم مبتدأ كمثل
الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم مثل الذي استوقد نارا ونحو قوله ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء واستوقد نارا وما اتصل به صلة الذي والعائد الى الذي
المضمر الذي في استوقد ولما يدل على وقوع الشيء لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله اي حين اضاءت وما
ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضاءة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحواليه وحوله وحواليه قوله ذهب الله بنورهم اي اذهب
بنورهم الفعل الذي لا يتعدى يتعدى الى المفعول بحرف الجر وبهمزة النقل والباء في قوله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون تركهم غير مبصرين المعنى مثل
مثل هؤلاء المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا الكفر كمثل الذي استوقد اي اوقد نارا او كمثل الذي طلب الضياء بايقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ
ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن مما هو فيه وكذلك اذا طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا
بعزها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على اموالهم ودمائهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب ذلك معنى قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم وهذا هو المروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وكان يجب في حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطفأ الله ناره ليكون جوابا
لما معنى هذه القصة ولكن لما كان اطفاء النار مثلا لاذهاب نورهم اقيم ذهاب النور مقام الاطفاء وجعل جواب لما ايجازا واختصارا لدلالة الكلام عليه قال ابو ذؤيب دعاني

اليها

البها القلب لان امرها مطيع لما ادركه رشد طلابها وتقديره ارشدا عن طلابها محذوف للايجاز ومعنى ذهب الله بنورهم هو ان الله تعالى يسلبهم ما اعطوه من النور مع المؤمنين
في الآخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل في معنى اذهب الله نور المنافقين بحيث خرجوا هو اطلاع الله المؤمنين
على كفرهم فقد ذهب الله تعالى منهم بنور الاسلام بما اظهر الله من كفرهم وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء الآية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به
على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وذلك ان قريظة والنضير وبني قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون
لمحمد بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة فيحضهم على طاعة الله تعالى واقامة التوراة والايمان
بمحمد ويقول اذا خرج فلا تفترقوا عنه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل
كيف شبه الله المنافقين واليهود بمن استوقد نارا وهو واحد والجواب على وجوه احدها ان الذي بمعنى الجمع كما قيل في الآية الاخرى والذي جاء بالصدق وصدق به
وثانيها ان يقال النون محذوفة من الذين كما جاء في قول الاخطل ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

[illegible]

ذلك لحذر الموت قال الزجاج انما نصب لانه مفعول له في تاويل مصدر لان جعلهم اصابعهم في آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ ابو علي المفعول له لا يكون الا مصدرا لانه يدل على انه
فعل لاجل ذلك الحدث والحذر مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل آخر المعنى مثل هؤلاء المنافقين في جهلهم وشدة تحيرهم كصيب كاصحاب مطر من السماء
منزل من السماء فيه اي في هذا المطر في السماء لان المراد بالسماء السحاب فهو مذكر ظلمات لان السحاب يغشى الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو ورعد قيل ان الرعد صوت ملك يزجر
وقيل الرعد ملك موكل بالسحاب يسبح وذلك عن ابن عباس ومجاهد هو الملك ونحن نسمع صوته وقيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه ابو الجلد عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك
اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوت كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روي انه يزعق كما يزعق الراعي بغنمه وبرق قيل انه مخاريق الملائكة من حديد تضرب بها
فينقدح منها النار عن علي وقيل انه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد المصع الجلاد بما يسيوف وغيرها قال الاعشى اذا هن نازلن
اقرانهن كان المصاع بما في الجوف وقيل انه نار تنقدح من اصطكاك الاجرام وفي تاويل الآية وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن وما فيه من الظلمات

[illegible]

مفرد معرفة مبني لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني على الحركة مع ان الاصل في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء على الضم لانه كان اصله بالتنوين فلما سقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد اذا قطع عنهما الاضافة فضم وذكر فيه جواز ان توجبه خطابا والناس مرفوع لانه صفة اي فيتبع على حركة لفظه ولا يجوز فيهما النصب وان كانت اسماء المناديات المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لان هنا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي يتوصل به الى نداء ما فيه الالف واللام وها حرف تنبيه قبل الناس وجعلها واعتاضهم من حذفها فصار ذلك كالايذان بالاستيناف نداء العلم لانه لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناديات وجاز ان تقول يا ايها الرجل والنصب في ذلك فاسد لما ذكرناه ولانه لا يجاز لذلك في الكلام كلام العرب لم يرو عنهم غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب لانه عطف على الكاف والميم في خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهة الفعل في عمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك حكم لعل وتشبه الفعل الظاهر لان معناه الترجي وكم في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع رفع بانه خبره **المعنى** هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وذكر عن ابن عباس والحسن ومجاهد ان ما في القرآن من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة اعبدوا ربكم اي توجهوا اليه بالعبادة وعن ابن عباس انه قال معناه وحدوا ربكم الذي خلقكم اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين واوجد من تقدمكم من الخلق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم وعلى ابائهم لان نعمه على ابائهم نعم عليهم لانهم الانعم على ابائهم لعلكم تتقون اي خلقكم لتتقوه وتعبدوه كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه اعبدوه لتتقوه وقيل معناه لعلكم تتقون المحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل لعلك ترشد فليس انه من ذلك على شك انما يريد اقبل لترشد وانما ادخل الكلام لعل توفيقا للموعظة وتقريبا لها من قلب الموعوظ بقول القائل للاجير اعمل لعلك تاخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتاخذ اجرتك ومثله قول الشاعر وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب في الملا متالق اراد قلتم لنا كفوا لنكف لانه لو كان شاكا لما قال ووثقتم لنا كل موثق وقال سيبويه انما وردت لفظة لعل على انه ترجي للمخاطبين كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فاراد بذلك اذهبا على رجائكما فكانه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بما يؤول اليه امر فرعون وقيل فائدة ايراد لفظة لعل هي ان لا يحل العبد ابدا محل الامن الذي يعلم بل يزال العبد خائفا راجيا على العمل حذرا من تركه واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالاخرة في دار الدنيا اذا ذكرنا الاخرة مقرونا بالتقوى مثل معنا لعلكم تتقون النار في ظنكم ورجائكم ولم يحمل لعل على حقيقته دون غيره هذا قريب مما قال سيبويه قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون آية **القراءة** ادغم جماعة من القراء لام جعل لكم وقالوا اجعلكم والباقون يظهرون في **الحجة** لزام عمر فالاجماع حرفين من جنس واحد كثرة الحركات تماثل ظهر عليه اكثر القراء فلانهما منفصلان من كلمتين في الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاج لهم كلام كثير خارج عن الغرض يطلب في تفسير القرآن ومن اراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه **اللغة** الجعل الخلق والاحداث نظائر والارض معروفة والارض قوائم الدابة ومنه قول الشاعر ولم يقلب ارضها البيطار ولا لحبليه لها حبار والارض الرعدة وفي كلام ابن عباس ازلزلت الارض ام بي ارض والفراش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سماء لعلوها على الارض وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء وسما فلان لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق سمونا لنجران اليماني واهله ونجران ارض لم تديث مقاوله وقال الزجاج كل ما على الارض فهو بناء والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء ماء اي من نحو السماء قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا اي من نحوك والند المثل والعدل قال حسان بن ثابت اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء وقال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وقيل الند الضد **المعنى** متصل هذه الاية تتعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا يمكنكم ان تستقروا عليها وتفرشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون والسماء بناء اي سقفا مرفوعا مبنيا وانزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء من الثمرات رزقا لكم اي عطاء لكم وملكا لكم غذاء لكم وهذه تنبيه على انه هو الذي خلقهم ورزقهم دون من جعلوه له ندا من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون يحتمل وجوها احدها ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرط التكليف ولزمه التكليف بالجد ومشاغلة في التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قاله مجاهد ... وهو مذهب قتادة وغيره ان المراد بذلك اهل التوراة والانجيل اي تعلمون ذلك في الكتابين قال الشريف الاجل المرتضى رحمه الله استدل ابو علي الجبائي بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا وفي اية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية الشكل قال وهذا القول لا يدل لانه يكفي في النعمة علينا ان يكون في الارض بسائط ومواضع مفترشة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع منها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون في الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملتها كروية الشكل قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين آية **اللغة** ان دخلت هاهنا لغير شك لان الله علم انهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابني فاطعني وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله على ما تهم في الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لان العبد ذليل لمولاه والعبودية من احكام الشرع لانه بمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليس بعقوبة لذلك يسترق المؤمن والصبي والسورة غير مهموزة ماخوذة من سور البناء كل منزلة منه سورة وجمعها سور قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها

يتذبذب

يتذبذب هذا قول ابي عبيدة وابن الاعرابي في تفسير السورة فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال رفيع يرتفع القاري منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسؤر كل شيء بقيته واسأرت في الاناء ابقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة فبانت وقد اسأرت في الفؤاد صدعا على نايها مستطيرا **الاعراب** ان حرف شرط يجزم الفعل المضارع ويدخل على الفعل الماضي فيصيره في معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء وهما جملتان ويطلب احديهما بالاخرى نحو ان تفعل افعل فقولك ان تفعل شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاؤه وهو مجزوم بالشرط بالانفراد وحده لا بالفعل فان كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كالجزء وان كان جملة من مبتدا وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة في موضع الجزم فقوله كنتم في موضع الجزم بان وقوله فاتوا بسورة من مثله ابتواجب على انه جزاء الشرط والواو فاعل والفاء وما بعده في موضع جزم بانه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن يقع على اربعة اوجه احدها ان يكون بمعنى ابتداء الغاية من مكان كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض كقولك خذ من الطعام قفيزا وثالثها ان تكون بمعنى التبيين كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومعنى التبيين تخصيص الجملة التي قبلها كما انها في التبعيض تخصيص الجملة التي بعدها ورابعها ان تقع مزيدة نحو ما جاءني من رجل فاذا قد عرفت هذا فقوله من مثله قال بعضهم انه بمعنى التبعيض وتقديره فاتوا ببعض ما هو مثله وهو سورة وقيل هو للتبيين الصفة وقيل انه زائدة كقوله في موضع اخر بسورة مثله لمثل القرآن ويحتمل انها في مثله الى ما في قوله مما نزلنا على عبدنا في الاقوال الثلاثة وقيل انه بمعنى ابتداء الغاية والهاء من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه فاتوا بسورة من رجل مثله والاول اقوى لما نذكره بعد **المعنى** لما احتج تعالى عليهم للتوحيد عقبه بالاحتجاج للنبوة بما يقطع عذرهم فقال وان كنتم في شك من صدق هذا الكلام الذي انزلناه على محمد وقلتم لا ندري هل هو من عند الله ام لا فاتوا بسورة من مثله اي من مثل هذا القرآن وعلى قول من يقول الضمير في مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فاتوا بسورة من بشر امي مثله لا يحسن الخط ولا الكتابة ولا يدري الكتب والصحيح هو الاول لقوله في سورة اخرى فليأتوا بحديث مثله وقوله فاتوا بسورة مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله يعني فاتوا بسورة مثل ما اتى به محمد في الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختص به والاخبار عما كان وما يكون من غير تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله وادعوا شهداءكم قال ابن عباس يعني اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمى اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق عوا بانه شهيد ايضا وقوله من دون الله اي من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله ان كنتم صادقين في ان هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه قال الفراء اراد وادعوا الهتكم وقال مجاهد وابن جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى لان معناه استنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله لان الدعاء بمعنى الاستغاثة كما قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر وقال اخر وقبلك رب خصم قد تمالوا علي فما هلعت ولا دعوت واما قول مجاهد فلا وجه له لان الشاهد اما ان يكون مؤمنا او كافرا فالمؤمن لا يكون شهيدا للكفار والكفار لا يبادرون ليتسارعوا الى ابطال الحق وتحقيق الباطل اذا دعوا اليه فمن اي الفريقين يكونون شهداء لهم ولكن يستقيم ذلك جوابا على قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال قوم ان هذا الوجه ايضا صحيح لان العقلاء لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون من كلام انه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ... على الحقيقة وهذه الاية تدل على صحة نبوة نبينا لان الله تحدى بالقرآن وتقرير الاستدلال بها انه خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية في الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله او ببعضه بقوله فاتوا بعشر سور مثله وبسورة من مثله وجعل عجزهم عن ذلك حجة عليهم ودلالة على صدق رسول الله ثم هل تحملوا الانفة فبذلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا في معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم وفي ذلك دلالة على ان القرآن معجز دال على صحة نبوته قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين آية **الاعراب** ان حرف شرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فيصير به بمعنى الماضي ويعمل فيه الجزم تفعلوا فعل وفاعل وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا في موضع جزم ايضا بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينصبه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب في تفعلوا سقوط النون ايضا قال سيبويه حكي عن الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا الالف لكثرته في كلامهم كما قالوا ويلمه جعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هي هل ولا قال وهذا ليس بجيد لانه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن اضرب اقول معنى هذا القول هو ان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول في الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيدا في قولك لن اضرب زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على ان في قولك زيدا ان اضرب ويدل الا ان اضرب ولا خلاف بين النحويين في جواز التقديم هنا وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب لانه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدا والخبر في قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض عند العرب يقع موقع التاكيد فلا يكون له موضع **المعنى** فان لم تفعلوا اي فان لم تاتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندنا فلا تقيموا على التكذيب ومعنى ولن تفعلوا اي ولن تاتوا بسورة مثله ابدا لان لن تنفي على التابيد في المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد لانه يتضمن الاخبار عن حالهم في مستقبل الاوقات بانهم لا ياتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله فاتقوا النار اي فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قيل فان لم تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التي وقودها اي حطبها الناس والحجارة قيل انها حجارة الكبريت لانها احر شيء اذا احميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان الناس والحجارة وقود النار اي حطبها يريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تاكل الحجارة الا وهي في غاية الفرط والقطاعة والحمو وقيل معناه ان اجسامهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقد بها النار بتبقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم الاية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار وقوله تعالى اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم

٢٨ كما قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذه الاية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي لان الله احتج على الكفار بما ذكر في هذه الاية والزمهم به تصديق نبيه
نبيه فرتهم بان القرآن كلامه اذ قال ان كان هذا القرآن كلام محمد فاتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر لتهيأ لكم مع تفوقكم في البلاغة والفصاحة الاتيان بمثله او بسورة
منه مع قوة دواعيكم الى ذلك فاذا لم يتأت لكم فاعلموا بعقولكم انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلي واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مخلوقة الآن لان المعد
لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك انا وان لم نشاهدهما فان الملائكة تشاهدهما وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعتبرون بثواب الله
للمتقين وعقابه للكافرين قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون اللغة البشارة هي الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثاني لا يسمى بشارة وقد قيل
للاخبار بما يغم ايضا بشارة كقوله وبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهي ماخوذة من البشرة وظاهر الجلد لتغيرها باول خبر وتباشير الصبح اوله والجنان جمع الجنة
وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها وثمارها وانهارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لانه معلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها انها جارية تحت الاشجار لان
الماء اذا كان تحت الارض فلا حظ للعيون فيها الا ان يكشف عنه وروي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخدود ... واصل الجن الستر ومنه الجن لاستتارهم عن عيون
الناس والجنون لانه يستر العقل والجنة لانه يستر البدن والجنين لستره بالرحم قال المفضل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس وان كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة
كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والازواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام الاعراب
موضع ان مع اسمها وخبرها نصب معناه وبشر المؤمنين بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل اليه فنصبه وعلى قول الخليل يكون ان في موضع جر وان سقطت الباء وجنات
منصوب بانه اسم ان ولهم الجار والمجرور في موضع خبره والتاء لجماعة المؤنث تكون في حالة النصب والجر على صورة واحدة كما ان الياء لجماعة المذكر في الزيدين نحو يكون في حال
النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات كلما اضيف كل الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف
والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من غير زيادة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو تبيين
الرزق من اي جنس هو من قبل تقديره اي من قبل هذا الزمان او هذا الوقت فحذف المضاف اليه لفظا مع ان الاضافة مرادة معنى فبني لاجل مشابهته الحرف وانما بني على
الحركة ليدل على تمكنه في الاصل وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة كان بالفتح والجر نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفا فبني على حركة لم تكن له حالة الاعراب
حتى لفظه وموضعه على الظرف ومتشابها نصب على الحال وازواج رفع اما بالابتداء او بالظرف المعنى ثم عطف الله سبحانه هذه الاية بالوعد على ما قبلها بالوعيد ليحصل الترغيب والترهيب فقال
وبشر اي اخبر بما يسر الذين آمنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس بان لهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار
والنهر لا يجري وانما يجري الماء فيه فيستعمل الجري فيه توسعا لانه موضع الجري قوله كلما رزقوا منها اي من الجنات اي من اشجارها فالمعنى كلما رزقوا من اشجار البساتين التي اعدها الله
للمؤمنين من ثمرة اي من ثمارها عطاء واطعموا من ثمارها رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فيه وجوه احدها ان ثمار الجنة
اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول ابي عبيدة ويحيى بن كثير وثانيها ان معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا
عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدنا في الدنيا وثالثها ان معناه هذا الذي رزقنا من قبل في الجنة كالذي رزقنا وهم يعلمون انه غيره ولكنهم شبهوه في طعمه ولونه وريحه
وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ ابو جعفر رحمه الله واقوى الاقوال قول ابن عباس لانه قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فعم ولم يخص اول
ما اوتوا لا يتقدر فيه هذا القول الا ان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لان ما رزقوه في الدنيا قد عدم فاقام المضاف
اليه مقام المضاف كما ان القائل اذا قال لغيره اعددت لك طعاما ووصفه له يجوز ان يقول هذا طعامك في بيت فلان ومن حجته قوله فاتوا بسورة اي جيئوا بشيء وليس معنا الصورة
قوله متشابها فيه وجوه احدها انه اراد يشبه بعضه بعضا في اللون ويختلف في الطعم عن ابن عباس ومجاهد وثانيها ان كلها متشابه في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة وثالثها
الاخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جيء باشياء فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل ... كلها فاضل كقول الشاعر من تلق منهم تقل لاقيت
سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري يعني انهم قد تساووا في الفضل ورابعها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن ابن عباس وعكرمة ورابعها انه يشبه بعضه بعضا
في اللذة وجميع الصفات عن ابي مسلم وخامسها ان التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المخدوم والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به قوله ولهم فيها ازواج قيل
هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا مطهرة قيل في الابدان والاخلاق والاعمال فلا يلدن ولا يحضن ولا يتغوطن
ولا يبلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول جماعة المفسرين وهم فيها اي في الجنة خالدون يعني دائمون يبقون ببقاء الله لا يحسن انقطاع ولا انقطاع لذلك ولا نفاد لان
النعمة تتم بالخلود والبقاء كما تنقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتدا ولهذا لا يقال لله تعالى خالد قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين القراءة يستحيي بيائين في
كل القرآن وروي عن ابن كثير يستحي بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع اليائين فحذف احداهما وهي لغة بني تميم اللغة الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع
على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما
هو جعلها لتسير في البلاد يقال ضرب القول مثلا وارسله مثلا والبعوض صغار البق الواحدة بعوضة والمثل والمثل والمثيل كالشبه والشبه والشبيه قال كعب بن
زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل والفسق والفسوق الترك لامر الله وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها
اذا خرجت ولذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها من جحرها الاعراب ما في قوله ما بعوضة فيه وجوه احدها ان تكون ما مزيدة ومعناه التوكيد كما في قوله فبما رحمة

٣٩ من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب وثانيها ان تكون ما نكرة منصوبة ويكون بعوضة كما يكون موصوفة في قولهم
مررت بما معجب لك فيكون تقديره لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء بعوضة فيكون بعوضة بدلا من شيء وثالثها ما حكي عن الفراء ان معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما
يقال مطرنا ما زبالة فالثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا
الوجه لان ضرب ههنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فمثل الحيوة الدنيا
مبتدأ وكماء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء فدخل اضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا اكرم ويجوز في الاعراب الرفع في بعوضة ومن قرأ بالرفع
فرفعه وجهان احدهما ان يكون خبر مبتدأ محذوف وما في صلته ما كانه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ على الذي احسن بالرفع وهذا عند سيبويه ضعيف وفي الذي اقوى لان الذي
اطول وليس لذلك مذهب غير الاسماء والثاني على الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا قيل ما هو فقيل بعوضة كما يقال مررت برجل زيد اي هو زيد فيكون ما على
هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله فاما الذين آمنوا لغة العرب جميعا بالتشديد بكسرة الا بني تميم يقولون ايما فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم مبتلة هيفاء اما
فبحر واما الجيد منها فلا يجري وهي كلمة تجيء في شيئين او اشياء تفصل القول بينها كقولك اما زيد فمحسن واما عمرو فمسيء فزيد مبتدأ ومحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره
مهما يكن من شيء فزيد محسن ثم اقيم اما مقام الشرط فيتصل اما بزيد محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ وكراهتهم تقع الفاء التي للتعقيب في اول الكلام وقوله الذين آمنوا على
يكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده
هو في موضع الرفع بانه خبر المبتدأ تقديره اي شيء الذي اراده الله تعالى فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك لبيان الحال الذي من ضرب له المثل ويحتمل ان يكون ماذا اسما واحدا
اي شيء اراد الله فيكون في موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك لبيان الحال من ضرب له المثل ومثال الاول قوله ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير النزول نزلت عن ابن عباس وابن مسعود في المنافقين لما ضرب المثلين قبل
هذه الاية للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله هذه الاية وروي
عن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الاية المعنى ان الله لا يستحيي اي لا يدع وقيل لا يمتنع لان
اصله اذا استحيى من شيء تركه وامتنع منه معناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه ان الذي يستحيي منه ما يكون
قبيحا في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله فاخبر الله ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيي منه وقيل معناه انه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
اي تستحيي الناس والله احق ان تستحيي منه فالاستحياء بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحياء هناك واصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة
القبيح قال علي بن عيسى معناه انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب يستحيي منه فكانه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيي منه فوضع قوله ان الله لا يستحيي موضع قوله
فما فوقها اي ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها في الصغر والقلة لان الغرض ههنا الصغر وقال الربيع بن انس ان البعوضة تحيى ما جاعت فاذا سمنت ماتت وكذلك
القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله تعالى عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق عليه السلام انه قال انما ضرب الله المثل
بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله تعالى ان ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعه وقد
استشهد على ضرب المثل بالشيء الحقير في كلام العرب بقول الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل وقول الآخر وهل شيء يكون اذل بيتا
من اليربوع يحتفر الترابا وقوله فاما الذين آمنوا اي صدقوا محمدا صلى الله عليه وآله والقرآن وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم الله بانهم يتدبرون حتى علموا انه من ربهم
وان المثل وقع في حقه واما الذين كفروا بالقرآن فيقولون اي يتلاعبون عنادا وعدولا عن طريق الرشد وانكارا لما هو الحق فقالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اي ماذا اراد الله بهذا المثل فحذف
الالف واللام وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا يحتمل ان يكون حكاية عمن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضل قوم
ويهدي به قوم فقال الله وما يضل به الا الفاسقين فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا ضالا وهذا وجه حسن والآخر ان كلا منهما ابتداء وكلاهما محتمل اذا كان لا يجوز على هذا
قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه قوله ويهدي به كثيرا يعني الذين آمنوا به وصدقوا وقالوا هذا في موضعه
فلما حصلت الهداية بسببه اضيفت اليه ومعنى الضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال فان من ضرب لهم الامثال ... الاشكال
فضل عنده قوم فسميت ضلالا واذا سهلت فاهتدى عنده قوم سميت هداية فالمعنى ان الله يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدي بها قوم كثير ومثله قوله رب انهن اضللن كثيرا
من الناس اي ضلوا عندها وهذا كما يقال ادخلت الرجل الى الفضة اذا دخل الفضة ليظهر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما اراد فسادها
ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولم يرد انه اراد ان يضل وانما اراد ضلت منه لا من غيره وقولهم اضل فلان فلانا اذا ذهب عقله وسوء ما لم
يعرف ولكنه لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التي تفعل بالمؤمنين
جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك اريد به انك لم تحدث فيه الصلاح في كل وقت بالصقل والاحداد والحكمية كما يقال اذا نسب الى الضلال
والكفر اذا نسب الى الكفر قال الكميت فطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب وقد يكون الاضلال بمعنى الحكم بالضلال وقد يكون بمعنى الاهلاك والعذاب
والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنه قوله تعالى ءاذا ضللنا في الارض اي هلكنا وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن
يضل اعمالهم اي لن يبطل سيهديهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي الى الثواب
وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن ابي علي الجبائي قال ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به التخلية والتشكيك فان اراد الحيرة فقد ذكر

انه لا يفعل الا بالفاسق المصر ان شاء فيجب ان لا يكون الحيرة المتقدمة التي هي اضلال وانما من فعله الا اذا وجد الحيرة فيها ابعض وهذا يوجب وجودها لا نهاية له من حيرة بعد
حيرة لا الى اول وثبوت الضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا هو خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين على هذا الوجه فيجب ان يكون حكم
الله عليهم بالكفر وبرائته منهم ولعنته عليهم اهلا لكا لهم يكون اهلاكه لضلالا وكل ما في القرآن من الاضلال المنسوب الى الله فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف
الى الله تعالى الاضلال التي اضيفت الى الشيطان والى فرعون والسامري بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون قومه واضلهم السامري وهو ان يكون بمعنى التلبيس والتغليط
والتشكيك والايقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدي الى التظليم والتجوير على ما يذهب المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فصل** في حقيقة الهداية والهدى وقد ذكرنا انواع
الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر انواع الهداية التي هي ضده اعلم ان الهداية في القرآن تقع على وجوه احدها ان تكون بمعنى الدلالة والارشاد يقال
هداه الطريق وللطريق والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فان الله هدى كل مكلف الى الحق بان دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فلو لم يدله عليه لكان
قد كلفه بالمستحيل ويدل عليه قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله
انك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله وهديناه النجدين وما اشبه ذلك من الآيات وثانيها ان يكون بمعنى زيادة الالطاف التي بها يثبت على الهدى ومنه قوله والذين اهتدوا زادهم هدى
شرح صدره وثبتنا وثالثها ان يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وقوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ويصلح بالهم والهداية التي تكون بعد القتل لا تكون الا الاثابة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها الحكم بالهداية كقوله ومن يهد الله فهو المهتد وهذه الثلاثة خاصة بالمؤمنين
دون غيرهم لانه انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم الطافا بايمانهم وطاعاتهم ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا
بان الهداية ههنا كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء كالوجه الاول فاما الهداية التي كلف
الله العباد فعلها كالايمان به وانبيائه وغير ذلك فانها من فعل العباد فلذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله قد انعم عليهم بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم
الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه عليهم ومنة منه واصلة اليهم وفضل منه واحسان اليهم فهو مشكور على ذلك محمود
[illegible]

ولتعريف الحال فيه خبره وبيان ان يكون العقل الماضي خالا **المعنى** ثم عاد الله تعالى الى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث وجحودهم لرسله وكتبه بما انعم عليهم فقال كيف تكفرون بالله
معناه هو توبيخ قال ويحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ... هو تعجب قال تقديره عجبا منكم على اي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل
الظاهرة على وحدانيته والمعجزات الظاهرة على صدق من اختص برسالته ... ثم ذكر تعالى بعض نعمه عليهم فقال وكنتم امواتا فاحياكم اي
وحالكم انكم كنتم امواتا ... انهم كانوا امواتا في اصلاب آبائهم يعني نطفا ثم احياهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت ... وموتتان
عن قتادة وثانيها ان معناه لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس وابن مسعود وثالثها ان معناه كنتم امواتا يعني خاملي الذكر فاحياكم بالظهور
ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امر خامل ميتا ... كما قال ابو نخيلة السعدي ... ما كان خاملا ولكن بعض
الذكر انبه من بعض ورابعها ان معناه كنتم نطفا في اصلاب آبائكم وبطون امهاتكم والنطفة موات فاحياكم الى دار الدنيا احياء ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون
[illegible]

بهموزا والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فقال ملك وذهب ابو عبيدة الى ان اصله من لاك اذا ارسل فملاك على هذا القول مفعل وملائكة مفاعلة
غير مقلوبة والميم فيه على الوجهين زائدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال مثل شمال وملائكة فعائلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زائدة
والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل الله غير البشر كما ان النجم وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على الثريا [illegible]
ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس لا يكون من الرسالة
والجعل والخلق والفعل والاحداث نظائر الا ان الجعل قد يتعلق بالشيء لا على سبيل الايجاد بخلاف الفعل والاحداث تقول جعلته متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه
وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة والامام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من يخلف من كان قبله فهو مأخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام
مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته فيما يقوله ويفعله والسفك صب الدم والدم معروف واصله دمي فقال بعضهم يصطفون فعل قال الشاعر فلو
انا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقيل اصله دمي على وزن فعل الا انه لما رد في التثنية الى الاصل حرك ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى
عن السوء وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتعظيم والتنزيه والقدوس المستحق للتطهير ويقتضيه التقديس والقدس السطل الذي يتطهر به وقد حكى سيبويه ان منهم من يقول سبوح وقدوس
بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح فيه لانه ليس في الكلام فعول الا ذروح وسبحان اسم علم قال سيبويه سبحان الله معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى اقول
لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي براءة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية سبحانه ثم سبحانا نعوذ به
وقبله سبح الجودي والجمد وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان
العبادة وهي غاية في الشكر لا يستحقها سواه الاعراب قال ابو عبيدة اذ هاهنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه
قال الزجاج ومعناه الوقت فلما ذكر الله خلق الناس في غيرهم فكانه قال ابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملائكة وقال علي بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك فهو موضع نصب
على انه مفعول والواو هاهنا حملة على جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا والواو في قوله
ونحن واو الحال وتسمى واو القطع وواو الاستئناف وواو الابتداء وواو اذ كان يقبلها سيبويه ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اذ
طائفة وكذا هاهنا اي اذ نحن نسبح والعامل في الحال هاهنا اتجعل كانه قال اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن على هذه الحال والباء في بحمدك يتعلق بنسبح واللام من لك يتعلق بنقدس وما
موصول وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول المحذوف وتقدير الكلام ما لا تعلمونه وهو في موضع نصب باعلم المعنى اذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة قيل انه خطاب لجميع الملائكة
وقيل خطاب لمن سكن الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس اني جاعل في الارض خليفة اراد بالخليفة آدم فهو خليفة الله في ارضه يحكم بالحق الا انه كان اعلم
ملائكته انه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سماه الله خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض
وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عن الحسن الخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا وهم خلفوا اباهم آدم
في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لان النبي قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى وقال قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن
والمقام والظاهر الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله قالوا يعني الملائكة لله اتجعل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكروا فيه وجوها احدها
انهم انما قالوا ذلك لان الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة فاجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان الارض من بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها
كما فعل بنو الجان قاسوا الشاهد على الغائب وهو قول كثير من المفسرين وثانيها ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة
والحكمة لا على وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه وثالثها ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون من ذريته قوم يفسدون
[illegible] عن ابن عباس وابن مسعود [illegible] وقيل ليعلم آدم انه خلق
للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في ذلك من التدبير والاستفادة لوجه الحكمة وهذا الوجه يقتضي ان يكون في الكلام
حذف فيكون التقدير اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله اتجعل فيها من يفسد فيها يقتضي
التمام ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك [illegible] في الارض [illegible]
اختصارا ايضا لانه يتضمن اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه [illegible]
القرآن والحذف [illegible] في الفصاحة اذا كان فيما ابقي دليل على ما القي [illegible] الشنفرى ولا تقبروني ان قبري محرم عليكم ولكن خامري ام عامر اي لا تقبروني
بل دعوني للتي يقال لها خامري ام عامر يعني الضبع وقول ابي داود [illegible]
وقال عنترة هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم اي دعي عليها بانقطاع لبنها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير
[illegible] الملائكة بقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها [illegible] الانبياء والمعصومين [illegible] ونحن نسبح بحمدك نتكلم بالحمد
لك والنطق بالحمد تسبيح له كقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد تسبيحا لان معنى الحمد لله الثناء عليه والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بانه
اهل لان ينزه ويعظم ويثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله فلولا انه كان من المسبحين اي المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر
[illegible] منه قول جرير قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك [illegible]
فاللام على هذا زائدة اي نقدسك وقيل نقدس لك اي نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي [illegible] قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل اراد ما اضمره ابليس من الكبر والعجب

المعصية لما امره الله بالسجود لآدم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين عن قتادة وقيل اراد بما اختص به علمه [illegible]
وروي عن ابي عبد الله قال ان الملائكة سألت الله ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا انهم تجاوزوا
ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله آدم بعد هبوطه ان يبني له في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله للملائكة اني اعرف بالمصلحة منكم
وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد الجواب متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما
هو الاصلح النظم وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لان الله تعالى ذكر اولا النعم التي انعم بها علينا وهي نعمة الحيوة ثم ذكر بعدها انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وخلق السماء ثم اراد ان يذكر [illegible]
ابينا آدم وما اعطاه من الفضيلة فكانه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد جعل لكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا قوله وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين آية القراءة [illegible]
كل القرآن فاما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء ان كنتم [illegible] ابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب برواية رويس [illegible]
كذلك يفعلون في كل همزتين متفقتين من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء ان اردن والمضمومتان اولياء اولئك ليس في القرآن غيره والمفتوحتان
جاء احدكم وشاء انشره وابو عمرو [illegible] ونافع برواية اسماعيل وابن كثير برواية ابن فليح [illegible]
فاتفقوا على همز الاولى وتليين الثانية [illegible] فاما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتا او مختلفتين [illegible]
والتليين والتخفيف وتحقيق الهمز [illegible] اللغة آدم [illegible] انه مأخوذ من اديم الارض [illegible]

ان كنتم صادقين ان سئل فضل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا وجحدوا وكيف امرهم الله ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء فيه وجوها من الكلام احدها ان الله تعالى لما اخبر الملائكة

انه جاعل في الارض خليفة ... انه ان كان الخليفة منهم بدلا من آدم وذريته لم يكن في الارض فساد والسفك دم كما يكون من ولد آدم وان كان الله لا يفعل الا ما هو

... انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا ما

... لن يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه وافضل ... انواع العلم وقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء ...

على بن عيسى الرماني ولهذا جعل اصحابنا هذه الآية دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث امرهم بالسجود لآدم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضول لا يجوز
تقديمه على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القسم البلخي جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما امتنع
ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القرآن بان امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله ارأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن وقوله انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله بانه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الآخر الذي لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه
سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على وجه التفضيل والتعظيم والاكرام والتبجيل ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة ام لا فذهب قوم الى انه كان
منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قال وهو المروي عن ابي عبد الله والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال انه كان منهم فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم
من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة
قال وقد جاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى الرماني وغيره واحتجوا على صحة هذا القول باشياء احدها قوله الا ابليس كان
من الجن ومن اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه وثانيها قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا
عاما وثالثها ان ابليس له نسل وذرية قال الله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو وقال الحسن ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملائكة روحانيون
خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول الحسن لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون ورابعها قوله جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم
الفسق لجاز عليهم الكذب قالوا وان استثناء الله اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم وانما استثناه منهم لانه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء
منهم وقيل ايضا ان الاستثناء هنا منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وانشد سيبويه والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح
كقول النابغة وما بالربع من احد الا اواري ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر ابن بابويه في كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله قال سألته عن ابليس
اكان من الملائكة وكان يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله يعلم
انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره واما من قال انه من الملائكة فانه احتج بانه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فان
الامر انما تناول الملائكة دون غيرهم وقد مضى الجواب عن هذه ويزيد بيانا قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فعلمنا انه من جملة المأمورين بالسجود وان لم يكن من جملتهم وهذا
كما اذا قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم من هذا ان غير اهل البصرة كان مأمورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم
الاكثر وكذلك القول في الآية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الاعشى وفي تغلب
كذلك القول في الآية واجاب القوم عن الاحتجاج الاول وهو قوله كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم ولو كان شيء خالدا او معمرا لكان سليمان البري من الدهر
براه الهي واصطفاه عباده وملكه ما بين ثريا الى مصر وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر وقد قال الله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لانهم قالوا الملائكة بنات الله
واجابوا عن الثاني وهو قوله لا يعصون الله ما امرهم الآية بانه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة لغيرهم واجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون الله ركب في ابليس شهوة النكاح
تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز ان يكون الله لما اهبطه الى الارض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا واما قولهم ان الملائكة خلقوا من الريح وهو خلق
من النار فان الحسن قال خلقوا من النور والنار والنور سواء وقولكم ان الجن يطعمون ويشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو حاتم
ونار قد حضأت بعيد هدء بدار ما اريد بها مقاما سوى تحليل راحلة وعين اكالئها مخافة ان تناما اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال
منهم زعيم نحسد الانس الطعاما لقد فضلتم بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم سقاما فهذا يدل على انهم لا يأكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الاخبار النهي عن التمسح بالعظم
والروث لان ذلك طعام الجن وطعام دوابهم وقد قيل انهم يتشممون ذلك ولا يأكلون واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل الملائكة رسلا بان هذه الآية معارضة بقوله تعالى الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس لان من للتبعيض وكلا القولين مروي عن ابن عباس وروي عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي ابليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها
بالامر بالسجود لآدم فسجدوا وابى ابليس فلذلك قال تعالى كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل
وكان من سكان الارض من الملائكة تسمى الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس قوله
كان من الكافرين قيل معناه كان كافرا في الاصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل اراد كان في علم الله من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى فكان من المغرقين
واستدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمنا بمعرفته بالله تعالى وان فسق بابائه وهذا ضعيف لانا اذا علمنا كفره اجماعا
علمنا انه لم يكن له ايمان اصلا كما انا اذا رأينا من يسجد للصنم علمنا انه كافر وان كان نفس السجود ليس بكفر واختلفوا في صفة امر الله الملائكة بالسجود فقيل كان خطابا من الله للملائكة
ولابليس فيه قبل ان يجوز من الله ان يبعث اليهم رسولا لانه لا يكون الرسول الا من جنس المرسل اليه وقيل ان الله تعالى اظهر لهم فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود فان قيل لم حكم الله بكفره مع ان من ترك السجود الآن لا
يكفر قلنا لانه جمع الى ترك السجود خصالا من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره بالقبيح ولم ير امره بالسجود حكمة ومنها انه امتنع من السجود تكبرا وردا على الله امره ومن ترك الآن كذلك كفر ايضا
ومنها انه استخف بنبي الله وازدراه وهذا لا يصدر الا عن معتقد للكفر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة من وجوه منها قوله ابى فدل على انه قادر على السجود الذي اباه وتركه والا لم
يصح وصفه بالاباء ومنها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم ومنها انه مدح الملائكة بالسجود وذم ابليس بترك السجود وعندهم انما لم يسجد لانه لم يخلق فيه السجود والقدرة الموجبة
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين آية **اللغة** السكون ضد الحركة والسكن الاهل والسكن ان يكون الانسان
العيال واهل البيت والسكن المنزل والسكن الرحمة والبركة في قوله تعالى ان صلاتك سكن لهم والزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب والاكل هو المضغ والبلع في اللغة متقارب

الاكل الادم وسئل جرير بن الحبان الحارث بن كلدة طبيب العرب فقال يا حارث ما الدواء قال الازم اي ترك الاكل والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة في العيش
والمشية من قبيل الارادة وكذلك المحبة والاختيار والايثار وان كان لها شرائط ذكرت في اصول الكلام والقرب الدنو قرب الشيء يقرب قربا وقرب فلان اهله يقربه قربانا اذا غشيها
وقربت هذا الامر قربانا وقربا والشجرة ما قام على ساق وجمعها اشجار وشجرات وشجر وتشاجر القوم اختلفوا اخذا من الشجرة لتشابك اغصانها والظلم الجور والعدوان متقارب
واصل الظلم الانتقاص وضد الجور العدل واصل الظلم انتقاص الحق قال الله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص وقيل اصله وضع الشيء في غير موضعه ومن قولهم من اشبه اباه فما ظلم
اي فما وضع الشبه في غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظالم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء والمعصومين **الاعراب** قوله اسكن انت وزوجك لما استقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن
اكد الضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله وزوجك معطوف على موضع انت ولو عطف على الضمير المستكن لكان شبيه العطف
والمتصل فقال اسكن انت وزوجك فانت تأكيد للضمير المستكن ولو لم يؤكد لم يحسن العطف عليه ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال
الاسم على الفعل فاذا كان الضمير المنفصل فعطف عليه رغدا نصب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال اكلا رغدا اي واسعا كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله
كلا قال الخليل يقال قوم رغد ونسوة رغد وعيش رغد ورغيد قال امرؤ القيس بينما المرء تراه ناعما يأمن الاحداث في عيش رغد فعلى هذا يكون نقيضه وكلا منها موسعين في العيش
وحيث مبني على الضم كما تبنى الغاية نحو من قبل ومن بعد لانه منع الاضافة الى المفرد كما منعت الغاية من الاضافة وانما تضاف الى جملة اسمية او فعلية في نحو قوله وحيث نلتقي
ما النهي والاصل في الفاعلين وقوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار ان وان مع الفعل في تأويل المصدر واذا قدرت ان بعد الفاء كان ذلك عطفا
على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه فيما تقتضيه من المعنى
والثاني ان يكون معطوفا على النهي فيكون مجزوما فيكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال ولا تكونا من الظالمين المعنى
ثم ذكر الله تعالى ما امر به آدم بعد ان انعم عليه بما خصه من العلم واوجبه عليه من الاعظام واسجد له الملائكة الكرام فقال تعالى وقلنا وهو نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة اي اتخذاها مسكنا ومأوى لتأوي اليه وتسكن فيها لم ترها واختلف في هذا الامر فقيل انه امر تعبد وقيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف
وقوله والنفر اعتمد بالاتفاق وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة ولعن وبقي آدم وحده استوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها وروي ان الله تعالى القى على آدم النوم
واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند رأسه امرأة فسألها من انت قالت امرأة قال لم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا لم سميت حواء
لانها خلقت من حي فعندها قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة وفي كتاب النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من
آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او
يخلق منه حي آخر من حيث يؤدي الى ان لا يمكن ايصال الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك هو الجملة باجمعها وانما سميت حواء لانها خلقت من حي على ما ذكرناه وقيل لانها ام كل حي
واختلف في الجنة التي اسكن آدم فيها فقال ابو هاشم هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لان جنة الخلد اكلها دائم ولا تكليف فيها وقال ابو مسلم هي جنة من جنان الدنيا في الارض وقال ان قوله اهبطوا
لا يقتضي كونها في السماء لانه مثل قوله اهبطوا مصرا واستدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد بقوله حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك ولم يحتج الى دلالة
وقال اكثر المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون
وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها تفنى
لقوله كل شيء هالك الا وجهه قوله وكلا منها رغدا اي كلا من الجنة كثيرا واسعا فيه حيث شئتما من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تأكلا
منها وهو المروي عن الباقر ومعناه لا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها لذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف في هذا النهي فقيل انه نهي تحريم
وقيل انه نهي تنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق وهو مذهب اصحابنا فان عندنا ان آدم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركا نفلا وفضلا ولم يكن
فاعلا لقبيح فان الانبياء لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم على اختلاف بينهم في انه وقع منه على سبيل العمد او السهو او التأويل وانما قلنا انه لا يجوز
مواقعة الكبائر على الانبياء من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لان المعاصي عندنا كلها كبائر وانما تسمى صغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر عقابا منها لان الاحباط قد دل الدليل على
بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء وجب ان ينتفي عنهم سائر الذنوب ولانه لو جاز عليهم شيء من ذلك
لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه شيء من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهيئات
المستنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهي عنها آدم فقيل السنبلة عن ابن عباس وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسدي وقيل هي
التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروى عن علي وقيل شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين يكون
ما كان من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لمن بخس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله حكاية عن يونس اني كنت من الظالمين من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه واختلفوا اهل
ابتدأ الخلق في الجنة فجوز المصريون من اهل العدل ذلك قالوا يجوز ان ينعمهم الله في الجنة مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لان ذلك نعمة منه كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال
القسم البلخي لا يجوز ذلك لانه لو فعل ذلك لانه يجب ان يكونوا متعبدين بالمعرفة ولو لم يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد فكان يكونون لا بد من دار اخرى يجازون
فيها مخلدين وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك قبيح وجوابه انه لو ابتدأ خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى المعرفة ويلجئهم الى فعل الحسن وترك القبيح متى راموا القبيح منعوا منه فلا
يؤدي الى ما قاله وهذا انما يدخل الله الجنة الاطفال والمجانين على غير الثواب **قوله تعالى** فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين آية **القراءة** قرأ حمزة فازالهما بالالف والباقون فازلهما **الحجة** من قرأ ازالهما قال لقوله اسكن انت وزوجك الجنة معناه اثبتا فيها فقابل الشيطان
فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرأ فازلهما انه يحتمل تأويلين احدهما كسبهما الزلة والخطيئة والآخر ازلهما عن ... اي نحاهما

... تعالى قوله لم يزل ناصحين ... فوسوس لهما الشيطان الآية وقد ذهب ... الزلة ... الشيطان ... انما استزلهم الشيطان ...

والخرجهما مما كانا فيه ... عن الموضع الذي هو فيه ... كذلك ... اللغة الزلة والخطيئة المعصية ...

والاصل في ذلك الزوال والزلة زوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق والهبوط النزول والوقوع نظائر ...

[illegible]

الاقلاع والانابة في اللغة نظائر وضد التوبة الاصرار والله تعالى يوصف بالتواب بمعنى انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط فالله تعالى

على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله بندمه على معصيته المعنى قوله فتلقى آدم اي قبل واخذ وتناول على سبيل الطاعة من ربه ... كلمات ... وقوله فتلقى ...

[illegible]

الاهباط انما كان في حال عداوة بعضهم لبعض بين بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى لان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب بسلام معافى
مصاحبا وان كان الذهاب لحد الاختلاف الحالين فاما يأتينكم مني هدى اي بيان ودلالة وقيل انبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب في قوله اهبطوا لادم وحوا وذريتهما كقوله
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اي اتينا بما فينا من الخلق طائعين فمن تبع هداي اي اقتدى برسلي واحتذى ادلتي فلا خوف عليهم من اهوال يوم القيامة من العقاب
ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن في الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وفي هذه الاية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتداء لان الاهتداء
انما يقع بالاتباع والقبول قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اية **اللغة** الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والاية الحجة
والدلالة ومعنى الاية في اللغة العلامة ومنه قوله عيدا لاولنا واخرنا واية منك اي علامة لاجابتك دعانا وكل اية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها قال ابو عبيدة معنى الاية
انها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها وقيل ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القوم ام حلم اي رسالة فيكون معنى
الايات القصص قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الاية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص
والاصحاب جمع صاحب وهو القرين والصاحب هو المخاطب والصحبة المقارنة والجمع [illegible] صاحب الذكر يقال صحبه [illegible] **الاعراب**
موضع اولئك يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون ابتداء وخبره في موضع الخبر الاول والثاني ان يكون على خبر بعد خبر واحد كقولك هذا حلو حامض وان شئت جعلت اولئك في موضع
مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم يدخل ههنا الفاء لان ما دخل عليه الفاء [illegible] اصل الخبر [illegible]
الذي جاز وان اردت به الحال لم يجز **المعنى** الذين كفروا اي جحدوا وكذبوا باياتنا اي بما انزلنا على الانبياء فاولئك اصحاب النار اي الملازمون للنار هم فيها خالدون اي
دائمون وفي هذه الاية دلالة على ان من مات مصرا على كفره غير تائب منه وكذب بايات الله فهو مخلد في نار جهنم [illegible] دلالة وكتب المنزلة على رسله الاية تشمل الجحد والدلالة
وكانت بينهما فرق في الاصل [illegible] الكلام كذا والانتقال اليه ومن تمسك بهذه الاية [illegible] على الجوارح قد يكون من الكفر بقوله وكذبوا باياتنا فقوله يعد بان التكذيب قد يكون
كفرا فهو الدال على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس ونحوه قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اية **القراءة** قرأ
[illegible] اسرائيل يهمزون [illegible] وصحيح [illegible] عن الحسن [illegible] الاعمش [illegible] الاعمش اسرائيل بكسر الهمزة من غير ياء وحكى
قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسرائين بالنون قال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار لام الخزرج منها فظلت اليوم كالمزرج يريد المزرج وهو
المخمور [illegible] والنون في نحو اسرائين كاليمين [illegible] لغة وللعرب [illegible] هو لغتها فكيف فيما ليس من لغتها والخبر في اثبات الياء في قوله نعمتي التي انعمت قال الالف
واللام ولم يكن يعد [illegible] التحريك [illegible] على الاصل [illegible] التي في قوله [illegible] الذين
اسرفوا [illegible] فلا يظهر [illegible] وقال [illegible] التي [illegible]
واسرائيل [illegible] فوصل [illegible] بالوقف [illegible] على اسقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير [illegible] الوصل والوقف
حذفها [illegible] الوقف على الياء [illegible] **اللغة** الابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني الا ان الابن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل
والذرية يقع على جميع ذلك واصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء والابن مبني على الاب لان الاب اصل الابن وفرع البنوة مصدر الابن وان كان من البناء كالفتوة مصدر الفتى
[illegible] ولسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قيل اصله [illegible] عبد الله [illegible] وكذلك جبرائيل وميكائيل والذكر الحفظ للشيء يذكره
وضده النسيان والذكر جري الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلوة
والدعاء وفي الاثر كانت الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اي الى الصلوة واصل الباب التنبيه على الشيء قال صاحب العين [illegible] قال الشاعر
الجمع بين [illegible] والعهد [illegible] والرهبة [illegible] وفي المثل
رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم **الاعراب** يا حرف النداء وبني في موضع نصب لانه مضاف واسرائيل في موضع الجر [illegible] غير منصرف
[illegible] التعريف قوله واياي فارهبون منصوب ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز ان يكون [illegible] زيد فاضربه منصوب
[illegible] يكون منصوبا بفعل [illegible] عليه ما هو مذكور في اللفظ تقديره واياي ارهبوا فارهبون ولا يظهر ذلك لانه استغني عنه بما يفسره [illegible] تقديره ولا يجوز مثل ذلك
الرفع على ان يكون الخبر فارهبون [illegible] وقائله الخولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هولاء خولان فانكح فتاتهم وعلى
ذلك حمل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما **المعنى** لما قدم الله تعالى دعاء جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم وعلى ابيهم ادم خص بني اسرائيل بالحجج وذكرهم ما
انعم عليهم وعلى ابائهم من النعم فقال يا بني اسرائيل يعني يا بني يعقوب نسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بني ادم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة وما
حولها عن ابن عباس اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اراد بذلك النعم التي انعم بها على اسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على اعجب الوجوه وانزال المن
والسلوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان وغير ذلك وعد النعمة على ابائهم نعمة عليهم لان الاولاد يتشرفون بفضيلة الاباء وهذا كما يقال في المفاخرة قتلناكم يوم
الفجار وهزمناكم يوم ذي قار [illegible] وذكر النعمة بلفظ الوحدة والمراد به الجنس كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والواحد لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم التي وصلت
اليهم بما خصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه مع ابائهم فكان نعمة على الجميع من ذلك تبقية ابائهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال
على توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا نعمته ويستحقوا ثوابه ومن ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والاسواء ما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا قطعا

[illegible]
الاول لتكون الاية نذكيرا بالنعم عليهم وعلى النعم على اسلافهم في اسلافهم فاذكروا في قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم
اتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابن الاعرابي اراد اذكروا النعمة عليكم فيما استودعكم من علم التورية بما بينت لكم من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث
لم يتبعوه وكانوا كالناسين لهذه النعمة وقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قيل فيه وجوه احدها ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التورية انه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه
كان له اجران اجر باتباعه موسى وايمانه بالتورية واجر باتباعه محمدا وايمانه بالقرآن ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه فقال اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة
عن ابن عباس وسمى ذلك عهدا لانه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انه جعل عهد التأكيد بمنزلة العهد الذي هو اليمين كما قال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه وثانيها انه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن وثالثها انه ما عاهدهم عليه وهو قوله لئن اقمتم
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع الاوامر والنواهي
خامسها انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما امرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم والاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين
وبه يشهد القرآن وقوله واياي فارهبون اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الاية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم وكفرانها
ويحكى عن ابي عبد الله [illegible] ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لو لم تكن افعالا لما صح العهد والامر والنهي والوعد والوعيد ولادى الى بطلان الرسل والكتب **قوله تعالى** وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون اية **اللغة** قوله تعالى اول كافر به قال الزجاج معناه اول الكافرين وفيه قولان احدهما ان
معناه اول من كفر به قال غيره من البصريين معناه اول كافر اي اول فريق كافر قال وكلا القولين صواب حسن ونظيره قوله اول كافر به قول الشاعر واذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا
جاعوا فشر جياع والثمن العوض والبدل نظائر وبينها فرق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان مشبها بهما ومجازا والعوض هو البدل الذي ينتفع به كائنا
ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمن والثمين والثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا وقد يكون بخسا وقد يكون زائدا والقيمة لا تكون
الا المساوية المقدار للثمن من غير زيادة ولا نقصان **الاعراب** مصدقا نصب على الحال من الهاء المحذوفة من انزلته كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينتصب بامنوا كانه قال امنوا
بالقرآن مصدقا ومعكم صلة لما والعامل فيه الاستقرار اي الذي استقر معكم والهاء في به تعود الى ما في قوله بما انزلت والى ما في قوله لما معكم وينتصب كافر لانه خبر كان والمعنى
ثم قال مخاطبا لليهود وامنوا اي صدقوا بما انزلت على محمد من القرآن لانه منزل من السماء الى الارض مصدقا لما معكم من التورية امرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم ان في تصديقهم
بالقرآن تصديقا منهم للتورية لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بالنبوة لمحمد وتصديقه نظير الذي في التورية والانجيل فان فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقرآن مصدق
لهما وقيل معناه انه يصدق بالتورية لان فيه الدلالة على انه حق وانه من عند الله والاول الوجه لانه يكون حجة عليهم بان جاء القرآن بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى
وقوله ولا تكونوا اول كافر به اي بالقرآن من اهل الكتاب لان قريشا قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى ولا تكونوا السابقين الى الكفر فيتبعكم الناس اي لا تكونوا ائمة في الكفر
عن ابي العالية وقيل المعنى لا تكونوا اول جاحد صفة النبي في كتابكم وعلى هذا يعود الهاء الى النبي عن ابي جريح وقيل المعنى لا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه
من صفة النبي فقد كفرتم به قال الزجاج وقوله بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به ولو كان الهاء في به للقرآن فلا معنى
فيه لانهم كانوا يظهرون انهم كافرون بالقرآن وقال علي بن عيسى يحتمل ان يكون ولا كافر بالقرآن انه حق في كتابكم انما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ائمة لهم وقدوة في الضلالة كانت
ضلالتهم اعظم نحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وليس في نهيهم عن ان يكونوا اول كافر
دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر لان المقصود نهيهم عن الكفر على كل حال وخص اول بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر من اناس ليس في اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء
الجزع وليس يريد ان فيهم فحشا اجلا **وقوله** ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا روي عن ابي جعفر في هذه الاية قال كان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف واخرون من اليهود لهم ماكلة على اليهود في
كل سنة فكرهوا بطلانها بامر النبي فحرفوا لذلك ايات من التورية فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الاية قال الفراء انما ادخل الباء في ايات دون الثمن وفي سورة يوسف ادخلها في الثمن
في قوله وشروه بثمن بخس لان العروض كلها انت مخير فيها ان شئت قلت اشتريت الثوب بكساء وان شئت قلت اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلته ثمنا لصاحبه جاز فاذا جئت الى الدراهم
والدنانير وضعت الباء في الثمن كقوله وشروه بثمن بخس دراهم لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا باياتي اي بما في التورية من بيان صفة محمد ونعته ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا الا
انه تقون [illegible] في امر محمد [illegible] من الماكل والرياسة وتقييد الثمن بالقلة لا يدل على انه اذا كان كثيرا يجوز شراؤه به لان المقصود ان اي شيء باعوا به ايات الله كان قليلا ولا يجوز
ان يكون ثمنا لها كقوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وانما هو ان ليس لذلك برهان لانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد
ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظائر ذلك كثيرة ومنه قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود الديافي جرجرا وانما اراد به انه لا منار هنالك فيهتدى به وهذه الاية
دالة على تحريم اخذ الرشى في الدين لانه لا يخلو اما ان يكون مما يجب اظهاره او يجب اظهاره او الكف عنه فالقول في الوجهين حرام وهذا الخطاب متوجه ايضا على علماء السوء من هذه الامة
اذا اختاروا الدنيا على الدين فيدخل فيه الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك **قوله** ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اية **اللغة** اللبس التغطية والتعمية
نظائر والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح والالباس [illegible] يلبس لبسا والتلبيس
خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبسه لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاخفاء قد
يدرك معه المعنى الا انه صعب لاجل التعقيد قال امير المؤمنين للحرث بن حوط انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل والحق ضده
ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظائر وابطل الشيء جعله باطلا والبطل الرجل الشجاع باطل **الاعراب** قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم
على النهي كانه قال لا تلبسوا الحق ولا تكتموه فيكون عطف جملة والاخر النصب على الصرف باضمار ان فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذي قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه وتقديره لبس

[illegible]

حتى ليس كما يقال من كذب ... قال الشاعر ... لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اي لا تجمع

بين النهي عن خلق والاتيان بمثله **المعنى** ولا تلبسوا اي لا تخلطوا الحق بالباطل ... امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ...

... الكتاب ... الحق ... وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب ...

[illegible]

بالفذ ليكون فيه تحصيل الملازمة الصفة قول الشاعر الحطان اذ لا اصفا كثر حتى قيل الفظ الفارس انا حاذنا ولم يلا اصفا بوجع الرجل وجعه لا الدوسعد اصل الوجوع العو
الى الحال الاول الاعراب الذين يظنون في موضع جر صفة للخاشعين او نصب لاقل بحوغيره لان الظن فعل واقع على معنى انه متعد يتعلق بالغير فان شيكون فعولاته مفتوحة الهمزة
تتوضع الاسم الخبر في تاويل اسم مفرد وجهها قد سد مسد مفعولين يكون المفعول الثاني مستغنى عنه لحصول الكلام غير مضمر كان الفاعل لما قام الزيد ان سد مسد الخبر لطول الكلام
لا لاستغنا به عنه هذا القول هو المختار عند على حنيفة قول الحسن وهو منع الاسم الخبر في موضع المفعول الاول المفعول الثاني مضمر محذوف اعلم المخاطب بكانه قال الذين يظنون ملاقاة
ربهم واقعة وحذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه هنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهو مضاف لفظي غير حقيقة
ومثله قوله انكم لذائقوا العذاب كل نفس ذائقة الموت وقول الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق ولو اراد معنى المضي لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز فيها
النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون في موضع النصب عطفا على الاول المعنى لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال الذين يظنون اي يوقنون انهم ملاقوا ربهم عن ابن
عباس مجاهد وغيرهما ونظيره قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله قال الرماني
وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء اجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لحق بالله وسعيد على ان المراد بلقاء الله بقوم ملاقوا ربهم
ملاقون جزاء ربهم وقوله في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ولا خلاف في ان المنافق لا يجوز ان يلقى ربه وكذلك قوله لوتري اذ وقفوا على ربهم قال الحسن هذا
ما يجوز قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقي الله وهو عليه غضبان وليس للقاء من الرؤية في شيء قال الفاء الله يحتمل
والمراد لقاء جزائه من ثوابه او عقابه ثم لقاء ثوابه وقوله وانهم اليه راجعون فيه اقوال منها انهم راجعون بالاعادة في الآخرة عن ابي العالية وثانيها انهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا فاحيوا ثم يموتون ثم يحيون كما كانوا اولا ثالثها انهم يرجعون
الى موضع لا يملك لهم احد ضرا ولا نفعا غيره كما كانوا في بدء الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم يبين ذلك قوله مالك يوم الدين
ذلك معنى ترجعون وانهم يقرون بالنشأة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
آية المعنى قد مضى تفسير اول الآية فيما تقدم وقوله واني فضلتكم على العالمين قال ابن عباس اراد به عالمي زمانهم لان امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا افضل الانبياء
وبدليل قوله كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهو انزال المن والسلوى وما ارسل فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم
العظيمة من تغريق فرعون والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال ويسهل بها الميثاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق
كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الآية قوله واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم تنظرون فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا الله كان نعم الله سبحانه لا تحصى بما يجب ذكره اجمع الى ما يكلفنا به القائل اذهب هب بجل عجل قيل ايضا في التذكير الاول ذكر حملا
والثاني ذكر مفصلا وقيل انه ذكر في الاول النعم على انفسهم وفي الثاني ذكر نعمه على آبائهم قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل
ولا هم ينصرون آية القراءة قرأ اهل مكة والبصرة لا تقبل بالتاء والباقون بالياء الحجة فمن قرأ بالتاء فلان الاسم الذي اسند اليه الفعل هو الشفاعة مؤنث
ومن قرأ بالياء فلان التانيث في الاسم ليس بحقيقي فحمل على المعنى فذكر لان الشفاعة والتشفع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك قال الله فمن جاءه موعظة
واخذ الذين ظلموا الصيحة فيقوي التذكير ايضا انه فصل بين الفعل الفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امرأة اللغة الجزاء
والكافات والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وقولهم لا تجزي عني هذا فكانه قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقابل مكروهها بشيء فيدرأه عنها وعند الحلبي انه
قال لا يجزي في الحديقة التي امرأة ان يغني بها ولا تجزي عن حديقة قال البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيد هو مأخوذ من قولك جزى عني هذا الامر فاما قولهم اجزأني
الشيء اي كفاني فهو مهموز وقبول الشيء هو تلقيه بالاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل القول بالتجاوز عن الشيء قبالة وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلتها قبالته قال والعلت الغواة
العرق المكاويا والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر ونقيض الامتناع والشفاعة مأخوذة من الشفع كانه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له والشفاعة الوسيلة
والقربة والوصلة نظائر والشفعة في الدار وغيرها معروفة لان صاحبها يشفع ماله بها يضمها الى ملكه والعدل بالكسر والانصاف نظائر ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من
الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل الفدية في الآية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال الله تعالى
او عدل ذلك صياما والنصرة والمعاونة والتقوية نظائر وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما اي امنعه الظلم ان كان ظالما وامنع عنه الظلم ان كان مظلوما انتصر الرجل من عدوه
وتفسير السماء اذا امطر الاعراب يوما انتصب انتصاب المفعول لا انتصاب الظرف لان معناه اتقوا هذا اليوم واحذروه وليس معنا اتقوا في هذا اليوم لان تلك اليوم لا
يؤمر فيه بالاتقاء وانما يؤمر به غيره من جلة موضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه خلاف ذهب سيبويه الى ان فيه محذوفا من الكلام اي لا تجزي فيه قال الخزاني لا
يجوز اضمار فيه لانك لا تقول هذا رجل قصدت او رغبت وانت تريد اليه فيه فهو محمول على المفعول على السعة كانه قيل اتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت
رجلا احب اي احبه هو قول السراج قال ابو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لا بينهما من المشابهة فان الصفة يخصص الموصوف كما ان الصلة يخصص الموصول
ويعمل في الموصول ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ويجب ان يكون بعد الموصوف كما ان رتبة الصلة ان تكون بعد الموصول فلزم في الصفة في اماكن كما في الحذف في
الصلة في ذلك اذا لم يعمل الموصول لانها لا يعمل الصلة ما قبل الموصول كما لا يعمل الصفة ما قبل الموصوف واذا كان كذلك لحسن الحذف من الصفة كما يحسن في الصلة في نحو قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش لا تجزي في موضع الصلة كانه قال لا تجزي ولا يغني عنها وقال الزجاج في الاعراب يكون شيئا في موضع نصب كانه قال لا تؤدي عنها شيئا
عليها قوله ولا يقبل منها شفاعة في موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي صفة يوما وحكم الجار والمجرور في منها حكم الفعل المفعول في حذف الراجع الى الصفة كان مذهب لا يقبل

مثله ثم اخذ بعضه من قراجع الى الصفة في قول الشاعر وما شئ حميت بمستباح والضمير في منها عائد الى نفس على اللفظ وقوله ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به المفرد بل الجمع
المعنى ثم بين تعالى نعمته عليهم انذرهم كفرها بسوء العقبة فقال واتقوا اي احذروا واخشوا يوما لا تجزي اي لا تغني ولا تقضي نفس عن نفس شيئا ولا تدفع عنها مكروها حائلا
يؤدي احد عن احد حقا وجب عليه لله او لغيره وانما انكر النفس ليبين ان كل نفس فهذا حكمها وهذا مثل قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
قوله ولا يقبل منها شفاعة قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا يشفعون لنا فآيسهم الله من ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به
الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجتمعت على ان النبي صلى الله عليه وآله شفاعة مقبولة وان اختلفوا في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبي المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة
المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي ولاصحابه المنتجبين والائمة من اهل بيته الطاهرين ولصالح المؤمنين وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي
تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي انه قال اني اشفع يوم القيامة فاشفع ويشفع علي فيشفع
ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله مخبرا عن الكفار عند حسرتهم على الفائت لهم مما حصل لاهل الايمان
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وانما سمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدى ومثله قوله وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وهو قول ابن عباس وغيره وقال ابو عبيدة العدل
من الشفاعة فانا لما من شافعين لانه صديق حميم قوله ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وقال الاصمعي العدل الحيلة والعدل الفدية وقال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وفي الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا واختلف معناه
فداء يكفر عن ذنبه بدلا لا يؤخذ منه بدل ذنوبه اما في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اي لا يعانون حتى يتخلصوا من العذاب وقيل ليس لهم
والعدل الفريضة قال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد من الله في التوبة قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم آية القراءة في الشواذ قرأ ابن
محيصن يذبحون ابناءكم الحجة قال ابن جني يجوز ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وجنس الجنس يفيد
حملوا في الجنس فقد ابو الحسن الفداء لقبلته صدعها ونفرها ببيك كل منفر فكانه قال ونفرها لان قوله كل منفر عليه حالة الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تبيينه بكل
جمع لان ملحقا في التبيين اللغة الانجاء التنجية والتخليص حد النجاة والنجاء والسلامة والخلاص والتخليص وجد بقيا المكان المرتفع نجوة لان الصاعد اليه يجوز
من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل وقوع في المهلكة والتنجية يستعمل في الخلاص بعد الوقوع في المهلكة والآل والاهل نظائر
الاهل لان تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا هيهات وايهات وقيل الآل يحتمل بتفسير الفرق بين الآل والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال آل
البصرة ويقال آل الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة مأخوذ من الاول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل آل الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وآل الخيمة
عمودها وآل الجبل اطرافه وآل الرجل شخصه وقال ابن دريد كل شيء شخصه آل الرجل اهله وقرابته قال الشاعر ولا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر قال ابو عبيدة
اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك قال اليس هم مسلمين ويقال اهل الله وانما يقال فلان من قريش وقيل انها اهل القرية وقيل فرعون اسم الضلال
اتباع قومه فاذا جاوزت هذا فان آل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له افتقول لقبيلة آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون اسم لملك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك
الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل انه اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحاق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم
سامه خسفا اذا اكلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وقيل اخذا اوله ذلا قال ابن الانباري يسومونكم يحتمونكم وقيل يعذبونكم ولا اصل السوم الذهاب في ابتغاء الشيء
في الرعي وسوء العذاب اليم العذاب وشديده والعذاب نظائر قال صاحب العين السوم ان يجشم انسانا مشقة او سوءا او ظلما يقال سامه خسفا وسيما اي ان المسومة الهم من الجرد
السوء الفعل القبيح والسوء الفرج والسوء ايضا كل عمل شين يقول في النكرة رجل سوء كما يقال رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء ولا تضيفه لا تقول الرجل الصدق ولا تضيف الصدق
عن شيء من غير بعض الذبح والنحر والشق نظائر والذبح فري الاوداج والتذبيح للتكثير واصل الشق تقول ذبحت الدن اذا فتقته فكان بين ذكرها والفك فارة مسك
في سك والذبح الشيء المذبوح والذباح الذبحة وجع الحلق وتكهها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قوله النبي اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا
والنساء والنسوة والنسوان لا واحد له من لفظها والبلاء والاحسان والنعمة نظائر في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال الله ونبلوكم بالشر والخير والابلاء في الانعام فالابلاء في الخير
منه بلاء حسنا قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو قال البلاء يكون بالانعام كما يكون بالاسقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم
الثناء الاعراب العامل في اذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو في موضع نصب على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه
نجيناكم ويجوز ان يكون للاستئناف والاتباع جمع تبع والاصل ابن مو مبني على القياس والعين بدل على ان الفاء كانت مفتوحة وهي جمع بناء على وزن افعال وافعال ان يكون الفعل نحو جبل اجبال
كما كان فعل بسكون العين ايضا فعل نحو فرخ افرخ والمخلوق من الابن الواو على ما قلنا والتاء في بنت ابدل من الواو ايضا والبنت والبنون والبنات بنات المعنى ثم فصل هذه النعم
التي اجملها فيما قبل فقال واذكروا اذ نجيناكم اي خلصناكم من آل فرعون واهل دينه يسومونكم يلزمونكم سوء العذاب وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب واختلفوا في
العذاب الذي نجاهم الله منه فقال بعضهم ما ذكر في الآية من قوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا تفسير وهو ما اراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فمنها انهم جعلوهم اصنافا
نصف يبنون ونصف يحرثون لهم ومن لم يصلح منهم للعمل ضرب عليهم الجزية وكانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك يدل عليه قوله في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم فعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم ويستبقون نساءكم ويدعونهن احياء ليستعبدوهن ويكن خدما لهم
الاسر وهذا اشد من الذبح وانما لم يقل بناتكم لانه سماهن بالاسم الذي يؤلن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار ويقال ابل الرجال ان
كان فيهم صبيان ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء وقوله وفي ذلكم اي في سومكم العذاب وذبح الابناء ابتلاء عظيم من ربكم للخلاص بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه
الافاعيل وقيل في انجائكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم القصة قيل في سبب قتل الابناء ان فرعون رأى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت

الجزء الأول

القبط وتركب بني اسرائيل فيها الدلك دعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فامر فرعون
بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل والجارية الا تركت ووكل بهن [illegible] يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة
بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في
السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها [illegible]

[illegible]

سورة البقرة

[illegible]

بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون لكي تشكروا الله على عفوه عنكم ونعمه عليكم وقيل معناه لتعرضوا بذلك للشكر وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة وعلى ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليشكروه ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقص شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لانه لا يكون منعما على نفسه فان النعمة تقتضي منعما غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مقرضا غير المقترض ولا يصح ان يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لان الاحسان الحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا يستضر به كان مسيئا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذي يستحقه المومن لان المومن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحق كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه وجه جميع منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافؤ وهو التساوي وليس كذلك الشكر ففي المكافاة للنعمة دلالة على انه قد استوفى حقها وقد يكون الشكر فيها ان كان ليس على المنعم عليه كثير منه لانه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب لا يكون الا شيئا بذلك كالشكر لنعم الله لو استكثر منه العبد لم يكن لنهي له حد لا يجوز له الازدياد لعظم نعمة الله وصغر شكر العبد قوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون اية **اللغة** الفرقان مصدر فرق بين الشيئين يفرق فرقا وفرقانا ويسمى كل فارق فرقانا كما سمى كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق والباطل قال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي فرقا بينكم وبين ذنوبكم **المعنى** واذكروا اذ اتينا اي اعطينا موسى الكتاب وهو التوراة والفرقان اختلفوا فيه على اقوال احدها وهو قول ابن عباس ان المراد به التوراة ايضا وانما عطف عليه لاختلاف اللفظين كقول عدي بن زيد وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها ان الكتاب عبارة عن التوراة والفرقان انفراق البحر الذي اتاه موسى وثالثها ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى واصحابه المومنين وبين فرعون واصحابه الكافرين بالاشياء كثيرة منها انه نجى هولاء واغرق هولاء ورابعها ان المراد به القران ويكون تقديره واتينا موسى التوراة واتينا محمدا الفرقان فحذف ما احدث لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر يريد ويفقا عينيه لان الجدع لا يكون للعينين كما قال الاخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا وهو قول الفراء وقطرب وثعلب ... وهذا الوجه لا يجوز فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع ان الله اخبر انه اتى موسى الفرقان في قوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بما في التوراة من الاشارة بمحمد ... قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم **القراءة** قرا ابو عمرو بارئكم ويامركم وينصركم باختلاس الحركة ... بالسكون وقرا الباقون بغير اختلاس ولا تخفيف **الحجة** قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين احدهما ما اصله السكون في الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فسكن والمتحرك على ضربين احدهما ان تكون حركته بناء والاخر ان تكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين احدهما ان تكون الحركة المسكنة من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وابل وعضد وعلم والاخر ان تكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرا وهو ويحرك الله ويتقه وقول العجاج فبات منتصبا وما تكردسا ... ولا خلاف في جواز اسكان حركة البناء نحو ما ذكرنا في نحو قول العرب والنحويين واما حركة الاعراب ففي جواز اسكانها خلاف ... كان علماء الاعراب اما سيبويه فيجوز ذلك ... وانشد قول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر وقد بدا هنك من المئزر ومن هذا النحو قول جرير سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى فلا تعرفكم العرب ... فلم يدخل على المبني ... الحركات التي تكون للبناء والاعراب قد تستعمل في الضم والكسر منها الاختلاس والتخفيف كما تستعمل الاشباع والتمطيط فاما الفتح فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جمل كما خفف مثل سبع وكتف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول ابي عمرو الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك ومن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه لسكانا لضعف الصوت به والخفاء ... **اللغة** البارئ هو الخالق الصانع برا الله بريتهم يبروهم بروا اي خلقهم قال تغلب بن سلمة البارئ الخالق والبارئ المصور وقيل البارئ هو المبدئ المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وتقول برئ من المرض يبرا براءا وبروا وابرا من العيب والمكروه والمال ... والبرية ... اصل الباب انفصال الشي من الشي ... انفصلوا من العدم الى الوجود ... والبرا ... مشتق من البرا وهو التراب ... ماخوذ من برا العود ... والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينها ان القتل نقض بنية الحيوة والذبح فري الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض ينافي الحيوة والقتل الفعل وجمعه قتال والقتال المقاتلة ... قال اذ كانت شفة وقتلت الشي علما اذا تيقنته وتحققته والقتل ... وتقتل الجارية للفتى ... **الاعراب** ... وهو الاختيار لانه منادى مضاف والنداء باب حذف ... حذفه في النداء ويجوز في الكلام ... وهذا لانه اكثر في الاستعمال ... **المعنى** واذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل ... انكم ظلمتم انفسكم اي اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها باتخاذكم العجل معبودا وظلمتم ايها اياها ... بما لم يكن لهم ان يفعلوه ... به العقاب كذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم ... بالطاعة ... التوحيد ... فقالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم اي ليقتل بعضكم بعضا ... عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على التوسع عن ابن اسحق والجبائي واختلفوا

في المأمور بالقتل فرقتان قيل امرهم ان يقوموا صفين فاقتتلوا ... وقيل ان السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا من عبد العجل ... وقيل انهم امروا صفين فجعل يقتل بعضهم ... بعضا حتى قتلوا سبعين الفا ... فجعل بعضهم يقتل بعضا ... حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في امرهم بقتل انفسهم ان الله علم ان ناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم مخافة القتال ... علمهم بان العجل باطل فلذلك ابتلاهم الله بان يقتل بعضهم بعضا ... امتحنهم الله بهذه المحنة ... لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام ... لطفا لهم ... فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون لطفا فيما مضى ... فالجواب انا ان القوم اذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا ... يكون القتل لطفا لهم فيما بعد ... ويجوز ان يكون ذلك ... وهذا كما نقول في عبادة المشركين ... ان الله تعبد بان يقاتل حتى يقتل ونفسا ... ذلك ... اهل السير ان الذين عبدوا العجل تعبدوا بان يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا ... كان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت ... نفوسهم بايديهم ... ان يفعلوا الجراح التي ... وان لم يزل معها العقل ... على القول الآخر وهو انهم امروا بالاستسلام للقتل ... ان امروا بقتل نفوسهم ... بتحسيم الامر وبالاستسلام ولذلك يقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بان يستسلم للقتل ... على الدفع عن نفسه ... وانما كان يقع مثل ان الانبياء والائمة على وجه الظلم ... لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على ... كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغيره بان يصير حسنا ... ويجوز ان يامر بالاستسلام ... قوله ذلكم خير لكم عند بارئكم اشارة الى التوبة مع القتل ... فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ... ذلكم خير لكم عند بارئكم ... عن قريب ... فتاب عليكم ... انه هو التواب اي القابل التوبة ... الرحيم بهم ... الجنة وفي هذه الآية دلالة على انه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ... قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون اية **اللغة** لن نومن لك اي لن نصدقك ... والرؤية الادراك بالبصر ... وراى ... والمراة ... الرؤيا ... ويجري ... الجهرة ... خلاف السر ... والجهر العلانية والمعاينة ... واصل الباب الظهور ... يكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخييل والصاعقة على وجهين احدهما نار تسقط من السماء ... **الاعراب** جهرة ... ونصبها من وجهين ... المفعول له ... **المعنى** ... واذ قلتم يا موسى لن نومن لك اي لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث حتى نرى الله جهرة اي علانية فيخبرنا بانك نبي مبعوث ... وقيل ... جهرة ... فاخذتكم الصاعقة اي الموت وانتم تنظرون الى اسباب الموت ... قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اية **اللغة** البعث اثارة الشي من محله ... **المعنى** ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد موتكم لاستكمال اجالكم ... قيل انهم سالوا بعد الاحياء ان يبعثوا انبياء ...

تنبيهاً لك والافاقة انما تكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا الله على نعمه التي منها رده الحيوة وفي هذه الآيات معجزة لنبينا محمد واحتجاج على مشركي العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكرهم من اخبار الذين بعثهم الله في الدنيا فكان يوافقه على ذلك من كان في عصره من اليهود والنصارى ويجب ان يكون هؤلاء القوم ان اماتهم الله ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل ان الله اعادهم الى التكليف والمعرفة في دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان في حكم النوم اذ اذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لاحوال الآخرة وليس الاحياء بعد الاماتة مما يوجب الاضطرار الى المعرفة لان العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا قريباً من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الاغماء في ان ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة فان قيل لا يجوز الا في زمن النبي ليكون معجزاً له ودلالة على نبوته فباطل لان عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على ايدي الائمة والاولياء والادلة على ذلك مذكورة في كتب الاصول وقال ابو القاسم البلخي لا يجوز الرجعة مع الاعلام بها لان فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بان يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وذلك يكفي في باب الزجر قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون آية **اللغة** الظلة والغمامة والسترة نظائر يقال ظل ظلك ظليلاً والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها والظل ... ويقال لسواد الليل ظل لانه يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماماً لانه يغم السماء اي يسترها وكل ما ستر شيئاً فقد غمه وقيل هو ما ابيض من السحاب والغمة الغطاء على القلب الغم وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستثيبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه اجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنة قوة القلب لان ضعف المنة ... واصل الباب الاحسان والمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل هو مما من الله عليهم اي احسن اليهم والسلوى طائر كالسماني قال الاخفش هو للواحد والجمع كقولهم خير وقال الخليل واحده سلواة كما قال كما انتفض السلواة من بلل القطر قال الزجاج غلط خالد بن زهير في قوله وقاسمها بالله جهداً لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها فظن ان السلوى العسل انما هو طائر قال ابو علي الفارسي ... على الزجاج في مصنف ابي عبيد العسل قال والذي عندي ... كانه ما يسلي عن غيره لفضله فيه ... سلوا اذا تسلى عنه وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم والسلوان ما من شربه ذهب همه فيما زعموا قال الراجز لو اشرب السلوان ما سليت **الاعراب** موضع كلوا نصب بحذف كانه قال وقلنا لهم كلوا وموضع السلوى نصب لانه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضاً بحذف كانه قال فخالفوا ما امروا به وكفروا هذه النعمة وما ظلمونا **المعنى** وظللنا عليكم الغمام اي جعلنا الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس في التيه عن جماعة المفسرين وانزلنا عليكم المن فيه وجوه احدها ان المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجرة عن ابن عباس وثانيها انه شيء كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقق عن وهب ورابعها انه جميع النعم التي انعم الله بها عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب وروي عن النبي انه قال الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والسلوى قيل هو السماني وقيل هو طائر ابيض يشبه السماني عن ابن عباس وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم معناه قلنا لهم كلوا من الشيء الذي يلذ وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذ اكله الذي رزقناكم اي اعطيناكم وجعلناه رزقاً لكم وقوله وما ظلمونا اي كفروا هذه النعمة وما نقصونا بكفرانهم انعمنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ينقصون وقيل معناه ما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينتفع بطاعة من اطاعه ولا يتضرر بمعصية من عصاه وانما يعود نفع الطاعة الى المطيع وضرر المعصية الى العاصي **القصة** وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هيهنا قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا في التيه صاروا كلما صاروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ او ستة وكلما اصبحوا صاروا عادين فامسوا فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا عنه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفي التيه توفي موسى وهرون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يسير بهم ... وكانوا يضلون عن الطريق لانهم كانوا خلقاً عظيماً فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق في هذه المدة المديدة في هذا المقدار من الارض فلما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله بهم بالغمام لما شكوا حر الشمس انزل عليهم المن والسلوى وكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكانوا يأخذون منه ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق كان ينزل المن على بني اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في ذلك الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جريج وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد ... ليوم الجمعة والسبت لانه كان لا يأتيهم يوم السبت وكان يخبز لهم مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل اليهم بالليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول عليه بطوله كالجلدة قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين آية **القراءة** قرأ ابو جعفر ونافع يغفر بالياء مضمومة والباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لانه انسب بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولان اكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روي عن ابي عمرو في رواية اليزيدي ... ادغام الراء في اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا في الاعراف في نحو ... بعضهم هناك خطيئاتهم في ذلك لان الذي في الاعراف ... كتب في المصحف بغير الف وههنا كتبت بالالف **اللغة** الدخول والولوج والاقتحام نظائر والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة ... فلان دخيل بني فلان اذا كان في غيرهم واطلعته على دخلة امري اذا ابنته مكنونه وفلان مدخول اذا كان في عقله دخل والقرية والبلدة والمدينة نظائر قال ابو العباس اصله الجمع ... قريت الماء في الحوض اقريه قرياً وقريت الضيف قرى ... والمقراة الجفنة التي يقرى فيها الطعام للاضياف قال عظام المقاري ضيفهم لا يفزع وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود شدة الانحناء ومنه سجدة ... الفاترات الاعين قال الشاعر فلهو الحو المدامع سجد وقال الاخر ترى الاكم فيها سجداً للحوافر وحطة مصدر مثل ردة وجدة

من ردة

من رددت وجددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب الحط والوضع والخفض نظائر والحط انحدار من العلو قال امرؤ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة الغفران والعفو والصفح نظائر يقال غفر الله له غفراً اي ستر الله ذنوبه ... المغفر لتغطيته ... والغفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلف على سية القوس والمغفور والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه وعنه حديث انه دخل على عائشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير تعني هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما قيل جدث وجدف ويقال الجماء الغفير والجم الغفير وجاؤوا جماً غفيراً وجاء الغفير اي مجتمعين جميعاً ... ويستر عن الناس يقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظائر يقال خطأ الشيء خطأ اذا لم يرده ... واخطأه اذا اراده ولم يصبه فالاول خاطئ والثاني مخطئ والخطايا جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفينات جمع سفينة والخطايا ايضاً جمع خطيئة المحسن الفاعل للاحسان والفاعل للحسن ... في النفع ولا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار ... الذي يدعو اليه العقل وضد القبيح وهو الفعل الذي زجر ... وحد الاحسان هو النفع الحسن ... هذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسناً الى نفسه ... **الاعراب** حيث ظرف مكان مبني على الضم ... وحطة ... **المعنى** اجمع المفسرين على ان المراد بالقرية ههنا بيت المقدس ويؤيده قوله في موضع آخر ادخلوا الارض المقدسة وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس كان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وقوله وكلوا منها حيث شئتم رغداً اي موسعاً عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقيل ان هذه اباحة لهم لغنائمها وتملك اموالها ... ادخلوا الباب يعني باباً من ابوابها وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي امروا بدخولها قال ابو علي الجبائي والاية تدل على قول من زعم انه باب القبة ... على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا في ايام موسى ... فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ... كان في حياة موسى وقوله سجداً قيل معناه ركعاً ... ادخلوا خاضعين متواضعين ... قول الاعشى يراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جؤاراً وقيل معناه ادخلوا الباب فاذا دخلتموه فاسجدوا لله شكراً ... قوله حطة قال الحسن وقتادة واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا ان يقولوا هذا الامر حق وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب ... نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ... قيل ان المراد ... الاحسان ... قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون آية **اللغة** التبديل تغيير الشيء الى غيره ... الرجز بكسر الراء العذاب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجس لان الرجس النتن وقال النبي في الطاعون انه رجز عذب به بعض الامم قبلكم وقال ابو عبيدة الرجز والرجس لغتان مثل البزاق والبساق ... والرجز بضم الراء عبادة الاوثان ... والقصد ... ومعنى الفسوق في اللغة الخروج من العقيدة ... وهو في الشرع مخصوص بالخروج عن امر الله تعالى ... **الاعراب** غير الذي انتصب غير لانه صفة لقول ... تكون صفة ... **المعنى** تبين تعالى انهم قد عصوا فيما امروا به فقال فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم اي خالف الذين عصوا ... ذلك الغير فقيل انهم قالوا بالسريانية ... حطاً سمقاثا ... وقيل انهم قالوا حنطة ... وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجداً وطؤطئ لهم الباب ليدخلوا كذلك فدخلوا زاحفين على استاههم ... وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اي فعلوا ما لم يكن لهم فعله ... من السماء ... عن ابن عباس وقتادة ... بكونهم فاسقين ... بما عصوا ...

قال

[illegible]

فقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقي الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كانه يشير الى انهم عوقبوا بالجزاء لانه الفاسق بينهم قوله
تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اللغة الاستسقاء طلب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الجزء الاول

فلما عربت ردوها الى الاجوف في العربية حققها الا ينبغي ان يقرأ الا بما ورد به رواية صحيحة لان القراءة سنة متبعة قال ابو علي الاولى انما بنيت لتضمنه معنى الحرف وهو تضمن معنى التعريف لان

الشيء حكمه ان يكون بحرف ليس تعرفه بما فيه من الالف واللام الذي لو كان كذلك لزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل الرجل وكذلك الآن فان غير الالف اللام وليس

[illegible]

[illegible]

فلما قدموا الخاطب على الغائب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا اعطاهو علم انه اقدم في الرتبة واذا كان الامر على هذا فالخطاب في هذا النحو بعد الغيبة ...

[illegible]

[illegible]

من رؤسائكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى رؤسائهم قوله تعالى أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون آية المعنى اولا يعلمون يعني اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم
فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم بالنهي عن التحدث بما هو حجة عليهم [illegible] ان الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين فهم من هذه الجهة اللوم والذم لهم

[illegible]

[illegible] قوله الذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله [illegible]

[illegible]

قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون آية **القراءة** قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء وإسكان السين **الحجة** حجة من قرأ لا تعبدون بالتاء على الخطاب قوله وإذ أخذنا ميثاقكم وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية فهو كقوله وقولوا وقوله ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون فإذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب أن يكون المعطوف عليه في حكمه وحجة من قرأ بالياء قوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فحمله على لفظ الغيبة وأما قوله حسنا فمن قرأ بضم الحاء ففيه ثلاثة وجوه أحدها أن يكون بمعنى الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العرب والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مررت بقوم عرب أجمعون فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر وثانيها أن يكون الحسن مصدرا كالكفر والشكر وحذف المضاف معه أي قولوا قولا ذا حسن وثالثها أن يكون منصوبا على أنه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام أي فيحسن قولكم حسنا ومن قرأ حسنا جعله صفة لمصدر محذوف أي وقولوا للناس قولا حسنا كقوله ثم تمتعه قليلا أي متاعا قليلا **اللغة** الأخذ ضد الإعطاء والقربى مصدر قولهم قربت مني رحم فلان قرابة وقربى وقربا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات أبوه إلى أن يبلغ الحلم [illegible] فيتم من قبل الأم قال الأصمعي اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم والمسكين هو المتخشع المتذلل من الحاجة مأخوذ من السكون كأنه قد أسكنه الفقر **الإعراب** قوله تعالى لا تعبدون إما أن يكون حالا أو يكون تلقي القسم ويكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الأمر أو يكون على تقدير أن لا تعبدوا فلما حذف أن ارتفع الفعل فإن جعلته حالا فالأولى أن يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال كأنه قال أخذنا ميثاقهم موحدين وإن جعلته تلقي قسم وعطف عليه الأمر وهو قوله وقولوا كنت جمعت بين أمرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الأمر على القسم و القول كأنه قال وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله فقلنا أحسنوا بالوالدين إحسانا فيكون عطفا على هذا معطوفا على أخذنا جاز لأن أخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا لهم كذا وكذا وإن حملته على أن اللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الأمر يكون مثل قوله تؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك قوله يغفر لكم ويؤكد ذلك أنه قد عطف عليه بالأمر وهو قوله وبالوالدين إحسانا وقولوا وأقيموا وإن حملته على أن المعنى أخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف أن ارتفع الفعل كما قال طرفة ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي فإن هذا قول إن حملته عليه كان قد حذف بعد حذف وزعم سيبويه أن حذف أن مع هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين إحسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر لا يجوز أن يتعلق بقوله إحسانا لأنه متعلق بالمصدر لا يجوز أن يكون متقدما عليه ولأن أحسن يتصل إلى المفعول بالباء كما يتصل بإلى يدل على ذلك قوله وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن فتعدى بالباء كما تعدى بإلى في قوله وأحسن كما أحسن الله إليك وقوله ثم توليتم إلا قليلا منكم قال الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثنى قليلا منكم قال أبو علي إن في هذا التمثيل إبهاما لأن الاسم المستثنى ينتصب على معنى الاستثناء [illegible] بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبل إلا بتوسط إلا كما ينتصب [illegible] بتوسط الواو [illegible] الواو ويدل على ذلك قولهم ما جاءني إلا زيد [illegible] الفعل بقي فارغا بلا فاعل [illegible] **المعنى** إنه عاد سبحانه إلى ذكر بني إسرائيل فقال واذكروا إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي عهدهم [illegible] الميثاق الأدلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق الأنبياء على أممهم [illegible] الميثاق لا يكون إلا بالقول فكأنه قال أمرناهم ووصيناهم وأكدنا عليهم وقلنا لهم والله لا تعبدون إذا حملناه على جواب القسم وإذا حملناه على الحال [illegible] وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده [illegible] وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا [illegible] هو ما فرض على أمتنا أيضا من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما وما أشبه ذلك قوله وذي القربى أي بذي القربى أن يصلوا قرابته ورحمه واليتامى أي وباليتامى أن يتعطفوا عليهم بالرأفة والرحمة والمساكين أي بالمساكين أن يؤتوهم حقوقهم التي أوجبها الله عليهم في أموالهم وقولوا للناس حسنا عدل إلى الخطاب بعد الخبر وهذا تستحسنه العرب [illegible] لقول عنترة شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم ومثال الثاني قول كثير عزة أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت وقيل معناه وقلنا لهم قولوا للناس حسنا [illegible] هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله وأحبه عن ابن عباس وقيل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن أنس قولوا للناس حسنا أي معروفا وذكر جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمن واختلف من قال إنه عام فقال ابن عباس وقتادة إنه منسوخ بآية السيف بقوله قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يقروا بالجزية [illegible] وقال الأكثرون إنها ليست بمنسوخة لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعائهم إلى الإيمان كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال في آية أخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله وأقيموا الصلوة أي أدوها بحدودها الواجبة عليكم وآتوا الزكوة أي أعطوها أهلها كما أوجبها الله عليكم وروي عن ابن عباس أن الزكوة التي فرضها الله على بني إسرائيل كانت قربانا تهبط إليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروي أيضا عنه أن المعني بها طاعة الله والإخلاص وقوله ثم توليتم أي أعرضتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون خبر الله سبحانه عنهم أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه [illegible] وتولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه فوصف هؤلاء بأنهم قليل بالإضافة إلى الذين خالفوا فقيل إنه خطاب لمن كان في زمن النبي من اليهود [illegible] من بني إسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة وتبديلهم [illegible] وقيل إنه خطاب للأسلاف منهم المذكورين في أول الآية وإنما جمع بين التولي والإعراض وإن كان معناهما واحدا تأكيدا وقيل معناه تولوا [illegible] معرضون [illegible] في هذه الآية دلالة على ترتيب الحقوق لأنه سبحانه قدم حقه [illegible] ثم ثنى بحق الوالدين ثم خصهما بالمزية لكونهما سببا للوجود ولطفهما بالتربية ثم ذكر حق ذي القربى لأنهم أقرب إلى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرهم قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون آية **اللغة** السفك الصب سفك الدم يسفكه سفكا إذا

الدماء [illegible] قول أكثر النحويين [illegible] قول الشاعر فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين [illegible] والنفس [illegible] من النفاسة [illegible] والدار [illegible] المقام [illegible] كل موضع حله قوم فهو دار لهم [illegible] والإقرار [illegible] الاعتراف والشهادة [illegible] المشاهدة [illegible] **الإعراب** [illegible] **المعنى** [illegible] عطف سبحانه على ما تقدم من الأخبار عن اليهود [illegible] الميثاق [illegible] ميثاقكم أي ميثاق أسلافكم الذين كانوا [illegible] الأنبياء الماضين [illegible] لا تسفكون دماءكم [illegible] لأن في قتل الرجل منهم الرجل [illegible] بمنزلة الرجل الواحد [illegible] بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر [illegible] ولا تخرجون أنفسكم من دياركم [illegible] قوله ثم أقررتم وأنتم تشهدون [illegible] ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون آية **القراءة** قرأ أهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء [illegible] والباقون [illegible] وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب أسارى تفادوهم بالألف فيهما وقرأ حمزة [illegible] وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو [illegible] **الحجة** من قرأ تظاهرون بالتخفيف [illegible] الأصل تتظاهرون فحذف التاء الثانية [illegible] ومن قرأ تظاهرون [illegible] فأدغم التاء في الظاء [illegible] **اللغة** تظاهرون تعاونون [illegible] **الإعراب** [illegible] قوله ثم أنتم هؤلاء [illegible] أقوال أحدها أن أنتم مبتدأ وهؤلاء [illegible] وتقتلون خبر المبتدأ [illegible] تقتلون [illegible] قوله وهو محرم عليكم إخراجهم [illegible] **المعنى** ثم أنتم يا معشر يهود بني إسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذ عليكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم [illegible] تقتلون أنفسكم أي يقتل بعضكم بعضا [illegible] وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان [illegible] وإن يأتوكم أسارى تفادوهم [illegible] من تقتلون منكم [illegible] فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم [illegible] أفتؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي [illegible] وتكفرون ببعض [illegible] فتقتلون من حرمت عليكم قتله [illegible] وتخرجونهم من ديارهم [illegible]

عباس ان قريظة والنضير كانا الجوين كالاوس والخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفائها فاذا وضعت
الحرب اوزارها فدوا اسراها تصديقا لما في التورية والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيمة ولا كتابا فانبأ الله اليهود بما فعلوه
وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوما اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق ان لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم اخذ عليهم الميثاق
ان اسر بعضهم بعضا ان يفادوهم فاخرجوهم فاذوهم فاسروا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من ديارهم فاخرجوهم وقيل ليس الذين اخرجوهم الذين فدوا ولكنهم قوم اخرون على
ملتهم فانبأهم الله على ذلك قال ابو مسلم الاصفهاني ليس المراد بقوله افتؤمنون الاية انهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب انما يرجع الى ان صغر
قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزي في الحيوة الدنيا اختلف في الخزي الذي خزاهم الله به بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه
[illegible]

حتى يصعد الى السماء كان يمثل الى مريم عند حملها بشرا تقول الخ واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة ... يقولون قدس عليه
الانبياء اي بركوا عليه ... ابرهيم ... رب اجعل هذا بلدا امنا ... قيل القدس هو الله ...
والقدس
... رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ...
كذبتم وفريقا تقتلون ...
[illegible]

يقولون لمن يأبذهم هذا نبي قد اظل زمانه ينصرنا عليكم ... معنى يستفتحون يستعلون ... من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب كانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه ...

معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب ... قال الابلغ ... اي على الذين كفروا اي على مشركي العرب فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمدا

اي عرفوا صفته ونعته كفروا به حسدا وبغيا وطلبا للرياسة فلعنة الله اي غضب الله على الكافرين ... بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا

بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين **القراءة** قرء ابو عمرو وابن كثير ... ينزل بالتخفيف ...

[illegible]

بمعنى الشرط ... ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله من قبل ... **المعنى** واذا قيل لهم يعني لليهود الذين تقدم ذكرهم آمنوا بما انزل الله من القرآن على محمد والشرايع التي جاء بها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية ويكفرون بما وراءه ... وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

سورة البقرة

[illegible]

عن جهينة

عليه ما تتلو اعنه فخصمهم فلما راوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سالوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما كانت
الشياطين اي تتبع وتعمل عن ابن عباس وقيل معناه تقرء عن عطاء وقتادة وقيل معناه تكذب عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال ثم يقولون على الله الكذب تقولون على
الله ما لا تعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه واذا ابهم جاء الامران واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لانه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين
الانس المتمردون في الضلالة كما قال جرير ايام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني اذ كنت شيطانا وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله على ملك سليمن قيل معناه
في ملك سليمن في التاني في نفس ملك سليمن كما يقال فلان يطعن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك سليمن كقول ابي النجم فهي على الافق كعين الاحول
اي في الافق ثم ان هذا يحتمل معنيين احدهما في عهد ملك سليمن والثاني في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك
سليمن وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين قوله وما كفر سليمن ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بين بهذا ان ما كانت
تتلو الشياطين وتوثره وترويه كان كفرا ادبر عنه سليمن وتبرء منه ثم بين سبحانه بقوله ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن انها اي شي كانت تتلو ثم لم يبين بقوله وما كفر سليمن
ان ذلك الكفر اي نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين سبحانه ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فانهم اضافوا الى سليمن السحر وزعموا
ان ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في السبب الذي لاجله اضافوا السحر الى سليمن فقيل ان سليمن كان قد جمع كتب السحرة ووضعها
تحت كرسيه لئلا يطلع عليها الناس ولا يعملوا بها فلما مات سليمن استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الجن والانس والطير فزين
السحر في اعين الناس بالنسبة الى سليمن وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمن عن السدي وذكر العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر قال لما هلك سليمن وضع ابليس
السحر ثم كتبه في كتاب فطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمن بن داود من ذخائر كنوز العلم من اراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم
استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمن الا بهذا وقال المؤمنون هو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن الاية وفي قوله ولكن
الشياطين كفروا ثلثة اقوال احدها انهم كفروا بما استخرجوه من السحر وثانيها انهم كفروا بما نسبوا الى سليمن من السحر وثالثها انهم كفروا بما نسبوا الى سليمن من السحر وثالثها انهم
سحروا فعبر عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه والثاني انهم دلوهم على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه وقوله وما
انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فيه وجوه احدها ان المراد ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذي انزل على الملكين وانما انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية
الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه استعملوه وان كان المؤمنون اذا عرفوه اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته وثانيها ان يكون
المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمن وعلى ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال الله تعالى ما وعدتنا على رسلك اي معهم
وعلى السنتهم وثالثها ان يكون ما بمعنى النفي والمراد وما كفر سليمن ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل
هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون في هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفي عنهما السحر جبرئيل وميكائيل لان سحرة اليهود
ذكر كانت تدعي ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمن فاكذبهم الله تعالى في ذلك ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كانه قال ولكن الشياطين
هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمن ويكون على هذا قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت
وماروت ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن لا على سبيل النصيحة والتحذير ويجوز على هذا التاويل ايضا الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون
هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين من الجن والانس او الى شياطين الجن والانس فيحسن التثنية لهذا ويروى هذا التاويل
في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي ايضا عنه انه كان يقرء على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر ان يرجع قوله
وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الاية وجه اخر وان لم نحمل قوله تعالى وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم بانهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين
تتلو عليه على ملك سليمن واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر لا يكون الانزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق [illegible] ويكون معنى انزله
وان كان من الارض حمله اليها الامر [illegible] بابل فقيل بابل العراق لانه تبلبلت الالسن بها عن ابن مسعود
وقيل هي بابل دماوند [illegible] وقيل هما ملكان من الملئكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس
لئلا ينفر الناس منهما اذا كانا على صورة الملئكة واختلف في سبب هبوطهما فقيل ان الله اهبطهما ليامرا بالدين وينهيا عن السحر [illegible] لان السحر كان كثيرا في ذلك الوقت
ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيان عن فعله ليكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف شيئا لا يمكنه اجتنابه وقال الاخرون لم يكن تعليم السحر لان ذلك
من الاغراء بفعله وانما اهبطا بالزجر والنهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطهما ان الملئكة تعجبت من معاصي بني ادم مع كثرة نعم الله عليهم فقالت طائفة منهم يا ربنا اما تغضب
بما يعمل خلقك في ارضك مما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبون من المعاصي وقد نهيتهم عنها ثم [illegible] فاحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من به عليهم من حجب خلقهم
وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اختاروا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلته في
ولد ادم ثم اختبرهما في الطاعة لي فاختاروا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملئكة قولا في العيب لولد ادم واستيجاب غضب الله عليهم فاوحى الله اليهما ان اهبطا الى الارض
فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلته في ولد ادم وانظرا الا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرم الله قتلها ولا تزنيا ولا تشربا
الخمر ثم اهبطا الى الارض على صورة البشر ولباسهم فرفع لهما بناء مشرف فاقبلا نحوه فاذا امراة جميلة حسناء [illegible] ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه
[illegible] ثم حركتهما الشهوة فرجعا اليها فراوداها عن نفسها فقالت ان لي دينا ادين به [illegible] الا ان تدخلا [illegible]

كان في السبيل الى ان اجيبك الى كل ما سألتني قالا وما الهك قالت هذا الصنم قال فانظر ايتهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك الى ما سئلت فقالت فدونكما
فاشربا الخمر فانه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا والخمر فتمنعا منها ثم قالا لها ما اعظم البلية بك فقد اجبناك
فاشربا الخمر وسجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما ان رآهما ذعرا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المراة الحسناء انكما لرجلا
سوء فخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وانتما مطمئنان آمنان قال فقاما الى الرجل فادركاه
فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوءاتهما ونزع عنهما رياشهما واسقط في ايديهما فاوحى الله اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتماني باربع معاص كلها قد نهيتكما
عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا مني وقد كنتما اشد من نقم على اهل الارض من المعاصي [illegible] فاختارا عذاب
الدنيا او عذاب الاخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء
الى يوم القيمة وهذا الخبر رواه العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر عليه السلام ثم قال بعضهم لم يخرجهما هذا الخبر عن كونهما ملكين وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر معنى
الملكين وما يعلمان من احد العرب يستعمل لفظة علم بمعنى اعلم اي لا يعرفان صفة السحر وكيفيته حتى يقولا اي لا يعلمان يقولا انما نحن فتنة اي محنة لان الفتنة بمعنى المحنة والاختبار
والابتلاء وانما كانا محنة من حيث انه يقال للمكلفين من البشر وغيرهم يستمعون من قولهما [illegible] ويمكن ان يستعملوه ويرتكبوه فعلا لان يطلعا انه على ذلك لا تكفر باستعماله
لا تعدل عن الغرض في الفائدة اليك فانه انما القي اليك لتجتنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التاويل تعلم السحر كفرا ومعصية كما ان من عرف الزنا لم ياثم بانه عرفه وانما ياثم بالعمل
وقيل ان المراد به نفي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احدا السحر فيقولا انما نحن فتنة فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين وقوله فلا تكفر يعني به
ثلثة اشياء احدها فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله تعالى بالملكين الناس في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم
السحر فيكون بتعلمه كافرا وبتركه التعلم مؤمنا لان السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يمتحن الله عباده كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه فليس مني والثالث فلا تكفر بكليهما وقوله
فيتعلمون منهما [illegible]
[illegible]
يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجوه احدها انهم يودون احدهما على صاحبه ويبغضونه اليه [illegible] فيؤدي ذلك الى الفرقة [illegible] وثانيها انهم يغوون احد الزوجين ويحملونه
على الكفر والشرك بالله فيكون بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة وتباين الملة وثالثها انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية
حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي لا يضرون بهذا السحر [illegible]
قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم معناه يضرهم في الاخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا [illegible]
قصدوا بتعلمه ان يعملوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه [illegible] وقوله ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الاخرة من خلاق يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله [illegible]
علموا لمن استبدل السحر بدين الله ماله في الاخرة من نصيب عن قتادة وجماعة من المفسرين [illegible] وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم يعني [illegible]
انفسهم حيث اختاروا الكتب بالسحر وقوله لو كانوا يعلمون بعد قوله ولقد علموا ذكر فيه وجوه احدها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين او الذين
عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم [illegible] الذين تعلموا السحر وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره [illegible]
بانهم علموا انه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصير اليه من العقاب الدائم وثالثها ان يكون القائمة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما
علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه [illegible]
[illegible] وفي هذه الاية دلالة على ان الافعال تختلف باختلاف المقاصد لذلك كان تعلم السحر [illegible]
[illegible] واختلف في ماهية السحر [illegible] وجعل السحر [illegible]
الفلق وهو قول الشيخ المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها تخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا
ويقلب من صورة الى صورة وينشي الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يامن ان يكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم
على نفع او ضر [illegible] البلاد [illegible]
مكيدة واخبار الاعلينا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي سحر فكان يرى انه فعل ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله فاخبار مفتعلة لا يلتفت اليها وقد قال الله
حكاية عن الكفار ان تتبعون الا رجلا مسحورا فلو كان السحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم [illegible]
برتبته **قوله تعالى** ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اية **اللغة** المثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب بالثوب
واثابه اثابة وثوابا ومثوبة والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اخرت الرجل [illegible] ثم ثاب اليه نفسه لذلك سمي الثواب لانه العائد الى صاحبه مكافاة لما فعل [illegible]
الاذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب [illegible] ويقال [illegible] لانه ثاب لباسا بعدان كان [illegible]
والمثابة الموضع الذي يثوب اليه الناس وفي الشواذ قرائة قتادة لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مشورة ومشورة [illegible] هذا خير [illegible]
الا بعض [illegible] انهم يقولون هذا خير من ذا وشر من ذا **الاعراب** اللام في لمثوبة لام الابتداء وهو موضع [illegible] انها تغني عن قولك [illegible] والضمير في انهم عائد الى الذين تعلموا
السحر **المعنى** ثم قال سبحانه ولو انهم يعني الذين تعلموا السحر وعملوه وقيل هم اليهود امنوا اي صدقوا بمحمد والقرآن واتقوا السحر والكفر وقيل جميع الخطايا لمثوبة من عند الله خير اي ليثيبهم

الجزء الأول

استخير لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون ما يعلمونه لبئس ما كانوا يجهلون ذلك كما يقول الآن العبا وهو يعظه ما ادعوا الخير لك لو كنت تعقل او تنظر في العواقب وفي قوله
لو كانوا يعلمون وهو خير علموا ولم يعلموا وجهان احدهما ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك الذي يعلمون ان ثواب الله خير لو كانوا من السحر والاخر ان المعنى نبه الله على جهلهم
ورغبتهم في ان يعلموا ذلك بان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي يستحق بطاعاته واتباع مرضاته وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانه نفى ذلك العلم عنهم
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم آية **اللغة** المراعاة التفقد للشيء في نفسه واحواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظائر
ونقيض المراعاة الاغفال ... الله فلانا اي حفظه ...
...
[illegible]

الاعراب قوله ما ننسخ ما اسم ناب مناب ان وهو موضع
اي يوجب ما ياتي عن مكانه اي يتبع ما الآن ... فاني ازاد ... فالسير ... البابا الناجز
نصب بننسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولا ورتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل لما بشرطه ... الشرط الذي له صدر الكلام وننسخ مجزوم بالشرط ونخرج ... لا ... معطوف
عليه ... مجزوم لانه جواب ومن في قوله من آية للتبعيض ... ولفظ ما هاهنا لفظ الاستفهام ... ولا تجوز الا ... العامل عن عمله
المعنى ما ننسخ من آية قد ذكر في حقيقة النسخ عند المحققين ... عن ابن عباس ...
[illegible]

الرسل حتى فضلك الله ولو اكثر فيك الضجاج واللجب يقال ازددت من قصدك ولو عنفني العاملون وثلبوا ان المصطفى المهذب المحض في النسبة ان نعض يومك النسب
كلامه يخرج خطاب للنبي والمراد به اهل بيته الذين حذا السليمي لا يعف مادح النبي ولا يكثر الضجاج واللجب في طلبنا القول فيه فكانه قال الم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك
السموات والارض لانه خلقهما وما فيهما قوله وما لكم من قال ان الاية خطاب للنبي قال ان بضمير الجمع في الخطاب تفخيما للامر وتعظيما للقدر ومن قال هي خطاب للمؤمنين
لهم خاصة فالمعنى او تعلموا ما لكم ايها الناس من دون الله اي سوى الله من ولي يقوم بامركم ولا نصير ناصر ينصركم **قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من**
قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل آية **اللغة** السؤال هو ان يطلب الامر ممن يعلمه بمعنى الطلب سواء المد على ثلاثة اوجه بمعنى قصد ...

[illegible]

[illegible]

من قال ان بعضهم يخاف ثم ليس بمساواته لانهم لا يخافون من تجرّ الضلالة لانهم يكونون على ثقة بان ذلك لا ينفعهم **قوله تعالى** وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون **اللغة** الشيء مصدر الاتساع
كالعلم على ذات بعينه هو كونه انّه يبعث الله الخلق فيقومون من قبورهم للحشر ثم تقول قام يقوم قياما وقيمة مثل عاب يعيب عيبا وعيبة **الاعراب** وهم يتلون جملة
مبتدأ وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل فيها ذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بيقول او بقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كما لا يكون قال الذين
لا يعلمون ثم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف وتقديره قولا مثل قولهم **النزول** قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله اتاهم
احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة
فانزل الله هذه الآية **المعنى** ثم بين تعالى ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال وقالت اليهود ليست النصارى على شيء من الدين بالنصرانية وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ... وهم
يتلون الكتاب اي يقرؤون به ذكر فيه وجهان احدهما ان فيه حل الشبهة لان في تلاوة الكتاب ... الاكار ... اهل الكتاب الملة الملاء
انكار فرقتين من اهل الكتاب ... لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ... الانكار لدين الاسلام والوجه الآخر انهم
لم يكن ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد ... كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم معناه ان مشركي العرب الذين
هم جهال ... قالوا ان محمدا ... اليهود على شيء من الدين ... مشركي العرب قالوا
بان جميع الانبياء وامتهم لم يكونوا على شيء ... وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل
التوراة والانجيل كقوم نوح وعاد ... لانبيائهم ليسوا على شيء ... ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي ... فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بين يديه ... ان يحكم بينهم ... الحكم فيهم ... بين المحق والمبطل ... من يدخل الجنة ومن يدخل النار ...
وهذا هو الحكم الفصل في الآخرة ... فاما الحكم بينهم في العقد ... ما اظهر من حجج المسلمين من عجز الخلق عن ان يأتوا بمثل
هذا القرآن عن الزجاج **قوله تعالى** ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في
الآخرة عذاب عظيم **اللغة** المنع ... وضد المنع الاطلاق ويقال منعته فامتنع
ورجل منيع لا يخلص اليه ... ورجل ... الخزي ...
... **الاعراب**
من رفع ... نصب على البدل ... ومن اظلم ... يجوز ان يكون موضع
ان نصب على انه مفعول ... ان يذكر فيها اسمه يجوز ان يكون ... في موضع نصب ... كان
... ان يدخلوها ... موضع ... الاستثناء ... ينتصب على الحال
مرفوع من وجهين احدهما الابتداء والآخر ان يكون مرفوعا بالظرف ... في موضع نصب على الحال ... الضمير في قوله لهم
وقوله في الآخرة **النزول** اختلفوا في المعنى بهذا الآية فقال ابن عباس ... انهم الروم غزوا بيت المقدس ... حتى كان ايام عمر فاظهر الله المسلمين عليهم ... فصاروا لا
يدخلونها الا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بخت نصر خرّب بيت المقدس ... انهم قريش حين منعوا رسول الله دخول مكة والمسجد الحرام
... البلخي والرماني والجبائي ... قال ... المسجد الحرام وقوله وسعى في خرابها ... عمارة المسجد انما تكون بالصلوة فيها وخرابها بالمنع
من الصلوة فيها فقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي يصلون فيها بمكة ... بيت المقدس وجوابه انه
... غير اهل الكتاب ... كذلك قال الذين لا يعلمون ... هذا ... الكلام ... اليهود ... النصارى ... الاصنام ... المشركين
المعنى ... ومن اظلم ... ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ...
فيها ... بيت المقدس او على الكعبة ... المسجد العظيم ... مساجد ... المسجد
يدخل في هذه اللفظة المساجد التي يبنيها المسلمون للصلوة ... جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله
وسعى في خرابها ... اهل الايمان ... المنع عن الصلوة والطاعة فيها ... خرابها
وقوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس ... وهو كذلك اليوم ...
المراد بالمسجد الحرام ... هذه الآية ... ان لا يحجّن بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عريان ... وقال الجبائي
... انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ... على المسلمين ... الاحكام
... موضع ... على وجه ... كما يعتقد المسلم قال الشيخ ابو جعفر ...
ويمكن الاستدلال بهذه الآية على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول المساجد على كل حال ... المسجد الحرام ... المشركين ... ولا يمكنون ...

بانّ الله قد آمنهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الآية
اعلم الله في هذه الآية ان المسلمين يظهرون على جميع من خالفهم حتى لا يمكن من يخالف اصحاب الايمان ... وهذا كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لاعزاز الدين الله واظهاره المسلمين وقوله لهم في الدنيا خزي وقيل فيه وجوه احدها ان المراد بالخزي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون
وثانيها ان المراد به ... والسبي ... والقتل ... عن الزجاج وثالثها ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطينية فيقتلهم
عن السدي ورابعها ان المراد بالخزي منعهم من دخول المساجد ... وقوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم يعني يوم القيمة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من
كل ظالم اظلم **قوله تعالى** ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم آية **اللغة** المشرق والمغرب اسمان لمطلع الشمس والقمر
شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذرّ شارق اي ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام تشريق اللحم في الشمس ... لا تشريق الا في مصر
جامع اي لا صلوة عيد الا فيها ... والمغرب المغيب ... موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب ... والغرب الحد ... بعد ...
السيف ... الغرب ...
يسع ... فيسع ... **الاعراب** اللام في قوله ولله المشرق لام الملك ... المشرق والمغرب لانه اخرج مخرج الجنس ... على الجمع كما يقال اهلك الناس
والدرهم ... وابن مبني لتضمنه معنى الحرف وانما بني على الفتح لالتقاء الساكنين ... معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجواب فثم وجه الله ... تولوا ... النون
... ظرف ... تولوا وما في قوله ... الكلمة لعمل الجزم ... لا تفعل ... حيث ...
افعل ... فثم ... نصب لانه ظرف مكان ... على الفتح لالتقاء الساكنين
انما بني في الاصل لانه معرفة وحكم الاسم المعرفة ان يكون ... معنى الحرف ... لا يستعمل الا في مكان ... **النزول**
اختلف في سبب نزول الآية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الآية ردا عليهم عن ابن عباس ... الجبائي وقال ابن ... انه ...
... وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاؤا في الصلوة ثم ... نزلت الآية ... فول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتادة قال وكان النبي قد اختار التوجه
الى بيت المقدس ... وقيل نزلت في صلوة التطوع على الراحلة ... حيثما توجهت اذا كنت في سفر واما الفرائض فقوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره يعني ان الفرائض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو المروي عن ائمتنا قالوا وصلى رسول الله ايماء على راحلته ... حيث خرج الى خيبر ... من مكة وجعل الكعبة خلف
ظهره ... عن جابر قال بعث رسول الله سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طائفة منا قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا ...
... القبلة ... وخطوا خطوطا فلما اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي عن ذلك فسكت فانزل الله تعالى هذه
الآية **المعنى** ولله المشرق والمغرب ... ملكا ... المشرق ... ومغربها فاينما
تولوا فثم وجه الله معناه فاينما تولوا وجوهكم ... فثم اي فهناك وجه الله اي قبلة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه ... القبلة ...
الوزن ... والعرب ... القصد ... الوجه ... استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل ... وقيل معناه ...
... ويقال ... وقوله كل شيء هالك الا وجهه ...
... عن الكلبي وقيل معناه ... رضوان الله ... ان الله واسع اي غني عن ابي عبيدة ... وقيل
... واسع الرحمة ... عن الزجاج ... عليم ...
... **النظم** ... الآية بما قبلها ... المسجد ... ذكره
حيث كنتم من ارض ... المشرق والمغرب والجهات ... ذكر الصلوة ... القبلة ... **قوله تعالى** وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون آية **القراءة** قرأ ابن عامر قالوا اتخذ بغير واو والباقون بالواو **الحجة** ... الواو ... من ... حذفها
... الجملة ... على ما تقدم ... الجملة ... قالوا اتخذ الله ولدا ... ومن اظلم ممن منع مساجد الله ... الذين قالوا اتخذ الله
من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ... الواو ... الجملة بما قبلها ... الذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ... فيها
خالدون ... **اللغة** ... القنوت ... على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون ... ومنها ان يكون بمعنى الصلوة كقوله يا مريم اقنتي
لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ... طول القيام ... جابر بن عبد الله قال سئل النبي اي الصلوة افضل قال طول القنوت اي طول القيام ويكون بمعنى الدعاء ... القيام
القنوت في الصلوة دعاء بعد القراءة في آخر الركعة ... ومنه قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا
لله قانتين فامسكنا عن الكلام **النزول** نزلت الآية في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله ... مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله **المعنى** ... سبحانه
... اليهود في ... القبلة ورد عليهم ... في التوحيد ... وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ... تنزيها ... عن اتخاذ الولد ... الشيء ... الى ما لا يليق
به ... وروي عن طلحة بن عبيد الله انه سئل النبي ... سبحان الله ... تنزيه الله من كل سوء بل له ما في السماوات والارض ... قولهم اتخذ الله ولدا اي ليس الامر
كما زعموا بل له ما في السموات وما في الارض ملكا والولد لا يكون ملكا للاب لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم في السماء والمسيح الذي هو في الارض ولدا له
... ان المسيح ... مخلوق مملوك ... بمنزلة سائر الخلق وقيل ... السموات والارض ... الولد لا يكون ...

تفسير ومعنى ... قوله ...

واختلاف ... الاقوال ...

للحق حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات إلى آخرها ولأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فتبين أنهم ليسوا من أهل الكتاب قال الأمر قال قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا
الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا أدل له فيه لأنه يجوز أن يذكر قوما ثم يستأنف فيخبر عن العرب إلا الله تعالى إنسان فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا
وقوله لولا يكلمنا الله أي هلا يكلمنا الله مشافهة فيخبرنا بأنك نبي كما كلم موسى وغيره من الأنبياء وقوله أو تأتينا آية أي تأتينا آية موافقة لدعوتك كما جا
الأنبياء آيات موافقة لدعوتهم ولم يريدوا أنه لم تأتهم آية لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل اليهود حتى الآيات على موسى هذا
حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود والنصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل هم الكفار والذين كانوا قبل الإسلام تشابهت قلوبهم أي أشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة
والاعتراض على الأنبياء من غير حجة والتعنت كقول اليهود لموسى أرنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح مائدة من السماء وقول العرب الصفا ذهبا

يتلونه [illegible] اولئك جميعا فيكون للابتداء خبران كما تقول هذا حلو حامض حق تلاوته منصوب على المصدر الذين آتيناهم الكتاب قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة
وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا عن ابن عباس وقيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وسعية بن عمرو [illegible] ابن يهودا [illegible]
[illegible] عن الضحاك وقيل هم اصحاب محمد عن قتادة وعكرمة فعلى هذين القولين يكون المراد بالكتاب التورية وعلى القول الاخر المراد به القرآن المعنى الذين اعطيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اختلف في معناه على وجوه احدها انه يتبعونه يعني التورية حق اتباعه [illegible] بحلاله ويحرمون حرامه [illegible] ثانيها [illegible] عن ابن
مسعود ومجاهد وقتادة الا ان المراد بذلك القرآن [illegible] وثانيها ان المراد به يصفونه حق صفته في كتبهم لمن يسألهم عن الناس عن الكلبي وعلى هذا يكون الهاء راجعة الى محمد [illegible]
[illegible] حق تلاوته هو [illegible] عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعيذ من الاخرى ورابعها ان المراد يقرؤنه حق قرائته [illegible] وخامسها ان المراد يعملون
يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن قوله اولئك يؤمنون به اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي عن الكلبي ومن يكفر به قيل هم اليهود وقيل هم جميع الكفار
وهو الاولى لعمومه فاولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر والنصرة وفي الاخرة ما اعد الله للمؤمنين من نعيم الجنة قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين آية المعنى هذه الآية [illegible] ذكر مثلها [illegible]
[illegible]
[illegible] النبوة والبشارة [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون آية [illegible]
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين آية القراءة قرأ ابن عامر ابرهام [illegible] القرآن [illegible]
[illegible] الحجة [illegible] ابرهيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اللغة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاعراب [illegible]
[illegible] المعنى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ابرهيم [illegible] الشيخ ابو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة
[illegible] عن الصادق عليه السلام قال سألته عن قول الله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه
[illegible] يا رب اسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم [illegible] قال يتمهن الى القائم
اثني عشر اماما تسعة من ولد الحسين قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله اخبرني عن قول الله وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين الى
يوم القيمة [illegible] يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن [illegible]
[illegible] النبوة في صلب [illegible] الامامة [illegible] في صلب الحسين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوله واذ [illegible]
[illegible]
[illegible] الشيخ ابي جعفر [illegible]
[illegible]
[illegible] اني جاعلك للناس اماما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا ينال عهدي الظالمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود آية القراءة قرأ نافع وابن عامر واتخذوا [illegible]
[illegible] الحجة [illegible]
[illegible] اللغة البيت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

انعبنا العاكف المقيم على الشيء اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكوفا قال النابغة عكوف على ابياتهم يعبدونها ... والعاكف المعتكف في المسجد
فلما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع راكع والسجود جمع ساجد كل فعل مصدر على فعول جاز في جمع الفاعل منه ان يكون الفاعل على فعول كالقعود والركوع والسجود
نحوها المعنى واذ جعلنا عطف على قوله واذ ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا ... والبيت الذي جعله الله ... هو البيت الحرام وهو الكعبة ... انما سمي البيت
الحرام لان الله حرم على المشركين ان يدخلوه ... وسمي الكعبة لانها مربعة ...
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله مثابة للناس ... وجوه قيل ان الناس يثوبون اليه ...
... قد قضى منه وطرا ...

الضمير في قال لابرهيم اي قال ابرهيم ايضا ومن كفر فامتعه ... قال لطول الكلام ولا ... والاخران يكون الضمير في قال
لله اي فامتعه ... يجري ذلك على ما تعاده العرب ... كقول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا
ايها الرجل البلد ... البلد والمصر ... ومنه قيل للاثر في الجلد وغيره ... سميت البلاد لانها موضع مواطن الناس ...
قولهم لكركرة البعير بلدة لانها اذا برك ... والاضطرار هو لفعل ... على وجه لا يمكنه الانفكاك ... ويقال فلان مضطر الى ...
... عن نفسه ...
... الكل كما تقول ... موضع الرفع على الابتداء ويجوز ان يكون ... في موضع

منا دليل على انهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا الثواب عليه والثواب انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عملنا وهو مشبه بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية من انسان اثابه على ذلك وقوله انك انت السميع العليم اى انت السميع لدعائنا والعليم بما يصلحنا [illegible] عن الباقر ان اسمعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسمعيل هابى ابن اى اعطنى حجرا فيقول له يا ابه هاك حجرا فابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وفى هذه الاية دلالة على ان الدعاء عند الفراغ من العبادة [illegible] قصة مهاجرة اسمعيل وهاجر [illegible]

[illegible]

[illegible]

خالقه فهو جاهل لنفسه عن الاهتمام قبل جهل نفسه بما فيها من الايات الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شيء عن ابي مسلم قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالرسالة واجتبيناه وانه في الاخرة
لمن الصالحين اي من الفائزين عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اي مع آبائه الانبياء في الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الاخرة بالذكر وان كان في الدنيا كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون
على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب في الاخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه لا دلالة على ان ملة ابرهيم هي ملة
نبينا لان ملة ابرهيم داخلة في ملة محمد مع زيادات في ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التي هي ملة ابرهيم قد سفهوا انفسهم هذا معنى قول قتادة والربيع يدل عليه قوله
ملة ابيكم ابرهيم **قوله تعالى** اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين **الاعراب** قال الفعل فارغ عن الاعراب وبجر والاسم متعلق بقال وقال له ربه جر والموضع منصوب اذ اليه
اللام في لرب العالمين يتعلق باسلمت **المعنى** هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه موضعه نصب بانه ظرف ويكون ولقد اصطفيناه في الدنيا حين قال له ربه اسلم واختلف في انه متى قيل له ذلك فقال الحسن
كان هذا حين افلت الشمس وراى ابرهيم تلك الايات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي الاية واسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك
قبل النبوة وانه قال له ذلك الهاما فاستدعى الى الاسلام فاسلم ووضح له طريق الاستدلال بما راى من الايات لا يصح ان يوحى اليه قبل ان يبعث نبيا لان النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون
ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابرهيم حين خرج من السرب وقيل انما قال له ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله
وقيل ان معنى اسلم اخلص دينك بالتوحيد فقال اسلمت لرب العالمين اي اخلصت الدين لله رب العالمين **قوله تعالى** ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وانتم مسلمون **القراءة** قرأ اهل المدينة والشام واوصى بهمزة بين الواوين وبتخفيف الصاد وقرأ الباقون ووصى بتشديد الصاد **الحجة** حجة من قرأ ووصى قوله فلا يستطيعون توصية وتوصية
مصدر وصى مثل قطع تقطيعة ولا يكون مصدر تفعيل لانك لو قلت مصدر حيث تفعيل لكان يجمع ثلاث ياءات ثم ذلك وحجة من قرأ واوصى انها قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية
توصون بها او دين **اللغة** يقال وصى واوصى الى غيره عهد اليه بمعنى قال الوصى ووصى يقال اذا اتصل بعضه ببعض فالوصية التي الوصى بها يوصل حبل امره بالموصى اليه **الاعراب** يعقوب رفع لانه عطف
على ابرهيم التقدير ووصى بها ابرهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستئناف كانه قال ووصى يعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق
التقدير بين الاول لا اختلافه لانه معطوف والثاني فيه اضمار وانها في بها يعود الى الملة وقد تقدم ذكرها هو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التي هي اسلمت لرب العالمين والالف و
اللام في الدين للعهد لا للاستغراق لانه اراد دين الاسلام وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وان كان على لفظ النهي عن الموت فالنهي على الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت
عليه ومثله من كلام العرب لا ارينك هيهنا فالنهي في اللفظ للمتكلم انما هو في الحقيقة للمخاطب كانه قال لا تتعرض لان اراك بكونك هيهنا وقوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال
وتقديره لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو في تموتوا ومعناه لا يأتكم الموت الا وانتم مسلمون **المعنى** لما بين عز اسمه ان ابرهيم الذي يجب الحكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر بعده امر الذين
عهد به الى بنيه ووصيته فقال ووصى بها اي بالملة او بالكلمة التي هي قوله اسلمت لرب العالمين ويؤيده قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله ابرهيم
بنيه انما خص البنين لان اشفاقه عليهم اكثر وهم بقبول وصيته اجدر لانس العلوم ان كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب هو ابن اسحق وانما سمي يعقوب لانه وعيصا كانا توأمين
فتقدم عيص وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثني عشر وهم الاسباط يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي نقاه لاجتبائه يا بني ان الله اختار لكم الدين
الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تتركوا الاسلام فيصادفكم الموت على تركه ولا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر وقال الزجاج معناه الزموا الاسلام فاذا ادرككم
الموت صادفكم مسلمين وفي هذه الاية دلالة على الترغيب في الوصية عند الموت وانه ينبغي ان يوصي الانسان ناصحا لاهله كما وصى يعقوب بلزوم الدين الطاعة **قوله تعالى** ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون **اللغة** الشهداء جمع شهيد الشاهد الحاضر من
تقول حضرت الموت حضرهم خصوصا شهدتهم وتحضيرا الجماعة من الناس وما بين الخمسة الى العشرة وحضرة الرجل حضارة ابي وحاضرته الى ما ذا عد الله الى ذا الحاضر وفيه حاضر الجبل وحاضرة
جانبه عند السلطان وتخصيص حضرة الرجل فناؤه واصل الباب الحضور **الاعراب** ام هيهنا منقطعة وهي لا تجيء منقطعة الا وقد تقدمها كلام لانها التي تكون بمعنى
بل وهمزة الاستفهام كانه قيل بل اكنتم شهداء ومعنى ام هيهنا الجحد اي ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد
مظاهرة في الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فيظهر الفضيحة فاذا الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل من الاولى وقيل العامل في الثانية حضر
كلا الجائز ما للاستفهام وهو منصب الموضع لانه مفعول تعبدون ومن بعدي الجار والمجرور في موضع النصب على الظرف وقوله الها واحدا منصوب على الحال ويجوز ان يكون حالا وكانه قال نعبد الهك
في حال وحدانيته ويكون بدلا من الهك فيكون الفائدة في ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون عطفا على الاب فلا يكون لها موضع من الاعراب وابرهيم واسمعيل واسحق
موضع جر على البدل من آبائك كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك **المعنى** ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال ام كنتم شهداء اي ما كنتم حضورا اذ حضر يعقوب الموت وما كنتم حضورا اذ قال
يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي معناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائه ورسله الاباطيل بان تنسبوا اليهم اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود
قالوا ان يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية فرد الله عليهم قولهم وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لان الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق وانما قدم ذكر اسمعيل على اسحق لانه كان اكبر منه واسمعيل كان عم يعقوب وجعله ابا لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الجد ابا وذلك لانه يجب
تعظيمه كتعظيم الاب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله ردوا علي ابي يعني العباس عمه الها واحدا ونحن له مسلمون اي مذعنون مقرون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لامره ونهيه لا وعقدا
وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام **قوله تعالى** تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون **اللغة** الامة على وجوه
الاول الجماعة كما في الاية والثاني القدوة والامام في قوله ان ابرهيم كان امة قانتا والثالث القامة في قول الاعشى وان معوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم والرابع الاستقامة
في الدين والدنيا قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اي ذو ملة ودين والخامس الحين في قوله وادكر بعد امة والسادس اهل الملة الواحدة في قوله
امة موسى امة عيسى محمد اصل الباب القصد من ام يؤم اما اذا قصد وخلت اي مضت واصله الانفراد فالخلاء الموضع الذي لا احد فيه والخلاء المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو

الفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء غيره وقد يفرغ من الشيء وهو معه تقول فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر عن
النفس ولذلك لا يقال اذا اجتلب لهم ذلك بعلاج من لهم لذلك لا يطلق الكسب في صفة الله تعالى **الاعراب** قوله لها ما كسبت جملة يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكانه قال خلت
مستحقة بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستأنفة فلا يكون جزءا من الخبر الاول لكن يكون متصلة به في المعنى وان لم يكن جزءا منه لانها خبر عن المعنى عن شيء واحد منه
قبل الجماعة قد خلت الجماعة لها ما كسبت كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته الموصول والصلة في موضع الجر بعن وعن يتعلق بتسألون **المعنى** تلك امة قد خلت اي جماعة
مضت يعني ابرهيم واولاده لها ما كسبت اي ما عملت من طاعة ومعصية ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي ما عملتم من طاعة ومعصية ولا تسألون عما كانوا يعملون اي لا يقال لكم لم عملوا
كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم من جهة آثامهم كما لا يقال لهم علمتم انتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفي الاية دلالة على
بطلان قول المجبرة ان الابناء مؤاخذون بذنوب الاباء وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله نفى ذلك **قوله تعالى** وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان
من المشركين **اللغة** الحنيف المائل من الاديان الباطلة الى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين الى دين سميت الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف التابع
المستقيم والحنيفية الاستقامة على دين ابرهيم وانما قيل للذي يعتدل لحنف قدميه على الاخرى احنف تفاؤلا بالاستقامة كما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة
وقال الزجاج اصله من الحنف وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنف احنف كانه وقال لو لم ضعته في قتلته ابلوا احنف جاله ما كان في فتياكم كمثله وفي الحديث احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة
دين ملة النبي لا حرج فيها ولا ضيق **الاعراب** جزم تهتدوا على الجواب لان الامر فيه معنى الشرط كانه في الكلمة اي ان تكونوا على هذه الملة فانما تجزمه تهتدوا او على الحنيفية بالجر في قوله ملة ابرهيم
انتصابه وجوه احدها ان تقديره بل اتبعوا ملة ابرهيم لان قوله كونوا هودا او نصارى تضمن معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية تقديره قالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية قل بل اتبعوا ملة ابرهيم
فهذا عطف على المعنى والثاني ان يكون على الحذف كانه قيل بل نتبع ملة ابرهيم الاول عطف الثاني بحذف الثالث ان ينصب على تقدير بل تكون اهل ملة ابرهيم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه كقوله تعالى واسئل القرية التي فيها عطف على اللفظ وهو قول الكوفيين حنيفا نصب على الحال **المعنى** حنيفة الحرق عن ابن عباس ان عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وجماعة من اليهود والنصارى اهل نجران خاصموا اهل الاسلام كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وقالت
النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فانزل الله هذه الاية وقيل ان ابن صوريا قال لرسول الله ما الهدى الا ما نحن عليه
فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله هذه الاية **المعنى** وقالوا الضمير في قالوا راجع الى اليهود والنصارى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى قالت كونوا نصارى كل فريق منهم قال
ما هم عليه ومعنى تهتدوا الى الحق اي انكم اذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم ونصرتم الى سنن الاستقامة قل يا محمد بل ملة ابرهيم اي بل نتبع دين ابرهيم على الوجه الاخر بل اتبعوا دين ابرهيم تدعون انكم
الثالثة في الاعراب فلا معنى لاعادتها حنيفا مستقيما وقيل مائلا الى دين الاسلام وفي الحنيفية اربعة اقوال احدها انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وثانيها انها اتباع الحق عن مجاهد
ثالثها انها اتباع ابرهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الاسلام ورابعها انها الاخلاص لله وحده في الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية كلها
هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابرهيم من الملة وما كان من المشركين اي ما كان ابرهيم من المشركين نفى الشرك عن ملته اثباتا لليهود والنصارى قالوا
حيث عزيز ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله بل ملة ابرهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابرهيم لسلامتها من التناقض وتوجد التناقض في اليهودية والنصرانية فلا تصلح ملتاهما حجة للاتباع
من غيرها من التناقض في اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما في التوراة من الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الامي
اظهارهم التمسك بها امتناعهم من الاذعان لما دلت عليه الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد مع اقرارهم بنبوة عيسى لاجل المعجزات التي اتى بها ونحو ذلك من انواع
التناقض في قول النصارى قولهم الاب اله والابن اله وروح القدس اله والحد مع قولهم ان الاب جسم ولا يجوز ان الاب اله والابن اله وقد قالوا لقد الدلالة على انهم ان يقولوا ثلثة الهة الى غير ذلك
من تناقضاتهم المذكورة في الكتب **قوله تعالى** قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من
ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون **اللغة** الاسباط واحدهم سبط وهم اولاد اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن

التجوفه السبط الثبت

والحسين سبطا رسول الله اي ولداه والاسباط في بني اسرائيل بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسبط في اللغة من شجرة واحدة وقال ثعلب
يقال سبط عليها العطاء والضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض وانشد لقول في ظبية سيحركانه سبط من الاسباط تشبيها لجماعة من الناس يتابعون في امر ومن قيل لولد يعقوب
اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو بيان الذي
الذي يشهد به الحكم لاحد الشيئين دون الاخر **الاعراب** بالله تقديره معادله وشبهه الهاء العائد الى الموصول ومن في قوله من ربهم يتعلق باوتي ويجوز فيكون مع المجرور في موضع
نصب على الحال تقديره والحال والضمير المستكن في اوتي والعامل اوتي او يكون العامل فيه انزل ودو الحال ما اوتي ولا نفرق جملة منفية منصوب الموضع على الحال والعامل فيه امن وبينهم
يتعلق بنفرق والمجرور في موضع نصب باحد لانه مفعول به لاحد منهم اي بين اثنين او جماعة فتقديره لا نفرق بين جماعة منهم **المعنى** قولوا آمنا بالله خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي والمؤمنين
امرهم بتصديقها مات انبوءتها على الشرع فبدأ بالايمان بالله لانه اول الواجبات ولانه بتقديمه معرفته تصح معرفة النبوات والشرائع وما انزل الينا يعني القرآن نؤمن بانه حق وصدق وانه حجة
في المال ولان تقدمه كتب وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قالوا نهم يوسف واخوته بنو يعقوب ولكل واحد منهم امة من الناس سموا الاسباط وبه قال السدي والربيع
ومحمد بن اسحق وذكروا الاسماء الاثني عشر يوسف وابن يامين وروبيل ويهوذا وشمعون ولاوي ودان ونفتالي وجاد واشير ويساخر وزبولون ولد يعقوب واختلف المفسرون فيهم
فالكثير من المفسرين انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لان ما وقع منهم من المعصية في ما فعلوه بيوسف لا يخفى والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها
كبيرها وليس في ظاهر القرآن ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال
القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان كان المنزل على النبي خاصة لكن المسلمين لما كانوا مأمورين بما فيه اضيف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان بن سدير عن ابيه

ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قلت له كان ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا الا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وانما قيل موسى وعيسى اعطيا وخصهما بالذكر لان الاحتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي عيسى الانجيل وما اوتي النبيون اي وما اعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بمحمد عليهما السلام ونحن له مسلمون اي نحن له خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل منقادون لامره ونهيه وقد مضى هذا مشروحا فيما قبل وفائدة الآية الامر بالايمان بالله والاقرار بالنبيين بما انزل اليهم من الكتب والشرائع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرايعهم غير لازمة لنا لان الايمان بهم يقتضي ان شرايعهم حق وروي عن الضحاك انه قال علموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله في كتابه يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤا به فان الله تعالى يقول قولوا آمنا بالله **قوله تعالى** فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم آية

اللغة الشقاق المنازعة والمحاربة ويحتمل ان يكون اصله ماخوذا من الشق لانه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة ويحتمل ان يكون ماخوذا من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية يقال كفى يكفي كفاية اذا قام بالامر وكفاك هذا الامر اي حسبك ورايت رجلا كافيك من رجل اي كافيك به رجلا **الاعراب** الباء في قوله بمثل ما آمنتم به يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان يكون زائدة والتقدير فان آمنوا مثل ما آمنتم به كما قال كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا والثاني ان يكون المعنى بمثل هذا ولا يكون زائدة كانه قال فان آمنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت تجعل المثل آلة الى العمل وهذا اجود من الاول والثالث ان يكون المثل زائدا كما زيدت الكاف في قوله فجعلهم كعصف ماكول وهذا اضعف الوجوه لانه اذا امكن حمل كلام الله على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم اضعف من زيادة الحرف وقوله فقد اهتدوا في محل الجزم لانه جواب الشرط وكذلك قوله فانما هم في شقاق وانما حرف لاثبات الشيء ونفي غيره وهم مبتدأ وفي شقاق في موضع خبره **النزول** لما نزل قوله قولوا آمنا بالله الآية قرأها النبي على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كسائر الانبياء لانه ابن الله فنزلت الآية **المعنى** اخبر الله ان هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما امر المؤمنون به فقد اهتدوا الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقرأ فان آمنوا بما آمنتم به بغير مثل لئلا يوهم ان لله مثلا الا انه انكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان وجحدوه لم يعترفوا به فانما هم في شقاق اي في خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله تعالى عن ابن عباس وقيل في شقاق اي في ضلال عن ابي عبيدة وقيل في عداوة عن الحسن فسيكفيكهم الله تعالى وعد رسوله بالنصر وكفاية من عاداه من اليهود والنصارى الذين شاقوه في هذا وفي هذا دلالة على صدق النبي لانه يكفيك امرهم بالجهد وهو السميع لقولهم العليم باعمالهم في ابطال امرك **قوله تعالى** صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون آية **اللغة** صبغة الله ماخوذ من الصبغ لان بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد غمسوه في ماء لهم يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغة الله لا تطهير كتطهيرهم والصبغة هو الفراء وقيل ان اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اي يلقنونهم فيصبغونهم بذلك وهو التلقين ... عمر بن الخطاب ... يصبغوا اولادهم اي لا يلقنونهم النصرانية ... دين الله ... سميت صبغة لانها تظهر ... ويعرف المتدين بالآثار الجميلة التي هي كالصبغة ... الاعراب نصب صبغة الله على انه بدل من قوله ملة ابراهيم عن الاخفش وقيل انه نصب على الاغراء اي الزموا صبغة الله والرفع جائز صبغة الله ... وهو مبتدأ واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز **المعنى** صبغة الله دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ... الاسلام وقيل شريعة الله التي هي الختان الذي هو تطهير عن الفراء والبلخي وقيل فطرة الله التي فطر الناس عليها ... ومن احسن من الله صبغة اي لا احد احسن من الله صبغة ... الحجة ونحن له عابدون يجب ان نتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء والاجداد ... **قوله تعالى** قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون آية **اللغة** الحجاج والجدال والخصام نظائر والاعمال والافعال والاحداث نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر وضد الخالص المشوب **الاعراب** وهو ربنا وربكم مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدأ وخبر والجملتان في موضع النصب بالعطف على وهو ربنا وربكم ونحن له مخلصون كذلك **المعنى** امر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان يقول لهؤلاء اليهود والنصارى أتحاجوننا في الله اي في دين الله ... فيه وهو ربنا المنعم علينا والمنعم عليكم ... فقيل كانت محاجتهم انهم زعموا انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل كانت محاجتهم انهم قالوا ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت محاجتهم انهم قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فغرضهم بذلك ان الدين ... النبوة ... فبين تعالى ان الله اعلم حيث يجعل رسالته ... هو ربنا وربكم اي خالقنا وخالقكم ... ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم ... علينا مضرة من اعمالكم ... ونحن له مخلصون ...

فصل في الاخلاص ... عن النبي ... قال لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله ... **قوله تعالى** ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و

ونفسير صبغة الله

الاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء **الحجة** الذي قرأ على الخطاب فلكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كانه قال أتحاجوننا في الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في امرنا بالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون والثاني وهو القراءة بالياء على ان يكون الكلام عدل من الخطاب الاول الى حجاج آخر كانه قال بل يقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التورية والانجيل كانوا هودا او نصارى فيكون ام هذه هي المنقطعة فيكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ما كان يخاطب جاهلا بشنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة **اللغة** الاعلم والاعرف والادرى نظائر ونقيضه الاجهل والاخفى والاغبى نظائر وافعل هذا يستعمل في معنى الزيادة وانما يصح معنا فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل الخلق وقد قال المحققون الصفات على ثلاثة اضرب منها صفة تحصل بالفاعل وصفة تحصل بالمعنى فالاول مثل كون الذات جوهرا او سوادا وهذا لا يصح فيه التزايد والثاني كالوجود ولا يصح فيه ايضا التزايد والثالث على ضربين احدهما يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى مثل كالالوان والاكوان ونحوها والآخر لا يصح فيه التزايد وهو كل ما يوجب معنى واكثر والخفي واسم حد الغفلة والسهو والنسيان نظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم فان استمر به السهو مع صحة سمي جنونا فاذا قارنه ضرب من الضعف سمي غشاء واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمي نوما فان قارنه نوع من الطرب سمي سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمي نسيانا **الاعراب** ءانتم اعلم ام الله مبتدأ وخبر ومن اظلم مثله وتقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان ولكنه لم يكن صفة الشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة للشهادة ايضا وهي صفة بعد صفة **المعنى** قد ذكرنا الفرق في المعنى بين قوله ام تقولون على الخطاب وبين قوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وهذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه احدها الخبر بان نبيا مع ظهور المعجز الدال على صدقه والآخر ما في التورية والانجيل ان هؤلاء الانبياء كانوا على الحنيفية والثالث انه عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التورية واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده والرابع انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله بهذه الوجوه وقوله قل ءانتم اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها ومعناها قل يا محمد لهم ءانتم اعلم ام الله فقد اخبر الله تعالى انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى فلو مكرتم ان تدعوا انكم اعلم من الله كان هذا غاية الخزي فان قيل لم قال ءانتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمون فكتموا وانما ظاهر الخطاب لمن لا يعلم فالجواب من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه عنادا فقد ... فوله المتبع المعرض على ما يعلم ان ... خبره ما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله عالم انه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه عالم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو حال الذات انه يعلم جميع المعلومات وقوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه اقوال احدها ان في قوله من الله ابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة لا بالكتمان ومعناها لا احد اظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله بين في كتابه صحة نبوة محمد والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كتموها الثاني ان من متصل بالكتمان اي من اظلم ممن كتم ما في التورية من الله اي من عباد الله او كتم شهادة ان يؤديها الى الله والثالث ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم الظلم يجوز على الفقير الضعيف من السلطان القوي الغني والمعنى انه بين لكم انه لا احد اظلم من الله اذا كتم شهادة عنده لو تم عباده في الضلال وهو الغني عن ذلك المتعالي عن لو كانوا هودا او نصارى لاخبر بذلك وهذا معنى قول البلخي وابي مسلم وقوله وما الله بغافل عما تعملون تهديد بما يجمع كل عبد ... بالغ عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله وقيل هو على عموم اي لا يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على الاعمال بالثواب والعقاب **قوله تعالى** تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون آية قد مضى تفسير هذه الآية وقيل وجه تكرارها انه عني بالاول ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء وبالثاني اسلاف اليهود انها في اختلاف الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيبا ووجه اتصال الآية بما قبلها انه يقول لهم اذا سلم ما ادعيتم من ان الانبياء كانوا على دين اليهودية والنصرانية فليس لكم فيه حجة لانه لا يمتنع اختلاف الشرايع بالمصالح ... نسخ من الشرايع شيئا ... على حسب ما يقتضيه الحكمة وقيل ... الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الآباء والاجداد فان ذلك لا ينفعهم ... **قوله تعالى** سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم آية **اللغة** السفيه الجاهل والغبي نظائر وقد ذكرنا معنى السفه فيما مضى ... ولي ... وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل ... ثم هكذا ابدا ... الذي يليه متوجها اليه فهو متول ... القبلة ... الحال التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحال التي يجلس عليها ... هو قبلة وانا الذي قبله ... **الاعراب** ما الثانية في محل النصب ... وهو مبتدأ وولاهم خبره ... **المعنى** ذكر الذين عابوا المسلمين في الانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال سيقول السفهاء من الناس يعني الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس ما ولاهم اي ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ... بيت المقدس الذي كانوا ... فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب ان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت اليها ... وقال السدي هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام واختلفوا في سبب مقالتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع اليها نتبعك ونؤمن بك ... عن ابن عباس انهم مشركوا العرب ... عن القبلة الاولى ... من ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون الى

المقدس فامروا بالتوجه الى الكعبة ليتميزوا من اولئك قل لله المشرق والمغرب هو رد من الله تعالى على الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك
لله يتصرف فيهما كما شاء على ما يقتضيه حكمته وهذا ابطال لقولهم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لانها موطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد
الله عليهم بان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلوة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي المدينة سبعة عشر شهرا وعن
البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله نحو البيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اورده مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان تسعة اشهر او عشرة اشهر
وعن معاذ بن جبل ثلثة عشر شهرا ورواه علي بن ابرهيم باسناده عن الصادق ع قال تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي صلعم بمكة ثلثة عشر سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلى
الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله يقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول الله من ذلك غما شديدا و
خرج في جوف الليل ينظر الى آفاق السماء ينتظر من الله في ذلك امرا فلما اصبح حضرت صلوة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين نزل عليه جبرئيل فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة
وانزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وكان قد صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء
ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلوة الى بيت المقدس لان مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفة لحجه فاحب الله ان يمتحن القوم بغير ما الفوه ليظهر من يتبع الرسول
ممن لا يتبعه قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يهديهم ويرشدهم الى الدين وما يتمسك الصراط طريق الجنة المؤدي اليها كما يؤدي الطريق الى المقصد وقيل طريق الجنة قوله تعالى

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة
الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم آية القراءة قرأ ابن كثير وابن نافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على فعول وقرأ ابو جعفر
لرؤف مثقلا بغير همز والباقون لرؤف على وزن رعف الحجة يحتمل قوله رؤف بناء فعول اكثر في كلامهم من فعل الا ترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يقظ وحذر وقد جاء
على هذه الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا يعلم خلافها قال كعب بن مالك الانصاري نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا قال ابو زيد ان لغة
اهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لعمرو وشر الطالبين فلا تكنه لقاتل عمه الرؤف الرحيم وقال جرير يرى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم اللغة الوسط العدل
قيل الخيار ومعناهما واحد لان العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي يعدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه قال المؤرج اي
وسطا بين الناس وبين نبيهم قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا طرقت احدى الليالي بمعظم قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط كما قيل اليابس
واليبس وفي صفة النبي ص كان من اوسط قومه اي من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب يرد على اعقابنا اي نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه
والعقبة الكرة بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقيب الرجوع الى امر تريده وفسر لم يعقب عقب الليل النهار وعقبة الاضاعة مصدر ضاع يضيع ضياعا وضيع الشيء
تضييعا قال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته يقال ما ضيعتك اي حرفتك وتقول كل رجل وضيعته ترك عيالا كضيعة ومضيعة وضيعة والضياع معروف واصل الضياع
الهلاك قال ابو زيد رؤفت بالرجل ارؤف به رأفة ورافة ورؤفت به ارؤف الاعراب في الاية ثلث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع
نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا وتكونوا في موضع جر باللام لانها اللام الجارة في الاصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام توكيد وهي لام الابتداء فصلت بينها
ان لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم ان المخففة من الثقيلة لئلا يلتبس بان النافية التي بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون
ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لانه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم لزيدا بمعنى الا زيدا واما في قوله
ما كان الله ليضيع ايمانكم فلام تاكيد نفي وتسمى لام الجحود ايضا وينتصب الفعل بعدها باضمار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها لان النفي لما كان الله مضيعا
ايمانكم فلما حمل معنا على التاويل حمل لفظه ايضا على التاويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك الكاف للتشبيه وهو موضع النصب
بالصدد وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كانه قيل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم
بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام الا ان جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذي والضمير العائد الى الموصول محذوف ومثله على الذين هداهم الله والجار والمجرور في
محل نصب على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الا على الذين هدى الله المعنى ثم بين سبحانه فضل هذه الامة على سائر الامم فقال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقد ذكرنا فيه
تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه انه جعل امة نبيه محمد عدلا وواسطة بين الرسول والناس ومتى قيل اذا كان في الامة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم
بذلك فالجواب ان المراد به من كانت بتلك الصفة ولان كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم وروى بريد بن معاوية العجلي عن الباقر ع قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه
وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال الينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن
علي عليه السلام ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا و
قوله لتكونوا شهداء على الناس فيه اقوال احدها لتشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا والآخرة كما قال وجيء بالنبيين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال
ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية والثاني ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم
الحق والدين ويكون الرسول عليكم شهيدا مؤديا للدين اليكم وتسمى الشاهد شاهدا لانه يبين ولذلك يقال للشاهد المبين والثالث انهم يشهدون للانبياء على
اممهم المكذبين لهم انهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي اياهم بذلك قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اي شاهدا بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل يشهد
لكم بانكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به ويكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قيل معنى كنت عليها اي صرت عليها
وانت عليها يعني الكعبة كقوله سبحانه كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني البيت المقدس الذي كانوا يصلون اليها اي ما امرناك بالقبلة التي كنت عليها الا

لنعلم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها الا لنعلم وحذف لدلالة الكلام عليها وفي قوله الا لنعلم اقوال احدها ان معناه الا لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين
كما يقول الملك فتحنا البلد كذا وقتلنا كذا اي فتح اوليائنا والثاني ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره لنعلمه موجودا ولا يصح وصفه بانه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده
والثالث ان معناه لنعاملكم معاملة المختبر الذي كانه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما والرابع ما قاله علم الهدى
المرتضى رحمه الله ان قوله لنعلم يقتضي حقيقته ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد الاتباع فاما قبل حصوله فيكون العلم له هو المنفرد بالعلم فصح حمل الاية
على حقيقتها قوله من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه يعني من يؤمن ويتبع اقواله وافعاله ممن ينقلب على عقبيه فيرتد لان جماعة ارتدوا لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيه
من وجوه الحكمة والاخراج المراد به كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بانه ادبر واستكبر وكذب وتولى اي عن الحق وقوله وان كانت
لكبيرة الا على الذين هدى الله الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالية اي وان كانت القبلة لكبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويلة ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد
وقتادة وهو الاقوى لان القوم انما ثقل عليهم التحويل لا نفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلوة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لان
العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا يعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة
وانما خص المؤمنين بانه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لانه ذكرهم على طريق المدح ولانهم الذين انتفعوا بهدى الله دون غيرهم كانه لم يعتد بهدايتهم وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
قيل فيه اقوال احدها انه لما حولت القبلة قال ناس كيف باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل انهم قالوا كيف
بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان قد مات اسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء فقالوا وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس ولم يكن على هذا ان يحمل الايمان
على صلوة في التصديق لانه لا يضيع تصديقكم بامر تلك القبلة وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه
من الكلفة لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن وثالثها انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما
حملوه اولا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم الذي استحققتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القاسم البلخي وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم وفيهم لا يضيع عملهم
عامل منهم والرحمة والرافة اشد الرحمة دل بالرافة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه فهل الله تعالى دليل على انه منعم على
الناس بتحويل القبلة واستدل كثير بهذه الاية على ان الاجماع حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدل فاذا عدلهم الله تعالى لم يجز ان يكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك
لان ظاهر الاية ان يكون كل واحد من الامة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك فمتى حملوا الاية على هذه الامة لم يكونوا بان يحملها على المعصومين من الامة من آل الرسول في هذه الاية دلالة
على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لانه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر انه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وانه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ قوله تعالى

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما
الله بغافل عما يعملون آية اللغة الرؤية ادراك الشيء بالبصر بظهور الانعاب ثم يستعمل بمعنى العلم والتقلب التحول والنصر النظر وهو التحرك في الجهات ويقال ولينه
القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لانك تقول وليت الدار فلا يكون فيه الا انه على انك وليتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت
الذي هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الدبر وقوله يولوكم الادبار فهذا منقول من قولهم ادبر عليك داره تقول
وليت مياسرة ولا يزال متنقلا فرح فرحا والرضا المحبة نظيره وانما يظهر الفرق بينهما بان المحبة ضد البغض والرضا ضد السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضي
عنه فكانه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل رضي عمله فكانه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام نحوه وتلقاءه قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم
يغشيكم قطعا اي نحو ثغركم وقال ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور اي نحوها وقال الزجاج يقولون هؤلاء القوم مشاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء
يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره نحوه وقصده ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطر الشيء جعله نصفين والمسجد الحرام
كان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح لفعله لان الباطل لا يقال له فعل الا مجازا الاعراب حيثما كنتم موضع
كنتم جزم بالشرط وتقديره حيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا يجازي بحيث اذ حتى يكف كل واحد منها بما ولذلك انهما لا يكونان الا متضمنا الا لما تعلق الخاء
قبل الجزاء بهما فالزمان المجازاة بالتكفه بما عن الاضافة لان الاضافة تمنع الجزاء بها وذلك لان الفعل اذا وقع في موضع اسم ارتفع المضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر
بالاضافة فيمتنع جوابا لجزاء مع جواب الشرط الذي يرفع فيه فلما كان كذلك كفى بما لتهيئها بجزم فعل الشرط بالجزاء فنوقع جملة يحتمل الرفع لو وقع موقع الفعل المضارع بعد الفاء
الفاء مع ما بعدها في محل الجزم لانه جواب الشرط وشطر منصوب على الظرف النزول قال المفسرون كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله فقال لجبرئيل وددت ان الله صرفني
عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبرئيل انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك واسأله ثم ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبرئيل بالذي
سأل فانزل هذه الاية المعنى قد نرى تقلب وجهك يا محمد في السماء لانتظار الوحي في امر القبلة وقيل في سبب تقليب النبي وجهه وجهان احدهما انه كان وعد بتحويل القبلة
عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى الجهة التي يتوقع وروده منها والثاني انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة
وكان لا يسأل الله ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله شيئا من غير ان يؤذن لهم فيه لانه لا يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابوا الى ذلك فيكون ذلك فتنة لقومهم واختلف في
سبب ارادته تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان
اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص
على الصلوة اليها وكان حريصا على استمالتهم الى الدين ويحتمل ان يكون انما احب ذلك لجميع هذه الوجوه لا تنافي بينها قوله فلنولينك قبلة ترضيها اي فلنصرفنك الى قبلة

المعرفة بطريق المعرفة وكل واحدة من المعرفتين كالاخرى وان اختلف الطريقان وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون انما خص الفريق منهم لان من اهل الكتاب من اسلم
كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما **قوله تعالى** الحق من ربك فلا تكونن من الممترين آية **اللغة** الامتراء الاستخراج وقيل الاستدلال [illegible]

[illegible]

[illegible]

ظلموا منهم فكانه قيل لئلا يكون عليكم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحجة عليهم الكفار غير قطرب هو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذا الوجه بعيد والاختيار القول الاول
المعنى [illegible] الكلام في معنى [illegible] الاية وقيل في تكراره وجوه احدها انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا على التوجه الى بيت المقدس فول وجهك
شطر المسجد الحرام والمراد بالثاني اين كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار وثانيها انه من مواضع التاكيد [illegible]

[illegible]

السجن للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعوني استجب لكم وروي عن ابي جعفر
الباقر ع قال كان النبي ص [illegible] الملك ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فاعملوا في اولها خيرا وفي آخرها خيرا فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله تعالى فان الله
يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الاية ان الله ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره [illegible]
تكفرون ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية **قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين**
اية الاعراب الذين امنوا موضعه ضم بانه صفة لاي [illegible]

[illegible]

تشعرون اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه الاية دلالة على صحة مذهبنا في سؤال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخي الاية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر **قوله تعالى** ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين اية **اللغة** البلاء يكون بالخير والشر والخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخمصة والمجاعة عام فيه جوع حقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع والشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله والجوع قيل اما الشبع فهو معنى عند ابي علي الجبائي وهو فعل الله وعند ابي هاشم ليس بمعنى وكذا القول في العطش والري النقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما نقص الشيء ونقصته انا يتعدى ولا يتعدى ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس والنقيصة ايضا الخوف ويتنقصه تناول عرضه واصل النقص الحط عن التمام والمال معروف واموال العرب انعامهم وجل ما لهم ذو دهما والثمرة افضل ما تحمله الشجرة **الاعراب** فتحت الواو في ولنبلونكم لانه الزاعم ولننصرنكم وهو مبني على الفتح لانها اخف واستحق البناء على الحركة كما استحق ايذ في الدنيا لحكم البناء على الحركة من الخوف والجوع الجار والمجرور صفة شيء **المعنى** ثم بين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقيب بيانه ما امتحنهم به من نوع الشدائد فقال ولنبلونكم اي ولنختبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم وانما خاطب اصحاب النبي صلى الله عليه وآله عن عطاء والربيع وقيل انه خطاب لجميع الخلق لانه ايضا يصح بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال وانما قال من الخوف على جهة التبعيض لانه لم يكن مؤبدا واعلمهم تعالى ذلك ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي لما لهم فيها من المصلحة فاما الخوف فكان من قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش وتخليهم الى الانفاق فيه وقيل للقحط الذي لحقهم والجدب الذي اصابهم وسبب نقص الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص الانفس بالقتل في الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل نقص الاموال بهلاك المواشي والانفس بالموت قوله والثمرات قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة النبات وارتفاع البركات وقيل اراد موت الاولاد والولد ثمرة القلب انما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البساتين عن اكثر الثمار فيقل بذلك البساتين وحمل النبات في البيس وجعل الابتلاء بهذه الاشياء لما فيه من الحكم لانها تنطوي على المصالح والاغراض وتذخر الله تعالى لهم ما يرضيهم من جلائل الاعواض وقيل جعله لطفا في ذلك فلولا تقدمة ان من جاء من بعدهم اذا ابتلي مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم لنقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم صحابة النبي والاخر الكفار اذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة الرسول وموافقتهم له ونالهم هذه المكاره فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقاء السريرة علموا انهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين وكونهم من صحة قصدهم على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين وقوله وبشر الصابرين اي اجزهم بما لهم على الصبر على تلك المشاق والمكاره من المثوبة الجليلة والعاقبة الجميلة **قوله تعالى** الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ايتان **القراءة** اما الكسائي في بعض الروايات فالنون في انا واللام في لله والباقون بالتفخيم **الحجة** وانما جاز الامالة في هذه الالف مع انه لا يمال مثله كثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة فالقراء لا يجوزون امالة انا مع غير لله في مثل قولك انا زيد وانما يجوز ذلك لان الاصل في الحروف وما جرى مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة الا حتى ولكن تمالا بين لان الحرف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال **اللغة** المصيبة المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كانها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير الشيء الى ما كان يقال رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير **المعنى** ثم وصف تعالى الصابرين وقال الذين اذا اصابتهم مصيبة اي نالتهم نكبة في النفس او المال فوطنوا انفسهم على ذلك احتسابا للاجر قالوا انا لله هذا اقرار بالعبودية اي نحن عبيد الله وملكه وانا اليه راجعون هذا اقرار بالبعث والنشور اي نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المؤمنين ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة على ان الله يجبرها ان كانت عدلا وينصف من فاعلها ان كانت ظلما وتقديره انا لله تسليما لامره ورضى بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا نصير الى عدله وانفراده بالحكم في امورنا وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال عليه السلام من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثل يوم اصيب وروى الصادق عليه السلام عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه كتبه الله من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن اذا انعم الله عليه النعمة قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون وقوله اولئك اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين عليهم صلوات من ربهم اي ثناء جميل من ربهم وتزكية وهو بمعنى الدعاء لان الثناء يستحق وانما يفيد معنى اللزوم كما ان الدعاء يكون مرة بعد مرة فيفيد معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم عن ابن عباس وقيل مغفرة من ربهم ورحمة اي نعمة عاجلا وآجلا فالرحمة النعمة على المحتاج الى نعمة الله دنيا وعقبى واولئك هم المهتدون اي المصيبون طريق الحق في الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب كان عمر بن الخطاب اذا قرأ هذه الاية قال نعم العدلان ونعم العلاوة **قوله تعالى** ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم اية **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير عاصم ومن يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك ما بعده والفعل فيه يعقوب في الاول والثاني بتطوع على انه فعل ماض وروي في الشواذ عن علي وابن عباس وانس وسعيد بن جبير وابي بن كعب وابن مسعود الا يطوف بهما **الحجة** يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زائدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وكقوله من غير لا عصف ولا اضطراب اي من غير عصف ويطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم التاء في الطاء لتقاربهما **اللغة** الصفا في الاصل الحجر الاملس مأخوذ من الصفو وواحده صفاة قال امرؤ القيس كما زلت الصفواء بالمتنزل فهو مثل حصاة وحصا ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال المبرد الصفا كل حجر لا يخالطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لانك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته والمروة في الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذؤيب حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع والمرو نبت والصلابة الصلابة فالنبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد جاء اسم لجبلين معروفين بمكة والالف واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعائر المعالم للاعمال وشعائر الله معالمه التي جعلها مواطن العبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلوة او غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته من موقف او مسعى او منحر من شعرت به اي علمت قال الكميت نقتلهم جيلا فجيلا اراهم شعائر قربان بهم يتقرب والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار وفي الشرع عبارة عن قصد البيت بعمل مخصوص

مبحث

بيان معنى المصيبة في اللغة

من الاحرام والطواف والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا يعني يكثرون التردد اليه لسؤدده والعمرة هي الزيارة اخذ من العمارة لان الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المخصوص والجناح الميل عن الحق يقال جنح اليه جنوحا اذا مال واجنحته فاجتنح اي املته فمال وجناحا الطائر يداه وبدا الانسان جناحاه وجناحا العسكر جانباه والطواف الدوران حول الشيء ومنه الطائف وفي عرف الشرع الدوران حول البيت والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة ويطوف اصله يتطوف ومثله يطوع والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلها الطوع الذي هو الانقياد والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بانه شاكر مجازا وتوسعا لانه في الاصل هو المظهر للانعام عليه والله تعالى عن ان يكون عليه نعمة لاحد **الاعراب** **قوله** فمن حج ومن تطوع يحتمل من فيهما ان يكون من موصولة بمنزلة الذي والاحسن ان يكون للجزاء فان كان موصولة فلا موضع للفعل الذي بعده وهو صلته وموضع من رفع بالابتداء والفاء مع ما بعدها في قوله فلا جناح عليه وفان الله شاكر عليم في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الموصول وان كان للجزاء كان الفعل الذي بعده في موضع الجزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم الذي هو جزاؤه والفعل الذي هو حج او تطوع على لفظ الماضي والمعنى به المستقبل كما انك تقول ان اكرمتني اكرمتك وكذلك قوله فان الله شاكر عليم انما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدأ وان لم يكن فيه ضمير عائد لان تقديره فان الله تعالى يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة وايجاب المكافاة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن في موضع جزم الا ترى ان هذه الفاء تؤذن بان الثاني وجب لوجوب الاول **المعنى** لما ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف لا له مرة بالمصائب والالام اخرى ذكر سبحانه ان من جملة ذلك امر الحج فقال ان الصفا والمروة من شعائر الله اي من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن عباس وقيل من دين الله عن الحسن وقيل فيه حذف تقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وروي عن جعفر بن محمد الصادق انه قال نزل آدم على الصفا ونزلت حواء على المروة فسمي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة وقوله فمن حج البيت اي قصده بالافعال المشروعة او اعتمر اي زار البيت للنسك المشروع وقوله فلا جناح عليه اي فلا حرج عليه ان يطوف بهما قال الصادق عليه السلام كان المسلمون يرون ان الصفا والمروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه الاية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب او طاعة على الخلاف فيه لانه كان على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لاجل الصنمين فانزل الله هذه الاية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تحرجهم عن الطواف بهما لا الى عين الطواف كما لو كان الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلوة الى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلوة لان عين الصلوة واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان وروي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل من اصحابه حتى اعيدت الاصنام فجاؤوا الى رسول الله فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اعيدت الاصنام فنزلت هذه الاية فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي والاصنام عليهما قال فكانوا يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبي رمى بها وقوله ومن تطوع خيرا فيه اقوال احدها ان معناه من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعدما ادى الواجب ذلك عن ابن عباس وغيره وثانيها ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم وثالثها ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع الطاعات عن الحسن من قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله فان الله شاكر عليم اي مجازيه على ذلك انما ذكر لفظ الشاكر تلطفا بعباده ومظاهرة في الاحسان الانعام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله لا يستقرض عن عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اي يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق في حال غناه ويأخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته فكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكر من حيث انه يوجب الثناء له والثواب سمى نفسه شاكرا وقوله عليم اي بما يفعلونه من الافعال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبخس احدا حقه وفي هذه الاية دلالة على ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض في الحج والعمرة وبه قال الحسن وعائشة وهو مذهب الشافعي واصحابه وقال انس اوجبت السعي وهو قوله كتب عليكم السعي فاسعوا واما طائفة من الاية فلا يدل على الجنة ما كره هو من السعي وعند ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو خيار الجبائي وروي ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له **قوله تعالى** ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اية **النزول** المعني بالاية اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في التوراة والانجيل مبينا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وهو اكثر اهل العلم وقيل انه يتناول كل من كتم ما انزل الله وهو اختيار البلخي وهو اقوى لانه اعم فيدخل فيه اولئك وغيرهم **المعني** ثم حث سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتمانه فقال ان الذين يكتمون اي يخفون ما انزلنا من البينات اي من الحجج المنزلة في الكتب والهدى اي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل نعم بالوعيد كتمان جميعها وقيل المراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته وبالهدى ما يؤديه الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظيهما من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يعني في التوراة والانجيل من صفته ومن الاحكام وقيل في الكتب المنزلة من عند الله وقيل المراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن اولئك يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة لانه لا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة ويلعنهم اللاعنون قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله تعالى عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك عن قوم قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل انما اضيف اليها فعل ما يعقل لانه وصفت معاملة من يعقل كقوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لان الله يلهمهم اللعن عليهم لما في ذلك من الزجر عن المعاصي لان الناس اذا علموا انهم اذا علموا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب لهو ما كان انه في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الاخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم وفي هذه الاية دلالة على ان كتمان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو شريكهم في عظم الجرم يلزمه ما الزمهم

١٥٨ السورة

نظر في معنى لا جناح

١٥٩ التابوه

[illegible]

ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وفيها أيضا دلالة على وجوب الدعاء إلى التوحيد لأن في كتاب الله ما
يدل عليها [illegible] من الأدلة قوله تعالى إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم أية اللعنة التوبة هي الندم الذي
[illegible]
على سقوط العقاب عنده هذه التوبة [illegible]
هو المقطع الإعراب موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب [illegible]
[illegible] المعنى [illegible]
هذه الآية [illegible] الذين تابوا [illegible] وأصلحوا [illegible]
[illegible] التوبة وإصلاح السريرة بالإظهار [illegible]
[illegible] التوبة [illegible] أتوب عليهم [illegible]

[illegible]

والدبور متقابلان فالصبا من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب انشد ابو زيد اذا قلت هذا حين اسلو يهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر فاذا جاءت الريح

[illegible]

[illegible]

والاسباب الوصلات واحدها سبب ويسمى الحبل سببا لانه يتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بئر او غيره ووصفت به من [illegible] والكرة الرجعة
والفعل عطف على فراره عطفة كر المنهزم وجاء ثم كر والكر نقيض الفر [illegible] والكر الرجوع عن الشيء والكر الحبل الغليظ وقيل الشديد الفتل والحسرة
وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لان الحسرة تقع على ما فات بوقوعه او بنقيضه [illegible]
والندامة من النظائر يقال حسر يحسر حسرا وحسرة اذا كل كما كل على الشيء الفائت وتلهف عليه واصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها وحسر عن ذراعيه
حسرا والحاسر الذي لا درع له ولا مغفر **الاعراب** العامل في اذ قوله شديد العذاب [illegible] وقت التبرؤ وانتصب فنتبرأ على انه جواب التمني بالفاء كانه قال لو ان لنا كرة
فنتبرأ وكلما عطف الفعل على ما تأويله تأويل المصدر نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها فيه [illegible] بلفظ المصدر لانه لما حمل الاول على التأويل حمل الثاني على التأويل
ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستيناف اي فنحن نتبرأ منهم على حال واما قوله لو ان لنا كرة فموضع ان رفع بفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لان لو في التمني وغيره
يطلب الفعل ان شئت قلت تقديره لو ثبت ان لنا كرة واما قول ان جواب لو هنا ايضا التقدير محذوف ولذلك اذا دخلت في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لنا
كرة فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك [illegible] وهذا شيء اخرجه الى الاضمار [illegible] وهو الصحيح [illegible] واما العامل في الكاف
كذلك [illegible] يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبرؤ بعضهم من بعض ذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما وقيل تقديره يريهم اعمالهم حسرات كما اراهم العذاب
ذلك لانهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما **المعنى** لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه اذ تبرأ الذين اتبعوا وهم القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطاء وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدي وقيل شياطين الانس والجن والاظهر هو الاول من الذين اتبعوا اي الاتباع
ورأوا العذاب اي راى التابعون والمتبوعون العذاب حين يدخلون النار وتقطعت بهم الاسباب فيه وجوه احدها الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع والثاني
الارحام التي كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس والثالث العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا والرابع تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها عن ابن زيد والسدي
والخامس تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي والظاهر ان الاية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكانه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن ان يتعلق به فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من
منزلة او قرابة او مودة او حلف او عهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في الاياس وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف فنتبرأ
منهم اي من القادة في الدنيا كما تبرؤوا منا في الاخرة [illegible] حسرات عليهم قيل في ذلك اقوال احدها ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي والثاني
المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها عن السدي والثالث ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا
فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره والرابع ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه والاية محتملة لجميع هذه الوجوه
فالاولى الحمل على العموم وما هم بخارجين من النار اي يخلدون فيها بين سبحانه في الاية انهم يتحسرون في وقت لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحسر في وقت تنفع فيه الحسرة
اكثر المفسرين على ان الاية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الاية دلالة على انهم كانوا قادرين على الطاعة والمعصية [illegible] المعقول [illegible] الانسان على ترك ما كان يمكنه
الانفكاك عنه او على فعل ما لا يمكنه الاتيان به [illegible] لا يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين اية **القراءة** قرأ نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر والبزي خطوات بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها [illegible]
وهمزة وعن ابي السمال خطوات بفتح الخاء والطاء **الحجة** ما كان على فعلة من الاسماء فالاصل في جمعه التثقيل نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات [illegible] فاصلة بين الاسم والصفة
ومن سكنه فقال خطوات [illegible] الهمزة [illegible] فكانه ذهب بها مذهب الخطيئة [illegible]
الاخفش وقال ابو حاتم [illegible] فانقلبت همزة [illegible] ومن فتح الطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل تمرة وتمرات **اللغة** الاكل هو البلع عن مضغ [illegible]
وما اشبه ذلك ليس باكل في الحقيقة [illegible] والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد [illegible]
حلالا لانحلال عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعال الله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال اذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلا ولا
يحل حلولا وحل العقد يحله حلا [illegible] والطيب هو الخالص من شائب ينغص وهو على ثلاثة اقسام الطيب المستلذ والطيب
الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر والجائز تشبيها اذ ما يزجر عنه العقل او الشرع كالذي تكرهه النفس [illegible]
والطيب الحلال والطيب النظيف واصل الباب الطيب خلاف الخبيث الخطوة بعد ما بين قدمي الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوة واحدة وجمع الخطوة خطاء
اصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان اثاره والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي نقيضه **الاعراب** حلالا [illegible] قوله مما
في الارض يتعلق بكلوا او بمحذوف يكون في موضع النصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا [illegible] طيبا صفة بعد صفة **النزول** عن ابن عباس انها نزلت
في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج لما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك **المعنى** لما تقدم سبحانه ذكر
التوحيد واهله والشرك واهله اتبع ذلك بذكر ما انعم به على الفريقين من النعم [illegible] ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفر فقال يا ايها
الناس هذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني ادم كلوا لفظه لفظ الامر ومعناه الاباحة مما في الارض حلالا طيبا لما اباح الاكل بين ما يجب ان يكون عليه من الصفة لان في الماكول
ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما تناوله الحظر ولا يكون لغير الاكل فيه حق [illegible]
واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا جمع بينهما لاختلاف اللفظين تاكيدا وقيل معناه ما يستطيبونه ويستلذونه [illegible] ولا تتبعوا خطوات الشيطان [illegible]
فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتادة وقيل طاعتكم اياه عن السدي وقيل اثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان من خطوات

الشيطان الحلف بالطلاق والنذر في المعاصي وكل يمين بغير الله وقال القاضي [illegible] الشيطان وخطوطه وقال الماوردي هو ما ينقلهم من معصية الى معصية
حتى يستوعبوا جميع المعاصي ماخوذ من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده انه لكم عدو مبين اي مظهر للعداوة بما يدعوكم اليه من خلاف الطاعة لله
تعالى واختلف الناس في المآكل والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر واختاره المرتضى ومنهم من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه
الاية دالة على اباحة المآكل الا ما دل الدليل على حظره فجاءت مؤكدة لما في العقل قوله تعالى انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اية **اللغة**
الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فاما الامر في اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الامر مريدا للمامور به وقيل هو الدعاء الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل
قبيح يزجر عنه العقل والشرع وسمي بذلك لانه تسوء عاقبته [illegible] وقيل انما سمي القبيح سوءا [illegible]
الفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظائر وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال فحش فحشا [illegible] وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء
وكل ما لا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة معناه خروجها من بيتها من غير ان تؤذن لزوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية
ذلك كالكلام [illegible] ابي عمرو [illegible] عن معنى الحكاية فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بانه يحكي بعد كلاما وليس كذلك اذا قال تكلم زيد فانه
لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشيء على ما هو به للمدرك له **المعنى** لما تقدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو اليه من خلاف
الدين فقال انما يامركم بالسوء اي المعاصي [illegible] وقيل ما يسوء فاعله [illegible] والفحشاء قيل المراد به الزنا وقيل السوء لا حد فيه
والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس وان تقولوا على الله ما لا تعلمون [illegible] وقيل اراد به جميع مذاهبهم الفاسدة
والاعتقادات الباطلة ولقائل ان يقول على هذا ان يقال كيف يامرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه اليه كما تقول نفسي
تامرني بكذا اي تدعوني اليه وقيل انه يامر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة
هي الصوت الخفي [illegible] ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقي اليه الشيطان وبين ما هو حديث النفس فالقول انه لا ضير
عليه اذا لم يميز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يامر بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون من قبل الشيطان الذي تبين له عداوته فيكون ادعى الى [illegible]
الطاعة [illegible] وترك المعاصي مع ميل النفس [illegible] هو عدو له قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اية **اللغة** الفينا اي صادفنا ووجدنا والاب الوالد [illegible] **الاعراب** اولو
واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع [illegible] همزة الاستفهام للتوبيخ [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] معناه اتتبعهم على كل حال وليس كذا
اتتبعهم لو ضل [illegible] **النزول** ابن عباس قال دعا النبي اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا فهم كانوا اعلم منا [illegible] **المعنى** لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد
وترك الاجابة الى الاقرار [illegible] بما جاء به من الكتاب المجيد فقال واذا قيل لهم اختلف في الضمير في لهم الى من يعود فقيل يعود الى من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وقيل يعود الى الكفار اذ قد جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقائل لهم هو النبي والمسلمون اتبعوا
ما انزل الله اي من القرآن وشرائع الاسلام وقيل في التحريم والتحليل قالوا اي الكفار بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين وفي
التمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا اي لا يعلمون شيئا من امور الدين ولا يهتدون اي لا يصيبون طريق الحق [illegible]
لا يعلمون شيئا [illegible] فاذا صح انه يجب النظر [illegible] فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء قوله
تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون اية **اللغة** [illegible]
بالغنم نعق ينعق نعيقا اذا صاح بها زجرا قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ونعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه
ويحركها ونغق بالغين معناه فاذا مد عنقه وحركها ثم صاح [illegible] والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يسمى الهنعة وهما اضوأ
كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الامر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر نادى مناداة ونداء [illegible]
[illegible]
[illegible] **المعنى** [illegible]
الى التقليد فقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اختلف في تقدير الكلام وتاويله على وجوه اولها ان المعنى مثل الذين كفروا في
دعائك اياهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا يحصل لها من دعاء الراعي الا السماع
دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك اياهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى [illegible] فيكونون بمنزلة من لم يعقله
[illegible] وهذا كما تقول فلان يخافك كخوف الاسد المعنى كخوفه من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر [illegible]
[illegible] وهذا اختيار ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري [illegible]

من قوله يأمر الى قوله الفحشاء

الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي كمثل الانعام المنعوق بها والناعق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول
ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر اراد الحر والبرد وقال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى
بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا الاخير تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعي الى الايمان بالراعي وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام
فحذف ما حذف للايجاز وابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي فيما ابقاه دليل على ما القاه فتاويلها ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام كمثل الراعي في
دعائه الانعام بتعال وما يجري مجراه من الكلام فكما ان من دعا البهائم يعد جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لان البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها ذلك
ايضا عن ابي القاسم البلخي وغيره وثانيها ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع فتكون جملة ويكون المثل مضروبا للذي
غير الغنم وما اشبهها مما لا يسمع ثم لم يفهم على هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء بينعق وما الا ملغاة لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق ثم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا لحم
محل بحرم والمعنى ثم القوم حيث سلوا سيوفهم وثالثها ان يكون المعنى مثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء الناعق فاضاف سبحانه المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى
مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا
ما تجهره اي تحلى بالعين وانشد ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة
عاقل اي ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك الا ما اطيق اراد فديت بنفسي نفسه ثم وصفهم تعالى بما يجري مجرى التهجين
والتوبيخ فقال صم بكم عمي اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد بينا ذلك في اول السورة وبسطنا فيه فهم لا
يعقلون اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ لم ينتفعوا بعقولهم **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون آية **اللغة** الشكر
هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم فيكون على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بلسانه لا اعتقاد لها والثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم في
كل حال من احوال الذكر والثاني يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية فيه ليس وراءها شكر ويقترن بها ضرب من الخضوع
ولا يستحق العبادة الا الله لانها انما تستحق باصول النعم التي هي الحياة والقدرة والشهوة وانواع المنافع بقدر من النفع لا يوازنه نعمة منعم فلذلك اختص سبحانه باستحقاقها
الاعراب ما رزقناكم موصول وصلة والعائد من الصلة الى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط محذوف وتقديره ان كنتم اياه تعبدون
فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله **المعنى** خاطب سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمه الظاهرة عليهم لحثهم المبين لهم فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا ظاهره الامر والمراد
به الاباحة لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقيل انه امر من وجهين احدهما بالاكل من الحلال والآخر بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي هذا انما يفرض
في بعض الاوقات والآية غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة من طيبات ما رزقناكم اي ما استلذذتموه وسمي طيبا لا دلالة على النهي عن اكل الخبيث في قول
البلخي وغيره كانه قيل كلوا من الطيب دون الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان دالا على حظر الحرام هذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا بد له من دليل
منه لان قول القائل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عداه لانه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة وما عداه موقوف على بيان آخر وليس كذلك
ما ذكره لانه يكون بيان الشيء تقبيح ضده واشكروا الله بما سخر لنعم عليكم بما جعله لنا من لذيذ الرزق وامرنا بالشكر لان الانعام يقتضي الشكر وقوله ان كنتم اياه تعبدون
اي ان كنتم تعبدونه من علم بكونه منعما عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط ههنا انما هو على وجه المظاهرة في الحجاج والمخرج الكلام ان
كانت العبادة لله واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم بانه منعم محسن اليكم **قوله تعالى** انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم آية **القراءة** قرأ ابو جعفر الميتة مشددة كل القرآن وقرأ اهل الحجاز والشام والكسائي فمن اضطر غير باغ بضم النون وابو
جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون **الحجة** الميتة اصلها الميّتة فحذفت الياء الثانية استخفافا لثقل الياءين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف
وقوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل وما الكسر فعلى اصل الحركة لالتقاء الساكنين واما قراءة ابي جعفر فمن اضطر فلان الاصل اضطرر
الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها للادغام ان تطاع على حركتها الاصلية **اللغة** الاهلال
في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان والمسلمون يسمون الله فاهلال المحرم انعقاده والهلال لانه رفع الناس اصواتهم عند رؤيته
بالتكبير والمحرم يهل بالاحرام وهو ان يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث
للانسان فلا يمكنه الامتناع منه الفرق بين الاضطرار والالجاء ان الالجاء تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر او النفع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين
رجل لحم اذا كان اكولا للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والملحمة القوم اذا قتلوا وصاروا لحما والملحمة الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريق اذا اتبع واللحمة قرابة النسب وتصل الثياب
القرابة ولحمة اللحم للزوم بعضه بعضا اصل البغي الطلب قولهم بغى الرجل حاجته يبغيها بغيا قال الشاعر لا يمنعنك من بغاء الخير تعقاد التمائم ان الاشائم كالايامن والايامن
كالاشائم والبغاء طلب الزنا والعادي المتعدي **الاعراب** انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي وانما
كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان ان كانت للتوكيد وانضمت اليها ما للتوكيد ايضا اكدت من جهة التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا
بشر كان تقديره ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت مفصولة ومثله قوله تعالى انما الله اله واحد اي لا اله الا الواحد ومثله انما انت نذير اي لا نذير الا انت فاذا
ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة الا النصب لان ما كافة ولو كانت ما بمعنى الذي لجاز في الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان تقع الا ههنا
في موضع غير لما قلناه انه بمعنى النفي ولذلك عطف عليه بلا فاما الا فمعناها في الاصل الاختصاص البعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه **المعنى** لما ذكر سبحانه

التبيان عقيبه بتحريم المحرمات فقال انما حرم عليكم الميتة وهو ما يموت من الحيوان والدم ولحم الخنزير خص اللحم لانه المعظم والمقصود والا فجملته محرمة وما اهل به
لغير الله قيل فيه قولان احدهما انه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والآخر انه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والاول اوجه فمن اضطر الى اكل هذه
الاشياء ضرورة وهو مجاهد عن اكثر المفسرين وقيل ضرورة اكراه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع لا يجد ماكولا يسد به الرمق وقوله غير باغ وفيه
ثلاثة اقوال احدها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة عن الحسن وقتادة ومجاهد والربيع وثانيها غير باغ في الافراط ولا عاد في التقصير عن الزجاج وثالثها غير باغ على امام
المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض علي بن عيسى على هذا القول بان قال ان الله لم يبح
قتل نفسه والمعرض للقتل قتل بحكم الدين ولان الرخصة لاجل المجاعة لا لاجل سفر الطاعة وهذا فاسد لان الباغي على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحة ما
حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله ان الرخصة لاجل المجاعة غير مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها فلا اثم عليه اي لا حرج عليه
وانما ذكر هذا اللفظ ليبين انه ليس بمباح في الاصل وانما رفع الحرج لاجل الضرورة ان الله غفور رحيم انما ذكر المغفرة لاحد الامرين اما ليبين انه اذا كان يغفر خطيئة المعصية فانه لا
ياخذ بما رخص فيه اولى والآخر وعد بالمغفرة عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها **قوله تعالى** ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم آية **اللغة** البطن خلاف الظهر والبطن الغامض
من الارض والبطن من العرب دون القبيلة **الاعراب** الذين مع صلته منصوب بان واولئك رفع بالابتداء وخبره ما ياكلون في بطونهم الا النار والمبتدأ وخبره جملة في موضع الرفع
بكونها خبر ان والنار نصب بياكلون **النزول** المعني بهذه الآية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وكعب بن اسد كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال مأكلهم فغيروا صفته فانزل الله هذه الآية **المعنى** ثم عاد
الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل كتموا الاحكام عن الحسن و
الكتاب على القول الاول هو التوراة وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القرآن وعلى سائر الكتب ويشترون به ثمنا قليلا اي يستبدلون به عوضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا
به ثمنا كثيرا كان جائزا بل الفائدة فيه ان كل ما ياخذونه في مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله في القرآن كثير قال ومن
يدع مع الله الها آخر لا برهان له به يقتلون النبيين بغير حق وغيره لا يدل على ان من ادعى ان مع الله الها آخر لا يقول على قوله برهانا وان قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك
بان وصف الشيء بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله في الشعر قول النابغة يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد اي ليس بها رمد فيكحل به وقول الآخر
نعم اناس قد ابرزوا من تعبد لا يعض على شرسوفه الصفر اي ليس بشائن ولا وصب فيعض ومن اجلها وقول سويد اي لا كاهل من اناس ليس اخلاقهم على الفحش ولا الجزع
لم يرد ان في اخلاقهم تحت العلل الاجزعا غير شيء بل نفى الفحش والجزع عن اخلاقهم وفي امثال هذا كثرة اولئك يعني الذين كتموا ذلك لاخذ الاجر على الكتمان ما ياكلون في
بطونهم الا النار معناه ان اكلهم في الدنيا وان كان طيبا في الحال فكانهم لم ياكلوا الا النار لان ذلك يؤديهم الى النار كقوله سبحانه في اكل مال اليتيم انما ياكلون في بطونهم نارا
عن الحسن والربيع واكثر المفسرين وقيل انهم ياكلون النار حقيقة في جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما اكلوا في بطونهم نارا يوم القيامة فسماه في الحال بما يصير اليه في المآل وانما ذكر
البطون وان كان الاكل لا يكون الا في البطن لوجهين احدهما ان العرب تقول جعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى شبعه فذكر ذلك لازالة اللبس الآخر انه لما استعمل
المجاز بان اجري على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم ولا يكلمهم الله يوم القيامة فيه وجهان احدهما انه لا يكلمهم بما يحبون وفي ذلك دليل على
غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسؤال والتوبيخ وبما يغمهم كما قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائي والثاني انه لا يكلمهم اصلا
فتحمل آيات المسائلة على ان الملائكة تسألهم عن الله بامره وتاول قوله اخسئوا فيها على دلالة الحال فانما يدل نفي الكلام على الغضب في الوجه الاول من حيث ان الكلام في
الاصل للفائدة فلما انتفى الفائدة على وجه الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه الغم والايلام فخارج عن ذلك ولا يزكيهم معناه لا يثني عليهم ولا يصفهم بانهم
ازكياء ومن لا يثني الله عليه فهو معذب وقيل لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمغفرة ولهم عذاب اليم اي موجع مؤلم **قوله**
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار آية **الاعراب** ما اصبرهم قيل ان ما للتعجب كالتي في قوله قتل الانسان ما اكفره اي فاعجب
محل ما يتعجب منه وحكي عن بعض العرب انه قال لخصمه ما اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اي شيء اصبرهم يقال اصبرت السبع والرجل
نحو اذا نصبته لما يكره قال الحطيئة قلت لها اصبرها دائما وبحتا مثال الطر فيه قليل اي ان رمتها اصطرها **المعنى** اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اي استبدلوا الكفر بالايمان به فصار ذلك لهم من الشقوة كالسلعة بالثمن وقيل المراد بالضلالة كتمان امر محمد مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة
العذاب وبالهدى الثواب طريق الجنة اي استبدلوا النار بالجنة قوله والعذاب بالمغفرة قيل انه تاكيد لما تقدم عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا
ما اعد الله لمن عصاه من العقاب ولمن اطاعه من الثواب ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية معيين عن القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة فائدة كان اولى
فكان شراؤهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل واشتراؤهم العذاب بالمغفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله فما
اصبرهم على النار فيه اقوال احدها ان معناه ما اجرأهم على النار وذهب اليه الحسن وقتادة ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام والثاني ما اعملهم بعمل
اهل النار عن مجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والثالث ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج والرابع ما ادومهم على النار اي ادامهم على
عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاءك بحاتم اي بسخاء حاتم عن الكسائي وقطرب على هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لانه عالم بجميع
الاشياء لا يخفى عليه شيء والتعجب انما يكون مما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فالغرض ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم والقائل ما روي عن ابن عباس.

ان المراد اي شيء اصبرهم على النار اي جرأهم عليها فتكون للاستفهام ويجوز حمله على الوجوه الثلثة المتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اي شيء جرأهم على النار و اعلمهم باعمال اهل النار واقامهم على النار فقال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب قال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجب لنا كما يقال لمن وقع في ورطة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض للوقوع فيها والمراد به الانكار والتقريع على اكتساب اسباب الهلاك وتعجيب الغير منه ومن قال معناه ما اجرأهم على النار فانه عنده من الصبر الذي هو الحبس ايضا لان بالجرأة يصبر على الشدة **قوله تعالى** ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد **اللغة** الاختلاف الذهاب على جهة التفرق في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء ذاك من هناك ثم استعمل في الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الاخر من الاعتقاد وما الاختلاف والاجناس فهو ما لا يسد احدهما مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض الشقاق والمشاقة انحياز كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه للعداوة له وهو كل واحد منهما ما يشق على الاخر لاجل العداوة **الاعراب** قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف والمعنى ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اي الامر ذلك ويجوز ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك لان في الكلام ما يدل على فعلنا **المعنى** ذلك اشارة الى احد ثلثة اشياء اولها ذلك الحكم بالنار عن الحسن وثانيها ذلك العذاب وثالثها ذلك الضلال وفي تقدير خبره ثلثة وجوه احدها ما ذكرناه من قول الزجاج وثانيها ان تقديره ذلك الحكم الذي حكم فيهم او حل بهم من العذاب ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه والثالث ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق ويكون الباء مع ما بعده في موضع الخبر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على ظاهره ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الضلال والعذاب بان الله نزل الكتاب بالحق ففي الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب ههنا التورية وقال الجبائي هو القران وغيره وقال بعضهم المراد بالاول التورية وبالثاني القران وان الذين اختلفوا في الكتاب قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا في القران على اقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال هو كلام تعلمه ومنهم من قال تقوله وقيل هم اهل الكتاب اليهود والنصارى عن السدي اختلفوا في التأويل والتنزيل من التورية والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وجحدوا الانجيل والقران وقوله لفي شقاق بعيد اي بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب وقيل بعيد في الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل في خلاف شديد فيما يتصل باحكام التورية والانجيل **قوله تعالى** ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون آية **القراءة** قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزة ليس البر ان تولوا بنصب الراء والباقون بالرفع وفي الشواذ عن ابن مسعود وابي ليس البر بان تولوا بالباء وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب **الحجة** قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكي عن بعض شيوخنا انه قال في هذا النحو يكون ان و صلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر … **اللغة** البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون بمعنى البار … والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير ايهما اشد حالا فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي هو له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابي حنيفة وقال الاخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين الذي له شيء يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل المنقطع به اذا كان في سفر محتاجا وان كان في بلده ذا يسار وهو من اهل الزكوة وقيل انه الضيف عن قتادة وانما قيل للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق والرقاب جمع رقبة وهي اصل العنق ويعبر بها عن جميع البدن فيقال اعتق الله رقبته ومنه قوله فتحرير رقبة والبأساء والبؤس الفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلاء وليس لهما افعل لانهما ليسا بنعتين وانما هي الاسماء التي بمعنى النعوت **الاعراب** من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافأا في كون احدهما اسما والاخر خبرا كما تكافأت النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الاخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بمن آمن ففيه وجوه ثلثة احدها ان يكون البر بمعنى البار فيجعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اي غائر ورجل صوم وعدل اي صائم وعادل ومثله قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي انها مقبلة ومدبرة ومثله تدل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفوفا اي نائحة وثانيها ان المعنى ولكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وثالثها ان يكون التقدير ولكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب وكقول النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اي على مخافة وعل ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج ثم قال كمن آمن بالله اي كايمان من آمن بالله قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا في رفعه قولان احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والاخر ان يكون معطوفا على من آمن والمعنى ولكن ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم واما قوله والصابرين فمنصوب على المدح ايضا لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي الاحسن في هذه الاوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها لمدح او النقص بهم والذم ان يخالف اعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لما يذكر للتنويه والتنبيه والنقص والغض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتبهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء الى الملك القرم

وابن

وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذي الرأي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح والشدائد فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم سعوه الخمر (؟) … كذب وزور … فهذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف والاخلال باعراب الالفاظ كان اشد وقعا فيما يعني … ضروبا وجملا وكونه في الاجراء على الاول وجها واحدا وجملة واحدة فلذلك سبق قول سيبويه في قوله والمقيمين الصلوة انه محمول على المدح قول من قال انه انزل اليك والمقيمين الصلوة وان كان هذا غير ممتنع قال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج هذا لا يصلح الا ان يكون الموفون رفعا على المدح لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لان والصابرين لا يجوز حمله على واتى المال على حبه سواء كان قوله والموفون بعهدهم عطفا على الموصول او مدحا لان الفصل بين الصلة يقبح اذا كان مدحا كما يقبح اذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح جملة والجمل ينبغي ان يكون في الفصل اشنع واقبح بحسب زيادتها على المفرد وان كان الجميع من ذلك ممتنعا **النزول والنظم** لما حولت القبلة وكثر الخوض في نسخها صار كانه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه في الصلوة للصلوة وكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله هذه الآية عن ابي القاسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود **المعنى** ان الله بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلوة فان الصلوة انما امر بها لكونها مصلحة في الاديان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلوة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق واليهود من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره البلخي والجبائي ولكن البر من آمن بالله اي لكن البر بر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفراء وهو اختيار الجبائي وقيل ولكن البار او ذا البر من آمن بالله اي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به كمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته واليوم الاخر يعني القيامة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والملائكة اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون والكتاب اي بالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه والنبيين اي وبالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون وفيما ادوه الى الخلق صادقون وان نبينا محمد صلى الله عليه وآله خاتمهم وان شريعته ناسخة لجميع الشرايع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيمة وآتى المال على حبه فيه وجوه احدها ان الكناية راجعة الى المال اي على حب المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وثانيها ان يكون الهاء راجعة الى من آمن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول في المعنى وثالثها ان يكون الهاء راجعة الى الايتاء الذي دل عليه قوله وآتى والمعنى على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ورابعها ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالصا لوجهه قال المرتضى قدس الله روحه لم نسبق الى هذا الوجه في هذه الآية وهو احسن ما قيل فيها لان تأثير ذلك ابلغ من تأثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب ذوي القربى اراد به قرابة المعطي كما روي عن النبي انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من ذهب فقال اجعليها في قرابتك وقيل ان يكون اراد قرابة النبي كما في قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم واليتامى اليتيم من لا اب له مع الصغر قيل اراد ذوي اليتامى يعطي من يكفلهم لانه لا يصلح ان يعطي المال الى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفا على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفا على ذوي القربى والمساكين يعني اهل الحاجة وابن السبيل يعني المنقطع به عن ابي جعفر ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير والسائلين اي الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وفي الرقاب فيه وجهان احدهما عتق الرقاب بان يشترى ويعتق والاخر في رقاب المكاتبين والآية محتملة للامرين فينبغي ان تحمل عليهما وهو اختيار الجبائي والرماني وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكوة المفروضة بلا خلاف قال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكوة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكوة مما له سبب وجوب كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل في هذا ايضا ما يخرجه الانسان على وجه التطوع والقربة الى الله لان ذلك كله من البر واختاره الجبائي قال ولا يجوز حمله على الزكوة المفروضة لانه عطف عليه الزكوة وانما خص هؤلاء لان الغالب انه لا يوجد الاضطرار الا في هؤلاء واقام الصلوة اي اداها بحدودها واوقاتها وآتى الزكوة اي اعطى زكوة ماله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا اي والذين اذا عاهدوا وعقدوا على انفسهم عقدا وفوا به يعني العهود والنذور التي بينهم وبين الله والعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به والصابرين في البأساء والضراء يريد بالبأساء البؤس والفقر وبالضراء الوجع والعلة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين وحين البأس يريد وقت الحرب وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلم انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين صدقوا في ايمانهم اولئك هم المتقون عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقتهم نياتهم لان اعمالهم على الحقيقة واولئك هم المتقون الذين اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان المعني بها امير المؤمنين لانه لا خلاف بين الامة انه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعا ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة بالانبياء المعصومين لان هذه الاشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم آية

الأداء كتب فرض وأصل الكتاب الخط الدال على معنى فسمي به ما دل على الفرض قال الشاعر كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول والقصاص والمقاصة [illegible]

[illegible] يقال اقتص أثره أي تلاه شيئا بعد شيء ومنه القصاص لأنه يتلو أصل الجناية ويتبعه وقيل هو أن يفعل بالثاني مثل ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثلة ومنه

أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئا بعد شيء والحر نقيض العبد والحر من كل شيء أكرمه [illegible] والعفو الترك وعفت الدار أي

تركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها [illegible] جمع الأخ الإخوة إذا كانوا لأب فإن لم يكونوا لأب فهم إخوان [illegible]

[illegible] والأداء تبليغ الغاية يقال أدى الأمانة [illegible] الإعراب فاتباع مبتدأ وخبره محذوف [illegible] ولو كان في غير

القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف وأداء [illegible] ولكن الرفع عليه إجماع القراء وهو الأجود في العربية النزول نزلت هذه الآية في حيين من

العرب لأحدهما طول على الآخر [illegible] بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم على

الضعف من جراحات أولئك [illegible] الإسلام فأنزل الله هذه الآية المعنى [illegible]

[illegible]

[illegible]

الآن مخافة الآية فلما خاف الله من موص جنفا أي ميلا عن الحق فيما يوصي به فان قيل كيف قال فمن خاف لما وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل ان فيه قولان أحدهما أنه خاف أن يكون قد زلّ في وصيته فالخوف يكون للمستقبل وهو من أن يظهر ما يدل على أنه قد زل لأنه من جهة غالب الظن والثاني أنه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف بأن يأمر بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى العدل بعد موته قال الحسن الجنف هو أن يوصي في غير قرابته وانما قال ذلك لأن عنده أن الوصية للقرابة واجبة والأمر بخلافه وقيل المراد من خاف من موص في حال مرضه الذي يريد أن يوصي فيه جنفا وهو أن يعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه أن يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين لا يحصل جنف ولا اثم ويكون قوله فأصلح بينهم أي فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد فيكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب غير أن الأول عليه أكثر المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وقوله أو اثما أن يكون الميل عن الحق على وجه العمد والجنف أن يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري أنه يجوز وهو معنى قول ابن عباس والحسن وكذلك عن أبي جعفر فأصلح بينهم أي بين الورثة المختلفين في الوصية وبين الموصى لهم فلا اثم عليه لأنه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الأجر لأن المتوسط انما يجري أمره في الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فبين سبحانه لنا أنه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا أيضا ضرب من التبديل بين مخالفته للأول بكونه غير مأثوم برده الوصية الى العدل ان الله غفور رحيم يعني اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب فأحرى وأحرى أن يكون كذلك ولا ذنب وروي عن الصادق في قوله جنفا أو اثما أنه يعني اذا اعتدى في الوصية زاد على الثلث وروي ذلك عن ابن عباس وروي عن رسول الله أنه قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكوته في حياته

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الذين

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون آية **اللغة** الصوم في اللغة الامساك ومنه يقال للصمت صوم لأنه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شيء سكنت حركته فقد صام صوما وقال النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما أي قيام وصام الريح أي ركدت وصامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار أيضا قال امرؤ القيس فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا والصوم ذرق النعام وأصل الباب الامساك وهو في الشرع امساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص لأنه شرعي وفيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما وصياما **الاعراب** الصيام رفع على أنه اسم ما لم يسم فاعله وقوله كما كتب أي كتبا مثل ما كتب فما هذه مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابا مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر وأقيم صفته مقامه ويحتمل أن يكون موضع الكاف نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا أي في هذه الحال **المعنى** ثم بين سبحانه فرضا آخر فقال يا ايها الذين آمنوا أي يا ايها المصدقون روي عن الصادق أنه قال لذة ما في النداء أزال تعب العبادة والعناء وقال الحسن اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارع لها سمعك فانها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى عنه كتب عليكم الصيام أي فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم كذلك ولأن العبادة لا تصح الا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم وقوله كما كتب على الذين من قبلكم فيه أقوال أحدها أنه تشبيه فرض صوم بفرض صوم من تقدمنا من الأمم أي كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام وليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض عليهم أو وقته وهو اختيار أبي مسلم والجبائي والثاني أنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض على النصارى وكان يتفق ذلك في الحر الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الشعبي والحسن وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم وكان يحرم الطعام والشراب من وقت صلوة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي وأهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله لعلكم تتقون أي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا أتقياء بما لطف لكم في الصيام فانه أقوى الوسائل والوصل الى الكف عن المعاصي كما روي عن النبي أنه قال خصاء أمتي الصوم وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عن علة الصيام فقال انما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك لأن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغني من الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجائع قوله

تعالى أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون آية **القراءة** قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مساكين على الاضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرأ الباقون فدية منونة طعام رفع مسكين موحد وقرأ حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروي في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعائشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا ويطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد عن ابن عباس وعن عكرمة وروي عن ابن عباس يطيقونه أيضا يتطيقونه **الحجة** من قرأ فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان للفدية وأفرد مسكينا لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال أبو زيد يقال أتانا الأمر بكسائه أي كلنا حلوا وأطانا كلنا ما أتو من أضاف الفدية الى الطعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فانه سمى الطعام الذي يفديه فدية ثم أضاف الفدية الى الطعام الذي هو الفدية وغيرها هو على هذا من باب خاتم حديد ثم من قرأ يطوقونه فانه يفعلون من الطاقة نحو كقوله يحبسونه ويكلفونه يجعل لهم كالطوق في أعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه وأما يطيقونه فانه يتطوقونه يتفعلونه الا أن العين أبدلت ياء كما قالوا في تهود تهير ويطيقونه يتفعلونه **اللغة** السفر أصله من السفر الذي هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا والسفر الابل اذا انكشف ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا يعني الريح السحاب الرقيق وفي السفر تظهر الأخلاق ويكشف عن أخلاق الناس فلا يكشف الأثر العدة فعلة من العد وهي بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال طاق الشيء يطوقه طوقا وطاقة وأطاقه اطاقة اذا قوي عليه وطوقه تطويقا اذا ألبسه الطوق وهو معروف من ذهب كان أو فضة كأنه يكسب قوة بما يعطيه الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوقه الأمر أي جعله كالطوق في عنقه **الاعراب** أياما قال الزجاج

يجوز في انتصابها وجهان أحدهما أن يكون ظرفا كأنه قال كتب عليكم الصيام في أيام معدودات والمعنى كتب أن تصوموا أياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك أعطي زيد المال قال وليس هذا بشيء لأن الأيام ههنا متعلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لأعطي فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب أيام بالصيام قال أبو علي أياما يجوز في انتصابها وجهان أحدهما أن ينتصب نصب الظرف والآخر أن ينتصب نصب المفعول به على السعة فاذا انتصب على أنه ظرف جاز أن يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في أيام وان شئت السعة نصبته نصب المفعول به فصار على هذا مكتوب أيام عليه أو كاتب أيام الصيام انما جاز أن صار اسم الفاعل أو المفعول الى أيام لاخراجه اياه عن أن يكون ظرفا واتساعه في تقديره اسما واذا كان الأمر على ما ذكرناه كان ما سمعه أبو اسحق من اجازة من أجاز أن كتب عليكم الصيام أياما بمنزلة أعطي زيد المال غير ممتنع قال ولا يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام على أن يكون المعنى كتب عليكم الصيام في أيام لأن ذلك وان كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك ألا ترى أنك اذا حملته على ذلك فصلت بين الصلة والموصول بأجنبي بينهما وذلك أن أياما تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابته على من كان قبلكم والكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بين المصدر وصلته وليس من واحد منهما وأقول انه يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال أي مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلته وفي كتب ضمير يعود الى ما والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف في موضع النصب بأنه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصلة والموصول بما هو أجنبي منهما على ما ذكره الشيخ أبو علي وقوله فعدة من أيام أخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الأخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز أن تقديره فيكون فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من أيام أخر فتكون عدة خبر الابتداء وأخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الألف واللام لأن نظائرها من الصغر والكبر لا تستعمل الا بالألف واللام ولا يجوز تنوينه صفة وأن تصوموا في موضع رفع بالابتداء وخير خبره ولكم صفة لخير **المعنى** أياما معدودات أي معلومات محصورات مضبوطات كما يقال أعطيت مالا معدودا أي محصورا متعينا ويجوز أن يريد بقوله معدودات أنها قلائل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد أنها قليلة واختلف في هذه الأيام على قولين أحدهما أنها غير شهر رمضان وكانت ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطاء عن ابن عباس وروي ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفقوا على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان والآخر أنها شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وأبو مسلم وعليه أكثر المفسرين قالوا أوجب سبحانه الصوم أولا فأجمله ولم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثم بين أنها أيام معلومات وأبهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال القاضي وهذا أولى لأنه اذا أمكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان أولى ولأن ما قالوه زيادة لا دليل عليه فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر عطف على قوله على سفر وهو ظرف على قوله مريضا وهو اسم مع أن الظرف لا يعطف على الاسم الا أنه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم تقديره فمن كان منكم مريضا أو مسافرا فالذي ينوب منا صوم عدة من أيام أخر وفيه دلالة على أن المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الآية فأفطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام فقد روي أن عمر بن الخطاب أمر رجلا صام في السفر أن يعيد صومه وروى يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروي عن ابن عباس أنه قال الافطار في السفر عزيمة وروى أصحابنا عن أبي عبد الله أنه قال الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر عنه قال لو أن رجلا مات صائما في السفر لما صليت عليه وعنه قال من سافر أفطر وقصر الا أن يكون رجلا سفره الى صيد أو في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعا الى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم في السفر تطوعا ولا فريضة حتى نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلوة الفجر فدعا رسول الله باناء فشرب وأمر الناس أن يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو صمنا يومنا هذا فسماهم رسول الله العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله وعلى الذين يطيقونه الهاء يعود الى الصوم عند أكثر أهل العلم أي يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا وبين أن يفطروا أو يكفروا عن كل يوم باطعام مسكين لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان الهاء يعود الى الفداء عن الحسن وأبي مسلم أما المعني بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلاثة أقوال أولها أنه سائر الناس كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها أن هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير عن الحسن وعطا وثالثها أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي ورواه بعض أصحابنا عن أبي عبد الله أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق قال وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صح فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقضي ويتصدق لكل يوم مدا من طعام وقوله فدية طعام مسكين اختلف في مقدار الفدية فقال أهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان فان لم يقدر فجزاه مد واحد وقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له قيل معناه من أطعم أكثر من مسكين واحد عن عطا وطاوس وقيل أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفاية حتى يزيد على نصف صاع عن مجاهد ويجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله وأن تصوموا خير لكم أي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فأما بعد النسخ فلا يجوز أن يقال الصوم خير من الفدية مع أن الافطار لا يجوز أصلا وقيل معناه الصوم خير لمطيقه وأكثر ثوابا من التكفير لمن أفطر بالعجز ان كنتم تعلمون أن الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون أفضل أعمالكم وفي قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على أن الاستطاعة قبل الفعل

قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون آية القراءة قرء ابو بكر عن عاصم ولتكملوا بالتشديد والباقون 11
لتكملوا بالتخفيف وقرء ابو جعفر العسر اليسر بالتثقيل فيهما والباقون بالتخفيف الحجة حجة من قرء ولتكملوا قوله اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرء ولتكملوا فلان
فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما موضع الآخر قال النابغة فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد اللغة الشهر معروف وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة
شهور واصله من اشتهاره بالهلال ويقال شهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف انتضيته وفلان شهير عن نصر صحة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمض وهو شدة
وقع الشمس على الرمل وغيره وانما سموه رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمع رمضان على رمضانات وقيل
ان رمضان اسم من اسماء الله فروى عن مجاهد لا تقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فانك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار المروية عن النبي ص انه من صام رمضان
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انما سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقها القرآن اصله الجمع لقولهم ما قرأت الناقة سلا قط اي ما جمعت
رحمها على سلا وعنه القراءة والقارئ لانه يجمع الحروف والفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا وراودته

٧ من النار وقال رسول الله ص نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فيه وجهان احدهما فمن شهد
منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر والالف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه هذا معنى ما رواه زرارة عن ابي جعفر انه قال لما
عن هذه ما ابينها من عقلها قال من شهد شهر رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وقد روي ايضا عن علي وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد الشهر بان
دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله والثاني من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وان كان
بين التلاوة لان الانقضاء لا يعتبر عند التلاوة بل عند الانزال والاول اقوى وقوله ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قد مضى تفسيره في الآية المتقدمة
وحد المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروى ابو بصير قال سألت ابا عبد الله ع عن حد المرض الذي على صاحبه الافطار قال هو
مؤتمن عليه مفوض اليه فان وجد ضعفا فليفطر وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروى ايضا ان ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلوته وقال
الحسن بعد ذلك لخلاف بين الفقهاء واما السفر الذي يوجب الافطار عندنا فما كان مباحا او طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعي ستة عشر
فرسخا وعند ابي حنيفة اربعة وعشرين فرسخا واختلف في العدة من ايام اخر فقال الحسن جابر بن زيد على التضييق اذا برء المريض وقدم المسافر وقال ابو حنيفة هو
فيها وعندنا موقت بما بين رمضانين ويجوز متتابعا ومتفرقا والتتابع افضل فان فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء وقال الشافعي وقوله يريد

وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبرئيل اقض لعبدك هذا حاجته باخلاصه وعجلها فاني اكره ان اسمع صوته وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ربما اخرت
عن العبد اجابة الدعاء ليكون اعظم لاجر السائل واجزل لاعطاء الآمل وقيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله
فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا
منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس **قوله**
تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله
فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون **اللغة** الرفث الجماع هيهنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش يكنى به عن الجماع قال العجاج عن اللغا
ورفث التكلم قال الاخفش انما عدي بالى في الآية لانه بمعنى الافضاء واللباس الثياب التي من شانها ان تستر الابدان ويشبه بها الاغشية فيقال لبس السيف بالجفنة والعرب
تسمي المرأة لباسا وازارا قال الشاعر اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا وقال الآخر فدى لك من اخي ثقة ازاري قال اهل اللغة
والاختيان الخيانة يقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا وخائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يحل واصل الباب منع الحق والمباشرة الصاق
البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية والخيط الابيض بياض الفجر والخيط الاسود سواد الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني لانه اوسع ضياء
قال ابو داود فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط انارا والخيط في اللغة معروف يقال خاط يخيط خيطا وخياطة والخيط القطيع من النعام ونعامة خيطاء
بل خيطاء طويلة تنصب عنقها وقيل اخذ الاسود من الاسوداد لان الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة الماء والشجر الذي تسود به الارض وسواد
كل شيء شخصه وسويداء القلب وسوداؤه حبة القلب والعكوف والاعتكاف واصله اللزوم يقال عكف بالمكان اي اقام به ملازما له قال الطرماح فبات
بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع وهو في الشرع عبارة عن اللبث في مكان مخصوص للعبادة والحد على وجوه الحد المنع وحدود الله ما حده قال الزجاج
ما منع الله عن مخالفتها والحد الجلد الذي فيه زجر والحد حد السيف والحد حد الدار والحد فرق بين الشيئين والحد نهاية الشيء التي تمنع من ان يدخله ما ليس منه وان
يخرج عنه ما هو منه قال الخليل الحد الجامع المانع والحداد البواب قال الاعشى فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها يعني صاحبها الذي يحفظها و
يمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد ومن ذلك احدت المرأة على زوجها اذا امتنعت من الزينة والحديد انما سمي حديدا لانه يمتنع به من الاعداء فاصل الباب المنع **النزول**
روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال كان الاكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان
وكان رجل من اصحاب رسول الله لما نزل الشعب يوم احد خمسين من الرماة وفارقه اصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا
ضعيفا وكان صائما فابطأت عليه اهله بالطعام فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لاهله قد حرم علي الاكل في هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فاغمي عليه فرآه رسول الله
فرق له وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله هذه الآية فاحل النكاح بالليل في شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلف العامة
في اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمة وقيل صرمة بن اياس فاتى الى رسول الله فقال عملت في النخل نهاري اجمع حتى اذا امسيت فاتيت اهلي لتطعمني
فابطأت فنمت فايقظوني وقد حرم علي الاكل وقد جهدني الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء فاتيت
امرأتي وقام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية عن ابن عباس والسدي **المعنى** ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الاحكام فقال احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسائكم اي الجماع فقال ابن عباس ان الله سبحانه حيي يكني بما شاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع وقال الزجاج الرفث هو كلمة
جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة وهذا يقتضي تحريمها متقدما ثم نسخ عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التي يكون في غدها الصوم وروي عن ابي جعفر وابي
عبد الله عليهما السلام كراهية الجماع في اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان فانه يستحب ذلك لمكان الآية والاشبه ان يكون المراد به ليالي الشهر كله وانما
وحده لانه اسم جنس يدل على الكثرة هن لباس لكم وانتم لباس لهن اي هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال وجعلنا الليل لباسا اي سكنا عن ابن عباس ومجاهد
وقتادة والمعنى يلابسونهن ويخالطونهن بالمساكنة اي قل ما يصبر احد الزوجين عن الآخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا لانهما يتجردان فيجتمعان كل واحد منهما
الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه فلما كانا يلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباس الصاحب وقال الربيع هن فراش لكم و
انتم لحاف لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم لما حرم عليهم الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله بالنعمة في الرخصة التي نسخت تلك التحريمة فقال
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بالمعصية اي لا تؤدون الامانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها بالجناية
عليها فتاب عليكم اي قبل توبتكم وقيل معناه فرخص لكم وازال التشديد عنكم وعفا عنكم فيه وجهان احدهما عفا عن ذنوبكم والآخر ازال تحريم
ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم فالآن باشروهن اي بالليل اي جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة وابتغوا ما كتب الله لكم فيه قولان احدهما اطلبوا ما قضى
الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله مجامعة من يريد ان يرزقه الله ولدا يعبده ويسبح له والآخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذي بينه في كتابه
فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقوله وكلوا واشربوا اباحة للاكل والشرب حتى يتبين لكم اي ليظهر ويتميز لكم على التحقيق الخيط الابيض
من الخيط الاسود اي النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثاني وقيل بياض اول النهار من سواد آخر الليل وانما شبه ذلك بالخيط لان القدر الذي يحرم الافطار من البياض
يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار من الفجر يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى التبعيض لان المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن زيد والآخر ان يكون للتبيين

لانه

كنتم

وقيل اصل الفجر من سواد الليل

لانه بين الخيط الابيض الذي هو الفجر وروي ان عدي بن حاتم قال للنبي صلى الله عليه وآله اني وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لي فضحك رسول الله حتى رئيت نواجذه
ثم قال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين الانتهاء فقال ثم اتموا الصيام الى الليل اي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطير
المعترض الذي يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب
المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الارض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل وقوله ولا تباشروهن في معناه قولان احدهما
انه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة والثاني انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا وقوله وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون
اي لا تباشروهن في حال اعتكافكم في المساجد والاعتكاف لا يصح عندنا الا في احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند الفقهاء
يجوز في سائر المساجد الا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا الا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعي يصح بغير صوم وعندنا لا يكون اقل
من ثلاثة ايام وعند ابي حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة وفي الآية دلالة على تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلا و
نهارا لانه علق المباشرة بحال الاعتكاف وقوله تلك حدود الله تلك اشارة الى الاحكام المذكورة في الآية حدود الله ما حرمه الله عن الحسن وقيل معاصي الله عن الضحاك وقيل
ما منع الله منه عن الزجاج فلا تقربوها اي فلا تأتوها وقيل معناه فلا تقربوها بالمخالفة كذلك اي مثل هذا البيان الذي ذكر يبين الله آياته للناس اي حججه ودلالته
على ما امرهم به ونهاهم عنه لعلهم يتقون اي لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما امرهم به ونهاهم عنه واباحه لهم وفي هذا دلالة على ان الله تعالى اراد التقوى من جميع الناس **قوله**
تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون **اللغة** الباطل الذاهب الزائل يقال بطل يبطل بطولا
وقيل الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا او ظنا او تخيلا والحكم هو الخبر الذي يفصل به بين الخصمين ويمنع كل واحد منهما من الآخر ويقال ادلى
فلان بحجته اذا قام بها وهو من قولهم ادليت الدلو في البئر اذا ارسلتها ودلوتها اذا اخرجتها فمعنى قولهم ادلى بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفي تشبيه الخصومة بارسال الدلو
في البئر وجهان احدهما انه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل والثاني انه يمضي فيه من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال من غير تثبت والفريق القطعة
المعزولة من الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والاثم الفعل الذي يستحق به الذم **الاعراب** وتدلوا محله جزم على النهي عطفا على قوله لا تأكلوا ويحتمل ان يكون نصبا على
الظرف ويكون نصبه باضمار ان كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اي لا تجمع بينهما **المعنى** ثم بين سبحانه شيئا آخر من شرائع الاسلام على
ما تقدم من بيان الحلال فقال ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب والظلم والوجوه التي لا تحل كقوله فلا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل
بعضكم بعضا وقيل معناه لا تأكلوا اموالكم باللهو واللعب مثل ما يؤخذ في القمار والملاهي لان كل ذلك من الباطل وروي عن ابي جعفر انه يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع
بها الاموال وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال كانت قريش تقامر الرجل في اهله وماله فنهاهم الله عن ذلك والاولى حمله على الجميع لان الآية تحتمل الكل وتدلوا بها الى الحكام اي تلقوا بها الى
القضاة وقيل فيه اقوال احدها انها الودائع وما لا يقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة وثانيها انه مال اليتيم في يد الاوصياء لانهم يدفعونه الى الحكام اذا طولبوا
به ليقتطعوا بعضه وتقوم لهم في الظاهر حجة عن الجبائي وثالثها انه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبي والاولى ان يحمل على الجميع لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم اي لتأكلوا
طائفة من اموال الناس بالفعل الموجب للاثم بان يحكم الحاكم بالظاهر وكان الامر في الباطن بخلافه وانتم تعلمون ان ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون و
هذا اشد في الزجر وقال ابو عبد الله عليه السلام علم الله انه سيكون في هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى تعالى المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون انهم لا يحكمون بالحق و
هذا يدل على ان الاقدام على المعصية مع العلم بها اعظم **قوله تعالى** يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون **القراءة** قرأ ابن كثير وابن ذكوان والكسائي البيوت والشيوخ والجيوب بكسر اولها الا
العيون ورويت عن حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الجيوب وقالون يكسر منها البيوت فقط والباقون بالضم **الحجة** من كسر اوائل هذه الكلمات فانما فعل ذلك لاجل الياء
ابدل من الضمة الكسرة لان الكسرة اشد موافقة للياء من الضمة كما كسر الفاء من عيينة في تصغير عين وباب ذلك في التصغير على هذا القول لتقرب الحركة
من الياء ومن ضمها فعلى الاصل **اللغة** الاهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبي اذا بكى حين يولد او صاح وقولهم اهل القوم بالحج اذا رفعوا
اصواتهم بالتلبية وانما قيل هلال لانه حين يرى يهل الناس بذكره يقال اهل الهلال واستهل ولا يقال اهل ويقال اهللنا الهلال واهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه وقد
اختلفوا في تسميته هلالا كم ليلة يسمى ثم يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى ان يعود في الشهر الثاني وقال الآخرون يسمى هلالا ثلاث
ليال ثم يسمى قمرا وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخطة دقيقة وهذا قول الاصمعي وقال بعضهم يسمى هلالا الى ان يبهر ضوؤه سواد الليل ثم
يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتو
قيت تقدير الوقت وكلما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والآخرة ميقات الخلق والاهلة ميقات الشهور والحج ذكرنا معناه فيما مضى والبر النفع الحسن والظهر
الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقال منه بوبه تبويبا والبواب الحاجب لانه يلزم الباب والباب القطعة من الشيء كالباب من الجملة **الاعراب** قوله للناس في
موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هي مواقيت كائنة للناس والباء في قوله بان تأتوا زيادة لتأكيد النفي وان تأتوا في موضع الجر بالباء والجار والمجرور في موضع
النصب بانه خبر ليس في قوله ولكن البر من اتقى كما قلناه في قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر تقديره ولكن البار من اتقى فوضع المصدر موضع الصفة
النزول روي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكثرون مسألتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله لم
خلقت هذه الاهلة فانزل الله هذه الآية **المعنى** ثم بين شريعة اخرى فقال يسئلونك عن الاهلة اي عن احوال الاهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في

كذلك

ذلك قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج اي هي مواقيت وقت للناس يحتاج الناس الى معرفتها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه
ان وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما يتعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لان الهلال لو كان مدورا ابدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به وفيه دلالة على
ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لانه سبحانه نص على ان الاهلة هي المعتبرة في المواقيت والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور انما تعرف بطريق العدد
لحصل التوقيت بالعدد دون رؤية الاهلة لان عند اصحاب العدد لا عبرة برؤية الاهلة في معرفة المواقيت وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها فيه وجوه احدها
انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم اي في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس
وقتادة وعطاء ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر وقيل ان الحمس هو قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وانما سموا
حمسا لتشددهم والحماسة الشدة وقيل بل انما كانت الحمس تفعل ذلك وانما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شيء وثانيها ان معناه ليس البر ان تاتوا الامور من غير
جهاتها وينبغي ان تاتوا الامور من جهاتها اي الامور كان وهو المروي عن جابر عن ابي جعفر وثالثها ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير اهله وانما البر طلب المعروف
من اهله ولكن البر من اتقى قد مر معناه واتوا البيوت من ابوابها قد مضى معناه وقال ابو جعفر آل محمد ابواب الله وسبيله والدعاة الى الجنة والقادة اليها والادلاء
عليها الى يوم القيمة وقال النبي انا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة الا من بابها ويروى انا مدينة الحكمة واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه و
زهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول الى ثواب الله الذي ضمنه للمتقين النظم وجه اتصال قوله ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها بقوله يسئلونك عن الاهلة انه لما بين
ان الاهلة مواقيت للناس والحج وكانوا اذا احرموا لا يدخلون البيوت من ابوابها عطف عليها وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقيل انه لما بين ان الاهلة مواقيت مقدرة
باوقات قرن به قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي كما ان اموركم مقدرة باوقات فلتكن افعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما امر الله به والانتهاء
لما نهى عنه لان اتباع ما امر به خير من اتباع ما لم يؤمر به قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اية اللغة
القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من المتعاديين قتل الاخر والاعتداء مجاوزة الحق يقال عدا طوره اذا جاوز حده
النزول عن ابن عباس نزلت هذه الاية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله لما خرج هو واصحابه في العام الذي اراد فيه العمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا
حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على ان يرجع من عامه ويعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلثة
ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء فرجع الى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي لهم قريش بذلك وان يصدوهم
عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فانزل الله هذه الاية وعن الربيع بن انس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه اول اية نزلت في القتال
فلما نزلت كان رسول الله يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فنسخت هذه الاية المعنى ثم بين امر الجهاد فقال مخاطبا للمؤمنين وقاتلوا
اي مع الكفار في سبيل الله اي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به الذين يقاتلونكم قيل امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم امروا بقتال
اهل مكة والاولى حمل الاية على العموم الا من اخرجه الدليل ولا تعتدوا اي ولا تجاوزوا من قتال من هو من اهل القتال الى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال
من لم يبدأكم بقتال ان الله لا يحب المعتدين ظاهر المعنى ويقتضي انه يسخط عليهم لانه على خلاف الذم لهم وقد ذكرنا معنى المحبة لهم فيما مضى واختلف في الاية هل هي منسوخة ام لا فقال
بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروي عن ابن عباس ومجاهد انها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل امر بقتال اهل مكة وروي عن ائمتنا ان هذه الاية ناسخة لقوله
كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم قوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم
من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اية القراءة قرا حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كل بغير الف والباقون بالف في جميع ذلك الحجة من قرأها بغير الف فانما اتبع المصحف لانه كتب في المصاحف بغير الف ومن قرأ بالالف
فقال انما حذف الالف في الخط كما في الرحمن اللغة ثقفته ثقفه ثقفا وثقافة اي وجدته ومنه قولهم رجل ثقف لقف اي يجد ما يطلبه ثقف الرجل ثقافة فهو
ثقف وثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقيف اذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة يقوم بها الرماح المعوجة والتثقيف التقويم والفتنة اصلها الاختبار ثم ينصرف الى معان منها
الابتلاء نحو وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء على اثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك والمراد بها في الاية الشرك بالله وبرسوله الاعراب حيث فيه ثلث لغات ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لانه
منع الاضافة الى المفرد مع لزومه معنى الاضافة اياه فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل الياء كما فتح اين وكيف والكسر لانه الاصل في التحريك
لالتقاء الساكنين والجملة بعد حيث في موضع جر باضافة حيث اليها في الموضعين يقاتلوا منصوب باضمار ان وهو صلة ان والموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى
يتعلق بتقاتلوهم النزول نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم
من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان غير جائز المعنى ثم خاطب تعالى المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال واقتلوهم اي الكفار حيث ثقفتموهم اي
وجدتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها والفتنة اشد من القتل اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسمي الكفر فتنة
لان الكفر يؤدي الى الهلاك وقيل لان الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام فيه نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون
بذلك فان قاتلوكم اي بدؤوكم بذلك فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اي يفعلوا حتما جعل في الاية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة حتى لا يكون فتنة و
الشرك قد وردت ايضا بذلك وهو قوله لا يجتمع في جزيرة العرب دينان قوله تعالى فان انتهوا فان الله غفور رحيم اية اللغة الانتهاء الامتناع والنهي الزجر عن الفعل

بصيغة

ان كان الاحرام بالحج فمحله منى يوم النحر وان كان الاحرام بالعمرة فمحله مكة فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه اى من مرض منكم مرضا يحتاج فيه الى الحلق للمداواة او به اذى
هوام راسه ابيح له الحلق بشرط الفدية وروى اصحابنا ان هذه نزلت في ان يعرف بكعب بن عجرة وانه كان قد قمل راسه فحلق ففدية اى فحلق لذلك العذر فعليه
فدية اى بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام او صدقة او نسك المروي عن ائمتنا ان الصيام ثلاثة ايام والصدقة على ستة مساكين وروى على عشرة مساكين والنسك شاة
وهو مخير فيها وقوله فاذا امنتم الموانع من العدو والمرض وكل مانع فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى اى فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض اللازم
لمن لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثني عشر ميلا من كل جانب الى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من حاضري وصفة التمتع
بالعمرة الى الحج ان ينشئ الاحرام في اشهر الحج ثم يدخل الى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل من احرامه ثم ينشئ احراما اخر للحج من المسجد الحرام
ويخرج الى عرفات ثم يفيض الى المشعر ويأتي بافعال الحج على ما هو مذكور في الكتب وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدى واجب على المتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل

دخلت الباء للتأكيد على هذا المعنى وهو خلاف الهلاك نفسه بيده غير المعنى لانه وجب بجانب القتال في سبيل الله اعقبه بذكر الانفاق فيه فقال وانفقوا في سبيل الله
وانفقوا من اموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما امر الله به من الخير وابواب البر فهو سبيل الله لان السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق الى الله والى رحمة الله وثوابه
الا انه كثر استعماله في الجهاد لانه الجود بالنفس اقصى غاية الجود والجهاد هو الامر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة انه اراد
لا تهلكوا انفسكم بايديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها انه عنى به لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة عن البراء بن عازب
وعبيدة السلماني وثالثها ان المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم عن ابي القاسم البلخي واختاره البلخي ورابعها ان المراد ولا تسرفوا في الانفاق الذي يأتي
على النفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن ابي عبد الله ع لو ان رجلا انفق ما في يديه في سبيل الله ما كان احسن ولا وفق لقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله

الا ترى انا اذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما انه اذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فاذا رفع ونون فكان النفي لواحد منه الا ترى ان سيبويه يرى انه اذا قال
لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سأل فقال أغلام عندك ام جارية فيرفع لان النفي قد عمّ والمعنى عليه حجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثا واحدا
لكنه جميع ضروبه وان النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وان لم يبن فيه الاسم مع لا نحو ما رجل في الدار **اللغة** الرفث اصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج
عن اللغا ورفث التكلم وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة
والمشاجرة والمخاصمة وجدلت الحبل فتلته والجديل الزمام للبعير فعيل بمعنى مفعول والمجدل القصر والجدالة الارض ذات الرملة والرقيق وغلام جادل اذا ترعرع واشتد والزاد
الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل او كسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمي بذلك لانه افضل ما في الانسان وافضل كل شيء
لبه **الاعراب** الحج مبتدأ والاشهر خبره وتقديره اشهر الحج اشهر معلومات ليكون الثاني هو الاول في المعنى او الحج حج اشهر معلومات فحذف المضاف الا ان الحج لا في هذه الاشهر فلا اشهر
على هذا التوسع فيها بخروجه عن الظرف والمعنى على ذلك الا ترى ان الحج في الاشهر وقد يجوز ان يجعل الحج الاشهر على الاتساع لكونه فيها ولكثرته من الفاعلين له كما قالت
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار جعلها الاقبال والادبار لكثرة ذلك منها وقوله فلا رفث اذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى واذا رفعت فعلى
الابتداء ويكون في الحج خبر لهذه المرفوعات واذا فتحت ما قبل المرفوع واثبت ما بعده مرفوعا جاز ان يكون عطفا على الموضع وجاز ان يكون بمعنى ليس كما في قوله من صد عن نيرانها
فانا ابن قيس لا براح وما بعد الفاء في موضع رفع لو قوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعدها في محل الجزم او في محل الرفع لانه جواب شرط **المعنى**
الحج اي اشهر الحج اشهر معلومات اي انها موقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتأخير اللذين كانا يفعلهما النسأة الذين انزل فيهم انما النسيء زيادة في الكفر
الاية واشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روي عن ابي جعفر ع وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة عن عطا
والربيع وطاوس وروي ذلك في اخبارنا وانما صارت هذه اشهر الحج لانه لا يصح الاحرام بالعمرة التي يتمتع بها الى الحج الا فيها ومن قال ان جميع ذي الحجة من اشهر الحج قال انه
يصح ان يقع فيها بعض افعال الحج مثل صوم الايام الثلاثة وذبح الهدي فان قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث اشهرا فجوابه ان الاثنين قد يقع عليهما لفظ الجمع كما في
قوله فقد صغت قلوبكما وايضا فقد يضاف الفعل الى الوقت وان وقع في بعضه كما في الوقت المبهم كذلك تقول صليت صلوة يوم الجمعة وصلوة يوم العيد
وان كانت الصلوة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وان كان قدم في بعضه وكذا الحج لذا جاز ان يقال اشهر الحج ذو الحجة وان وقع الحج في بعضه فمن فرض فيهن الحج معناه من
اوجب على نفسه فيهن الحج اي فمن احرم فيهن بالحج بلا خلاف او بالعمرة التي يتمتع بها الى الحج على مذهبنا فلا رفث كنى بالرفث عن الجماع ههنا عند اصحابنا وهو
قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع والتعريض له بمداعبة او مواعدة عن الحسن ولا فسوق روى
اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا اعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالالقاب لقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان عن
الضحاك وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق عن ابرهيم قال بعضهم لا يجوز ان يراد به هنا الا ما نهي المحرم عنه مما يكون حلالا لا له اذا حل
لا اختصاصه بالنهي عنه هذا تخصيص العموم بلا دليل وقد يقول القائل ينبغي للانسان ان يقيل لسانه في رمضان لئلا يفسد صومه وقد جاء في الحديث اذا صمت فليصم سمعك
وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك ان تمام ما خص به لك لعظم حرمته ولا جدال في الحج روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا وكاذبا والمفسرون
فيه قولان احدهما انه المراء والسباب والاغضاب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن والثاني ان معناه لا جدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة
لانهم كانوا ينسؤون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يعلم به لان الله عالم بجميع المعلومات على كل حال
الا انه جعله بعلمه في موضع مجازاة للمبالغة في صفة العدل اي انه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازيكم بذلك لا لكيلان الجزاء لا يكون الا بالفعل لا بما يعلم
انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وتزودوا فان خير الزاد التقوى فيه قولان احدهما ان معناه ان قوما كانوا يرمون بازوادهم ويتسمون بالمتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام
ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد والثاني ان معناه تزودوا من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى وذكر ذلك في اثناء افعال
الحج لانه احق شيء بالاستكثار من اعمال البر فيه والتقوى فعلى التي كونها تقيتكم عنه يا اولي الالباب يا ذوي العقول **قوله تعالى** ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين اية **اللغة** الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم
والابتغاء الطلب والافاضة مأخوذة من فيض الماء عن امتلائه فمعنى افضتم دفعتم من عرفات الى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف
وافاض الرجل اناءه اذا صبه وافاض الرجل بالقداح ضرب بها لانها تقع متفرقة قال ابو ذؤيب كانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع وافاض البعير بجرته اذا رمى بها
متفرقة كثيرة قال الراعي وافضن بعد كظومهن بجرة من ذي الابارق اذ رعين حقيلا فالافاضة في اللغة لا تكون الا عن تفرق او كثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف
بها في الحج ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لان ابرهيم عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف روي عن علي وابن عباس وقيل انها سميت بذلك لان ادم
وحوا عليهما السلام اجتمعا فيها فتعارفا بعد ان كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه اصحابنا ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها منه عرف الديك لان ابرهيم كان يريه جبرئيل
المناسك فيقول له عرفت عرفت عن عطا وقيل عن ابن عباس ان ابرهيم رأى في المنام انه يذبح ابنه فاصبح يروي يومه اجمع اي يفكر اهو من الله ام لا فسمي يوم التروية ثم رأى في الليلة الثانية
فلما اصبح عرف انه من الله فسمي عرفة وقيل ان جبرئيل قال لادم هنا فاعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال ربنا ظلمنا انفسنا الاية فلذلك سميت عرفة والمشعر الحرام هو
المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلوة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من اعمال الحج وانما سمي المشعر الحرام مزدلفة لان جبرئيل قال لابرهيم بعرفات ازدلف الى
المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعا لانه يجمع بين المغرب والعشاء الاخرة باذان واحد واقامتين وسمي منى لان ابرهيم تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه

فدية له **الاعراب** جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما سقط في عمل فيها معنى جناح والمعنى لستم تأثمون في ان تبتغوا وعرفات
اسم معرفة لمواضع جرى مجرى موضع واحد لا تفصل بعضها عن بعض وانما صرفت لانه كان فيها سببان من اسباب منع الصرف وهو التعريف والتانيث لانها على حكاية الجمع فالتنوين فيها
بازاء النون في مسلمون ولو سميت امرأة بمسلمون لم يحذف هذه النون وتقول انبت مسلمون ورأيت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين ايضا تشبيها بالواحد اذا كان اسما
لواحد الا انه لا يكون الا مكسورا ولو اسقطت التنوين جعلها اذرعات في قول امرئ القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال اكثر الرواية بالتنوين وقد
انشد بالكسر بغير تنوين والاول المختار النحويين لما ذكرنا من اجرائهم اياه مجرى المسلمون واما فتح التاء فخطأ وان كنتم ان هذه المخففة من الثقيلة بدلالة لزوم اللام الابتداء معها اذا
خففت لم تعمل ان وكنتم من قبله لمن الضالين لا موضع من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل والعاطفة الواو عطف جملة على جملة **المعنى** ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم قيل كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله بهذه اللفظة الاثم عمن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وفي هذا تصريح بالاذن في التجارة وهو المروي عن ائمتنا
وقيل كان في الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لا حج لهم فبين سبحانه انه لا اثم على الحاج ان يكونوا اجراء لغيرهم او مكارين وقيل معناه لا جناح عليكم ان تطلبوا المغفرة
من ربكم رواه جابر عن ابي جعفر فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وفي هذا دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما
ذهبنا اليه لان ظاهر الامر على الوجوب فقد اوجب الله الذكر فيه الا وقد اوجب الكون فيه ولان كل من اوجب الذكر فيه فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام فاذا افضتم من عرفات
فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله فيه واذكروه كما هداكم معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالهداية فان الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة في عظم القدر
كما يجب ان يكون على مقدارها في صغر النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته وتقليب الكلام واذكروه ذكرا مثل هدايته اياكم وان كنتم اي انكم
كنتم من قبله اي من قبل الهدى وقيل من قبل محمد فتكون الهاء كناية عن غير مذكور لمن الضالين عن النبوة والشريعة فهداكم اليه **قوله تعالى** ثم افيضوا من حيث افاض الناس و
استغفروا الله ان الله غفور رحيم اية **اللغة** الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة التغطية للذنب الفرق بين غفور وغافر ان في غفور مبالغة لكثرة المغفرة واما غافر
فيستحق الوصف به من يقع منه الغفران والعفو هو المغفرة وقد بينهما فرق بان العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب الثواب ولذلك كثرت المغفرة
في صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله **المعنى** ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل فيه قولان احدهما ان المراد به الافاضة من
من عرفات وانه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون
منها فامرهم الله بالوقوف بعرفة والافاضة منها كما يفيض الناس والمراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس وعائشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة وهو المروي عن الباقر ع قال الحاكم
انه امر بجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم عن الضحاك قال لما كان ابرهيم اماما كان بمنزلة الامة فسماه وحده ناسا والثاني ان المراد به الافاضة من المزدلفة الى منى يوم
النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر عن الجبائي قال والاية تدل عليه لانه قال فاذا افضتم من عرفات ثم قال ثم افيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على انها الافاضة
واجيب و الناس المراد به ابرهيم كما انه في قوله الذين قال لهم الناس نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل المراد بالناس ابرهيم واسمعيل واسحق ومن بعدهم من الانبياء عن ابي عبد الله وهذا يليق
على الاول ان يقال اذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب ههنا وعلى ما ذكره اصحابنا فالجواب ان ههنا تقديما وتأخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله غفور رحيم قيل اراد بالناس ادم عن سعيد بن جبير والزهري وقيل هم اهل اليمن
وربيعة عن الكلبي وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه الناس واستغفروا الله اي اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصي ان الله غفور رحيم اي كثير المغفرة رحيم
واسع الرحمة **قوله تعالى** فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اية **اللغة** اصل
القضاء فصل الامر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بان يعمل على تمام كقوله فقضاهن سبع سموات وقد يفصل بالاخبار على القطع كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي على جهة الالزام والخلاق النصيب من الخير واصله التقدير وهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو
نصيب مما يوجبه الخلق الكريم **الاعراب** اشد في موضع جر ولكنه لا ينصرف لانه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر اي واذكروه ذكرا اشد ذكرا
ذكرا منصوب على التمييز في الاخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله وما له في موضع جر بالمبتدأ الذي هو من خلاق فان من مزيدة والجار والمجرور في موضع رفع
بالابتداء ويجوز ان يكون في الاخرة في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما في له من الفعل **المعنى** فاذا قضيتم مناسككم معناه اذا اديتم مناسككم وقيل فاذا فرغتم من مناسككم
والمناسك جمع المنسك والمنسك يجوز ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان موضعا فالمعنى فاذا قضيتم ما وجب عليكم ايقاعه في متعبداتكم وان كان مصدرا
فانما جمع لانه يشتمل على افعال واذكار فجاز جمعه كالاصوات اي فاذا قضيتم افعال الحج فاذكروا الله كذكركم واختلف في الذكر على قولين احدهما ان المراد به التكبير المختص
بايام منى لانه الذكر المرغب فيه المندوب في هذه الايام والاخر ان المراد به سائر الادعية في تلك المواطن لان الدعاء فيها افضل من غيرها كذكركم اباءكم فيه
ما روي عن ابي جعفر الباقر انهم كانوا اذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر ابائهم ومآثرهم ويذكرون ايامهم القديمة واياديهم الجسيمة فامرهم الله سبحانه ان يذكروه
مكان ذكرهم اباءهم في هذا الموضع او اشد ذكرا او يزيدوا على ذلك بان يذكروا نعم الله ويعدوا الاءه ويشكروا نعماءه لان اباءهم وان كانت لهم عليهم ايادي
ونعم فنعم الله عليهم اعظم واياديه عندهم افخم ولانه المنعم بتلك المآثر والمفاخر على ابائهم وعليهم وهذا هو الوجه في تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذي
هو مندوب في الوجوب وهو قول الحسن وقتادة وقيل معناه فاستغيثوا بالله وافزعوا اليه كما يفزع الصبي الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره فيقول يا ابت عن عطا والاول
اصح وقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا بين سبحانه ان الناس في تلك المواطن اصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الاخرة لانه غير مؤمن بالبعث
والنشور وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب من الخير **قوله تعالى** ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اية **اللغة** الفرق بين القول

والكلام ان القول يدل على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحمد والحكاية على ثلثة اوجه احدها حكاية
اللفظ والمعنى نحو قال زيد انزع عليه نظرا اذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على المعنى نحو ان يخاطب بذلك قوله نظرا والايتا الاعطا وتصله الاتى بمعنى المجيء
فاذا كان بمعنى المجيء والى غيره فحمله على المجيء فيقال اتاه اما الايتا فى غيره فيجب ان يصله من فيقى وقاية ووقاء والوقاء اصله الحجز بين الشيئين والوقاء الحاجز الذى
يلى من الضرب المعنى لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من امور الدنيا فى ذلك الموقف الشريف عقبه بذكر دعاء المؤمنين من الدعاء للدنيا والاخرة فقال ومنهم
من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة اى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة عن انس وقتاده وروى عن ابى عبد الله ع انها السعة فى الرزق والمعاش وحسن
الخلق فى الدنيا ورضوان الله والجنة فى الاخرة وقيل العلم والعبادة فى الدنيا والجنة فى الاخرة عن الحسن وقتادة وقيل المال فى الدنيا وفى الاخرة الجنة عن ابن زيد و
السدى وقيل هى المرأة الصالحة فى الدنيا وفى الاخرة الجنة عن على ع وروى عن النبى ص انه قال من اوتى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على امر دنياه واخرته فقد اوتى فى
الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار **قوله تعالى** اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب آية **اللغة** النصيب الحظ وجمعه انصباء والنصبة حد النصيب
الذى يختص البعض من خير او شر والكسب الفعل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضر والسريع من العمل هو القليل المدة يقال سرع يسرع سرعة وسرعانا فهو سريع واقبل فلان فى سرعان قومه
اى فى اوائلهم المسرعين والحساب مصدر كالمحاسبة **المعنى** اولئك لهم نصيب مما كسبوا اى حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه والله سريع الحساب ذكر فيه وجوه احدها ان
معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب يجرى مجرى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لان الجزاء كفاء للعمل وبمقداره
فهو حساب له يقال احسبنى الشيء كفانى وثانيها ان يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف فى اوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شان عن شان وورد فى الخبر انه تعالى
يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار لمح البصر وروى بقدر حلب شاة وهذا الحساب يدل على انه ليس بجسم وانه لا يحتاج فى فعل الكلام الى آلة لانه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين فى وقت
واحد بخطابين مختلفين مخاطبتين مختلفتين ولكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على اعمالهم طويلة وروى عن امير المؤمنين ع انه قال معناه
انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها ان معناه انه سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذى يستحقه كل داع كما
يحتبس المخلوقون للاحصاء والحساب ويقرب منه ما روى عن ابن عباس انه قال يريد انه لا حساب على هؤلاء انما يعطون كتبهم بايمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت
بها عنكم وهذه حسناتكم قد ضعفتها لكم **قوله تعالى** واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا
انكم اليه تحشرون آية **اللغة** المعدودات يستعمل كثيرا فى اللغة للشيء القليل وكل عدد قل او كثر فهو معدود ولكن معدودات ادل على القلة لان كل قليل يجمع بالالف والتاء
والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذى يحشرون فيه وحشرتهم السنة اذا اجحفت بهم لانها تضمهم من النواحى الى المصر وسهم حشر خفيف لطيف لانه تضام
باجتماعه اذن حشرة لطيفة وضامرة وحشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية واصل الباب الاجتماع **الاعراب** العامل فى اللام من قوله لمن اتقى فيه قولان احدهما
ان تقديره ذلك لمن اتقى فيكون الجار والمجرور فى موضع خبر المبتدأ وانما حذف ذلك لان الكلام الاول دل عليه ودعا الى العامل والثانى ان يكون العامل فيه معنى لا اثم عليه
لانه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى **المعنى** واذكروا الله فى ايام معدودات هذا امر من الله للمكلفين ان يذكروه فى الايام المعدودات وهى ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر والايام
المعلومات عشر ذى الحجة عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروى عن ائمتنا وذكر الفراء ان المعلومات ايام التشريق والمعدودات العشر والذكر المأمور به هو ان تقول
عقيب خمس عشرة صلوة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة
الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر وآخره عقيب صلوة الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها
صلوة الظهر من يوم النحر ايضا هذا هو المروى عن الصادق ع وفى ذلك خلاف بين الفقهاء ووافقنا فى ابتداء التكبير من صلوة الظهر من يوم النحر ابن عباس وابن عمر قوله فمن
تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه المعنى فى ذلك الرخصة فى جواز النفر فى اليوم الثانى من ايام التشريق والافضل ان يقيم الى النفر الاخير وهو الثالث من
التشريق واذا نفر فى الاول نفر بعد الزوال الى غروب الشمس فان غربت فليس له ان ينفر الى اليوم الثالث وقوله فلا اثم عليه فيه قولان احدهما ان معناه لا اثم عليه لان سيئاته
صارت مكفرة بما كان من حجه المبرور وهو قول ابن مسعود والثانى ان معناه لا اثم عليه فى التعجيل والتأخير وانما نفى الاثم لئلا يتوهم متوهم ان فى التعجيل اثما وانما قال فلا
اثم عليه فى التأخير على جهة المزاوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن قوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان الحج يقع
مكفرا للسيئات اذا اتقى ما نهى الله عنه والاخر ما ذكره اصحابنا ان قوله لمن اتقى متعلق بالتعجيل فى يومين تقديره فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه لمن اتقى الصيد الى انقضاء
النفر الاخير وما بقى من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر فى الاول وهو المروى عن ابن عباس واختاره الفراء وقد روى ايضا عن ابى عبد الله ع فى قوله فمن تعجل فى يومين
اى من مات فى هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب ومن تأخر اى من انسأ اجله فلا اثم عليه اذا اتقى الكبائر وقوله واتقوا الله اى اجتنبوا معاصى الله واعلموا انكم اليه تحشرون اى
تحققوا انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذى يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم على اعمالكم **قوله تعالى** ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه
وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد آيتان **اللغة** الاعجاب هو سرور العجب بما يستحسن وبهر العجب ما ذكرنا وهو
السرور المعجب من الشيء استحسانا اما الاول ذلك اذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب يعجب تعجبا وعجبت عجبا واعجبه واستعجب الرجل اذا اشتد تعجبه قال الازهرى العجب كل شيء غير مألوف
والالد الشديد الخصومة تقول لددته الده لدا اذا غلبته فى الخصومة واللدود فى الحلق اذا وجره فى احد شقى فمه واللديدان جانبا الوادى ولديدا كل شيء جانباه و
التلدد التلفت عن تحير والخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وفعل اذا كان صفة فانه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب واذا كان اسما فانه يجمع فى القلة على افعل وفى الكثرة على
فعال كفرخ وفراخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولى هو الانصراف ان تولى عن النبى ص الخلاف جهته وقوله سعى قد يكون بمعنى اسرع وقد يكون بمعنى عمل قال الاعشى

سعى

وسعى لكندة سعى غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها اى عمل لكندة والافساد هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذى ينفى
الانتفاع والحرث الزرع والنسل العقب من الولد وقال الضحاك الحرث كل نبات والنسل كل ذات روح يقال نسل ينسل نسولا اذا خرج فسقط ومنه نسل وبر البعير وريش
الطائر واصله الخروج ومنه قيل لولد آدم نسل لانهم خرجوا من ظهره وقيل ايضا النسل الخروج من ظهر **الاعراب** ويهلك نصب عطفا على ليفسد فيها ولا يجوز ههنا
ان يكون ليفسد جوابا كما كان ليفسد اللام فيه لام كى والفرق بينهما ان اللام فى ليفسد على الاضافة فى الكلام واللام فى ليعذب لتاكيد النفى كما دخلت الباء فى ليس
زيد بقائم **النزول** قال ابن عباس نزلت الآيات الثلث فى المرائى لانه يظهر خلاف ما يبطن وهو المروى عن الصادق ع لانه عين المعنى وقال الحسن نزلت فى المنافقين وقال
السدى نزلت فى الاخنس بن شريق وكان يظهر الجميل بالنبى ص والمحبة له والرغبة فى دينه ويبطن خلاف ذلك **المعنى** ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره احوال
المؤمنين والكافرين فقال ومن الناس من يعجبك قوله اى يستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك فى الحيوة الدنيا اى يقول امنت بك وانا صاحب لك ويشهد الله
على ما فى قلبه اى يحلف بالله ويشهد على انه مضمر ما يقول فيقول اللهم اشهد على به وضميره على خلافه وهو الد الخصام اى وهو اشد المخاصمين خصومة ومن قال ان
الخصام مصدر فمعناه وهو شديد الخصومة عند المخاصمة جدل بالباطل واذا تولى اعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن الضحاك ومعناه اذا ولى سلطانا
جار وقيل معناه عن قوله اعطاه عن ابن جريج سعى فى الارض اسرع فى المشى من عندك وقيل عمل فى الارض ليفسد فيها بقطع الرحم وسفك الدماء عن ابن جريج وقيل بالظلم
ويهلك الحرث والنسل اى النبات والاولاد وذكر الازهرى ان الحرث النساء والنسل الاولاد لقوله نساؤكم حرث لكم وروى عن الصادق ع ان الحرث فى هذا الموضع
الدين والنسل الناس والله لا يحب الفساد اى العمل بالفساد وقيل اهل الفساد وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يريد القبائح لانه نفى عن نفسه محبة الفساد
والمحبة هى الارادة لان كل ما اراد صاحبه ان يكون فعلا واراد ان يكون فقد احب ان يكون **قوله تعالى** واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم
ولبئس المهاد آية **اللغة** الاتقاء طلب السلامة بما يحجز عن المخافة واتقاء الله انما هو اتقاء عذابه والاخذ ضد الاعطاء والعزة القوة التى تمتنع بها من الذلة والمهاد
الوطاء من كل شيء وكل شيء وطأته فقد مهدته والارض مهاد الانام لتوطئه للنوم والقيام عليها **المعنى** ثم بين تعالى صفة من تقدم من المنافقين فقال واذا قيل له اتق
الله بما نهى عنه من السعى فى الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل اخذته العزة بالاثم فيه قولان احدهما حملته العزة وحمية الجاهلية على
فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اى الزمته ذلك والثانى اخذته العزة من اجل الاثم الذى فى قلبه من الكفر عن الحسن فحسبه جهنم
كفاه عقوبة من ضلاله ان يصلى نار جهنم ولبئس المهاد اى القرار عن الحسن كما قال فى موضع اخر وبئس القرار لان القرار كالوطاء فى الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم
مهادا لانها بدل من المهاد كما قال سبحانه فبشرهم بعذاب اليم لانه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه وفى هذه الاية دلالة على ان من يكبر عن قبول الحق اذا
دعى اليه كان مرتكبا اعظم كبيرة ولذلك قال ابن مسعود من الذنوب التى لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك **قوله تعالى** ومن الناس من يشرى نفسه
ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد آية **اللغة** الشرى من الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى وقوله تعالى وشروه بثمن بخس اى باعوه والمرضاة والرضا
ضد السخط وقد مضى معنى الرأفة **الاعراب** ابتغاء نصب لانه مفعول له كقول الشاعر واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما **النزول** روى
السدى عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية فى على بن ابى طالب ع حين هرب النبى ص عن المشركين الى الغار ونام على على فراش النبى ص ونزلت الاية بين مكة والمدينة وروى
انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب يباهى الله بك الملائكة وقال عكرمة نزلت فى ابى ذر الغفارى
وجندب بن السكن وصهيب بن سنان لان اهل ابى ذر اخذوا ابا ذر فانفلت منهم فقدم على النبى ص فلما رجع مهاجرا عرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبى ص واما صهيب فانه اخذه المشركون
من اهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا وروى عن على ع وابن عباس ان المراد بالاية الرجل الذى يقتل على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال قتادة نزلت هذه فى المهاجرين والانصار
وقال الحسن هى عامة فى كل مجاهد فى سبيل الله **المعنى** ثم عاد سبحانه الى وصف المؤمن الآمر بالمعروف فى قوله واذا قيل له اتق الله لان هذا القائل امر بالخير والمعروف فقال ومن
الناس من يشرى اى يبيع نفسه ابتغاء مرضات الله اى لابتغاء رضا الله وانما اطلق عليه اسم البيع لانه انما فعل ما فعل لطلب رضا الله كما ان البايع يطلب الثمن بالبيع والله
رؤوف بالعباد اى واسع الرحمة بعباده يتعبدهم بالجهاد ليوصلهم الى رضوانه وثوابه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين آية
القراءة قرأ اهل الحجاز والكسائى فى السلم كافة بفتح السين والباقون بكسرها **الحجة** قال الاخفش السلم بكسر السين الصلح وفيه ثلث لغات السلم والسلم والسلم واما
السلم التى يسلم لاهلها قال ابو عبيدة السلم بكسر السين والاسلام واحد وهو فى موضع اخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام وقوله تعالى
لمقاد المائل به منه فيكون مصدرا او صفة ويحتمل ايضا ان يكون فعلا بمعنى فاعل مثل بطل وحسن نظيره ما بين خاسط وسط **اللغة** كافة معناها جميعا واشتقاقه من
اللغة ما يكف الشيء فى آخره ومن ذلك كفة القميص حاشيته لانها تمنعه من ان ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة ويقال فى كل مستدير كفة نحو كفة الميزان واستكف السائل وتكفف
اذا بسط كفه للسؤال وكل شيء جمعته فقد كففته واستكف القوم بالشيء اذا احدقوا به **الاعراب** كافة منصوب على الحال من الواو فى ادخلوا وقيل هو حال من السلم والكاف تعلق
بحذف ونحوه وموضع نصب على الحال من عقد **المعنى** لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلثة دعا جميعهم الى الطاعة والانقياد فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله
ادخلوا فى السلم اى فى الاسلام اى دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله عن ابن عباس والسدى والضحاك ومجاهد وقيل معناه ادخلوا فى السلم
الذى هو خيار البلخى والكلام يحتمل الامرين وحملها على الطاعة عموم يدخل فيه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول فى الولاية كافة اى ادخلوا جميعا
فى الاسلام والطاعة والاستسلام وقيل معناه ادخلوا فى السلم كافة اى فى جميع شرايع الاسلام ولا تتركوا معصية يؤيد هذا القول ما روى ان قوما من اليهود اسلموا وسألوا
النبى ص ان يبقى عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الابل فامرهم ان يلتزموا جميع احكام الاسلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى اثاره ونزغاته لان ترككم شيئا من شرايع الاسلام اتباع

الشيطان

للشيطان انه لكم عدو مبين اى مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لادم بقوله لاحتنكن ذريته الا قليلا قوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز
حكيم آية **اللغة** يقال زل الرجل يزل زللا وزلولا اذا دحضت رجله في الطين وزليلا واصله من الزوال ومعنى زللتم الزوال عن الاستقامة والعزيز هو القدير المنيع الذى
لا يعجزه شىء واصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اذا كانت ممتنعة بالشدة وقد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق **الاعراب** ما جاءتكم موصول وجاءتكم صلته والعائد محذوف والجملة فى
موضع جر [illegible] لانها بعد الفاء وجوب للشرط والفاء مع الجملة فى محل الجزم لانه جواب شرط **المعنى** لما امر سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعيد على تركها
فقال فان زللتم اى تنحيتم عن القصد وعدلتم عن الطريق القويم الذى امركم الله تعالى بسلوكه من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والمعجزات فاعلموا ان الله عزيز فى نقمته لا يمنع شىء
من بطشه وعقوبته حكيم فيما شرع من الاحكام دينا لكم وفيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد اقامة الحجة عليكم **قوله تعالى** هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل
من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور آية **القراءة** قرأ ابو جعفر والملائكة بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن عامر والكسائى وحمزة ترجع الامور بفتح التاء
والباقون بضمها **الحجة** من قرأ والملائكة بالجر فانه عطفها على الغمام اى فى ظلل من الغمام وفى ظلل من الملائكة اى جماعة من الملائكة وقراءة السبع بالرفع عطفا على قوله
الله اى الا ان يأتيهم الله والملائكة وحجة من قرأ ترجع الامور على بناء الفعل للمفعول به قوله ثم ردوا الى الله ولئن رددت الى ربى وحجة من قرأ
ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله الا الى الله تصير الامور اليه مرجعكم **اللغة** النظر هنا بمعنى الانتظار كما فى قول الشاعر فبينا نحن ننظره اتانا معلق شكوة وزناد راع
ننظره واصل النظر الطلب لادراك الشىء واذا استعمل بمعنى الانتظار فلان المنتظر يطلب ادراك ما يتوقع واذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلان المفكر يطلب المعرفة واذا كان بالعين
فلان الناظر يطلب الرؤية والظلل جمع ظلة وهى ما يستظل به من الشمس وسمى السحاب ظلة لانه يستظل به والغمام السحاب الابيض الرقيق سمى بذلك لانه يغم اى يستر
الاعراب هل حرف استفهام بمعنى الجحد هنا والنفى الا ان يأتيهم الله فى موضع نصب بينظرون من الغمام يتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفية فى موضع جر صفة لظلل **المعنى**
ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد اخر فقال هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام اى هل ينتظر هؤلاء المكذبون بايات الله الا ان يأتيهم امر الله وعذاب الله
وما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب وقطع من السحاب وهذا كما يقال قتل الامير فلانا وضربه واعطاه وان لم يتول شيئا من ذلك بنفسه بل فعل بامره فاسند اليه
لامره به وقيل معناه ما ينتظرون الا ان يأتيهم جلائل آيات الله غير انه ذكر نفسه تفخيما للايات كما يقال دخل الامير البلد ويراد بذلك جنده وانما ذكر الغمام ليكون اهول فان
الاهوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه واذا غشيهم موج كالظلل وقال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب كما قال فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى
اتاهم بخذلانه اياهم وهذه الاقوال متقاربة المعنى [illegible] هل ينظرون الا تأويله وهو سؤال والمراد به النفى والانكار اى ما ينتظرون كما يقال هل يطلب
بمثل هذا الا منفعة اى ما يطلب [illegible] هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة او يأتى امر ربك وقد يقال [illegible] وعيد فلان
وجاءنى كلام فلان [illegible] ولا يراد بالاتيان الحقيقى [illegible] وقال الاخر اتانى نصرهم وهم بعيد بلادهم بارض
الخيزران واما قوله والملائكة فقد ذكرنا الوجه فى اعرابه بالجر والرفع ومعنى الاية الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام اى بجلائل آياته وبالملائكة وقضى الامر اى فرغ من الامر
وهو المحاسبة وانزال اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وهذا فى الاخرة وقيل معناه وجب العذاب اى عذاب الاستئصال وهذا فى الدنيا والى الله ترجع الامور
اى اليه ترد الامور فى سؤاله منها ومجازاته عليها وكانت كلها له فى الاول والابتداء فلما ملك غيره فى الدنيا اشياء تصير كلها اليه فى الاخرة لا يملك احد هناك شيئا وقيل اليه ترجع امور الدنيا والاخرة
قوله سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب آية **الاعراب** كم فى موضع نصب لانه مفعول ثان لآتيناهم وانما وجب
صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم ان هذه الجملة التى هى كم آتيناهم من آية قد وقعت موقع المفعول الثانى لقوله سل من آية يتعلق بآتيناهم وموضعه نصب وما جاءته
الموصول والصلة فى موضع جر باضافة بعد اليه **المعنى** سل يا محمد بنى اسرائيل اى اولاد يعقوب ثم اليهود الذين كانوا حول المدينة والمراد به علماؤهم وهو سؤال تقريع
لتأكيد الحجة عليهم كم آتيناهم اى اعطيناهم من آية بينة من حجة ظاهرة ومعجزة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حية وفلق البحر وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى عن
الحسن ومجاهد وقيل كم من حجة لمحمد تدل على صدقه عن الجبائى ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فى الكلام حذف وتقديره فبدلوا نعمة الله وكفروا بها بان [illegible] فضلوا
واضلوا ومن يبدل [illegible] بالكفران وقيل [illegible] ادلة الله [illegible] الخالية من البرهان فان الله شديد العقاب له وقيل شديد العقاب
لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة فى انه ليس لله سبحانه على الكافر نعمة لانه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال فى موضع اخر يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها [illegible] التبديل اليهم [illegible] فلو لم يكن [illegible] ما استحقوا العقوبة والتبديل [illegible]
[illegible] التورية والانجيل [illegible] القرآن [illegible] ان الناس فيها ثلث فرق [illegible]
[illegible]
نعم زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب آية **اللغة** التزيين والتحسين واحد
[illegible] الزينة اسم جامع لكل ما يتزين به **الاعراب** الحيوة الدنيا صفة الحيوة بغير حساب الجار والمجرور فى محل النصب على الحال والعامل فيه يرزق وذو الحال
الضمير فى يرزق او الموصول الذى هو من يشاء وتقديره غير محاسب **النزول** نزلت الاية فى ابى جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا وكانوا يسخرون من قوم من
المؤمنين فقراء مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب يقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه يسخرون من ضعفاء
المؤمنين عن مقاتل وقيل نزلت فى رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء ولا مانع ان تكون نزلت فى جميعهم **المعنى** ثم بين سبحانه ان
عدولهم عن الايمان انما هو لايثارهم الحيوة الدنيا فقال زين للذين كفروا الحيوة الدنيا وفيه قولان احدهما ان الشيطان زينها لهم بان قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب

اوفقر عجاب

اليهم فاما الله فلا يجوز ان يكون المزين لهم اياها لانه زهدهم فيها واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن والجبائى والاخر ان الله زينها لهم بان خلق
فيها الاشياء المعجبة المحبوبة بما خلق فيهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير الاية وانما كان كذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة
فان الانسان انما يكلف بان يدع الى الشىء تنفر نفسه عنه او ينزجر عن شىء تتوق نفسه اليه وهذا معنى قول النبى ص حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وانما ذكر الفعل وهو مسند (بالمكاره)
الى الحيوة لان تأنيث الحيوة غير حقيقى وهو بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولانه فصل بين الفعل والفاعل بقوله للذين كفروا واذا فصل فى الفعل الحقيقى حضر القاضى اليوم
امرأة وجوزوا التذكير فيه فهو فى التأنيث الغير الحقيقى اجوز ويسخرون من الذين آمنوا اى يهزؤن من المؤمنين لفقرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجهلهم فى ذلك وقيل
لزهدهم فى الدنيا ويمكن حمله على الجميع اذ لا تنافى بين هذه الاقوال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اى الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار فى الدرجات وقيل اراد ان نعيمهم بنعيم الاخرة اكثر
من استمتاع هؤلاء فى الاخرة بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فوق هؤلاء الكفار لانهم فى عليين وهؤلاء فى سجين وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
يعنى رسول الله وابا جهل [illegible] كما قال [illegible] وقيل انه اراد ان حال المؤمنين فى الهزء بالكفار والضحك منهم فوق حال هؤلاء فى الدنيا ويدل على ذلك قوله ان الذين اجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه اقوال احدها ان معناه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا
يدخله الحساب من كثرته وثانيها انه لا يرزق الناس فى الدنيا على مقابلة اعمالهم وايمانهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله فان قلنا ان المراد انه فى الاخرة فمعناه
ان الله لا يثيب المؤمنين فى الاخرة على قدر اعمالهم التى سلفت منهم بل يزيدهم تفضلا وثالثها انه يعطيهم عطاء لا يأخذه بذلك احد ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء
ولا مكافاة ورابعها انه يعطى العدد من الشىء لا يضبط بالحساب ولا يأتى عليه العد لان ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطى الشىء لا من عدد اكثر منه فينقص منه كمن يعطى الالف
من الالفين والعشرة من المائة عن قطرب وخامسها ان معناه يعطى اهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتى عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن **قوله تعالى** كان الناس امة واحدة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم آية **القراءة** قرأ ابو جعفر القارئ وحده ليحكم بضم الياء وفتح الكاف والباقون بفتح
الياء وضم الكاف **الحجة** وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويجوز ان يكون فاعل يحكم الله اى ليحكم الله
فى عباده ووجه قراءة ابى جعفر ظاهر **اللغة** الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت وهى هنا بمعنى الملة والدين **الاعراب** مبشرين ومنذرين نصب على
الحال وبالحق فى موضع الحال والعامل فيه انزل ايضا والحال الكتاب ليحكم جار ومجرور واللام يتعلق بانزل وبغيا بينهم نصب على انه مفعول له اى لم يوقعوا الاختلاف الا للبغى
ويجوز ان يكون مصدرا وقع موقع الحال وما اسم موصول واختلفوا صلته واللام يتعلق بهدى ومن الحق فى موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والباء فى باذنه يتعلق بهدى
ايضا **المعنى** ثم بين سبحانه لحال من تقدم من الكفار وتسلية للنبى فقال كان الناس امة واحدة اى اهل ملة واحدة اى ذوى امة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف فى
انهم على اى دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروى عن ابن عباس فى احدى الروايتين والحسن واختاره الجبائى ثم اختلفوا فى اى وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا
بين آدم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح الى ان بعث الله ابراهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبى وهذا غير صحيح لان الله بعث كثيرا من الانبياء
الى المؤمنين فان قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله تعالى لا يجوز ان يخلى الارض من حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحجة هناك فى واحد او جماعة قليلة لم
يمكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم اذ كانت الغلبة للكفار وقال آخرون انهم كانوا على الحق وهو المروى عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس فى الرواية
الاخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس وقتادة هم كانوا بين آدم ونوح وهم عشرة قرون كانوا على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدى والكلبى هم اهل سفينة نوح حين
غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك والتقدير على تفسير قول هؤلاء كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال مجاهد المراد بآدم كان على الحق اماما لذريته
فبعث الله النبيين فى ولده وروى اصحابنا عن ابى جعفر الباقر انه قال كانوا قبل نوح امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيين وعلى
هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم ان مصالحهم فيها فبعث الله اى ارسل الله النبيين مبشرين لمن اطاعهم
بالجنة ومنذرين لمن عصاهم بالنار وانزل معهم الكتاب اى انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعضهم الكتاب لانه لم يكن مع كل نبى كتاب وقيل المراد به
مع بعضهم لانه لم ينزل مع كل نبى كتاب وقيل المراد به الكتب لان الكتاب اسم الجنس فمعناه الجمع قوله بالحق اى بالصدق والعدل وقيل معناه انزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله
ليحكم بين الناس الضمير فى يحكم يرجع الى الله اى ليحكم الله بين الناس وقيل يرجع الى الكتاب فاضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله هو الذى يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب
فيما اختلفوا فيه من الحق قبل انزال الكتاب ويمكن ان يسأل عن هذا فيقال اذا كانوا مختلفين فى الحق فكيف عمهم الكفر فى قول من قال انهم كانوا كلهم كفارا فالجواب انه لا يمتنع ان يكونوا
كفارا وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى فى المسيح فقالت النصارى هو رب وقالت اليهود هو كاذب وقوله وما اختلف فيه الا (الدين)
اى وما اختلف فى الحق الا الذين اعطوا العلم به كاليهود فانهم كتموا صفة النبى ص بعد ما اعطوا العلم به من بعد ما جاءتهم البينات اى الادلة والحجج الواضحة
وقيل التورية والانجيل وقيل معجزات محمد بغيا بينهم اى ظلما وحسدا وطلبا للرياسة وقوله فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه معناه فهدى الله الذين
آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والاذن بمعنى العلم مشهور فى اللغة قال الحارث بن حلزة آذنتنا ببينها اسماء اى اعلمتنا وانما خص المؤمنين لانهم خصوا
بالاهتداء وقيل ان معنى باذنه بلطفه فعلى هذا يكون فى الكلام محذوف اى فاهتدوا باذنه وانما قال هديهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هديهم الحق فيما
اختلفوا فيه لانه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان اولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فيه قولان احدهما ان المراد به البيان والدلالة
الصراط المستقيم هو الاسلام ويختص المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل عقله التكليف وثانيهما ان المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصا بمن علم من حاله انه يصلح به عن

البلخي وابن الاخشيد فالنهار المراد به يهديهم الى صراط الجنة ويأخذ بهم على طريقها فيكون مختصا بالمؤمنين قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب القراءة قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب الحجة من نصب فالمعنى وزلزلوا الى ان قال الرسول وما ينصب بعد حتى على ضربين احدهما ان يكون بمعنى الى كما في الآية والآخر ان يكون بمعنى كي كما تقول اسلمت حتى ادخل الجنة فهذا تقديره اسلمت كي ادخل الجنة فالاسلام قد كان والدخول لم يكن بعد والوجه الاول لكلا الفعلين الذي قبل حتى والذي بعدها قد مضى واما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون الا فعل حال ويجيء على ضربين احدهما ان يكون الفعل الاول هو السبب الذي قد ادى الفعل الثاني نحو مرض حتى لا يرجونه [illegible] لانه على هذا الوجه لان المعنى زلزلوا حتى ان الرسول يقول الا متى نصر الله وحكى الحال التي كانوا عليها كما حكيت الحال في قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه والثاني ان يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير لا فصل بينهما كالحال المحكية كما كانت في الوجه الاول الا ترى ان ما مضى لا يكون حالا وحتى اذا وقع الفعل بعدها على هذين الوجهين يستأنف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة واذا نصب الفعل بعدها فهي الجارة وينتصب الفعل بعدها باضمار ان كما ينتصب بعد اللام والفعل وان المضمرة معها في موضع جر بحتى اللغة الزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة لشدة الحركة والجمع الزلازل واصله من قولك زل الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفة معناه نحو صر وصرصر وصل وصلصل فاذا قلت زلزلته فتأويله كررت تحريكه عن مكانه الاعراب ام هنا هي المنقطعة ومعناه بل احسبتم الفرق بين حسبتم وام لا تكون الا متصلة بكلام والالف لا تكون مستأنفة وان تدخلوا اصله ان موصولة وموضعه نصب بانه مفعول حسبتم وقد سد مسد مفعولين بل مفعوله الثاني محذوف وتقديره احسبتم دخولكم الجنة ثابتا والجنة نصب لانها ظرف مكان للدخول ولما اصله لم زيد عليها ما فغير معناها كما غير معنى لو اذا قلت لوما فصيرته بمعنى هلا والفرق بين لم ولما ان لما يصلح [illegible] عليها مثل قولك في جواب من قال قد يقول الامير لما ولا يجوز ان يقول لم في ذلك وتوقع بها عقيبة فقد انتظرت قوم ركوب الامير قال قد ركب فان نفيت هذا قلت لما يركب [illegible] يجمعها نفي الماضي ومثل مرفوع بانه فاعل يأتكم [illegible] تقديره ولما يأتكم [illegible] مثل الذين خلوا من قبلكم [illegible] لانه في تقدير الانفصال [illegible] في تقدير المنفصل لانه مفعول [illegible] في موضع نصب على الحال والواو واو الحال وتقديره ان تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم البأساء في موضع الحال ايضا والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوف على مستهم ونصر الله [illegible] ومتى في موضع خبر المبتدأ النزول قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله الى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدي وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي الى متى تقتلون انفسكم لو كان محمد نبيا لما سلط الله عليه الاسر والقتل وقيل نزلت في المهاجرين من اصحاب النبي الى المدينة اذ تركوا ديارهم واموالهم ومسهم الضر عن عطاء المعنى ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الامم الخالية تسلية للنبي ولاصحابه فيما نالهم من المشركين وامثالهم لان سماع اخبار الصالحين يرغب في مثل احوالهم فقال ام حسبتم معناه بل احسبتم وظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم معناه ولما يمتحنوا ويبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا وهذا استدعاء الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل مثل الشبه والشبه اي لم يصبكم مثل الذين خلوا قبلكم من النبيين والمؤمنين وفي الكلام حذف وتقديره مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما اصابهم فقال مستهم البأساء والضراء وقيل البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء وقيل البأساء القتال والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من جرح [illegible] ومن الاهل والمال والاخراج [illegible] وزلزلوا اي حركوا بانواع البلايا وازعجوا بالمخافة من العدو [illegible] حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن وانما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمني وقيل معناه الدعاء لله بالنصر ولا يجوز ان يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لان الرسول يعلم ان الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة ثم اخبر الله سبحانه انه ناصر اوليائه لا محالة فقال الا ان نصر الله قريب وقيل ان هذا من كلامهم بانهم قالوا عند الاياس متى نصر الله ثم تفكروا ان الله منجز وعده فقالوا الا ان نصر الله قريب وقيل انه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيله قال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول الا ان نصر الله قريب كقوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم اللغة النفقة اخراج الشيء من الملك ببيع او هبة او صلة او نحو ذلك وقد غلب في العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق والسؤال طلب الجواب بصيغة مخصوصة من الكلام الاعراب موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل ان يكون رفعا او نصبا فاما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون والعائد من الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذي وينفقون صلته والنصب على تقدير اي شيء ينفقون فيكون ما وذا اسما لشيء واحد ويكون ذا لغوا لانها مفيدة المعنى وما من قوله ما انفقتم اسم الشرط في محل الرفع بالابتداء وانفقتم في محل الجزم به ومن خير جار ومجرور في موضع الحال [illegible] تقديره ما انفقتم كائنا من خير [illegible] الحال الضمير المرفوع المحذوف من الصلة فللوالدين الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف والمبتدأ مع الخبر في محل الرفع [illegible] بعد الفاء مع ما بعد جواب للشرط ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في موضع رفع لانها خبر المبتدأ الاول وما تفعلوا ما اسم شرط في محل النصب بتفعلوا ويجوز ان يكون ما في ما انفقتم ايضا منصوب الموضع بانفقتم فيكون مفعوله النزول ان الآية نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا اتصدق وعلى من اتصدق فانزل الله هذه الآية المعنى يسئلونك يا محمد اي شيء ينفقون والسؤال عن الانفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فانهم قد علموا ان الامر يقع بانفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ما انفقتم من خير اي مال [illegible] ينتفع به لانه مما لا ينتفع به لا يسمى خيرا فللوالدين والاقربين والمراد بالوالدين الاب والام والجد والجدة وان علوا لانهم يدخلون في اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب المعطي واليتامى كل من لا اب له مع صغره والمساكين الفقراء وابن السبيل المنقطع به واختلفوا في هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة عنده والزكوة لمن يجوز وضع الزكوة عنده فهي عامة في الزكوة المفروضة وفي التطوع وقال السدي الآية واردة في الزكوة ثم نسخت ببيان مصارف الزكوة والاول اظهر لانه لا دليل على

نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكوة الى الاب والام والجد والجدة والى الاولاد فاما النفقة فلا خلاف ان النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين واجبة واما النفقة على ذوي الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعي ويجب عند ابي حنيفة وقوله وما تفعلوا من خير اي من عمل صالح يقربكم الى الله فان الله به عليم يجازيكم به من غير ان يضيع منه شيء لانه تعالى لا يخفى عليه شيء النظم وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الآية الاولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية بيان الوجه الانفاق في سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والطاعة قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون آية اللغة الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس او لم يحمل وقيل الكره والكره المشقة وقد يكره الانسان ما لا يشق عليه وقد يشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضر القبيح وهذا هو الاصل ثم يستعمل في غير ذلك توسعا يقال شر بين شرارة وشرار النار وشررها لهبها [illegible] وشرر اللحم والثوب ان تبسطه ليجف والاشرار الاظهار الاعراب وهو كره لكم فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون فعلا فهو مكروه ولكم نوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا اي ذو رضا ويجوز ان يكون بمعنى مرضي وعسى ان تكرهوا موضع ان تكرهوا رفع بانه فاعل عسى وعسى هذه تامة لانها تمت بالفاعل ولم تحتج الى الخبر المعنى [illegible] الجهاد مصلحة لهم فقال سبحانه كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله وهو كره لكم اي شاق عليكم تكرهونه كراهة طبع لا على وجه السخط وقد يكون الشيء مكروها عند الانسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وان كان يريده لان الله تعالى امره بذلك كالصوم في الصيف وقيل معناه انه مكروه لكم قبل ان يكتب عليكم لان المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا معناه وقد تكرهون شيئا في الحال وهو خير لكم في عاقبة اموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان لكم في الجهاد احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود عن الجهاد لمحبة الحيوة وهو شر لما فيه من الذل والفقر في الدنيا وحرمان الغنيمة والاجر في العقبى والله يعلم ما فيه اي يعلم مصالحكم ومنافعكم وما هو خير لكم في عاقبة امركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يأمركم به وان شق عليكم واجمع المفسرون الا عطاء ان هذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض على الكفاية حتى لو قعد جميع الناس عنه اثموا به وان قام به من في قيامه كفاية سقط عن الباقين وقال عطاء ان ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الاجماع قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية اللغة الصد المنع والصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدودا وصدا اذا اعرض عنه وصده عنه يصده صدا اذا عدل به عنه ومنه الصدى ما استقبلك وصار في قبالتك لانه يعدل الى مواجهتك والصد ناحية الشعب والوادي والصداد ضرب من الحيات [illegible] لشدة تحرزه والصد الوزغ لانه يعدل [illegible] واصل الباب العدول ولا يزال اصله من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجودا وما زال اي دام وحبط عمل الرجل حبوطا وحبطا واحبطه الله احباطا والحبط في [illegible] الماشية في بطونها الاكل الحباط وهو ضرب من الكلاء يقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا وفي الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم الاعراب قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتمال لان الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله في المكان قوله قتل اصحاب الاخدود النار وقال الاعشى لقد كان في حول ثواء ثويته تقضي لبانات ويسأم سائم وقال الكوفيون هو مجرور على نية عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الالفاظ متقاربة المعنى وان اختلفت العبارة عنه وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتدأ وكفر به معطوف عليه واخراج اهله منه معطوف عليه ايضا وخبره اكبر عند الله اي هذه الاشياء اكبر عند الله واجاز الفراء رفعه على وجهين احدهما انه مردود على كبير اي قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به [illegible] والاخر ان يجعل الصد كبيرا اي القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون رفعا بالابتداء وخبره محذوف وخطأه العلماء بالنحو قالوا لانه يصير المعنى في التقدير الاول قل القتال في الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطأ بالاجماع ويصير التقدير في الثاني واخراج اهله منه اكبر عند الله من الكفر وهذا ايضا خطأ بالاجماع والمفسرون يقولون في هذا المعنى واخراج اهله منه اكبر من القتل فيه [illegible] واخراج النبي والمؤمنين [illegible] الوجه الاول فلا تخلص للفراء منه والمسجد الحرام مجرور وعطفه على سبيل الله كانه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كانه قال يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام [illegible] عطف على سبيل الله وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على الثاني في قوله وكفر به لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار الا في ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثاني ويجوز يرتد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات ويجوز بكسر الدال على اصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح اجود النزول قال المفسرون بعث رسول الله سرية من المسلمين وامر عليهم عبد الله بن جحش الاسدي وهو ابن عمة النبي وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندري امن الشهر الحرام هذا اليوم ام لا وقال قائل منهم لا نعلم هذا اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفيتم عليه فغلب على الامر الذين يريدون عرض الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي اول قتيل قتل بين المشركين والمسلمين وذلك اول فيء اصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي فقالوا اتحل القتال في الشهر الحرام فانزل الله هذه الآية المعنى يسئلونك يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام عن الحسن واكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الاسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه عن الشهر الحرام قتال فيه يعني عن قتال في الشهر الحرام وهو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى في الجاهلية منزع الاسنة ومنصل الال لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول رجب ابطلوا على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع فيه قعقعة السلاح [illegible] اليه كما قيل ليل نائم وسر كاتم وكان

الناس لا يخاف بعضهم بعضا فامن السبل الى ان ينقضى الشهر قل يا محمد قتال فيه اى فى الشهر الحرام كبير اى ذنب عظيم ثم استانف وقال وصد عن سبيل الله كبر وكفر به اى والصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد الحرام اى والصد عن المسجد وعلى القول الاخر معناه يسئلونك عن قتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل والكفر بالمسجد الحرام عن الجبائى تحمله على الباء فى قوله وكفر به واخراج اهله يعنى اهل المسجد وهم المسلمون منه اى من المسجد اكبر اى اعظم وزرا عند الله يعنى اخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا الى المدينة والنظم يدل على ان القتال فى الشهر الحرام كان محرما بقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال الا فيما هو محرم محظور وقيل ان النبى صلعم عقل ابن الحضرمى وقوله والفتنة اكبر من القتل معناه والفتنة فى الدين وهو الكفر اعظم من القتل فى الشهر الحرام يعنى قتل ابن الحضرمى وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطا هو باق على التحريم فيمن يحرم هذه الاشهر ولا يبتدءون فيها بالقتال وكذلك فى الحرم وانما اباح الله للنبى قتال اهل مكة عام الفتح فقال عم ان الله احلها لى فى هذه الساعة ولم يحلها لاحد من بعدى الى يوم القيمة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الاشهر جاز قتاله اى وقت كان والتحريم منسوخ فى حقه وقوله ولا يزالون يقاتلونكم يعنى اهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين حتى يردوكم عن دينكم اى يصرفوكم عن دين الاسلام ويلجئوكم الى الارتداد ان استطاعوا ان قدروا على ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه فيمت وهو كافر يعنى مات على كفره فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة معناه انها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب وليس المراد انهم استحقوا على اعمالهم الثواب ثم انحبط لانه قد دل الدليل على ان الاحباط على هذا الوجه لا يجوز واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى دائمون **النظم** نظم الاية وتقديرها يسئلونك عن القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير لكن الكفر بالله وصد المسلمين عن سبيل الله ودينه واخراجهم عن اوطانهم اعظم عند الله كبر وزرا وهؤلاء الكفار مع هذه الافعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا اعظم مما سئلوا عنه **قوله** ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم اية **اللغة** الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرا وهجرانا وهجرة اذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجر هجرا اذا قال ما لا ينبغى ان يهجر الكلام وسمى المهاجرون مهاجرين لهجرهم قومهم وارضهم وانما اطلق على هؤلاء اللفظ الذى يقع على الاثنين لان كل واحد من هؤلاء فعل ضد ما فعل صاحبه وترك ما ترك اختيارا لصحبة النبى ص وجاهد العدو مجاهدة وجهادا اذا حملت نفسك على المشقة فى قتاله والرجاء الامل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون وقال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل اى لم يخف ذلك وان الرجاء للشى معه تخويف ان لا يكون فلذلك يسمى الخوف باسم الرجاء **النزول** نزلت الاية فى قصة عبد الله بن جحش واصحابه لما قاتلوا فى رجب وقتل واقد التميمى ابن الحضرمى فظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله الاية فيهم بالوعد **المعنى** ان الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله والذين هاجروا اى قطعوا عشائرهم وفارقوا منازلهم وتركوا اموالهم وجاهدوا فى سبيل الله اى قاتلوا الكفار فى طاعة الله التى هى سبيله المشروعة لعباده وانما جمع بين هذه الاشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لا ان الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد اولئك يرجون رحمة الله اى يأملون نعمة الله فى الدنيا والعقبى من النصرة فى الدنيا والمثوبة فى العقبى والله غفور يغفر ذنوبهم رحيم يرحمهم انما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين وان كانوا يستحقون الثواب قطعا ويقينا لانهم لا يعلمون ما يكون منهم فى المستقبل الاقامة على طاعة الله والانقلاب عنها الى معصية الله وفيه وجه اخر وهو الصحيح هو انهم يرجون رحمة الله فى غفران معاصيهم التى لم يتوبوا منها التوبة ولم يواقعوها فهم يرجون ان يسقط الله عقابهم عنهم تفضلا فاما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجوز ان يكفر المؤمن بعد ايمانه او يفعل فى المستقبل كبيرة تحبط ثواب ايمانه وهذا لا يصح على مذهبنا فى الموافاة وقال الحسن البصرى ايجاب الرجاء والطمع على المؤمنين فى رجاء رحمة الله عز وجل كان الذين الياس من رحمته كفر كما قال ولا تيأسوا من روح الله الاية والامن عليه خسران كما قال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون فمن الواجب على المؤمن ان لا ييأس من رحمته وان لا يأمن من عقوبته ويؤيده قوله تعالى يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وفى الاية دلالة على ان من مات مصرا على كبيرة لا يرجو رحمة الله لامرين احدهما ان دليل الخطاب غير صحيح عند اكثر المحصلين والاخر انه قد يجتمع عندنا الايمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه الصفة من شان الايمان **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء فذلك احق ببلوغ الحكمة

قوله يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ايتان فى الكوفى واية واحدة فيما عدا الكوفى تتفكرون اية وتركها غيره **القراءة** قرء اهل الكوفة غير عاصم اثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرء ابو عمرو وحده قل العفو بالرفع والباقون بالنصب **الحجة** قال ابو على حجة من قرء بالباء ان يقول الباء اولى لان الكبر مثل العظم ومقابله الصغر قال تعالى وكل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا فى الذنب اذا كان موبقا الكبيرة كقوله كبائر ما تنهون عنه وكبائر الاثم فلذلك ينبغى ان يكون قوله قل فيهما اثم كبير بالباء لان شرب الخمر والميسر من الكبيرة وقالوا فى غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل القليل هو الكثير كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك ايضا قوله واثمهما اكبر من نفعهما واتفاقهم هنا على اكبر ورفضهم الاكثر ووجه من قرء بالثاء انه قد جاء فيهما انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وفى الحديث لعن الرسول فى الخمر عشرة مشتريها والمشترى له وعاصرها والمعصورة له وساقيها والمستقى لها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها فهذا يقوى قراءة من قرء كثيرا واما وجه قول من نصب العفو فهو ان قولهم ماذا يستعمل على ضربين احدهما ان يكون ما مع ذا اسما واحدا والاخر ان يكون ذا بمعنى الذى فالاول قول العرب عماذا تسئل انتبهوا الالف فى ما لما كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فان الحذف انما يقع اذا كانت الالف اخيرا ومن ذلك قول الشاعر يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى الديرين تحنانا اى ما بال نسوتكم فاذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم كان قوله ماذا ينفقون فى موضع نصب بمنزلة ما ينفقون اى اى شىء ينفقون فجوابه العفو

بالنصب واما وجه قول من رفع فهو ان يجعل ماذا على الضرب الاخر فيكون تقديره ما الذى ينفقون فجوابه العفو على ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى الذى ينفقون العفو ومثله فى التنزيل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين واعلم ان سيبويه لا يجوز ان يكون ذا بمنزلة الذى الا فى هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يجيزون فى غير هذا الموضع ويحتجون بقول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى ولا دلالة لهم فى الاية لان قوله بيمينك يجوز ان يكون ظرفا فى موضع الحال ولا يكون صلة وكذلك تحملين فى البيت والعامل فى الحال فى الموضعين ما فى التنبيه من معنى الفعل **اللغة** الخمر اصله الستر والخمر ما واراك من الشجر وغيره ومنه الخمار للمقنعة ويدخل فى خمار الناس اى فى الكثير الذين يسترونهم ويقال خامره الداء اذا خالطه مرها عنزا مخامر لعزة مراعيها ما استحلت وخمرت الاناء اى غطيته وفى الحديث كان النبى ص يسجد على الخمرة وهى السجادة الصغيرة من حصير سميت بذلك لانه تستر الوجه عن الارض قال الزجاج وقد لبس على ابى الاسود الدئلى فقيل ان هذا المسكر الذى تسمونه نبيذ الخمر حلال فظن ان ذلك كما قيل له ثم رده طبعه الى ان حكم انهما واحد فقال دع الخمر تشربها الغواة فاننى رايت اخاها مجزيا لمكانها فالا يكنها او يكنه فانها اخوها غذته امه بلبانها واصل الباب الستر والميسر القمار اشتق من اليسر وهو وجوب الشى لصاحبه من قولك يسر لى هذا الشى ييسر يسرا وميسرا اذا وجب لك والياسر الواجب بقداح وجب لك او غيره وقيل القمار ياسر قال النابغة او ياسر ذهب القداح بوفرهم اسف ما كلة الصديق بخلع اى قامر وقيل اخذ من التجزئة لان كل شى جزأته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو لانهم كانوا يشتركون فى الجزور ليسهل امرها الا انه على جهة القمار والعفو ماخوذ من الزيادة ومنه قيل حتى عفوا اى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر ولكنا نعض السيف منا باسوق عافيات الشحم كوم اى زائدات الشحم وقيل هو ماخوذ من الترك من قوله فمن عفى له من اخيه شى اى ترك ومنه قوله عفوت لكم عن صدقة الخيل فيكون العفو المتروك عفو عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل الماء وما اشبهه والخليط الشريكان لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلا وعنت العظم عنتا اذا وقر او كسر بعد جبر وعنت عنتا اذا اكتسب ماثما ونحوه والعنوق الطويلة واصل الباب المشقة والشدة **الاعراب** العامل فى الظرف من قوله فى الدنيا والاخرة قوله يبين اى يبين لكم الايات فى امر الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون يتفكرون ايضا اى تتفكرون فى امر الدنيا وامر الاخرة وقوله فاخوانكم رفع على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فهم اخوانكم ويجوز فى العربية فاخوانكم النصب على تقدير فاخوانكم تخالطون والوجه الرفع **النزول** ان جماعة من الصحابة اتوا رسول الله ص فقالوا افتنا فى الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت الاية **المعنى** ثم عاد سبحانه الى بيان الشرايع والاحكام فقال يسئلونك يا محمد عن الخمر وهى كل شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه وما اسكر كثيره فقليله حرام هذا الظاهر فى روايات اصحابنا وهو مذهب الشافعى وقيل الخمر عصير العنب اذا اشتد وغلا وهو مذهب ابى حنيفة والميسر هو القمار كله عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروى عن ائمتنا عم قالوا ان لعب الصبيان بالجوز هو القمار قل فيهما اى فى الخمر والميسر اثم كبير اى وزر عظيم وكثير من الكثرة ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا ياخذون فى اثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو ان يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد ولا مشقة ومن تقوية الضعفاء واثمهما اكبر من نفعهما اى ما فيهما من الاثم اكبر مما فيهما من النفع لان نفعهما فى الدنيا وما يحصل من الاثم بهما يوجب سخط الله فى الاخرة فلا يطابق فى جنبه الانتفاع الذى لا بقاء له قال الحسن فى الاية تحريم الخمر من وجهين احدهما قوله واثمهما اكبر فانه اذا زادت مضرة الشى على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه والثانى بين ان فيهما الاثم وقد حرم فى اية اخرى الاثم فقال قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وقيل ان الخمر تسمى اثما فى اللغة قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلى كذاك الاثم يذهب بالعقول على انه قد وصف الاثم بانه كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه واثمهما بعد تحريمهما قال سعيد بن جبير كل اثمهما قبل التحريم يعنى ان الاثم الذى يحدث من اسبابهما اكبر من نفعهما وقال قتادة هذه الاية لا تدل على تحريمهما وانما تدل الاية التى فى المائدة من قوله انما الخمر والميسر الى اخرها وقوله ويسئلونك ماذا ينفقون اى اى شى ينفقون والسائل عمرو بن الجموح سئل عن النفقة فى الجهاد وقيل فى الصدقات قل العفو فيه اقوال احدها انه ما فضل عن الاهل والعيال او الفضل عن الغنى عن ابن عباس وقتادة وثانيها ان العفو الوسط من غير اسراف ولا اقتار عن الحسن وعطاء وهو المروى عن ابى عبد الله ع وثالثها ان العفو ما فضل عن قوت السنة عن ابى جعفر الباقر ع قال ونسخ ذلك باية الزكوة وبه قال السدى ورابعها ان العفو اطيب المال وافضله وقوله كذلك انما وحد الكاف لان الخطاب للنبى ص ويدخل فيه الامة وقيل ان تقديره كذلك ايها القبيل يبين الله لكم الايات اى الحجج فى امر النفقة والخمر والميسر وفى سائر شرايع الاسلام لعلكم تتفكرون اى لكى تتفكروا فى الدنيا والاخرة اى فى امر الدنيا وامر الاخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلاء وعناء وفناء والاخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا فى هذه وترغبوا فى تلك وقيل انه من صلة يبين اى كما يبين لكم الايات فى الخمر والميسر يبين لكم الايات فى امر الدنيا والاخرة لكى تتفكروا فى ذلك ولا دلالة على ان الله اراد منهم التفكر سواء تفكروا او لم يتفكروا ويسئلونك عن اليتامى قال ابن عباس لما انزل الله ولا تقربوا مال اليتيم الاية وان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فاشتد ذلك عليهم فسئلوا عنه فنزلت هذه الاية ولا بد من اضمار فى الكلام لان السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسئلونك عن القيام على اموال اليتامى قل يا محمد اصلاح لهم خير يعنى اصلاح لاموالهم من غير اجرة ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا وان تخالطوهم اى تشاركوهم فى اموالهم وتخلطوها باموالكم فتصيبوا من اموالهم عوضا عن قيامكم باموركم فاخوانكم اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا اذن لهم فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الايتام فى الاموال من الماكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ورخصة لهم فى ذلك اذا تحروا الصلاح بالتوفير على الايتام عن الحسن وغيره وهو المروى فى اخبارنا والله يعلم المفسد من المصلح معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد اموالهم او اصلاحها لهم ولو شاء الله لاعنتكم اى لضيق عليكم فى امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم رعايتهم وتجنبوهم من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل وفى هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لانه سبحانه اذا لم يكلفهم ما يشق عليهم ولو اعنتهم لكان جائزا

من النعمة فكيف يصح ان يشاء تكليف ما لا يطاق وكيف يكلفه ما لا سبيل للمكلف اليه ويأمره بما لا يستطيع وانه من جهته وان عنت عظم من هذا قال البلخي وغيره في ذلك دليل
على انه تعالى لا يقدر على الظلم لان الاعنات هو تكليف ما لا يجوز في الحكمة بمقدور ولو شاء لفعله لان الله عزيز يفعل بعزته ما يحب لا يمنعه عنه مانع حكيم في تدبيره
وافعاله لا يفعل الا ما توجبه الحكمة وليس له مانع **قوله** تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون آية **اللغة** النكاح اسم يقع على العقد و
الوطي وقيل ان اصله الوطي ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث يسمى عذرة وهو اسم للفناء ويسمى غايطا وهو اسم للمكان المطمئن يقال نكح ينكح نكاحا اذا تزوج وانكحه
غيره وزوجه والامة المملوكة يقال امة بينة الاموة وتأميت فلانة وتاميتها اذا جعلتها امة واصل امة فعلة بدلالة قولهم في جمعها اماء وامو نحو اكمة واكام واكم **الاعراب**
يؤمن في محل نصب بان مضمرة وان يؤمن في موضع جر بحتى وحتى يتعلق بتنكحوا ومن مشرك يتعلق بخير والجار والمجرور في محل النصب بانه مفعول به ولو اعجبكم جواب لو محذوف
تقديره ولو اعجبتكم امة مشركة لامة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثاني محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الازواج حتى يؤمنوا واعراب قوله حتى يؤمنوا ولو
اعجبكم مثل ما قلناه في حتى يؤمن ولو اعجبتكم **النزول** انها نزلت في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا
فدعته امرأة يقال لها عناق الى نفسها فابى وكانت خلته في الجاهلية فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رجع استأذن في التزويج بها فنزلت الآية
المعنى لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال ولا تنكحوا المشركات اي لا تزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن اي يصدقن بالله ورسوله وهي عامة عندنا
في تحريم مناكحة جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم وليس بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله بينهما
فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين فعطف احدهما على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص وقال بعضهم الآية
متناولة لجميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا صلى الله عليه وآله فقد انكر معجزته واضافها الى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لان المعجزة شهادة من الله
له بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال ان الآية منسوخة في الكتابيات بالآية التي في المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال
انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا
وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها ان شاء الله ولأمة مؤمنة خير من مشركة معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم معناه ولو اعجبتكم بمالها او حسبها او جمالها
وظاهر هذا يدل على انه يجوز نكاح الامة المؤمنة مع وجود الطول فاما قوله ومن لم يستطع منكم طولا الآية فانما هي على التنزيه دون التحريم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا معناه
ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات يتناول جميع الكافرات وقوله ولعبد
مؤمن خير من مشرك اي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو اعجبكم ماله او حاله او جماله والفرق بين لو اعجبكم وبين ان اعجبكم ان لو للماضي وان للمستقبل وكلاهما يصح في معنى
الآية وهو من العجب الذي هو بمعنى الاستحسان وليس من التعجب اولئك يعني المشركين يدعون الى النار يعني الى الكفر والمعاصي التي هي سبب دخول النار وهذا مثل التعليل
لان الغالب ان الزوج يدعو زوجته الى دينه والله يدعوا الى الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اي بامره يعني بما يأمر به او يأذن فيه من الشرايع والاحكام عن الحسن و
الجبائي وقيل باعلامه قوله ويبين آياته للناس اي حججه وقيل اوامره ونواهيه وما يحل وما يحرم للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا او يتعظوا **قوله** تعالى ويسئلونك
عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين آية **القراءة**
قرأ اهل الكوفة غير حفص حتى يطّهّرن بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف **الحجة** من قرأ يطهرن فانه من طهرت المرأة تطهر طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس
لانه خلاف طمثت فينبغي ان يكون على بنائه وايضا فقولهم طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرأ يطّهّرن فانه يتطهرن فادغم التاء في الطاء **اللغة**
حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا وحاضت المصدر من هذا الباب المفعل والمفعل جائز فيه قال الراعي بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا اي قيلولة
وامرأة حائض ونساء حيض والاعتزال التنحي عن الشيء وكل شيء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه ومنه قولهم انت عن هذا بمعزل اي متنحي وعزلاء المزادة مخرج الماء
من احد جانبيها والجمع عزالي والمعزال من الناس الذي لا ينزل مع القوم في السفر لكنه ينزل ناحية والطاهر خلاف الدنس والطهور يكون اسما ويكون صفة فاذا كان اسما كان
على ضربين احدهما ان يكون مصدرا كما حكاه سيبويه تطهرت طهورا حسنا وتوضأت وضوءا والآخر ان يكون اسما لما يتطهر به كما جاء في قوله طهور اناء احدكم كذا وهو ما
يطهر به كالفطور والوجور والسعوط والسحور واما كونه صفة فنحو قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فهذا كالرسول والعجوز ونحو ذلك من الصفات التي جاءت على فعول
لا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعديا نحو ضرب والاثر ان فعلت غير متعد كما يتعدى ضرب ومن الصفة قوله هو الطهور ماؤه لانه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفة
المشبهة **الاعراب** من حيث جار ومجرور ولكن حيث مبني لا يظهر فيه الاعراب وانما بني لمشابهته الحرف لانه لا يفيد الا مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله فأتوهن
امركم الله جملة في محل الجر باضافة حيث اليها **النزول** قيل كانوا في الجاهلية يجتنبون مواكلة الحائض ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية عن الحسن
وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون اتيان النساء في ادبارهن ايام الحيض فلما سألوا عنه بين تحريمه عن مجاهد والاول عندنا اقوى **المعنى** ثم بين سبحانه شريعة اخرى
فقال ويسئلونك يا محمد والسائل ابو الدحداح فيما قيل عن المحيض اي عن الحيض واحواله قل يا محمد هو اذى معناه قذر ونجس عن قتادة والسدي وقيل دم عن مجاهد وقيل
هو اذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضي فاعتزلوا النساء في المحيض اي اجتنبوا مجامعتهن في الفرج عن ابن عباس وعايشة والحسن وقتادة ومجاهد
وهو قول محمد بن الحسن وابي يوسف ومذهبنا انه لا يحرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يحرم ما دون الازار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول ابي حنيفة
والشافعي ولا تقربوهن بالجماع وقالوا لانه [illegible] على الخلاف فيه حتى يطهرن بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن [illegible]

مجاهد وطاوس وهو مذهبنا فاذا تطهرن اي اغتسلن وقيل توضأن وقيل غسلن الفرج فأتوهن فجامعوهن وهو اباحة وان كان صيغته صيغة الامر كقوله واذا
حللتم فاصطادوا من حيث امركم الله معناه من حيث امركم الله بتجنبه في حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدي والضحاك وقيل من
قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والاول اليق بالظاهر وقال الزجاج معناه من الجهات التي يحل فيها ان تقرب المرأة ولا تقربوهن وهن صائمات
او محرمات او معتكفات وقال الفراء ولو اراد الفرج لقال في حيث فلما قال من حيث علمنا انه اراد من الجهة التي امركم الله بها وقال غيره انما قال من حيث لان من لابتداء الغاية
في الفعل نحو قولك ائت زيدا من مأتاه اي من الوجه الذي يؤتى منه ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا وقد رواه
اصحابنا ايضا في سبب نزول الآية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن جبير وانما لم يذكر المتطهرات لان المؤنث يدخل في المذكر وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر
وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض وفيها بيان غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض ما اقله واكثره وعندنا اقله ثلثة ايام و
اكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعي واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطي في حال الحيض فان عندنا ان كان في
اوله يلزمه دينار وان كان في وسطه فنصف دينار وان كان في آخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقال الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا وثالثها غاية
تحريم الوطي واختلف فيه فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من قال اذا توضأت او غسلت فرجها حل وطيها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا وان كان المستحب ان لا يقربها
الا بعد الغسل ومنهم من قال اذا انقطع دمها فاغتسلت حل وطيها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضها عشرة فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج وان كان دون العشرة فلا يحل وطيها
الا بعد الغسل او التيمم او مضي وقت صلوة عليها عن ابي حنيفة **قوله** تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
وبشر المؤمنين آية **الاعراب** انى في محل النصب لانه ظرف مكان اذا كان بمعنى حيث واين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى والعامل فيه فأتوا وشئتم جملة فعلية في موضع
الجر باضافة الظرف اليها واذا كان انى بمعنى كيف فهو في محل النصب على المصدر لا بحل شئتم وتقديره فأتوا حرثكم اي نوع شئتم **النزول** قيل نزلت ردا على اليهود فانهم قالوا
ان الرجل اذا اتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد احول فاكذبهم الله عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فانزل الله اباحته عن الحسن **المعنى**
لما بين احوال النساء في الطهر والحيض عقب ذلك بقوله نساؤكم حرث لكم وفيه وجوه احدها ان معناه مزرع ومحترث لكم عن ابن عباس والسدي والثاني ان معناه ذوات
حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع والثالث معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه
كما قال النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم وتسمي العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمة انشدني ابي اذا اكل الجراد حروث قوم فحرثي همه اكل الجراد يريد
امرأتي فأتوا حرثكم اي موضع حرثكم يعني فأتوا نساءكم انى شئتم معناه من اين شئتم عن قتادة والربيع وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا خطأ عند
اهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما قال انى لك هذا وقيل معناه من اي وجه شئتم واستشهد بقول الكميت ومن اين ابتك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب
شاهدا له لانه لا يجوز ان يكون انى في هذا بمعنى لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا واي وقت كان يجوز ان يكون بمعنى كيف [illegible]
في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر ورواه كثير من اصحابنا وخالف في ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرث لا يكون الا بحيث النسل فيجب
ان يكون الوطي حيث يكون النسل والجواب عن ذلك بان النساء وان كن حرثا فقد ابيح لنا وطيهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطي فيما دون الفرج وما اشبهه وقوله وقدموا
لانفسكم معناه وقدموا الاعمال الصالحة التي امرتم بها ورغبتم فيها لتكون ذخرا لكم عند الله وحيا انتفعا له بما فيه [illegible] قال وقدموا لانفسكم
الطاعة فيما امرتم به واتقوا الله اي اتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب والتحذير من تجاوز ما [illegible]
وقيل معناه هنا طلب الولد فان في بقاء الولد الصالح يكون نفعا عظيما لقوله اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به بعد موته
وقيل هو تقديم الافراط لقوله من قدم ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن
عطا وقيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روي عن ابن عباس قال قال النبي اذا اراد احدكم ان يأتي اهله فليقل بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فان قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان وقيل هو التزوج بالعفائف ليكون الولد طاهرا صالحا واعلموا انكم ملاقوه اي ملاقوا جزائه يعني ثواب الله ان اطعتموه وعقابه ان
عصيتموه وانما اضافه اليه على ضرب من المجاز وبشر المؤمنين بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقاء على الرؤية لان لفظ اللقاء يقع على معان مختلفة يقال لقي جهده ولقي
[illegible] في الآية اثبات اللقاء لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب اليه اهل التشبيه **قوله** ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم آية
اللغة يقال لكل ما يصلح للشيء هو عرضة له والمرأة عرضة للنكاح والدابة المعدة للسفر عرضة له قال الشاعر فهذي لايام الحروب وهذه للهوي وهذي عرضة لارتحالنا
وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الخير والشر واليمين والقسم والحلف واحد قيل اخذ من القوة لانه يتقوى به على ما يحلف عليه ومنه قوله تلقاها عرابة باليمين وقيل
اخذ من الجارحة لانهم كانوا عند الايمان يضربون ايديهم على ايديهم فسمي الحلف بذلك وقيل اخذ من اليمن الذي هو البركة لانه عقد خير تبرك بذكره للتأكيد **الاعراب**
قوله ان تبروا في موضعه ثلثة اقوال احدها انه في موضع جر بحذف اللام عن الخليل قال ابو علي جاز ان يكون المصدر الذي هو ان مع الفعل في موضع جر وان لم
يجز ذلك في غير ان لامرين احدهما ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف والآخر ان حرف الجر اذا حذف اللام صار كان حرفا قد اقيم مقام الحرف فعاقبه فلهذا حسن حذف
اللام مع ان دون المصدر غير الموصول باللفظ بالفعل وقوى حذف ذلك انك اذا قلت جئتك لضرب زيد لم يجز ان تحذف اللام فتقول جئتك ضرب زيد وجاز ان
تحذف اللام فتقول جئتك ان تضرب زيدا والثاني ان موضعه النصب لانه لما حذف الجار وصل الفعل وهو قول سيبويه وهو القياس اقول على القولين جميعا
يكون تقديره لان لا تبروا على النفي او لان تبروا على الاثبات فعلى القول الاول وهو النفي يكون في موضع نصب بانه مفعول له وعلى القول الثاني وهو الاثبات يجوز ان يكون

مفعولا له ويجوز أن يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما في قوله لأيمانكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم كائنة لأن تبروا أي لبركم [illegible] الأيمان والثالث ما قاله [illegible] أن موضعه رفع تقديره أن تبروا وتتقوا وتصلحوا خير لكم فحذف الخبر الذي هو أولى لأنه معلوم المعنى. **النزول** نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحل لي أن أفعله فنزلت الآية. **المعنى** لما بين سبحانه الأحوال التي تحل فيها النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الإيلاء وهو اليمين التي تحرم الزوجة فابتدأ بذكر الأيمان ثم أتبعها حكم الإيلاء فقال ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وفي معناه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تتعمدون التعلل بها وتقولوا حلفنا بالله ولم تحلفوا به عن [illegible] وعلى هذا الوجه الاعتراض الذي هو كالمانع بينكم وبين البر والتقوى لأن المعترض بين الشيئين يكون مانعا من وصول أحدهما إلى الآخر فالعلة المانعة كهذا المعترض والثاني أن عرضة معناه حجة فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجوا بما سلف من اليمين عن ابن عباس ومجاهد والربيع وأصل هذا القول والأول واحد لأنه منع من جهة الاعتراض لعلة أو حجة والثالث أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عرضة مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبروا في الحلف بها وتتقوا المأثم فيها عن عائشة لأنها قالت لا تحلفوا بالله وإن بررتم وبه قال الجبائي وأبو مسلم وهو المروي عن أئمتنا نحو ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخراز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم قال أبو مسلم من أكثر ذكر شيء فقد جعله عرضة يقول قد جعلتني عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعليني عرضة للوائم ويقال على الوجه الأول والثاني لا تجعلوا الله مانعا من البر والتقوى باعتراضكم به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلفون به دائما باعتراضكم بالحلف به في كل حق وباطل وقوله أن تبروا قيل في معناه أقوال الأول لأن تبروا على معنى الإثبات أي لأن تكونوا بررة أتقياء فإن من قلت يمينه كان أقرب إلى البر ممن كثرت يمينه وقيل لأن تبروا في اليمين والثاني أن المعنى لدفع أن تبروا أو لترك أن تبروا فحذف المضاف عن المبرد والثالث أن معناه أن لا تبروا فحذف لا عن أبي عبيدة قال وقد تحذف لا لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا أي لا أبرح وأنكر المبرد هذا لأنه كان [illegible] أن يكون جواب القسم وإنما يجوز والله أقوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان إثباتا لقال لأقومن باللام والنون والمعنى في قول أبي العباس [illegible] أحد التأويلين [illegible] تتقوا الإثم [illegible] في الأيمان وتصلحوا بين الناس [illegible] وتصلحوا بين الناس عطف على ما سبق ومعناه ولا تجعلوا الحلف بالله علة وحجة في أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا لكي تكونوا من البررة الأتقياء والمصلحين بين الناس أو لدفع أن تبروا وأن تتقوا وتصلحوا على الوجه [illegible] لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة لأن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فإن من كثرت يمينه لا يوثق بحلفه ومن قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى والإصلاح بين الناس والله سميع لأقوالكم عليم بما في ضمائركم لا يخفى عليه شيء من ذلك فخافوه وفي هذه الآية دلالة على أن من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فله أن ينقض يمينه ويفعل الذي هو خير وهل يجب عليه الكفارة فيه خلاف فعند أكثر الفقهاء يجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا [illegible] والصحيح أن القسم عليه [illegible] لقول النبي صلى الله عليه وآله من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم بالله فأعيذوه. **قوله** لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم. **اللغة** أصل اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه يقال لغا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائدة فيه [illegible] الكلمة إذا طرحتها لأنه لا فائدة فيها واللاغية الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير أهله ولغو الطائر منطقه قال ثعلبة بن صعير المازني [illegible] ولغو طائر [illegible] وأصل الحلم الأناة [illegible]. **الإعراب** في أيمانكم في موضع الحال والعامل فيه يؤاخذ [illegible] اللغو [illegible] بما كسبت يجوز أن يكون ما موصولا ويجوز أن يكون حرفا. **المعنى** ثم بين سبحانه أقسام اليمين فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم [illegible] اللغو [illegible] هو ما يجري على عادة الناس من قول لا والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها أحد عن ابن عباس وعائشة والشعبي وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وهو قول الشافعي وقيل هو أن يحلف وهو يرى أنه صادق ثم تبين أنه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وقيل هو يمين الغضب لا يؤاخذكم بالحنث فيها عن ابن عباس أيضا وطاوس وقال سعيد بن جبير إنه يوجب الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو ولا يجب فيها كفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أي بما عزمتم وقصدتم لأن كسب القلب العقد والنية وفيه حذف أي في أيمانكم وقيل بأن تحلفوا كاذبين أو على باطل عن إبراهيم والله غفور [illegible] حليم بإمهال العقوبة على الذنب لا يعجل بها. **قوله تعالى** للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم. **اللغة** الإيلاء الحلف [illegible] آلى يؤلي إيلاء [illegible] والألية والألوة اليمين قال الشاعر [illegible] وقال [illegible] التنزيل ولا يأتل أولو الفضل منكم [illegible] يقال تربص به [illegible] قال الشاعر تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حليلها والفيء الرجوع يقال فاء يفيء فيئا إذا رجع وفاء الفيء إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس [illegible] الفرق بين الفيء والظل ما قال المبرد إن الفيء ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه وكل فيء ظل وليس كل ظل فيئا فلذلك أهل الجنة في ظل لا فيء لأن الجنة لا شمس فيها قال تعالى وظل ممدود وجمع الفيء أفياء [illegible] والفيء غنائم المشركين أفاء الله علينا منهم وهو من رجوع الشيء إلى حقه [illegible] والعزم هو العقد على فعل شيء في مستقبل الأوقات [illegible] يتعلق بفعل الآدمي يقال عزمت على الشيء [illegible] عزمت عليك لتفعلن [illegible] النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق [illegible] لأنه لا حظ فيه للمذكر وهذا ليس بشيء لأن في الكلام أشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث لا يثبت فيها الهاء في المؤنث [illegible] قال سيبويه إنه وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيء طالق وحقيقته أنه

[illegible] ذات طلاق [illegible] فإذا أجريته على الفعل قلت طالقة قال الأعشى أيا جارتا بيني فإنك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطارقة وأصل الطلاق من الانطلاق [illegible] عند الولادة فهي مطلوقة إذا تمخضت والطلق الشوط من الجري [illegible] كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموع إذا وجد وهي ترجع إلى كونه حيا لا آفة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه في الأبد بأنه سميع ولا يوصف في الأزل بأنه سامع وإنما يوصف بأنه سامع إذا وجدت المسموعات. **الإعراب** يجوز في أربعة أشهر ثلاثة أوجه الجر على الإضافة وعليه القراءة وهذه الإضافة غير حقيقية فإن الأربعة في محل النصب فكأنه مجرور في اللفظ منصوب في المعنى والرفع والنصب [illegible] تربص أربعة أشهر كقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله [illegible] مثل ما قتل من النعم [illegible] ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا أي تكفتكم أحياء وأمواتا. **المعنى** ثم بين سبحانه حكم الإيلاء لأنه من جملة الأيمان والأقسام وشريعة من شرائع الإسلام فقال للذين يؤلون من نسائهم أي يحلفون [illegible] أن يعتزلوا عن وطء نسائهم على وجه الإضرار بهن تربص أربعة أشهر أي التوقف والتثبت في أربعة أشهر واليمين التي يكون الرجل بها موليا هي اليمين بالله عز وجل أو بشيء من صفاته التي لا يشاركه فيها غيره على وجه [illegible] اللغو الذي لا فائدة فيه [illegible] يكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والإضرار وهو المروي عن علي وابن عباس والحسن وقيل في الغضب والرضا عن إبراهيم والشعبي وجماعة من الفقهاء وقيل هو في الجماع وغيره من الإضرار نحو أن يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب فإن فاءوا أي رجعوا إلى أمر الله بأن يجامعها عند القدرة عليه أو [illegible] بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وقيل يكون فائيا بالعزم في حال العذر إلا أنه ينبغي أن يشهد على فيئه عن الحسن وإبراهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائي عندنا الكفارة ولا عقوبة عليه [illegible] وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة [illegible] وقال الحسن وإبراهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله فإن الله غفور رحيم ومعنى غفور عندنا أنه لا يتبعه بعقوبة ومن حلف أن لا يجامعها [illegible] أربعة أشهر لا يكون موليا ومن حلف أن لا يقربها وهي مرضعة مخافة أن تحبل فيضر ذلك بولدها لا يلزمه حكم الإيلاء فإذا مضت [illegible] أربعة أشهر [illegible] والكفارة وأما الطلاق فإن امتنع حبسه حتى يفيء أو يطلق وإن عزموا الطلاق وعزيمة الطلاق عندنا أن يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق [illegible] الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلى أن [illegible] فإن استعدت أنظره الحاكم [illegible] أربعة أشهر فإنه يوقف عند الأشهر الأربعة ويقال له فئ أو طلق فإن لم يفعل حبسه حتى يطلق وبه قال الشافعي إلا أنه قال متى امتنع من الطلاق والفيء طلق عند الحاكم طلقة رجعية وقال أبو حنيفة وأصحابه إذا مضت أربعة أشهر [illegible] بانت منه بتطليقة لا رجعة له عليها وعليها العدة يخطبها في العدة ولا يخطبها غيره فإن الله سميع عليم يسمع قوله ويعلم ضميره وقيل سميع لإيلائه ويعلم نيته وإنما ذكر عقيب الأول فإن الله غفور رحيم لأنه لما أخبر عن المولي أنه مخير بين الفيء والطلاق بين أنه إن فاء فإن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه وذكر ههنا أنه سميع عليم لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق [illegible] لا يخفى عليه [illegible] من عظيم فصاحة القرآن. **قوله تعالى** والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. **اللغة** القرء [illegible] جمع قرء وجمع القليل أقرؤ والكثير أقراء وقروء [illegible] ثلاثة قروء [illegible] لأنه [illegible] استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل [illegible] لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة للإشعار بذلك فالقروء كثيرة إلا أنها ثلاثة في القسمة وهذا الحرف من الأضداد وأصله في اللغة يحتمل وجهين أحدهما الاجتماع ومنه قرأت القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلا قط أي لم يجتمع رحمها على ولد قط قال عمرو بن كلثوم ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا وعلى هذا يقال أقرأت المرأة فهي مقرئ [illegible] لاجتماع الدم في الرحم ويجيء على هذا أن يكون القرء الطهر لاجتماع الدم في جملة البدن والوجه الثاني أن أصل القرء الوقت الجاري [illegible] الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها قال الشاعر شنئت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقاريها الرياح أي لوقت هبوبها [illegible] ويدل على أن القرء الطهر قول الأعشى وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الأصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا فالذي ضاع ههنا الأطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل [illegible] سمي الزوج بعلا لأنه عال على المرأة بملكه زوجيتها وقوله أتدعون بعلا أي ربا وقيل إنه صنم [illegible] البعل النخل يشرب بعروقه [illegible] بعل الرجل بأمره إذا [illegible] والرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجلة أي القوة [illegible] الرجل [illegible] والدرجة المنزلة. **الإعراب** إن كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف وتقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله إن أرادوا إصلاحا محذوف [illegible]. **المعنى** ثم بين سبحانه حكم المطلقات في الطلاق فقال والمطلقات أي المخليات من حبال الأزواج بالطلاق وإنما يعني المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن في الآية بيان عدتهن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلاثة قروء [illegible] خبر ومعناه الأمر والمراد بالقروء الأطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي وأهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت أحدا من أهل بلدنا إلا وهو يقول الأقراء الأطهار إلا سعيد بن المسيب والمروي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة [illegible] أن القرء الحيض [illegible] أبو حنيفة وأصحابه واستشهدوا بقوله للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك والصلاة إنما تترك في أيام الحيض [illegible] أن القرء الطهر بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي في طهر لم يجامعهن فيه [illegible]

حائض مرة فليراجعها فاذا طهرت فليطلقها او ليمسك وتلا النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن لقبل عدتهن فاخبر ان العدة الاطهار دون الحيض لانها
تستقبل عدتها ولو طلقت حائضا لم تكن مستقبلة عدتها الا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الرأي يقول ان من رأيي ان الاقراء التي سمى الله في القرآن انما
هي الطهر فيما بين الحيضتين وليس بالحيض قال فدخلت على ابي جعفر فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برأيه انما بلغه عن علي عليه السلام فقلت اصلحك الله اكان علي يقول ذلك
قال نعم كان يقول انما القرء الطهر تقرء فيه الدم فتجمعه فاذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امرأته طاهرا من غير جماع بشهادة عدلين قال اذا دخلت في الحيضة
الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج قال قلت ان اهل العراق يروون عن علي عليه السلام انه كان يقول هو احق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة فقال كذبوا ولا
يحل لهن اي للمطلقات اللاتي يجب عليهن العدة ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قيل اراد به الحيض عن ابراهيم وعكرمة وقيل اراد به الحبل عن ابن عباس وقتادة وقيل اراد
الحيض والحبل عن ابن عمر والحسن وهو المروي عن الصادق قال قد فوض الله الى النساء ثلثة اشياء الحيض والطهر والحبل وهذا القول اتم فالاخذ به اولى وانما لم يحل لهن الكتمان لئلا
يظلمن الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد الى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة وقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر يعني من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فهذه
صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى انها اذا لم تكن مؤمنة يحل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه ان كنت مؤمنا
فلا تظلم وهذا على وجه التوعيد وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني ان ازواجهن اولى برجعتهن وبردهن الى الحالة الاولى في ذلك الاجل الذي قدر لهن في مدة العدة
فانه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة يفوت بانقضائها وفي هذا ما يدل على ان الزوج ينفرد بالمراجعة ولا يحتاج في ذلك الى رضا المرأة ولا الى عقد
واشهاد وهذا يختص الرجعيات وان كان اول الاية عاما في جميع المطلقات الرجعية والبائنة ان ارادوا اصلاحا لا اضرارا وذلك ان الرجل كان اذا اراد الاضرار بامرأته
طلقها واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها اخرى وتركها مدة كما فعل في الاولى ثم راجعها وتركها مدة ثم طلقها اخرى فجعل الله الزوج
احق بالمراجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار وانما شرط الاصلاح في اباحتها الرجعة لا في ثبوت احكامها بالاجماع الامة ان مع ارادة الاضرار يثبت احكام الرجعة ولهن
ولهن اي للنساء على ازواجهن مثل الذي لهم عليهن من الحق بالمعروف وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمة وانما اراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة وترك
المضارة والتسوية في القسم والنفقة والكسوة كما ان للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التي اوجبها الله عليها له وان لا تدخل فراشه غيره وان تحفظ ماءه فلا تحتال في اسقاطه
وروي ان امرأة معاذ قالت يا رسول الله فما حق الزوجة على زوجها قال ان لا يضرب وجهها ولا يقبحها وان يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وروي عنه انه
قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها ان يملك التخلية ومنها زيادة الميراث
على قسم المرأة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة في الاخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى قال ابن عباس ما احب ان استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضل
عن ابن عباس وقيل معناه ان المرأة تنال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم قال حق الرجال على
النساء افضل من حق النساء على الرجال وفي كتاب من لا يحضره الفقيه روي عن الباقر ع قال جاءت امرأة الى رسول الله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال
لها ان تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيتها الا باذنه ولا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت
بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الارض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول الله من اعظم الناس حقا على المرأة قال زوجها قالت
فما لي من الحق عليه مثل ما له من الحق علي قال لا ولا من كل مائة واحدة فقالت والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتي رجل ابدا وقال ع لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم اي قادر على ما يشاء منيع لا يمنع حكيم يفعل ما يدعو اليه الحكمة وقد قيل في الاية ان المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحامل منسوختان
من هذه الاية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الاية كما ذكرناه في اول الاية قوله تعالى الطلاق
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون اية القراءة قرء ابو جعفر وحمزة الا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها الحجة خاف
فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله يخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله تخافونهم فوجه قراءة حمزة الا ان يخافا انه لما
بني الفعل للمفعول اسند الفعل اليه فلم يبق شيء يتعدى اليه فان من قوله الا يقيما فالفعل يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار في قوله لو خاف الله عليه حرمه موضع
ان في الاية جر بالجار المقدر على قول الخليل والكسائي ونصب في قول سيبويه واصحابه لانه لما حذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثاني مثل استغفر الله ذنبا امرتك
الخير فقولهم تستقيم على ما رأيت فان قال قائل لو كان يخافا كما قرء لكان ينبغي ان يكون فان خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه في القراءة لانهم قد قرءوا الا ان
يخافا ولم يقولوا فان خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لان من احدهما انه انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال اياك نعبد وما اتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وهذا النحو كثير في التنزيل وغيره والاخر ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم مصروفا الى الولاة والفقهاء الذين يقومون بامور
الكافة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فيمن جعله انصرافا من الغيبة الى الخطاب لان ضمير الاثنين في يخافا للجنس الذين مراد بهما اثنان مخصوصان انما يراد به كل من كان هذا شانه
في الحكم فاما من قرء يخافا بفتح الياء فالمعنى انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمرأة ان لا يقيما حدود الله حل الافتداء اللغة المرة والمرتان كالكرة والكرتان
واصل المرة المرور خلاف الوقوف والمرة شدة الفتل لاستمراره على الاحكام والامساك خلاف الاطلاق والمساك والمساكة البخيل ومسكة وتماسك اذا لم يكن فيه خير والمسك
البخيل والمسك الاهاب لانه تمسك البدن باحتوائه عليه والمسك السوار لانه كالمسك في اليد والتسريح ماخوذ من السرح هو الاطلاق وسرح الماشية في المرعى اذا اطلقها

تسريح الماشية انطلقت في المرعى والسرحان الذئب لانبساطه في السرح والسرحة الشجرة المرتفعة لانطلاقها في جهة الطول والمسرح المشط لاطلاق الشعر به والسراح
الجراد لانطلاقه في البلاد وان يخافا معناه ان يظنا قال الشاعر اتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت يا سلام انك عائبي يعني ما ظننت وانشد الفراء اذا مت فادفني الى جنب
كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني في الفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها وقال ابو عبيدة الا ان يخافا معناه يوقنا فان خفتم معناه فان ايقنتم
الاعراب الطلاق رفع بالابتداء ومرتان خبره وقوله فامساك خبر مبتداء محذوف وتقديره فالواجب عليكم امساك ولو كان في الكلام فامساكا بالنصب لكان جائزا على فامسكوهن
امساكا بمعروف كما قال فامسكوهن بمعروف ان يخافا موصول وصلته موضعه نصب بانه مفعول له تقديره لمخافتهما وان لا يقيما في موضع نصب بانه مفعول يخافا فاما قوله يخافا
النزول روى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان امرأة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل فنزلت الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق
اذا طلق امرأته ثم راجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان
ثلثا والطلاق الثالث قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وروي ايضا انه قيل للنبي الطلاق مرتان فاين الثالثة قال امساك بمعروف او تسريح باحسان
وقوله الا ان يخافا نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن ابي وكان يحبها وتبغضه فقال لها اتردين عليه حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال
يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام المعنى ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اي الطلاق الذي تملك فيه الرجعة مرتان
وفي معناه قولان احدهما انه بيان لتفصيل طلاق السنة وهو انه اذا اراد طلاقها ينبغي ان يطلقها في طهر لم يقربها فيه بجماع تطليقة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او
تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد والثاني ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البينونة مما لا يوجبها وفي الاية بيان انه ليس بعد التطليقتين
الا الفرقة البائنة ولفظه لفظ الخبر ومعناه الامر اي طلقوا دفعتين وقوله فامساك بمعروف تقديره فالواجب امساك او ارجاعها بعد التطليقتين امساك بمعروف وعلى وجه جميل
سائغ في الشريعة لا على وجه الاضرار بهن او تسريح باحسان قولان احدهما انه الطلقة الثالثة والثاني انه يتركها حتى تبين بانقضاء العدة عن السدي والضحاك
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ولا يحل لكم خطاب للازواج ان تأخذوا في حال الطلاق والاستبدال مما اتيتموهن من المهر شيئا ثم استثنى الخلع فقال الا
ان يخافا الا يقيما حدود الله معناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيما حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد وقال ابن عباس هو ان يظهر من المرأة النشوز وسوء
الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله ع اذا قالت المرأة لزوجها لا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسما ولا اوطئن فراشك ولا ادخلن عليك بغير اذنك فاذا قالت له هذا
حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ منها وعلى الجملة اذا خاف ان تعصي الله فيه بارتكاب محظور واخلال بواجب وان لا تطيعه فيما يجب عليها فحل له ان يخلعها وروي مثل ذلك
عن الحسن وقال الشعبي هو نشوزهما فان خفتم الا يقيما حدود الله اي فان ظننتم ان لا يكون بينهما اصلاح في المقام فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم عليهما هذا
يفيد الاباحة في قوله عليهما ان كانت الاباحة للزوج وجه العذر فيها ان الزوج لو خص بالذكر لاوهم انها عاصية وان كانت الفدية له فبين الاذن لهما في ذلك ليزول الايهام
عن علي بن عيسى والاخر ان المراد به الزوج انما ذكرهما معا لاقترانهما كقوله فنسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما هو من الملح دون العذب وجاز ذلك
قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن هذا الوجه ضعيف لان الذي يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأة عاصية والقول الاول عندي في ذلك ان جواز وقوع العصيان
منها هو سبب في اباحة الخلع ورفع الجناح انما تعلق بالخلع لا باسبابه والوجه الاول اولى بالاخبار واشد ملائمة بظاهر الاية والوجه خبر عن عند وعنه ان
الاستقامة اذ لا يكون الاشار واحدة في الحقيقة فيما افتدت به اي بذلت من المال واختلف في ذلك فعندنا ان كان البغض منها وحدها وخافا منها العصيان جاز ان
يأخذ المهر وزيادة عليه وان كان منهما فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابراهيم ومجاهد وقيل المهر فقط
عن الربيع وعطاء والزهري والشعبي وروي عن علي ع والخلع بالفدية على ثلثة اوجه احدها ان يكون المرأة عجوزة او ذميمة فيضاربها الزوج لتفتدي فهذا لا يحل له
الفداء لقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية والثاني ان يرى الرجل امرأته على فاحشة فيضاربها لتفتدي نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة والثالث ان يخافا الا يقيما حدود الله لسوء خلق او قلة نفقة من غير ظلم او نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية
على حد ما فصلناه تلك حدود الله اي اوامره ونواهيه وما نصب من الايات في الخلع والطلاق والرجعة والعدة فلا تعتدوها اي فلا تتجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد
حدود الله اي يتجاوزها بان يخالفها فاولئك هم الظالمون واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان الطلاق الثلث بلفظ واحد لا يقع لانه قال الطلاق مرتان ثم
ذكر الثالثة على الخلاف في انها قوله او تسريح باحسان او قوله فان طلقها ومن طلق ثلثا بلفظ واحد لم يات بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما اوجب في اللعان اربع
شهادات فلو اتى بالاربع بلفظ واحد لما اتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك لو رمى في الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم يجزه بلا خلاف وكذلك الطلاق
قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون اية الاعراب
موضع ان في قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره في ان يتراجعا عن الخليل والكسائي والزجاج وقيل موضعه نصب هو اختيار الزجاج ولا يجوز
موضع ان الثانية وهو ان يقيما حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف في من ان يتراجعا ولم يجز حذف من المصدر الذي هو لكن اجتمع لطولها بالصلة كما جاز
الذي ضربت زيد لطول الذي بالصلة ولم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو بضارب عمرو زيد النزول عن عروة عن عائشة قالت جاءت امرأة
رفاعة بن وهب القرظي الى رسول الله فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقني قبل
ان يمسني فارجع الى ابن عمي فتبسم رسول الله فقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته وفي قصة رفاعة وزوجته نزل فان
طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره المعنى ثم بين سبحانه حكم التطليقة الثالثة فقال فان طلقها يعني التطليقة الثالثة على ما روي عن ابي جعفر ع قال السدي

والضحاك وقيل هو تفسير لقوله او تسريح باحسان عن مجاهد هذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اي لا تحل هذه المرأة
لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذي طلقها حتى تتزوج زوجا غيره ويجامعها اختلف في ذلك فقيل العقد علم بالكتاب والوطي بالسنة عن الجبائي وقيل بل كلاهما علم بالكتاب
لان لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى يتزوج ويجامعها الزوج ولان العقد مستفاد بقوله زوجا غيره والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وانما اوجب الله ذلك لعلمه
بصعوبة تزوج المرأة على الرجل حتى لا يعجلوا بالطلاق وان يتثبتوا قال ابو مسلم هذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان
يتراجعا اي فلا جناح على الزوج وعلى المرأة ان تعقد بينهما عقد النكاح يعود الى الحالة الاولى فعبر عن النكاح بلفظ التراجع ان ظنا اي ان رجيا او علما وقيل اعتقدا ان
يقيما حدود الله في حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلح وتلك اشارة الى الامور التي بينها في النكاح والطلاق والرجعة حدود الله اوامره ونواهيه يبينها
يفصلها لقوم يعلمون وخص العالمين بذكر البيان لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ايضا ان يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما
خص جبريل وميكائيل بالذكر من بين الملائكة وعيد الآية على انه اذا طلقها الثالثة فلا تحل له الا بعد شرائط الزوج الثاني ووطئه في القبل ولا تنقضي عدته
ومنفذ الزوج الذي تحل المرأة للزوج الاول ان يكون بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا اجماعا واختلف في التحليل على ثلاث اقاويل فمنهم من قال اذا نوى التحليل بعد النكاح
ولا تحل للاول عن الثوري والاوزاعي والنخعي ونحوه عن ابي يوسف واحتجوا بقوله لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال اذا لم يشترط في العقد حل واذا شرط فيفسد اجماعا
عند الشافعي ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط ويحل للاول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب ابي حنيفة واهل العراق وقال محمد يصح النكاح ولا يحل للاول
وفي قوله فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره دلالة على ان النكاح بغير ولي جائز وان المرأة يجوز لها ان تعقد على نفسها لانه اضاف العقد اليها دون وليها قوله تعالى واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم آية اللغة الاجل آخر المدة وعاقبة الامر والمراد بالمعروف ههنا الحق
الذي يدعو اليه العقل والشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته فما يجوز المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة
بصحته منكر الاعراب فبلغن اجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء والجر تقدير الموضع باضافة اذا اليها وضرارا نصب على الحال من الواو في
تمسكوهن تقديره ولا تمسكوهن مضارين ولام لتعتدوا يتعلق بتمسكوهن ومفعول لتتخذوا وما انزل موصول وصلة في محل النصب بالعطف على نعمة من
الكتاب في محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا ويجوز ان يكون العامل انزل ومن يكون للتبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل المعنى ثم بين سبحانه ما يفعل
بعد الطلاق فقال واذا طلقتم النساء وهذا خطاب للازواج فبلغن اجلهن البلوغ ههنا بلوغ مقاربة اي قاربن انقضاء العدة لانه بعد انقضاء العدة ليس للزوج الامساك
فهذا كما تقول بلغت البلد اذا قربت منه فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن قبل انقضاء العدة بما يتعارف الناس بينهم مما تقبله النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف
ههنا ان يمسكها على الوجه الذي اباحه الله تعالى للقيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن
ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما بتطويل العدة او بتضييق النفقة في العدة لتعتدوا اي لتظلموهن ومن يفعل ذلك
اي الامساك للمضارة فقد ظلم نفسه فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي لا تستخفوا باوامره ونواهيه وقيل آيات الله قوله فامسكوهن
بمعروف او تسريح باحسان واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحه لكم من الازواج والاموال وما بين لكم من الحلال والحرام وما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن التي دلكم عليها و
الشرائع التي بينها يعظكم به لتتعظوا وتنزجروا بفعل ما امركم الله به وترك ما نهاكم عنه واتقوا الله في معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه واعلموا
ان الله بكل شيء عليم من اعمالكم وغيرها قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون آية اللغة العضل الحبس وقيل هو ماخوذ من المنع وقيل هو ماخوذ من الضيق والشدة والاول
المعضل الممتنع بصعوبة عضلت الناقة فهي معضل اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس بيضها تقول عضل المرأة يعضلها عضلا اذا منعها
من التزويج ظلما واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم ان يقوموا به وامتنع عليهم لشدته وداء عضال وفلان عضلة من العضل اي داهية من الدواهي الاعراب موضع ان
من قوله ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي تقديره من ان ونصب عند غيرهما بوصول الفعل اليه يوعظ به ... وخبره قوله من كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ
ومنكم في موضع الحال من الضمير في يؤمن النزول نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم بن عدي فانه كان طلقها ثم خرجت من
العدة ثم ارادا ان يجتمعا بعقد آخر فمنعها من ذلك فنزلت الآية عن قتادة والحسن ومجاهد وقيل نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدي والوجهان لا يصحان على مذهبنا
لانه لا ولاية للاخ وابن العم عندنا ولا تاثير لعضلهما فالوجه في ذلك ان يحمل الآية على المطلقين كانه قال لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن
اضرارا بهن لا رغبة فيهن فان ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية المعنى واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن ظلما عن التزويج قيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للاولياء ومنع لهم من عضلهن وقيل خطاب
للازواج يعني ان تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيركم فيبقين لا ممسكات امساك الازواج ولا مخليات تخلية الطلاق او تطولوا العدة عليهن
ان ينكحن ازواجهن اي من يصيرون ازواجا لهن وقيل الذين كانوا ازواجا لهن من قبل اذا تراضوا بينهم بالمعروف اي بما لا يكون مستنكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل
الذين كانوا ازواجا لهن من قبل اذا تراضى الرجل والمرأة بالنكاح الصحيح عن السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا ذلك اشارة الى ما سبق من الامر والنهي يوعظ به يزجر
ويخوف من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر انما خصهم بالذكر لانهم الذين ينتفعون به ولانهم اولى بالاتعاظ به وقيل لان الكافر غافل عن الوعظ بعد قبوله الايمان

بالله تعالى ذلكم ازكى لكم اي خير لكم وافضل واعظم بركة واحرى ان يجعلكم ازكياء واطهر اي اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل في قلبها حبا فاذا منعا من التزويج لم يؤمن
ان يتجاوزوا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح في العاجل والآجل وانتم لا تعلمون وانتم غير عالمين الا بما علمكم وليس لاحد
ان يستدل بالآية على ان العقد لا يصح الا بولي لانا قد بينا ان المراد بالعضل المنع اذا حملنا الآية على انها خطاب للازواج سقط قولهم وهذا اولى لانه لم يجر
للاولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير آية القراءة قرأ اهل البصرة وابن كثير وقتيبة عن الكسائي
لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرأ ابو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها الباقون بتشديد الراء وفتحها وقرأ ابن كثير وحده ما اتيتم مقصورة الالف والباقون ما
آتيتم وكذلك في الروم الحجة من رفع فلان قبله لا تكلف فاتبع ما قبله ليكون احسن لتشابه اللفظ فان قلت ان ذلك خبر وهذا امر قيل ان الامر قد يجيء على لفظ
الخبر في التنزيل الا ترى الى قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثم يؤكد ذلك بما بعد على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه
صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الالف واما قراءة ابي جعفر لا تضار فينبغي ان يكون اراد لا تضار كما روي في الشواذ عن
ابان عن عاصم لا تضارر فحذف الحركة الراء الثانية تخفيفا كما قالوا احست في احسست وظلت في ظللت ومن قرأ آتيتم فالمراد آتيتم المهر كقوله وآتيتم احداهن قنطارا او
قوله اذا آتيتموهن اجورهن واما قول ابن كثير فتقديره اذا سلمتم ما اتيتم نقده او اتيتم سوقه فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلة كما
قال اتيت فعلا اي بذلته كما يقول اتيت جميلا اي فعلته ويؤيده قول زهير فما يك من خير اتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل كما تقول اتيت خيرا فكذلك تقول فعلا اتيت
لما وقع ايتيه وقع بيته فيجوز ان يكون ما في الآية مصدرا فيكون التقدير اذا سلمتم الاتيان اي الاتيان الذي اتيتم به كقولك حسن الامير اي ضربه اللغة
الرضع مص الثدي بشرب اللبن منه يقال رضع يرضع رضعا ورضع المصدر الرضع والرضع والرضاعة لئيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لئلا يسمع الضيف صوت
الشخب وارضعت المرأة فهي مرضع ومرضعة وقولهم مرضع بغير هاء اذا كانت ذات رضاع والحول السنة ماخوذ من الانقلاب في قولك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه
الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا والكسوة اللباس والكسى جمع الكسوة
اللباس والتكليف الالزام الشاق واصله من الكلف وهو الاثر لانه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف الشيء تحمله بالكلفة والكلف في الوجه اثر والوسع الطاقة
ماخوذ من سعة المسلك الى الغرض فيمكن بذلك فلو ضاق لاعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة والفصال الفطام لانفصال المولود
عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من صلب واحد والفصل الفرق والتشاور ماخوذ من الشور وهو اجتناء العسل
تقول شرت العسل اشوره شورا اذا اجتنيته من مكانه والمشورة استخراج الرأي من المستشار لانها يجتنى منه الرأي والاشارة الى المشير والاصبع التي هي
السبابة لانه يشار بها والشارة الهيئة واللباس الحسن لانه يشار اليه لحسنه والشوار استخراج سير الدابة كالاجتناء الاعراب ... في موضع الحال
تقديره فان اراد اذا مرضعين منهما في موضع جر صفة لتراض ان تسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم فحذف اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث لا يكون الا للاولاد
ولا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لانه لا يجوز ان يكون مدعوا له اذ معنى دعوت زيدا خلاف دعوت لزيد فقط فلا يجوز للالتباس قوله بالمعروف يجوز ان يتعلق
بسلمتم كانه قال اذا سلمتم بالمعروف ويجوز ان يتعلق بآتيتم على حد قولك آتيته بزيد المعنى لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان حكم الاولاد الصغار في الرضاع
والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال والوالدات يرضعن اولادهن صيغته صيغة الخبر والمراد به الامر اي ليرضعن اولادهن كقوله يتربصن
بانفسهن جاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الاشكال اذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز ان يرضعن اكثر من حولين او اقل وقولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم تام
وقيل هو خبر بمعنى الامر تقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي اوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه هذا الامر ليس بامر ايجاب
المعنى انهن احق برضاعهم من غيرهن بل على الندب وقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ثم بين مدة الرضاع فقال حولين اي عامين كاملين اي تامين لئلا يتوهم بعد عشرين شهرا وانما ذكر كاملين
وان كانت التثنية دالة على استيفاء العدة لرفع الابهام الذي يعرض في الكلام فان الرجل يقول سرت شهرين واقمت عند فلان سنتين وان كان قد سار شهرا وبعض الشهر واقام
قريبا من سنتين وفي هذا بيان الامر ان احدهما مندوب والثاني فرض فالمندوب هو ان يجعل الرضاع تمام الحولين بالمعروف وهو ان المرضعة تستحق الاجرة في مدة الحولين
ولا تستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحد هل هو لكل مولود او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولدت لستة اشهر وان ولدت لسبعة اشهر فثلاثة وعشرون
وان ولدت لتسعة اشهر فاحد وعشرون يطلب بذلك تكملة ثلاثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لانهم رووا ان ما نقص عن احد وعشرين
شهرا فهو جور على الصبي وقال الثوري وجماعة انه لكل ولد اذا اختلف الوالدان رجعا الى الحولين من غير زيادة ولا نقصان ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين
لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر الفقهاء قالوا المراد بالآية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله لمن
اراد ان يتم الرضاعة لبيان ان تمام الرضاع المفروض عليها هذا يدل على ان الرضاع غير مستحق على الام لانه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن اولادهن حولين ثم انزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد اي لمن اراد ان يتم الرضاعة
يعني ان هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب رزقهن يعني الطعام والادام
وكسوتهن يعني لباسهن والمراد به الام وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري والضحاك واكثر المفسرين بالمعروف يعني على قدر اليسار

لانه علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة للام والنفقة على الاب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لانه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة
لا يجب بسبب الارضاع وانما يجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله لا تكلف نفس الا وسعها اي لا يلزم الا دون طاقتها لا تضار والدة بولدها
اي لا تترك الوالدة ارضاعه لتدفعه غيظا على ابيه فيضر بولده بان الوالدة اشفق عليه من الاجنبية ولا مولود له بولده اي لا يأخذه من امه طلبا للاضرار بها فيغير
فيكون المضارة على هذا بمعنى الاضرار اي لا تضر الوالدة ولا الوالد بالولد وانما قال تضار والفعل من واحد لانه لما كان معناه المبالغة كان نظيره ان يكون الفعل من اثنين
وقيل الضرر يرجع الى الولد كانه يقول لا تضار كل واحد من الاب والام بالصبي الام بان لا ترضعه والاب بان لا ينفق او بان ينزعه من الام والباء زائدة والمعنى لا تضار
والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج بولدها او يقال ولدها الجار في المعنى على التبديل الباء في الصلة لا تضار والدة بان تترك
جماعها خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده اي لا تمنع نفسها من الاب خوف الحمل فيضر ذلك بالاب وقيل لا تضار والدة بولدها بان ينزع الولد منها
ويسترضع امراة غيرها مع حبها الى الرضاع بالاجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا مولود له بولده اي لا تمتنع من الارضاع اذا اعطيت اجرة مثلها فان
فعلت استأجر الاب من ترضعه غيرها ولا تمنعه من رؤية الوالد فيكون فيه مضارة بالوالد وقوله بولده بسبب ولده ايضا ولا تنافي بين هذه الاقوال فالاولى
حمل الاية على جميعها وعلى الوارث قيل معناه وارث الوالد عن الحسن وقتادة والسدي وهو من يرث من الطفل وقيل وارث الولد عن قبيصة بن ذؤيب والاول الوجه مثل
ذلك اي مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقتادة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك والشعبي وهو عند اكثر اهل العلم اعم
هو اليق بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي على العصبات دون اصحاب الفرائض من الامرة الاخوة من الام عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث
الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرم كابن العم وابن الاخت فيجب على الرجل
ولم يجب على ابن العم وان كان وارثا فتلك المقال عن ابي حنيفة واصحابه وقيل على الوارث اي الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو ايضا مذهب الشافعي
لان عنده لا يجبر على نفقة الرضاع الا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان النفقة وهذا يوافق الظاهر به قال قتادة واحمد و
اسحق وقوله فان ارادا فصالا اي قبل الحولين عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل قبل الحولين او بعدهما عن ابن عباس عن تراض منهما اي من الاب والام
وتشاور يعني اتفاق منهما ومشاورة وانما شرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لان الوالدة تعلم من تربية الصبي ما لم يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا في
ذلك ادى الى ضرر الصبي فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما اذا لم يتشاورا الولد عن الرجوع الى الحولين وقوله وان اردتم خطاب للاباء ان تسترضعوا اولادكم
اي لاولادكم اي تطلبوا لهم مرضعة غير امهاتهم لاباء امهاتهم الرضاع او لعلة بهن من انقطاع لبن وغيره فلا جناح عليكم اي لا حرج ولا ضيق في ذلك اذا سلمتم ما آتيتم
بالمعروف اي سلمتم الى الام اجرة المثل مقدار ما ارضعت عن مجاهد والسدي وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار عن ابن شهاب وهذا قول ابن
عباس في رواية عطا قال اذا سلمت امه ورضي ابوه لعل له غنى وقيل اذا سلمتم اجرة المسترضعة عن الثوري وقيل اذا سلمتم اجرة الام او الظئر عن ابن جريج ومجاهد
قوله آتيتم ضمنتم والتزمتم ثم اوصى بالتقوى فقال واتقوا الله يعني معاصيه واعلموا ان الله بما تعملون بصير اي باعمالكم عليم لا يخفى عليه شيء منها وقوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يدل على فساد قول المجبرة في حسن تكليف ما لا يطاق لانه اذا لم يجز ان يكلف مع عدم الجدة فان لا يكلف مع عدم القدرة اولى وان في الظالم
لا سبيل له الى الاداء ما كلف قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف والله بما تعملون خبير القراءة روي في الشواذ عن علي يتوفون بفتح الياء الحجة قال ابن جني هو على حذف المفعول اي الذين يتوفون ايامهم او آجالهم اعمارهم
وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام اذا كان هناك دليل عليه كما قال الله واوتيت من كل شيء اي شيئا قال الحطيئة منعمة تصون اليك منها
اي تصون الكلام منها وتوفيت الشيء واستوفيته اخذته وافيا اللغة يذر ويدع يترك ولا يستعمل منهما الماضي استغني عنه بترك والعلة في ذلك انهم تركوا الواو في
اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها الا على جهة زيادة اصل الاجل غاية الوقت في محل الدين ونحوه الى ذلك الوقت لاجل العاجل المؤخر عن وقته وتعلم
من اجل كذا اي لعاقبته كذا مؤخرة عن الفعل الاجل حلال الاجل
اي جناه لانهم لعقبهم الاجلة الآخرة والعاجلة الدنيا والخبير العالم بالخبر والخبر الارض السهلة لانه العلم الخبير
الاكار والمخابرة المواكرة وهو على النصف والثلث ونحوه الاعراب الذين يتوفون وقوله يتوفون صلته منكم في موضع نصب على
الحال من الواو في يتوفون ويذرون ازواجا عطف على الصلة فهو في الصلة ويتربصن بانفسهن خبر المبتدأ واذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من ان يكون هو هو او يكون
له فيه ذكر فلا يجوز ان يكون مثل الظرف الذي هو عليه خلوه من ذكر خبر المبتدأ وقد قيل فيه اقوال احدها ان تقدير خبر المبتدأ يتربصن بعدهم لان المعنى يتربصن ازواجهم
بعدهم اربعة اشهر وعشرا وحذف هذا الذي يتعلق به الراجع الى المبتدأ كما جاء ذلك في قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الاخفش والثاني
ان يكون تقديره ازواجهم يتربصن عن ابي العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذي هو ازواجهم وساغ هذا الحذف لما دلالة عليه كما يحذف المفرد
اذا قامت الدلالة عليه وفيما الدلالة على المضاف الى الازواج ذكرهن اضمارهن المضاف اليه فلا المبتدأ الراجع اليه وقد جاء المبتدأ
مضافا محذوفا كما جاء المفرد في ذلك في قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل اي تقلبهم متاع قليل والثالث ان يكون تقديره يتربصن ازواجهم بعدهم
عن الزجاج عن الكسائي وانما قال وعشرا بالتأنيث تغليبا لليالي على الايام واذا اجتمعت في التاريخ الليالي والايام كل يوم قبله ليلة بقين وقد علم المخاطب ان
الايام داخلة مع الليالي وانشد سيبويه فطافت ثلاثا بين يوم وليلة يكون النكير ان تضيف وتجارا فيما فعلن ما مع صلته في موضع جر بفي وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع

الاخبار

النصب على الحال المعنى لما بين عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال والذين يتوفون منكم اي يقبضون ويموتون ويذرون اي يتركون ازواجا يتربصن
بانفسهن اي ينتظرون انقضاء العدة ويحبسن نفسهن عن التزويج معتدات اربعة اشهر وعشرا اي عشر ليال وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت
مدخولا بها او غير مدخول بها حرة كانت او امة فان كانت حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر وعشر وانقضاء عدة الامة الاصم وخالف في
الفقهاء في ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا في عدة الحامل انها بوضع الحمل وان كان بعد على المغتسل وروي ذلك
عن عمر بن الخطاب وابي مسعود البدري وابي هريرة وعندنا ان وضع الحمل يختص عدة المطلقة والذي يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتناب الزينة والكحل الا
وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهري والامتناع من التزويج لا غير عن الحسن واحد الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب فاذا بلغن اجلهن اي آخر العدة
بانقضائها فلا جناح عليكم قيل انه خطاب للاولياء وقيل لجميع المسلمين لا ينبغي منعها عن التزوج في العدة وقيل معناه لا جناح على النساء وعليكم فيما فعلن في انفسهن
من النكاح واستعمال الزينة التي لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله بالمعروف وقيل معنى قوله بالمعروف ما يكون جائزا وقيل معناه النكاح الحلال والله بما تعملون خبير اي عليم ٠عن مجاهد
وهذه الاية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت متقدمة في التلاوة عليه قوله تعالى ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم آية في الكوفي والبصري قولا معروفا كوفي اللغة التعريض ضد
التصريح وهو ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد التعريض من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم به على الشيء ولا يظهره
من عرض القذف عرضناه التعريض ان تضمن الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له والكناية العدول
عن الذكر الاخص بالشيء الى ذكر يدل عليه فالاول كقول القائل ما اقبح البخل تعرض بان المخاطب بخيل والثاني كقولك زيد طويل النجاد كثير رماد القدر كناية عن كرمه والخطبة الذكر الذي
يستدعى به الى عقدة النكاح والخطبة الوعظ المتسق على ضرب من التأليف قيل الخطبة
ما ذاول ولا الخطبة الاكنان والكن الستر والفرق بين الاكنان والكن ان الاكنان الاضمار في النفس ولا يقال
كننته في نفسي والكن في المعنى الصون مكنون والكانون الكنانة الجعبة الصغيرة والسر في اللغة على ثلاثة
اوجه الاخفاء في النفس والسر ضد الجهر النكاح قال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد السر امثالي و
قال الاعشى ولا تنكحن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا والعزم عقد القلب على امر تفعله عقدة النكاح والعطف
العقدة هو الشد في المثل بلغا قد ذكرنا وعقد اليمين خلاف اللغو الاعراب فيما عرضتم به الجار والمجرور في موضع الحال وكذا في قوله من خطبة النساء في قوله
في موضع نصب على الحال تقديره ولا تواعدوهن الا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح على عقدة النكاح كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه
على الظهر والبطن قال سيبويه في هذه الاشياء لا يقاس عليه المعنى لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج فقال ولا جناح عليكم اي لا حرج
لا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات ذلك في معنى التعريض هو ان يقول
الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واني احب امرأة من صفتها كذا وكذا عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة لي وانك
لمعجبة جميلة فان قضى الله شيئا كان عن القسم بن محمد والشعبي وكل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد او اكننتم في انفسكم اي سترتم واضمرتم في انفسكم
من نكاحهن بعد مضي عدتهن او اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد علم الله انكم ستذكرونهن برغبتكم فيهن
اليهن عذركم فاباح لكم ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا فيه اقوال احدها ان معناه لا تواعدوهن في السر لانها اجنبية والمواعدة في السر تدعو الى ما لا يحل وثانيها ان
معناه الزنا عن الحسن وابراهيم وقتادة كان الرجل يدخل على المرأة من اجل الزنية وهو معرض للنكاح وثالثها انه العهد على الامتناع من تزويج
غيرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورابعها هو ان يقول لها اني ناكحك ان السر هو الجماع كثرة الجماع ولا
تذكروه من جماعهن انه ليس بعقدة النكاح السر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الاقوال ما روي عن الصادق انه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال
ومن السر ان يقول لها موعدك بيت فلان الا ان تقولوا قولا معروفا يعني التعريض الذي ابيح لكم الا استثناء منقطع لكن لان ما قبله هو المنهي عنه وما بعده هو المأذون فيه ولكن
قولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقد النكاح يعني لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح في العدة ولم يرد النهي عن العزم على النكاح بعد
العدة لانه اباح ذلك بقوله او اكننتم حتى يبلغ الكتاب اجله معناه حتى تنقضي العدة وقيل الكتاب هو القرآن والمعنى حتى يبلغ فرض الكتاب اي ما فرض في القرآن من بلا خلاف
العدة والاجل المضروب لها وقيل معناه حتى يبلغ الفرض اجله وعبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب اي فرض الا ان ما كتب فقد اثبت معنى الثبوت وقيل
انه تشبيه للعدة بالدين المؤجل المكتوب اجله في كتاب فكما ان آخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب اجله كذلك يتأخر خطبة النكاح في العدة الى انقضاء العدة
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من سركم وضمائركم فاحذروه فاتقوا عقابه ولا تخالفوا امره واعلموا ان الله غفور لعباده حليم بامهال العقوبة المستحقة فلا يعجل بها
قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين آية
القراءة قرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء وبالالف في موضعين ههنا وفي الاحزاب وقرأ الباقون تمسوهن وقرأ ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر وابن ذكوان
قدره بفتح الدال في الموضعين والباقون باسكانها الحجة حجة من قرأ تمسوهن قوله ولم يمسسني بشر ولم يطمثهن والمس كناية عن الوطء بالنكاح

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وظهرت الاعراب رجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما مصدرية فيما علمكم وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلته في موضع المفعول
التام لعلم المعنى الآية سبحانه وجوب المحافظة على الصلوة عقيبه بذكر الرخصة عند المخافة فقال فان خفتم اي ان لم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين الصلوة حقها
لخوف عرض لكم فرجالا اي فصلوا رجالا على ارجلكم [illegible]

[illegible]

دنيئا القبض ضم الكف على الشيء والتقبيض التشنج وتقبض عنه إذا اشمأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه وقبض الإنسان إذا مات وملك قابض الأرواح
وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط ... الأرض الواسعة ... بسطه بالصاد إلا أن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك المعنى
لما حث سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال أعقبه بالتلطف في الاستدعاء إلى أعمال البر والإنفاق في سبيل الخير فقال من ذا الذي يقرض الله أي ينفق في سبيل
الله وطاعته والمراد بالأمر ليس هذا بقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقالوا إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير ونحن أغنياء فأنزل الله سبحانه لقد سمع الله
قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء بل سمى تعالى الإنفاق قرضا تلطفا للدعاء إلى فعله وتأكيدا للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء قرضا حسنا والقرض الحسن أن
ينفق من حلال ولا يفسد بمن ولا أذى وقيل هو أن يكون محتسبا طيبة به نفسه عن الواحدي وقيل هو أن يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيسا والأولى أن يكون جامعا
لهذه الأمور كلها فلا تنافي بينها فيضاعفه له أضعافا كثيرة أي فيزيده له أي يعطيه ما لا يعلمه إلا الله وهو مثل قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما عن الحسن والسدي وروي عن
الصادق أنه قال لما نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله خير منها قال رسول الله رب زدني فأنزل الله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فقال رسول الله رب زدني فأنزل الله
قال الله سبحانه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والكثير عند الله لا يحصى والله يقبض ويبسط معناه والله يقبض الرزق على قوم بأن يقتر

[illegible]

[illegible]

بن نون فحملت الملائكة الى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلثة اذرع في ذراعين عليه صفائح الذهب وكان من شمشاد وكانوا يقدمونه في الحروب
يجعلونه امام جندهم فاذا سمع من جوفه انين زف التابوت اي سار وكان الناس يسيرون خلفه فاذا سكن الانين وقف فوقف الناس بوقوفه فيه سكينة من ربكم قيل
في التابوت نفسه وقيل في ما في التابوت واختلف في السكينة فقيل ان السكينة التي كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الانسان عن علي عم وقيل كان له جناحان
وذنب كذنب الهرة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروي ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه اية يسكنون اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف
عن وهب وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل انها عصا موسى ورضاض الالواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر وقيل التورية و
شيء من ثياب موسى عن الحسن وقيل كان فيه ايضا لوحان من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه هذا اقوال اهل التفسير في
السكينة والبقية والظاهر ان السكينة امنة وطمانينة جعلها الله فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جائز ان يكون بقية من العلم او شيء من علامات الانبياء وجائز ان
يتضمنها جميعا على ما قاله الزجاج وقيل اراد بآل موسى وآل هرون موسى وهرون على نبينا وعليهما السلم يعني مما تركه موسى وهرون تقول العرب آل فلان يريدون نفس فلان قال
ابو عبيدة فلا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وآل ابي بكر يريد ابا بكر نفسه قال الجبل بقية من الاشياء وانما [illegible] اللغات اي [illegible] تحمله
الملائكة قيل حملته الملائكة بين السماء والارض حتى رآه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الاعداء على التابوت ادخلوه بيت الاصنام فاصبحت اصنامهم منكبة
فاخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فاخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمع رأيهم على ان يأتوا به
محمولا على عجلة ويشدوها على ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملائكة تسوقه كما
تقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سببا لحمله الى مكة ان في ذلك لآية لكم اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله سبحانه ملك طالوت عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين
ولا يجوز ان يكون على تثبيت الايمان لهم لانهم كفروا بعصيانهم على نبيهم وقيل ان كنتم مؤمنين كما زعمتم قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين اية القراءة قرء ابن كثير وابو جعفر واهل البصرة
غرفة بالفتح والباقون بالضم الحجة قال ابو علي من فتح الغين عدى الفعل الى المفعول دون المصدر والمعنى الا من اغترف ماء غرفة ومن ضم الغين عدى الفعل الى — المصدر
المفعول به لم يعده الى المصدر لان الغرفة العين المغترفة فهو بمنزلة الا من اغترف ماء في ان بغداديين يجعلون هذه الاسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر و
يعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء من العرب ما يدل عليه هو قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا واشياء غير هذا فعلى هذا
يجوز ان ينصب الغرفة وقد قال سيبويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يستغنى بها عن المصادر او قال تقع موقعها وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله — نصب الغرفة
فشربوا منه لكان قولا اللغة الفصل القطع فصل بالجنود اي سار بهم وقطعهم من موضعهم فصل الصبي فصالا قطعه عن اللبن والجنود جمع جند
الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام والشراب وان شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ العذب [illegible] وغرف الماء يغرفه غرفا واغترف بمعنى والمغرفة الالة التي يغرف بها [illegible]
المجاوزة من الجواز يقال جاز الشيء يجوزه اذا قطعه والجازة الجادة اذا استصوبت الشيء يجوز اذا لم يمنع منه دليل وجوز الشيء وسطه مشبه بجادة الطريق وهو
وهو وسطه الذي يجاز فيه وقيل ان اشتقاق الجوز [illegible] لانها تعرض جوز التمر والمجاز في الكلام لانه خروج عن الاصل الى ما يجوز في الاستعمال واصل الباب
الجواز وهو المرور من غير شيء يصد ومنه التجاوز عن الذنب لانه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة وطوع اشتق طاعة اطاعة طاعة
وطوعا والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة العدات لا تنقص عدة من اوله ولكن كذلك الفئة [illegible]
بمنزلة غير المنقوص امة وامة وماية ومائة وعزة فان النقص فيها على غير اطراد تقول فأوت راسه بالسيف اذا قطعته وفات الشيء انفياء اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه الفئة
لانهم قطعة من الناس الاعراب من قرء غرفة بالفتح فهو مصدر جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان يتعلقه بالفعل ايضا ومن اعمل الغرفة اعمال المصدر جاز ان يتعلق
الباء بها في قوله وكلا الامرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء وكم خبرية في موضع رفع بالابتداء المعنى فلما فصل طالوت بالجنود في الكلام حذف
لدلالة ما بقي عليه وهو فاتيهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل خرج طالوت من مكانه وقطع الطريق بالجنود الى [illegible]
واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الف مقاتل وذلك انهم لما راوا التابوت ايقنوا بالنصر فبادروا الى الجهاد قال يعني
طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء هيهنا تمييز الصادق عن الكاذب هذا قول الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكاية قلة الماء وخوف
التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربة
ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله فمن شرب منه فالهاء كناية
عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء يقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء فليس مني معناه ليس من اهل ولايتي وليس من اصحابي ومن يتبعني ومن لم يطعمه من ذلك
الماء فانه مني اي من اهل ولايتي واوليائي فهو من الطعم الذي هو ما يؤديه الذوق اي لم يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام جميعا الا من اغترف غرفة
بيده الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرء بالضم فمعناه الا من غرف مقدار ملء كفه اي شربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم قيل ان الذين شربوا — شربوا منه
منه غرفة كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وجماعة وقتادة وقيل اربعة الاف رجل [illegible] الا ثلثمائة وبضعة

عشر

عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه وقد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر فلما جاوزه هو
والذين معه معناه فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه من اصحابه وروي عن البراء بن عازب وقتادة والحسن انما جاوزه معه المؤمنون خاصة كانوا مثل عدد اهل بدر
وقيل بل جاوزه المؤمنون والكافرون الا ان الكافرين انخذلوا وبقي المؤمنون على عدد اهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين امنوا
معه فلما راوا كثرة جنود جالوت قالوا اي قال الكفار منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فقال المؤمنون الذين عددهم عدة اهل بدر كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله قال ابو القاسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايمانا ايقانا واقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة غلبت الى
اخره قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي راجعون الى الله والى جزائه وقيل في يظنون ثلثة اقوال احدها ان معناه يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد بن الصمة فقلت
لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد اي ايقنوا والثاني ان معناه يحدثون نفوسهم وهو اصل الظن لان حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون
مع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك والثالث يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الوقعة كم من فئة اي فرقة قليلة غلبت فئة كثيرة اي قهرت فرقة كثيرة
باذن الله اي بنصره عن الحسن لانه اذا اذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي اذن فيه والله مع الصابرين بالنصرة لهم على اعدائهم قوله تعالى ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اية اللغة البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء وحلية برزة ظاهرة
برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك منها والافراغ الصب للشيء على جهة اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي خاليا من الصبر واصل
الفراغ الخلو والتثبيت تمكين الشيء في مكانه بلزومه اياه يقال تثبت بمعنى تمكن بوجوه ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه وطعنة ثبت بالرمح اي نافذة
فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اي اقامها ورجل ثبت اي ثقة مامون فيما ذكرنا والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الله تعالى
ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها بالخذلان الكلمة والفرق بين النصر واللطف ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصر لان اللطف يكون
في اخذ طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله وقد يصير من فعل العبد لانه يجازى عليه هو وجل لنفس عما تنازع اليه من الفعل ومنها
حبسها عما تنازع اليه من الفرار من القتال المعنى ولما برزوا اي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا اي وفقنا للصبر
على الجهاد وشبهه بتفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما يوجبه الحكمة كما انه نهاية ما يخرجه الواحد من الاناء وثبت اقدامنا اي وفقنا للثبوت على الامر وانصرنا اعنا على جهاد
القوم الكافرين قوم جالوت قوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتيه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن
الله ذو فضل على العالمين اية القراءة قرء ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع الله بالالف وفي الحج ايضا وقرء الباقون بغير الالف الحجة قال ابو علي دفاع يحتمل امرين
احدهما ان يكون مصدرا لفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك والثاني ان يكون مصدرا لفاعل ويدل عليه قراءة من قرء ان الله يدافع عن الذين امنوا وكان معنى دفع ودافع
سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بان ادافع عنهم فاذا المنية اقبلت لا تدفع كان المعنى حرصت بان ادفع عنهم المنية والمنية لا تدفع وقع دافع موضع
ادفع فاذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان اللغة الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال والاسم الهزيمة ومنه تهزمت
القربة انشقاقها اذا يبست فتصدع لاندفاع بعضها عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك قبل ان تهلك [illegible] واصل الدفع عن الشيء
تصدع واندفاع السيل [illegible] المعنى ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال فهزموهم ولا بد من حذف كانه قال فانزل الله عليهم الصبر [illegible] فاستجاب
لهم ربهم فهزموهم ونصرهم اي هزم قوم جالوت لان ذكر الهزيمة بعد سؤال النصرة دليل على معنى الاجابة ومعنى هزموهم انهم هزموهم بان فعلوا ما الجاهم اليها فعلى هذا يكون
حقيقة وقال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه من منزله اذا الجاه الى الخروج لم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله باذن الله اي بامر
الله وقيل بعلم الله وقتل داود جالوت القصة وكان من قصة داود على ما رواه علي بن ابراهيم بن هاشم عن الصادق ع ان الله اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوي
عليه درع موسى وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داود بن ايشا وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بني اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت
بعث الى ايشا ان احضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فالبسه الدرع درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال
نعم اصغرهم تركته في الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعي اقبل ومعه مقلاع قال فنادته ثلث صخرات في طريقه يا داود خذنا فاخذها في مخلاته وكان شديد البدن
وكان داود شديد البطش شجاعا قويا في بدنه فلما جاء الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال وجاء داود فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه
التاج في جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الاحجار فرمى به ميمنة جالوت فوقع [illegible] انهزموا واخذ حجرا اخر فرمى به ميسرة جالوت
فانهزموا ورمى بالثالث الى جالوت فاصاب موضع الياقوتة في جبهته ووصلت الى دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت [illegible] حجرا من مقلاع
فوقع بين عينيه فخرج من قفاه وقتل جماعة كثيرة من عسكره [illegible] عن وهب وغيره من المفسرين واتيه الله الملك اي واعطاه الملك بعد
قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك والحكمة قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك والنبوة عند موت طالوت في حالة واحدة لانه لا يجوز ان
يرأس من ليس بنبي [illegible] لان النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يجبر الا بحق ولا يدعو الا الى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن وقيل يجوز ذلك
اذا كان يفعل ما يفعل بامره ومشورته وعلمه مما يشاء معناه وعلمه امور الدين ما شاء من امور الدنيا منها صنعة الدروع فانه كان يلين له الحديد كالشمع وقيل الزبور
والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالحان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض قيل فيه ثلثة اقوال احدها لولا دفع الله
بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثاني معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي وقتادة وجماعة من المفسرين وفي خبر

رواه جميل عن ابي عبد الله قال ان الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي منهم ولو اجمعوا على ترك الصلوة لهلكوا وان الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي منهم
ولو اجمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم ولو اجمعوا على ترك الحج لهلكوا وقريب من معناه ما روي عن النبي انه قال لولا عباد الله
ركع وصبيان رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ان الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات
حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم والثالث انه في معنى قول الحسن ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن لانه يمتنع عن الفساد خوف السلطان اكثر مما يمتنع
لاجل الوعد والوعيد الذي في القرآن ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني ذو نعمة عليهم في دينهم ودنياهم **قوله تعالى** تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين آية
اللغة التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لان التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره وحد التلو ايقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي
هو له من غير تغيير عما لا يجوز فيه والرسالة تحميل جملة من الكلام لتاديته الى المرسل اليه بالدلالة **الاعراب** نتلوها جملة في موضع الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك
وذو الحال آيات الله نتلوها عليك والباء في بالحق يتعلق بنتلو **المعنى** تلك اشارة الى ما تقدم ذكره من اماتة الوف من الناس في خرجة واحدة بدفعة واحدة واحيائهم بعد مدة
بعثهم ومن تمليك طالوت وهو من اهل الخمول الذي لا ينقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآية علما على تمليكه ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم على
جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم آيات الله اي دلالات الله على قدرته نتلوها عليك نقرؤها عليك يا محمد بالحق اي بالصدق وقيل نقرؤها جبرئيل بالحق وانك لمن
المرسلين معناه وانك لمن المرسلين بدلالة اخبارك بهذه الآيات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة اهلها الا من جهة الله
لا يوحي الا الى انبيائه **قوله تعالى** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس و
لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد آية **الاعراب**
درجات منصوب على الحال والعامل فيه رفع وذو الحال بعضهم وتقديره ورفع بعضهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف ويجوز ان يكون مع الابعاد الفراغ من الفعل بتقديره ورفع بعضهم
ذا درجات وارد درجات ويجوز ان يكون ظرفا مكانيا ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر وتقديره ورفع بعضهم رفعات **المعنى** تلك بمعنى اولئك الا انه اراد به الاشارة الى
الجماعة فاتى بلفظ الافراد الذي يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت ولتلك الذين تقدم ذكرهم من الانبياء في الكتاب فضلنا بعضهم على بعض انما ذكر الله تفضيل
بعض الرسل على بعض لامور احدها ان لا يغلط غالط فيسوي بينهم في الفضل كما استووا في الرسالة وثانيها ان يبين ان تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من
الانبياء بعضهم على بعض وثالثها ان الفضيلة قد تكون بعد اداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة نحو كلامه
لموسى بلا سفير وكارسال محمد الى الكافة من الجن والانس وقيل اراد التفضيل في الآخرة لتفاضلهم في الاعمال وتحمل الاثقال وقيل بالشرائع فمنهم من شرع ومنهم
من لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على مانع يوجبه اتباع الهوى دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لانه
قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير ولادى الى حرمان الثواب للجميع ومن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو
اليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذي انما تدعو اليه الشهوة منهم من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى ورفع بعضهم درجات قال مجاهد اراد به محمدا فانه فضله
على جميع انبيائه بان بعثه الى جميع المكلفين من الجن والانس وبان اعطاه جميع الآيات التي اعطاها من قبله من الانبياء وبان خصه بالقرآن الذي لم يعطه غيره وهو المعجزة
القائمة الى يوم القيمة بخلاف سائر المعجزات فانها قد مضت وبان جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضي تاخيره في الرسل لاعظم الامور وآتينا عيسى بن مريم البينات اي
الدلالات كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عما كانوا ياكلون وما يدخرون في بيوتهم وايدناه بروح القدس قد تقدم تفسيره في الآية الخامسة والثمانين من هذه
السورة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى اتى بلفظ الجمع لان ذكرهما ينبئ عن ذكر المتبعين لهما كما يقال
خرج الامير فنكوا في العدو نكاية عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الانبياء بان يلجئهم الى الايمان ويمنعهم عن الكفر الا انه لم يلجئهم الى ذلك
لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والالجاء والجزاء لا يحسن الا مع التخلية والاختيار عن الحسن وقيل معناه لو شاء الله ما امرهم بالقتال من بعد ما جاءتهم البينات من
بعد وضوح الحجة فان المقصود ببعثة الرسل قد حصل بايمان من قبل القتال ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرر ذلك تاكيدا وتنبيها قيل الاول لنفي الاكراه اي لو شاء الله اضطرهم الى حال يرتفع معها التكليف والثاني الامر للمؤمنين بالكف عن قتالهم ولكن الله يفعل ما يريد
ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون آية
القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفي سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرأ الباقون
جميعها بالرفع **الحجة** قال ابو علي ان من فتح بلا تنوين فانه جعله جوابا هل فيه من لغو او تاثيم ومن رفع جعله جواب هل فيها لغو او تاثيم وقد ذكرنا اصل القول على
النفي فيما تقدم والمعنيان متقاربان الا ان النفي يراد به العموم والكثرة وفي القرشيين ما يدل على ذلك قوله فلا لغو ولا تاثيم فيها الامر في انه يريد به نفي اللغو وكان
تعدد معه ما يريد به نفي التاثيم الذي فتحه ولم ينونه فان جعلت قوله فيها خبرا وان جعلته صفة اضمرت لكل واحد من الاسمين خبرا **اللغة** البيع هو استبدال
المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع ايضا الشراء لانه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة وتبايعا البيع بالمتاع
والتمحض والخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشيئين والخلة بالفتح الخلل والخلة الحاجة الى الاخر لانها بالفقر والخليل الخالص المودة من
الخلة لتخلل الاسرار بينهما وقيل لانه يمتنع من الشوب في المودة بالنقيض والخليل ايضا المحتاج من الخلة والخل معروف لتخلله بحدته ولطفه فيما ينشا فيه والخلة
الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق في الرمل وفلان خلة اي خصلة والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله ولا يقبل منها شفاعة **المعنى** لما

فصّل الله سبحانه اخبار الامم السالفة وثبت رسالة نبيه اعقبه بالحث على الطاعة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا محمدا فيما جاء به انفقوا مما
رزقناكم قيل اراد به الفرض كالزكوة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد بها عن الحسن ولان ظاهر الامر يقتضي الايجاب وقيل يدخل فيه النفل والفرض عن ابن
جريج واختاره البلخي وهو الاقوى لانه اتم ولان الآية ليس فيها وعيد على ترك النفقة وانما فيها اخبار عن عظم اهوال يوم القيمة وشدائدها من قبل ان ياتي
يوم اي يوم القيمة لا بيع فيه اي لا تجارة ولا خلة اي ولا صداقة لانهم بالمعاصي يصيرون اعداء وقيل لان شغله بنفسه يمنع من صداقة غيره وهذا كقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة اي لغير المتقين المؤمنين قط فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياؤهم كما قال تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه والكافرون هم الظالمون انما ذم الله الكافر بالظلم وان كان الكفر اعظم منه لامرين احدهما الدلالة
على ان الكافر ضر نفسه بالخلود في النار فقد ظلم نفسه والآخر انه لما نفى البيع في ذلك اليوم والخلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه الامور قال وليس ذلك بظلم
بل الكافرون هم الظالمون لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الامور ووجه آخر في فائدة تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم و
ليس يبلغ ظلم المؤمنين لانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين فنظيره قول القائل فلان فقيه البلد وفلان هو الفاضل ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه **قوله**
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم آية بلا خلاف وآيتان عند غيرهم عد البصري الحي القيوم آية **فضلها**
ذكر ابو بكر بن مجوية في كتاب الشواهد باسناده عن ابي بن كعب قال قال رسول الله يا ابا المنذر اي آية في كتاب الله اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال
فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم والذي نفس محمد بيده ان لهذه الآية لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وروى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن عمر
قال قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلوة مكتوبة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى يستشهد وباسناده عن علي قال سمعت
نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا
اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره وعنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم
صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي يا علي ان فيها لخمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة وروي عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في كل ليلة في بيت لم يدخل ذلك البيت
شيطان اربع آيات اولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها وروي عن ابي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه الف مكروه من مكاره الدنيا والف مكروه من
مكاره الآخرة ايسر مكروه الدنيا الفقر وايسر مكروه الآخرة عذاب القبر وعن ابي عبد الله ان لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي **اللغة** الحي من كان على صفة
لا يستحيل معها ان يكون قادرا عالما وان شئت قلت هو من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المدركات اذا وجدت والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول الا ان الياء والواو
اذا اجتمعتا واولهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء قياسا مطردا والقيام اصله قيوام على وزن فيعال ففعل به ما ذكرنا قال امية بن ابي الصلت لم تخلق السماء
والنجوم والشمس معها قمر يقوم قدرها المهيمن القيوم والحشر والجنة والنعيم الا لامر شانه عظيم والسنة النوم الخفيف والنعاس قال عدي بن الرقاع وسنان اقصده
النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم وهو مصدر وسن يوسن وسنا وسنة قال المفضل السنة في الراس والنوم في القلب والنوم خلاف اليقظة يقال نام نوما ونياما
البراء اي سانس اليه اطمان الى ناحيته وقال الليث يقال لكل من احرز شيئا او بلغ علمه اقصاه قد احاط به ويقال الوسع فلان الشيء يسعه سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه
القيام به يقال لا يسعك هذا اي لا تطيقه ولا تحتمله والكرسي كل اصل يعتمد عليه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال اوتاد الارض قال الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالاحداث حين تنوب اي علماء بحوادث
الامور وقال الآخر نحن الكراسي لا تعد هوازن افعالنا في النائبات ولا اسد وقال الحزم ما لي بامرك كرسي اكاتمه وهل يكرسي علم الغيب مخلوق وكل شيء تراكب فقد
تكارس ومنه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسي الملك من كذا وكذا اي ملكه تشبيها بالكرسي المعروف واصل الباب الكرسي تراكب الشيء
بعضه على بعض واده يؤده اودا اذا اثقله وجهده وادت العود وادا واده اودا فاتاد نحو عجته فانعاج والاوده والاود العوج والاعوج والعوجاء والمعنى واحد
بجمع الاود كالعوج والعلي اصله من العلو وهو سبحانه علي بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لان الرفعة في المكان والعلو منقول الى معنى الاقتدار
يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال وعلا بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعناه ولذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بمعناه بالحجة والعلو
بضم العين وكسرها خلاف السفل وعلا في الارض علوا تجبر ومنه قوله ان فرعون علا في الارض اي تجبر والله تعالى عال ومتعال اي القادر القاهر لا يعجزه شيء وفلان
من علية الناس بمعنى اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشان وقيل العظيم بمعنى المعظم كما يقال في الخمر العتيق اي المعتق والاول اقوى **الاعراب** الله رفع بالابتداء وما بعده
خبره والكلام مخرجه مخرج النفي الا ان فيه صحة الالهية لله وحقيقته الاثبات لا اله لاحد هو الله كانه قيل الله هو لا اله غيره وارتفع هو في لا اله الا هو على احد وجهين
احدهما بالابتداء كانه قال لا اله الا الله والثاني ان يكون بدلا كانه قال ما اله الا الله او موجود الا الله ويجوز في العربية نصب الله في قول لا اله الا الله على الاستثناء
المعنى انه سبحانه ذكر الامم واختلافهم على انبيائهم في التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال الله اي من تحق له العبادة بقدرته على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف
الاقوال في اصله وفي معناه في مفتتح سورة الفاتحة لا اله الا هو اي لا احد تحق له العبادة وتستحق الالهية غيره الحي قد ذكرناه ومعنى القيوم القائم بتدبير خلقه من
انشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب
اي يعلم ما فيه وقيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن

هذه الوجوه محتمل لا تأخذه سنة اي نعاس لانه ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق ولا يسهو كما يقال للغافل انت نائم وانت وسنان له ما في السموات
وما في الارض معناه له ملك ما فيهما من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هو استفهام معناه الانكار والنفي اي لا يشفع يوم القيامة احد لاحد الا باذنه وامره وذلك ان المشركين
كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فاخبر الله سبحانه ان احدا ممن له شفاعة لا يشفع الا ان يأذن الله في ذلك ويأمر به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل فيه وجوه احدها
ان معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة عن مجاهد والسدي والثاني معناه يعلم الغيب الذي تقدمهم من قولك بين يديه اي قدامه وما مضى فهو
قدام الشيء فحمل عليه على هذا التفسير لان هذا اللفظ حقيقة في الماضي وما خلفهم يعني الغيب الذي يأتي بعدهم عن ابن جريج والثالث ان ما بين ايديهم عبارة عما لم يأت كما
يقال رمضان بين ايدينا وما خلفهم عبارة عما مضى كما يقال في شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك ولا يحيطون بشيء من علمه معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك
فينا اي معلومك فينا ويقال اذا ظهرت آية هذه قدرة الله اي مقدوره والاحاطة بالشيء علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة الا بما شاء يعني الا بما شاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه
وسع كرسيه السموات والارض عن ابن عباس ومجاهد هو العلم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ويقال للعلماء كراسي كما يقال لهم اوتاد الارض لانهم بهم قوام الدين والدنيا والثاني ان
الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وانما سمي كرسيا لتركب بعضه على بعض والثالث ان المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا اي
عمادا يعمده حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاطت قدرته بالسموات والارض وما فيهما والرابع ان الكرسي سرير دون العرش وقد روي عن ابي عبد الله قريب منه وروي عن عطاء انه
قال ما السموات والارض عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وما الكرسي عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السموات والارض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي
جميعا على الكرسي والكرسي تحت العرش كالعرش فوق السماء وروى الاصبغ بن نباتة ان عليا ع قال ان السموات والارض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه
باذن الله ملك منهم في صورة الآدميين وهي اكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للآدميين والملك الثاني في صورة الثور وهو
سيد البهائم يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب
الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن
في جميع الصور صورة احسن من الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملأ من بني اسرائيل العجل فلما عبدوه خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله ان عبد من
دون الله شيء يشبهه وتخوف ان ينزل به العذاب ولا يؤده حفظهما اي لا يثقل على الله ولا يشق حفظ السموات والارض وقيل الهاء في يؤده يعود الى الكرسي
وهذا على قول من يقول ان السموات والارض على الكرسي وهو العلي عن الاشباه والاضداد والامثال والانداد وعن امارات النقص ودلالات الحدث وقيل هو
العلي بالقدرة والسلطان والملك وعلو الشان والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء العظيم اي العظيم الشان القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه
شيء لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرأ ابو الحسن الرضا ع الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا
نوم له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قوله تعالى لا اكراه في الدين قد
تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم آية اللغة الرشد نقيض الغي وهو الرشد
الرشد وتقول غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك طريق الهلاك وغوى اذا خاب قال الشاعر ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وغوي الفصيل يغوى
غوى اذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنه في الاصل فعلوت وهو مصدر مثل الرغبوت والرهبوت والرحموت ويدل على انه مصدر وقوعه على الواحد
والجماعة بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من طغيت ويدل على ذلك قوله في طغيانهم يعمهون ثم ان اللام قدمت الى موضع العين فصار طيغوت ثم قلبت الياء الفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت وجمعه طواغيت وطواغ على حذف الزيادة والطاغوت على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متعلقه
وعروت الرجل اعروه عروا اذا الممت به متعلقا بسببه واعترته هم اذا تعلقت به وعروته الحمى تعروه اذا علقت به فالاصل الباب التعلق قال الازهري كل باب له اصل ثابت ٣ وزنها الان بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت
كالشجر والعيص وغيرهما يشبه بعرى الاشياء في لزومها والوثقى تأنيث الاوثق والانفصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الاعشى ومباهاة غير شيئين ثابتة
عن كرسي ولا منفصم بها فتعصمه فانفصم النزول قيل نزلت الآية في
رجل من الانصار كان له غلام اسود يقال له صبيح كان يكرهه على الاسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل يدعى ابا الحصين كان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت
فلما ارادوا الرجوع والخروج من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا ومضيا الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله ص فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فقال
رسول الله ص ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو الحصين في نفسه على النبي ص حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية قال وكان هذا قبل ان يؤمر النبي
بقتال اهل الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن عباس الا انه لم يذكر انها منسوخة بآية السيف قال الباقون محكمة وقيل كانت المرأة
من الانصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر ان عاش لها ولد لتهودنه فلما جاء الاسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير اذا فيهم اناس من الانصار فقالوا يا رسول الله ابناؤنا واخواننا
فنزلت لا اكراه في الدين فقال خيروا اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر اختلاف الامم وانه لو شاء الله ما اقتتلوا لاكرههم
على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقيبه بان الحق قد ظهر والعبد قد خير فلا اكراه بقوله لا اكراه في الدين فيه عدة اقوال احدها انه في اهل الكتاب خاصة
الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك وثانيها انه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره وثالثها ان المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين
بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره عن الزجاج ورابعها انها نزلت في قوم خاص من الانصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره
وخامسها ان المراد ليس في الدين اكراه من الله ولكن العبد مخير فيه لان ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين

فليس

سورة البقرة

فليس بدين حقيقة كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو الاسلام ودين الله الذي ارتضاه قد تبين الرشد من الغي قد ظهر الايمان من الكفر و
الحق من الباطل بكثرة الحجج والآيات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي ظهرت على يد النبي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فيه اقوال احدها انه الشيطان عن مجاهد
وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ع وثانيها انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها انه الساحر عن ابي العالية ورابعها انه مردة الجن والانس وكل ما يطغى وخامسها انه الاصنام وما
عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف امر الله ويؤمن بالله اي يصدق بالله وبما جاءت به رسله فقد استمسك اي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى اي بالعصمة
الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله ورسوله وجرى هذا مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس الى
ما يقع به لا انفصام لها اي لا انقطاع لها كما لا ينقطع من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم قوله تعالى
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية اللغة
الولي من الولي وهو من غير فصل هو الذي يكون وليه من غيره واحق بتدبيره ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى من فوق لانه يلي امر العبد
بسد الخلة وما به اليه الحاجة ومنه المولى من اسفل لانه يلي امر المالك بالطاعة ومنه المولى [illegible] ابن العم لانه يلي امره بالنصرة
لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لانه يلي امر ماله بالحفظ والقيام والولي في الدين غيره لانه يلي امره بالنصرة والمعونة كما توجبه الحكمة والعادة فجميع هذه المواضع لا بد
ان يكون ملحوظا فيها وولي عن الشيء اذا ادبر عنه لانه ترك ان يليه بوجهه واستولى على الشيء اذا احتوى عليه لانه وليه بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة اوجه احدها
انه يتولاهم بالمعونة على اقامة الحجة والبرهان لهم في هدايتهم كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وثانيها انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار دينهم على دين مخالفيهم
وثالثها انه وليهم بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الاعمال الصالحة المعنى لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال الله ولي الذين آمنوا اي
نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من امور دينهم ودنياهم وآخرتهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الضلالة والكفر الى نور
الهدى والايمان لان الضلالة والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه اخراج الله المؤمنين من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان
والطاعة هو انه تعالى هداهم اليه ونصب الادلة لهم عليه ورغبهم فيه وفعل بهم من الالطاف ما يقويهم ودعاهم الى فعله لانا قد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرجوا من
الكفر الى الايمان فصحت اضافة الاخراج اليه تعالى لكون هذه الامور التي عددناها من جهته تعالى كما يصح ان يقال اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان ونبهه على ما فيه
ما له فيه من الصلاح ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني وانا اخرجته من كذا وكذا والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي يتولون امورهم وانصارهم الطاغوت
والطاغوت ههنا واحد اريد به الجمع وهذا جائز في اللغة اذا كان في الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب يعني
جلودها قال العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور والمراد بالطاغوت [illegible] رؤساء الضلالة عن مقاتل يخرجونهم من
النور الى الظلمات اي من نور الايمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلالة وانما اضاف الاخراج من النور الى الظلمات الى الطواغيت لما تقدم ذكره من
انهم يغوونهم ويدعونهم الى ذلك ويزينون فعله لهم فصحت اضافته اليهم ويدل هذا على بطلان قول من قال ان الاضافة الاولى تقتضي ان الايمان من فعل الله تعالى بالمؤمن
لانه لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشيطان وعندهم لا فرق بين الامرين في انهما من فعله تعالى عن ذلك وايضا فلو كان الامر على ما ظنوا لما
صح الله تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله لا من فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم
ولم تفصل بين الكافر والمؤمن فهو المتولي لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه جوابان
احدهما ان ذلك يجري مجرى قول القائل اخرجني والدي من ميراثه فمنعه من الدخول فيه لا خراج مثل قوله في قصة يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن
فيها قط ومثله قوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقال الشاعر فان يكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب ولم يكن لهن ذنوب قبل ذلك والثاني انه في قوم
ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والاول اقوى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد مضى تفسيره قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك
اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين
آية القراءة قرأ اهل المدينة انا احيي باثبات الالف في انا والدال اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة نحو انا اخوك فان كان بعدها همزة مكسورة نحو انا الا
نذير حذفوا الالف اجماعا الحجة الاصل في انا الهمزة والنون وانما يلحقها الالف في الوقف كما ان الهاء يلحق للوقف في نحو سلطانيه كما ان الهاء التي تلحق للوقف يسقط في
الوصل كذلك هذه الالف تسقط في الوصل فقد جاءت الالف مثبتة في الوصل في الشعر نحو قول الاعشى فكيف انا وانتحال القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقول الآخر انا شيخ العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريت السناما قال ابو علي وما روي في اثبات الالف في انا اذا كان بعد الالف همزة فاني لا اعلم بين الهمزة وغيرها
من الحروف فصلا ولا شيئا يجب من اجله اثبات الالف التي حكمها ان تثبت في الوقف اللغة في بهت اربع لغات بهت على وزن ظرف وبهت على وزن حذر وبهت
على وزن ذهب وبهت على وزن علم لم يسم فاعله هذا هو الافصح عليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا اذا انقطع وتحير ويقال بهت الرجل ابهته بهتا اذا
قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لانها كالحيرة للمواجه بالكذب لان تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذب عليه ومنه قوله اتأخذونه بهتانا وانه قال
البهتان ادعاء للكذب الاعراب الم تر الى الذي انما ادخل الى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون الا ترى الى فلان كيف صنع
ومعناه هل رأيت كفلان في صنيعه كذا فانما دخلت الى [illegible] هذا المعنى لانها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة هل انتهت رؤيتك الى
من هذه صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب لان التعجب انما يكون مما استبهم سببه ولم يجر العادة به وقد صار الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه لما بينا من العلة

اذ كان ماانه ومثله كالذي يبعد وتوعد المعنى الم يبين تعالى انه ولي المؤمنين وان الكفار لا ولي لهم سوى الطاغوت تسلية لنبيه قص عليه بعد قصة
ابرهيم ونمرود فقال الم تر بالتعجب اي هل رأيت عجبا ... ابرهيم هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد
وغيره وانما اطلق لفظ المحاجة وان كانت مجادلة بالباطل ولم تكن فيه حجة لانه زعم ان له فيه حجة اختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر
الاصنام قبل القائه في النار وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق ... ربي ابرهيم الذي يدعو الى توحيد عبادته ان آتيه الله الملك اي لان آتاه
الله الملك الهاء من آتيه تعود الى المحاج لابرهيم اي اعطاه الملك وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطر الملك حمله على محاجة ابرهيم عن الحسن الجبائي والملك على
هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى به على كل احد فاما الملك بتمليك الامر والنهي وتدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتيه الله الا من
يعلم انه يدعو الى الصلاح والسداد والرشاد دون من يدعو الى الكفر والفساد ولا يصح منه ... بالعبودية والرسالة وتفويض الولاية الى من هذا سبيله لان ذلك
من الاستفساد وقيل ان الهاء تعود الى ابرهيم عن ابي القاسم البلخي ويسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لابرهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس
والاطلاق والامر والنهي كان من جهة الله لابرهيم وانما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهة ولاية شرعية اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت
في الكلام حذف وهو ان قال له نمرود من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت بدأ بذكر الحيوة لانها اول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم نبيهم وهذا امر لا يقدر عليه الا الله
تعالى لان الاماتة هي ان يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقض بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر قال انا احيي واميت
اي فقال نمرود انا احيي بالتخلية من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حي وهذا جهل من الكافر لانه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط
دون المعنى عادلا عن وجه الحجة بفعل الحيوة للميت والموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق
فأت بها من المغرب قيل في انتقاله من حجة الى اخرى وجهان احدهما ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا من ابرهيم فانه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل التأكيد بعد
تمام ما ابتدأ به من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل والتدبر لموقعها من الحجة المعتمد عليها والثاني ان ابرهيم انما قال
ذلك ليبين ان من شأن من يقدر على احياء الاموات واماتة الاحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق فان كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب وانما فعل ذلك
لانه لو تشاغل معه بما اورده لخرج من الموت والحيوة من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء انما بعثوا للبيان والايضاح
وليست امورهم مبنية على لجاج الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد ذكر عن الصادق ان ابرهيم قال له احي من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه بما قاله
ثانيا فبهت الذي كفر اي تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فان قيل فهلا قال له نمرود فليأت بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان احدهما انه علم بما
رأى من الآيات انه لو اقترح ذلك لأتى به الله تصديقا لابرهيم فكان يزداد بذلك فضيحة فعدل عن ذلك والثاني ان الله خذله ولطف لابرهيم حتى انه لم يأت
بشبهة ولم يلبس والله لا يهدي القوم الظالمين بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه لا يهديهم الى المحاجة كما يهدي انبياءه واولياءه وقيل معناه لا يهديهم
بالطافه وتأييده اذ علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى الجنة وهذا لا يعارض قوله فاما ثمود فهديناهم لانا قد بينا معاني الهداية ووجوهها عند قوله يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمؤمنين وفي هذه الاية دلالة على ان المعارف غير ضرورية اذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة وفي اثبات
الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج انه تعالى انما يعلم بافعاله التي لا يقدر عليها غيره وعن ... ابن عباس ان الله سبحانه سلط على نمرود بعوضة فعضت
شفته فاهوى اليها بيده ليأخذها فطارت في منخره فذهب يستخرجها فطارت في دماغه فعذبه الله بها اربعين ليلة ثم اهلكه قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي
خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء
قدير آية القراءة قرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي لبثت بالادغام والباقون بالاظهار وقرأ اهل العراق غير ابي عمرو وعاصم لم يتسن وانظر بحذف الهاء
وصلا والباقون باثبات الهاء في الوصل لم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرأ اهل الحجاز والبصرة ننشرها بضم النون الاولى وبالراء وقرأ اهل الكوفة وابن عامر
ننشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة
الميم الحجة قال ابو علي من ادغم لبثت اجرى الثاء والتاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا في الهمس ومن بين ولم يدغم
فلتباين المخرجين لان الطاء والدال والتاء من حيز والظاء والذال والثاء من حيز ومن قرأ لم يتسنه بالهاء في الوصل فيحتمل امرين احدهما ان يكون الهاء لام الفعل من سنهت
قال شجرة سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم والآخر ان يكون من السنة ايضا فيمن قال سنوات ... ويكون من المسنون الذي يراد به المتغير كانه لم يتسنن فقلب على حد التظني
لم ينطق وحكي ان ابا عمرو الشيباني ... هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف ويسقط في الدرج
اما قوله لما اقتده فيجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف لكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فاضمره كما اضمر في قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم ... الشاعر ... القرآن ... فالهاء في يتسنه للمصدر ولا يجوز ان يكون للمفعول لان الفعل قد تعدى
الى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية ... فمن قرأ ننشرها فمعناه كيف نحييها
يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصفت العظام بالاحياء قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وكذلك في قوله ننشرها ومن قرأ ننشزها بالزاي
كالنشز الارتفاع قال ابو الحسن ... فعلى هذا ننشزها نرفع بعضها الى بعض ومنه النشوز من المرأة وهي ان تنبو عن الزوج في العشرة فلا تلائمه ومن قرأ اعلم قال

الاحياء

على الفعل

على لفظ الخبر بان الله لما شاهد من احياء الله تعالى بعد اماته اياه بعد فانه قد شاهد الخبر عيانا بينه تيقن ... اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن اعلمه قبل ومن قال اعلم
على لفظ الامر فالمعنى يؤول الى الخبر وذلك انه لما تبين له الامر الذي لا يجال الشبهة عليه نزل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى ... اذ تجرد
... بين القرى والعاصر فقال ... وهو يريد نفسه ومثله قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل فخاطب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن هو
اجود في المعنى اللغة اصل الخوى الخلاء قال ابن دريد وخواية الارض حواته والخوى الفرجة بين الشيئين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوي خواء فهي خاوية
اذا باد اهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خوي يخوى خوى لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما على عروشها
اي على ابنيتها قال ابو عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اي بقيت حيطانها لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعريش ومكة ابنيتها وعرش
يعرش عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الخشب تحت
الكرم ليمتد عليه يقال عرشته وعرشته واصل القرية الجمع من قريت الماء ... سميت قرية لاجتماع الناس فيها ... انى يحيي اي كيف يحيي والعام الحول وجمعه اعوام
هو حول يأتي بعد شتوة وصيف لان فيه سبحا طويلا ويمكن ان يكون من العوم لما فيه من التصرف ... كالعوم السابح والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتياط
اصطفاء خيار مال الرجل لانه يجري في اخذه شيئا بعد شيء كالسابح في الماء الجاري ... الموت النفوس ... كذلك واصل اللبث ... والليث المكث يقال لبث
فهو لابث ولبث لبثا اذا مكث والحمار يقال للوحشي والاهلي واصله من الحمرة لان الحمرة اغلب عليه وحمارة القيظ شدة حره وحمر فوه الفرس يحمر حمرا اذا انتن فوه
احمر شديد ... الناس الاسود والاحمر العرب والعجم لان السواد اغلب على لون العرب والحمرة اغلب على لون العجم ومنه قول الاشعث لعلي غلبتنا عليك هذه الحمراء
يعني العجم والنشر خلاف الطي والنشر اذاعة الحديث ومنه قيل للنشار والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل الخبيثة والانشار الاحياء والنشز بالزاي المرتفع من الارض
الاعراب او حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الاول وتقديره ارأيت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية موضع الكاف نصب ومعنى التعجب ...
لخرج من بابه لفظه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما اجهله اي قد خرج بجهله عن حد نظائره وكذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدل على مثل الاول
في التعجب لما بينا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رأيت لانها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زائدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثله شيء والاول
اوجه لانه لا يحكم بزيادة الا لضرورة وقوله انى في استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره ... يحيي يجوز ان يكون مصدر اليحيي تقديره اي نوع يحيي
احياء يحيي وهذا اولى لانه يكون سؤالا عن كيفية الاحياء لا انكار الاصل الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كانه قال اعاما لبثت ام اياما اكثر وقوله ولنجعلك
دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كانه قال ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك لان الواو لو سقطت لاتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف محله النصب على الحال من
ننشزها وذو الحال الضمير المستكن فيه وعلى المصدر ننشزها جملة في موضع الحال من انظر وذو الحال العظام المعنى او كالذي مر اي هل رأيت كالذي مر ...
فانظر في قصة الذي حاج ابرهيم وان شئت فانظر في قصة الذي مر على قرية وهو عزير عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل هو ارمياء عن وهب وهو
المروي عن ابي جعفر وقيل هو الخضر عن ابن اسحق والقرية التي مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بخت نصر عن وهب وقتادة والربيع وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك
وقيل هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد وهي خاوية على عروشها اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على
ابنيتها وسقوفها كان السقوف سقطت ووقعت الابنية عليها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحيي الله
اهلها بعدما ماتوا واطلق لفظ القرية واراد به اهلها كقوله واسأل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكنه احب ان يريه الله احياءها مشاهدة
كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة وكيف يكون اهل الجنة في الجنة وكيف يكون حال اهل النار في النار وكقول ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
احب ان يريه الله احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم بضرورة كما حصل له العلم بلا لان العلم الاستدلالي ربما اعترته الشبهة فاماته الله مائة عام اي مائة سنة
ثم بعثه اي احياه كما كان قال كم لبثت في التفسير انه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن
شاهده عند موته واحيائه قال لبثت يوما او بعض يوم لان الله اماته في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس
فقال او بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم تغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الوحدة لانه
اراد به جنس الطعام والشراب اي انظر الى ما تركته انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه اقرب الى المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه الثلثة
اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغير وانظر الى حمارك معناه انظر اليه كيف تفرق اجزاؤه وتبددت عظامه ثم انظر كيف يحييه
الله وانما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ... فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ولنجعلك آية للناس اي حجة للناس في البعث وانظر الى العظام كيف ننشرها كيف
نحييها بالزاي كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها لحما اي نلبسها اللحم ونخلق فيه قيل اراد عظام حماره عن السدي
وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقتادة والربيع قالوا اول ما احيا الله منه عينيه وهو مثل غرقئ البيض فجعل
ينظر الى العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع يتألف الى العظام من هيهنا ومن هيهنا ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فلما
تبين له اي ظهر وعلم وانما علم انه مات مائة سنة بشيئين احدهما بالاخبار ممن رآه الآية المعجزة في نفس حماره وطعامه وشرابه وتقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى
بعض حتى رجع الى الحالة التي كان عليها اولا والآخر انه علم ذلك بالاخبار انه على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخا وكان خلفهم شبابا
الى غير ذلك من الامور التي تغيرت والاحوال التي تقلبت وروي عن علي ان عزيرا خرج من اهله وامرأته حامل وله خمسون سنة فاماته الله مائة سنة ثم بعثه فرجع الى اهله

ابن

ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من آيات الله وقيل انه رجع وقد احرق بخت النصر التورية فاملاها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثني ابي عن جدي
انه دفن التورية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فاروه فاخرجها فعارضوا ذلك بما املى فما اختلفا في حرف فقالوا ما جعل الله التورية في قلبه الا وهو ابنه فقالوا
عزير ابن الله قال اي قال المار على القرية اعلم اي استيقن وعرف من فرع الغلو فنخاه على ما تقدم ذكره من انه يخاطب نفسه وقيل انه امر من الله تعالى ان الله على كل شيء قدير اي لم ازل
ما قلت عن شك وارتياب ويحتمل انه انما قال لانه ازداد بما شاهد علما ويقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علم ضرورة ومعاينة **قوله تعالى** واذ قال
ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا و
اعلم ان الله عزيز حكيم آية **القراءة** قرأ ابو جعفر وحمزة وخلف ورويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد وروي في الشواذ عن ابن عباس فصرهن
بكسر الصاد وتشديد الراء وفتحها وعن عكرمة فصرهن بكسر الراء [illegible] قرأ عاصم برواية ابي بكر جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع وقرأ ابو جعفر مشددا والباقون بالهمز
والتخفيف **الحجة** يقال صرته اصوره اي املته ومنه قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم اي يميل عنوق هذا الغنم تيس احوى وصرته اصيره قطعته قال ابو عبيدة فصرهن
من الصور وهو القطع وقال ابو الحسن قد قالوا بمعنى القطع صار يصير ايضا قال الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح ومعنى هذا يميل الجيد
من كثرته فقد ثبت ان الميل والقطع يقال في كل واحد منهما ايضا صار يصير من جعل فصرهن اليك بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم
اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ومن قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتج الى اضمار
ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القرائتين على ما ذكرناه وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى قطعهن كان اليك متعلقا بخذ اي خذ اليك اربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل
ان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بصرهن فيمن قرأ بكسر الصاد ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لانه اقرب الى المراد ومن قرأ فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء
فانه يكون من صر يصر اي قطعه المتعدي من هذا الباب قليل وقد روي عن عكرمة ايضا فصرهن بضم الصاد فيكون من صر يصر وهذا على القياس ومن قرأ فصرهن فهو
من صرى يصري فعلهن ويقال صريت اذا حبست وقطعت قال رب غلام قد صرى في فقرته ماء الشباب عنفوان شرته اي حبسه وقطعه ومنه الشاة المصراة اي المحبوس اللبن المقطوع
في ضرعها عن الخروج واما الوجه في قراءة من قرأ جزؤا بالتثقيل فقد ذكرنا عند قوله تعالى اتتخذنا هزؤا ومن قرأ جزا بالتشديد فاصله جزء ثم خفف همزته
ثم انه اذا خفف كان الميل الى السكون وان شئت الاشمام فتقول الجزء وان شئت التشديد فتقول الجز ثم انه وصل على وقفه فقال الجز كما قال الشاعر بازل وجنا
او عيهل كان مهواها على الكلكل فاجرى الوصل مجرى الوقف **اللغة** اطمأن يطمئن اطمينانا اذا توطأ والمطمئن من الارض ما انخفض وتطامن واطمأن اليه
اذا وثق به وسكون نفسه اليه ولتوطيء حاله بالامانة عنده واصل الباب التوطئة والطير جمع طائر وطار يطير طيرانا وطيرة والباب يدل على خفة الشيء في الهواء ثم
يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة وتطير من الطيرة وهو زجر الطير لما يكره وطاير الانسان عمله الذي تقلده من خير او شر كانه يتبين فيه طائر الزجر في البركة والشؤم
نجم مستطير منتشر في الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفؤاد لانه طيار في جريه والجبل معروف وجبال الارض وجبل فلان على كذا اي طبع رجل ذو جبلة اذا كان غليظ
الجسم والجبلة الامة من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى الصلابة لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا صعب عليه القول والجزء بعض الشيء وجزأته
بعضته الفرق بين الجزء والسهم ان السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنين من العشرة وليس كذلك الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثة من العشرة لا تنقسم العشرة
عليها وان كانت الثلاثة جزءا منها من العشرة **الاعراب** والعاطف في واذ في المعطوف ذكر اي اذكر هذه القصة وعن الزجاج يجوز ان يكون عطفا على قوله الم تر الى الذي
حاج ابرهيم اي والم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيي المعنى باي حال تحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي اللام يتعلق بمحذوف تقديره ارني ليطمئن قلبي من
الطير صفة لاربعة وعلى هذا يكون من للتبعيض وللتبيين ويجوز ان يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون الا للتبيين منهن اي جزءا من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع
موضع نصب على الحال من جزء وقوله سعيا مصدر وقع موقع الحال وكانه قال يأتين ساعيات او ساعيا سعيا **المعنى** ثم ذكر تعالى ما اراد ابرهيم عيانا من احياء
الموتى فقال واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى اختلف في سبب سؤال ابرهيم هذا على وجوه احدها ما قال الحسن والضحاك وقتادة وهو المروي عن ابي عبد
الله ع انه رأى جيفة تمزقها السباع فياكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فتفكر ابرهيم فقال يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر
فسأل الله ابرهيم فقال يا رب قد علمت انك تجمعها فارني كيف تحييها لاعاين ذلك وثانيها ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الملك بشر ابرهيم بان الله قد اتخذه
خليلا وانه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى ان يفعل ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اجاب دعوته واتخذه خليلا وثالثها انه سبب السؤال منازعة نمرود اياه
في الاحياء اذ قال انا احيي واميت واطلق محبوسا واقتل انسانا فقال ابرهيم ليس هذا باحياء وقال يا رب ارني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك وروي ان نمرود توعده بالقتل ان لم
يحيي الله الموتى بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبي اي بان لا يقتلني الجبار عن محمد بن اسحق بن يسار ورابعها انه احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال
والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه قال اولم تؤمن قال الكسائي هذه الالف الف ايجاب وتقرير كقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا واندى
العالمين بطون راح اي قد امنت لا محالة فلم تسأل ذلك وهذه الالف اذا دخلت على الاثبات فالمراد النفي كقوله ءانت قلت للناس ام لم تفعل قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى انا
مؤمن ولكن سألت ذلك لازداد يقينا الى يقيني عن الحسن وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لاعاين ذلك ويسكن قلبي الى علم العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليطمئن قلبي بانك
قد اجبت مسألتي واتخذتني خليلا كما وعدتني قال فخذ اربعة من الطير مختلفة الاجناس وانما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران وقيل انها الطاوس
والديك والحمام والغراب امر ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطاء بن يسار وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله فصرهن اليك اي قطعهن عن
ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه ضمهن اليك عن عطاء بن يسار وابن زيد وقد تقدم بيانه وجملة انه ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا روي عن

ابي عبد الله ع ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الاكبر وحلفهن بالجبروت والعظمة يأتينك سعيا ففعل ابرهيم ذلك وفرقهن
على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبني باذن الله فكانت تجتمع وتأتلف كل واحد على عظمه الى راسه وطارت الى ابرهيم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدي وقيل
كانت اربعة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الامكان كانه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك وسئل فقيل كيف
قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح وجوابه انه اراد بذلك الاشارة اليها والايماء لتقبل اليه عليه السلام اذا احياها الله وقيل معناه ادعهن لتعلم ههنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله
سبحانه كونوا قردة خاسئين وقوله ائتيا طوعا او كرها عن الطبري قال انه جعل على جبل طيرا ثم دعاها بعد ان صارت اجزاء ففائدة الانه انما طلب ان يعلم بتكوينها ذلك
احياء الموتى عيانا وليس ايتان طاير حي اليه بالايماء فما يدل على ذلك وفي الكلام حذف فكانه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فان الله يحييهن فاذا
احياهن فادعهن فيكون الايماء اليهن بعد ان صارت احياء ففعل ابرهيم ذلك فنظر الى بعض ذلك العظام واللحم ثم انه بعث على ارجلهن فتلقى كل طاير راسه وذلك
قوله يأتينك سعيا وذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن احمد عن قوله يأتينك سعيا هل يقال للطاير اذا طار سعى فقال لا فقلت فما معناه قال معناه يأتينك
تسعى سعيا واعلم ان الله عزيز اي قوي لا يعجز عن شيء حكيم في افعاله واقواله وقيل عزيز لا يمتنع عليه شيء حكيم في افعاله كلها محكمة وصواب وما يسأل في هذه
الاية ان يقال كيف اجيب ابرهيم الى آيات الآخرة دون موسى في قوله ارني انظر اليك وجوابه من وجهين احدهما ان ما سأل انه لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي
لا يعترضها الشكوك بوجه وابرهيم انما سأل في شيء خاص يصح معه التكليف والاخر ان الاحوال قد تختلف فيكون الاصلح في بعض الاحوال الاجابة وفي بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه اذن
قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم آية **اللغة** النبت الحشيش
وكل ما ينبت من الارض يقال نبت نبتا ونباتا وانبته الله انباتا والتنبيت شجر الخشخاش ونبت الغلام اذا راهق وانبت اشعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة كقولك سبل الزرع
بمعنى سبل اذا صار فيه السنبل والاصل فيه الامتداد وهو ارسال الستر ونحوه كما يسترسل الستر ولا سبال يسترسل الزرع بالسنبل ولانه يطالب منه حب شبكا يسترسل الاسبال والمائة
معروفة يقال امأت الغنم اذا بلغت مائة وامأيتها اذا اتممتها مائة والملاء الضابئ بن القوي **المعنى** مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل تقديره مثل الذين صدقاتهم
ينفقون اموالهم كمثل حبة وقيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالاية عامة في النفقة في
جميع ذلك وهو المروي عن ابي عبد الله ع واختاره ابو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالانفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات فانما يجزى بالواحد عشرة امثالها كمثل حبة
انبتت اي اخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة يعني ان النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف فمتى قيل هل رئي في سنبلة مائة حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه
ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرء القيس ومسنونة زرق كانياب اغوال وقوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وايضا فقد رئي ذلك في الجاورس ونحوه والله يضاعف
لمن يشاء اي يزيد على سبعمائة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وروي عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله رب زد
امتي فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والله واسع اي واسع القدرة لا يضيق عنه ما يشاء من الزيادة وقيل واسع الرحمة لا يضيق عن المضاعفة
عليم بما يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق **النظم** اتصلت هذه الاية بقوله من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا وما بين الايتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجج والعبر عن علي بن عيسى وقيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما اتى به الرسل من البينات
حث على الجهاد واعلم ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين ان في جهادهم والنفقة فيه الثواب العظيم عن
الزجاج **قوله تعالى** الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية **اللغة**
المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل احسنت الى فلان واغنيته ونحو ذلك واصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه قولهم
حبل منين اي ضعيف لانه منقطع وسمي ما يكدر المعروف بانه منة لانه يقطع الحق الذي يجب والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لانها تجل عن قطع الحق بها
لعظمها والمنة القوة في القلب والمن الذي يوزن به لانه يقطع على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتعجل وصوله الى المضرور والخوف توقع الضرر والحزن الغم الذي يغلظ على النفس **المعنى** لما امر الله تعالى بالانفاق عقبه ببيان كيفية الانفاق فقال الذين ينفقون اي يخرجون اموالهم في سبيل الله وقد تقدم بيانه
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا اي نفقتهم منا على المعطى ولا اذى له والمن هو ان يقول له الم اعطك كذا الم احسن اليك الم اغنك ونحوها والاذى ان يقول انت ابدا
فقير ومن ابتلاني بك ويحتمل ان يكون معنى الاذى ان يعبس وجهه عليه او يستعبده او يؤذيه بما يعنفه ويفضحه في بعض الاحوال او يعاتبه على انفاقه فكل هذا من المن والاذى
الذي يكدر الصنيعة وينغص النعمة ويبطل الاجر والمثوبة وقوله لهم اجرهم عند ربهم اي جزاؤهم وثوابهم وقيل معناه لهم جزاء اعمالهم عند ربهم وانما قال عند ربهم لتكون انفسهم
اسكن اليه واوثق به لانه ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص ولا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه يوم القيمة ولا هم يحزنون لفوته ونقصانه وفي هذه الاية دلالة على
انه يصح الوعد بشرط لان مفهوم الكلام ان تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى فلهم الاجر كذا الوعد فاذا كان مشروطا فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل ثبوت
الثواب وقد روي عن النبي انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم **قوله تعالى** قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله
غني حليم آية **اللغة** الغني الواسع الملك والله غني بانه مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها والغني ضد الحاجة يقال غني يغنى غنى و
استغنى واغناه الله والغناء الكفاية للغني عن غيره والتغنية الاستغناء وقد غني القوم اذا نزلوا في مكان يغنيهم والمكان الذي ينزلون به مغنى وقد غنيا فلان غناء
اذا بالغ في التطريب الانشاد حتى يستغني الشعر ابن نداه في فعمه وقد غنيت المرأة غنيانا قال قيس بن الحطيم لجد بعمرة غنيانها فتهجر ام شاننا شانها غنيانها غناها
الغواني النساء لانهن غنين بجمالهن وقيل بازواجهن الحليم قد ذكره **المعنى** قول معروف اي كلام حسن جميل لا وجه فيه من خرق ولا فحش يرد به السائل وقيل عدة حسنة عاصلح نحو

ان يقول صنع الله بك واغناك عن المسئلة واوسع الله عليك الرزق واشباه ذلك وقيل مغفرة تحنن وقيل قول في اصلاح ذات البين عن الضحاك ومغفرة فيه
اقوال احدها ان معناه سلامة من المعصية لان حال المعقوم في الامان من العقوبة عن الجبائي وثانيها ان معناه ستر على السائل وسؤاله وثالثها ان معناه عفو عن
ظلم السائل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السائل ان يجبر في غيبته او يلحف ويلح في سؤاله او يتعدى الادب بان يفتح الباب ويدخل الدار بغير اذن فالعفو عن ظلمه خير من صدقة
يتبعها اذى لان صاحب هذه الصدقة لا يحصل على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روي عن
النبي انه قال اذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسئلته حتى يفرغ منها ثم ردوا بوقار ولين اما ببذل يسير او برد جميل فانه قد يأتيكم من ليس بانس ولا جان ينظر كيف صنيعكم فيما
خولكم الله تعالى والله غني عن صدقاتكم وعن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها لحاجته اليها وانما امركم بها لحاجتكم الى ثوابها حليم لا يعجل بالعقوبة
وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته ولو وقع هنا موقع حليم حميد او عليم لم يحسن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي

النزول روي عن ابي عبد الله عليه السلام انها نزلت في اقوام لهم اموال من ربوا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وامر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة عن علي عليه السلام والبراء بن عازب والحسن وقتادة المعنى لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب ان ينوي بالصدقة التقرب وان يحفظها عما يبطلها من المن والاذى بين تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعا فقال يا ايها الذين آمنوا خاطب المؤمنين انفقوا اي تصدقوا من طيبات ما كسبتم اي من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونحوه نظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عبيدة بن رفاعة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبر وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وقال علي عليه السلام تسعة اعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء وروي عن عائشة عنه صلى الله عليه وآله انه قال اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقال سعيد بن عمير سئل النبي صلى الله عليه وآله اي كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال علي عليه السلام من اتجر بغير علم ارتطم في الربوا ثم ارتطم واختلفوا في ذلك على وجوه فقيل هذا امر بالنفقة في الزكوة عن عبيدة السلماني والحسن وقيل هو في الصدقة المتطوع بها لان المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان دينا عليه الى ان يؤديه بتمامه وان كان مال المزكي كله رديا جاز له ان يعطي منه عن الجبائي وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرض والنفل والمراد به الانفاق في سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على ان ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اكثر لانه يكون اشق عليه ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الارض من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكوة ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اي لا تقصدوا الردي من المال او مما كسبتم ومما اخرج الله لكم من الارض تنفقون منه وقيل المراد بالخبيث هنا الحرام ويقوي القول الاول قوله ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه لان الاغماض لا يكون الا في الشيء الردي دون ما هو حرام وفيه قولان احدهما ان معناه لستم بآخذيه الا ان تحطوا من غرمائكم الا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض ههنا المساهلة عن البراء بن عازب والآخر ان معناه لا تأخذونه الا ان تحطوا من الثمن فيه عن الحسن وابن عباس وقتادة وقال الزجاج لستم بآخذيه الا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد اي مستحق للحمد على نعمه وقيل مستحمد الى خلقه بما يعطيهم من النعم اي مستدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحامد اي انه مع غناه عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حكيم كما ان عليما بالاية المتقدمة اليق من حميد لانه سبحانه لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه غني عن ذلك وانه انما امركم بذلك لنفعكم وقيل انه عليم بما تفعلونه ومعناه انه يجازيكم عليه قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم آية اللغة الفقر الحاجة وهو ضد الغنى يقال افقره الله افقارا وافتقر افتقارا واصل الفقر من الكسر الفقارة نقص المراد الفقار عظام منتظمة في النخاع يسمى خرز الظهر واحدتها فقرة والافقار اعارة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية لانها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير وعدا وعدة وموعدا وموعدة وموعودا وموعودة والفرق بين الوعد والوعيد ان الوعيد في الشر خاصة والوعد يصلح بالتقييد للخير والشر مع انه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد كما يقال وعدته باشياء لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاحش البخيل قال طرفة ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد قال علي بن عيسى الفحشاء المعاصي وانما سمي البخيل فاحشا لانه يشبه رده الاضياف والسؤال بالكلام الفاحش […] ولا يرثم عند اللقاء […] المعنى ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال الشيطان يعدكم الفقر بالنفقة في وجوه البر وبانفاق الجيد من المال فيعلل بتأدية الزكوة عليكم في اموالكم ويأمركم بالفحشاء اي بالمعاصي وترك الطاعات وقيل بالانفاق من الحرام وسماه فحشاء لان فيه معصية الله تعالى فان المعنى ان ترك الانفاق على ذوي الحاجات من اقاربه ادى ذلك الى القطع والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم بالانفاق من خيار اموالكم ان يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم وفضلا اي يعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة في ارزاقكم وروي عن ابن عباس انه قال اثنان من الله واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصي والفضل في الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء وروي عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك لمة وروي مثله عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال فلمة الشيطان وعده بالفقر وامره بالفحشاء ولمة الملك امره بالانفاق ونهيه عن المعصية والله واسع عليم ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع معناه يعطي عن سعة بمعنى انه قادر لا تنقصه ولا تنقص خزائنه عليم بمن يستحق العطية وبمن لا يستحقها قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب آية القراءة قرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء والباقون بفتحها الحجة من كسر التاء فانه اراد ومن يؤته الله الحكمة ففاعل يؤت الضمير المستكن فيه العائد الى الله كما هو في قوله يؤتي الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يؤته الله فحذف ضمير المفعول الذي هو الهاء العائد الى من وهو الذي للجزاء وهو في موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد الى الموصول في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا والاولى ان يكون من على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذي لا بمعنى الجزاء وبالله التوفيق ويجوز ان يكون من للجزاء ههنا ويكون في موضع نصب بكونه مفعولا ليؤت ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لانه […] عن حرف الشرط الذي له صدر الكلام ومثله من في قول زهير رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم ومن قرأ ومن يؤت بفتح التاء فاسم ما لم يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد الى من ويؤت مجزوم بمن للجزاء فقد اوتي خبر المعنى ثم وصف تعالى نفسه فقال يؤتي الحكمة اي يؤتي الله الحكمة من يشاء وذكر في معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو الاصابة في القول والفعل عن مجاهد وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدي وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطا وقيل هو الفهم عن ابراهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القرآن والفقه عن ابي عبد الله عليه السلام وروي ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته وهذا جامع للاقوال وقيل هو ما آتاه الله انبياءه واممهم من كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء عن ابي علي الجبائي وانما قيل للعلم حكمة لانه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خرابا الا فتفقهوا وتعلموا فلا تموتوا جهالا ومن يؤت الحكمة اي ومن يؤته الله ذلك فقد اوتي خيرا كثيرا وفائدة

الا اولوا الالباب وما يتعظ بآيات الله الا ذوو العقول فان قيل لم خص اولي الالباب بالتذكر وكل مكلف ذو لب قيل لم يطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك خص التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما امر به ودعا اليه وسمي العقل لبا لانه انفس ما في الانسان كما ان لب الثمرة انفس ما فيها قوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار آية اللغة النذر هو عقد المرء على النفس فعل شيء من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله علي كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر الخوف لانه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الامر ومنه نذر الدم وهو ان يعقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدي كرب هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا يقال نذرت النذر انذره ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع المخافة والخوف ليتقى والانصار جمع نصير مثل شريف واشراف والنصير هو المعين على العدو الاعراب ما بمعنى الذي وما بعدها صلتها والعائد اليها ضمير المفعول المحذوف من انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فان الله يعلمه والعائد الى المبتدأ من الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز ان يعود الى النفقة لانها مؤنثة ولا الى النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية وقد يجوز ان يكون ما للجزاء ويكون منصوبا بانفقتم […] المنفق ويكون التقدير اي شيء انفقتم او نذرتم فالفاء في موضع الجزاء ومن نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من انفقتم وذو الحال ما المعنى ثم عاد الى ذكر الانفاق والترغيب فيه فقال وما انفقتم من نفقة اي ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه ما انفقتم من وجوه الخير وسبل البر نفقة واجبة او مندوبا اليها او نذرتم من نذر اي ما اوجبتموه انتم على انفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلوة او صوم او صدقة ونحو ذلك فان الله يعلمه معناه يجازي عليه لانه عالم به فذكر العلم على تحقيق الجزاء مجاز الكلام وما للظالمين اي ليس للواضعين النفقة والنذر في غير موضعهما مثل ان ينفق رياء او ضرارا او شقاقا او ركوبا للمعصية […] او ينذر في معصية او يترك الوفاء به مع القدرة عليه من انصار من اعوان يدفعون عذاب الله تعالى عنهم قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير آية القراءة قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعما بفتح النون وكسر العين وقرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمرو ويحيى بكسر النون وسكون العين وقرأ الباقون نعما بكسر النون والعين وكذلك في النساء نعما يعظكم به وقرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم نكفر بالنون والجزم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع الحجة من قرأ فنعما فحجته ان اصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على اصلها كما قال نعم الساعون في الامر المبر ومن قرأ فنعما بكسر النون فلا يجوز ان يكون على قول من سكن العين في قوله نعما وذلك لا يستقيم عند النحويين لان فيه جمعا بين ساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين انما يجوز عندهم هناك نحو دابة واصيم وتمود لان ما في الحرف من المد يصير عوضا من الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد ما اجتمعا في نعما وهو كانه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر انكره اصحابه ولعل ابا عمرو اخفى ذلك كاخذه بالاخفاء في نحو بارئكم ويأمركم فظن السامع الاخفاء اسكانا للطف ذلك في السمع وخفائه ومن قرأ فنعما فانه اتبع العين النون […] بين الساكنين واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو لما روي عن النبي في قوله لعمرو بن العاص نعما بالمال الصالح للرجل الصالح هكذا روي في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين احدهما ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره ونحن نكفر عنكم والآخر ان يكون كلاما مستأنفا مقطوعا مما قبله لا يكون الحرف العاطف للاشتراك ويكون لعطف جملة على جملة واما من جزم فانه يحمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرأ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم لان قوله فلا هادي له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم واما الياء والنون في قوله ونكفر فمن قال ويكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد ومن قال ونكفر فانه اتى بلفظ الجمع كقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد ثم قال باركنا حوله لنريه من آياتنا اللغة الفرق بين الصدقة والزكوة ان الزكوة لا تكون الا فرضا والصدقة قد تكون فرضا وقد تكون نفلا الاخفاء الستر والخفي الاظهار خفاه يخفيه خفيا اي اظهره قال امرؤ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد والخوافي من الريش ما دون القوادم لانها تخفى بها والخفية عرين الاسد لانه يختفي فيها واصل الباب الستر والابداء والاظهار والاعلان نظائر والاخفاء والاسرار والاغماض نظائر الاعراب قوله فنعما هي تقديره ان تبدوا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها فما ههنا نكرة وهي في موضع نصب لانه تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذي هو الابداء واقيم المضاف اليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة عليه لان الفعل المتقدم يدل على مصدره ولان قوله وان تخفوها فهو خير لكم كما ان هو ضمير الاخفاء كذلك يجب ان يكون ضمير الابداء مرادا هناك المعنى ثم ذكر تعالى صفة الانفاق ووجه فيه فقال ان تبدوا الصدقات معناه ان تظهروا الصدقات واعلنتموها فنعما هي فنعم الشيء هي اظهارها واعلانها اي ليس في ابدائها كراهة وان تخفوها اي تسروها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها الفقراء وتوصلوها اليهم في السر فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم والمعنى في الثواب واختلفوا في الصدقة التي يكون اخفاؤها افضل من ابدائها فقيل ان صدقة التطوع اخفاؤها افضل لانه يكون ابعد من الرياء باخفائها واما المفروض فلا يدخله الرياء ويلحقه تهمة المنع فاظهارها افضل عن ابن عباس والثوري وكذا رواه علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق عليه السلام قال الزكوة المفروضة تخرج علانية وتدفع علانية وغير الزكوة ان دفعته سرا فهو افضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكوة وغيرها افضل عن الحسن وقتادة وهو اشبه بعموم الآية ونكفر عنكم من سيئاتكم معناه ونمحو عنكم خطيئاتكم ونغفرها لكم ومن قرأ بالرفع فمعناه ونحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم ودخلت من للتبعيض والحجة فيه من قال المراد بالسيئات الصغائر واما على مذهبنا فان اسقاط العقاب تفضل من الله فله ان يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لكان انه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم ان من زائدة وتقديره ويكفر عنكم سيئاتكم فيكون للتعميم والاول اولى ومما جاء في الحديث صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وتدفع سبعين بابا من البلاء وقوله سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله تعالى والله بما تعملون خبير معناه انه تعالى عالم بما تعملونه في

صدقاتكم من اخفائها واعلانها لا يخفى عليه شئ من ذلك فيجازيكم على جميعه قوله تعالى ليس عليك هديهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون آية الاعراب ما تنفقوا من خير فلانفسكم شرط وجزاء وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله قيل لفظه نفى ومعناه النهى اى لا تنفقوا كقوله لا يمسه الا المطهرون وقيل هى جملة مقيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها وهى خبر على ظاهره وابتغاء نصب لانه مفعول له
وما تنفقوا من خير يوف اليكم شرط كالاول ولذلك حذف النون فى الموضعين النزول كان المسلمون يتنوعون عن الصدقة على غير اهل دينهم فانزل الله تعالى هذه
الآية عن ابن عباس وابن الحنفية وسعيد بن جبير وقيل كانت اسماء بنت ابى بكر مع رسول الله فى عمرة القضاء فجاءتها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما
شيئا حتى استأمر رسول الله فانكما لستما على دينى فاستأمرته فى ذلك فانزل الله هذه الآية عن الكلبى المعنى ليس عليك هديهم قيل فى وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها
ان معناه ليس عليك هديهم بمنع الصدقة عنهم لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا يكون فى هذا
الاباحة للصدقة عليهم بصدقة التطوع وثانيها ان معناه ليس عليك هديهم بالحمل على النفقة فى وجوه البر وسبل الخير عن الحسن وابى على الجبائى وتقديره ليس عليك ان تهدى
الناس الى سبل الثواب فى الجنة وانما عليك ان تهديهم الى الايمان بان تدلهم عليه هذا تسلية للنبى لانه كان يغتم بترك قبولهم منه ولتسليهم عن الايمان لعلمه بانه يؤدى
الى تمامهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول وثالثها ان المراد ليس عليك ايها الناس بعد ان دعوتهم وانذرتهم وبلغتهم ما امرت بتبليغه ونظيره
ان عليك الا البلاغ وليس المعنى ليس عليك ان تحملهم الى الايمان والطاعة لانه ما بعثك لذلك ولكن الله يهدى من يشاء انما علق الهداية بالمشية لمن كان المعلوم منه
انه يصلح باللطف اى يلطف الله بزيادة الهدى والتوفيق لمن يشاء عن الزجاج وابى القاسم البلخى واكثر اهل العلم وقيل معناه الى طريق الجنة عن الجبائى وما تنفقوا من خير
فلانفسكم اى ما تنفقوا فى وجوه البر من مال فلانفسكم ثوابه والغرض فيه الترغيب فى الانفاق لان الانسان اذا علم ان منفعة انفاقه عائدة اليه مختصة به كان اسمح بالانفاق
وارغب فيه واحرص عليه وبذلك يفارق عطية الله لان المنفعة فى عطية العبد عائدة الى المعطى ومختصة به دون الله ومعظم المنفعة فى عطية العبد ترجع الى
مختص به دون المعطى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اى الا لطلب رضوان الله وهذا اخبار من الله عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله ولرسوله انهم لا ينفقون ما
ينفقون الا طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل ان معناه النهى وان كان ظاهره الخبر اى لا تنفقوا الا ابتغاء مرضاة الله وفى ذكر الوجه هنا قولان احدهما ان المراد به تحقيق
الاضافة لان ذكر الوجه يرفع الابهام انه له ولغيره وذلك انك لما ذكرت الوجه ومعناه النفس دل على انك قصرت الوهم عن الاشتراك الى تحقيق الاختصاص
للاضافة ومن الابهام الشركة والثانى انك اذا قلت فعلته لوجهه كان اشرف فى الذكر من فعلته له لان وجه الشئ فى الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف
الذكر من غير تحقيق وجه الامر انك تقول وجه الراى ووجه الامر ووجه الدليل وانما تريد افضله وابينه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه وما تنفقوا من خير يوف اليكم
اى يوفر عليكم جزاؤه وثوابه والتوفية اكمال الشئ وانما حسن اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التأدية وقيل معناه تعطون جزاءه وافيا فى الآخرة
وانتم لا تظلمون بمنع ثوابه ولا بنقص اجزائه كقوله واتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص قوله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم آية القراءة قرأ حمزة وعاصم وابو جعفر وابن عامر يحسبهم بفتح
السين كل القرآن والباقون بكسرها اللغة قال ابو زيد حسبت الشئ احسبه حسبانا وحسبانا
سقيته حتى يشبع ويكرو وتعطيه حتى يحس والاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة والحصر هو منع الغير وليس كالاول لانه منع النفس وقد تقدم تفسيره عند قوله
فان احصرتم والضرب فى الارض السير فيها والسيماء العلامة التى يعرف بها الشئ واصله الارتفاع لانه علامة رفعت للظهور ومنه السوم فى البيع هو الزيادة فى مقدار الثمن للارتفاع
فيه عن الحد ومنه سوم الماشية ارسالها فى المرعى والتعفف ترك السؤال يقال عف عن الشئ وتعفف عنه اذا تركه ومنه قول رؤبة فعف عن اسرارها بعد العسق اى تركها
والالحاف الالحاح فى المسألة قال الزجاج معنى الحف شمل بالمسألة وهو مستغن عنها واللحاف من هذا اشتقاقه لانه يشمل الانسان فى التغطية الاعراب العامل فى قوله
للفقراء محذوف وتقديره النفقة للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه وقال بعضهم هو مردود على اللام الاولى من قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم للفقراء على انه بدل منه ولا
يجوز لان بدل الشئ من غيره لا يكون الا والمعنى يشتمل عليه وليس كذلك لان المنفق فى قوله فلانفسكم الانفاق لها من حيث هو عائد اليها وللفقراء من حيث هو واصل اليهم مثل
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا لان الامر لازم للمستطيع خاصة ولا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا لانه لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بالاجنبى
كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه لا يستطيعون خبر ابتداء فى موضع الحال من احصروا وقيل استئناف يحسبهم الجاهل فى موضع الحال ايضا وكذلك تعرفهم والحافا مصدر
وضع موضع الحال من يسألون اى لا يسألون ملحفين ويجوز ان يكون مصدرا لان الالحاف سؤال على صفة النزول قال ابو جعفر نزلت الآية فى اصحاب الصفة وكذلك رواه
الكلبى عن ابن عباس وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر فاووا اليهم فجعلوا انفسهم فى المسجد وقالوا نخرج فى كل سرية بعثها رسول الله فحث الله الناس
عليهم وكان الرجل اذا اكل وعنده فضل اتاهم به اذا امسى المعنى لما امر سبحانه بالنفقة ورغب فيها ما يبلغ وجوه الترغيب وبين ما يكمل ثوابها عقب ذلك ببيان افضل الفقراء
الذين هم مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله معناه النفقة المذكورة فى هذه الآية وما قبلها للفقراء الذين حبسوا ومنعوا فى طاعة الله اى منعوا
انفسهم من التصرف فى التجارة للمعاش اما لخوف العدو من الكفار واما للمرض والفقر واما للاقبال على العبادة وقوله فى سبيل الله يدل على اختصهم انهم حبسوا عن التقلب
لاشتغالهم بالعبادة والطاعة لا يستطيعون ضربا اى ذهابا فى الارض لبعض ما ذكرناه من العلة وقيل لمنع انفسهم من التصرف فى التجارة اى لزموا انفسهم الجهاد فى سبيل
الله فلا يقع منهم التصرف لعزمهم وليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال ان الامير المقام فى هذا الموضع فلا استطيع ان ابرح منه لا انه اراد نفسه طاعة الامير يحسبهم الجاهل
اى يحسبهم الجاهل بحالهم وباطن امورهم اغنياء من التعفف اى من القناعة والترك للسؤال والتجمل فى اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلبا لرضوان الله وطمعا فى جزيل ثوابه

٢ اى لا ابرح منه

تعرفهم

تعرفهم بسيماهم اى تعرف حالهم بالنظر الى وجوههم لما يرى من علامة الفقر عن السدى والربيع وقيل لما يرى من التخشع والخضوع الذى هو سمة الصالحين عن مجاهد لا يسألون
الناس الحافا قيل معناه انهم لا يسألون الناس اصلا وليس معناه انهم يسألون من غير الحاف عن ابن عباس وهو قول الفراء والزجاج واكثر ارباب المعانى وفى الآية ما يدل عليه وهو
قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فى المسألة ولو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنياء لان السؤال فى الظاهر يدل على الفقر وقوله تعرفهم بسيماهم ولو سألوا
لعرفوا بالسؤال وانما هو كقولك ما رأيت مثله وانت لم ترد ان له مثلا ما رأيته وانما تريد انه ليس له مثل فيرى فمعناه لم يكن سؤال فيكون الحاف كقول الاعشى لا يغمز الساق من اين ومن
نصب ولا يعض على شرسوفه الصفر ومعناه ليس بساقه اين ولا نصب فيغمزها لهما وفى الحديث ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتبؤس ويحب
الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف وعنه ان الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ونهى عن عقوق الامهات ووأد البنات
وعن منع وهات وقال الايدى ثلثة فيد الله العليا ويد المعطى التى تليها ويد السائل السفلى الى يوم القيمة ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيمة كدوحا او خموشا او خدوشا
فى وجهه قيل وما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب وما تنفقوا من خير من مال وقيل معناه فى وجوه الخير فان الله به عليم اى يجازيكم عليه قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية الاعراب سرا وعلانية حالان من ينفقون وتقديره مسرين ومعلنين فيهما اسماء وضعا موضع
المصدر عند ربهم ظرف مكان والعامل فيه متعلق به اللام من لهم النزول قال ابن عباس نزلت الآية فى على كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا وبواحد ليلا وبواحد سرا وبواحد
علانية وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله وذكر عن ابى ذر والاوزاعى انها نزلت فى النفقة على الخيل فى سبيل الله وقيل هى عامة فى كل من انفق ماله فى طاعة الله على هذه الصفة
وعلى هذا التأويل عن ابى عبد الله لانه نزلت الآية فى على وحكمها سائر فى كل من فعل مثل فعله وله فضل السبق الى ذلك المعنى ثم بين سبحانه كيفية الانفاق وثوابه فقال الذين
ينفقون اموالهم فى هذه الحالات اى ينفقون على الدوام لان هذه الاوقات معينة للصدقات ولا وقتها سواها فلهم اجرهم عند ربهم اتى بالفاء ليدل على ان الاجر انما هو من
اجل الانفاق فى طاعة الله ولا يجوز ان يقال ان زيدا فله درهم لانه ليس فيه معنى الجزاء ولا خوف عليهم من اهوال يوم القيمة اى فزعها ولا هم يحزنون فيها وقيل لا خوف عليهم من فوت الاجر
ونقصه ولا هم يحزنون على ذلك قوله تعالى الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله
البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية اللغة اصل الربوا الزيادة من قولهم
ربا الشئ يربو اذا زاد والربوا هو الزيادة على رأس المال واربى الرجل اذا عامل فى الربوا ومنه الحديث من اجبى فقد اربى واصل التخبط الخبط هو الضرب على غير استواء خبطه
يخبطه خبطا وتخبط ضرب البعير الارض بيده والتخبط ايضا بمعناه يقال تخبط البعير الارض اذا ضربها بقوائمه ويقال للذى يتصرف فى امر ولا يهتدى فيه هو يخبط خبط عشواء
قال زهير رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم والتخبط المس الجنون والتخبل لانه كالضرب على غير استواء فى الادهاش والخبال داء كالجنون لانه
اضطراب فى العقل يقال به خبطة من جنون ويقال فلان ممسوس اى مجنون كانه مسه الجن والسلف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا ومنه الامم السالفة اى الماضية والسالفة العنق
لتقدمها والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق يقال اسلفه المال اسلافا وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها والعود الرجوع وعيادة المريض المسير اليه لتعرف خبره والعود
من العيدان لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذى يتبخر به والمعاد تشبيه الاخرة معاد الناس والعادة تكرر الشئ مرة بعد مرة والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود فى السنة
او لانه بالعائدة الصلة لانها تعود بالنفع على صاحبها الاعراب كما يقوم الكاف فى محل النصب على المصدر وتقديره لا يقومون الا قياما مثل قيام الذى يتخبطه
الشيطان من المس يتعلق بيتخبط ومن للتبيين المعنى لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الاجر العظيم والاجر الجزيل عقبه بذكر الربوا الذى ظنه الجاهل زيادة فى المال
وهو فى الحقيقة محق فى المال فقال الذين يأكلون الربوا اى الذين يربون لا يقومون يوم القيمة الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس معناه الا مثل ما يقوم الذى يصرعه الشيطان
من الجنون فيكون ذلك امارة لاهل الموقف على انهم اكلة الربوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وقتادة قيل ان هذا على وجه التشبيه لان الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة
لكن من غلب عليه المرة السوداء وضعف عقله ربما يخيل الشيطان اليه امورا هائلة ويوسوس اليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله نسب ذلك الى الشيطان مجازا لما كان ذلك
عند وسوسته عن ابى على الجبائى وقيل يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض عن ابى الهذيل وابن الاخشيد قال لان الظاهر من القرآن يشهد به وليس فى العقل ما
يمنع منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب الم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله
منه ولا يكون هذه الحالة لاكلة الربوا يميزوا بها يوم القيمة كان على كل غادر من معصية علامة يليق به فيعرف بها صاحبها على كل طبع من الفسقة امارة يليق به يعرف بها
صاحبها ذلك معنى قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقال النبى فى شهداء احد زملوهم بدمائهم وثيابهم وقال يبعث يوم القيمة قوم غر محجلين من آثار
الوضوء ويروى عنه انه قال لما اسرى بى الى السماء رأيت رجالا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء اكلة الربوا وروى اصحابنا
عن ابى عبد الله قال قال رسول الله لما اسرى بى الى السماء رأيت قوما يريد احدهم ان يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة قال ابو عبيدة الآية مثل
الاكل من اربى وان لم يأكله ولكنه نبه بذكر الاكل على سائر وجوه الانتفاع بمال الربوا وانما خص الاكل لانه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل وقوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية والمراد بالاكل فى الموضعين سائر وجوه الانتفاع وفى حقيقة الاكل ذلك اى ذلك العقاب لهم بانهم قالوا انما
البيع مثل الربوا معناه بسبب قولهم انما البيع الذى لا ربا فيه مثل البيع الذى فيه الربوا قال ابن عباس كان الرجل منهم اذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب
له زدنى فى الاجل وانا ازيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به فاذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة فى الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الاجل عند
محل الدين سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطأهم فى ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا اى احل الله البيع الذى لا ربا فيه وحرم البيع الذى فيه الربوا والفرق

بينهما

بينهما ان الزيادة في احدهما التأخير الذي في الاخر لاجل البيع وايضا فان البيع بدل البدل لان الثمن فيه بدل المثمن واما الزيادة من غير بدل للتأخير في الاجل او زيادة في الجنس المنصوص عن النبي تحريم التفاضل في ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال الامثال بمثل يدا بيد فمن زاد او استزاد فقد اربى لا اختلاف في حصول الربا في هذه الاشياء الستة وفي غيرها اختلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها وعندهم وعندنا ان الربوا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربوا فقد قيل هي ان الربوا فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر اذا وجد المربي من يعطيه دراهم وفضلا بلا الم وقال الصادق انما شدد في تحريم الربوا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا او رفدا فمن جاءه موعظة من ربه معناه فمن جاءه زجر ونهي وتذكير من ربه فانتهى اي فانزجر وتذكر واعتبر فله ما سلف معناه فله ما اخذ واكل من الربا قبل النهي لا يلزمه رده قال الباقر من ادرك الاسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدي معناه له ما اكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له اخذه وله رأس المال وقوله جاءه موعظة وفي موضع اخر قد جاءتكم موعظة لان تأنيثه غير حقيقي فان الموعظة والوعظ بمعنى واحد وامره الى الله معناه امره بعد مجيء الموعظة والتحريم والانتهاء الى الله ان شاء عصمه عن اكله وثبته انتهائه عنه وان شاء خذله وقيل معناه وامره في حكم الاخرة الى الله تعالى ان لم يتب وهو غير مستحل ان شاء عذبه بعدله وان شاء عفى عنه بفضله وقيل معناه امره الى الله فلا يؤاخذه بما سلف من الربا ومن عاد الى اكل الربا بعد التحريم وقيل ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من ان البيع مثل الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لان ذلك القول لا يصدر الا من كان مستحلا للربا فلهذا توعد بعذاب الابد ولا خلاف بين الفقهاء ان الربوا محرم في النقد والنسيئة وقال بعض من تقدم لا ربا الا في النسيئة واما اهل الجاهلية فانهم كانوا يربون بالتأخير الدين عن محله الى محل اخر بزيادة فيه ولا خلاف في تحريمه ومما جاء في الحديث في الربوا ما روي عن علي عم قال لعن رسول الله صلعم خمسة في الربوا اكله وموكله وشاهديه وكاتبه وعنه قال اذا اراد الله بقرية هلاكا ظهر فيهم الربوا وعنه قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله كالذي ينكح امه وعن [illegible] درهم ربا اعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم آية اللغة المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال محقه الله يمحقه محقا فانمحق وامتحق اي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق اخر الشهر لانمحاق الهلال فيه والاثيم المتمادي في الاثم والآثم الفاعل للاثم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله يمحق الله اي ينقص الله الربا حالا بعد حال الى ان يتلف المال كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب ببركته وقيل [illegible] الرجل يربي فيكثر ماله فيمحق الله ويمحق الله وان كثر ماله وقال ابو القاسم البلخي يمحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه والتسمية بالفسق ويربي الصدقات اي وينمي الصدقات ويزيدها بان ينمي المال في نفسه في العاجل بالاجر عليه في الثواب في الاجل ذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها فقد روي عن النبي انه قال ان الله تعالى يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل احد والنكتة في الاية ان المربي انما يطلب الربح بزيادة المال ومانع الصدقة انما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله سبحانه ان الربا سبب النقصان دون النماء وان الصدقة سبب النماء دون النقصان والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر وهو المقيم عليه المستمر [illegible] ومعناه الله يبغض كل كفار لنعمته باستحلال الربوا [illegible] متماد في اثمه باكله [illegible] ذكر اكل الربا [illegible] مستحل [illegible] كفر [illegible] واذا استحل الربا ولم يعتقد حظر الربوا لم يلحقه [illegible] الجامع بين الامرين [illegible] غضب الله [illegible] احد الامرين [illegible] عن النبي انه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربوا فمن لم ياكله اصابه من غباره قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية المعنى هذه الاية ظاهرة المعنى وقد مر تفسيرها فيما مضى وانما جمع بين الخصال لان الثواب لا يستحق على كل واحدة منها اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحدة منها ولكن جمع بينها للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم لامرها والتعظيم لشأنها او لبيان ان الجمع بين هذه الخصال اعظم اجرا من الانفراد بواحدة منها ونظيره قوله سبحانه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الاية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين ان الوعيد يستحق بكل واحدة منها للتفصيل عن كل خصلة منها لانه من المعلوم ان من دعا مع الله الها اخر لا يحتاج الى شرط [illegible] في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحدة منها [illegible] هذه الاية تدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح لاشتمالها عليه اذ لو كان كذلك لما صح عطفها عليه معنى لان الشيء لا يعطف على نفسه فان قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فالقول فيهما كالخلاف هناك لان التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه انما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله ويستدل بهذه الاية وامثالها في بطلان التحابط لانه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط ان لا يبطل ما يحبطها فان قالوا لا بد من هذا الشرط كما ان الوعيد على الكفر لا بد ان يكون مشروطا بارتفاع التوبة فالجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لاجماع المسلمين على ان التوبة مسقطة للعقاب وانما قال الله تعالى باسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في ايات الوعد فبان الفرق بين الامرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون آيتان القراءة قرأ عاصم برواية ابي بكر غير ابن غالب البرجمي وحمزة فآذنوا بالمد وكسر الذال والباقون فاذنوا وقرأ في الشواذ لا تظلمون ولا تظلمون الحجة قال سيبويه اذنت اعلمت واذنت النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري اذنت مجرى اذنت الذي معناه التصويت والنداء قال ابو عبيدة اذنتك بحرب فاذنت به اذن اي علمت [illegible] فاذنوا بحرب من الله [illegible] معنى اعلموا [illegible] ومعنى انكم في امتناعكم من وضع الربا محاربين لله [illegible] فاعلموا [illegible] على قول [illegible] اذا امروا باعلام غيرهم علموا هم ايضا لا محالة ففي امرهم بالاعلام ما يعلم انهم ايضا حرب ان لم يمتنعوا [illegible] دلالة على [illegible] فهو ابلغ الاعراب ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف

اذا استحل الربا صار كافرا [illegible]

تقديره

تقديره ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقي من الربوا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من كم في التقدير فلكم رؤس اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين النزول روي عن ابي جعفر الباقر ان الوليد بن مغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف فاراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد ان اسلم فنزلت الاية وقال السدي وعكرمة نزلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله هذه الاية فقال النبي الا ان كل ربا من ربوا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليث فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون فلما ظهر النبي على الطائف وصالح ثقيفا اسلم هؤلاء الاخوة الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة وتخاصموا الى عتاب بن اسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب الى النبي بالقصة فانزل الله الاية المعنى ثم بين سبحانه حكم ما بقي من الربوا فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في امر الربوا وفي جميع ما نهاكم عنه وذروا ما بقي من الربا فلا تأخذوه واقتصروا على رؤس اموالكم وقوله ان كنتم مؤمنين معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فانه يكون حربا وقيل معناه ان كنتم تجرون على المصدقين بربا فيه من المفسدة التي يعلمها الله فان لم تفعلوا اي لم تقبلوا امر الله ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربا بعد نزول الاية بتركه فاذنوا بحرب من [illegible] فايقنوا واعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الاخرة لمخالفة امر الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية وروي عن ابن عباس وقتادة والربيع ان من عامل بالربوا استتابه الامام فان تاب والا قتله وقال الصادق آكل الربا يؤدب بعد البينة فان عاد ادب فان عاد قتل وان تبتم من استحلال الربا واقررتم بتحريمه فلكم رؤس اموالكم دون الزيادة لا تظلمون باخذ الزيادة على رأس المال ولا تظلمون بالنقصان من رأس المال قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون آية القراءة قرأ ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما لغتان وقرأ [illegible] ميسره بضم السين مضافا الى الهاء ويحكى ذلك عن مجاهد وقرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فان الاصل في القراءتين تتصدقوا فخفف في احديهما بحذف احدى التائين وفي الاخرى بالادغام اللغة النظرة التأخير وهو اسم قام مقام الانظار مثل الاخرة يقال بعته بأخرة وبنظرة اي بنسيئة [illegible] والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة [illegible] ومن قرأ ميسره فانه [illegible] الى ميسر ولم يجوزه البصريون لان مفعل لا يجيء في الاحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع [illegible] عن مالك انه قد جاء [illegible] جمع معونة [illegible] جمع مالكة [illegible] سيبويه [illegible] اطلق القول [illegible] كذا وان كان قد جاء عليه حرف واحد فان الاعراب كان هذه التامة وهي التي تتم بفاعلها ويكتفى به تقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي الناقصة والخبر محذوف [illegible] وان كان ذو عسرة غريما لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة ويروى ذلك في الشواذ فنظرة مرفوعة لانها خبر مبتدأ محذوف والفاء فيه للجزاء وتقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في موضع رفع بانه مبتدأ وخير خبره خير لكم المعنى لما امر سبحانه باخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المعسر فقال وان كان ذو عسرة فنظرة معناه وان وقع في غرمائكم ذو عسرة فنظرة اي فالذي تعاملونه نظرة الى ميسرة اي الى وقت اليسار [illegible] والمراد به الامر اي فانظروه [illegible] ان كان غريما لكم ذو عسرة فانظروه الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار فروي عن ابي عبد الله انه قال هو اذا لم يقدر على ما يفضل من قوته وقوت عياله على الاقتصاد وقال ابو علي الجبائي هو [illegible] بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب انظار المعسر على ثلثة اقوال احدها انه واجب في كل دين عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وثانيها انه واجب في دين الربوا بالاية وفي كل دين بالقياس عليه قال الباقر الى ميسرة معناه الى ان يبلغ خبره الامام فيقضي عنه من سهم الغارمين اذا كان انفقه في المعروف وان تصدقوا خير لكم معناه وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم ان كنتم تعلمون الخير من الشر وتميزون ما لكم مما عليكم ومما جاء في معنى الاية من الحديث قوله من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعن ابي عبد الله انه قال من انظر معسرا كان له بكل يوم صدقة وفي هذه الاية دلالة على ان الانسان اذا علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته وعليه انه يجب عليه انظاره [illegible] وان الصدقة برأس المال على المعسر [illegible] افضل من انظاره [illegible] عن ابن عباس [illegible] ان اخر ما نزل من القران [illegible] قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون آية القراءة قرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء والباقون بضمها الحجة حجة ابي عمرو قوله ان الينا ايابهم فاضاف المصدر الى الفاعل فهذا يقوي ترجعون [illegible] مثل رجع [illegible] قوله واما الينا مرجعهم الاعراب يوما منصوب لانه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون فيه الى الله جملة في موضع نصب بكونه صفة لقوله يوما وتوفى كل نفس ما كسبت في موضع نصب بانه عطف على صفة يوم الا انه حذف منه فيه لدلالة الاول عليه النزول هذه اخر اية نزلت من القران وقال جبريل ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة قال ابن عباس والسدي قال المفسرون لما نزلت هذه الاية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله ليتني اعلم متى يكون ذلك فانزل الله سورة النصر اذا جاء نصر الله والفتح فكان رسول الله يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقيل له لم تكن تقوله قبل هذا فقال اما ان نفسي نعيت الي ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله اتبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال فاين هول المطلع واين ضيق القبر وظلمة اللحد واين القيامة والاهوال فعاش رسول الله بعد نزول هذه السورة عاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه الى اخر السورة وهذه السورة اخر سورة كاملة نزلت من القران فعاش رسول الله بعد ذلك ستة اشهر ثم لما خرج رسول الله الى حجة الوداع نزلت عليه في الطريق يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الى اخرها فسميت اية الصيف ثم نزلت عليه وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم الاية فعاش بعدها احدى وثمانين يوما ثم نزلت عليه ايات الربوا ثم نزلت بعدها واتقوا

انه لا يجب في دين الربوا خاصة عن شريح وابراهيم النخعي وثالثها

يوما

يوماً ترجعون فيه الى الله وهي آخر سورة نزلت من السماء فعاش رسول الله بعدها احدى وعشرين يوماً قال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم
مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول حين زاغت الشمس وفي رواية اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك شيرويه بن
ابن برويز بن هرمز بن انوشروان بنفسي هو حياً وميتاً **المعنى** ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر الحدود والاحكام فقال واتقوا يوما معناه واحذروا
يوما واخشوا يوما ترجعون فيه الى الله تردون فيه الى جزاء الله وقيل الى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملككم ذلك في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من
هذا اللفظ لان الله سبحانه لا يغيب عن حكمه شيء ولا يخرج احد من علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم اينما كنتم وما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وانما خص
يوم القيمة بهذه الصفة لان الناس اذا حشروا انقطع رجاؤهم وبطل ملكهم ولا يبقى لاحد منهم امر ولا نهي كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم توفى كل نفس
ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى جزاء ما كسبت من الاعمال والثاني توفى ما كسبت من الثواب والعقاب لان الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله
يكسب المال وهم لا يظلمون معناه لا ينقصون مما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم ما يستحقونه من العقاب **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او
ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل
شيء عليم آية **القراءة** قرأ حمزة وحده ان تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزة فتذكر بالتشديد والرفع
وقرأ الباقون فتذكر بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ ابو جعفر لا يضار بتسكين الراء وتشديدها و
الباقون لا يضار بالنصب والتشديد **الحجة** الوجه في قراءة حمزة ان تضل احديهما بكسر الهمزة هو انه جعل ان للجزاء والفاء في قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه
رفع بكونهما وصفا للمرفوعين وهما المرأتان في قوله فرجل وامرأتان فقوله فرجل وامرأتان خبر مبتدأ محذوف تقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعا لتكوين
بالابتداء وامرأتان معطوفتان عليه والخبر الابتداء محذوف وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء في ذكر نعوت الموصوفين الذين هم رجل وامرأتان
ولا يجوز ان يكون في ذكر الشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف الاعراب في الموصوفين لان شهيدين منصوبان ورجل وامرأتان اعرابهما الرفع فاذا كان كذلك علمت ان الوصف
الذي هو الظرف انما هو صفة لقوله فرجل وامرأتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله وامرأتان لان الشرط وجزاءه جملة يوصف بها كما يوصل بها في
قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واللام التي هي في قوله ان تضل فيمن جعل جزاءه في موضع جزم وانما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين ولو كسر لكسر
قبلها لكان جائزا في القياس اما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه في قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والآي التي تلاها معها ان يكون بعد الفاء فتذكر
مبتدأ محذوف ولو اظهر لكان فهما تذكر احديهما الاخرى فالذكر العائد الى المبتدأ المحذوف الضمير في قوله احديهما اما الاصل في تذكر فهو من الذكر الذي
هو ضد النسيان وذكرت فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او ضعفت العين منه تعدى الى مفعولين وذلك نحو فرحته وافرحته من فرح فتذكر
كان ممن جعل التعدية بالتضعيف ومن قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزة وكلا الامرين سائغ والمفعول الثاني في قوله فتذكر احديهما الاخرى محذوف والمعنى فتذكر
احديهما الاخرى الشهادة التي تحملناها وما قرأه الاكثرون وهو ان تضل بفتح الالف فان تعلقوا بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلثة اشياء
الاول هو ان قوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يدل على قولك واستشهدوا رجلا وامرأتين وعلى هذا فتقديره فليشهد رجل وامرأتان فتعلق ان بما
هو بهذا الفعل والثاني ما قاله ابو الحسن هو ان تقديره فليكن رجل وامرأتان وعلى هذا فيكون معناه فلتحدث شهادة رجل وامرأتين فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمر خبر المبتدأ الذي هو فرجل وامرأتان اي فرجل وامرأتان ليشهدن فيكون يشهدن العامل في ان وموضع ان نصب في
فتح الهمزة من ان تضل بل ان في من كسرها بعد انقضاء الشرط بجزائه وانما موضع هذه نصب تقديره لان تضل احديهما فتذكر فان قيل فان الشهادة لم
توقت بالذكر والحفظ لا للضلال الذي هو النسيان فجوابه ان سيبويه قد قال امر بالاشهاد لان تذكر احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لانه سبب الاذكار كما يقول القائل
اعددته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائط ولكنه اخبر بعلة الدعم وبسببه وقوله فتذكر او فتذكر بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما من
قرأ الا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى وقع وحدث فكأنه قال الا ان يقع تجارة حاضرة مثل قوله وان كان ذو عسرة وانما
نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر كان ولم يجعل اسم كان من احد شيئين احدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحوى التبايع لدلالة
الحال عليه كما يقال اذا كان غدا فأتني والآخر ان يكون اضمر التجارة فكأنه قال الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة ومثل ذلك قول الشاعر فدى لبني ذهل بن
شيبان ناقتي اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واما قوله لا يضار ففيه قولان احدهما ان اصله لا يضارر فادغمت الراء في الراء وفتحت
لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق والثاني ان اصله لا يضارر بفتح الراء الاولى فادغمت فيكون المعنى لا يضار
الكاتب وجه يضر به وكذلك الشاهد الاول ابين واما قراءة ابي جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف كقولهم بازل
وجمل او بمحل وقد تقدم امثاله **اللغة** تقول داينت الرجل مداينة اذا عاملته بدين اخذت منه او اعطيته وتداين القوم او الرجلان تبايعا بدين قال الشاعر داينت
اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا ويقال دنت وادنت اي اقرضت وقيل ادنت وابنت الاولون بان المدان من يجوز والاملال والاملاء يقال

امل

امل عليه واملى بمعنى والبخس النقص ظلما ويقال بخسه حقه يبخسه بخسا وثمن بخس ناقص عن حقه والبخس فقؤ العين لانه ادخال نقص على صاحبها السفيه الجاهل
واصل السفه الخفة قال الشاعر نخاف ان تسفه احلامنا فنجهل الدهر مع الحالم وانما سمي الجاهل بالسفيه لخفة عقله وتقول من الاباء ابى يأبى ولم يأت
مثله في اللغة لان فعل يفعل لا يأتي الا ان يكون في موضع العين من الفعل واللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان الالف من ابى اشبهت الهمزة فجاء يفعل
منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك تقول العرب ضل الماء في اللبن ومنه قوله ان المجرمين في ضلال وسعر قيل اصله الذهاب التجنب لا يوجد قيل ومنه ائذا
ضللنا في الارض والسأم الملل يقال سئمت سأما اذا مللت الشيء وضجرت منه قال زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسأم واقسط
اعدل والقسط العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط يقسط قسوطا اذا جار والقسط الحصة **المعنى** لما امر الله سبحانه بانظار المعسر وتأجيله عقبه ببيان باحكام
احكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم اي تعاملتم وداين بعضكم بعضا بدين قيل فيه قولان احدهما انه
على وجه التأكيد وتمكين المعنى في النفس كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه والآخر انه انما قال بدين لان تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء وقد يكون
بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك الى اجل مسمى اي وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الآية وردت في السلم خاصة وكان يقول
اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم وانزل فيه اطول آية من كتابه وتلا هذه الآية وظاهر الآية يقع على كل دين مؤجل سلما كان او غيره وعليه المفسرون
والفقهاء فاكتبوه معناه فاكتبوا الدين في صك لئلا يقع فيه نسيان او جحود وليكون ذلك توثقة للحق ونظرا للذي له الحق وللذي عليه الحق وللشهود فوجه النظر
للذي له الحق ان يكون حقه موثقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه ووجه النظر للذي عليه الحق ان يكون ابعد به من الجحود فلا يستوجب النار والعقوبة
ووجه النظر للشهود انه اذا كتب بخطه كان ذلك اقوم للشهادة وابعد من السهو واقرب الى الذكر واختلف في هذا الامر فقيل هو مندوب اليه عن ابي سعيد الخدري
والحسن والشعبي وهو الاصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب ويدل على صحة القول الاول قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته و
المفهوم من هذا الظاهر فان ائتمنه على المال فان ائتمنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال وليكتب بينكم كاتب بالعدل يعني وليكتب كتاب المداينة او البيع بين المتعاقدين
كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه صفته ولا مقداره ولا يكتب شيئا يبقى به الا بعلمه ولا يأب كاتب اي لا يمتنع كاتب من ان يكتب الصك
على الوجه المأمور به كما علمه الله من الكتابة بالعدل وقيل كما فضله الله بتعليمه اياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف في الكتابة هل هي فرض ام لا فقيل
هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبي وجماعة من المفسرين واختاره الرماني والجبائي وجوز الجبائي ان يأخذ الكاتب والشاهد الاجر على ذلك قال
الشيخ ابو جعفر الطوسي ره وعندنا لا يجوز ذلك والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين ويكون الكتاب في يده لانه له وقيل واجب على الكاتب ان
يكتب في حال فراغه عن السدي وقيل واجب عليه ان يكتب اذا امر عن مجاهد وعطا وقيل ان ذلك في المواضع التي لا يقدر فيها على كاتب غيره فيضر صاحب الدين ان امتنع فاذا بقوله
كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب غيره فهو في سعة اذا قام به غيره عن الحسن قيل كان ذلك واجبا ثم نسخ ولا يضار كاتب ولا شهيد عن الضحاك فليكتب امر للكاتب
اي فليكتب الصك على الوجه المأمور به وكانت الكتبة على عهد رسول الله ص فيهم قلة فلذلك اكد بقوله فليكتب بعد الجمع بين الامر والنهي عن تركه ادعى الى فعله الاملاء
من الاقتصار على احدهما ثم بين سبحانه كيفية الاملاء على الكاتب فقال سبحانه وليملل الذي عليه الحق يعني المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه
فليكتب وليتق الله ربه اي الذي عليه الحق في الاملاء ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق شيئا لا من قدره ولا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الاملاء
فقال فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا طفلا عن السدي والضحاك وقيل عاجزا احمق عن ابن زيد او ضعيفا اي ضعيف
العقل من عته او جنون وقيل شيخا خرفا او لا يستطيع ان يمل هو اي عيبا او قيل عيبا اخرس عن ابن عباس وقيل الاولى ان يحمل على ثلث صفات كي لا يؤدي
الى التكرار ثم اختلف في ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الاخرس ونحوه ثم يدخل في كل واحد منهم من هو في معناه وقيل السفيه
المبذر والضعيف الصبي المراهق ومن لا يستطيع ان يمل المحبوس او الغائب فليملل وليه بالعدل قيل معناه فليملل ولي الذي عليه الحق اذا عجز عن الاملاء
بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولي الحق وهو الذي له الحق عن ابن عباس لانه اعلم بدينه فيملي بالحق والعدل ثم امر سبحانه بالاشهاد فقال و
استشهدوا شهيدين من رجالكم يعني اطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم اي من اهل دينكم وقال مجاهد معناه من الاحرار البالغين العاقلين المسلمين
دون العبيد الكفار والحرية ليست بشرط عندنا في قبول الشهادة وانما الشرط الاسلام مع العدالة وبه قال شريح والنخعي وابو ثور وقيل هذا امر للمضطر ان
يشهدوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعي عند انكار المدعى عليه فيكون الشرح في الغائبين بمعنى السؤال والطلب فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي
فليكن رجل وامرأتان او فليشهد رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط في الشهود ويدل ايضا على انا لم نتعبد بالاشهاد
مرضيين على الاطلاق لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى وانما تعبدنا باشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر
من هو مرضي دينه وامانته ونعرفه بالستر والصلاح ان تضل احديهما اي تنسى احد المرأتين فتذكر احديهما الاخرى قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان عن
الربيع والسدي والضحاك واكثر المفسرين والتقدير فتذكر احديهما الاخرى الشهادة التي تحملناها ومن قرأ فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو بهذا المعنى ايضا وقيل هو من الذكر
يقول هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان وفلان حتى تذكر الشهادة وهذا لان النسيان يغلب على النساء اكثر مما يغلب على الرجال اي تجعلها
كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينة والاول اقوى فان قيل لم كرر لفظة احديهما وهلا قال فتذكرها الاخرى فجوابه على وجهين احدهما انه انما كرر ليكون الفاعل
مقدما على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل الفعل بين الفاعل والمفعول وذلك مكروه والثاني ما قاله الحسين بن علي المغربي ان معناه ان تضل احد الشهادة

المغربي

الشهادتين اي تضيع بالنسيان فتذكر احديهما الاخرى لئلا يتكرر لفظ احديهما بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا وقيل ضلت
الشهادة اذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا اي ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وفي معناه ولا يمتنع الشهداء
ثلاثة اقوال احدها ان معناه ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير هذا اذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه
والثاني ان معناه اذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن قتادة والربيع والثالث ان معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة
والى اقامتها عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن ابي عبد الله وهو اولى لانه اعم فائدة ولا تسأموا اي ولا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي تكتبوا الحق صغيرا كان الحق
او كبيرا وقيل ان هذا خطاب للشاهد معناه لا تسأموا ان تكتبوا الشهادة على الحق الى اجله اي الى اجل الدين وقيل معناه الى اجل الشاهد اي الى الوقت الذي

عليها الفعل مختار فيه النصب ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع على ما جاء في التنزيل نحو قوله وكلا ضربنا له الامثال وقوله فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة انه عليهم الضلالة فكذلك ينبغي ان يكون الجزم احسن ليكون مشاكلا لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه
وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل خبر المبتدأ محذوف واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها المعنى لله ما في السموات وما في الارض اللام
لام الملك اي له تصرف في السماوات والارض وما فيهما وتدبيرهما والقدرة على ذلك ولانه الذي ابدعهما وانشاهما فجميع ذلك ملكه وما ملكه يصرفه كيف يشاء وان تبدوا ما
في انفسكم من الطاعة والمعصية او تخفوه اي تكتموه يحاسبكم به الله اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها فان الله يعلم ذلك و
يجازيكم به عن ابن عباس ومجاهد وقيل انها عامة

وقوله لها ما كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما اكتسبت من السيئات ويجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب كسبا من حيث حصلا بكسبه ربنا لا تؤاخذنا
قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم للدعاء عن الحسن وقيل تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء ان نسينا او اخطانا قيل فيه وجوه احدها ان المراد بنسينا تركنا عن
كقوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله ولا تنسوا الفضل بينكم ومنه قول الشاعر ولم اك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اي تاركا
والمراد باخطانا اذنبنا لان المعاصي توصف بالخطاء من حيث انها ضد الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه تعالى امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات وما فعلوه من القبيحات
والثاني ان معنى قوله ان نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الامر والغفلة عن الواجب او اخطانا اي تعرضنا لاسباب يقع عندها الخطاء ويحسن الدعاء بذلك كما
يحسن الاعتذار منه والثالث ان معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اي ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة او اخطانا اي فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد ويحسن هذا
في الدعاء على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسألته والاستعانة به وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله ويجري ذلك مجرى قوله فيما بعد ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به على احد الاجوبة وقوله رب احكم بالحق وقد تقدم ذكر امثاله والرابع ما روي عن ابن عباس وعطاء ان معناه لا تعاقبنا ان عصينا جاهلين او متعمدين وقوله ربنا ولا تحمل
علينا اصرا قيل فيه وجهان احدهما ان معناه لا تحمل علينا عهدا نعجز عن القيام به ولا تعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع والسدي والثاني ان معناه لا
تحمل علينا ثقلا عن الربيع ومالك وعطاء يعني لا تشدد الامر علينا كما حملته على الذين من قبلنا اي على الامم الماضية والقرون الخالية لانهم كانوا اذا ارتكبوا خطيئة عجلت
عليهم عقوبتها وحرم عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم من العهود والمواثيق وكلفوا
من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الامة تخفيفا عنها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه وجوه احدها ان معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا او آجلا
الثاني انه على سبيل التعبد وان كان تعالى لا يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرناه قبل واعف عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا اي استرها وارحمنا بانعامك علينا
في الدنيا والعفو في الاخرة وادخال الجنة انت مولانا اي ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين اي اعنا عليهم بالقهر لهم والغلبة بالحجة
عليهم وقد روي عن النبي ص ان الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت ولهذا استحب الاكثار من هذا الدعاء وفي الحديث المشهور عن النبي ص قال
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه اي كفتاه قيام ليلة وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسري برسول الله ص انتهى الى سدرة المنتهى واعطي ثلاثا الصلوات الخمس
وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته المقحمات وعن ابن المنكدر يرفعه الى النبي ص قال في آخر سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن
يرضين الرحمن وفي تفسير الكلبي باسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله اذ سمع نقيضا يعني صوتا فرفع ... عن عبد الله بن مسعود انه قال
فاذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرؤهما احد الا اعطيته حاجته
وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كان الرجل اذا تعلم سورة البقرة جد فينا **سورة آل عمران** مدنية كلها مدنية عن ابن عباس وقتادة ومجاهد
جميع المفسرين **عدد آيها** مائتان آية شامي ومائتان في الباقين خلافها تسع آيات عد الكوفي الم آية والانجيل الثانية آية وترك وانزل الفرقان
وعد البصري ورسولا الى بني اسرائيل آية وترك الشامي التوراة والانجيل الاول وعد مقام ابراهيم هو وابو جعفر وترك ابو جعفر مما تحبون وعدها
الحجازي حتى تنفقوا مما تحبون **فضلها** ابي بن كعب عن رسول الله ص قال من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعن ابن عباس قال
قال رسول الله ص من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس وعن بريدة قال قال رسول الله ص تعلموا سورة البقرة وسورة آل
عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كانهما غمامتان او غيابتان او فرقان من طير صواف **تفسيرها بسم الله
الرحمن الرحيم** الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان
ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء خمس آيات بالاجماع الا ان الكوفي عد الم
آية وترك وانزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك **القراءة** قرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم الم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقون
موصولا وبفتح الميم وروي في الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم النخعي والاعمش وعن زيد بن علي بن الحسين وعن جعفر بن محمد الصادق وعن النبي ص الحي
القيام وروي عن الحسن الانجيل بفتح الهمزة **الحجة** قال ابو علي اتفق الجميع على اسقاط الالف الموصولة في اسم الله تعالى تدل على ان الميم ساكنة كما ان سائر حروف
التهجي مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثاني الذي هو لام التعريف والدليل على ان التحريك للساكن الثاني
وهو مذهب سيبويه ان حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان نحو حم عين سين قاف وذلك لانها مبنية على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثاني
بالفتح كما حركت النون في قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين واما من قطع الالف فكانه قدر الوقف على الميم واستأنف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد
قال ابن جني انه صفة على فيعال من قام يقوم ومثله من الصفة العيداق واصله القيوام التقت الواو والياء وسبقت الاولى بالسكون فقلبت الواو ياء
وادغم فيها الياء وقرأت الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظير في كلامهم افعيل بفتح الهمزة ولو كان اعجميا لكان
فيه جرأة من الحجاج لكنه عندهم عجمي وهو افعيل من نجل ينجل اذا اثار واستخرج ومنه نجل الرجل لولده لانه استخرجه من صلبه ومن بطن امه قال الاعشى
انجب ايام والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا اي انجب والداه به ازمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف والمضاف اليه الذي هو زمان وبين اليه الذي هو اذ نجلاه
وبمنزلة الفاعل وقيل له انجيل لان به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل التوراة من ورى الزند اذا قدح واصله ووريه فابدلت الواو الاولى
الفا كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجاه والوخامة والوكل والوراثة فهي من ورى الزند اذا ظهرت نار ذلك من نجل ينجل اذا استخرج

الكتابين

الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل للكتاب فرقان لانه فرق بين الحق والباطل فالمعاني كلها متفقة وكلها الاظهار والابانة والفرق بين الاشياء
قال علي بن عيسى الانجيل الاصل فكان الانجيل اصل العلم وقال غيره الانجيل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التوراة يستخرج منها قال ابن
هو من النجل وهو بمعنى السعة يقال عين نجلاء وطعنة نجلاء وكانه قال قد وسع عليهم في الانجيل ما ضيق على اهل التوراة **الاعراب** مصدقا انتصب
على الحال وقوله من قبل اي من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناه على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التوراة والانجيل اي هاديين ويجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف تقديره هما هدى **النزول** قال الكلبي ومحمد بن اسحق والربيع بن انس نزلت اوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول
الله وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر يؤول اليهم امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح
والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد
شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال بالحارث بن كعب
يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله ص ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ص فقالت الصحابة يا رسول
الله هذا في مسجدك فقال رسول الله ص دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله ص فقال لهما رسول الله اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما
من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهما النبي ص ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه
اباه فقالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك
عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور
عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى
الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية **المعنى** ان الله تعالى لما
ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايمان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا فقال الم وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفي معناه في اول سورة البقرة الله لا
اله الا هو الحي القيوم وقد ذكرنا ما فيه في تفسير آية الكرسي ويروى عن ابن عباس ان الحي القيوم اسم الله الاعظم وهو الذي دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان في حمل عرش بلقيس
من سبأ الى سليمان قبل ان يرتد اليه طرفه نزل عليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق فيه قولان احدهما بالصدق في اخباره والثاني بالحق اي بما يوجبه الحكمة من الارسال
وهو حق من الوجهين مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتادة والربيع وجميع المفسرين وانما قيل لما قبله لما بين يديه لانه ظاهر له كظهور الذي بين يديه
وقيل في معنى مصدقا ههنا قولان احدهما ان معناه مصدقا لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو من عند
الله علام الغيوب والثاني ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وما اتوا به من الكتب لا يكون مصدقا للبعض ومكذبا للبعض وانزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى من قبل
اي من قبل انزال القرآن هدى للناس معناه اي دلالة وبيانا وقيل بعضه الكتب الثلاثة اي ليهتدي اهل كل كتاب بكتابه اهل كل زمان بما انزل في زمانه وقيل ان هدى
للناس حال من الكتاب اي هاديا للناس وانزل الفرقان يعني به القرآن وانما كرر ذكره لما اختلفت الاوصاف وان كان الموصوف واحدا لان كل صفة فيها فائدة غير فائدة الاخرى
فان الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين في الحجج وغيرها من الاحكام وذلك كله في القرآن ووصفه بالكتاب يفيد انه مما يكتب ويدون
عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله ع انه قال الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو الذي يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الادلة الفاصلة
بين الحق والباطل عن ابي مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد ص على من حاجه في امر عيسى وقيل المراد به النصر ان الذين كفروا بآيات الله اي بحججه ودلائله لهم عذاب
شديد على ما هم عليه من جحد آيات الله توحيده وصدق انبيائه عقب الله الوعد بالوعيد ... والله عزيز ذو انتقام
من يريد عذابه لحصول العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اي صعبة السلوك ومنه قيل من عز بز اي من غلب سلب لان الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز اي منيع
من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء ذو انتقام اي ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهيأ لاحد منعه والانتقام مجازاة المسيء على اساءته ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء لما ذكر سبحانه الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضى ان يذكر انه لا يخفى عليه شيء فيكون في
ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته لان المجازي لا يخفى عليه خافية فان قيل لم قال لا يخفى عليه شيء ولم يقل لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه فيكون ابلغ
مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلمنا انه يعلم ما يستسر به في الارض وفي السماء والافصاح بذكر ذلك اعظم في التلبس مما هو في الصدع مع الدلالة على انه عالم
بكل شيء فان قيل لم لم يقل انه عالم بكل شيء في الارض والسماء قلنا لان الوصف بانه لا يخفى عليه شيء يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف
في العبارة وانما لا يخفى عليه شيء لانه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما وما يصح ان يكون معلوما لا نهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شيء بوجه من
الوجوه **قوله تعالى** هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم آية **اللغة** التصوير جعل الشيء على صورة لم يكن عليها والصورة
هيئة يكون عليها الشيء في التأليف واصلها من صاره يصوره اذا اماله لانها مائلة الى هيئة بالشبه لها والفرق بين الصورة والصفة ان الصفة عبارة عما وضع
في اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لانها على جعل جاعل شيئا على بنية والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانها مما يتراحم به ويتعطف
يقولون وصلتك رحم والمشتري لا راده **الاعراب** كيف في موضع نصب على المصدر تقديره اي تصوير يشاء وجملة يشاء في موضع نصب على الحال من يصوركم اي يصوركم في
الارحام شاء ما يريد اي تصوير اراد **المعنى** هو الذي يصوركم اي يخلق صوركم في الارحام كيف يشاء على اي صورة شاء وعلى اي صفة شاء من ذكر وانثى او

صح

جميع ونعيم وطويل وقصير لا اله الا هو العزيز في سلطانه الحكيم في افعاله وذلك لانه يدل على وحدانية الله وكمال قدرته وتمام حكمته حيث صور الولد في رحم الام على هذه الصفة وركب فيه من انواع البدايع من غير آلة ولا كلفة وقد تقرر في عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بعوضة ويصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويبصرونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق في الارحام فتبارك الله احسن الخالقين هذا الاستدلال مروي عن جعفر بن محمد ع قوله تعـ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب آية **اللغة** المحكم مأخوذ من قولك حكمت الشيء اذا ثقفته واتقنته وام الكتاب اصله ام القرى مكة ويقال لعلم الجيش ام واصلها امهة ولذلك يجمع على امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذي يشبه بعضه بعضا فيعض حذو الشبهة لانه يشبه المراد والزيغ الميل وازاغه اماله والزايغ المايل في الاستواء والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب اذا خبرته وقيل معناه خلصته والتأويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم آل امره الى كذا يؤول اولا اذا صار اليه واولته تأويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى على انها كانت تأول حبها تأول ربعي السقاب فاصحبا اي كان حبها صغيرا فآل الى العظم كما آل السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبر والراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخا اذا ثبت في موضع وارسخه غيره **الاعراب** منه آيات جملة من مبتدأ وخبر في موضع النصب على الحال من انزل وتقديره انزل الكتاب محكما ومتشابها هن ام الكتاب جملة في موضع الرفع لكونها صفة لآيات واخر عطف على آيات وهو صفة مبتدأ محذوف تقديره ومنه آيات اخر ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذي عليه بنا اخواتها لان اخر اصلها ان يكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى والصغر فلما عدل عن مجرى الالف واللام وعن افعل منك وهي مما لا تكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائي انما لم تصرف لانه صفة وهذا غلط لان قولهم مال لبد وحطم صفة فان مع كونهما صفة ابتغاء نصب لانه مفعول له في الموضعين وكل من عند ربنا مبتدأ وخبر وهو اسم الله على المضاف اليه كثير في الكلام حذف المضاف اليه منه عند البصريين ولا يجيز [illegible] ان كلا فيها على الصفة وأجازه الكوفيون لانه انما حذف عندهم لدلالته عليه فما كان او صفة وانما [illegible] على الغاية ولم يبين كل وان حذف منه كل واحد منها المضاف اليه لا [illegible] ظرف يعرف وينكر ففرق ذلك بين البناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف والاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لانه معرفة في الافراد ونكرة فاما الليس غير فتشبه بحسب ما فيه من معنى الام **المعنى** لما تقدم بيان انزال القرآن عقبه ببيان كيفية انزاله فقال هو الذي انزل عليك يا محمد الكتاب اي القرآن منه اي من الكتاب آيات محكمات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب واخر متشابهات قيل في المحكم والمتشابه اقوال احدها ان المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعـ ان الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به الى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله واضله الله على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامري لان اضلال السامري قبيح واضلال الله تعـ حسن وهذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم يشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وانما يقع الاشتباه في امور الدين كالتوحيد ونفي التشبيه والجور الا ترى ان قوله ثم استوى على العرش يحتمل في اللغة ان يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الاول لا يجوز عليه سبحانه وثانيها ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس وثالثها ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن الزبير وابي علي الجبائي ورابعها ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد وخامسها ان المحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وانما وحد ام الكتاب ولم يقل هن امهات الكتاب لوجهين احدهما انه على وجه الحكاية كانه قيل ما ام الكتاب فقال هن ام الكتاب كما يقال من نظيره فيقال نحن نظيره والثاني ان الآيات بمجموعها اصل الكتاب وليس كل آية محكمة ام الكتاب واصله لانها جرت مجرى شيء واحد [illegible] والحكمة ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية ولم يقل آيتين لان شانهما واحد في انها جاءت بهم من غير ذكر فلم يكن الآية لها الا به ولا له الا بها ولو اراد كل واحد منهما آية على التفصيل لقال آيتين فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وانما يحصل الزيغ بشك وجهل فيتبعون ما تشابه منه ويحتجون به على باطلهم ابتغاء الفتنة اي لطلب الضلال والاضلال وافساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد وقيل لطلب الشرف والمال [illegible] فتنة في موضع [illegible] بالفتنة ههنا الكفر وهو قول الربيع والسدي وروي عن ابي عبد الله عـ وابتغاء تأويله اي لطلب تأويله على خلاف الحق وقيل لطلب عاقبة [illegible] وابتغاء عاقبة [illegible] ذلك قوله تعـ ذلك خير واحسن تأويلا اي عاقبة وقول العرب [illegible] وقال الزجاج معنى ابتغاءهم تأويله انهم طلبوا تأويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه الا الله [illegible] هل ينظرون الا تأويله [illegible] الله وروح منه فقال بلى فقالوا حسبنا فانزل الله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه [illegible] يحملونه على ان بقاء البدن كان فيه وثبته كما ان بقاء البدن بالروح وقد علمنا ان الدلالة على ان القديم تعـ ليس بذي اجزاء واعضاء وانما [illegible] الروح اليه تشريفا للروح كما [illegible] البيت ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل عن الكلبي وقيل [illegible] عن ابن جريج وقيل بل كان من احتج بالمتشابه لباطله فالآية فيه عامة كالحرورية والصابئة [illegible] عن قتادة وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلف في نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى ان تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله والا الراسخون في العلم فانهم يعلمونه ويقولون على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلين آمنا بالله كل من عند ربنا كقول ابن المفرغ [illegible] والبرق يلمع [illegible]

يبكي

يبكي ايضا الا معاذ في غمامه وهذا قول ابن عباس والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار ابي مسلم وهو المروي عن ابي جعفر فانه قال كان رسول الله صـ افضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التأويل والتنزيل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع آي القرآن ولم يروا انهم توقفوا على شيء منه لم يفسروه بان قالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله وكان ابن عباس يقول في هذه الآية انا من الراسخين في العلم والقول الآخر ان الواو في قوله والراسخون واو الاستيناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه الا الله تعـ والوقف عند قوله وما يعلم تأويله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون آمنا به فيكون مبتدأ وخبرا وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والجبائي قالوا ان الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به فالآية على هذا التأويل في العلم بمدة اكل هذه الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله بعلمه يكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يعني الموعود به قوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا وما يذكر اي وما يتفكر في آيات الله ولا يرد المتشابه الى المحكم الا اولوا الالباب اي الا ذووا العقول فان قيل لم انزل الله تعـ في القرآن المتشابه وهلا جعله كله محكما قلنا الجواب لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل الثواب ثواب النظر واتعاب الخواطر في استنباط المعاني وقال القاضي الماوردي وقد وصف سبحانه جميع القرآن بانه محكم بقوله الر كتاب احكمت آياته ووصف جميعه بانه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى الاحكام الاتقان والمنع اي وهو ممنوع باتقانه واحكام معانيه عن عراض الخلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض وهو كله متشابه من هذا الوجه قوله تعـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد آيتان **اللغة** الهبة تمليك الشيء من غير مثامنة والهبة والنحلة والصلة نظائر وفي لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولد بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت **الاعراب** اللام في قوله ليوم لا ريب فيه معناه في يوم وانما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فان تقديره جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه وحذفت عن لانه حرف [illegible] متوجه لما يجمعها من معنى الاختصاص وقد كان يجوز فتح ان في قوله ان الله لا يخلف على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد ثم يقتضيه **المعنى** ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الاولى وذكر في تأويله وجوه احدها ان معناه لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الايمان بعد اذ وفقتنا بالطافك حتى اهتدينا اليه هذا دعاء بالتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجري مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا والمعنى لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فنزيغ ونضل انما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية بسوء اختياره من التوبة كما قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها ان معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا فاضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه سبحانه لان ذلك يكون عند تشديده تعـ المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجسا ولم يزدهم دعائي الا فرارا وثالثها ما قاله ابو علي الجبائي ان المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك [illegible] رحمتك وهو ما ذكره الله من الشرح الصدر بقوله يشرح صدره للاسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ومن ذلك كتابة الايمان وضد هذه الكتابة هي سمة الكفر التي في قلوب الكافرين كانهم سألوا الله ان لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب ورابعها ان الآية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه تعـ سئل عما لولا المسئلة لجاز ان يفعله لانه غير ممتنع ان يتعبدنا على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان نفعل ما نعلم انه يفعله وما نعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال سبحانه قل رب احكم بالحق وقال ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكيا عن ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فان قيل هلا جاز على هذا ان يقول ربنا لا تظلمنا ولا تجر علينا فالجواب انا لم نجز ذلك لان فيه تسخطا من السائل وانما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم وليس كذلك من فيه هب لنا من لدنك رحمة اي من عندك لطفا نتوصل به الى الثبات على الايمان اذ لا نتوصل الا بلطفك كما لا نتوصل الى ابتدائه الا بذلك وقيل نعمة انك انت الوهاب المعطي للنعمة الذي شانه الهبة والعطية ربنا اي يقولون يا ربنا سيدنا ومالكنا انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن اقرارهم بالبعث ان الله لا يخلف الميعاد اي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وان خالف آخر الكلام اوله في الخطاب والغيبة فيكون مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا انك لا تخلف ما عدته وقيل انه على الاستيناف وهو اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله تعـ قوله تعـ ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار آية **اللغة** الوقود الحطب والوقود ايقاد النار **المعنى** ثم بين تعـ حال الذين في قلوبهم زيغ فقال ان الذين كفروا بآيات الله ورسله لن تغني اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابو عبيدة من ههنا بمعنى عند وقال المبرد هي على اصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غنى ابتداؤه وانتهاؤه وقيل معناه من عذاب الله شيئا واولئك هم وقود النار اي حطب النار توقد النار باجسامهم كما قال في موضع آخر حصب جهنم قوله تعـ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب آية **اللغة** الدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ودؤوبا اذا اعتاد الشيء وتمرن عليه والدأب الاجتهاد يقال دأب في كذا دأبا ودؤوبا اذا اجتهد فيه فبالغ ونقل من هذا الى العادة لانه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير لا ارتحل بالهجر ثم لا ادلج [illegible] الى الليل الا ان يعرج [illegible] والذنب الجرم واحد يقال اذنب [illegible] والذنب تلو الشيء يقال ذنبه يذنبه اذا تلاه والذنوب الدلو لانها تالية للحبل في الجذب والذنوب النصيب لانه كالدلو في الاقتسام والذنوب الفرس الوافر شعر الذنب

٢ وبان لا يفعل ٣

ليوم اعني

اصله

اصل الباب التلو والذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما ان العقاب سمي بذلك لانه يستحق عقيب الذنب **الاعراب** الكاف في قوله كداب متعلق بمحذوف
وتقديره عاداتهم كعادة آل فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بانها خبر المبتدا ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت بالخبر ولكن جاز ان يكون في موضع
نصب بوقود النار لان فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار باجسامهم كما تتقد باجسام آل فرعون وكذبوا جملة في موضع الحال والعامل فيه المعنى في داب آل فرعون
وقد قدره **المعنى** عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما انزل اليك كداب آل فرعون في التكذيب برسولهم وبما انزل اليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك
والسدي وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار في قهرك وابطال امرك كاجتهاد آل فرعون في قهر موسى عن الاصم والزجاج وقيل كعادة الله في آل فرعون في انزال
العذاب بما سلف من اجرامهم وقيل كسنة آل فرعون عن الربيع والكسائي وابي عبيدة وقيل كامر آل فرعون وشانهم عن الاخفش وقيل كحال آل فرعون عن قطرب والذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم اي عاقبهم الله بذنوبهم وسمي المعاقبة مؤاخذة لانها اخذ بالذنب فالاخذ بالذنب عقوبة والله
شديد العقاب مر بيانه **قوله تعالى** قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيغلبون ويحشرون
بالياء فيهما والباقون بالتاء **الحجة** من اختار التاء فلقوله قد كان لكم آية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فللتصرف في الكلام والانتقال من خطاب الوجه الى الخبر
بلفظ الغائب ويؤيده قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقل للذين آمنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير في سيغلبون للمشركين لان اليهود لما سروا بما
كان من المشركين يوم احد فعلى هذا لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب **اللغة** الحشر الجمع مع سوق ومنه قيل للنبي الحاشر لانه يحشر الناس على قدمه كانه يقدمهم
وهم خلفه لانه آخر الانبياء فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر والمهاد القرار وهو الموضع الذي يمهد
فينام فيه مثل الفراش **النزول** روى محمد بن اسحق بن يسار عن رجاله قال لما اصاب رسول الله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر
اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم وقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الآية وروي ايضا عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس
ورواه اصحابنا ايضا وقيل نزلت في مشركي مكة ستغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت في اليهود لما قتل الكفار ببدر وانهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي
بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول
الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله
وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة في ستين راكبا فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية عن
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس **المعنى** لما تقدم ذكر ما اصاب الامم الخالية بالتكذيب للرسل من العذاب بين ان حكم هؤلاء من يحل بهم ما حل باولئك فقال تعالى قل
للذين كفروا اما مشركو مكة او اليهود على ما تقدم ذكره ستغلبون اي ستهزمون وتصيرون مغلوبين في الدنيا وتحشرون اي تجمعون الى جهنم في الآخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود
غلبوا بوضع الجزية عليهم والمشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وانهم قوم آخرون ويمكن ان
يكونوا اياهم قال الفراء يقال قل لعبد الله انه قائم وانك قائم واذا قرئ بالتاء فلا يجوز ان يكون هذا فلا يكون لغير المخاطبين وبئس المهاد اي بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم
لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن وقيل بئس الفراش الممهد لهم وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا لانه اخبر وقد خرج على وفق خبره فدل ذلك على
صدقه فلا يكون ذلك على وجه الاتفاق لانه من اخبار كثيرة من الاستقبال تخرج الجميع كما قال فكان ذلك واحدا منها كان معجزا اذ الله لا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول
وهو لا كذلك هذه الآية واذا ثبت صدقه على احد الخبرين وهو انهم سيغلبون ثبت صدقه في الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم **قوله تعالى** قد كان لكم آية في فئتين
التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار آية **القراءة** قرأ اهل المدينة ويعقوب
والجحدري عن ابي عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء **الحجة** قال ابو علي من قرأ يرونهم بالياء فلان بعده خطاب الغيبة وهو
قوله فئة تقاتل واخرى كافرة يرونهم اي ترى الفئة المقاتلة في سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم ومما يؤكد الياء قوله مثليهم ولو كان على التاء لكان مثليكم وان كان يجوز
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وروايته هنا المتعدية الى مفعول واحد يدل على ذلك تقييده براي العين واذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم
على الحال لا على انه مفعول ثان واما مثل فقد يفرد في موضع التثنية والجمع فمن الافراد في التثنية قوله ومثاليتين مثل ما ياكل ومن افراده على الجمع قوله انكم اذا مثلهم
ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرأ ترونهم فالخطاب الذي قبله وهو قوله قد كان لكم آية ترونهم مثليهم فالضمير في ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اي
ترون ايها المسلمون المشركين مثلي المسلمين فاما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قال ابن جني ان رأيت واريت تجيء للشيء يرى ولا يحقق كقولك ارى ان سيكون كذا اي يغلب
على ظني وارى ان سيكون كذا اي اعلمه اتحققه **اللغة** قد ذكرنا معنى الفئة عند قوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والالتقاء والتلاقي والاجتماع واحد ولا يد
القوة ومنه قوله تعالى داود ذا الايد يقال آد يئيد ايدا اي قوي وآيده بالقوة تاييدا بمعنى قواه والعبرة الآية يقال اعتبرت بالشيء اعتبارا وعبرة والعبور النفوذ من جانب
الى الآخر وسميت العبرة لانه يعبر بها من منزلة العلم الى غيره الجهل والمعتبر بالشيء تارك لجهله واصل الى علمه بما رأى والعبارة الكلام يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة
الكلام يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة تفسير الرؤيا والتعبير عن الشيء وغيرها والعبرة الدمعة لانها تعبر من العين **الاعراب** فئة تقاتل لا يجوز فيها الا
الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئة كذا ولو جر كان على البدل والنصب على الحال كقول كثير وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت انشد بالرفع الجر
قال ابن مفرغ وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان فاما التي صحت فازد شنوءة واما التي شلت فازد عمان وقال الآخر اذا مت كان الناس صنفان

ما حرشي بالذي كنت اصنع ولا يجوز ان تقول مررت برجل اتنين صريع وجريح بالجر لانه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح فان قلت مررت
برجل صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فان زدت فيه فلو جاز الاوجه الثلاثة والقراءة بالرفع وقوله راي العين يجوز ان يكون مصدر الرؤية والعين في موضع الرفع
بانه الفاعل ويجوز ان يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونهم امامكم **النزول** نزلت الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلثمائة وثلثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت
الذين جاوزوا معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون رجلا من الانصار وكان صاحب لواء رسول الله والمهاجرين علي بن ابي طالب
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل في جيش رسول الله سبعين بعيرا والخيل فرسين فرس للمقداد بن الاسود وفرس لمرثد بن ابي مرثد وكان معهم من
السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف في عدة المشركين فروي عن علي وابن مسعود انهم
كانوا الفا وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة الى الف وكانت خيلهم مائة فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب بدر اول مشهد
شهده رسول الله وكان سبب ذلك عير ابي سفيان **المعنى** لما وعد سبحانه الظفر لاهل الايمان بين ما فعله يوم بدر باهل الكفر والطغيان فقال قد كان لكم آية فيه
الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد اي كان لكم ايها اليهود دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الوقعة وقيل للمشركين واليهود آية اي حجة وعلامة
ومعجزة دالة على صدق محمد في فئتين التقتا اي فرقتين اجتمعتا ببدر المسلمين والكافرين فئة فرقة تقاتل تحارب في سبيل الله في دينه وطاعته وهم الرسول واصحابه
واخرى اي فرقة اخرى كافرة وهم المشركون من اهل مكة يرونهم مثليهم اي ضعفهم راي العين في ظاهر العين واختلف في معناه فقيل معناه يرى المسلمون
المشركين مثلي عدد انفسهم قللهم الله في اعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قيل لهم فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين فاراهم الله عددهم حسب ما حدّ لهم من العدد الذي يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم وقد كانوا ثلاثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد
الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الرؤية للمشركين يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه فان الله قبل القتال قلل المسلمين في اعينهم ليجترؤا
عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثرهم في اعينهم ليجبنوا وقلل المشركين في اعين المسلمين ليجترؤا عليهم وتصديق ذلك قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم لا يتم ذلك حسب ما النصر للمؤمنين والخذلان للكافرين وهذا قول السدي وانما يتاتى هذا القول على قراءة من قرأ بالتاء
فلا يحتمله الا القول الاول على ان يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وهم يهود بني قينقاع فكانه قال
ترون ايها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع ان الله اظفرهم عليهم فلا تغتروا بكثرتكم واختار البلخي هذا الوجه ويكون الخطاب للمسلمين الذين حضروا الوقعة اي ترونها
المسلمون المشركين مثلي المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم ثلاثة امثالهم لانك اذا قلت عندي الف واحتاج الى مثلها فانت تحتاج الى الفين لانك
تريد احتاج الى مثلها مضافا اليها لا بمعنى بدلا منها فكانك قلت احتاج الى مثليها واذا قلت احتاج الى مثليها فانت تحتاج الى ثلاثة آلاف فكذلك في الآية المعنى
يرونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلاثة امثالهم قال والمعجزة فيه انما كان من جهة غلبة القليل الكثير وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته ظاهر الكلام وما جاء في
الانفال من تقليل الانفال فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا الا قول من جوز ان يكون عنده فيلة الابدرك بها او يدرك
بعضها دون بعض قلنا يحتمل ان يكون التقليل في اعين المؤمنين بان يظنونهم قليلي العدد لانهم ادركوا بعضا دون بعض لانه لا علم بما يدركه الانسان جملة غير
العلم بما يدركه مفصلا ولانا قد ندرك جمعا عظيما باسرهم ونشك في اعدادهم حتى يقع الخلاف في حزر عددهم فعلى هذا يكون الوجه تاويل تقليل الاعداد وقوله والله
يؤيد بنصره من يشاء النصر منه سبحانه على الاعداء يكون على ضربين نصر بالغلبة ونصر بالحجة فالنصر بالغلبة انما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على
خلاف مجرى العادة وبما امدهم الله به من الملائكة وتقوية نفوسهم من تقليل العدد والنصر بالحجة هو وعد للمتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة وكان
هذا مما لا يعلمه الا علام الغيوب بان في ذلك امر في ظهور المسلمين مع قلتهم على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين في اعين المسلمين وتكثير المسلمين في اعين المشركين
لعبرة لاولي الابصار اي لذوي العقول كما يقال لفلان بصر بالامور ولا يراد به الابصار بالحواس التي يشترك فيها الحيوان **قوله تعالى** زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب آية **اللغة**
الشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس الى المشتهى يقال اشتهى شهوة واشتهاء والشهوة من فعل الله ولا يقدر عليها احد من البشر وهي ضرورية فينا لانه
لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير العظيم واصله من الاحكام يقال قنطرت الشيء احكمته والقنطرة الداهية وقيل اصله
القنطرة وهو البناء المعقود للعبور والمقنطرة المحصلة من قناطير كقولهم دراهم مدرهمة وجعوله كذلك دنانير مدنرة وقيل انما ذكر المقنطرة للتاكيد
وقد يؤكد المفعول والفاعل تاكيدا فالمفعول مثل قوله حجرا محجورا ونسيا منسيا والفاعل كقولهم شعر شاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة لتتناهي
وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيها والاختيال من التخييل فانه يتخيل به صاحبه في صورة من هو اعظم منه كبرا والمسومة من قولهم اسميت سومتها اذا ارعيتها
والسيما الحسن والسيماء بمعناه قال الشاعر غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر والسيما العلامة واصل الباب المآب المرجع من آب
وهو الرجوع **المعنى** ثم اراد الله تعالى ما الخبر به عن سبب الذي دعا الناس الى العدول عن الحق والهدى والركون الى الدنيا فقال زين للناس حب الشهوات اي
حب المشتهيات ولم يرد بها نفس الشهوة ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل زينها الشيطان عن الحسن قال والله ما احد
اذم للدنيا ممن خلقها وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل في الطباع من الميل اليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديدا للتكليف كما قال انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح عن ابي علي الجبائي ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال من النساء لان

الفتنة بهن أعظم وقال النبي صلى الله عليه وآله ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء حبائل الشيطان وقال أمير المؤمنين عليه السلام المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها
وهي عقرب حلوة اللسعة ثم قال والبنين لأن حبهم يدعو إلى جمع الحرام وقال النبي صلى الله عليه وآله للأشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال نعم لي منها غلام و
لوددت أن لي به جفنة من طعام أطعمها من بقي من بني جبلة قال لئن قلت ذاك إنهم لثمرة القلوب وقرة الأعين وإنهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة والقناطير
جمع قنطار واختلف في مقداره فقيل ألف ومائتا أوقية عن معاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل ألف ومائتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك و
قيل ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم عن الحسن وقيل ثمانون ألفا عن أبي صالح وقيل مائة رطل عن قتادة وقيل سبعون ألف دينار عن مجاهد وعطاء وقيل هو ملء
مسك ثور ذهبا عن أبي نضرة وقال الفراء وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام المقنطرة المضعفة عن قتادة وقيل هي تسعة قناطير عن الفراء وقيل
هي الأموال المنضد بعضها فوق بعض عن الضحاك وقيل الكاملة المجتمعة وقيل هي من الذهب والفضة عن الزجاج ولا يصح قول من قال من الذهب خاصة
لأن الله ذكر القنطار فيهما جميعا وجميع الأقوال يرجع إلى الكثرة والخيل المسومة قيل معناه الأفراس الراعية عن سعيد بن جبير وابن عباس والربيع وقيل الحسنة
من السيماء وهو الحسن عن مجاهد وعكرمة والسدي وقيل هي المعلمة عن قتادة وفي رواية عن ابن عباس وقيل هي المعدة للجهاد عن ابن زيد والأنعام وهي جمع النعم
وهي الإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز ولا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها تغلب عليها جملة وتفصيلا والحرث معناه الزرع وهذه كلها
محببة إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين أن ذلك كله مما يتمتع به في الحيوة ثم يزول عن صاحبه والمرجع إلى الله فاحذر الإنسان أن يزهد فيه ويرغب فيما عنده
فقال ذلك متاع الحيوة الدنيا يعني كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحيوة الدنيا ثم يفنى والله عنده حسن المآب يعني حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الإياب
قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد القراءة
قرأ أبو بكر عن عاصم رضوان بضم الراء في كل القرآن والباقون بكسر الراء الحجة الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالرئمان والحرمان ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران
والكفران الإعراب منتهى الاستفهام فيه أو ينبئكم عند قوله عنكم ثم استأنف جنات تجري على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات وقيل منتهى
الاستفهام عند قوله بخير من ذلكم ثم ابتدأ فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات وجوز في العربية في إعراب جنات الرفع والجر فالجر على أن يكون نحو الكلام عندكم
ولا يجوز الجر على الوجه الأول للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بثوب ولأخيك مائتين حتى تقول بمائتين ولو قدمت فقلت بمائتين لأخيك لجاز وقيل الذين نصب
على المجاز المعنى لما صغر تعالى الدنيا وزهد فيها في الآية الأولى عظم الآخرة وشوقها ورغب فيها في هذه الآية فقال قل يا محمد لأصحابك أنبئكم لخيركم بخير من ذلكم
ما ينفع لكم مما سبق ذكره في الآية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها للذين اتقوا ما حرم الله عليهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي من
تحت أشجارها الأنهار وعلى القول الآخر خبركم بخير مما سبق للذين اتقوا عند ربهم ثم ابتدأ فقال جنات تجري من تحتها الأنهار أي ذلك الخير جنات تجري من تحت
أبنيتها الأنهار وعبر الله بهذا عن أنهارها والجنة جارية أبدا لأن كل أنهار الدنيا التي تجري ماؤها مادة وتنقطع خالدين فيها أي مقيمين في تلك الجنات وأزواج
مطهرة من الحيض والنفاس وجميع الأقذار والأدناس والطبائع الذميمة والأخلاق اللئيمة ورضوان من الله وراء هذه الجنات رضوان من الله والله بصير بالعباد
أي خبير بأفعالهم وأحوالهم قوله تعالى الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالأسحار اللغة المغفرة هي الستر للذنب برفع التبعة والذنب والجرم بمعنى واحد والفرق بينهما أن أصل الذنب الإتباع فهو ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله
كالتبعة والجرم أصله القطع فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام أن القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس
نفسه عن جميع ما نهى الله المقيم على ما أوجب عليه من العبادات والصادق المخبر بالشيء على ما هو به والقانت المطيع والأسحار جمع سحر وهو الوقت الذي قبل طلوع
الفجر وأصله الخفاء والسحر من ذلك الوقت والسحر منه أيضا الخفاء شخصه والسحر الرئة لخفائها موضعها الإعراب يجوز في موضع الذين الرفع والنصب والجر فالجر
للإتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح وكذلك باقي الصفات ويجوز أن يكون جرا على الصفة للذين اتقوا المعنى ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم في قوله
للذين اتقوا فقال الذين يقولون أي المتقين القائلين ربنا إننا آمنا صدقنا الله ورسوله فاغفر لنا ذنوبنا أي استرها علينا وتجاوز عنها وقنا أي ادفع
عنا عذاب النار ثم وصفهم بصفات أخر فمدحهم وأثنى عليهم فقال الصابرين أي على ما أمر الله به وترك ما نهاهم عنه وقيل الصابرين على الطاعة
وعن المعصية والصادقين في إيمانهم وأقوالهم والقانتين قيل المطيعين عن قتادة وقيل الدائمين على الطاعة والعبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات عن القاضي
والمنفقين أموالهم في سبيل الخير ويدخل فيه الزكوة المفروضة والتطوع بالإنفاق والمستغفرين بالأسحار المصلين وقت السحر عن قتادة وروي عن الرضا عن أبيه عن
أبي عبد الله عليه السلام وقيل السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس وقيل المصلين صلوة الصبح في جماعة عن زيد بن أسلم وقيل الذين ينتهي صلوتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرون
ويدعون عن الحسن وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أن من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إن الله عز وجل يقول إني لأهم
بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتهجدين وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات
الله فإن الله سريع الحساب القراءة قرأ الكسائي أن الدين بفتح الألف والباقون بالكسر قال الزجاج وروي عن ابن عباس قال أنه لا إله إلا هو بكسر الألف إن
الدين بالفتح الحجة قال أبو علي الوجه الكسر في إن لأن الكلام الذي قبله قد تم ومن فتح إن جعله بدلا والبدل وإن كان في تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر أشبه الصفة
فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيئين أحدهما من قوله أنه لا إله إلا هو وكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو

الهمزة للاستفهام

وإن شئت جعلته من بدل الاشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل وإن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل فيكون من
البدل الذي الشيء فيه هو هو قال غيره إن الأولى والثانية يجوز في العربية فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الأولى وكسر الثانية وكسر الأولى وفتح الثانية فمن فتحهما أوقع
الشهادة على أن الثانية وحذف حرف الإضمار من الأولى وتقديره شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام ومن كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم
لشيء به كما قيل لبيك إن الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية لأن معنى شهد معنى قال فالمؤرج شهد بمعنى قال في لغة قيس عيلان ومن فتح الأولى وكسر
الثانية وهو الأجود وعليه أكثر القراء أوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية ومن كسر الأولى وفتح الثانية اعترض بالأولى وأوقع الشهادة على الثانية
اللغة حقيقة الشهادة الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى الدين هنا الطاعة وأصله الجزاء وسميت الطاعة دينا لأنها للجزاء
ومنه الدين لأنه كالجزاء في وجوب القضاء والإسلام أصله السلم وأسلم معناه دخل في السلم وأصل السلم السلامة لأنها انقياد على السلامة ويصلح أن يكون أصله
التسليم لأنه تسليم لأمر الله والتسليم من السلامة لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد والإسلام هو تأدية الطاعات على السلامة من الإدغال والإسلام والإيمان
بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير أن عندهم أن الواجبات من أفعال الجوارح من الإيمان وعندنا الإيمان من أفعال القلوب الواجبة وليس من أفعال الجوارح وقد
شرحنا في أول البقرة والإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من العبادات الشرعية ولا يقال الإسلام لمن ترك النكير عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان
وهو الإسلام فالإسلام هو الإيمان ونظير ذلك قولنا الإنسان بشر والإنسان حيوان على الصورة الإنسانية فالحيوان على الصورة الإنسانية بشر والاختلاف
ذهاب أحد النفسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف في الأديان فأما الاختلاف في الأجناس فهو امتناع أحد الشيئين أن يسد مسد الآخر فيما
يرجع إلى ذاته والبغي طلب الاستعلاء بالظلم وأصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها الإعراب قيل في نصب قائما قولان أحدهما أنه حال من اسم الله تعالى مؤكدة
لأن الحال المؤكدة قد يقع مع الأسماء في غير الإشارة تقول إنه زيد معروفا وهو الحق مصدقا وشهد الله بالقسط أي قائما بالعدل والثاني أنه حال من هو من
قوله لا إله إلا هو وبغيا نصب على وجهين أحدهما على أنه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب للبغي بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك والثاني أنه
منصوب بما دل عليه وما اختلف كأنه قيل وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم تحاسدوا بغيا المعنى لما قدم تعالى ذكر أرباب الذين اتبعه بذكر أوصافه
فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو أي أخبر بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته وبديع حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن أبي عبيدة
قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك فالشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضي أي بين ما علمه فالله تعالى قد دل على
توحيده بجميع ما خلق وبين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأه والملائكة أي وشهدت الملائكة بما عاينت من عظيم قدرته وأولوا العلم بما ثبت
عندهم وتبين من صنعته التي لا يقدر عليها غيره وروي عن الحسن في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير شهد الله أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط وشهد بذلك أولوا العلم
والملائكة أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط وشهد أولوا العلم أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط والقسط العدل الذي قامت به السموات ورواه أصحابنا أيضا في
التفسير وأولوا العلم هم علماء المؤمنين عن السدي والكلبي وقيل معنى قوله قائما بالقسط أنه يقوم بإجراء الأمور وتدابير الخلق وجزاء الأعمال بالعدل كما
يقال فلان قائم بالتدبير أي يجريه على الاستقامة وإنما كرر قوله لا إله إلا هو لأنه بين بالأول أنه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه وبالثاني أنه
القائم بتدبير الخلق وتدبيرهم بالعدل لا ظلم في فعله العزيز الحكيم مر تفسيره وتضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة و
شهادتهم بشهادة الملائكة وخصهم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم والمراد بهذا التوحيد العلم وما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهادة وقعت فيه ومما جاء
في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ساعة من عالم يتكي على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما وروى أنس
ابن مالك عنه قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام
ومنار سبيل الجنة والنار والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقرب عند الغرباء يرفع الله به
أقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتبس آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهي إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم وكل رطب ويابس
يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها ألا وإن العلم حيوة القلوب ونور الأبصار وقوة الأبدان يبلغ بالعبد منازل الأخيار
ومجالس الملوك والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الأرحام والعلم إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرم
الأشقياء ومما جاء في فضل هذه الآية ما رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ شهد الله الآية عند منامه خلق الله منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم
القيمة الزبير بن العوام قال قلت لأدنون هذه العشية من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عشية عرفة حتى أسمع ما يقول فحبست ناقتي بين ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وناقة رجل كان من
جنبه فسمعته يقول شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية فما زال يرددها حتى رفع وعن غالب القطان قال أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت
أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية ثم قال الأعمش وأنا أشهد بما
شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت آية
سمعتك ترددها فما بلغك فيها ثم قال لا أحدثك بها إلى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد قد مضت السنة فقال
حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله إن لعبدي هذا عهدا عندي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي
هذا الجنة وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية خرت سجدا وقوله إن الدين أي الطاعة

١٨٠ عند الله هو الاسلام وقيل المراد بالاسلام هو التسليم وقيل المراد بالاسلام التسليم لله ولاوليائه وهو التصديق وروي عن امير المؤمنين في خطبة له انه قال
لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي ولا ينسبها احد بعدي الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل ثم قال عليه السلام (الاسلام هو التسليم)
في تفسيره ثم قال ان المؤمن اخذ دينه عن ربه ولم ياخذه عن رأيه ان المؤمن يعرف ايمانه في عمله وان الكافر يعرف كفره بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فان السيئة
فيه خير من الحسنة في غيره ان السيئة فيه تغفر وان الحسنة في غيره لا تقبل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب معناه وما اختلف اليهود والنصارى في صدق نبوة محمد
لما كانوا يجدونه في كتبهم من نعته وصفته ووقت خروجه الا من بعد ما جاءهم العلم والعلم المذكور يجوز ان يراد به البينات التي هي طريق العلم فيدخل فيه المطلوب
من اهل الكتاب علموا او لم يعلموا ويحتمل ان يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه الا من علم بصفته وجحده وكتمه عنادا وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والكتاب
التورية لما عهد موسى اليهم واقام فيهم يوشع بن نون ومضى ثلاثة قرون واختلفوا عن الربيع وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى والكتاب الانجيل اختلفوا
في امر عيسى عن محمد بن جعفر بن الزبير وقيل خرج مخرج الجنس معناه كتاب الله المتقدمة واختلفوا بعدها في الدين عن الجبائي ومن يكفر بآيات الله اي بحججه وقيل
بالتورية والانجيل وما فيهما من صفة محمد وقيل بالقرآن وما دل عليه فان الله سريع الحساب اي لا يفوته شيء من اعمالهم وقيل معناه سريع المجازاة وحقيقة المجاز
ان لا يخفى ذلك ويعطى ما عليك قوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا
وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد آية القراءة حكى عن عاصم الكسائي وحمزة الياء من اتبعني جراءة ما لكم واتباعا للمصحف واثبتها الباقون
على الاصل الحجة حذف الياء في اواخر الاي حسن لانها تشبه القوافي ويجوز في وسط الاي ايضا ولكنها اما كان قبلها نون مثل قوله ومن اتبعن فان لم يكن نون
جاز ايضا نحو قولك هذا غلام وما اشبه ذلك والاجود اثبات الياء وان شئت اسكنت الياء وان شئت فتحتها الاعراب من اتبعن في محل الرفع عطفا على
التاء في قوله اسلمت ولم يؤكد الضمير ولم يقل اسلمت انا ومن اتبعن ولو قلت اسلمت وزيد لم يحسن الا ان تقول اسلمت انا وزيد وانما جاز هنا لطول الكلام فصار
طوله عوضا من تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل المعنى لما قدم سبحانه ذكر الايمان والاسلام خاطب نبيه فقال فان حاجوك المعنى فان حاجك خاصمك
النصارى وهم وفد نجران فقال فقل يا محمد اسلمت وجهي لله وفيه وجهان احدهما ان معناه انقدت لامر الله في اخلاص التوحيد له والحجة فيه انه لزمهم
على ما اقروا من ان الله خالقهم واتباع امره في ان لا يعبدوا الا اياه والثاني ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله واخلصت قصدي بالعبادة اليه
وذكر الاصل الذي يلزم جميع المكلفين الاقرار به لانه لا يتبعض فيما يحتاج الى العمل عليه من الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب الى النعيم ومعنى وجهي ها هنا
نفسي واضاف الاسلام الى الوجه لان وجه الشيء اشرف ما فيه لانه مجمع الحواس وعليه يظهر آثار الحزن والسرور ومن اسلم وجهه فقد اسلم كله ومنه قوله كل
شيء هالك الا وجهه ومن اتبعني اي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد اسلموا ايضا كما اسلمت وقل يا محمد للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والاميين الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس وغيره وهم مشركو العرب وقد مر تفسير الامي واشتقاقه عند قوله ومنهم اميون ءاسلمتم اي اخلصتم كما اخلصت
لفظه لفظ الاستفهام ومعناه معنى التوقيف والتهديد فيكون متضمنا للامر فيكون معناه اسلموا فان الله تعالى ازاح العلل واوضح السبل ونظيره فهل انتم منتهون
اي انتهوا وهذا كما يقول الانسان لغيره وقد وعظه مواعظ امليت حظي بذلك وما لي قبول الوعظ فان اسلموا فقد اهتدوا الى طريق الحق وان تولوا اي
كفروا ولم يقبلوا واعرضوا عنه فانما عليك البلاغ معناه فانما عليك ان تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد معناه هيهنا انه
لا يفوته شيء من اعمالهم التي يجازيهم بها لانه بصير بهم اي عالم بهم وباسرارهم ولا يخفى عليه خافية وقيل معناه عالم بما يكون منك في التبليغ ومنهم في الايمان
والكفر قوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين آيتان القراءة قرأ حمزة ويقاتلون بالالف وقيل انما قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود
لان فيه وقاتلوا الذين يأمرون والباقون يقتلون وهي القراءة الظاهرة الاعراب انما دخلت الفاء في قوله فبشرهم لشبه الجزاء وانما لو تجز ليت الذي
يقوم فمكرمك لان الذي تمام دخلت الفاء في خبرها لما في الكلام من معنى الجزاء وليت تبطل معنى الجزاء وليس كذلك ان لانها بمنزلة الابتداء المعنى لما
قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب وحسن الوعد لهم ان اسلموا وشدة الوعيد ان ابوا اتصل في هذه الآية كفرهم فقال ان الذين يكفرون بآيات الله (وجاز الذي يقوم فيكرمك)
القضاء يجحدون حجج الله تعالى وبيناته ويقتلون النبيين قيل هم اليهود فقد روي عن ابي عبيدة الجراح قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم
القيمة فقال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ثم قال يا ابا
عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم وهو الذي ذكره الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بان لهم العذاب الاليم وانما قال فبشرهم على
طريق الاتساع والاستعارة والبشارة تكون في الخير دون الشر لان ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولانها ماخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور
والخير وبالغم في الشر ويقال كيف قال فبشرهم وانما قتل الانبياء اسلافهم فالجواب لانهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فاجملوا معهم وقيل معناه بشر هؤلاء
بالعذاب الاليم لاسلافهم وقوله بغير حق لا يدل على ان في قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لا يكون الا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به والمراد بذلك تاكيد النفي والمبالغة فيه كما يقال فلان لا يرجى خيره والغرض في ذلك انه لا خير عنده على وجه من الوجوه
كما قال ابو ذؤيب متعلق انساؤها عن قانئ كالقرط صاو غبره لا يرضع اي ليس بقية لبن فيرضع على هذا فهكذا صفة قتل الانبياء لا يكون الا على حد صفة

وهو

١٨١ وهو نوع على خلاف الحق وكذلك الدعاء في قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وصفه بانه لا يكون الا من غير برهان وقد استدل علي بن عيسى بهذه الآية
على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه وفي هذا نظر لان من شرط حسن انكار
المنكر ان لا يكون مفسدة ومتى ادى الى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا والوجه في الآية والاخبار التي جاءت في معناها ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لا
يؤدي الى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان يكون يعقبه القتل لانه ليس من شرطه ان يعلم بل يكفي فيه غلبة الظن اولئك الذين كفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء والآمرين
بالمعروف حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتورية واقامة شريعة موسى واراد ببطلانها في الدنيا انها لم تحقن دماءهم
واموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة انهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كانها لم تكن لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه
الثواب والاجر والمدح حتى كانه لم يكن وانما يحبط الفاعل حتى يصير كانه لم يفعل اذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب
قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون آيتان اللغة الغيب الخالي من الشيء وهو ايضا المجهول لشبهه به والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبر الذي يتضمن الحق
الباطل ماخوذ من الحكمة وهي المنع والغرور الاطماع فيما لا يصح غره يغره غرورا فهو مغرور والغرور الشيطان لانه يغر الناس الغافل لانه كالمغرور والغرة الدنيا لانها تغر
اهلها والغرة الغفلة لم يجرب الامور ومصدر الغرارة وغرشانا وقيل الغرور والغر والخطر الذي خدعته والغرار طي الثوب طيه على غره اي على طيه الاول
الافتراء القطع والافتراء الكذب وفرى فلان كذبا يفريه فريا والفري الشق وفريته مفرى اي شققته وقد تفرى فروها اي تشقق وفريت الارض سرتها وقطعتها
الاعراب يدعون جملة في موضع الحال من اوتوا نصيبا وفريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون في موضع نصب ايضا على الحال من يتولى اياما انتصب على الظرف لان معناه
النار يكون في تلك الايام ومعدودات صفة الايام المعنى لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين انهم اذا غلبتهم الحجة فزعوا الى الضجة واعرضوا عن الحجة فقال الم تر معناه الم
ينته علمك الى الذين اوتوا نصيبا اي اعطوا نصيبا اي حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس دعا اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم
الحجة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمد وصدقه وانما قال اعطوا نصيبا من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القرآن عن الحسن وقتادة دعوا الى
القرآن لان ما فيه موافق لما في التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها ليحكم بينهم يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان معناه ليحكم
في نبوة محمد عن ابي مسلم وجماعة والثاني ان معناه ليحكم بينهم في امر ابراهيم وان دينه الاسلام والثالث ان معناه ليحكم بينهم في امر الرجم فقد روي عن ابن عباس ان رجلا
وامرأة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوي شرف فيهم وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة في امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله
فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية
قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت
اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشيء من التورية فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن
سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان
كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فانزل الله هذه الآية ثم يتولى فريق منهم اي طائفة منهم عن الداعي
وهم معرضون عن اتباع الحق ذلك معناه شانهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف عن الزجاج وقيل معناه فعلهم ذلك لاجل انهم قالوا لن تمسنا النار عن الجبائي وهم على الجحود والانكار
بانهم قالوا لن تمسنا النار اي لن تصيبنا النار الا اياما معدودات فيه قولان احدهما انها الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوما عن الربيع وقتادة والحسن الا ان
الحسن قال سبعة ايام والثاني انهم ارادوا اياما منقطعة من الجنابة وغرهم في دينهم اي اطمعهم في غير مطمع ما كانوا يفترون اي افتراؤهم وكذبهم واختلفوا في الافتراء
الذي غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه عن قتادة والآخر قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات عن مجاهد هذا لا يدل على خلاف ما
يذهب اليه من جواز العفو واخراج العاصين من اهل الصلوة من النار لانا لا نقول ان عقاب من تجب له النار لا تقول ايام عقابها بل انما لا يكون الا منقطعا ان لم
يحبط بعمله عقابه بعدد ايام عصيانه كما قالوا وبين القولين بون ظاهر قوله تعالى فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون آية اللغة
كيف موضوع للسؤال عن الحال ومعناها هنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق الى النار وفيه بلاغة واختصار شديد لان تقديره اي حال يكون حال من اغتر
بالدعاوي الباطلة حتى ادى ذلك الى الخلود في النار ونظيره قول القائل انا اكرمك وان لم تجئ فكيف اذا جئتني معناه فكيف اكرامي لك اذا جئتني اذا جمعناهم لانه خبر
مبتدأ محذوف المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال فكيف حالهم اذا جمعناهم اي وقت جمعهم وحشرهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه لا شك فيه لمن نظر في الادلة
ليس فيه موضع ريبة وشك ولو قال جمعناهم في يوم لم يدل على الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس اي لما يكون في يوم الخميس ولا يعطي جئته في يوم
الخميس هذا المعنى ووفيت كل نفس ما كسبت فيه قولان احدهما ان معناه ووفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب او عقاب والثاني اعطيت ما كسبت اي جلبت بعملها من
الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة وهم لا يظلمون اي لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزادون على ما استحقوه من العقاب قوله
تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج
النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب آيتان فضل الآية روى جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عن النبي انه قال لما
اراد الله ان ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن يا رب تهبطنا

١٨٢ الى دار الذنوب فالى من يحبيك ونحن متعلقات بالطهور وبالقدس فقال وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلوة مكتوبة الا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه والا نظرت اليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت وقال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما منعك من صلوة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودي علي اوقية من تبر وكان على بابي يرصدني فاشفقت ان يحبسني دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضي الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى قوله بغير حساب يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء اقض عني ديني فلو كان عليك ملاء الارض ذهبا لاداه الله عنك **القراءة** قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف **الحجة** قال المبرد لا خلاف بين علماء البصرة انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وقال الرماني في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول الا ترى انه قد قال وضل عنه الغراب بميت سقيت صوب الغوادي وسقيت وهو كثير **اللغة** النزع قلع الشيء عن الشيء يقال نزع فلان الى اخواله اي نزع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم يشبههم والنزاع الحنين الى الشيء والنزوع عن الشيء الترك له الايلاج الادخال يقال ولج يلج ولوجا وولجا ولجة والوليجة بطانة الرجل لانه يطلعه على دخلة امره وتولج كناس الظبي لانه يدخله والولج والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم **الاعراب** اللهم معناه يا الله والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض عن يا لانه لا يوجد مع الميم في كلامهم فعلم ان الميم في آخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضمة التي في هاء فهي ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء اصله يا الله ام بالخير فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم لو كانت عوضا من يا لما اجتمعتا وبانهما اجتمعتا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي كلما سبحت او صليت يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما فقال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لان الميم انما عوض من حرفين فشددت كما قيل فمن وضربن لما كانت عوضا من حرفين من فمو وضربنو وانما من ذهب بالنون ها هنا انها عوض من حرف واحد واما البيت فلعله جاء لذلك فلضرورة الشعر ولعلهما فان الاصل فيه ان حرف النداء يدخل على ما دخلت عليه لام التعريف وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضاف قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لان اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجمة تؤتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع نصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير تؤتي الملك من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كذا الباقي بيدك الخير في محل نصب في موضع الحال ايضا والعامل فيه تؤتي وتنزع وتعز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها **النزول** قيل لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم الم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الآية عن ابن عباس وانس بن مالك وقيل ان النبي خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا اذا كنا بحيث ذي باب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان يعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يأمرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقى سلمان الى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله تكبيرة فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله الى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان (قطعها) قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم اضاءت لي منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وانزل الله في هذه القصة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك الآية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف **المعنى** لما ذكر مكايد اهل الكتاب علم رسوله بما لجلالته وكيف يجيبهم اذا سألوا واجابوا فقال قل يا محمد اللهم يا الله مالك الملك فالملك كل ما لك فكل ما لك دونك ملك الملك ومالك كل ملك عن مجاهد وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك امر الدنيا والآخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء اي تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت معناه وتقطع الملك عمن تشاء ان تقطعه عنه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل تؤتي الملك اسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه عن صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة حتى يفتحها اهل الاسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والامامة من تشاء من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبابرة بقهرهم وازالة ايديهم فان الكافر والفاسق وان غلب على ملك فليس ذلك بملك يؤتيه الله لقوله لا ينال عهدي الظالمين

وكيف يكون ذلك مما شاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه وتعز من تشاء بالايمان وتذل من تشاء بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل واصحابه من المقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العزة في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والآخرة لانه تعالى لا يذل اولياءه وان افقرهم وابتلاهم فان ذلك ليس على سبيل الاذلال بل ليكرمهم بذلك في الآخرة ويعزهم ويجلهم غاية الاعزاز والاجلال بيدك الخير اي الخير كله في الدنيا والآخرة وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من الخير والشر لان الآية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن في هذه الحالة الا ذكر الخير لان الترغيب لا يكون الا في الخير وهذا كما يقال امر فلان بيد فلان انك على كل شيء قدير اي قادر على جميع الاشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واعادة ما كان موجودا تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قيل في معناه قولان احدهما ان معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين والآخر معناه تدخل احدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي وتخرج الحي من الميت اي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فاحياكم وتخرج الميت من الحي اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله وترزق من تشاء بغير حساب معناه بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب اي يوسع لان من عادة المقتر ان لا ينفق الا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخافة نقصان لما عنده فانه لا نهاية لمقدوره فما يؤخذ منه لا ينقصه ولا هو على حساب جزء من كذا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الالف ان المراد بمن يشاء ان يرزقه اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يفنى ولا له حد ولا العد ولا الاحصاء من حيث انه لا نهاية له ويطابقه قوله فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقية ويحذركم الله نفسه والى الله المصير **القراءة** قرأ يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقون تقاة وامال الكسائي تقاة وقرأ نافع وحمزة بين التفخيم والامالة والباقون بالتفخيم **الحجة** الاجود في تقاة التفخيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الامالة ليؤذن ان الالف منقلبة من الياء وتقية وزنها فعيلة نحو تؤدة وتخمة وتهمة جميعا مصدر اتقى تقية وتقيه واتقاء وتقوى واصلها وقاة الا ان الواو المضمومة ابدلت تاء استثقالا لها فانهم يفرقون من ضمة الواو الى الهمزة والى التاء فاما التاء فلقربها من الواو ومع انها من حروف الزيادات واما الهمزة فلانها نظيرها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن ابدالها اولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس **الاعراب** من في من دون المؤمنين لابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لان مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادنى كما تقول زيد دونك لست تريد انه في موضع مستفل وانك في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والخسة كالاستفال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف هو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدم انتصب على الحال وقوله ان تتقوا في محل الجر بالباء محذوفا وفي محل النصب بحذف الباء على ما مر مثاله **المعنى** لما بين سبحانه انه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والاذلال نهى المؤمنين عن موالاة من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين دون اعدائه الكافرين فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء اي لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء لنفوسهم ان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ولا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله من دون المؤمنين معناه يجب ان يكون الموالاة مع المؤمنين وهذا نهي عن موالاة الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهي عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي وهو الذي يلي امر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين احدهما المعين بالنصرة والآخر المعان فقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله اي معان بنصرته وقوله ومن يفعل ذلك معناه من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شيء اي ليس هو من اولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقية والمعنى الا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه ودفعا عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال اصحابنا انها جائزة في الاحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الافعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم او يغلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد انها قد تجب احيانا وتكون فرضا وتجوز احيانا من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها وقد يكون تركها افضل وان كان فاعلها معذورا ومعفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر الطوسي وظاهر الروايات تدل على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده وروى الحسن ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله قال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم ثم قال افتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثا كل ذلك يجيبه بمثل الاول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال اما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضله فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا تكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة ويحذركم الله نفسه معناه ويحذركم الله اياه فوضع نفسه مكان اياه ومعناه ويحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين اولياء وعلى سائر المعاصي وذكر نفسه لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد اي صولته وافتراسه عن الحسن والى الله المصير معناه والى جزاء الله المرجع قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير **اللغة** الصدر معروف وهو اعلى مقدم

كل شيء والصد الانصراف عن الشيء ... والتصدية ... الصد والصدد ... بالبقرة ... المرية لانه قصير يغطي الصد وما حاذاه
الاعراب يعلمه الله جزم لانه جواب الشرط وان كان الله يعلمه كان ولم يكن ... يعلمه ... لا يصح صفة بذلك قبل ان يكون ويعلم ما في السموات الاية
المعنى لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار اولياء الا خوفا من الابطان بخلاف الاظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه قل يا محمد ان تخفوا اي تستروا ما في صدوركم يعني
ما في قلوبكم وانما ذكر الصدر لانه محل القلب او تبدوه اي تظهروه يعلمه الله فلا ينفعكم اخفاؤه وهو مع ذلك يعلم ما في السموات وما في الارض وانما قال ذلك ليذكر
بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير اذ كان من يعلم ما في السموات وما في الارض على التفصيل يعلم الضمير والله على كل شيء قدير فيقدر على اخذكم ومجازاتكم قوله
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد اية اللغة الامد
الغاية التي ينتهي اليها قال النابغة الا لمثلك او من انت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد الاعراب في انتصاب يوم وجوه احدها انه منصوب بيحذركم الله اي
يحذركم الله نفسه يوم تجد الثاني بالمصير تقديره والى الله المصير يوم تجد الثالث اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما ههنا بمعنى الذي لانه عامل فيه تجد وبه في
موضع نصب ويحتمل ان يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد ان جعلته من الوجدان
فان جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله وما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله تود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا او مكسورا و
الرفع جائز على ضعف وقوله ان جواب لو ههنا محذوف وتقدير تود ان بينها وبينه امدا بعيدا لو ثبت ذلك لان لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم الا ان
مع انه خبر بمنزلة مصدر فيكون فيه ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو ولا يدل على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو وهذا مما سنح لي الان وهو واضح
بحمد الله ومنه المعنى لما حذر العقاب في الاية المتقدمة بين وقت العقاب فقال يوم تجد كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة
من خير محضرا ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعلمت نفس ما احضرت ثم اختلف في كيفية وجود العمل محضرا فقيل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن ابي مسلم
وغيره وهو اختيار القاضي وقيل معنى ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فاما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا يجوز عليها الاعادة فيستحيل ان تحضر وما
عملت من سوء معناه تجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا تود لو ان بينها وبينه اي بين معصيتها امدا بعيدا اي غاية بعيدة اي تود انها لم تكن فعلتها وقيل
معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل ويحذركم الله نفسه قد مر ذكره والله رؤوف بالعباد اي رحيم بهم قال الحسن من تمام رافته بهم
ان حذرهم عقابا على معاصيه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان
تولوا فان الله لا يحب الكافرين ايتان اللغة المحبة هي الارادة الا انها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى تقول احب زيدا واحب اكرام زيد ولا
تقول في الارادة ذلك لانك تقول اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة ومثل
تلك المعاملة في الاتفاق ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادته لثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته لطاعاته وقالوا احببت فلانا فهو محبوب استغنوا عن محب كما
استغنوا بأحببت عن حببت وقال عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم فجاء به على الاصل وحكى الزجاج عن الكسائي حببت من الثلاثي
وقوله ويغفر لكم لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما يجوز ادغام اللام في الراء في هل رايت لان الراء مكررة فلا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به والطاعة
اتباع الداعي فيما دعا اليه بامره او ارادته ولذلك قد يكون الانسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه اليه وان لم يقصد ان يطيعه لانه اذا مال مع ما يدعوه نفسه من
الدعاء الى المعصية فقد اطاع الداعي اليها النزول قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الايات في وفد نجران من النصارى لما قالوا انا نعظم المسيح حبا لله المعنى
ثم بين سبحانه ان الايمان به لا يكمل الا اذا قارنه الايمان برسوله فقال قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما زعمتم فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم معناه
ان كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزد لكم حبا عن ابن عباس وقيل ان كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فانكم ان فعلتم ذلك احبكم الله ويغفر
لكم والله غفور رحيم اي كثير المغفرة والرحمة قل اطيعوا الله والرسول اي قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا ذلك ... لا تصدقكم بطاعة الله وطاعة
رسوله فان ذلك امارة صدق الدعوى فان تولوا اي فان اعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فان الله لا يحب الكافرين معناه انه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل
بالنفي على الاثبات وذلك ابلغ لانه لو قال يبغضهم لجاز ان يتوهم انه يبغضهم من جهة ويحبهم من جهة كما يجوز ان يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا
دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه اذا لم يحب الكافرين من اجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد اذا كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم قوله تعالى
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ايتان اللغة الاصطفاء الاختيار والاجتباء
وهو افتعال من الصفوة وهذا من احسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء
القوم من الفساد بخلوص الصافي من شوائب الادناس وقد بينا معنى الال فيما مضى عند قوله واذ نجيناكم من آل فرعون الاية ومعنى الذرية واصلها عند قوله
ومن ذريتي الاعراب يحتمل نصب ذرية على وجهين احدهما ان يكون حالا والعامل فيها اصطفى والثاني ان يكون على البدل من معطوف اصطفى المعنى ان الله
اصطفى اي اختار واجتبى آدم ونوحا للنبوة وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين اي على عالمي زمانهم بان جعل الانبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله واسئل
القرية عن الفراء وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الامور الجليلة التي رتبها الله لهم في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار آدم بان
خلقه من غير واسطة واسكنه جنته واسجد له ملائكته وارسله الى الملائكة والانس واختار نوحا بالنبوة وطول العمر واجابة دعائه وغرق قومه ونجاته في
السفينة واختار ابراهيم بالخلة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله وآل ابراهيم وآل عمران قيل اراد به نفس ابراهيم ونفس عمران كقوله وبقية مما ترك آل موسى

وآل

وآل هرون يعني موسى وهرون وقيل آل ابراهيم اولاده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ومنهم داود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ونبينا
نبينا لانه من ولد اسمعيل وقيل آل ابراهيم هم المؤمنون والمتمسكون بدينه وهو الاسلام عن ابن عباس والحسن واما آل عمران فقيل هم من آل ابراهيم ايضا كما قال ذرية
بعضها من بعض فهم موسى وهرون ابنا عمران وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن اشهم بن امون من ولد
سليمان بن داود وهو ابو مريم لان آل الرجل اهل البيت الذي ينسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة اهل البيت وآل محمد على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل
محمد الذين هم اهله ويجب ان يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لانه تعالى لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل
باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل ابراهيم وآل عمران سواء كان نبيا او اماما ويقال الاصطفاء على وجهين احدهما انه اصطفاهم
لنفسه اي جعلهم خالصين له يختصهم بامره والثاني انه اصطفاهم على غيرهم اي اختصهم بالتفضيل على غيرهم وعلى هذا الوجه معنى الاية فان قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل
العمل فالجواب انه اذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم الا بهم وللاختيار لما يكون من حسن تماثلهم وافعالهم والتشويق لهم كما يكون عن جلالة اقدارهم فركا
خلالهم ليكون ذلك داعيا للناس الى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه الاية دلالة على تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم اجمعين الصلوة والسلام لان العالمين
يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم واختارهم على الكل وقوله ذرية اي اولادا واعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين وهو الاسلام اي بعضها
من دين بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي في التناصر المتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد
فانهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابراهيم وهو المروي عن ابي عبد الله ع لانه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي والله سميع
عليم فيه قولان احدهما انه سميع لما يقوله عليم بما يضمره فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في اقوالهم وافعالهم والثاني ان معناه سميع لقول
امرأة عمران من النذر عليم بما تضمره ونبه بذلك على انه سبحانه ذلك منها النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابراهيم وعيسى خالفوا قول
النصارى واليهود فيهما فبين بان من اطاع الرسول قال فيهما ما يقوله هو وقيل انه لما امر بطاعة نبيه وابى ذلك المشركون بين تعالى انه كما اصطفاه لرسالته اصطفى
قبله من الانبياء فلا وجه لانكارهم رسالته قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت
رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم آيتان القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر
عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروي عن علي ع وقرء الباقون وضعت على الحكاية الحجة من قرء بضم التاء جعله من كلام ام مريم ومن قرء باسكان التاء
جعل ذلك من قول الله تعالى ويقوي قول من اسكن التاء قوله والله اعلم بما وضعت ولو كان من قول ام مريم لقالت وانت اعلم بما وضعت لانها تخاطب الله تعالى
اللغة معنى المحرر في اللغة يحتمل امرين احدهما العتق من الحرية يقال حررته تحريرا اذا اعتقته اي جعلته حرا والاخر من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا اي خلصته
من الفساد واصلحته والتقبل اخذ الشيء على الرضا كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الحط وضعت الولد تضعه وضعا والموضع مكان الوضع
الضعة الخسة لانها تضع من قدر صاحبها والايضاع في السير الرفق فيه لانه حط عن شدة الاسراع الشيطان الرجيم قد مر تفسيرهما في اول الكتاب الاعراب
في موضع اذ قالت اقوال احدها انه نصب باذكر عن الاخفش والمبرد والثاني انه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج والثالث انه متعلق بسميع كما يحمل فيه معنى
الصفتين تقديره والله سميع لقولها اذ قالت عن علي بن عيسى والرابع ان اذ زائدة فلا موضع لها من الاعراب عن ابي عبيدة وهذا خطأ عند البصريين محررا
نصب على الحال من ما تقديره نذرت لك الذي في بطني محررا والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال المعنى لما ذكر سبحانه اصطفاء آل عمران عقبه بذكر
مريم بنت عمران فقال اذ قالت امرأة عمران وقد مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين احديهما عند عمران بن اشهم من ولد سليمان بن داود وقيل
هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل والحسن غير ابي موسى وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل والاخرى كانت عند زكريا واسمها ايشاع
واسم ابيها فاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي اوجبت لك ان اجعل ما في بطني محررا اي خادما للبيعة يخدم في متعبدك
عن مجاهد وقيل محررا للعبادة مخلصا لها عن الشعبي وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله في منافعي ولا اصرفه في حوائجي عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان
المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ان يقيم فيه اقام وان احب ان يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت
حنة قد امسك عنها الولد حتى اسنت فبينا هي تحت شجرة اذ رات طائرا يزق فرخا فتحركت نفسها للولد فدعت الله ان يرزقها ولدا فحملت بمريم وروي عن ابي عبد
الله ع قال اوحى الله تعالى الى عمران اني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث امرأته حنة بذلك
وهي ام مريم فلما حملت بها قالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني نذري بقبول رضا انك انت السميع لما اقوله العليم بما انويه فلهذا صح التقرب
فلما وضعتها قيل ان عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك [illegible] ولدته مريم وكانت ترجو ان يكون غلاما فلما وضعتها خجلت واستحيت وقالت منكسة راسها رب اني وضعتها
انثى وقيل فيه قولان احدهما ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لانها انثى والاخر ان المراد تقديم الذكر في السؤال لها بانها انثى لان سبيلها الضعف وعقلها
انقص فقدم ذكرها ليصح التفضل لها في السؤال بقولها واني اعيذها بك والله اعلم بما وضعت اخبار منه تعالى بانه اعلم بوضعها لانه هو الذي خلقها و
صورها وعلى القراءة الاخرى وانت يا رب اعلم مني بما وضعت وليس الذكر كالانثى لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر وانما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون
الاناث لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير الا
في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل اراد ليس الذكر افضل من الانثى على العموم واصلح للاشياء والهاء في قوله فوضعتها كناية عما في قوله ما في بطني كان

ذلك

ذلك لوقوع ما على مؤنث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام والضمير فيهما لمن جعلت امها حبيسة لانها سمتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة قيل وكانت
مريم افضل النساء في وقتها واجملهن وروى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم
امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت
ذلك وقيل انما استعاذتها من طعنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقاها الله تعالى وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى ابو هريرة ان النبي قال
ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها وقيل انما استعاذت من اغواء الشيطان الرجيم عن الحسن قوله
تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند
الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب آية القراءة قرأ اهل الكوفة كفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ اهل الكوفة الا ابا بكر زكريا مقصورا والباقون
بالمد ونصب زكريا مع المد ابو بكر وحده والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي حجة من خفف كفلها قوله تعالى ايهم يكفل مريم فزكريا مرتفع لان الكفالة مسندة
اليه ومن شدد كفلها ففاعله الضمير العائد الى ربها من قوله فتقبلها ربها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمد والقصر في زكريا لغتان اللغة انما جاء
مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لان فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لان فيه معنى كرم وقبلها وانبتها نباتا حسنا لان فيه معنى نبت قال ابو عمرو ولا
نظير لقبول في المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج قال سيبويه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وطهور وولوع
ووقود الا ان الاكثر في وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج في قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن يقال كفله يكفله كفلا وكفولا وكفالة فانا
كافل اذا تكفلت بمؤونته ومنه الحديث وانه خير المكفولين اي خير من كفل في صغره ورضع حتى نشأ والمكفول عنه في الفقه هو الذي عليه الدين والمكفول به
هو الدين والكفيل هو الذي يثبت عليه الدين والمحراب مقام الامام من المسجد واصله اكرم موضع في المجلس واشرفه وقال الزجاج هو المكان العالي الشريف قال وضاح ربة محراب
اذا جئتها لم القها او ارتقي سلما ويقال للمسجد ايضا محراب ومنه قوله من محاريب اي من مساجد وقيل انه اخذ من الحرب لانه يحارب فيها الشيطان المعنى فتقبلها ربها
مع انوثتها ورضي بها في النذر الذي نذرته حنة للعبادة في بيت المقدس ولم يقبل قبلها انثى في ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها في تربيتها والقيام بشأنها عن
الحسن وقوله اياه انه لم تقم عليها ساعة من ليل او نهار بقبول احسن اصله بتقبل حسن لكنه محمول على قوله تقبلها بقبول حسن وقيل معناه سلك بها طريق السعداء
عن ابن عباس وانبتها نباتا حسنا اي جعل نشوها نشوا حسنا وقيل معناه كانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام عن ابن عباس وقيل انبتها في رزقها وغذائها
حتى تمت امرأة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار وكفلها زكريا بالتشديد معناه
ضمها الله الى زكريا وجعله كفيلها يقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا الى نفسه وضمن القيام بامرها وقالوا ان ام مريم لما ولدتها لفتها في خرقة الى المسجد
قالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقال الاحبار انها لو تركت
لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلا الى نهر جار فالقوا اقلامهم في الماء
فارتفع قلم زكريا وارتفع فوق الماء وانحدرت اقلامهم عن ابن اسحق ومجاهد وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه في طين وجرت اقلامهم
مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدي فسهمهم زكريا وقرعهم وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله وكفلها زكريا وزكريا كان من ولد سليمان بن داود
وفيه ثلاث لغات المد والقصر وزكري مشددا قالوا فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا
شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها
وشرابها ودهنها كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا اي وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف غضا طريا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل انها لم ترضع ثديا قط وانما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن قال يا مريم انى لك
هذا يعني قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالمتعجب منه قالت هو من عند الله اي من الجنة وهذه تكرمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقا للعادة
من غير الانبياء فان عندنا يجوز ان تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الانبياء من الاولياء والاصفياء ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك
كان تأسيسا لنبوة عيسى عن البلخي والاخر انه كان بدعاء زكريا لها بالرزق في الجملة وكانت معجزة له عن الجبائي ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره النظم
ووجه اتصالها بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الاستحقاق على العمل لانه تفضل يبتدئ الله به من يشاء من خلقه
ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستئناف قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة
وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فناديه الملائكة
على التذكير والامالة والباقون فنادته على التأنيث وقرأ ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء والتخفيف
والباقون بضم الياء والتشديد الحجة من قرأ فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول قالت الرجال ومن قرأ فناديه فعلى المعنى ومن فتح ان كان المعنى فنادته بان الله
فحذف الجار واصل الفعل في موضع نصب بان وعلى قياس قول الخليل في موضع جر ومن كسر اضمر القول كانه نادته فقالت ان الله فحذف القول كما حذف في قوله
من كسر في قوله فدعا ربه اني مغلوب واضمار القول كثير واما يبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد قال الزجاج هذا من بشر يبشر اذا فرح واصل
هذا كله ان بشرة الانسان تنبسط عند السرور اللغة الهبة تمليك الشيء من غير ثمن والسيد اخو من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد

سورة آل عمران

الاعظم وهو الشخص الذي يجب طاعته لمالكه هذا اذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا اطلق فلا ينبغي الا لله والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل للذي يمتنع
يخرج مع ندمائه شيئا للنفقة حصور قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار ويقال للكتوم حصور لا غراء هنالك اصله
ظرف من المكان نحو رايته هنا وهناك وهنالك والفرق ان هنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال الزجاج ويستعمل في الحال كقولك
من هيهنا قلت كذا اي من هذا الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتأكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك و
انما بني لدن ولم يبن عند وان كان بمعناه لانه اشبه استفهام الحرف لانه لا يقع في جواب اين كما يقع عند في نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لدنك
وهو قائم جملة في موضع الحال من الهاء في نادته وقوله يصلي في المحراب جملة في موضع الحال من الضمير في قائم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين
من هيهنا للتبيين الصفة وليس المراد به التبعيض لان النبي لا يكون الا صالحا المعنى هنالك اي عند ذلك الذي راى من فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي طمع في الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة
فسأل ذلك وقوله طيبة اي مباركة عن السدي وقيل صالحة تقية العمل وانما انث طيبة وانما سال ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك
الكمال انك سميع الدعاء بمعنى قابل الدعاء ومجيب الدعاء له ومنه قول القائل سمع الله لمن حمده اي قبل الله دعاءه وانما قيل السامع للقابل المجيب لان من
كان اهلا ان يسمع منه فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع فنادته الملائكة قيل ناداه جبرائيل عن السدي فعلى هذا يكون
المعنى ان النداء اتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن وانما ركب سفينة واحدة والمراد جاءه النداء من جهة الملائكة وقيل نادته جماعة من الملائكة
وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد ان الله يبشرك بيحيى سماه الله بهذا الاسم قبل مولده واختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لان الله احيا به عقر امه عن ابن عباس
وقيل لان الله احياه بالايمان عن قتادة وقيل لان الله احيا قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد يحيى مصدقا بكلمة من الله اي مصدقا بعيسى عليه جميع المفسرين واهل
التاويل الا ما حكي عن ابي عبيدة انه قال بكتاب الله كما يقولون انشدت كلمة فلان اي قصيدته وان طالت وانما سمي المسيح كلمة الله لانه حصل بكلمة الله من
غير اب وقيل انما سمي المسيح كلمة الله لان الناس يهتدون به كما اهتدوا بكلام الله كما سمي روح الله لان الناس كانوا يحيون به في اديانهم كما يحيون بارواحهم وكان
يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكلف التصديق به وكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احد معجزات عيسى واقوى الاسباب لاظهار امره
فان الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده وسيدا في العلم والعبادة عن قتادة وقيل في الحلم والتقى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن
ابن عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيد المؤمنين بالرياسة عليهم عن الجبائي والجميع
يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لتمليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الاحوال وحصورا وهو الذي لا ياتي النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن
وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ومعناه انه يحصر نفسه عن الشهوات اي يمنعها وقيل الحصور الذي لا يدخل في اللعب والاباطيل عن المبرد وقيل هو العنين
عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء لانه عيب وذم ولان الكلام خرج مخرج المدح ونبيا من الصالحين اي رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الانبياء
لان الانبياء كلهم كانوا صالحين وفي هذه الاية دلالة على ان زكريا انما طلب الولد لما راى تلك المعجزات وهو ان كان عالما بانه يقدر على ان يخلق الولد من
العاقر فقد كان يجوز ان يفعل ذلك لبعض التدبير فلما راى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير حينها قوي ظنه في انه يفعل ذلك اذا اقتضته المصلحة كما ان ابراهيم
وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الموتى سال ذلك مشاهدة ليتأكد معرفته وفيها دلالة على ان الولد الصالح نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره
قوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء آية اللغة العاقر من الرجال الذي لا يولد له من
النساء التي لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا فهي عاقر قال ابو عبيدة عاقر مثل ذات رحم ... والعقر دية فرج المرأة اذا غصبت نفسها ببضعه العقر من
بضعه والعقر محلة القوم والعقر اصل كل شيء ويقال غلام بين الغلومة وبين الغلومية وهو الشاب من الناس والغلمة والاغتلام شدة طلب النكاح وسمي الغلام
غلاما لانه في حال يطلب في مثلها والغيلم منبع الماء من الآبار لانه طلب الظهور المعنى قال زكريا يا رب لله عز وجل او لجبرئيل انى يكون اي من اين يكون
وقيل كيف يكون لي غلام اي ولد وقد بلغني الكبر اي اصابني الشيب ... وانما جاز ان يقول بلغني الكبر لان الكبر بمنزلة الطالب فهو ياتيه بحدوثه
فيه والانسان ايضا ياتي الكبر بمرور السنين عليه لو قلت بلغني البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لان البلد لا ياتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن
عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة وامرأتي عاقر اي عقيم لا تلد فان قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله بان
يهب له ذرية طيبة بعد ان دعاه قيل انما ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد ايعطيهما الله اياه وهما على ما كانا عليه من الشيب ام يردهما
الى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن ويحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه الولد من امرأته العجوز ام من امرأة اخرى شابة فقال الله كذلك
تقديره كذلك الامر الذي انتما عليه على تلك الحال الله يفعل ما يشاء معناه يرزقكما الله الولد منها فانه هين عليه كما انشأكما ولم تكونا شيئا فانه تعالى قادر
يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه اخر وهو انه انما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله تعالى والتعجب الذي يحصل للانسان عند ظهور آية عظيمة كمن يقول لغيره
كيف سمحت نفسك باخراج ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب من انه كيف اجاب الله الى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك
ومن زعم انه انما قال ذلك للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان اذ خيلت اليه ان النداء كان من غير الملائكة فقد اخطأ لان الانبياء لا بد ان يعرفوا
الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز ان يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام قوله تعالى قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا

تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ايتها الاعراب في وزن اية ضرب ثلثة اقوال احدها فعلة الا انه شذ من جهة اعلال العين مع كون اللام علة وانما القياس في مثله اعلال اللام نحو حوة ونواة ونظيرها راية وغاية والثاني فعلة بتحريك العين الا انها قلبت كراهة التضعيف نحو طائي من طي والثالث فاعلة منقوصة قال علي بن عيسى هذا ضعيف لان تصغيرها ايية ولو كانت فاعلة لقالوا اوية الا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجب والعين واليد والاول اغلب قال جوية بن عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير والعشي من حين زوال الشمس الى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الفيء من برد العشي يذوق والعشاء من لدن غروب الشمس الى ان يولي صدر الليل والعشاء طعام العشي والعشا مقصور ضعف العين واصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى واصله التعجيل يقال بكر وبكر يبكر بكورا ومنه الباكورة المعنى ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة شكرا وقيل ليتعجل السرور بعد حين فقال رب اجعل لي اية اي علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة في امساكه عن الكلام الا ايماء من غير آفة حدثت فيه بقوله قال ايتك الا الله ويحتمل ان يكون المراد قال جبرئيل ايتك اي علامتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا اي ايماء عن قتادة وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا عن عطا واذكر ربك كثيرا اي في هذه الايام الثلاثة ومعناه انما منع من الكلام عقوبة لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح له وذلك ابلغ في الاعجاز وسبح اي نزهه تعالى واراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل كما يقال فرغت من سبحتي اي صلاتي بالعشي والابكار في اخر النهار واوله قوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ايتان المعنى لما تقدم ذكر امرأة عمران وفضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال واذ قالت الملائكة اي هذه معطوفة على اذ في قوله اذ قالت امرأة عمران او يكون معناه اذكر اذ قالت الملائكة وقيل يعني جبرئيل وحده ان الله اصطفاك اي اختارك والطف لك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفاك لولادة المسيح عن الزجاج وطهرك بالايمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهرك من الادناس والاقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل طهرك من الاخلاق الذميمة والطبائع الرديئة واصطفاك على نساء العالمين اي على نساء عالمي زمانك لان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى ابيها وبعلها وابنيها سيدة نساء العالمين وهو قول ابي جعفر وقد روي عن النبي انه قال فضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم على نساء العالمين قال ابو جعفر معنى الاية اصطفاك من ذرية الانبياء وطهرك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل يحتج بهذا من لم يكن تكرير الاصطفاء اذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين يا مريم اقنتي لربك اي اعبديه واخلصي له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه اديمي الطاعة له عن قتادة وقيل اطيلي القيام في الصلوة عن مجاهد واسجدي واركعي مع الراكعين اي كما يعمل الساجدون والراكعون لا ان تكوني معهم انما ان تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة وقدم السجود على الركوع لان الواو لا توجب الترتيب فانها في الاشياء المتغايرة نظيرة التثنية في المتماثلة وانما يوجب الجمع والاشتراك وقيل معناه واسجدي لله شكرا واركعي اي وصلي مع المصلين وقيل معناه صلي في الجماعة عن الجبائي قوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اللغة الانباء الاخبار الواحد نبأ والايحاء هو القاء المعنى الى الغير على وجه يخفى والايحاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه اي ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وقوله بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنى ما اراد منها قال العجاج اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت والايحاء الايماء قال فاوحى الينا والانامل رسلها ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اشار اليهم والوحي الكتابة قال رؤبة لقدر كان وحاه الواحي وقال ذو الرمة سوى [illegible] موحيه والقلم الذي يكتب به والقلم الذي يجال بين القوم كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قص الظفر ومقالم الرمح كعوبه واصله قطع طرف الشيء الاعراب قال ابو علي اذ في قوله اذ يلقون متعلق بكنت واذ في قوله اذ قالت الملائكة يتعلق بيختصمون ويجوز ايضا ان يكون متعلقا بكنت كانه قال وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة وهذا انما يجوز عندك اذا قدرت اذ الثانية بدلا من الاولى فان لم تقدره هذا التقدير لم يجز وانما يجوز البدل في هذا اذا كان وقت خصامها وقت قول الملائكة ليكون البدل المبدل عنه المعنى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى من انباء الغيب من اخبار ما غاب عنك وعن قومك نوحيه اليك اي نلقيه عليك معجزة وتذكيرا وتبصيرا وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه انه غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه بدراسة الكتب الا بالتعلم او الوحي والنبي لم يشاهد هذه القصص ولا قراها من الكتب ولا تعلمها اذ كان نشوه بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب فوضح ان الله اوحى اليه بها وفي ذلك صحة نبوته وما كنت يا محمد لديهم عندهم اذ يلقون اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية في الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم قداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ايهم يكفل مريم وفيه حذف اي لينظروا ايهم تخرج قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب من الله نبيه من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بامرها عن قتادة وقيل هو تعجب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة التي لحقتهم حتى وفق خير الكفلاء لها زكريا وما كنت لديهم اذ يختصمون فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها الى حد الخصومة وفي وقت التشاح قولان احدهما حين ولادتها وحمل امها اياها الى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها هذا قول الاكثر وقال بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الاية دلالة على ان للقرعة مدخلا في تمييز الحقوق وقد قال الصادق ما تقارع قوم ففوضوا امورهم الى الله تعالى الا اخرج سهم المحق وقال اي قضية اعدل من القرعة اذا فوض الامر الى الله تعالى يقول فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر اول من سوهم عليه مريم ابنة عمران ثم تلا وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم الاية والسهام ستة ثم استهموا في يونس لما كان

بينهم

عبد المطلب لله لتسعة بنين فنذر في العاشر ان يرزقه الله غلاما ان يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر ان يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه فجاء بعشر من الابل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما ان خرجت مائة خرجت السهام على الابل فقال عبد المطلب ما انصفت ربي فاعاد السهام ثلاثا فخرجت على الابل فقال الان علمت ان ربي قد رضي فنحرها قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ايتان القراءة قد ذكرنا الاختلاف في يبشرك والقول فيه اللغة المسيح قيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقذار وطهر والمسيح الذي احد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب لذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح بكسر الميم وتشديد السين نحو الشرير الدجال عن ابرهيم النخعي ولكنه غير قال الشاعر اذا المسيح يقتل المسيحا والوجيه الكريم على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسئلة فيرد فيقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله وجاهة عند الناس وجاه اي منزلة وقيل الكهل ما بين الشاب والشيخ ومنه اكتهل النبت اذا طال وقوي والمرأة كهلة قال الشاعر ولا اعود بعدها كريا امارس الكهلة والصبيا ومنه الكاهل ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلثين سنة الاعراب وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد وجيها ويكلم في موضع النصب ايضا على الحال عطفا على وجيها وجاز ان يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعة يفعل فاعلا قال الشاعر بات يغشيها بعضب باتر يقصد في اسوقها وجائر وكهلا حال من يكلم المعنى اذ قالت الملائكة قال ابن عباس يريد جبرئيل يا مريم ان الله يبشرك يخبرك بما يسرك بكلمة منه فيه قولان احدهما ان المسيح سمي كلمة عن ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وانما سمي بذلك لانه كان بكلمة من الله تعالى من غير والد وهو قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه الاية وقيل سمي بذلك لان الله بشر به في الكتب السابقة كما يقول الذي يخبرنا بالامر اذا خرج موافقا لامره قد جاء كلامي فمما جاء من البشارة به في التورية اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح وقيل لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد اسمه المسيح والاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد الى الكلمة لانه واقع على مذكر فذهب الى المعنى واختلف في انه لم سمي المسيح فقيل لانه مسح بالبركة واليمن عن الحسن وسعيد وقيل لانه مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لانه مسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الانبياء تمسح به عن الجبائي وقيل لانه مسحه جبرئيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لانه كان يمسح رأس اليتامى لله وقيل لانه كان يمسح عين الاعمى فيبصر عن الكلبي وقيل لانه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برئ عن ابن عباس في رواية عطا والضحاك وقال ابو عبيدة هو بالسريانية مشيحا فعربته العرب عيسى ابن مريم نسبه الى امه ردا على النصارى قولهم المسيح ابن الله وجيها في الدنيا بالنبوة والجاه وعلو المنزلة والاخرة ومن المقربين الى ثواب الله وكرامته ويكلم الناس في المهد اي صغيرا والمهد الموضع الذي يمهد لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية ووجه كلامه في المهد انه تبرئة لامه مما قذفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه وكهلا اي ويكلمهم كهلا بالوحي الذي ياتيه من الله اعلمها الله تعالى انه يبقى الى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى بما كان فيه من التقلب في الاحوال لان ذلك مناف لصفة الاله ومن الصالحين اي وهو من النبيين مثل ابراهيم وموسى قيل ان المراد بالاية ويكلمهم في المهد دعاء الى الله وكهلا بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال وذلك لانه رفع الى السماء وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وذلك قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي ظهور المعجزة في المهد قولان احدهما انها كانت مقرونة بنبوة المسيح لانه تعالى اكمل عقله في تلك الحال وجعله نبيا واوحى اليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التأسيس والارهاص لنبوته عن ابن الاخشيد ويجوز عندنا الوجهان ويجوز ايضا ان يكون معجزة لمريم تدل على طهارتها وبراءة ساحتها اذ لا مانع من ذلك وقد دلت الادلة الواضحة على جوازه وانما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه اية معجزة لان في ذلك ابطال لمذهبهم لانه قال اني عبد الله وهذا ينافي قولهم انه ابن الله فاستمروا على تكذيب من اخبر انه شاهد ذلك قوله تعالى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اية الاعراب فيكون ههنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للامر الذي هو كن لان الجواب يجب بوجوب الاول نحو ائتني فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فيقوم لانه يكون على تقدير قم فانك ان تقم تقم وهذا لا معنى له ولكن لو جعل الرفع على الاخبار بانه سيقوم ويجوز في قوله ان نقول له كن فيكون النصب عطفا على نقول المعنى قالت مريم رب انى يكون اي كيف يكون لي ولد لم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا واستنكارا بل انما قالت استفهاما واستعظاما للقدرة لان في طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسها بشر او يقدر لها زوجا ثم يرزقها الولد على وجه العادة قال كذلك الله يخلق ما يشاء اي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهو حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك الولد وانت على هذه الحالة لم يمسك بشر اذا قضى امرا اي خلق امرا وقيل اذا قدر امرا فانما يقول له كن فيكون فيه معناه قولان احدهما انه اخبار بسرعة حصول مراد الله في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف سبب ولا اداة وانما كنى بهذا اللفظ لانه لا يدخل في وهم العباد شيء اسرع من كن فيكون والاخر انه هذه الكلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد احداثه وايجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار وانما استعمل لفظة الامر فيما ليس بامر هنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل المامور في انه لا كلفة فيه على الامر قوله تعالى ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ايتان عد اهل الكوفة التورية والانجيل اية ولم يعد ابو بشر بني اسرائيل لتكن الاية

بان

بان القنوح وعد عزيرهم بني اسرائيل ولم يعدوا الا بخلل طلبوا تمام صفة المسيح لان تقديره ومعلما ورسولا **القراءة** قرء اهل المدينة وعاصم ويعقوب
وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون وقرء نافع انى اخلق بكسر الالف والباقون انى بالفتح وقرء اهل المدينة ويعقوب طائرا وفي سورة المائدة وابو جعفر كهيئة
الطائر فيهما والباقون بغير الف **الحجة** من قرء ويعلمه عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرء ونعلمه جعله على نحو نحن نقدر فابعثكم الموت ومن فتح انى
اخلق جعلها بدلا من اية كانه قال وجئتكم باني اخلق لكم ومن قرء بالكسر احتمل وجهين احدهما الاستيناف وقطع الكلام مما قبله والاخر انه فسر الاية بقوله انى
اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد الله الذين امنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل بقوله كمثل آدم بقوله خلقه من تراب فهذا الوجه حسن لانه في المعنى كمن فتح وابدل
من اية ومن قرء طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فافرد لذلك واراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا
كل واحد منهم **اللغة** الحكمة والحكم بمعنى ونظيرهما الذلة والذل والطين معروف وطينت الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه به وطنت البيت طينا والهيئة
الحال الظاهرة هياء فلان يهيأ هيئة والنفخ معلوم معروف ونفخ ينفخ نفخا والنفاخة للماء والكمه العمى قال سويد بن ابي كاهل كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى
نفسه لما نزع ولا تدخار الافتعال من الذخر وجوز النحويون يذخرون ما بذال **الاعراب** موضع ويعلمه يحتمل ان يكون نصبا بالعطف على وجيها ويحتمل ان يكون
لا موضع له من الاعراب لانه عطف على جملة لا موضع لها من الاعراب يعني قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف على نوحيه اليك هذا لا يجوز
لانها تخرج من معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقديره ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفا على وجيها
الا انه في ذلك الوقت يكون رسولا بمعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج المعنى يكلمهم رسولا اني قد جئتكم ولو قرئ بالكسر اني قد جئتكم لكان صوابا
والمعنى يقول اني قد جئتكم وموضع اني اخلق لكم يحتمل ان يكون جرا ونصبا ورفعا فالخفض على البدل من اية والرفع على ما ذكرناه قبل بما تأكلون جاز ان يكون
ما هنا بمعنى الذي اي بما تأكلونه وما تدخرونه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي انبئكم بأكلكم وادخاركم والاول اجود **المعنى** ويعلمه الكتاب اي الكتابة
عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وسائر الناس جزءا وقيل اراد به بعض الكتب انزلها الله تعالى على انبيائه سوى التورية والانجيل مثل
الزبور وغيره عن ابي علي الجبائي وهو اليق بالظاهر والحكمة اي الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روي عن النبي انه قال اوتيت القرآن ومثله قال او
اراد بذلك جميع ما علمه من اصول التورية ولا يجمل ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما في الحكمة قيل تنبيها عن جلالة موقعهما كقوله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال وقطع هنا قصة مريم وولادتها واتي تمام قصتها في سورة مريم وابتدأ بقصة عيسى فقال ورسولا الى بني اسرائيل وقد ذكرنا
تقديره ومعناه ويقول عليه اني قد جئتكم اي قال لهم وكلمهم لما بعثه اليهم باني قد جئتكم باية اي بدلالة وحجة من ربكم دالة على نبوتي ثم حذف الباء ووصل
الفعل اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير معناه وهذه الاية اني اقدر لكم واصور لكم من الطين مثل صورة الطير فانفخ فيه اي في الطير المقدر من الطين
وقال في موضع اخر فيها اي في الهيئة المقدرة فيكون طيرا باذن الله وبقدرته وقيل بامر الله تعالى وانما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله
لان تصوير الطير والنفخ فيه مما دخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طيرا حيا يكون لحما ودما وخلق الحيوة فيه فمما لا يقدر عليه غير الله فقال باذن الله
ليعلم انه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى وقيل انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة
وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدي والابرص الذي به وضح وقال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الخمسين الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم
يطق اتاه عيسى يمشي اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان واحيي الموتى باذن الله انما اضاف الاحياء الى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولان الله
تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه وقيل انه احيا اربعة انفس لعازر وكان صديقا له وكان قد مات قبل ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره ثم
قال اللهم رب السماوات السبع ورب الارضين السبع انك ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم باني احيي الموتى فاحي عازر فخرج من قبره وبقي
وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره فنزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع الى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر قيل له اتحييها وقد ماتت امس
فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه بالاسم الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه فقال قد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك
باسم الله الاعظم قال ولم تكونوا تشيبون في ذلك الزمان لان سام بن نوح عاش خمس مائة سنة وهو شاب ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات
الموت فدعا الله ففعل وقال الكلبي كان يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وانما خص عيسى بهذه المعجزات لان الغالب كان في زمانه الطب فاراهم الايات من جنس ما هم
عليه ليكون المعجز اظهر كما ان الغالب لما كان في زمن موسى السحر اتاهم من جنس ذلك بما اعجزهم عن الاتيان بمثله وكان الغالب في زمان نبينا البيان والبلاغة والفصاحة
فاراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون ابلغ في باب الاعجاز بان ياتي كل امة من جنس الانبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون
عن الاتيان بمثله ذلوا اياهم بما لا يمرنون لكان يجوز ان يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون اليه وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في
بيوتكم اي بالذي تأكلونه وتدخرونه وكان يقول للرجل تغديت بكذا وكذا ورفعت الى الليل كذا وكذا ان في ذلك اي فيما ذكرت لكم لاية اي حجة ومعجزة
ودلالة لكم ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة الا لمن آمن بالله لان العلم بالمرسل لا بد ان يكون قبل العلم بالرسول وفي الاية دلالة على
ان عيسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل وقوله اني اخلق لكم يدل على ان جميع العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافا لقول المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله تعالى
قوله تعالى ومصدقا لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم بيان **اللغة** الفرق بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون الا فيما يبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لا يبرهن

ولهذا

ولهذا لا تكون مقلدين للنبي وان كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق للفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب
مصدقا انتصب على الحال في تقديره وجئتكم مصدقا لان اول الكلام يدل عليه نظيره وجئتكم بما يجب من حاله ولا يكون عطفا على وجيها ولا رسولا لقوله لما
بين يدي ولم يقل لما بين يديه قال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذي حرم عليكم كل الذي حرم بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او تعلق بعض النفوس حمامها قال معناه
او تعلق كل النفوس انكر الزجاج ذلك وقال معناه او تعلق نفسي حمامها وخطأ ابو عبيدة من جهتين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثاني انه لا يجوز
تحليل جميع المحرمات لانه يدخل الكذب والظلم والقتل في ذلك المعنى ومصدقا لما بين يدي اي لما انزل قبلي من التورية وما فيه البشارة بي وبمن ارسل قبلي من الانبياء
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم هذا معطوف على معنى قوله مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يديكم من التورية ولاحل لكم كما تقول جئته معتذرا ولاجتلب عطفه
وقيل ان الذي احل لهم لحوم الابل والشروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بني اسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل احل لكم السبت عن
الكلبي وجئتكم باية من ربكم اي بحجة تشهد بصدقي فاتقوا الله في مخالفتي وتكذيبي واطيعون كما امركم الله به ان الله ربي وربكم اي فانا الكلم واياكم ذلك كله
حجة على النصارى في قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبوا الى فانا عبده كما انكم عبيده فاعبدوه وحده هذا صراط مستقيم اي فاستوفيا الكلام في الرب والصراط
المستقيم في سورة الحمد قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثلث ايات **اللغة** الاحساس الادراك بالحاسة والحس القتل لانه يحس بالم الحس
العطف لا حساس الرقة على صاحبه والانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل الحواري الحور وهو شدة البياض ومنه الحوارى من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن
حلزة فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح يعني النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشيء عن مشاهدة هذا حقيقته وقد يتصرف فيه فيقال
البرهان شاهد بحق اي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال شاهد اي معدل للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم اصبر من الشجر مكر لالتفافه والمكورة من
من النساء الملتفة الخلق وحد المكر حب يخدع به العبد لا يقاعه في الضرر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد تكون لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الضرر
بالعبد والمكر حيلة على العبد ليوقعه في مثل الوهق **الاعراب** قيل ان الى بمعنى مع كقولهم الذود الى الذود ابل اي مع الذود قال الزجاج لا يجوز ان يقال ان بعض
الحروف من حروف المعاني بمعنى الاخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع افاد هذا المعنى لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان تقول ذهب
زيد مع عمرو لان الى غاية ومع تضم الشيء الى الشيء والحروف قد تتقارب في الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله تعالى
ولاصلبنكم في جذوع النخل ولو كانت على هنها لادت هذه الفائدة واصل في انما هو للوعاء واصل على الاستعلاء الشيء فقولك التمر في الجراب لو قلت على الجراب
لم يصح لك ولكن جاز في جذوع النخل لان المصلوب يشتمل على المصلوب لانه قد اخذه من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل او في الجبل يصح لان الجبل قد اشتمل على زيد
جاز هذه الحروف **المعنى** فلما احس عيسى اي وجد وقيل ابصر وراى ويقال علم عيسى منهم الكفر وانهم لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الايات والمعجزات
المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرف لما علم اعتقادهم من نصرته فقال من انصاري الى الله وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصاري الى الله وفي قوله
احدها ان معناه من اعواني على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدي وابن جريج والثاني ان معناه من انصاري في السبيل الى الله عن الحسن لانه دعاهم الى الله
والثالث ان معناه من اعواني على اقامة الدين المؤدي الى ثواب الله كقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين ومما يسئل عن هذا ان عيسى انما بعث للوعظ دون
الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للحماية من الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة للتمكين من
اقامة الحجة ولتمييز الموافق من المخالف قال الحواريون واختلف في سبب تسميتهم بذلك على اقوال اولها انهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير وثانيها انهم
كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن ابي نجيح عن ابي ارطاة وثالثها انهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس والسدي ورابعها انهم كانوا خاصة الانبياء
عن قتادة والضحاك وهذا اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم كانه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الابيض بالتحوير ويروى عن النبي انه قال الزبير ابن عمتي وحواريي
من امتي وقال الحسن الحواري الناصر والحواريون الانصار وقال الكلبي وابو روق الحواريون اصفياء عيسى كانوا اثني عشر رجلا وقال عبد الله بن المبارك
سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال تعالى سيماهم في وجوههم نحن انصار الله معناه نحن اعوان الله على الكافرين من قومك
اي اعوان دين الله آمنا بالله اي صدقنا بالله انه واحد لا شريك له واشهد يا عيسى بانا مسلمون اي لنا كن شهيدا عند الله تشهد على اسلامنا لان الانبياء شهداء
على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ربنا اي يا ربنا آمنا بما انزلت على عيسى واتبعنا الرسول اي عيسى واتبعناه فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا
الشاهدين لك بجميع ما انزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك وقيل معناه واجعلنا مع محمد وامته عن ابن عباس وقد سماهم الله شهداء بقوله لتكونوا
شهداء على الناس اي مع الشاهدين بالحق عندك هذا كله حكاية قول الحواريين وروي انهم اتبعوا عيسى كانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على
الارض سهلا كان او جبلا فيخرج لكل انسان منهم رغيفين ياكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الارض سهلا كان او جبلا فيخرج ماء
فيشربون قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا
يغسلون الثياب بالكراء وقوله ومكروا يعني كفار بني اسرائيل الذين عناهم الله بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر الاية ومعناه دبروا القتل بعيسى ومكر الله اي جازاهم
على مكرهم وسمى الجزاء على المكر مكرا كما قال الله تعالى الله يستهزئ بهم وجاء في التفسير ان عيسى بعد اخراج قومه اياه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح
فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطئوا على القتل به فذلك مكرهم به ومكر الله بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذي اراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى

السماء فقال ابن عباس لما اراد كفار بني اسرائيل قتل عيسى دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة الى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فالقى الله عليه شبه عيسى فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه لخشبة ليصلبوه فاظلمت الارض وارسل الله الملئكة فحالوا بينه وبينهم فاخذوا رجلا يقال له يهوذا وهو الذي دلهم على المسيح وذلك ان عيسى جمع الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين اليهم فقال ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى لما دخل البيت ورفع عيسى فاخذ فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى اتى على ذلك سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين وتبثهم في الارض دعاة فهبط عليها واشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله سبحانه وتلك الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اي افضل المعاقبين وقيل اقواهم واعلمهم لان مكرهم ظلم ومكره عدل وانتصاف وانما اضاف الله المكر الى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم والثاني ليس باعتداء انما هو جزاء وهذا الحد من البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة كقوله تتقلب فيه القلوب والابصار والمطابقة كقوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون اية الاعراب العامل في اذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذاك اذ قال الله وتمثيله ذاك واقع اذ قال الله ثم حذف واقع وهو العامل في اذ واقيمت اذ مقامه وعيسى موضعه الضم لانه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الاعراب لانه مقصور وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف المعنى لما بين ما هم فيه قوم عيسى من المكر بين ما عقبه بما انعم عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك وقيل في معناه اقوال احدها ان المراد اني قابضك برفعك من الارض الى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم وعلى هذا القول يكون للمتوفى تاويلان احدهما اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اي اخذته تاما والاخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وثانيها اني متوفيك وفاة نوم ورافعك الي في النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله وهو الذي يتوفيكم بالليل اي يميتكم لان النوم اخ الموت وقال الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الاية وثالثها اني متوفيك وفاة موت عن ابن عباس ووهب قالا اماته الله ثلث ساعات فاما النحويون فيقولون هو على التقديم والتاخير اي اني رافعك ومتوفيك لان الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله فكيف كان عذابي ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروي عن الضحاك ويدل عليه ما روي عن النبي انه قال ان عيسى بن مريم لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح عنه انه قال كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في الصحيح فعلى هذا يكون تقديره اني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء وقوله ورافعك الي فيه قولان احدهما اني رافعك الى سمائي وسمي رفعه الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء يعني رافعك الى موضع لا يكون عليك الا امري والاخر ان معناه رافعك الى كرامتي كما قال حكاية عن ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اي الى حيث امرني ربي سمى ذهابه الى الشام ذهابا الى ربه وقوله ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان احدهما مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم بانهم ارجاس جعل مقامه فيما بينهم كالمقام في النجاسة من حيث كان يحتاج الى مجاورتهم ومجانبتهم والاخر ان تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لان ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائي وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه وجاعل الذين امنوا بك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك في العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل في البرهان والحجة والمعني بهم النصارى قال ابن زيد ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا الا اذل من النصارى ولهذا ازال الملك عنهم وان كان ثابتا في النصارى في بلاد الروم وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم الى يوم القيمة وقال الجبائي وفيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيمة كما للروم وقيل المعني به امة محمد وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى اما صورة فانه يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما معنى فلان نبينا كان مصدقا بعيسى وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره انه يتبعه على ان شريعة نبينا وسائر الانبياء متحدة في ابواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له اذا كان في عقد الاعتقاد وقائلا بقوله وهذا القول اوجه لان فيه ترغيبا في الاسلام ودلالة على ان امة محمد يكونون ظاهرين الى يوم القيمة ولان من ادعى الالهية لا يكون في الحقيقة تابعا له ثم الي مرجعكم اي مصيركم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى قوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ثلث ايات القراءة قرء حفص ورويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء والباقون بالنون الحجة من قرء بالنون فهو مثل فاعذبهم ويحسنه قوله ذلك نتلوه عليك من الايات ومن قرء بالياء فلان ذكر الله قد تقدم في قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك وصار من لفظ الخطاب الى الغيبة كقوله فاولئك هم المضعفون بعد قوله وما اتيتم من زكوة الاعراب نتلوه عليك في موضع رفع بانه خبر ذلك ويجوز ان يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذي فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذي نتلوه وقوله من الايات في موضع رفع بانه خبر وانشد في مثله عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق تقديره والذي تحملين طليق المعنى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة عذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل والاسر والسبي والخسف والجزية وكل ما فعل بهم على وجه الاستخفاف

والاهانة وفي الاخرة عذاب الابد في النار وما لهم من ناصرين ينصرونهم اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اي يوفر عليهم ويتمم اجورهم اي جزاء اعمالهم والله لا يحب الظالمين اي لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الاية حجة على من قال بالاحباط لانه سبحانه وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى وغيرهم نتلوه عليك نقرأه عليك ونكلمك به مثل نامر جبرئيل ان يتلوه عليك عن الجبائي من الايات اي من جملة الايات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذ علمتهم بما لا يعلمه الا قارئ كتاب او معلم وليست بواحد منهما فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي والذكر الحكيم القرآن المحكم وانما وصفه بانه حكيم لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلا لانها بمنزلة من يبين لك انها تنطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثلث ايات اللغة المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت تعالى اي جئت واصله المجيء الى ارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهال قولان احدهما انه بمعنى الالتعان افتعل بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا وبهلة الله اي لعنة عليه بهلة الله اي لعنة والاخر انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد نظر الدهر اليهم فابتهل اي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصية ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيمة الاعراب قوله خلقه من تراب لا موضع له من الاعراب لانه لا يصلح ان يكون صفة لادم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا له لانه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ بعلاقة من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لانه خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذلك الاخبار في امر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلالة شاهد الحال عليه كما يقال الهلال والله اي هذا الهلال وقيل الحق مبتدأ وخبره قوله من ربك النزول قيل نزلت الايات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله هل رايت ولدا من غير ذكر فنزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الايات فقرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا محمدا في غد فان غدا بولده واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شيء فلما كان الغد جاء النبي اخذا بيد علي بن ابي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما راى النبي قد اقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه قال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني لارى رجلا جريئا على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقا فان كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الاسقف يا ابا القاسم انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة وقال النبي والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى النبي واهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين واسلما المعنى ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير اب كمثل ادم في خلق الله اياه من غير اب ولا ام فليس هو بابدع ولا اعجب من ذلك فكيف انكروا هذا واقروا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال خلقه اي انشاه من تراب وهذا اخبار عن ادم ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق قبله احدا من الريح كما خلق ادم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب ثم قال له اي لادم وقيل لعيسى كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحا وفي هذه الاية دلالة على صحة النظر والاستدلال لان الله احتج على النصارى ودل على خلق عيسى من غير اب بخلقه ادم من غير اب ولا ام الحق من ربك اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه تاكيدا وتعليلا اي هو الحق لانه من ربك فلا تكن ايها السامع من الممترين وقد مر تفسيره في سورة البقرة فمن حاجك فيه اي من خاصمك وجادلك يا محمد فيه اي في قصة عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي عن قتادة وقيل معناه فمن جادلك في الحق والهاء في فيه عائدة الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا الى كلمة اي هلموا الى حجة اخرى فاصلة تميز الصادق من الكاذب ندع ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابناء رسول الله وان ولد الابنة ابن في الحقيقة وقال ابن ابي علان وهو احد ائمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لان المباهلة لا تجوز الا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام الشرعية وقد كان سنهما في تلك الحال سنا لا يمتنع معها ان يكونا كاملي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات للائمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم به ومما يؤيده من الاخبار قول النبي ابناي هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا اتفقوا على ان المراد به فاطمة لانه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ويعضده ما جاء في الخبر ان النبي قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وقال ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها

وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ونساء الصحابة وعن الشعبي عن مسروق عن عايشة قال
اسر النبي الى فاطمة شيئا فضحكت فسالتها فقالت قال الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة ونساء المؤمنين فضحكت لذلك ...
من نسائكم وانفسنا يعني عليا خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به النبي لانه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه انما يصح ان يدعو غيره ...
انفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي لانه لا احد يدعي دخول غير امير المؤمنين علي ...
على ان ... الفضل ... [illegible]
احتج عن النبي انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعلي فقال انما سالتني عن الناس لم تسالني عن نفسي وقوله لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فانه
مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتى وانا وعلي من شجرة واحدة ... قال جبرئيل ...
[illegible]

اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون بالتوحيد وقيل مسلمون منقادون لما اتى به النبي والانبياء من الله وقيل مقيمون على الاسلام وهذا تاديب من الله
لعبده المؤمن وتعليم له كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل ان مخالفته لا تؤثر في صحة ... على الحق ...
والكثرة قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
والله يعلم وانتم لا تعلمون ... القراءة قرء اهل الكوفة ها انتم بالمد ... وقرء اهل المدينة وابو عمرو ...
... الحجة الكلام ...
ها انتم ... اللغة الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن ما هو حجة او شبهة ... الحجة والجدال هو فتل
الخصم الى المذهب بحجة او شبهة ... الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هي البيان الذي يشهد بصحة المقال ...
[illegible]

وان قربت قرابته وتذكر عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله انتم والله من آل محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلاثا ثم نظر
الي ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول في كتابه ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس
عند قوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون آية اللغة وددت اي تمنيت فلما كان معنى
تمنى صلح للماضي والحال والاستقبال فلذلك جاء بلو وليس كذلك المحبة والارادة لانهما لا يتعلقان الا بالمستقبل فلا يجوز ان يقال ارادوا لو يضلونكم
لان الارادة يجري مجرى الاستدعاء الى الفعل ويجري لعلة في ترتيب الفعل فاما التمني فهو تقدير شيء في النفس يستمتع بتقديره والفرق بين ود لو تضله وبين
ود ان تضله ان ان للاستقبال وليس كذلك لو المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء كما ضلوا دعوا الى الضلال فقال ودت اي تمنت وقيل ارادت طائفة
اي جماعة من اهل الكتاب يعني من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة لو يضلونكم اي يهلكونكم بادخالكم في الضلال ودعائكم اليه ويستعمل الضلال
بمعنى الهلاك نحو قوله اذا ضللنا في الارض معناه هلكنا وبطلت صورنا وما يضلون الا انفسهم معناه لا يرجع وبال اضلالهم الا على انفسهم ولا يلحق
ضرره الا بهم فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من الاديان فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما
يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما يحصل لهم وما يشعرون اي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون بان الله
تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم واضلالهم وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون آيتان الاعراب لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها بالحرف
الجار مع كونه طرفا والدلالة الفتحة عليها وكذلك بم وعم المعنى ثم خاطب الله تعالى الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون بما يتلى عليكم من آيات الله
يعني القرآن وانتم تشهدون اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها من التورية والانجيل لانهما فيهما ذكر النبي والاخبار بصدق نبوته وبيان
صفته وقيل يعني بآيات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني الآيات التي في كتبهم ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وان
الدين هو الاسلام وانتم تشاهدون ذلك وقيل يعني بها ما يتلى عليكم من غرائب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم عن ابي مسلم وقيل يعني بالآيات الحجج الدالة على
نبوة محمد وانتم تشهدون ان ظهور المعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال احدها ان المراد به تحريفهم التورية والانجيل عن الحسن وابن زيد وثانيها ان المراد به اظهارهم
الاسلام وابطانهم النفاق في قلوبهم من اليهودية والنصرانية بما فيها لانهم تداعوا الى اظهار الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره تشكيكا للناس
عن ابن عباس وقتادة وثالثها ان المراد به الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد ورابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا حق بما يظهرونه من تكذيبه
عن الجبائي وابي مسلم وتكتمون الحق ايضا نبوة محمد ما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به وانتم تعلمون انه حق وانما نزلت هذه في طائفة من علمائهم
لان الكتمان انما يجوز على الطائفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وانتم تعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول اصح لان الآية من اللوم على الكتمان
قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء و
الله ذو الفضل العظيم ثلاث آيات القراءة قرأ ابن كثير آن يؤتى احد ممدودا والباقون ان يؤتى بغير مد واستفهام الحجة قال ابو علي من قرأ ان يؤتى احد
فقدره لا تؤمنوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذف الجار من ان كان على الخلاف
يكون في قول الخليل جرا وفي قول سيبويه نصبا فاما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل ان تعلقه بتؤمنوا وانت قد اوصلته بحرف جر فتعلق بالفعل
جارين كما لا يستقيم ان تعديه الى مفعولين اذا كان يتعدى الى مفعول واحد الا ترى ان تعدية الفعل بالجار كتعديته بالهمزة وتضعيف العين فكما لا ينكر وهذا
كذلك لا ينكر الجار فاذا لم يسهل تعلق المفعولين به حملته على المعنى والمعنى لا تقروا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم كما تقول اقررت لزيد بكون
٨١ اللام متعلقا بالمعنى ولا تكون زائدة على حد ان كنتم للرؤيا تعبرون ولكن يتعلق بالاقرار وان شئت حملت الكلام على معنى الجحود فكانه قال اجحدوا الناس الا لمن
تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائدة وقد تعدى آمن باللام في غير هذا قال الله فما آمن لموسى الا ذرية وقال آمنتم له قبل ان آذن لكم وقال يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين فتعديه مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير ان في موضع رفع بالابتداء لانه لا يجوز ان يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره تقرون
به وتعترفون به ونحو ذلك مما دل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا على قول من قال ازيد ضربته ومن قال ازيدا ضربته كان ان عنده في موضع نصب
ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على معنى تذكرون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وتشيعونه ويدل على ذلك قوله تعالى اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فحديثهم بذلك
اشاعة منهم واشاعة بعضهم بعضا بالحديث لما علموه من امر النبي وعرفوه من صفته فهذه الآية في معنى قراءة ابن كثير ولعله عبرها في قراءته اللغة
الطائفة الجماعة وفي اصلها قولان احدهما انه كالرفقة التي من شأنها ان تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع والآخر انها جماعة يستوي بها حلقة يطاف
حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لانه اول ما يواجهك منه كما يقال لاول الثوب وجه الثوب وقيل لانه كالوجه في انه اعلاه واشرفه ومنه قال الربيع بن
زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار النزول قال الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم
لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك

فنظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينه وقالوا انهم اهل الكتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم الى دينكم وقال مجاهد ومقاتل
والكلبي كان هذا في شأن القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالله وبما انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها
اول النهار وارجعوا الى قبلتكم آخره لعلهم يشكون المعنى لما ذكر تعالى صدودا من كيد القوم عقبه بذكر هذه المكيدة الشديدة فقال وقالت طائفة اي جماعة
من اهل الكتاب اي بعضهم لبعض آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا يعنون النبي واصحابه وجه النهار واكفروا آخره واختلف في معناه على اقوال احدها اظهروا
الايمان لهم اول النهار وارجعوا عنه في آخره فانه احرى ان ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة وثانيها آمنوا بصلاتهم الى الكعبة اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعوا
بذلك عن دينهم عن مجاهد وثالثها انهم قالوا اظهروا الايمان في صدر النهار بما سلف لكم من الاقرار بصفة محمد ثم ارجعوا في آخره ليوهموا انه كان قد وقع لكم غلط في
صفته لعلهم يرجعون عن دينهم الاسلام عن ابن عباس وجماعة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اليهودية وقام بشرائعكم وهو عطف على ما مضى واختلف
في معنى الآية على اقوال احدها ان معناه ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والبيان والحجة الا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل انما قال ذلك
يهود خيبر ليهود المدينة لئلا يعترفوا به فيلزمهم العمل به لاقرارهم بصحته وقيل معناه الا لمن تبع الحق الا لمن تبع دينكم وقوله او يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم
فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء كلام الله سبحانه لليهود
وردا عليهم اي قل يا محمد ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم ان ينكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتوا وهذا معنى قول الحسن وابي علي الفارسي
وثانيها ان يكون قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده من الله ويكون معناه قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ايها المسلمون كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اي لان لا تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم لانه لا حجة لهم ويكون هدى الله بدلا من الهدى والخبر ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولكن لا اضافة
هنا معلومة فحذف الاول واقيمت الثانية مقامه هذا قول السدي وابن جريج وقال ابو العباس المبرد ان لا ليست مما يحذف ههنا المعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي ممن خالف دين الله الاسلام لان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله يبين الله لكم كراهة
ان تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى الى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من النبوة او ان يحاجوكم بذلك عند ربكم
ان لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائي وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما امر الله به ثم فسر الهدى فقال ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
فالمؤتى هو الشرع وما يحاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به العقل في هذا ربعة اقوال ورابعها ان يكون الكلام من اول الآية
الى آخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون الا لمن تبع دينكم وهو دين الاسلام ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين فلا نبي بعد نبيكم
ولا شريعة بعد شريعتكم الى يوم القيامة ولا تصدقوا بان يكون لاحد حجة عليكم عند ربكم لان دينكم خير الاديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يكون
الآية كلها خطابا للمؤمنين من الله تعالى عند تلبيس اليهود عليهم لئلا يرتابوا ويدل عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا
فبين الله تعالى انهم هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله ان الفضل بيد الله قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي اوتيها محمد ومن معه وقيل
نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله اي في ملكه وهو القادر عليه العالم بمحله يؤتيه من يشاء الفضل بيد الله قيل يريد به النبوة وفي هذه الآية دلالة على ان
النبوة ليست بمستحقة وكذلك الامامة لان الله سبحانه علقه بالمشية والله واسع رحمته جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم بمصالح الخلق وقيل
يعلم حيث يجعل رسالته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الآيات معجزة باهرة
لنبينا اذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها الا علام الغيوب وفيها دفع لكائدهم ولطف للمؤمنين في الثبات على عقائدهم قوله تعالى ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين آيتان القراءة قرأ حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء وروى
مثله عن ابي عمرو وقرأ ابو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب ابي عمرو والباقون بالكسر والاشباع الحجة اما سكون الهاء فان
اكثر النحويين على انه لا يجوز وغلط الزجاج الراوي عنه عن ابي عمرو وقال حكى سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا قال الفراء هذا
مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقمتم واما الاختلاس فانه للاكتفاء بالكسرة عن الياء واما الاشباع
فعلى الاصل اللغة القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في اول السورة والدينار اصله دنّار بنونين فقلبت احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا
للخفة وجمعه دنانير ودمت تدوم ودمت لغتان مثل مت وتموت ومت ولكن من كسر الدال والميم قال في المضارع تمات تدام وهي لغة ازد السراة وفي قوله في لغة
اهل الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت الاعراب الفرق بين ان تقول تأمنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى
على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه بلى يحتمل معنيين احدهما الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول
وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده مكتفية بنحوها كما تقول لما قام زيد فيقال بلى اي بلى قد قام زيد قال الزجاج ههنا وقف تام ثم استأنف من اوفى لانهم لما قالوا
ليس علينا في الاميين سبيل قيل بلى اي بلى عليهم سبيل الثاني الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه لا يكون مكتفية والفرق بين بلى
ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب وانما جازت الامالة في بلى لمشابهتها الاسم من جهتين احدهما انه يوقف عليها كما يوقف على الاسم والآخر انها على ثلاثة حروف
كذلك نحو الف لا في الامالة النزول عن ابن عباس قال يعني بقوله من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الف ومائتي اوقية من ذهب فاداه

فان النبوة والامامة ليست الا بالنص والمراد ...

فيه وعد وعيد سبحانه ويعني بقوله ومن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك فنحاص بن عازوراء وذلك أن رجلاً من قريش استودعه ديناراً فخانه وقيل بعض النصارى ومن لا يؤدي الأمانة النصارى والذين لا يؤدونها اليهود والمعنى ثم ذكر سبحانه معايب القوم وأن فيهم من يخرج عن العيب فقال ومن أهل الكتاب من إن تأمنه أي تجعله أميناً على قنطار أي مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التي مضى ذكرها في أول السورة يؤده إليك عند المطالبة ولا يخون فيه ومنهم من إن تأمنه بدينار أي على ثمن دينار والمراد أن تجعله أميناً على قليل من المال لا يؤده إليك عند المطالبة وهم كفار اليهود بالإجماع إلا ما دمت عليه قائماً معناه إلا أن تلازمه وتتقاضاه عن الحسن وابن زيد وقيل إلا أن تدوم قائماً بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل إلا ما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه والملازمة له عن السدي قال ما دمت قائماً على رأسه وقيل قائماً أي ملحاً عن ابن عباس ذلك أي ذلك الاستحلال والخيانة بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل هي إشارة لما فعلوه أي كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة ويميلون إلى الخيانة أي قالت اليهود ليس علينا في أموال العرب التي أصبناها سبيل لأنهم مشركون عن قتادة والسدي وقيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذي عاملناهم عليه وذلك أنهم عاملوا جماعة منهم ثم أسلم من له الحق وامتنع من عليه الحق من أداء الحق وقالوا إنما عاملناكم وأنتم على ديننا فإذا فارقتمونا سقط حقكم وادعوا أن ذلك في كتبهم فأكذبهم الله في ذلك بقوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم يكذبون لأن الله أخبرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج وإنما سموهم أميين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكة وهي أم القرى ثم إن الله تعالى رد عليهم قولهم فقال بلى وفيه نفي لما قبله وإثبات لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك ولا أحبه ولا أراده بل أوجب الوفاء بالعهد وأداء الأمانة من أوفى بعهده يحتمل أن يكون الهاء في بعهده عائدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب فيكون معناه بعهد الله وعهد الله أي عباده أمره ونهيه ويحتمل أن يكون عائدة إلى من ومعناه من أوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تارة إلى العاهد وتارة إلى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد فإن الله يحب المتقين معناه فإن الله يحبه إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين ليبين الصفة التي يجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكأنه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب اليهود وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لما قرأ هذه الآية قال كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعنه قال ثلث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وعنه قال من ائتمن على الأمانة فأداها ولو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء قوله تعالى إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم النزول نزلت في جماعة من أحبار اليهود أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف كتموا ما في التوراة من أمر محمد وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم المآكل والرشا التي كانت لهم على أتباعهم عن عكرمة وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآية نكل الأشعث واعترف بالحق ورد الأرض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يميناً فاجرة في تنفيق سلعته عن مجاهد والشعبي المعنى ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الخبيثة فقال إن الذين يشترون بعهد الله أي يستبدلون بأمر الله وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله ونقضه وبأيمانهم الكاذبة ثمناً قليلاً أي عوضاً نزراً وسماه قليلاً لأنه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب وقيل العهد ما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانقياد للحق أولئك لا خلاق لهم أي لا نصيب وافر لهم في نعيم الآخرة ولا يكلمهم الله فيه قولان أحدهما أنه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائي والآخر أنه لا يكلمهم أصلاً وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بأمر الله إياهم استهانة بهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل للغير انظر إلي يريد ارحمني وفي هذا دلالة على أن النظر إذا عدي بحرف إلى لا يفيد الرؤية لأنه لا يجوز حمله هاهنا على أنه لا يراهم بلا خلاف ولا يزكيهم أي لا يطهرهم وقيل لا ينزلهم منزلة الأزكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بأنهم أزكياء ولا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفرة فجرة عن القاضي ولهم عذاب أليم مؤلم موجع وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أخيه المسلم لقي الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية وذكر مسلم بن الحجاج في الصحيح بإسناده من عدة طرق عن أبي ذر الغفاري عن النبي قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منّه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان أورده مسلم في الصحيح قوله تعالى وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون اللغة أصل اللي الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها ومنه لويت الغريم ليّاً وليّاناً إذا مطلته حقه قال الشاعر تطيلين ليّاني وأنت مليّة وتحسن يا ذات الوشاح التقاضيا [illegible] والألسنة جمع اللسان على التذكير كحمار وأحمرة ويقال اللسن على التأنيث [illegible] الإعراب لفريقاً نصب بأنه اسم إن واللام للتأكيد دخلت على الاسم إذا كان مؤخراً ولا يجوز أن تلي إن لئلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاء القوم كلهم أجمعون فكل تأكيد للقوم وأجمعون تأكيد للكل النزول قيل نزلت في جماعة من أحبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله من نعت النبي وغيره وأضافوه إلى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود في قصة الرجم وغيره في التوراة والإنجيل حرفوا كتاب الله بتفسير بعض الحروف بما ليس منه وأسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس المعنى وإن منهم أي من أهل الكتاب هو عطف على قوله ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار لفريقاً أي طائفة يلوون ألسنتهم بالكتاب معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به عن القصد بألسنتهم فجعل تحريف الكلام عن جهته لياً باللسان وهذا معنى قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع وقيل يفرقونه [illegible] لتحسبوه من الكتاب أي لتظنوه

أيها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وكما لا يجوز أن في هذا دليل على أن المعاصي ليست من عند الله ولا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده وإن قالوا إنها من عنده خلقاً وليست من عنده [illegible] أصل الجواب لو كانت كذلك لكانت من عنده على آكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفي بأنها ليست من عند الله وكما لا يجوز أن يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لإطلاق النفي بأنه ليس من عند الله ويقولون على الله الكذب في نسبتهم ذلك إلى الكتاب وهم يعلمون أن ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب قوله تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون القراءة قرأ ابن عامر وأهل الكوفة تعلّمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرأ عاصم غير الأعشى والبرجمي وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا يأمركم بنصب الراء والباقون بالرفع الحجة حجة من قال تعلّمون بالتشديد أن التعليم أبلغ في هذا الموضع لأنه إذا علّم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع [illegible] الله بتركه عمله داخلاً في جملة من وبخ بقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وحجة من قرأ تعلمون أن العالم الدارس قد يدرك بعلمه ودرسه ما يكون بالعمل [illegible] العالم المعلم في تدريسه من قرأ ولا يأمركم فعلى القطع من الأول ولا أراد ولا يأمركم الله ومن نصبه فعطف على قوله وما كان لبشر أن يأمركم أن تتخذوا ومما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود ولن يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول ومما يقوي النصب ما جاء في السير أن اليهود قالوا للنبي يا محمد أتريد أن نتخذك رباً فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم قال ولا أن يأمركم اللغة البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا خلق وهؤلاء خلق وإنما وقع المصدر على القليل والكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء والتراب ونحوه والرباني هو الذي يرب أمر الناس بتدبيره له وإصلاحه إياه يقال رب فلان أمره ربابة وهو رابّ إذا دبره وأصلحه ونظيره نعس ينعس فهو نعسان وأكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل نحو [illegible] العالم رباني لأنه بالعلم يدبر الأمر ويصلحه وقيل إنه مضاف إلى علم الرب وهو علم الدين الذي يأمر به إلا أنه غير في الإضافة ليدل على هذا المعنى كأنه في الإضافة إلى البحر بحراني وكما يقال للعظيم الرقبة رقباني وللعظيم اللحية لحياني فقيل لأصحاب الدين الذي أمر به الرب رباني النزول قيل إن أبا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى نجران قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك إلهاً فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله الآية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل إن رجلاً قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآية المعنى لما تقدم ذكر أهل الكتاب وأنهم أضافوا ما يستحيون منه إلى الأنبياء نزههم الله عز وجل عن ذلك فقال ما كان لبشر يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً وما كان لنا أن نتكلم بهذا أي ما ينبغي وقيل معناه لا يجوز لبشر ولا يحل له أن يؤتيه الله أن يعطيه الله الكتاب والحكم والعلم والنبوة أي الرسالة إلى الخلق ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله أي اعبدوني من دونه أو اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الأنبياء الذين خصهم الله برسالته واجتباهم لنبوته وأنزل عليهم كتبه وجعلهم حكماء علماء أن يدعوا الناس إلى عبادتهم وإنما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي عن مثل هذا القول لا على وجه النهي وقوله عباداً هو من العبادة قال القاضي وعبيد بخلافه لأنه بمعنى العبودية ولا يمتنع أن يكونوا عبيداً لغير الله ويمتنع أن يكونوا عباداً لغيره ولكن كونوا ربانيين فيه حذف أي لا ينبغي لهذا النبي أن يقول للناس ذلك ولكن ينبغي أن يقول لهم كونوا ربانيين وفيه أقوال أحدها أن معناه كونوا علماء فقهاء عن علي وابن عباس والحسن وثانيها كونوا علماء حكماء عن قتادة والسدي وابن أبي رزين وثالثها كونوا حكماء أتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها كونوا مدبري أمر الناس في الولاية بالإصلاح عن ابن زيد وخامسها كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال نفعنا فلان أي من ماله عن الزجاج وروي عن النبي أنه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك إلا ولله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال أبو عبيدة سمعت عالماً يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وما كان وما يكون قال أبو عبيدة لم تعرفها العرب الربانيين وإنما عرفها لأن القرآن نزل بلغتهم وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الأمة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل بما كنتم تعلمون الكتاب أي القرآن وبما كنتم تدرسون أي تفقهون ومن قرأ بالتشديد أراد تعلمونه سواكم فيفيد أنهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء في قوله بما كنتم تعلمون لأحد ثلاثة أشياء إما أن يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقول انفعوهم بما لكم أو يريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء موقع في أو يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفة عالم رباني على جهة المدح بأن تعملوا بما علمتم وذلك لأنه إنما يستحق الوصف بأنه عالم إذا عمل بعلمه ويدل عليه قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء ولا يأمركم أي ولا يأمركم الله عن الزجاج وقيل ولا يأمركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يأمركم عيسى ومن نصب الراء عطفه على أن يؤتيه الله فمعناه ولا كان لهذا النبي أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أي آلهة كما فعلته الصابئون والنصارى أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ألف إنكار وأصله الاستفهام وإنما استعمل في الإنكار لأنه مما لو أقر به المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السؤال وإن لم يكن الغرض منه الجواب ومعناه أن الله تعالى إنما يبعث النبي ليدعو الناس إلى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين إلى الكفر قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون آيتان القراءة قرأ حمزة وحده لِما آتيتكم بكسر اللام والباقون بفتحها وقرأ نافع آتيناكم على الجمع والباقون آتيتكم على التوحيد الحجة الوجه في قراءة حمزة لِما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كأن المعنى أخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولة والعائد إلى الموصول من الجملة المعطوفة على صلته وهي قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر بمنزلة المضمر وهي قوله ما معكم لأنه بمنزلة لما أوتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون

مثل

مثل قوله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لانه في معنى لا نضيع اجرهم ويجوز ان يكون ما على هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام وقال لما آتيتكم فان ما فيه يحتمل تأويلين احدهما ان يكون موصولة والآخر ان يكون للجزاء فمن قدر ما موصولة فالقول فيها يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول مما تقدم ذكره في قراءة حمزة واما الراجع الى الموصول من الجملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه واللام في لما فيمن قدرها موصولة لام ابتداء وهي المتلقية لما اجري مجرى القسم من قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف والمعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود الى الذي آتيتكموه الذي هو المبتدأ ونحوه قولك لعبد الله والله لتأتينه والذكر الذي في لتنصرنه يعود الى رسول الله المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب بآتيتكم وآتيتكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم بالعطف على آتيتكم واللام الداخلة على لما آتيتكم لا تكون المتلقية للقسم لكن يكون بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون المتلقية للقسم قوله لنغرينك بهم كما انها في قوله لئن لم ينته المنافقون قوله لنغرينك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها تارة كما قال وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا فيلحق هذه اللام ان مرة ولا تلحق اخرى كما ان كذلك في قوله والله ان لو فعلت لفعلت ووالله لو فعلت لفعلت المعنى لما تقدم ذكر النبيين عقبه تعالى بذكر نبينا وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ اخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت الملائكة وقيل عن امير المؤمنين وابن عباس وقتادة ان الله اخذ الميثاق على الانبياء قبل نبينا ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه وقال طاوس اخذ الله الميثاق على الانبياء على الاول والآخر فاخذ الله ميثاق الاول لتؤمنن بما جاء به الآخر وقال الصادق تقديره واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وقوله لما آتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما

وقيل موصولة فتقديره للذي آتيتكموه اي اعطيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول اي نبي يعني محمدا مصدق لما معكم اي لما آتيتكم من الكتب لتؤمنن به اي لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه او يريد لتؤمنن بالذي آتيتكموه ولتنصرن الرسول وعلى هذا يكون المعنى انما اخذ الميثاق على الانبياء ليصدق بعضهم بعضا ويأمر بعضهم بالايمان ببعض فيكون النصرة بالتصديق والحجة وهو المروي عن الحسن وسعيد بن جبير وطاوس واذا كانت ما للجزاء فتقديره اي نبي آتيتكم ومهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط هو ايتاؤه اياهم الكتاب والحكمة ومجيء الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه هو قوله لتؤمنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هذه للتبيين كما تقول ما عندك من ورق وعين هذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره ان الله تعالى قال لهم مهما آتيتكم كتابا وحكمة ثم جاءكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتؤمنن به ولتنصرنه فاقروا بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا اشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الانبياء ليأخذوا على اممهم بتصديق محمد اذا بعث ويأمروهم بنصره على اعدائه ان ادركوه وهو المروي عن علي وابن عباس وقتادة والسدي واختاره ابو علي الجبائي وابو مسلم ويكون معنى قوله جاءكم جاء اممكم واتباعكم وانما خرج الكلام على النبيين لان ما لزمهم لزم اممهم ومن قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى اخذ الله ميثاقهم لما اوتوه اي لاجل ما اوتوه من الكتاب والحكمة ولانهم الافاضل خيار الناس فيكون اللام للتعليل فيقتضي ان يكون الايتاء سببا لاخذ الميثاق وقوله لتؤمنن متعلق بأخذ الميثاق وهو الحاصل والجامع لمعنى الشرط والجزاء وقوله ولتنصرنه اي بالبشارة للامم به قال الله للانبياء أأقررتم به وصدقتموه واخذتم على ذلكم اصري وقبلتم على ذلكم عهدي ونظيره فان تولوا فقد ... وقيل معناه واخذتم العهد بذلك على اممكم قالوا اقررنا اي قال الانبياء واممهم اقررنا بما امرتنا بالاقرار به قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين عليكم وعلى اممكم عن علي وقيل فاشهدوا اي فاعلموا بذلك وانا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل معناه ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب هذه الآية من مشكلات آيات القرآن وقد غاص النحويون في وجوه اعرابها وحقيقتها مخيفها واستوفوا السعي في تدقيقها ولا نراها في موضع اجزل لفظا واكثر فائدة واشد تهذيبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق فمن تولى بعد ذلك اي فمن اعرض عن الايمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم والمقصود به الامم دون النبيين لانهم قد مضوا في زمانهم وجاز ذلك لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الاخذ على اممهم وتقدم عن علي انه قال لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره بان يأخذ العهد بذلك على قومه فاولئك هم الفاسقون ولم يقل الكافرون لان المراد الخارجون في الكفر الى الفحش من باب الكفر بتمردهم وفي ذلك ... الفسق الخروج عن امر الله الى حال توقفه في الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصي ما هو اكبر ومنها ما هو صغير بالاضافة اليه قوله تعالى افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثلث آيات القراءة قرأ ابو عمرو يبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرأ بالياء فيهما عباس حفص ويعقوب وسهل الباقون بالتاء فيهما جميعا الحجة من قرأ بالتاء فيهما فلان قبله الآية خطاب للنبي ومن قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم افغير دين الله يبغون فجاء على لفظ الغيبة لانهم غيب قد تقدم القول في يرجعون وترجعون الاعراب افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كانه قيل او غير دين الله يبغون الا ان الف الاستفهام تقدمت لانه قيل بعد تلك الآيات غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقعا موقع الحال وتقديره طائعين وكارهين كما يقال اتاني ركضا اي راكضا ولا يجوز ان تقول اتاني كلاما اي متكلما لان الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض ضرب منه النزول عن ابن عباس قال اختصم اهل الكتابين الى رسول الله فيما اختلفوا بينهم من دين ابراهيم كل فرقة زعمت انها اولى بدينه فقال النبي كلا

الله الفريقين بريء من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل افغير دين الله يبغون المعنى لما بين سبحانه بطلان اليهودية و...

غير الاسلام من عقيبه ان من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال افغير دين الله يبغون فبعد هذه الآيات والحجج تطلبون دينا غير دين الله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من في السموات والارض بالحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق عليه عن ابن عباس وثانيها اسلم اي اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك في العبادة كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ما ركب الله في عقول الخلق من الدعاء الى الاقرار له بالربوبية لينبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابي العالية وثالثها اسلم المؤمن طوعا والكافر كرها عند موته كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا عن قتادة واختاره البلخي ومعناه التخفيف لهم من التأخير عن مجاهد بسبيله ورابعها ان معناه استسلم له بالانقياد والذل كقوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا عن الشعبي والجبائي والزجاج وخامسها ان معناه اكره اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين عن الحسن وهو المروي عن ابي عبد الله قال كرها اي فرقا من السيف وقال الحسن الفضل الطوع لاهل السماء خاصة واما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها واليه ترجعون اي الى جزائه تصيرون فبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام قل آمنا بالله خطاب للنبي وامر له بان يقول عن نفسه وعن امته آمنا بالله وما انزل علينا الآية كما يخاطب رئيس القوم بان يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنى الآية في سورة البقرة فان قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مسلمون بالطاعة والانقياد في جميع ما امر به ونهى عنه وايضا فان اهل الملل المخالفة للاسلام كانوا يقرون كلهم بالايمان ولكن لم يقروا بلفظ الاسلام فلهذا قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي يطلب دينا يدين به فلن يقبل منه بل يعاقب عليه يدل عليه قوله وهو في الآخرة من الخاسرين اي من اهل الكفر لان الخسران ذهاب رأس المال وفي هذه الآية دلالة على ان من ابتغى غير الاسلام دينا لن يقبل منه فدل ذلك على ان الدين والاسلام والايمان واحد وهي عبارات عن معبر واحد قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اربع آيات اللغة الخلود في اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان في السجن وقيل للاثافي خوالد لما دامت في موضعها واذا زالت لا يسمى خوالد والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضي طول المكث في نحو قولك خلد فلان في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ولذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود الا ان خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الامة والانظار التأخير للعبد لينظر في امره والفرق بينه وبين الامهال ان الامهال هو تأخيره للتسهيل ما يتكلف من عمله الاعراب كيف اصله الاستفهام والمراد به هنا الانكار لان يقع هذه الهداية من الله اي لا يهديهم الله كقوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اي لا يكون قال الشاعر كيف نومي على الفراش ولما يشمل الشام غارة شعواء وانما دخله معنى الانكار مع ان اصله الاستفهام لان المسؤول يسأل عن اغراض مختلفة فقد يسأل للتعجيز عن اقامة البرهان وقد يسأل للتوبيخ بما يظهر من معنى الجواب في السؤال وقد يسأل لما يظهر فيه من الانكار وانما عطف قوله وشهدوا وهو فعل على ايمانهم وهو اسم لان الايمان مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان آمنوا وشهدوا واجمعين تأكيد للناس ودخلت الفاء في قوله فان الله غفور لانه يشبه الجزاء اذ كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فان الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون في موضع خبر الذين لان الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة التي هي قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله ولا يحمل على المعنى مع حسن الاتصال لانه لا يختل الكلام والاسبق الى الافهام النزول قيل نزلت الآيات في رجل من الانصار يقال له الحارث بن سويد بن الصامت وكان قتل المجذر بن زياد البلوي غدرا وهرب وارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم ندم فارسل الى قومه ان يسألوا رسول الله هل لي من توبة فسألوا فنزلت الآيات الى قوله الا الذين تابوا فحملها اليه رجل من قومه فقال اني لاعلم انك لصدوق ورسول الله اصدق منك وان الله اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن اسلامه عن مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل نزلت في اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائي وابي مسلم المعنى لما بين تعالى ان الاسلام هو الدين الذي به النجاة بين من خالفه فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم فيه وجوه احدها ان معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالاثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد ايمانهم وثانيها انه على طريق التبعيد كما يقال كيف اهديك الى الطريق وقد تركته اي لا طريق يهديهم به الى الايمان الا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره وثالثها ان المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويثيبهم وحالهم هذه وقوله وشهدوا ان الرسول حق عطف على قوله بعد ايمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد ان آمنوا وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات اي البراهين والحجج وقيل القرآن وقيل جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم الى طريق الجنة لان المراد به الهداية المختصة بالمهتدين دون الهداية العامة المرادة في قوله واما ثمود فهديناهم والمراد بالايمان ههنا اظهار الايمان الذي هو دون الايمان يستحق به الثواب وليس في الآية ما يدل على انهم قد كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب ثم ازالوا ذلك بالكفر فلا تعلق للمخالف به اولئك جزاؤهم على اعمالهم ان عليهم لعنة الله وهي ابعاده اياهم من رحمته ومغفرته ولعنة الملائكة والناس اجمعين وهي دعاؤهم عليهم باللعن والتعبد بان يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها اي في اللعنة مخلدون فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب لا يخفف عنهم العذاب اي لا يسهل عليهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت الى وقت آخر وانما نفى انظارهم للتوبة ولا اثابة لما علم من حالهم انهم لا يتوبون ولا يثوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التبقية ليست بواجبة وان علم الله انه لو ابقاه لتاب واناب عند اكثر المتكلمين الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اي تابوا من الكفر ورجعوا الى الايمان واصلحوا ضمائرهم وعزموا على ان يثبتوا على الاسلام وهذا احسن من قول من قال واصلحوا اعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فان ذلك ليس بشرط

في صحة التوبة اذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا بالاجماع فان الله غفور يغفر ذنوبهم رحيم يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان سقوط العقاب بالتوبة تفضل منه سبحانه وان ما لا يجوز المؤاخذة به اصلا لا يجوز تعليقه بالمغفرة وان ما يعلق بالمغفرة ما يكون له المؤاخذة به قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون اية النزول قيل نزلت في اهل الكتاب الذين امنوا برسول الله قبل بعثته ثم كفروا به بعد بعثته عن الحسن وقيل نزلت في اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن عن قتادة وعطاء وقيل نزلت في احد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما اردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل في الحرث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل في الاسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه الله بما لا يقبل منها فقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت اية كفروا بها ثم ازدادوا كفرا الى كفرهم لن تقبل توبتهم لانها لم تقع على وجه الاخلاص يدل عليه قوله واولئك هم الضالون ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية البأس لانها تكون في حال الالجاء ومعناه انهم لا يتوبون الا عند حضور الموت المعاينة عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل لانها اظهرت الاسلام تورية فاطلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة اذا حصلت شرائطها وعليه اجماع الامة واولئك هم الضالون عن الحق والصواب وقيل الهالكون المعذبون قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين اية اللغة الملء اصله الملاء وهو تطفيح الاناء ومنه الملاء الاشراف لانهم يملؤون العين هيبة وجلالة ومنه رجل مليء بالامر وهو املأ به من غيره فالملء اسم للمقدار الذي يملأ والملء المصدر والفدية البدل من الشيء في ازالة الاذية ومنه فداء الاسير لانه بدل منه في ازالة القتل والاسر عنه اذا كسر مد واذا فتح قصر تقول فدى لك وفداء لك ويجوز قصر هذه الممدودة للضرورة والافتداء افتعال من الفدية الاعراب ذهبا منصوب على التمييز وانما استحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة او ما عاقبها من النون الزائدة فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زائدة وغلطه الزجاج لان الكلام اذا امكن حمله على فائدة لم يجز حمله على الزيادة وقد قال اذا دخلت الواو في مثل هذا كان ابلغ في التاكيد كقولهم لا اتيك وان اعطيتني لانها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الاجمال ولو جعلنا الواو زائدة لادى ذلك الى انه لا يقبل منه ملء الارض ذهبا في الافتداء ويقبل في غيره المعنى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي على كفرهم فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي مقدار ما يملأ الارض من الذهب ولو افتدى به بذله عوضا مما ان الذي يعتقده الكافر من الكفر وان اظهر الايمان لا ينفعه لا يمان نفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه في الآخرة لو وجد عليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا كنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل ورواه انس عن النبي اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قد ذكرنا معناه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم اية اللغة البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر المعنى لن تنالوا اي لن تدركوا بر الله تعالى باهل طاعته واختلف في البر ههنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطا وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اي صالحين اتقياء عن الحسن حتى تنفقوا مما تحبون اي حتى تنفقوا المال وانما كنى بهذا اللفظ عن المال لان جميع الناس يحبون المال وقيل معناه ما تحبون من نفائس اموالكم دون ارذالها كقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هذا الزكوة الواجبة وما فرضه الله في الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الخير عن مجاهد وجماعة وقد روي عن ابي الطفيل قال اشترى علي ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن احب شيئا فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافيك اليوم بالجنة وروي ان ابا طلحة قسم حائطا له في اقاربه عند نزول هذه الاية وكان احب امواله اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيد وجد في نفسه قال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية كان يحبها تلا هذه الاية وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته لله تعالى لنكحتها وضاف اباذر الغفاري ضيف فقال للضيف اني مشغول وان لي ابلا فاخرج واتني بخيرها فذهب فجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي مع ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو ذر في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمرك ان يذهب بخيرها او شرها من هلاك وموت والوارث ينتظرك ان تضع راسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت ان لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكن ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما احب من مالي فاحببت ان اقدمه لنفسي وقال بعضهم لهم بهذه الاية على الفتوة فقال لن تنالوا البر اي بري بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم ومما تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم بري وعطفي وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم جاء بالفاء على جواب الشرط وان كان الله يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شيء فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم لا يخفى عليه شيء منه والاخر ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذي تفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما اطلق على سبيل المبالغة في الترغيب

الجزء الرابع من القرآن

والاولى ان يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن عمر ان النبي سئل عن هذه الاية فقال هو ان ينفق العبد المال وهو شحيح يامل الدنيا ويخاف الفقر النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر في الاية الاولى انه لن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا لئلا يؤدي امتناع غناء الفدية الى الفتور في الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعة قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ايتان اللغة الافتراء اقتراف الكذب واصله قطع ما قدر من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه على الاستصلاح ومعناها ههنا اختلاق الكذب الى النبي من جهة انه امر بما لم يامر به الله واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين من كذب عليه وكذب له بان من كذب له يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز ان يكون فيما يريده النزول انكر اليهود تحليل النبي لحوم الابل فقال كان ذلك حلالا لابراهيم فقالت اليهود كل شيء نحرمه فانه محرم على نوح وابراهيم هلم جرا حتى انتهى الينا فنزلت الاية عن الكلبي وابي روق المعنى كل الطعام اي كل الماكولات كان حلا اي حلالا لبني اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب على نفسه اختلفوا في ذلك الطعام فقيل ان يعقوب اخذه وجع العرق الذي يقال له عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحم الابل وهو احب الطعام اليه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله تعالى وسال الله ان يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن وقيل حرم زائدتي الكبد والكليتين والشحم الا ما حملت الظهور عن عكرمة واختلف في انه كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذر وقيل بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه من قبل ان تنزل التوراة معناه ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قبل ان تنزل التوراة على موسى فانها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم حالها بعد نزول التوراة وقيل لم يحرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداء بابيهم يعقوب عن السدي وقيل لم يحرم الله عليهم في التوراة وانما حرم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم وكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم في التوراة وانما هو شيء حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله وقال قل يا محمد فاتوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم فاحتج عليهم بالتوراة وامرهم بالاتيان بها ان يقرءوا ما فيها فانه كان في التوراة انها كانت حلالا لانبياء وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا على اتيان التوراة لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وكذبهم وكان ذلك دليلا ظاهرا على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ علم بان في التوراة ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراة وقراءتها فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب هم الظالمون لانفسهم بفعل ما اوجب العقاب عليهم وانما قال من بعد ذلك مع انه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لانه اراد بيان انه انما يؤاخذ به بعد اقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تفصيل للجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب في الانفاق من المحبوب والطعام مما يحب فرغب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل انه لما تقدم محاجتهم في ملة ابراهيم وكان فيما انكروا على نبينا تحليل لحم الجزور وادعوا تحريمه على ابراهيم وان ذلك مذكور في التوراة فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم قوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اية اللغة الاتباع لحاق الثاني بالاول لما له به من التعلق والقوة للاول والثاني يتبعه عنه والتابع ثان متدبر له بتدبير الاول متصرف بتصريفه في نفسه واصل الحنف الاستقامة وانما وصف المائل القدم بالاحنف تفاؤلا وقيل اصله الميل فالحنيف هو المائل الى الحق فيما كان عليه ابراهيم من الشرع المعنى ثم بين تعالى ان الصدق فيما اخبر به فقال قل صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وفي ان محمدا على دين ابراهيم وان دينه الاسلام فاتبعوا ملة ابراهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اي مستقيما على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مائلا عن سائر الاديان الباطلة الى دين الحق وما كان من المشركين برا الله تعالى ابراهيم مما نسبه اليهود والنصارى اليه من انهم على دينه وكذلك مشركو العرب واخبر ان ابراهيم كان بريئا من المشركين ودينهم والصحيح ان نبينا لم يكن متعبدا بشرع من تقدم من الانبياء ولكن وافقت شريعته شريعة ابراهيم فلذلك قال فاتبعوا ملة ابراهيم لان الله تعالى هو الذي اوحى بها اليه واوجبها عليه وكانت شريعة له وانما رغب الله في شريعة الاسلام بانها ملة ابراهيم لان المصالح اذا وافقت ما تسكن اليه النفس ويقبله العقل بغير كلفة كانت احق بالرغبة فيها وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابراهيم فلذلك خوطبوا بذلك قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ايتان القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر وابي جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها الحجة قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا فحج على هذا مصدر فهذا حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحج السنة واحدها حجة قال ابو علي يدل على ذلك قوله ثماني حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيبويه قالوا حجة اراد عمل سنة ولم يجيئوا بها على الاصل ولكنه اسم له فقوله لم يجيئوا بها على الاصل اراد انه للدفعة من الفعل ولكن كسر فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاة العمل وجه واحد لم يجئ فيه وكان القياس غزوة اللغة اول الشيء ابتداؤه ويجوز ان يكون المبتدأ له اخر ويجوز ان لا يكون له اخر لان الواحد اول العدد ولا نهاية لاخره ونعيم اهل الجنة له اول ولا نهاية له واصل بكة البك وهو الزحم يقال بكه يبكه بكا اذا زحمه وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم ولم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة وابدال الميم من الباء كقولهم ضربة لازب

ولازم ويجوز ان يكون من قولهم بك الفصيل ضرع امه اذا مص ما فيه حتى لا يبقى منه شيء وبك الناس بكا اذا ازدحموا فسميت مكة بذلك لقلة
مائها واصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا وبركا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير ونموه ومنه البركة شبه الحوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس
تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده **الاعراب** قوله تعالى مباركا نصب على الحال بالظرف من بكة على معنى الذي استقر ببكة مباركا ويجوز ان يكون من الضمير
في وضع كانه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في التقدير الاول واما رفع مقام ابرهيم بانه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي مقام
ابرهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من ايات غريب ومن استطاع اليه سبيلا في موضع جر بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل **النزول** قال مجاهد تفاخر
المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء والارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله تعالى ان اول بيت الآية
المعنى ان اول بيت وضع للناس يعني للناس لم يكن قبله بيت فيه وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله السماء والارض خلقه
الله قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن ابي عبد الله ع قال انها كانت مهاة بيضاء يعني درة بيضاء على الماء
وروى ابو خديجة عنه ع قال ان الله انزله لآدم من الجنة وكان درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا
يرجعون اليه ابدا فامر الله تعالى ابرهيم واسمعيل ببنيان البيت على القواعد وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة
ولكنه اول بيت مبارك وهدى وضع للناس عن علي ع والحسن وقيل اول بيت بني في الارض وطلب فيه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول شيء خلقه الله من الارض موضع
الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها وروى ابو ذر انه سأل النبي ص عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس للذي ببكة قيل بكة المسجد ومكة الحرم كله
يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن ابي جعفر وقيل بكة بطن مكة عن ابي عبيدة وقيل بكة موضع البيت المطاف ومكة اسم البلد عليه الاكثر
وقيل بكة هي مكة والعرب تبدل الباء ميما مثل سبد راسه وسمده عن مجاهد والضحاك مباركا يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على
ان الطواف به لا ينقطع ابدا وقيل لانه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس وروي فيه حديثا طويلا وقيل لانه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع لانتفاء التنافي وهدى
للعالمين اي دلالة لهم على الله تعالى لاهلاكه كل من قصده من الجبابرة كاصحاب الفيل وغيرهم وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب والذئب فلا ينفر عنه مع نفرته عنه
في غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على كثرة الرماة فلولا انه يرفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت
وبان لا يعلوه طير اعظاما له الى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون به الى جهة صلاتهم او يهتدون الى الجنة بحجه وطوافه فيه ايات بينات اي دلالات
واضحات الهاء في فيه عائدة الى البيت وروي عن ابن عباس انه قرء فيه اية بينة مقام ابرهيم فجعل مقام ابرهيم وحده هو الاية وقال اثر قدميه في المقام اية بينة والاول
عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام ابرهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها واركان البيت وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام
ابرهيم في سورة البقرة وسئل الصادق ع عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الاسود والباب وسئل لم سمي الحطيم حطيما قال لان الناس يحطم بعضهم بعضا هو الموضع
الذي فيه تاب الله على آدم وقال ع ان تهيأ لك ان تصلي صلواتك كلها الفرائض وغيرها عند الحطيم فافعل فانه افضل وروي عن ابي حمزة الثمالي قال قال لنا
علي بن الحسين اي البقاع افضل فقلنا الله ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما
يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئا وقال الصادق ع الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وروي انه من
روى من ماء زمزم احدث له به شفاء وصرف عنه داء قال المفسرون ومن تلك الايات مقام ابرهيم وامن الداخل فيه وامن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علا عبد على
الكعبة الا عتق واذا كان الغيث من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن واذا كان من ناحية الركن الشامي كان الخصب بالشام واذا كان من البيت عم في جميع البلدان
وسائر ما ذكرناه قبل من الايات وقوله ومن دخله كان امنا عطف على مقام ابرهيم في معنا ابرهيم الا انه واضحة لا انه حجر صلد يرى فيه اثر قدميه لا يقدر احد ان يجعل الحجر في
لين الطين الا الله وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابرهيم ومن دخل مقام ابرهيم يعني الحرم كان امنا وقيل فيه اقوال احدها ان الله عطف قلوب العرب
في الجاهلية على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والتجا اليه وان كثرت جريمته ولم يزده الاسلام الا شدة عن الحسن والثاني انه خبر والمراد به الامر ومعناه ان من وجب عليه
الحد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وعلى هذا يكون تقديره
ومن دخله فامنوه والثالث ان معناه من دخله عارفا بجميع ما اوجبه الله عليه كان امنا في الآخرة من العذاب الدائم وهو المروي عن ابي جعفر ع واجمعت الامة على ان من اصاب فيه
ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه ثم لما بين الله فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومعناه ولله
على من استطاع الحج البيت سبيلا من الناس حج البيت اي من وجد اليه طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هي الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما
يمكنه معه بلوغ مكة باي وجه يمكن عن الحسن ومعناه القدرة على الوصول اليه والمروي عن ائمتنا انه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع الى كفاية
اما من مال او ضياع او حرفة مع الصحة في النفس وتخلية السرب من الموانع وامكان السير ومن كفر معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن فان الله
غني عن العالمين لم يتعبدهم بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعني به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا بالحج فلم يحجوا وعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لان
امتثال امر الله شكر لنعمته وقد روي عن ابي امامة عن النبي ص انه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا
وروي عن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الاية دلالة على فساد قول من قال ان الاستطاعة

[illegible]

مع الفعل لان الله اوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن الا قبل فعل الحج **النظم** جه اتصال الاية بما قبلها ان الله تعالى امر اهل
الكتاب باتباع ملة ابرهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به في قوله ان اول بيت وضع للناس قوله تعالى قل يا
اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما
تعملون **اللغة** البغية الطلب يقال بغيت الشيء ابغيه قال عبد بني الحسحاس بغاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعدا اي طلبك وما تطلبه
ويقال ابغني كذا بكسر الهمزة اي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال واذا قلت ابغني بفتح الهمزة فمعناه اعني على طلبه ومثله احملني واحلبني
واحلبني اي اعني على الحلب والعوج بفتح العين ميل كل شيء منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الارض
ومنه قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا **الاعراب** من امن في موضع نصب بانه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها راجعة الى السبيل **المعنى** ثم عاد الكلام
الى حجاج اهل الكتاب فقال مخاطبا للنبي ص امره بخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة قل يا اهل الكتاب اي قل يا محمد لهم لم تكفرون بايات الله اي بالمعجزات
التي اتاها محمد والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به عند اهل الكتاب ان لم يعلموا ان بمخبر بمثل ذلك في القرآن احد وجهين احدهما ان القرآن اسم
خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا يقع على ذلك بل يجوز ان يراد به يا اهل الكتاب المحرف عن جهته والثاني الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه قيل
يا من يقر بانه من اهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله ولفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سؤال
يعجز عن اقامة العذر فكانه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اي حفيظ على اعمالكم محصيها ليجازيكم عليها فيما اطلع عليها
مع قيام الحجة عليكم فيها قال الفراء جيء هذا الموضع قل يا اهل الكتاب في موضع خر يا اهل الكتاب لانه تعنيف فاطلبهم موضع على جهة التلطف في استدعائهم الى
الايمان واعرض عن خطابهم في موضع خر وامر سبحانه نبيه ص بخطابهم استخفافا بهم ثم اتصل بهم عن الحق فقال يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن
اي لم تمنعون المؤمنين عن دين الاسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج بتذكيرهم
الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخوا عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الاية في اليهود خاصة وقيل الاية في اليهود
والنصارى ومعناه لم تصدون بالتكذيب بالنبي ص وان صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اي تطلبون لسبيل الله عوجا
عن سمت الحق وهو الضلال فكانه قال تبغونها ضلالا الا ان السبيل التي تبغونها انه تخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون لتلك السبيل الاعوجاج على وجه الاستغواء والعدول
عن الوجه الذي ينبغي ان يطلب فيه وانتم شهداء فيه قولان احدهما ان معناه انتم شهداء بتقدم البشارة بمحمد ص في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه من اتباعه ومن
عند الاخر ان المراد وانتم عقلاء كما قال او القى السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك لانه يشهد الدليل الذي يميز بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله بغافل
عما تعملون هذا تهديد لهم على الكفر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم **اللغة** الطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب والاجابة
موافقة الارادة الداعية الى الفعل لذلك يجوز ان يكون الله تعالى مجيب العبد يجيبا للعبد اذا فعل ما دعا العبد اليه ولا يجوز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام الامتناع
وعصمه يعصمه اي منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع والعصام الحبل لانه يعتصم به والعصمة وقال الامتناع بالجبال **النزول** نزلت في الاوس والخزرج لما
اغرى قوم من اليهود بذكر حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله وكيف تكفرون في مشركي العرب **المعنى** ثم حذر المؤمنين من
قبول قولهم فقال يا ايها الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للاوس والخزرج ويدخل غيرهم من المؤمنين في عموم اللفظ ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية يردوكم بعد ايمانكم كافرين اي يرجعوكم كفارا بعد ايمانكم ثم اكد
الامر وعظم الشان فقال وكيف تكفرون اي وعلى اي حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى عليكم ايات الله وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بايات الله وفيهم
داع يدعوهم الى الايمان وقيل هو على التعجب اي لا ينبغي لكم ان تكفروا مع ما يقرء عليكم في القرآن المجيد من الايات الدالة على وحدانية الله ونبوة نبيه وفيكم رسوله
محمد ترون معجزاته والكفر وان كان فظيعا في كل حال فهو في مثل هذه الحالة افظع ويجوز ان يكون المراد بعده وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي ص بين اظهرهم خاصة ويجوز
ان يكون المراد به جميع امته لان اثاره وعلاماته من القرآن وغيره فينا قائمة باقية وذلك عن الزجاج وجوه فينا احياء ومن يعتصم بالله اي يتمسك بكتابه واياته وبدينه
وقيل من يمتنع بالله عمن سواه بان يعبده ولا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالايمان بالله ورسوله فقد هدي الى صراط مستقيم اي الى طريق واضح قال قتادة
في هذه الاية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فاما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل
انهم قد شاهدوا في نفسه معجزات كثيرة منها انه كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الارض ومنها ان الذباب
لم يقع عليه ومنها ان الارض كانت تبتلع ما يخرج منه وكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطاوله احد وان طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة
ومنها انه كان اذا مر بموضع يعلمه الناس لطيب ريحه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا الى غير ذلك من الايات قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون **اللغة** تقاة من وقيت قال الزجاج
يجوز فيه ثلاثة اوجه تقاة وتقوى واتقاء جمله على قياس وجوه وجاه ولجاه وان كان هذا المثال لم يجي منه شيء على الاصل نحو تخمة وتكاة غير انه حمله على الاكثر من

اهل

بينهم

[illegible]

نظائره والحبل السبب الذي يوصل به الى البغية كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها ومنه الحبل للامان لانه سبب النجاة قال الاعشى اذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى اليك حبالها ومنه الحبل للحمل في البطن واصل الحبل المفتول قال ذو الرمة هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم ام هل لها آخر الايام تكليم وشفا الشيء حرفه مقصور وتثنيته شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشيء اشرف عليه واشفى المريض على الموت ومن ذلك

الاعراب قوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اي واعتصموا في حال اجتماعكم اي كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا اصله لا تتفرقوا فحذفوا التاء الثانية كراهة لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لان الاولى علامة للاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله تعالى فانقذكم منها الكناية في منها عادت الى الحفرة وترك شفا ومثله قول العجاج طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي فترك الطول واخبر عن الليالي

النزول قال مقاتل افتخر رجلان من الاوس والخزرج ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدين ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا وناديا فجاء الاوس الى الاوسي والخزرج الى الخزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي ص فركب حمارا واتاهم فانزل الله الآيات فقرأها فاصطلحوا

المعنى لما نهى تعالى عن قبول قول الكافرين بين في هذه الآية ما يجب بقوله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته معناه اتقوا عذاب الله اي احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب ان يتقى ينبغي ان يحترس منه وذكر في قوله حق تقاته وجوه احدها ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله ع وثانيها انه اتقاء جميع معاصيه عن ابي علي الجبائي وثالثها انه المجاهدة في الله وان لا تأخذه فيه لومة لائم وان يقام له بالقسط في الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين احدهما انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع والآخر انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاوس وانكر الجبائي نسخ الآية لما فيه من اباحة بعض المعاصي قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه قوله اتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا له بالحق في الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لانه لا يمتنع ان يكون وجب عليهم ان يتقوا على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقد ذكرنا في سورة البقرة ان معناه لا تتركوا الاسلام وكونوا عليه حتى اذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه انما قال بلفظ النهي عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وانما النهي في الحقيقة عن ترك الاسلام لان لا يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت الا انه وضع كلام موضع كلام على جهة التصرف والابدال لحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله ع وانتم مسلمون بالتشديد معناه مستسلمون لما اتى به النبي ص ومنقادون له واعتصموا بحبل الله اي تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى حبل الله اقوال احدها انه القرآن عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي ويروى ذلك مرفوعا وثانيها انه دين الله الاسلام عن ابن عباس وابن زيد وثالثها ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد ع قال نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي ص انه قال ايها الناس اني قد تركت فيكم حبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ولا تفرقوا معناه ولا تتفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة وقيل معناه لا تتفرقوا عن رسول الله ص عن الحسن وقيل عن القرآن بترك العمل به واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم قيل اراد ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة الى ان الف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالت تلك الاحقاد عن ابن عباس وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالاسلام وبالائتلاف ورفع ما كان بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل في الآجل اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بجمعكم على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم فاصبحتم بنعمته اي بنعمة الله اخوانا متواصلين واحبابا متحابين بعد ان كنتم متحاربين متعادين يصير بحيث يقصد كل واحد منكم مواخاة الآخر لان اصل الاخ من توخيت الشيء اذا قصدته وطلبته وكنتم على شفا حفرة من النار اي وكنتم يا معشر المؤمنين على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها الا الموت فانقذكم الله منها بان ارسل اليكم رسولا وهداكم للايمان ودعاكم اليه فنجوتم باجابته من النار وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزاء قرأ ابن عباس وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اي لم يكونوا فيها الا انهم كانوا بمنزلة من هو فيها واعرابي يستمع فقال والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير فقيه كذلك يبين الله اي مثل البيان الذي تلا عليكم يبين الله لكم الآيات والدلالات في حججه فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا الى الحق والصواب

قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم آيتان

اللغة الامة اشتقاقها من الام الذي هو القصد وفي اللغة تستعمل على ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها اتباع الانبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة لانه يأتم به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله انا وجدنا آباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله وادكر بعد امة والى امة معدودة ومنها القامة يقال رجل حسن الامة اي القامة ومنها النعمة ومنها الام بمعنى الام

الاعراب ومنكم امة من ههنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسا بفرضين على الاعيان انما هما من فروض الكفايات فاي فرقة قامت بهما سقط عن الباقين وقال الزجاج من ههنا للتبيين لتخصيص المخاطبين من بين الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقول الشاعر اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر لانه وصفه باعطاء الرغائب والنوفل الكثير العطاء

وان ترك الذي يحمل الانتقال المعنى ولتكن منكم امة اي جماعة يدعون الى الخير اي الدين ويأمرون بالمعروف اي بالطاعة وينهون عن المنكر اي عن المعصية واولئك هم المفلحون اي الفائزون وكل ما امر الله به ورسوله فهو معروف وما نهى الله عنه ورسوله فهو منكر وقيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره العقل او الشرع وهذا يرجع في المعنى الى الاول ويروى عن ابي عبد الله ع ولتكن منكم ائمة وكنتم خير ائمة اخرجت للناس وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعهما ومحلهما من الدين لانه تعالى علق الفلاح بهما واكثر المتكلمين على انهما من فروض الكفايات ومنهم من قال انهما من فروض الاعيان واختاره الشيخ ابو جعفر ره والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع وليس في العقل ما يدل على وجوبه الا اذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكده وتمام فيه ما رواه الحسن عن النبي ص قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن درة بنت ابي لهب قالت جاء رجل الى النبي ص وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله وارضاهم وقال ابو الدرداء لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم وتدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغيثون فلا تغاثون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لان يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم امر سبحانه بالجماعة ونهى عن التفرق فقال سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في الدين وهم اليهود والنصارى واختلفوا فيه وقيل معنى تفرقوا ايضا ما ذكرنا للتأكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة من بعد ما جاءهم البينات اي الحجج والكتب وبين لهم الطرق واولئك لهم عذاب عظيم عقوبة لهم على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الآيات والبينات والآية تدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك مذموم منهي عنه

قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون

الاعراب العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لانه موصوف وقد فصلت صفته بينه وبين معموله لكن يجوز ان يعمل فيه الجملة لانها في معنى يعذبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم محذوف تقديره فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذف لدلالة سواد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا الا انه تنكيس الرؤس من المجرمين على سوء الا انه مثله كثير

المعنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب الذي ثبت لهم العذاب فيه وهذا معناه وانما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان والطاعة وتسود فيه الوجوه للكافرين عقوبة لهم على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فيمن عني به على اقوال احدها انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن وثانيها انهم جميع الكفار لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به من التوحيد حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق عن ابي بن كعب وثالثها انهم اهل الكتاب كفروا بالنبي ص بعد ايمانهم به اي بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائي ورابعها انهم اهل البدع والاهواء من هذه الامة عن علي ع ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد ويروى عن النبي ص انه قال والذي نفسي بيده ليردن علي الحوض ممن صحبني اقوام حتى اذا رايتهم اختلجوا دوني فلاقول اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى ذكره الثعلبي في تفسيره وقال ابو امامة الباهلي هم الخوارج ويروى عن النبي ص انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والالف في اكفرتم الف الاستفهام والمراد به هنا التقريع اي لم كفرتم وقيل المراد التقرير اي قد كفرتم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بلفظ الذوق على التوسع معناه انظروا ما اصابكم من عذاب الله بما كنتم تكفرون اي بكفركم واما الذين ابيضت وجوههم هم المؤمنون ففي رحمة الله اي ثواب الله وقيل جنة الله هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف وهي في قوله فيها تأكيدا لتمكين المعنى في النفس وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففي رحمة الله على ادخاله اياهم في الرحمة وبقوله هم فيها خالدون على خلودهم فيها سمى الله تعالى الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق بها الشكر وكل نعمة تفضل الوجه في ذلك ان سبب الثواب الذي هو التكليف تفضل فيكون الثواب على هذا الوجه تفضلا وقال انما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد انه تفضل مستحق لان المبتدئ به قد كان له ان لا يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لان الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لانه جر اليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه اشراقها واستنارتها بالسرور وقيل البهجة والظفر بالبشرى والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسوداد الوجوه ظهور اثر الحزن عليها لما يصير اليه من العقاب كقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير ضرورة والاول الاول

قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور آيتان

المعنى تلك آيات الله اي تلك التي قد جرى ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته نتلوها عليك بالحق نقرؤها عليك بالحق يا محمد وعلى امتك نذكرها لك ونعرفك اياها ونقصها عليك بالحق اي بالحكمة والصواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم بان يحملهم من العقاب ما لا يستحقونه او ينقصهم من الثواب عما يستحقونه وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او لحاجته الى دفع ضرر او جر نفع وتعالى الله عن صفة الجهل والحاجة وساير صفات النقص علوا كبيرا وكيف يجوز ان يظلم احدا وهو الذي خلقهم وانشأهم وابتدأهم وانعم من النعم بما لم يستحقوه ابتداء وعرضهم لما هو اعظم منه وافضل واجل خطرا وهو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا والى الله ترجع الامور اختلفوا في كيفية رجوع الامور الى الله تعالى فقيل ان الله يذهب العالم بالفناء ثم يعيده فالله للمجازاة وقيل ان الله تعالى قد ملك عباده في الدنيا امورا وجعل لهم تصرفا وتدبيرا وحرم ذلك في الآخرة فيرجع اليه كله كما قال لمن الملك اليوم

وقوع المظهر موقع المضمر في قوله والى الله ترجع الامور قولان احدهما ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه والآخر ليكون افخم في الذكر والموضع موضع التفخيم وليس كقول الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان الذي يضطر الى الضمير في الاية مستغنى عنه **قوله تعالى** كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون آية **المعنى** لما تقدم ذكر الامر والنهي عقبه تعالى بذكر من تمسك بالقيام بذلك ومدحهم ترغيبا في الاقتداء بهم فقال كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فيه اقوال احدها ان معناه انتم خير امة وانما قال كنتم لتقدم البشارة بهم في الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روي عن النبي ص انه قال انتم وفيتم سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء والزجاج وثالثها ان كان ههنا تامة وخير امة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير امة وخلقتم خير امة ورابعها ان كان مزيدة دخولها كخروجها الا ان فيها تأكيدا لوقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة فهي بمنزلة قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل وفي موضع آخر اذ كنتم قليلا فكثركم ونظيره قوله وكان الله غفورا رحيما لان مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع وخامسها ان كان بمعنى صار كما في قول الشاعر فخر على الالاءة لم يوسد وقد كان الدماء له خمارا ومعناه صرتم خير امة لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله فيصير هذه الخصال على هذا القول شرطا في كونهم خيرا وقد روي عن بعض الصحابة انه قال من اراد ان يكون من خير هذه الامة فليؤد شرط الله فيها من الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلف في المعني بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسدي وقيل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة عن عكرمة وقيل اراد به اصحاب رسول الله ص خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الامة ثم ذكره ما فيهم فقال تأمرون بالمعروف بالطاعات وتنهون عن المنكر عن المعاصي فان سأل فقيل ان القبيح ايضا يعرف انه قبيح فلم خص الحسن بانه المعروف جوابه ان القبيح جعل بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليلة القدر يعرف لنباهته وعلو قدره وتؤمنون بالله اي بتوحيده وعدله ودينه ولو آمن اهل الكتاب اي لو صدقوا بالنبي ص لكان خيرا لهم اي لكان ذلك الايمان خيرا لهم في الدنيا والآخرة لانهم يحوزون به في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب ويفوزون بالجنة منهم اي من اهل الكتاب المؤمنون اي المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا والبشارة به كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشي واصحابه من النصارى واكثرهم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة الله وانما وصفهم بالفسوق دون الكفر الذي هو اعظم لان الغرض الايذان بانهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق في نبوة نبينا وقيل لانهم في الكفار بمنزلة الفساق لخروجهم الى الحال الفاحشة التي هي اشنع وافظع **قوله تعالى** لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون آيتان **الاعراب** الا اذى استثناء متصل وقوله اذى في تقدير النصب ومعناه لن يضركم الا ضررا يسيرا فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لان الاذى ليس من الضرر كقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا قال علي بن عيسى هذا ليس بصحيح لان الكلام اذا امكن فيه الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع وان يقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستئناف ولم يجزم على العطف لان سبب التولية القتال وليس كذلك منع النصر لان سببه الكفر ولان الرفع اشكل برؤوس الآي المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل في الباء من قوله بحبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال الا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله وانشد رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق اراد اقبلت بحبليها فحذف العامل في الباء وقال آخر فرب نخلو بحسب من رأى ولست بعيد الى بعيد اراد اتى بعيد قال علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما ان حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لانه اذا احتاج الى الصلة بين عنه فالحاجة الى الباء عنه اكثر واشد وانما يجوز حذف الشيء للاستغناء عنه بانه لا غنى عليه لوجود الدليل عليه فحذف مع صلته لا معها بمنزلة شيء واحد والوجه الآخر ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف وقيل هو استثناء منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فعامل الاعراب يوجب المعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما فكل انقطاع فيه ... الذي يلحق الكلام نفوا لا يسمعون فيها قد يتوهم انه من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون فيها كلاما فصل لذلك الا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا قد يتوهم انه لا يقتل مؤمن مؤمنا على وجه فقيل لذلك الا خطأ وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يتوهم انه من غير جواز ... وقيل الا بحبل ... الاستثناء متصل ... وهذا لا يخرجه بالذلة في انفسهم **النزول** قال مقاتل ان رؤوس اليهود مثل كعب بن الاشرف وابي رافع وابي ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانبوهم لاسلامهم فنزلت الاية **المعنى** لن يضروكم الا اذى وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم لا ينالهم من جهتهم مضرة الا اذى من جهة القول ثم اختلفوا في هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذي وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون ثم لا يعانون لكفرهم ففي هذه الاية دلالة على صحة نبوة نبينا لوقوع مخبره على وفق خبره لان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين الا بالسب والطعن ضربت عليهم الذلة اي الزمتهم الذلة وانزلت بهم حتى صارت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب الفسطاط والخباء على صاحبه وقيل معناه الزموا الذلة فثبتت فيهم من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده اي الزمه اياها قال الحسن جعلت الذلة على اليهود فلا يكون لهم منعة ... ضيق عليهم بالجزية ... في موضع ... لا امان لهم ... اينما ثقفوا

اخذوا وظفر بهم الا بحبل من الله اي بعهد من الله وحبل من الناس اي وعهد من الناس على وجه الذمة وغيرها من وجوه الامان عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي العهد حبلا لانه يعقد به الامان كما يعقد الشيء بالحبل وباؤا بغضب من الله اي رجعوا بغضب من الله الذي هو عقابه ولعنته بل معناه استوجبوا غضبا من الله وضربت عليهم المسكنة اي الذلة لان المسكين لا يكون الا ذليلا فسمي الذلة مسكنة عن ابي مسلم وقيل المراد به الفقر لان اليهود ابدا يتفاقرون وان كانوا اغنياء وقد ذكرنا تفسير ما بقي من الاية في سورة البقرة **النظم** وجه اتصال الاية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم من المحاربة لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل لما تقدم ان اكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم ويؤمن مضرتهم **قوله تعالى** ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين آيتان **اللغة** قيل في واحد آناء قولان احدهما انى مثل معى والاخر انى مثل نحى قال الشاعر حلو ومر كعطف القدح مرته بكل انى حذاه الليل ينتعل وحكى الاخفش انو بالواو والمسارعة المبادرة وهي من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز ان يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الابطاء وهو مذموم والعجلة هي التقدم فيما لا ينبغي ان يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الاناة وهي محمودة **النزول** قيل سبب نزول هذه الاية انه لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا اشرارنا فانزل الله ليسوا سواء الى قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انها نزلت في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من اهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على عهد عيسى فصدقوا محمدا عن عطا **المعنى** ليسوا سواء اختلفوا في تقديره والقول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله من اهل الكتاب ابتداء كلام ومعناه ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اي ليس الذين آمنوا من اهل الكتاب امة قائمة كعبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يؤمنوا سواء في الذمة والمنزلة ثم استأنف بتبيين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة تحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم مجبر فقال بنو فلان يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فان منهم من يفعل كذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلوني البراغيث ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالخدود النواضر قال الزجاج والرماني وليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد جرى فاخبر الله انهم غير متساوين لان هذه اللغة رديئة في القياس والاستعمال وقال الفراء المعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة اكتفاء بذكر احد الفريقين كما قال ابو ذؤيب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها ولم يقل ام غي وقال آخر اراك فلا ادري اهم هممته وذو الهم قدما خاشع متضائل ولم يقل ام غيره لان حالة في التغيير ينبئ ان الهم غيره ام غيره وعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل وتقديره لا يستوي امة هادية وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على الابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال لا حاجة هنا الى محذوف لان ذكر الفريقين قد جرى في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج ان يقدر وامة غير قائمة وقد تقدم صفتهم في قوله ويكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء وقوله امة قائمة فيه وجوه احدها ان معناها جماعة ثابتة على امر الله عن ابن عباس وقتادة والربيع وثانيها عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج وثالثها قائمة بطاعة الله عن السدي ورابعها ان التقدير ذو امة اي ذو طريقة مستقيمة عن الزجاج وانشد للنابغة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع اي ذو طريقة من طرائق الدين وقال علي بن عيسى هذا القول ضعيف لانه عدول عن الظاهر وحكم بالحذف من غير دلالة يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله وهو القرآن آناء الليل ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل يعني جوف الليل عن السدي وقيل اراد به وقت صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها يعني انهم يصلون صلاة العتمة عن ابن مسعود وقيل انه الصلاة ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن الثوري وهي الساعة التي تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون وقيل اراد السجود المعروف في الصلاة فعلى هذا يكون معناه ومع ذلك يسجدون ويكون الواو لعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لان السجود ابلغ الاركان في التواضع عن الزجاج والفراء والبلخي قالوا لان القراءة لا تكون في السجود ولا في الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال اي يتلون آيات الله بالليل في صلاتهم وهو قول الجبائي يؤمنون بالله اي بتوحيده وصفاته واليوم الآخر المتأخر عن الدنيا يعني البعث يوم القيامة ويأمرون بالمعروف بالاقرار بنبوة محمد وينهون عن المنكر عن انكار نبوته ويسارعون في الخيرات اي يبادرون الى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوت بالموت وقيل معناه يعملون الاعمال الصالحة غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من الصالحين اي من جملتهم وفي اعدادهم وهذا نفي لقولهم ما آمن به الا شرارنا وفي هذه الاية دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبي انه قال ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وقال ابو عبد الله ان البيوت التي يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن يضيء لاهل السماء كما يضيء نجوم السماء لاهل الارض وقال عليكم بصلاة الليل فانها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن اجسادكم **قوله تعالى** وما تفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر بالياء فيهما والباقون بالتاء الا ابا عمرو فانه كان يخير **الحجة** وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خاطبهم بعد من المكلفين ويكون خطابا للجميع لان حكمهم واحد **الاعراب** وما تفعلوا مجزوم بالشرط وانما الجزم بما ولم يجاز بكيف لان ما امكن من كيف لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال والحال لا يكون الا نكرة لانها للفائدة **المعنى** وما تفعلوا من خير اي من طاعة فلن يكفروه اي لن يمنع عنكم جزاؤه وسمي منع الجزاء كفرا على الاتساع لانه بمنزلة الجحد له والستر له ومعناه لا نجحد طاعتكم ولا نستر بمنع الجزاء وهذا كما يقال يوصف الله تعالى بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لان الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة في المنعم عليه بتضييع حقها والله عليم بالمتقين اي باحوالهم فيجازيهم وانما خص المتقين بالذكر وان كان عليما بالكل لان الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فبينه بذلك على انه لا يضيع شيء من عمله قل او كثر لان المجازي عليم بكل ذلك المعنى الآية

تدل على ان شيئا من اعمال الخير والطاعة لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالاحباط **قوله تعالى** ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون آيتان **اللغة** يقال اغنى عنه اذا دفع عنه ضررا لولاه لنزل به واذا قيل اغناه كذا عن كذا افاد ان الحكم
صار بدلا من الآخر في نفي الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة فان اختص بما ينفي الحاجة فذلك غنى وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب وغير ذلك واما
المعنى في صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادرا عالما وحيا لا يعجزه شيء وقولنا فيه انه غني معناه انه لا يجوز عليه الحاجة اصحاب النار انما سموا بذلك لملازمتهم لها
كما يقال هؤلاء اصحاب الصحراء اذا كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب العقار بمعنى ملاكه ولصاحب الرجل اتباعه واعوانه واصحاب العالم المتعلمون منه فالصحبة
مختلفة واصل الصحبة الملازمة والنار اصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة ونور واعمها علوية والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح
الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والتروح والراحة من التعب ومنه الروح لانها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة لان الريح تحملها الى الحس والصر البرد الشديد
واصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز ان يكون الصر صوت الريح الباردة الشديدة وكذلك صفة
الشمال فانها توصف بان لها قعقعة والصرة شدة الصياح **المعنى** لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين فقال ان الذين كفروا بالله
ورسوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان هذين معتمد الخلق واعز الاشياء عليهم فاذا لم (اي لن تدفع عنهم)
يغنيا عن الانسان شيئا فغيرهما اعنا واولئك اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون اي دائمون ثم ضرب لانفاقهم مثلا فقال مثل ما ينفقون
اي شبه ما ينفقون من اموالهم في هذه الحيوة الدنيا قيل هو ما ينفقونه على الكفار في عداوة الرسول وقيل هو ما انفقه ابو سفيان واصحابه ببدر واحد لما تظاهروا
على النبي وقيل هو ما انفقه سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا عن مجاهد في الاية حذف وتقديره مثل هلاك
ما ينفقون كمثل اهلاك ريح اهلاكا للدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر ومثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح
فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس ايضا اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بان
بالمعاصي فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقتها فجاءت الريح فاهلكته تاديبا لهم
من الله في وضع الشيء المهلك غير موضعه الذي هو حقه وما ظلمهم الله في اهلاك زرعهم لانهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسبيهم لانهم استحقوا
بكفرهم ولكن انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون آية **اللغة** البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون امره ماخوذة
من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهو نقيض الظهارة ويسمى بها الواحد والجمع المذكر والمؤنث قال الشاعر اولئك خلصائي نعم وبطانتي و
هم عيبتي من دون كل قريب لا يألونكم اي لا يقصرون في امركم خبالا ولا يتركون جهدهم يقال الا يالو الوا اذا فتر وضعف وقصر وما الوته خيرا وشرا اي ما قصرت
في فعل ذلك وقال امرؤ القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل اي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح
الباء وسكونها الجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الرأي اي فاسد الرأي ومنه الاستخبال طلب اعادة المال لفساد الزمان قال زهير هنالك ان يستخبلوا
المال يخبلوا وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل العنت المشقة عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه المشقة واكمة عنوت صعبة المسلك لمشقة السلوك
فيها واعنت فلان فلانا اذا حمله المشقة الشديدة فيما يطالبه به ومنه قوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم **الاعراب** من في قوله من دونكم للتبعيض والتقدير لا تتخذوا
بعض المخالفين في الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكانه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا اولى لانه اعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن
الكافر بطانة على كل حال وقيل ان من هيهنا زائدة وهذا غير حسن لان الحرف اذا صح حمله على الفائدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا نصب لانه المفعول
الثاني لان لا الو يتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا بانه صفة لبطانة ويجوز
ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه استئناف جملة وما في قوله ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم **النزول** نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا
من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويخالطونهم
عن مجاهد **المعنى** نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم اي لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون المؤمنين تفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اي من غير اهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواصلتهم
فقال لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون فيما يؤدي الى فساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يبقون غاية في القائكم فيما يضركم قال واصل الخبال
ذهاب الشيء وقوله ودوا ما عنتم معناه تمنوا ادخال المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يعنتوكم في دينكم اي يحملوكم على
المشقة فيه عن ابن عباس وقوله قد بدت البغضاء من افواههم معناه ظهرت امارة العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما تخفي صدورهم
من البغضاء اكبر مما يبدونه بالسنتهم قد بينا لكم الآيات اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي بها يتميز الولي من العدو ان كنتم تعقلون اي تعلمون الفصل بين
الولي والعدو وقيل ان كنتم تعقلون مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء عليكم الامر من البيان الشافي **قوله تعالى** ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور آية **اللغة**

العض بالاسنان معروف ومنه العض على الاصابع لان له مضغة في العض يعني عليها المال ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه بالخصومة والانامل
اطراف الاصابع واصل الانملة النمل المعروف فهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اي نمام لانه ينقل الاحاديث الكريهة كنقل النملة في الخفاء
والكثرة **الاعراب** قال الازهري يحتمل ان يكون اولاء منادى كانه قال يا اولاء وقال غيره ها للتنبيه وانتم مبتدء واولاء خبره وتحبونهم حال
وقال الزجاج جائز ان يكون اولاء في معنى الذين كانه قال الذين تحبونهم ولا يحبونكم وجائز ان يكون تحبونهم حالا وتؤمنون عطف على تحبون
ولا يجوز ان يقول ها قومك ولا ولاء لان المضمر احق بها لانها التي للتنبيه لانه كالمبهم في عموم ما يصلح له والمبهم كذلك **المعنى** ثم بين سبحانه ما هم عليه
من عداوة المؤمنين تاكيدا للنهي عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء تحبونهم فقد ذكرنا معناه في الاعراب وتقديره ها انتم الذين تحبونهم او ها انتم
الذين تحبونهم او ها انتم اولاء محبين اذا قلنا انه بمعنى الحال اي تنبهوا في حال محبتكم اياهم ولا يحبونكم هم لما بينكم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم
لانكم تريدون لهم الاسلام وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب واحد في معنى
الجمع لانه اراد به الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس ويجوز ان يكون مصدرا من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه في افراده بعين
من الايجاز وانما بالتفصيل لا اعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم وعلى
سائر الانبياء وهم لا يصدقون بكتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا معناه اذا لقوكم قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع
من الغيظ اي من الغضب والحنق لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصر الله اياهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر اذا رأوني اطال الله
غيظهم عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالاناملا قل يا محمد لهم موتوا بغيظكم صيغته صيغة الامر والمعنى الدعاء عليه
فكانه قال اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لانه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء الا وقد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه ادام الله لكم هذا الغيظ المرون
من علو كلمة الاسلام الى ان تموتوا ان الله عليم بذات الصدور اي بما فيها ويضمره من النفاق والغيظ وغير ذلك **قوله تعالى** ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط آية **القراءة** قرء نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد
والباقون مشددة مضمومة الضاد والراء وقرء الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء **الحجة** من قرء لا يضركم فهو من ضاره يضيره ضيرا و
من قرء لا يضركم فهو من ضره يضره ضرا والضير والضر بمعنى واحد وقد جاء في القرآن لا ضير واذا مسكم الضر ولا يضركم اصله لا يضرركم فنقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد
وادغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعا لاقرب الحركات اليها والعرب تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذا لا يجوز الا في
اللغتين فقوله ان تمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم فمن قال بالفتح فلان الفتح خفيف يستعمل في التقاء الساكنين
في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين **اللغة** الكيد والمكيدة المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه واصله المشقة يقال
رايت فلانا يكيد بنفسه اي يقاسي المشقة في سياق الموت ومنه المكايدة لارادة ما فيه من المشقة **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال ان تمسسكم حسنة
اي تصبكم ايها المؤمنون من نعمة الله تعالى عليكم بها من الفة واجتماع كلمة او ظفر بالاعداء تسؤهم اي تحزنهم وان تصبكم سيئة اي محنة باصابة العدو منكم لاختلاف (الفة وطاعة)
الكلمة وما يؤدي اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة والربيع وجماعة من المفسرين وان تصبروا على اذاهم وعلى طاعة رسوله والجهاد في سبيله وتتقوا الله
بالامتناع من معاصيه وفعل طاعته لا يضركم ايها الموحدون كيدهم اي مكر المنافقين وما يحتالون به عليكم شيئا اي لا قليلا ولا كثيرا لانه تعالى ينصركم ويدفع شرهم
عنكم ان الله بما تعملون محيط اي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لان اصل المحيط بالشيء هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به سبحانه **قوله**
٧ **تعالى** واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون آيتان **اللغة**
التبوئة اتخاذ الموضع للغير يقال بوأت القوم منازلهم وبوأت لهم ايضا اي وطنتهم واسكنتهم اياها وتبوؤا اي توطنوا ومنه المباءة المراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ (اذ غدوت من اهلك وتبوئ حال من غدوت)
ومنه بوآت بالذنب اي رجعت به محتملا له والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلا والفشل الضعيف **الاعراب** العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت وقيل هو
عطف على ما تقدم في السورة من قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا اي في نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة اذ غدا النبي صلى الله عليه وسلم وقيل العامل
فيه قوله محيط تقديره والله عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت من اهلك اي خرجت من المدينة غدوة تبوئ المؤمنين مقاعد اي تهيئ للمؤمنين مواطن للقتال وقيل
معناه تجلسهم وتقعدهم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوا واختلف في اي يوم كان ذلك فقيل يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن
اسحق وهو المروي عن ابي جعفر ع وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن والله سميع اي يسمع ما يقوله النبي ص عليم بما يضمرونه لانهم اختلفوا
فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للمراى وهذا كالدعاء وقيل سميع بقول المشيرين على النبي ص عليم بضمائرهم وقيل سميع بجميع المسموعات
عليم بجميع المعلومات اذ همت اي قصدت وعزمت طائفتان اي فرقتان منكم اي من المسلمين ان تفشلا اي تجبنا والطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من
الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر وابي عبد الله ع وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من
الانصار وكان سبب همهم بالفشل ان عبد الله بن ابي سلول دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهما به ولم يفعلاه والله وليهما اي ناصرهما
وروي عن جابر بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها لم تكن لقوله والله وليهما وقال بعض المحققين هذا هم خطرة لا هم عزيمة لان الله تعالى مدحهما واخبر بوليهما
ولو كان همهم عزيمة وقصدا لكان ذمهم اولى من مدحهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون في جميع احوالهم وامورهم **ذكر غزوة احد** عن ابي عبد الله ع انه قال كان

سبب نزول قصة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والاسر لانه قتل منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفيان يا معشر قريش
لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة اذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد فلما غزا رسول الله يوم احد اذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا
من مكة في ثلاثة آلاف فارس والفي راجل واخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله ذلك جمع اصحابه وحثهم على الجهاد فقال عبد الله بن ابي سلول يا رسول
الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والامة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن
في حصوننا ودروبنا وما خرجنا الى عدو لنا قط الا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن كفار
نعبد الاصنام فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله فقبل رسول الله رأيه وخرج
مع نفر من اصحابه يتبوؤن موضع القتال كما قال تعالى واذ غدوت من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن ابي وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافت قريش الى احد وكان
رسول الله عبأ اصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتيهم كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله
بن جبير واصحابه ان رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا
مراكزكم ووضع ابو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كمينا وقال اذا رأيتموهم قد اختلطوا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وعبأ رسول
الله اصحابه ودفع الراية الى امير المؤمنين ع وحمل الانصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله ص في سوادهم وانحط خالد بن الوليد
في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى اصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير
قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول الله قد تقدم الينا ان لا نبرح فلم يقبلوا منه واقبلوا ينسل رجل فرجل حتى خلوا مراكزهم
وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا وكانت راية قريش مع طلحة بن ابي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي ع واخذ الراية ابو سعيد بن ابي طلحة فقتله علي ع وسقطت (بن ابي طلحة)
الراية فاخذها مسافع بن ابي طلحة فقتله علي حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم الى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه علي ع فقطع يده
اليمنى فاخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذمين الى صدره ثم التفت الى ابي سفيان فقال هل اعذرت في بني عبد الدار فضربه علي ع على رأسه
فقتله وسقط اللواء فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب
الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش في هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول الله ص هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون
في الجبال وفي كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال اني انا رسول الله الى اين تفرون عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة
في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلا ومكحلة وقالت انما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فاذا رأوه
انهزموا ولم يثبت له احد وكانت هند قد اعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبدا لجبير بن مطعم حبشيا
فقال وحشي اما محمد فلم اقدر عليه واما علي فرأيته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة فرأيته يهد الناس هدا فمر بي فوطئ على جرف نهر
فسقط واخذت حربتي فهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته فسقط فاتيته فشققت بطنه واخذت كبده وجئت بها الى هند فقلت هذه كبد
حمزة فاخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداغصة وهي عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها فقال رسول الله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى
موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده ورجله ولم يبق مع رسول الله الا ابو دجانة سماك بن خرشة وعلي ع فكلما حملت
طائفة على رسول الله استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع اليه رسول الله سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله الى ناحية احد
فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل علي يقاتلهم حتى اصابه في وجهه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده علي بن ابراهيم في تفسيره فقال جبرئيل
ان هذه لهي المواساة يا محمد فقال النبي انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما قال ابو عبد الله نظر رسول الله الى جبرئيل بين السماء والارض على كرسي
من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وروى ابن اسحق والسدي والواقدي وابن جرير وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا باحد يوم الاربعاء في
شوال سنة ثلث من الهجرة وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف من الشهر وكسرت رباعية رسول الله ص وجرح وجهه ثم رجع المهاجرون
والانصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين سبعون وشد رسول الله بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حمزة اعظم مثلة وضربت يد طلحة فشلت
وسعد بن وقاص كان يرمي بين يديه وهو يقول ارم فداك ابي وامي الى الفظ الامر ثم امرهم بالصبر في قوله وان تصبروا وتتقوا عقيبه بنصرة المسلمين يوم بدر بصبرهم على
القتال ثم ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر فقيل لطفه وان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لا تصبروا ونزل بكم ما نزل يوم احد خالفتم امر رسول الله ذكر
ابو مسلم انه متصل بقوله قد كان لكم آية في فئتين كما تقدم ذكره قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ربع آيات القراءة قرأ ابن عامر منزلين مشددة الزاء وقرأ
الباقون منزلين مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسومين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتحها الحجة حجة من قرأ منزلين بالتخفيف قوله وقالوا لولا انزل
عليه ملك ولو انزلنا ملكا ولان انزل يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما نزل الملائكة وتنزل الملائكة والروح فيها الا ان تنزل مطاوع نزل ولو شاء لانزل
اليهم الملائكة فقال ابو الحسن من قرأ مسومين بالكسر فلانهم سوموا الخيل ومن قرأ مسومين فلانهم سوموا وقالوا المسومين معلمين ويكون مرسلين من

الخيل اذا ارسلها ومنه السائمة وقال علي بن عيسى ان اختيار الكسر لظاهر الاخبار بانهم سوموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله سوموا فان
الملائكة قد سومت اللغة بدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمي الموضع باسم صاحبه وقال الواقدي
هو اسم الموضع وكل شيء تم فهو بدر وسمي بدر السماء بدرا لتمامه وامتلائه وعين بدرة ممتلئة يقال استكفى الامر يكفاني وكفاك هذا الامر حسبك
والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة والامداد هو اعطاء الشيء حالا بعد حال
المد في الشر هو الاستمرار عليه وامده بشيء اطال واستمر وامددت الجيش بمدد وامد الجرح فهو ممد اذا صارت فيه المدة ومد النهر اذا جرى مد النهر ومده نهر آخر
يقال مده في الشر وامده في الخير واصل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى ومنه فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فار الماء اذا جاش
به ومنه الفوارة لانها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها ثم جعل الفور على ابتداء الحمى قبل ان ترد عنه نفسه وقيل الفوار القصد الى الشيء الاعراب
وانتم اذلة في موضع نصب على الحال وان يمدكم في موضع رفع بانه فاعل الن يكفيكم وتقديره الن يكفيكم امداد ربكم وقوله من فورهم هذا في موضع
جر صفة لفورهم وقوله ولتطمئن قلوبكم به معطوف على قوله بشرى لكم لان تقديره للبشرى وللطمأنينة المعنى ثم بين تعالى ما فعله بهم من النصر
يوم بدر فقال ولقد نصركم الله ببدر ايها المؤمنون ببدر بتقوية قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبالقاء الرعب في قلوب اعدائكم وانتم اذلة اي ضعفاء
عن المقاومة قليلو العدد قليلو العدة جمع ذليل وروي عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا
وكان المشركون نحوا من الف رجل وروي عن بعض الصادقين انه قرأ وانتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم رسول الله وكان صاحب راية رسول
الله يوم بدر امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ فاتقوا الله اي اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته لعلكم
تشكرون اي لتقوموا بشكر نعمته اذ تقول خطاب للنبي اي اذ تقول يا محمد للمؤمنين من اصحابك الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة هو اخبار
بان النبي قال لقومه الن يكفيكم يوم بدر ان يجعل ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الامداد بالملائكة كان يوم
بدر وقال ابن عباس لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وكانوا في غيره من الايام عدة ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف
معنا بخمسة آلاف آخر وقيل ان الوعد بالامداد بالملائكة كان يوم احد وعدهم الله المدد ان صبروا وعن عكرمة والضحاك منزلين انزلهم الله من السماء الى
الارض لنصرتكم بلى تصديق للوعد اي يفعل كما وعدكم وزيادة ان تصبروا اي ان صبرتم على الجهاد وعلى ما امركم الله به وتتقوا معاصي الله ومخالفة رسوله ويأتوكم
يعني المشركين ان رجعوا اليكم من فورهم هذا اي من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وعلى هذا فانما هو من فور الابتداء وهو شدتهم
وقيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد وابي صالح والضحاك وكانوا قد غضبوا يوم احد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه يمددكم بخمسة آلاف من
الملائكة اي يعطكم مددا لكم ونصرة وانما قال ذلك لان الكفار في غزاة احد ندموا بعد انصرافهم لم لم يغيروا على المدينة وهموا بالرجوع فاوحى الله الى نبيه ان يأمر
اصحابه بالتهيؤ للرجوع اليهم وقال لهم ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتم الكفار امدكم الله بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين واخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فاخبر المشركين من مر برسول الله انه خرج يتبعكم فخاف
المشركون ان رجعوا ان تكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعي حتى يصدهم بتعظيم
قريش واسرعوا في الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن خمسة آلاف جميعهم
منهم ثلاثة آلاف المنزلين على ان الظاهر يقتضي ان الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لان قوله اذ تقول للمؤمنين الآية يتعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر
الآية ثم استأنف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا اي ان رجعوا اليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
وهذا قول البلخي وروي عن عكرمة قال لم يمدوا يوم احد ولا بملك واحد وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين وعلى التقدير الاول ان قيل كيف لم يمدوا بالملائكة في سائر الحروب
فالجواب ان ذلك تابع للمصلحة فاذا علم الله في امدادهم مصلحة امدهم وقوله مسومين بالكسر اي معلمين اعلموا انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اي علمهم
قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم كانوا اعلموا بالصوف في نواصي الخيل واذنابها قال عروة نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم
صفر وقال علي وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوا اذنابها بين اكتافهم قال السدي معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة اي المرسلة
في المرعى وما جعله الله الا بشرى لكم اي وما جعل الله الامداد والوعد به فالهاء عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بدلالة الكلام عليه لان يمددكم
يدل على الامداد وبشرى لكم اي بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئن قلوبكم به اي ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم وما النصر اي ما
المعونة الا من عند الله ومعناه ان الحاجة الى الله تعالى لازمة في المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين في تقوية قلوبكم وخذلان
عدوكم بضعف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر بامداد الملائكة الا من عند الله العزيز اي القادر على انتقامه من الكفار بايدي المؤمنين الحكيم
في تدبيره للعالمين وانما قال ذلك ليعلمهم ان حربهم للمشركين انما هو لاعزاز الدين قبل الغرض المبتغى باقتداره والحكيم في تدبيره فصل وجيز في ذكر مغازي
رسول الله ص قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ست وعشرون غزاة فاول غزاة غزاها غزوة الابواء ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة
بدر الاولى ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة ذي امر ثم غزوة احد ثم غزوة الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة
بدر الاخيرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم غزوة الفتح

مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات غزوة بدر الكبرى وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة
والخندق وبني قريظة في شوال سنة اربع وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح في رمضان سنة ثمان وحنين والطائف في شوال سنة ثمان
فاول غزوة غزاها بنفسه فقاتل فيها بدر وآخرها تبوك واما عدد سراياه فست وثلثون سرية على ما عدد في مواضعه **قوله تعالى** ليقطع طرفا من الذين
كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون **اللغة** الكبت الخزي وهو مصدر كبت الله العدو اي اخزاه واذله
قال الخليل الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة الوهن الذي يقع في القلب وربما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله والخائب المنقطع
عما امل ولا يكون الخيبة الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل واليأس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر **الاعراب** نصب او يتوب عليهم على وجهين احدهما
ان يكون عطفا على ليقطع فيكون قوله ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك عمرا والآخر ان يكون بمعنى الا ان فكانه قال
ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون توبتهم او عذابهم الامر الذي لك به رضا ويروي **المعنى** ليقطع طرفا من الذين كفروا اختلف في وجه اتصاله بما قبله
فقيل يتصل بقوله وما النصر الا من عند الله ومعناه اعطاكم الله هذا النصر حكمة بان يقطع طائفة من الذين كفروا بالاسر والقتل وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم
الله ببدر ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا وقيل معناه فعل التدبير ليقطع طرفا اي قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل
والاسر واما اليوم الذي قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساؤهم وقادتهم الى الكفر في قول الحسن والربيع وقتادة وقيل هو يوم احد قتل فيه
منهم ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بعد قطع الطرف ولان الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كقوله
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم معناه او يخزيهم بالخيبة مما املوا من الظفر بكم عن قتادة والربيع وقيل معناه او يردهم عسكرهم منهزمين عن الجبائي والكلبي وقيل يصرعهم
الله على وجوههم وقيل يظفركم عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدي وقيل يهلكهم عن ابي عبيدة فينقلبوا خائبين اي لم ينالوا مما املوا شيئا ليس لك من الامر شيء قيل
هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه ونصركم الله ليقطع طرفا منهم او يكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء عن ابي مسلم وقيل انه اعتراض
بين الكلامين قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم قد استحقوا العذاب اي ليس لك من هذه الامور شيء حتى يتلو الله تعالى واختلف في سبب نزوله فروي
انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد ما كان من كسر رباعية الرسول وشجه حتى جرت الدماء على وجهه فقال كيف يفلح قوم
نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلم الله انه ليس اليه فلاحهم وانه ليس اليه الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وانما ذلك الى
الله تعالى وكان الذي كسر رباعيته وشجه في راسه عتبة بن ابي وقاص فدعا عليه بان لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فمات قبل ان يحول الحول وادمى وجهه رجل من هذيل
يقال له عبد الله بن قمية فدعا عليه فكان حتفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروي انه كان يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فنزل هذا
يمكن ان يكون دعاء على وجل من عشائرهم ولصراديهم فاخبرهم انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك الا ان يكونوا
مؤمنين وقيل انه استاذن في يوم احد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبة بعض على
الجبائي وقيل اراد رسول الله ان يدعو على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله عن ذلك وتاب عليهم ونزلت الآية ليس لك من الامر شيء اي ليس لك ان تلعنهم
وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما راى رسول الله والمسلمون ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الانوف والآذان وقطع المذاكير قالوا لئن انالنا الله
منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد قط فنزلت الآية عن محمد بن اسحق والشعبي وقيل نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من
قراء اصحاب رسول الله واميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القرآن والعلم فقتلهم
جميعا عامر بن الطفيل وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى ابي بكر فوجد رسول الله من ذلك وجدا شديدا وقنت عليهم شهرا فنزلت ليس لك من الامر شيء عن مقاتل والاصح
انها نزلت في احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وانما قال ليس لك من الامر شيء مع ان له ان يدعوهم الى الله ويؤدي اليهم بتبليغهم لان معناه ليس لك شيء
من امر عقابهم واستيصالهم والدعاء عليهم او لعنهم حتى يقع انابتهم فجاء الكلام على الايجاز لان المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه وقيل فانه لا يعتد بما له من تدبيرهم
مع تدبير الله لهم فكانه قال ليس لك من الامر شيء على وجه من الوجوه وقوله او يتوب عليهم قيل معناه وجهان احدهما او يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه
لهم والآخر او يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا يصح هذه الصفة الا لله تعالى لانه يملك الجزاء بالثواب والعقاب او يعذبهم اي يعذبهم الله تعالى ان لم
يتوبوا فانهم ظالمون اي مستحقون للعذاب بظلمهم وفي هذه الآية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب فانما هو الى الله وليس الى النبي من ذلك
شيء وانما اليه الهداية فكانه قال لا ترفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب عليهم وان داموا على كفرهم واغالهم فيعذبهم بظلمهم **قوله تعالى** ولله ما في السموات وما في
الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم آية **اللغة** انما ذكر لفظ ما لانها اعم من من فانها تتناول ما يعقل وما لا يعقل لانها تقصد الجنس ولو قال
من في السموات لم يدخل فيه الا العقلاء الا ان يحمل على التغليب ولذلك **المعنى** لما قال تعالى ليس لك من الامر شيء عقب ذلك بان الامر كله له فقال ولله
ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء وايجادا وافناء واعادة يغفر لمن يشاء من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها
ولا يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا ويعذب من يشاء اي ويعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبي المؤمنين ان مات قبل التوبة عدلا ويدل عليه قوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لكنا نجوز العفو على الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله الامر بالتعذيب والمغفرة فلم يبين من يغفر
له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يامن من عذاب الله تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق ع

قوله

ودون رجاء المؤمن خوفه لا عدله وقيل انما علق الغفران والعذاب بالمشية لان المشية مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة وقد سال بعضهم كيف
يعذب الله عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته اذ لا يكون رحمته برقة القلب كما تكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال مفسرا لهذه الآية يغفر لمن يشاء
يعذب من يشاء ممن لم يتب **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين و
اطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ثلث آيات **المعنى** لما ذكر سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوه لاستحقوا عليه
العذاب هو الربوا فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله لا تأكلوا الربوا ذكر الاكل لانه معظم الانتفاع وان كان غيره من التصرفات ايضا منهيا عنه
والربوا الزيادة على اصل المال بالتاخير عن الاجل الحال وقيل هو ربوا الجاهلية عن عطاء ومجاهد اضعافا مضاعفة قيل في معناه قولان احدهما ان يضعف
بالتاخير اجلا بعد اجل كلما اخر عن اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثاني ما تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة و
تحريم الربوا هو المصلحة التي علمها الله وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل ويحض عليه ومنها انه
يدعو الى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروي عن ابي عبد الله وانما اعاد تحريم الربوا مع ما سبق ذكره في سورة البقرة
لامرين احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تحريم تصريف الخطر له وشدة التحذير منه الذي يجري على الاضعاف والمضاعفة واتقوا
الله اي اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه لعلكم تفلحون لكي تنجوا بادراك ما تأملونه وتفوزوا بثواب الجنة واتقوا النار اي الافعال
الموجبة لدخول النار التي اعدت للكافرين اي هيئت واتخذت للكافرين والوجه في تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم اهل النار فهم المقصودون في
اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو كقوله اعدت للمتقين ومعلوم انه قد يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن
تخصيص الكفار باعداد النار لهم لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين باسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة سائر الكفار اياهم ومثله في القرآن
كثير والاصل ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه واطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا فلا
يعذبكم ومما يسال عن هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه تكراره والجواب عنه شيئان احدهما ان المقصود بطاعة الرسول فيما دعا
اليه مع القصد بطاعة الله والثاني انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع الى ذلك بامر الله **النظم** وقيل في وجه اتصال
هذه الآية بما قبلها قولان احدهما انه لما انطوى الامر بالطاعة بالنهي عن اكل الربوا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربوا وغيره والثاني ما قاله محمد
بن اسحق بن يسار انه معاتبة للذين عصوا رسول الله لما امرهم به يوم احد من لزوم مراكزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله
قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون اموالهم في السراء والضراء والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين آيتان **القراءة** قرا اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو في مصاحف
مكة والعراق **الحجة** والقرب بينهما استئناف الكلام اذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم اذا قرئ بالواو لانه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز ايضا ترك الواو لان
الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلثة رابعهم كلبهم وقال سبعة وثامنهم كلبهم **اللغة** اصل الكظم شد راس
القربة عن ملئها تقول كظمت القربة اذا ملأتها ماء ثم شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا حزنا وكذلك اذا كان ممتلئا غضبا لم ينتقم وكظم
البعير اذا لم يجتر الكظامة وهي القناة التي تجري تحت الارض سميت بذلك لامتلائها تحت الارض وفي غريب الحديث لابي عبيدة عن اوس بن ابي اوس انه راى النبي
اتى كظامة قوم فتوضأ ومسح على قدميه يقال اخذ بكظمه اي بمجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب
المستحق بالمعاصي ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصي ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم **المعنى** لما حث الله
تعالى عن الافعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث على الافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا اي بادروا الى مغفرة من ربكم بالجنابة معصيته ومعناه الى الاعمال
التي توجب المغفرة واختلف في ذلك فقيل سارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى اداء الفرائض عن علي بن ابي طالب وقيل الى الهجرة عن ابي العالية وقيل الى التكبيرة
الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء الطاعات عن سعيد بن جبير وقيل الى الصلوة الخمس عن يمان وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة وجنة عرضها
السموات والارض واختلف في معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض عن ابن عباس والحسن والجبائي
والبلخي وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل على ان الطول اعظم من العرض وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض ومثل الآية قوله ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة ومعناه الا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر كان عذيرهم بجنوب سلى نعام فاق في بلد قفار اي عذير نعام وقال آخر حسبت بغام راحلتي عناقا
وما هي ويب غيرك بالعناق اي صوت عناق وثانيها ان معناه ثمنها لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها
وجلالة قدرها وانه لا يساويها شيء وان عظم عن ابي مسلم الاصفهاني وهذا وجه مليح الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول
وانما اراد سعتها وعظمها والعرب اذا وصفت الشيء بالسعة وصفته بالعرض قال الشاعر كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل وقال ذو الرمة فاعرض
في المكارم واستطالا اي توسع فيها وقد سأل بعضهم فقال اذا كانت الجنة عرضها كعرض السماء والارض فاين تكون النار فجواب انه روي ان النبي سئل عن ذلك فقال سبحان
الله اذا جاء النهار فاين الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسألة لان القادر على ان يذهب بالليل حيث شاء قادر على ان يخلق النار حيث شاء ويسال ايضا فيقال اذا
كانت الجنة في السماء فكيف يكون لها هذا العرض والجواب انه قيل ان الجنة فوق السموات السبع والنار تحت الارضين السبع عن انس بن مالك وقيل معنى قوله ان الجنة في السماء

ان الجنة فوق السموات السبع تحت العرش عن انس بن مالك وقيل في السموات الاربع

انها ناحية السماء وجهة السماء لان السماء محويها ولا ينكر ان يخلق الله في العلو امثال السموات والارضين وان صح الخبر انها في السماء الرابعة كان كما قال في
الذاريات الا انتصاب بها كونه في ناحية منها او يشرع اليها بابها وان كان اصحاب الدار وقيل ان الله يزيد في عرضها يوم القيمة فيكون المراد عرضها السموات
والارض يوم القيمة لا في الحال عن ابي بكر احمد بن علي مع تسليم انها في السماء وقوله اعدت للمتقين اي للمطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلهم الطاعات
ويجوز لاجتنابهم بالطاعة عن العقوبة وانما اضيف الى المتقين لانهم المقصودون بها وان دخلها غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك حكم الفاسق لو
عفي عنهم وقيل معناه انه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للامير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم لانها لا تكون معدة الا وهي مخلوقة
الذين ينفقون في السراء والضراء صفة للمتقين وفي معنى السراء والضراء قولان احدهما ان معناه في اليسر والعسر عن ابن عباس اي في حال كثرة المال وقلته والثاني في
حال السرور والاغتمام اي لا يقطعهم شيء عن انفاق المال في وجوه البر والكاظمين الغيظ اي المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل
عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك والعافين عن الناس يعني الصافحين المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدي الى الاخلال بحق الله تع وقيل العافين عن — عن الناس
المملوكين والله يحب المحسنين اي من فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له ويحتمل ان يكون الاحسان شرطا مضموما الى هذه الشرائط قال الثوري الاحسان
ان تحسن الى من اساء اليك فاما من احسن اليك فانه متاجرة كنقد السوق خذ مني وهات فصل فاول ما عدد الله من خلال اهل الجنة السخاء ومما يؤيد ذلك من
الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبي انه قال السخاء شجرة في الجنة اغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة في النار اغصانها
في الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها قادته الى النار وقال علي الجنة دار الاسخياء وقال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار
والبخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ثم ثنى تعالى بعد السخاء من خلال اهل الجنة بكظم الغيظ ومما جاء فيه من الاخبار ما رواه ابو امامة قال قال رسول
الله من كظم غيظه وهو قادر على انفاذه ملأه الله يوم القيمة رضا وفي خبر آخر ملأه الله يوم القيمة امنا وايمانا وقال نبينا كاظم الغيظ كضارب السيف في سبيل الله
في وجه عدوه وملأ الله قلبه رضا وفي خبر آخر ملأ الله قلبه يوم القيمة امنا وايمانا وقال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
ثم ذكر العافين عن الناس وقد روي ان رسول الله قال ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذا دليل واضح على ان العفو عن
المعاصي مرغب فيه مندوب اليه وان لم يكن واجبا قال النبي ما عفى رجل عن مظلمة قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر سبحانه انه يحب المحسنين والمحسن هو المنعم على
غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن ايضا الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وروي ان جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء
ليتهيأ للصلوة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع رأسه اليها فقالت له الجارية ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت
والعافين عن الناس قال قد عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة لوجه الله **قوله تعالى** والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين ايتان **اللغة** اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج الى عظم القبح وقول العين فيه ولذلك قيل للطويل المفرط انه لفاحش الطول
وافحش فلان اذا افحش بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصر شدة البرد فكانما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه وقيل اصله الثبات على الشيء وقال
الحطيئة يصف الخيل عوابس بالشعث الكماة اذا ابتغوا علالتها بالمحصدات اصرت اي اذا اخاروا يعني ثبتت على جريها **الاعراب** والذين
عطف على المتقين وقيل رفع على الاستيناف كانه عطف جملة على جملة فعلى القول الاول هم فرقة واحدة وعلى القول الثاني هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعا الى
الاولين ويكون محله رفعا على المدح قوله الا الله يرتفع لفظه حملا على المعنى لا على اللفظ اذ ليس قبله جحد تقديره وهل يغفر الذنوب احد الا الله وهل واحد
يغفر الذنوب الا الله ومعناه لا يغفر الذنوب الا الله لان الاستفهام قد يقع موقع النفي ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف وتقديره ونعم اجر العاملين جزاؤهم
النزول روي ان قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبح كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك
واذنك افعل كذا فسكت رسول الله فنزلت الاية فقال الا اخبركم بخير من ذلكم وقرأ عليهم هذه الاية عن ابن مسعود وذلك تسهيل لما كان قد شدد به على بني — بينه
اسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت في نبهان التمار اتته امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه وذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه فقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبي وذكر له ذلك فنزلت الاية عن عطا **المعنى** والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم خلقوا ان الفاحشة
وظلم النفس وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس سائر المعاصي عن السدي وجابر وقيل الفاحشة الكبائر وظلم النفس الصغائر عن القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني وقد
قيل الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة او باطنة الا انها لا يكاد يقع الا على الكبيرة عن علي بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا ذكروا الله اي
ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر
لنا ذنوبنا فانا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله تعم وبليغ كرمه وجزيل منته وهو الغاية في ترغيب العاصين
في التوبة وطلب المغفرة والنهاية في تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب الى من تعتذر الى من يقبل عذرك سوى
واذا سأل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض الاساءة فالجواب ان الذنوب التي يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله وايضا فانه اراد سبحانه غفران الكبائر
العظام والاساءة من بعضنا الى بعض صغيرة بالاضافة اليها ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اي لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها قال الحسن
هو فعل الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفي في ان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما يؤثر عند ترك الاصرار وقد

روي عن النبي انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعني لا تبقى الكبيرة كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا تبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفي تفسير ابن
عباس الاصرار السكون على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله وهم يعلمون يحتمل وجوها احدها ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين
ولا ناسين لان الله تع يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان لم يتب منه بعينه عن الجبائي والثاني ان معناه وهم يعلمون الحجة في انها خطيئة فاذا لم يعلموا و
لا طريق لهم الى العلم به كان الاثم موضوعا عنهم كمن تزوج امة من الرضاعة او النسب وهو لا يعلم بها فانه لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والثالث ان المراد
وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك ثم اولئك اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء الى اخر الكلام اي هؤلاء
جزاؤهم على اعمالهم وتوبتهم مغفرة من ربهم اي ستر لذنوبهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها قد مر تفسيرها في سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا
يعود ما وصفه من الجنات وانواع الثواب المغفرة بستر الذنوب حتى يصير كانها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة عليها والله تع متفضل بذلك لان سقوط
العقاب عند التوبة تفضل منه واما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب لا محالة عقلا لانه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليف التوبة لما فيها من المشقة **النظم**
قيل ان الاية اتصلت بما قبلها لانها من صفة المتقين وقيل بل هما فرقتان بين تعالى ان الجنة للمتقين المنفقين في السراء والضراء الى اخر الاية ولمن تاب و
لم يصر **قوله تعالى** قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ايتان **اللغة**
السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها من ذلك سنة رسول الله قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم ولكل قوم سنة وامامها وقال سليمان بن قبة وان
الالى بالطف من ال هاشم تآسوا فسنوا للكرام التآسيا واصل السنة الاستمرار في جهة يقال سن الماء اذا صببته حتى يفيض الاتاوي وسن السكين بالمسن اذا امره عليه
لتحديده ومنه سنن واحد لا سنن الا الاستمرار ونها على منهاجها والسنن الاستمرار والطعن والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدي اليها السبب المتقدم وليس كذلك الاخرة
لانه قد كان يمكن ان يجعل بدلها في العقد والموعظة ما يلين القلب بدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعا الى الجميل وقيل الموعظة ما هو يدعو
بالرغبة والرهبة الى الحسنة بدلا من السيئة **المعنى** لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن والكافر في الدنيا والاخرة بين ان ذلك عادته في خلقه فقال قد خلت اي
قد مضت من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل هو خطاب للمؤمنين يوم احد سنن من الله في الامم السالفة اذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال وبقيت اثارهم
في الديار للاعتبار والاتعاظ عن الحسن وابن اسحق وقيل سنن امثال عن ابن زيد وقيل سنن امم والسنة الامة عن المفضل وقال الشاعر ما عاين الناس من فضل
كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف السنن وقيل معناه اهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم عن الكلبي فسيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي تعرفوا اخبار المكذبين وما نزل بهم لتتعظوا بذلك فتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا في التكذيب والانكار طريقهم
فيحل بكم من العذاب ما حل بهم واراد بالمكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب اعلم الله تع في الدنيا بعذاب الاستيصال وفي الاخرة باليم العذاب
وعظيم النكال هذا اشارة الى القرآن بيان للناس اي دلالة وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت من قبلكم سنن اي هذا الذي
عرفتكم بيان للناس عن ابن اسحق واختاره البلخي والطبري وهدى قال علي بن عيسى الفرق بين البيان والهدى ان البيان اظهار المعنى للنفس كائنا ما كان والهدى بيان
لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغي وموعظة للمتقين وانما خص المتقين بهم مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافة لان المتقين هم المنتفعون به دون المغفلين
بموعظته **قوله تعالى** ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم
الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ايتان **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله من بعد ما اصابهم
القرح والباقون بفتح القاف **الحجة** قال ابو علي قرح وقرح مثل ضعف وضعف والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسن قرح يقرح قرحا وقرحا
فهذا يدل على انهما مصدران ومن قال ان القرح الجراحات باعيانها والقرح الم الجراحات طولب بذلك منه اذا ادعى فيه برواية لان ذلك مما لا يعلم بالقياس **اللغة** — والعطاء
الوهن الضعف والوهن والوهن عاما مضى في الليل الاعلون واحده الاعلى ومؤنثه العليا وجمعها العليا والفرق بين اللمس والمس ان اللمس يصحبه احساس والمس
يصحبه فقط والدولة الكرة لفريق بنيل المراد واديل الله فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه تداول القوم الشيء اذا صار من بعضهم الى بعض وضم الدال
في الدولة وفتحها لغتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب **الاعراب** وانتم الاعلون جملة في موضع الحال كانه قال لا تحزنوا عالين اي منصورين على الاعداء و
يحتمل ان يكون لا موضع لها في الاعراب لانها اعتراض بوعده مؤكدة تقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الاعلون مع ذلك قوله وليعلم
العامل في اللام محذوف ويدل عليه اول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين امنوا نداولها ويجوز ان يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها
بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله الذين امنوا **النزول** قيل نزلت الاية تسلية للمؤمنين لما نالهم يوم احد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة
وابن ابي نجيح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا
بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة الا هؤلاء النفر فانزل الله تع الاية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل
فذلك قوله وانتم الاعلون عن ابن عباس وقيل نزلت الاية بعد يوم احد حين امر الله رسول الله بطلب القوم وقد اصابهم من الجراح ما اصابهم فقال لا يخرج الا من
شهد معنا بالامس فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تع هذه الاية عن الكلبي ودليله قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم الاية **المعنى** ثم حث الله تع المسلمين
على الجهاد ونهاهم عن الوهن والحزن مع ما نالهم من عدم الغلبة في الحال وحسن العاقبة في المال فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا بما يصيبكم في
اموالكم وابدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الاخوان وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم

من الغنيمة وانتم الاعلون اي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة وقيل اراد وانتم الاعلون في المكان ان كنتم مؤمنين معناه ان من كان مؤمنا يجب
ان لا يهن ولا يحزن لثقته بالله ويحتمل ان يكون معناه ان كنتم مصدقين بوعدكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم اخذ سبحانه في تسليتهم
فقال ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله معناه ان يصبكم جراح فقد اصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل ان يصبكم الم وجراح يوم احد فقد اصاب القوم
ذلك يوم بدر وقال انس بن مالك اتي رسول الله بعلي عليه السلام يومئذ وفيه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله يمسحها وهي تلتئم باذن الله
كان لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله اللهم انه ليس لهم ان يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة وقال يوم بيوم
وان الايام دول وان الحرب سجال فقال عليه السلام اجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي الله مولانا ولا مولى
لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال الله تعالى اعلى واجل وتلك الايام نداولها بين الناس اي نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي وابن
اسحق وانما يصرف الايام الله بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها عليهم احيانا لا بنصرة الكفار عليهم لا ينصر الكفار على المسلمين
لان النصرة تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وانما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم اليها لتقل رغبته فيها او حرصه عليها اذ تفنى لذاتها
ويظعن مقيمها ويسعى للآخرة التي يدوم نعيمها وانما جعل الدولة للمؤمنين مرة ومرة عليهم ليدخل الناس في الايمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام
الحجة فانه لو كانت الدولة ابدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون في الايمان على سبيل اليمن والفال على ان كل موضع حضره النبي لم يخل من ظفر اما في ابتداء الامر واما
في انتهائه وانما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله وليعلم الله الذين آمنوا المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الايام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب
الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالايمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لانه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالايمان ويجوز
ان يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال واذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما
يعلمهم بعده فانما يعلم قبل الاظهار انهم سيتميزون فاذا اظهروه علمهم متميزين ويكون التغير حاصلا في المعلوم لا في العالم كما ان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه على
معنى انه سيجيء فاذا جاء علم جائيا علم يوما لا غدا فاذا انقضى فانما يعلمه امس يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا في المعلوم لا في العالم وقيل معناه وليعلم
اولياء الله الذين آمنوا وانما اضافه الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر وجزع من يجزع وايمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الاخلاص
والنفاق ومعناه ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما عن الآخر وقوله ويتخذ منكم شهداء قيل فيه قولان احدهما ان معناه ليكرم بالشهادة
من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحق والآخر ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو الرتبة
والشهداء يكون جمع شاهد كصاحب وصحب وجمع شهيد عن ابي علي الجبائي وانما سموا شهداء لمشاهدتهم الاعمال التي يشهدون بها وان كان جمع شهيد فلانهم بذلوا الروح
عند شهودهم الوقعة ولم يفروا والله لا يحب الظالمين ظاهر المعنى وفائدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاحد المعاني التي ذكرها من تمحيص
ذنوب المؤمنين كما قال فيما بعد قوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين آية اللغة اصل التمحيص التخليص قال الخليل التمحيص التخليص من العيب
ومحصه يمحصه محصا اذا خلصه من كل عيب يقال اللهم محص عنا ذنوبنا اي اذهبها عنا لانه تخليص الحسنات بتكفير السيئات واصل المحق نقصان الشيء حالا بعد
حال ولهذا دخله معنى النقصان وامحق الشيء امحاقا وامحق الشيء وتمحق اذا ذهبت بركته حالا بعد حال والمحاق آخر الشهر لذهاب الهلال حالا بعد حال
المعنى بين تعالى وجه المصلحة في مداولة الايام بين الناس فقال وليمحص الله الذين آمنوا وقيل في الآية اقوال احدها ان يمحص الله اي وليبتلي الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي وثانيها ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج وثالثها ليخلص الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء ويهلك الكافرين بالذنوب
عند الابتلاء عن علي بن عيسى وانما قابل بين التمحيص والمحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الآية
دلالة على انه تعالى انما يداول بين الناس ليمحص ذنوب المؤمنين ويمحق الكافرين وانما يمحصهم بالمداولة لشيئين احدهما ان في تخليتهم ويمحق الكافرين منهم تعريضا
ايام الصبر الذي يستحقون به عظيم الاجر ويحبط به عنهم كثيرا من اثقال الوزر والثاني ان في ذلك لطفا لهم يعصمهم عن اقتراف الاثم قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون آيتان اللغة الفرق
بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا وليت لم يكن وقيل ان التمني معنى في القلب نظائره هذا القول والصحيح هو الاول
الاعراب في قوله ام حسبتم هي المنقطعة وتقديره بل حسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما ان لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به
الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان اصلها لم مؤكدة بحرف وقوله ويعلم الصابرين كان جوابا لما هو مؤكد بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الصرف
عن العطف لانه ليس المعنى على نفي الثاني دون الاول وانما هو على نفي اجتماع الثاني والاول وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا باضمار ان والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد
والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرء ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على الاول المعنى لما حث الله على الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والاحتجاج فان
الجنة لا تنال الا بالبلوى والاختبار فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة المراد به الانكار اي اظننتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين اي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وانما جاز ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم لانه لو كان لعلمه وتقديره ولما لم يكن المعلوم من جهادهم الذي اوجب
عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد تمنون الموت وتتمنون الموت فحذف احدى التائين للتخفيف ذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر

في الفرق بين التمني والارادة

كانوا

كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما راوه يوم احد اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع
وقتادة والسدي من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه الهاء في تلقوه ورأيتموه راجعة الى الموت اي من قبل ان تلقوا اسباب الموت وهو الحرب فقد رأيتموها لان
الموت لا يرى ونحو ذلك قول الشاعر الموت تحت لواء آل محلم اي اسباب الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد وانتم تنظرون قيل انه تاكيد للرؤية كما يقال رأيته
عيانا ورأيته بعيني وسمعته باذني لئلا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه وانتم تتأملون الحال في ذلك كيف هي فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل
وانتم تنظرون الى محمد وفيه حذف اي فلم انهزمتم لانه موضع عتاب فان قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا لا يجوز ذلك
لان قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمني المعاصي كما لا يجوز ارادتها ولا الامر بها فاذا ثبت ذلك فانما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا قوله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين آية
اللغة محمد اخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد ومعناه المستغرق لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجبه الا المستولي على الامر في الكمال فاكرم الله عز اسمه نبيه وصفيه باسمين
مشتقين من اسمه تعالى محمد واحمد واليه اشار حسان بن ثابت في قوله نبي اتانا بعد يأس وفترة من الدين والاوثان في الارض تعبد الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله اعلى
وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد الاعراب انما دخلت حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره انقلبتم ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد
صار جملة واحدة وخبرا واحدا فكان بمنزلة تقديم الاسم على الفعل في الذكر اذا قيل ازيد قام فكذلك تقديمه في القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر
حلفت له ان تدلج الليل لا يزل امامك بيت من بيوتي سائر النزول قال اهل التفسير سبب نزول هذه الآية انه لما ارجف بان النبي قد قتل يوم احد واشيع ذلك قال اناس
لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة لمكانهم من الشعب وكان
رسول الله نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا مكانكم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وجاءت
قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار فقالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق
ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفي اول من لقيهم بالاحابيش وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا وحمي
القتال فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة الانصاري فلما اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل
يفتخر تبخترا ويقول انا الذي عاهدني خليلي ان لا اقوم الدهر في الكبول اضرب بسيف الله والرسول فقال رسول الله انها لمشية يبغضها الله ورسوله الا في هذا
الموضع ثم حمل النبي واصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن ابي طالب اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصره على المسلمين قال الزبير فرأيت هندا وصواحبها
هاربات مصعدات في الجبال باديات خدامهن ما دون اخذهن شيء فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا النبي واصحابه ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون
النهب واختلفوا فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله وقال بعضهم ما بقي من الامر شيء ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال
المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبي من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر
وكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه واقبل يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته
العقاب عن رسول الله حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمئة فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله وقال اني قتلت محمدا وصاح صائح الا ان محمدا قد قتل ويقال
ان ذلك الصائح كان ابليس لعنه الله فانكفأ الناس وجعل رسول الله يدعو الناس ويقول الي عباد الله الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه
المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل
منا فقال دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله بل انا اقتلك
ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدى عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو
يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة
لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى مات قال وفشا في الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فيأخذ لنا امانا من ابي سفيان
وبعضهم جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان
رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول
هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من
عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله فاشار الي ان اسكت فانحاز
اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما
محمد الا رسول الآية المعنى ثم بين سبحانه انه لا ينبغي ان يرتدوا لانه تعالى كان الرسول بين اظهرهم او لم يكن فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني
انه بشر اختاره الله لرسالته الى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فادوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمحال
عليه لا القتل وقيل اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم او قتلهم فاقتدوا بهم ثم اكد ذلك فقال افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم معناه افان مات

ثم استقبله

الله او قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد ايمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى لان الردة خروج الى اقبح ما يكون من الاديان كما ان
الانقلاب خروج الى اقبح ما يكون من المشي والالف في قوله افان مات الف انكار صورته صورة الاستفهام ومثله تختار الفساد على الصلاح والخطا على الصواب
وفي قوله مات وقتل دلالة على ان الموت غير القتل لان الشيء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحيوة والموت فساد البنية التي تحتاج الحيوة اليها
وقيل بطل فيه معنا نقضا للغاذي التي تحتاج اليها الحيوة وقيل الموت معنى ضد الحيوة والصحيح الاول ومن ينقلب على عقبيه يعني من يرتد عن دينه فلن
يضر الله شيئا لانه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه لانه المستحق للعقاب الدائم وسيجزي الله الشاكرين اي يثيب الله الشاكرين على
شكرهم لنعم الله واعترافهم بها وقيل المراد بالشاكرين المطيعين لان الطاعات من شكر الله على نعمه وهذا متصل بما قبله تضمنا الوعد بالوعيد لان قوله

[illegible]

[illegible]

النار دان معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل اي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت الى مصارعهم وذلك
ان ما علم الله كونه فانه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لانه كما علم انهم
لا يختارون ذلك علم انهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب ان لا يكون قادرا تعالى على ما علم انه لا يفعله والقول بذلك كفر وليبتلي الله ما في صدوركم اي
ليختبر الله ما في صدوركم باعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازاة انما تقع على ما علم مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل
معناه ليعاملكم معاملة المبتلين ظاهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم اي يخلص
وقيل هذا خطاب للمنافقين اي يامركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وينكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه ليبتلي اولياء الله
ما في صدوركم كما في قوله الذين يحاربون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا اي ليظهر عند هذه الاحوال موافقة باطنكم ظاهركم وليمحص ما في
قلوبكم اي يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه يخلص نياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات الصدور معناه ان الله لا يبتليكم ليعلم
ما في صدوركم فان الله عليم بذلك وانما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر **قوله تعالى** ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم اية **المعنى** ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا منكم اي ان الذين ولوا الدبر عن المشركين
باحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل هم الذين هربوا الى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وفيهم رسول الله وجمع المشركين
وفيهم ابو سفيان انما استزلهم الشيطان اي طلب لهم الزلل عن القتيبي وقيل ازل واستزل بمعنى ببعض ما كسبوا من معاصيهم السالفة فلحقهم شومها وقيل استزلهم
بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحيوة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤدي الى الفتور فيما يلزم من الامور وقيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل
قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفا الله عنهم اعاده ثم ذكر العفو تاكيدا لطمع المذنبين في العفو ومنعا لهم من
الياس وتحسينا لظنون المؤمنين ان الله غفور حليم قد مضى معناه وذكر ابو القاسم البلخي انه لم يبق مع النبي يوم احد الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من
الانصار فاما المهاجرون فعلي وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وقد اختلف في الجميع الا في علي وطلحة وقد روي عن عمر بن الخطاب انه قال
رايتني اصعد الجبل كاني اروى ولم يرجع عثمان من الهزيمة الا بعد ثلث فقال له النبي لقد ذهبت فيها عريضة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون
بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ثلث ايات **القراءة** قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير
عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء وقرأ نافع واهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في سائر المواضع الا ههنا وقرأ الباقون متم بضم الميم وقرأ
مما يجمعون بالياء حفص عن عاصم الباقون تجمعون بالتاء **الحجة** قال ابو علي حجة من قرأ بالتاء ولا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرأ بالياء ان قبلها ايضا
غيبة وهو قوله وقالوا لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والاشهر الافصح متم بضم الميم والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ فضل يفضل في الصحيح انشد
ذكر ابن عباس بان ابن عباس وما من عمر ذكرت وما فضل واما تجمعون بالتاء فالمعنى على مخاطبتهم ايها المقتولون في سبيل الله او المائتون ومعنى الياء انه لمغفرة
من الله خير مما يجمع غيركم **اللغة** الضرب في الارض السير فيها واصله الضرب باليد وقيل هو الايغال في السير وغزى جمع غاز مثل ضارب وضرب وطالب
طلب **الاعراب** قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض يجمع اذا موضع اذ لانه حكاية حال لانه متصل بلا تكونوا كهؤلاء اذا ضرب اخوانهم في الارض فما الذي
اذا كان مبهما غير موقت يجري مجرى ما في الجزاء فيقع الماضي فيه موضع المستقبل نحو ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز
لاكرمن الذي اكرمك اذا زرته لابهام الذي ولا يجوز لاكرمن هذا الذي اكرمك اذا زرته لتوقيت الذي من اجل الاشارة اليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم في ذلكم وقيل انه يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة عن ابي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم في
قوله لمغفرة من الله ورحمة خير وقد اجتمع شيئان كل واحد منهما يحتاج الى جواب فكان جواب القسم اولى بالذكر لان له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله
ولئن متم تحتمل امرين احدهما ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله لالى الله جوابا كقولك والله ان متم او قتلتم لتحشرن الى الله والثاني ان تكون مؤكدة لما
بعدها كما تؤكد ان ما بعدها وتكون الثانية جوابا للقسم بحذف والنون لا بد منها في الفعل المضارع مع لام القسم لان القسم حقيق بالتاكيد من كل ما يدخله النون
من جهة ان ذكر القسم دليل على انه من مواضع التاكيد فاذا جاز في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمت في القسم لانه احق بها من غيره
والفرق بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف الاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت ان زيدا ليقوم وليس كذلك لام القسم لانها تدخل
على الاسم ولا يكرها ان نحو قد علمت ان زيدا ليقوم من يلزمها النون في المستقبل **المعنى** ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في اقوالهم وافعالهم
فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني عبد الله بن ابي سلول واصحابه من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم من اهل
النفاق اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها للتجارة او طلب معاش فماتوا عن السدي وابن اسحق وانما خص الارض بالذكر لان اكثر اسفارهم كان في البر وقيل اكتفى
بذكر البر عن ذكر البحر كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل لان الارض تشتمل على البر والبحر او كانوا غزى اي غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا
ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك وخرجوا وقالوا الغزو الغنيمة
فصار حسرة في قلوبهم واللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببا لالزام الحسرة

والحزن في قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما املوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله يحيي ويميت اي هو الذي يحيي ويميت في السفر والحضر
عند حضور الاجل لا مقدم لما اخر ولا مؤخر لما قدم ولا راد لما قضى ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن التخلف في الجهاد خشية القتل فان الاحياء
والاماتة بيد الله سبحانه فلا حيوة لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر الله حيوته والله بما تعملون بصير اي مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة
والترهيب عن المعصية ثم حث سبحانه على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادة بان قال ولئن قتلتم ايها المؤمنون في سبيل الله اي في جهاد
او متم فاستدل بجاهد الكفار واستوجبتم لمغفرة من الله ورحمة والمغفرة الصفح عن الذنب والرحمة الثواب والجنة وهما خير مما يجمعون من الاموال في الدنيا
الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المؤمنين وتسليتهم عما اصابهم في سبيل الله وفيه تقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون اي سواء متم او قتلتم فان مرجعكم الى الله فيجزي كلا منكم كما يستحقه المحسن على احسانه والمسيء على اسائته فاثروا ما يقربكم ويوجب لكم رضاه
من العمل بطاعته والجهاد في سبيله ولا تركنوا الى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب الى الامام الحسين بن علي فان تكن الابدان للموت انشئت فقتل
امرء بالسيف في الله افضل **سؤال** فان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينهما ولا يقول احد الدرة خير من
البعرة فجوابه ان الناس يؤثرون الدنيا على الاخرة حتى انهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا وايثار الانعام فيها فعلى هذا خاطبك
قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين اية **اللغة** الفظ الغليظ الجافي القاسي القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وانت فظ على وزن فعل الا انه ادغم
والفظاظة خشونة الكلام والانفظاظ شرب ماء الكرش لجفاء على الطبايع وان يصل الفظاظ جفوة ما الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض
التفرق وشاورت الرجل مشاورة وشوارا والاسم المشورة وقيل المشورة وحسن المشورة والشورة الهيئة واللباس وانه لصير شير وهو حسن الشارة ومعنى
قولهم شاورت فلانا اظهرت ما في الرأي ما عنده وعندي وشرت الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها وشرت العسل اشوره اذا اخذته من موضعه
النحل له عسل مشور ومشار قال الشاعر كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وارياما مشورا وقال عدي بن زيد وقتام باذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار والعزم عقد القلب
على الشيء تريد ان تفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك بمعنى اقسمت عليك والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الامر اليه
والثقة بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج اليه بمن تسند اليه ومنه الوكالة لانه عقد على الكفاية بالنيابة والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الامر اليه
الاعراب فبما رحمة من الله ما زائدة باجماع المفسرين ومثله قوله عما قليل ليصبحن نادمين وهي مؤكدة للكلام ودخولها يحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر في نحو قوله عشرة يا شاة ما قنص
لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم وقال الفرزدق تادبت نفسي ان تجود فبعدما يئس قد نظرت الى شعوب وذلك ليتمكن المعنى في النفس فجرى مجرى التكرير والمعنى فبرحمة من
سبحانه ان ما هلة النبي اياهم وتجاوزه عنهم من رحمته تعالى حيث جعله لين العطف حسن الخلق فبما رحمة اي فبرحمة من الله لنت لهم مما يوجب دخولهم في الدين لانك
اتيتهم مع سماحة اخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين ولو كنت يا محمد فظا اي جافيا سيء الخلق غليظ القلب اي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة لانفضوا من حولك
اي لتفرقوا اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الفظاظة والغلظة وان كانا متقاربين لان الفظاظة في الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه فاعف عنهم
ما بينك وبينهم واستغفر لهم ما بينهم وبيني وقيل معناه فاعف عنهم فرارهم باحد واستغفر لهم من ذلك الذنب وشاورهم في الامر اي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا
في فائدة مشاورته اياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الراي من العباد على اقوال احدها ان ذلك على وجه التطييب لنفوسهم والتالف لهم والرفع من اقدارهم ليبين
انهم ممن يوثق باقوالهم ويرجع الى ارائهم عن قتادة والربيع وابن اسحق وثانيها ان ذلك لتقتدي به امته في المشاورة ولم يروها نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم عن
سفيان بن عيينة وثالثها ان ذلك لامرين لاجلال الصحابة وليقتدي امته به في ذلك عن الحسن والضحاك ورابعها ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة ليتميز الناصح من الغاش وخامسها
ان ذلك في امور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بارائهم عن ابي علي الجبائي فاذا عزمت اي فاذا عقدت قلبك على الفعل
امضائه ورووا عن جعفر بن محمد وعن جابر بن يزيد فاذا عزمت بالضم فعلى هذا يكون معناه فاذا عزمت لك ووفقتك وارشدتك فتوكل على الله اي فاعتمد على الله
وثق به وفوض امرك اليه ان الله يحب المتوكلين يعني الواثقين به والمعتمدين عليه المنقطعين اليه والوكالين امورهم الى لطفه وتدبيره وفي هذه الاية دلالة على تخصيص نبينا
بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجيب امره انه كان اجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع وذلك انه كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا واسخاهم
واشجعهم وازكاهم وافصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك
ويجلس في الارض ويأكل على الارض وكان يدعو الى الله من غير زأر ولا كبر ولا رجز ولقد احسن من مدحه في قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها ابر واوفى ذمة من محمد
في الاية ايضا ترغيب للمؤمنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الامور ونهيهم عن الفظاظة في القول
والغلظة والجفاء في الفعل ودعاؤهم الى التوكل عليه وتفويض الامر اليه وفيها ايضا الدلالة على ما نقوله في اللطف لانه سبحانه نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين
والتواضع ولو لم يكن كذلك لما اجابوه فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن سائر الانبياء ومن يجري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم عن الكبائر لان
التنفير في ذلك اكثر **قوله تعالى** ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون اية **المعنى** لما امر الله سبحانه
نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال ان ينصركم الله على من ناواكم فلا غالب لكم اي فلا يقدر احد على غلبتكم وان كثر عدد من ناواكم وقل عددكم وان يخذلكم
اي يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين عدوكم بمعصيتكم اياه فمن ذا الذي ينصركم من بعده الهاء عائدة الى اسم الله على الظاهر والمعنى على حذف المضاف وتقديره

بعد خذلانه يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله اياكم ومن هيهنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام اي لا ينصركم احد من بعده وانما تضمن حرف الاستفهام
معنى النفي لان جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي المراد وتضمنت الاية الترغيب
في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذي يؤمن معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا وقال
ابو علي الجبائي في الاية دليل على ان من غلبه عدو الله من الباغين لم ينصره الله لانه لو نصره الله لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد من تعريض
المؤمنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على امان من غلبة الفجار وهذا انما هو في النصرة بالغلبة فاما النصرة بالحجة فان الله
نصر المؤمنين من حيث هداهم الى طريق الحق بما نصب لهم من الادلة الواضحة والبراهين القاطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القاسم البلخي المؤمنون
منصورون ابدا ان غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه قال الجبائي النصرة بالغلبة ثواب لانه لا يجوز
ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلائهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس بجواب كيف تصرفت الحال لان الله تعالى قد امرنا ان ننصر الفئة المبغي
عليها فقد لا يكون مستحقة للثواب فاما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على عدو في وقت الحاجة اليها لانه لو امتنع انسان من معونة
من يستغني عن معاونته لم يكن خاذلا له **قوله تعالى** وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اية **القراءة**
قرء ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرء الباقون بضم الياء وفتح الغين **الحجة** من قرء يغل فمعناه يخون يقال غل في الغنيمة يغل اذا خان
فيها واغل بمعناه قال النمر بن تولب جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب بما سألت عني الوشاة ليكذبوا علي وقد اوليتها في النوائب ومن قرء
يغل فمعناه على وجهين احدهما ما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة اي يقال له غللت كقولك اسقيته اي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة وأسقيه حتى كاد
مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه وقال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالت مسيء ومذنب اي نسبني الى الكفر والاخر ما كان لنبي ان يخان بمعنى
يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التي حازها ويكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب قال ابو علي الفارسي الحجة لمن قرء ان يغل ان ما جاء في التنزيل من هذا النحو اسند
الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وما كان لنفس ان تموت وما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم على
الغيب ولا يكاد يقال ما كان لزيد ان يضرب ما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول وكذلك قوله وما كان لنبي ان يغل يسند الفعل فيه الى الفاعل وروي
عن ابن عباس انه قرء يغل فقيل له ان عبد الله قرء يغل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروي عن ابن عباس انه قال قد كان النبي ص يقتل فكيف لا يخان يخون
اللغة واصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر يقال انغل الماء في اصول الشجر والغلول الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه
الذي يحل كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة الخيانة لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل كالغلل ومنه الغل الحقد لانه يجري في النفس
كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة لانها تجري في الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها شعار تحت البدن **النزول** روي عن ابن عباس وسعيد
بن جبير انها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي ص اخذها وفي رواية الضحاك عنه ان رجلا غل بمخيط اي بابرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت بعضهم لعل
الاية وعن مقاتل انها نزلت في غنائم احد حين تركت الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله ص من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر
ووقعوا في الغنائم فقال رسول الله ص اظننتم انا نغل ولا نقسم لكم فانزل الله الاية وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا اقسم الفيء
ولم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فيه عن الضحاك وقيل نزلت في اداء الوحي كان ص يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب الهتهم فسألوه ان يطوي ذلك فانزل الله الاية **المعنى**
لما قدم تعالى الجهاد ذكر بعده ما يتعلق به من حكم الغنائم والنهي عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبي ان يغل وتقديره وما كان لنبي الغلول لان ان مع الفعل بمعنى المصدر
اي لا يجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحي عن ابن اسحق وتقديره وما كان له ان يغل امته فيما يؤدي اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره
ما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا وعلى القراءة الاخرى ما كان لنبي ان يخونه اي يخونه اصحابه او يعني يكتموه شيئا
من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه بالذكر وان كان لا يجوز ان يغل غيره من امراء المسلمين لوجهين احدهما لعظم خيانته والاخر خيانة غيره وهذا كقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان اجتناب جميع الارجاس واجبا والاخر ان النبي انما خص بالذكر لانه القائم بامر الغنائم فاذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الامر فبان يحرم
على غيره اولى واحرى وقوله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة معناه انه يأتي حاملا على ظهره كما روي في حديث طويل الا لا يغلن احدكم بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيمة له رغاء
الا لا يغلن احدكم شاة فيأتي بها على ظهره لها ثغاء فيقول يا محمد يا محمد فاقول قد بلغت قد بلغت لا املك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابي حميد الساعدي وابن عمر وقتادة
وقال الجبائي وذلك ليفضح به على رؤس الاشهاد وقال البلخي فيجوز ان يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله اذا فضحه يوم القيمة جرى ذلك مجرى ان يكون حاملا له وهو
وقد روي في خبر اخر ان النبي كان يأمر مناديا فينادي في الناس ردوا الخيط والمخيط فان الغلول عار وشنار يوم القيمة فجاء رجل بكبة شعر فقال اني اخذتها لاخيط برذعة
بعير لي فقال النبي ص اما نصيبي منها فهو لك فقال الرجل اما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا حاجة لي فيها والاولى ان يكون معناه ومن يغلل
يوافي بما غل يوم القيمة فيكون حمل غلوله على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى في كل من وافى القيمة بمعصية لم يتب منها او اراد الله تعالى ان يعاقبه بالعدل
اظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه اهل القيمة بها ويعلموا سبب استحقاقه العقوبة كما قال تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه
تعالى في كل من وافى القيمة بطاعة فانه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى كل نفس ما كسبت اي يعطى كل نفس جزاء ما عملت تاما وافيا وهم لا يظلمون اي
لا ينقص احد عن مقدار ما استحقه من ثواب ولا يزاد احد على مقدار ما استحقه من العذاب وفي هذه الاية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله لو عذب اوليائه لم يكن ذلك

منه

منه ظالما لانه قد بين انه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما **قوله تعالى** افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله
بصير بما يعملون اية **اللغة** باء اي رجع يقال باء يبوء بوءا اذا رجع به وبوأته منزلا اي هيأته له لانه يرجع اليه والسخط من الله هو ارادة العقاب لمستحقه
ولعنه وهو مخالف للغيظ لان الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس فلا يجوز اطلاقه على الله تعالى والمصير المرجع ويفرق بينهما بان المرجع هو انقلاب الشيء
الى حال قد كان عليها والمصير هو انقلاب الشيء الى خلاف الحال التي هو عليها نحو صير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين خزفا لانه لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبة
والدرجات حتى الصبي ليقارب لرتبة الترقي في العلم درجة بعد درجة اي منزلة بعد منزلة كالدرجة **النزول** لما امر رسول الله بالخروج الى احد قعد عنه
جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله تعالى هذه الاية **المعنى** لما بين تعالى ان كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير والشر فقال افمن اتبع
رضوان الله وفيه اقوال احدها ان معناه افمن اتبع رضوان الله في العمل بطاعته كمن باء بسخط منه في العمل بمعصيته عن ابن اسحق وثانيها افمن
اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبري لانه اشبه بما تقدم وثالثها افمن اتبع رضوان الله بالجهاد
في سبيل الله كمن باء بسخط من الله في الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائي وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول ومأويه جهنم اي مصيره ومرجعه
جهنم وبئس المصير اي المكان الذي صار اليه المستقر والمراد به التقريع والاية تشبيه للفرق بين الفريقين اي ليس من اتبع رضوان الله اي رضاء الله كمن باء بسخطه
هم درجات اي هم ذوو درجات عند الله فالمؤمنون ذوو درجة رفيعة والكافرون ذوو درجة خسيسة وقيل في معناه قولان احدهما ان المراد اختلاف مراتب اهل الثواب
والعقاب اي لهؤلاء من النعيم والكرامة ولاولئك من العقاب والمهانة وعبر عن ذلك بالدرجات مجازا وتوسعا والثاني ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة
طبقات بعضها اعلى من بعض كما جاء في الخبر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى النجم في افق السماء والنار دركات بعضها اسفل من بعض ومثله في حديث المفضل
قول ابن هرمة انشده سيبويه انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول والله بصير بما يعملون اي عليم وفي هذا ترغيب للناس في اتباع مرضاة الله تعالى وتحذير عما
يوجب سخطه واعلام بان سرائر العباد عنده علانية وفيه توثيق بانه لا يضيع عمل عامل لديه اذ لا يخفى شيء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اية
اللغة اصل المن القطع يقال منه يمنه منا اذا قطعه والمن النعمة لانه يقطع بها عن البلية يقال من فلان على فلان بكذا اي استعظمه مما اعطاه والمن تكدير النعمة لانه
قطع لها عن وجوه الشكر عليها والمنة القوة لانه يقطع بها الاعمال **المعنى** ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال لقد من الله اي انعم
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم خص المؤمنين بالذكر وان كان مبعوثا الى جميع الخلق لان النعمة عليهم اعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظيره
ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله من انفسهم فيه اقوال احدها ان المراد به من نسبهم يعرفون منشأه وصدقه وامانته وكونه اميا لم يكتب كتابا ولم يقرأه
ليعلموا ان ما ياتي به وحي منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا اياهم الى الايمان وثانيها ان المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا
بالعرب وثالثها انه عام لجميع المؤمنين والمراد بانفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من عرفوا امره وخبروا شانه وقوله
يتلوا عليهم اياته يعني القرآن ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة مضى بيانه في سورة البقرة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني انهم كانوا في ضلال ظاهر
اي كفار وكفرهم هو ضلالهم فانقذهم الله بالنبي ص **قوله تعالى** اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على
كل شيء قدير اية **الاعراب** انما دخلت الواو في اولما لعطف جملة على جملة الا انها تقدمتها الف الاستفهام لان لها صدر الكلام وانما وصلت هذه الواو الكلام الثاني
بالاول ليدل على تعلقه به في المعنى وذلك انها وصلت التقريع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة **المعنى** ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها اي حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم احد فانه قتل من المسلمين سبعون رجلا وكانوا قد اصابوا من المشركين يوم بدر
مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا واسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدي اي قد اصبتم ايها المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم
يوم بدر سبعين وباحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لانه خلاف ما ذكره اهل السير فانه لا خلاف بينهم انه قتل منهم باحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور وقلتم انى من الله
هذا من اين وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله ص ينزل عليه الوحي وهم مشركون وقيل انهم انما قالوا ذلك لانه وعدهم بالنصر ان اطاعوه عن هذا
الجبائي وقوله قل هو من عند انفسكم اي قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اي بخلافكم امر ربكم وترككم طاعة الرسول وفيه اقوال احدها
ان ذلك بخلافهم الرسول في الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبي ص دعاهم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من
ذلك في الجاهلية ونحن الان في الاسلام وانت يا رسول الله نبينا احق بالامتناع عن قتادة والربيع وثانيها ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان
الحكم فيهم القتل وشرط عليكم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فانا نأخذ الفداء وننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن علي
وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر ع وثالثها ان ذلك بخلاف الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله ص به من ملازمة مراكزهم ان الله على كل شيء قدير اي فهو قادر على نصركم
فيما بعد وان لم ينصركم في الحال لمخالفتكم **قوله تعالى** وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ايتان **الاعراب** الفاء
انما دخلت في قوله فباذن الله لان خبر ما الذي بمعنى الذي يشبه جواب الجزاء لانه معلق بالفعل في الصلة كتعليقه بالفعل في الشرط كقولك الذي قام فمن اجل انه كريم اي الاجل
فيا من صح انه كريم من اجل كرمه قام **المعنى** وما اصابكم ايها المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد من النكبة بقتل من قتل منكم فباذن الله اي

بعلم الله

بعلم الله وسنه قوله واذان من الله اى اعلام وقيل تخلية الله بينكم وبينهم اى تقوم مقام الاطلاق فى الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف
وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة لهم من الله على ترك امر رسول الله ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن ههنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظ
المقط لان الله لا يبيح المعاصى ولا يطلقها وقتل المسلم الكافر من اعظم المعاصى فكيف باذن فيه وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا معناه وليميز المؤمنين من المنافقين
لان الله عالم بالاشيا قبل كونها فلا يجوز ان يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به الا ان الله تعالى يجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اى ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اى
للمنافقين تعالوا قاتلوا فى سبيل الله قالوا ان عبد الله بن ابى والمنافقين معه من اصحابه انخذلوا يوم احد نحو من ثلثمائة رجل وقالوا علام نقتل انفسنا وقال لهم عبد
الله عمرو بن حزم الانصارى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا نبيكم او ادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله وقيل معناه كثروا سوادنا
وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود فى الجهاد وبمنزلة القتال قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعنى قال المنافقون لو علمنا انا نلقى قتالا لاتبعناكم قالوا ذلك بلا فائدة
فى ترك القتال والرجوع الى المدينة فقال لهم ابعدكم الله الله يغنى عنكم وقيل انما القائل لذلك رسول الله يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر يومئذ اقرب منهم
[illegible]

سورة آل عمران

١١٩ الله اليكم انى رسول رسول الله اليكم واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فامنوا بالله تعالى ورسوله فخرج اليه رجل من كسر بيت برمح فضربه
فى جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه على ما دعاهم اليه وقالوا
لن نخفر ابا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم
فلما رأوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح عمرو بن امية الضمرى
ورجل من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم حول العسكر فقالوا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم فى دمائهم
واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل
فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه
[illegible]

الرجل الى الرجل حفتهم الملائكة باجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادى ان الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد
اهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف فاذا زال الشهيد من فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله اليه زوجته من الحور العين فتبشره
بما اعد الله له من الكرامة فاذا وصل الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيب الذى اخرج من البدن الطيب ابشر فان لك ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويقول الله انا خليفته في اهله من ارضاهم فقد ارضانى ومن اسخطهم فقد اسخطنى ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة
حيث يشاء تاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء و
الشام يملأ نورها ما بين الخافقين في كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعا من ذهب على كل باب ستور مسبلة في كل غرفة سبعون خيمة
في كل خيمة سبعون سريرا من ذهب قوائمها الدر والزبرجد موصولة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش زوجة
من الحور العين عربا اترابا فقال الحسين يا امير المؤمنين عن العروبة فقال هى الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف وصيف وسبعون الف وصيفة صفر الحلى
بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بايديهم الاكوبة والاباريق فاذا كان يوم القيامة فوالذى نفسى بيده لو كان الانبياء على طريقهم
لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى ياتوا الى موائد من الجوهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرانه حتى ان الجارين يتخاصمان
ايهما اقرب جوارا فيقعدون معى ومع ابرهيم على مائدة الخلد فينظرون الى الله عز وجل في كل يوم بكرة وعشيا **قوله تعالى** الذين استجابوا
لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ثلاث ايات **اللغة** استجاب
واجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة والقرح الجرح اصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اى خالص والقراح من الارض ما خلص طينه
من السبخ والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا اى اشتهيته عليه لخلوصه على ما نفسه كانه قال استخلصته ومنه قارح طلع نابه لخلوصه عن
نقص الصغر وبلوغ تلك الحال والقرح الجراح لخلوص المه الى النفس والاحسان هو النفع الحسن والافضال النفع الزائد على اقل المقدار حسبنا الله اى كافينا
الله كفيتنا الله واصله من الحساب لان الكفاية بحسب الحاجة وبحسب الحاجة منه الحساب والوكيل الحفيظ وقيل هو الولى واصله القيام بالتدبير فخط الوكيل
في صفة الله هو المتولى للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو صفة مدح لانه يقصد بالتوكيل **الاعراب** موضع الذين يحتمل ثلاثة وجوه من الاعراب الجر على ان
يكون نعتا للمؤمنين والاحسن لا اشبه بالاية ان يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التي هي للذين احسنوا منهم اجر عظيم ويجوز النصب على المدح وتقديره واعنى
الذين استجابوا واذكر وكذلك القول في موضع الذين في الاية الثانية لانهما نعت لموصوف واحد وقوله لم يمسسهم سوء في موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا **النزول** لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه
قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابى سفيان وقال الا عصابة تشدد لامر الله تطلب عدوها فانها انكى للعدو وابعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القرح والجرح
الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس وانما خرج رسول الله ليرهب العدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا
به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وروى على بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره اسناده فخرج
قال ان رجلا يأتينا بخبر القوم فلم يجبه احد فقال امير المؤمنين انا اتيك بخبرهم قال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة وان كانوا
ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم يريدون مكة فمضى امير المؤمنين على ما به من الالم والجراح حتى كان قريبا من القوم فراهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع واخبر رسول
الله صلى الله عليه بذلك فقال ارادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به جراحة فاقبلوا يضمدون جراحاتهم
ويداوونها فانزل الله تعالى على نبيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى
محمد بن اسحق بن يسار عن عبد الله بن ابى بكر عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابى السائب ان رجلا من اصحاب النبى من بنى عبد الاشهل كان
شهد احدا قال شهدت احدا انا واخ لى فرجعنا جريحين فلما اذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله فوالله ما لنا دابة نركبها وما
منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله وكنت ايسر جراحا من اخى فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله الى حمراء الاسد فمر برسول الله معبد
الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا
ما اصابك في قومك واصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله حتى لقى ابا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول
الله فقالوا قد اصبنا احد اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستاصلهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم
في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه يومكم وندموا على صنيعهم فيهم من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول
قال انا والله ما اريك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصلهم قال فانى والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رايت على
ان قلت ابياتا فيه من شعر قال وما قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات راحلتى اذ سالت الارض بالجرد الابابيل تردى باسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا خرق
معازيل فظلت عدوا اظن الارض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول وقلت ويل ابن حرب من لقائكم اذا تغطمطت البطحاء بالجيل انى نذير لاهل البسل ضاحية

لكل ذى ربة منهم ومعقول من جيش احمد لا وخش تنابلة وليس يوصف ما انبئت بالقيل قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين
تريدون فقالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون عنى محمدا رسالة ارسلكم بها عليه واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم
قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله وهو بحمراء الاسد
فاخبروه بقول ابى سفيان فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعوية بن المغيرة
بن العاص وابى عزة الجمحى وهذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الايات في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان قال يوم احد حين اراد
ان ينصرف يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل ان شئت فقال رسول الله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة
من ناحية الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان انى واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر
الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة فالحق
بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل اضعها على يدى سهيل بن عمرو فاتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابى سفيان فقال لهم بئس الراى رايكم اتوكم في
دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا شريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فكره رسول الله فقال والذى نفسى بيده لاخرجن ولو
وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبنى كنانة وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق
ويقولون انما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات فباعوا واصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا
الى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن الباقر **المعنى** الذين استجابوا لله والرسول اى اطاعوا الله في امره واطاعوا رسوله من بعد ما اصابهم
القرح اى نالهم الجراح يوم احد للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو واتقوا معاصى الله اجر عظيم اى ثواب جزيل الذين قال لهم الناس المعنى بالناس
الاول ثلثة اقوال احدها انهم الركب الذين دسهم ابو سفيان الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق
وقد مضت قصتهم والثانى انه نعيم بن مسعود الاشجعى وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله والثالث انهم المنافقون عن السدى ان الناس قد جمعوا لكم المعنى ابو
سفيان واصحابه عند اكثر المفسرين اى جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الالات والرجال وانما عبر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله قال لهم الناس لان جاءهما
انه قد جاءهم من جهة الناس فاقيم كلامه مقام كلامهم وسمى باسمهم والاخرى انه لتفخيم الشان فاخشوهم اى خافوهم ثم بين تعالى ان ذلك القول زادهم ايمانا
وثباتا على دينهم واقامة على نصرة نبيهم بان قال فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله اى كافينا الله ووليا وحفيظا والمتولى لامرنا ونعم الوكيل اى
الكافى والمعتمد والملجا الذى يوكل اليه الامور فانقلبوا اى رجع النبى ومن معه من اصحابه بنعمة من الله وفضل اى بعافية من السوء وتجارة رابحة لم
يمسسهم سوء اى قتل عن السدى ومجاهد وقيل النعمة ههنا الثبوت على الايمان في طاعة الله والفضل الربح في التجارة عن الزجاج وقيل ان كل ما يفعله الله بالخلق
فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد تكون قبيحة وهذا
لان النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح واتبعوا رضوان الله بالخروج الى لقاء العدو والله ذو فضل عظيم على المؤمنين وقد تضمنت الاية التنبيه
على ان كل من دهمه امر ينبغى ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فانى
سمعت الله يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وروى عن ابن عباس انه قال اخر كلام ابرهيم حين القى في النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال
نبيكم مثلها وهذه ثلاث الايات **قوله تعالى** انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اية **الاعراب** كم من ذلكم للخطاب المحض
لا للضمير فلا موضع لها من الاعراب وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد القتال وخوفته القتال **المعنى** ثم ذكر ان ذلك التخويف والتثبيط من جهة
من عمل الشيطان بحض يقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه والمعنى انما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوائه وتسويله يخوف اولياءه
المؤمنين قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يخوف المؤمنين بالكافرين قال الزجاج وابو على الفارسى وغيرهما ان تقديره ويخوفكم اولياءه اى من اوليائه بدلالة قوله
فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اى ان كنتم مصدقين بالله فقد اعلمتكم انى انصركم عليهم مثله قوله لينذر باسا شديدا اى لينذركم بباس شديد فلما حذف الجار
نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين الذين هم اولياؤه وانهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم امر العدو في قلوبهم
فيقعدوا عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره قوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والاول اصح
قوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ايتان **القراءة** قرا نافع في جميع القران يحزن بضم الياء وكسر الزاء الا قوله لا
يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتحها وضم الزاء وقرا الباقون في جميع القران بفتح الياء وضم الزاء وقرا ابو جعفر عكس ما قرا نافع فانه فتح الياء في جميع القران
الا قوله لا يحزنهم فانه ضم الياء **الحجة** قال ابو على قال سيبويه تقول فتن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت فتنته وحزنته
لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته
كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قولك حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وافتنته قال وقال بعض العرب

في الفرق بين النفع والنعمة

افتنت الرجل واحزنته اذا جعلته فاتنا وحزينا فغيروا فعل قال ابو علي فهذا الذي حكيته عن بعض العرب حجة نافع واما قراءته لا يحزنهم الفزع الاكبر فيشبه ان يكون اتبع فيه اثرا او احب الاخذ بالوجهين **الاعراب** قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصبا بحذف الباء كانه قال بشيء مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره **المعنى** لما علم الله تعالى المؤمنين بما يصلحهم عند تخويف الشيطان اياهم حض بقوله نفس من التعليم في هذه الاية فقال ولا يحزنك يا ايها الرسول الذين يسارعون في الكفر يعني المنافقين عن مجاهد وابن اسحق وقوم من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابي علي الجبائي انهم لن يضروا الله شيئا بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لان الله تعالى لا يجوز عليه المنافع والمضار وانما قال ذلك على جهة التسلية لنبيه لانه كان يعظم عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم من الايمان ولا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم الى الكفر وامتناعهم عن الايمان لتفريط حصل من قبله فامنه الله من ذلك واخبر ان ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصور عليهم يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا في الجنة واذا كانت الارادة تتعلق بما يصح حدوثه ولا يتعلق بان لا يكون الشيء فلا بد من حذف في الكلام ومعناه انه يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له في تكليفهم وان يعاقبهم في الاخرة على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم ولهم عذاب عظيم هذا ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لانه تعالى نسب اليهم المسارعة الى الكفر واذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استانف تعالى الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان وعم جميع الكفار بهذه الصفة فقال ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوا الكفر بالايمان وقد بينا فيما تقدم ان اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع انما شبه استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر هذا لانه انما ذكر في الاية الاولى على طريق العلة لما يجب من التسلية عن المسارعة الى الضلالة وذكر في هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصي الفرق بين المضرة والاساءة ان الاساءة لا تكون الا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة اذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفي عليها او دفع ضرر اعظم منها ولهم عذاب اليم اي مؤلم **قوله تعالى** ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين اية **القراءة** قرأ ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون ولا يحسبن الذين يفرحون كلهن بالياء وكسر السين وكذلك فلا يحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرأ حمزة كلها بالتاء وفتح السين وفتح الباء من يحسبنهم وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء الا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامي وقرأ عاصم والكسائي وخلف كل ما في هذه السورة بالتاء الا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون فانهما بالياء غير ان عاصما فتح السين وكسرها الكسائي **الحجة** من قرأ بالياء فالذين في هذه الاية في موضع الرفع بانه فاعل واذا كان الذين فاعلا يقتضي حسب مفعولين او ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت ان يقوم عمرو فقوله تعالى انما نملي لهم خير لانفسهم قد سد مسد مفعولين الذي يقتضيهما ما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى الذي فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا ان الذي نمليه لهم خير لانفسهم والآخر ان يكون ما نملي بمنزلة الاملاء فيكون مصدرا واذا كان مصدرا لم يقتض راجعا اليه قال المبرد من قرأ يحسبن بالياء فتح ان ويقبح الكسر مع الياء وهو جائز على قبحه لان الحسبان ليس بفعل فهو يبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله منطلق وقال ابو علي الوجه ان تتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكانه قال لا يحسبن الذين كفروا والله لاخر خير لهم واما قراءة حمزة بالتاء لا تحسبن ويفتح ان فقد خطأه البصريون في ذلك لانه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا املاءنا وذلك لا يصح قال الزجاج قال يجوز على البدل من الذين المعنى ولا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم ومثله في الشعر وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال ابو علي لا يجوز ذلك لانك اذا ابدلت ان من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثاني ولم ينصبه احد من القراء واذا لم يصح البدل لم يجز فيه الا كسر ان على ان يكون ان وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن **اللغة** الاملاء اطالة المدة والملي الحين الطويل والملا الدهر والملوان الليل والنهار لطولهما تعاقبهما **النزول** نزلت في مشركي مكة عن مقاتل وفي قريظة والنضير عن عطا **المعنى** ثم بين سبحانه ان امهال الكفار لا ينفعهم اذا كان يؤدي الى العقاب فقال ولا يحسبن اي لا يظن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم اي ان اطالتنا لاعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل في سبيل الله باحد لان قتل الشهداء اداهم الى الجنة وبقاء هؤلاء في الكفر يؤديهم الى العقاب ثم ابتدأ سبحانه فقال انما نملي لهم اي انما نطيل عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم ليزدادوا اثما اي ليكون عاقبة امرهم ازدياد الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال كذلك ومثله في قول الشاعر اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر ام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر فللموت ما تغذو الوالدة سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الآخر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون اللام لام الارادة والغرض لوجهين احدهما ان ارادة القبيح قبيحة وذلك عنه سبحانه منفية والآخر لو انها كانت لام الارادة لوجب ان يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وما امروا الا ليعبدوا الله والقرآن يصدق بعضه بعضا على هذا فلا بد من تخصيص الاية بمن علم انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القاسم البلخي معناه ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم رضا بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لانا نملي لهم وهم يزدادون اثما يستحقون به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اي ذرأنا كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فما زاده نصحي الا شرا ونظيره قوله حتى انسوكم ذكري ومعلوم ان الرسل ما انسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بعثوا الا للتذكير والتنبيه وان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان دعاءهم اياهم لما كان لا ينجع فيهم

لا يزيدهم

لا يردهم عن معاصيهم فاضيف الاثم اليهم وفي هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فلم يزدهم دعائي الا فرارا وروي عن الاخفش والكسائي انهما قالا في الاية تقديم وتاخير وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم وهذا بعيد لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها معمول لا يحسبن على هذا القول وان يكون انما الاولى مكسورة الهمزة لانها مبتدأة على هذا والتقديم والتاخير لا يغيران الاعراب عن استحقاقه ورد للخلاف لما عليه القراءة لان القراء قد اجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم في نار جهنم **قوله تعالى** ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اية **القراءة** قرأ اهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الاولى **الحجة** ماز يميز فعل متعد الى مفعول واحد كما ان ميز متعد الى مفعول واحد يقال مزته فامتاز وميزته فلم يتميز وزلته فلم يزل والتضعيف فيه ليس للتعدي والنقل كما ان التضعيف في عوض ليس للنقل من عاض لان عاض متعد الى مفعولين كما في قول الشاعر عاضها الله غلاما بعدما شابت الاصداغ والضرس نقد فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى الى ثلاثة مفاعيل فعوض وعاض لغتان في معنى واحد مثل ميز ومزت **النزول** قيل ان المشركين قالوا لابي طالب ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا مخبره كما اخبر آمنا به فذكر ذلك للنبي فانزل الله هذه الاية عن السدي والكلبي وقيل سأل المؤمنون ان يجعلوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الاية عن ابي العالية والضحاك **المعنى** ما كان الله ليذر المؤمنين اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الالتباس واشتباه المخلص بالمنافق لم يكن يجوز في حكمه ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي ص بل يتعبدكم حتى يميز الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحق وابن جريج وقيل معناه هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واختلف في انه باي شيء ميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بان ثبت المؤمن وتخلف المنافقون عن الجهاد وقيل بالايات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بان ينصر الله المؤمنين ويكثرهم ويعزهم ويذل المنافقين والكافرين عن ابي مسلم وقيل بان يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على ايمانه ويتميز من ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي ما كان الله ليظهر على غيبه احدا منكم فتعلموا ما في القلوب فهذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي من يختار الرسل من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه على علم الغيب فيعرفه اياه فآمنوا بالله ورسله كما امركم وان تؤمنوا اي تصدقوا وتتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه فلكم في ذلك اجر عظيم وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء على انه ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الاية دلالة على انه يجوز ان يصلح لجاحد الرسالة فيختار منهم من يشاء الا انه اصلح وبالتادية اقوم وعن المنكرات ابعد لما لانهم قدوتنا وفي جميع الوجوه فيختار من يشاء منهم لان النبوة ليست مستحقة ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل **قوله تعالى** ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير اية **القراءة** قد ذكرنا اختلاف القراء فيه فمن قرأ يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شرا له وكذلك في الاية لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خيرا لهم فدخلت هو فصلا لان تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرأ بالتاء فالفاعل المخاطب وهو النبي ص والذين يبخلون مفعول اول لتحسبن وخيرا لهم المفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون خيرا لهم وهو فصل انما احتيج الى هذا الحذف ليكون المفعول الثاني هو الاول في المعنى لان هذه الافعال انما تدخل على المبتدأ والخبر واذا كان الخبر مفردا فيجب ان يكون هو المبتدأ في المعنى والبخل هو منع الواجب لانه توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب **المعنى** ولا يحسبن اي لا يظنن الباخلون الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله اي من الاموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ان ذلك البخل خير لهم بل هو شر لهم وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها السامع ولا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم اي ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به طوقا في عنقه والاية نزلت في مانعي الزكوة وهو المروي عن ابي جعفر ع وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم وروي عن النبي ص انه قال ما من رجل لا يؤدي الزكوة الا جعل في عنقه شجاع يوم القيمة ثم تلا هذه الاية وقال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه يسأله من فضل اعطاه الله اياه فيبخل به عنه الا اخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الاية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيمة طوق من نار عن النخعي وقيل معناه سيكلفون يوم القيمة ان يأتوا بما بخلوا به من اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ومعناه انه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عن ابي مسلم قال والعرب تعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله فتحرير رقبة ويروى عن ابن عباس ايضا ان المراد بالاية الذين يبخلون ببيان صفة محمد ص والمقصد هو التوراة التي فيها صفته والاول اليق بسياق الاية ولله ميراث السموات والارض معناه من في السموات يموت والارض ويبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الاية الحث على الانفاق والمنع عن الامساك من قبل ان الاموال اذا كانت بعرض الزوال اما بالموت او بغيره من الآفات فاجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه والله بما تعملون خبير هذا تاكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لاحراز الثواب والاجر والسلامة من الاثم والوزر **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها هو انهم كما بخلوا بالجهاد بخلوا بالانفاق

في الزكوة

والزكوة عن علي بن عيسى وقيل انهم مع ما نقله من حولهم كتموا امر محمد وبخلوا ايضا **قوله تعالى** لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير و
نحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ايتان
القراءة قرء حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء وقرء الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون **الحجة** الوجه في قراءة من قرء
سنكتب بالنون هيهنا بعد الاسم لو شئنا للغيبة فهو مثل قوله بل الله موليكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ولو قال سيكتب بالياء لكان في اقرب لقوله
وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي قوله ونقول معطوف على سنكتب الوجه في قراءة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع نصب
رفع ومن قال وقتلهم فانه عطف على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بانه مفعول به **اللغة** يقال سمع يسمع سمعا اذا ادرك بحاسة الاذن والله يسمع من غير ادراك
بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لاجلها المسموعات اذا وجدت والسامع المدرك لذلك فقال المحققون ان الله تعالى سميع بما لم يزل وسامع عند وجود المسموع وكونه
سميعا بصيرا ليس بصفة زائدة على كونه حيا وكونه مدركا صفة زائدة على كونه حيا عالما وكونه سامعا بصيرا معنا وقال ابو القاسم البلخي فائدة كونه سميعا بصيرا انه
يعلم المسموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم تعالى صفة الادراك وقال الخليل كل ما نزل بانسان من مكروه فقد ذاقه الا انه توسع فجاء في الخبر حتى تذوقي عسيلته ويذوق
من عسيلتك كنى بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة الحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر كقولك حرقت الشيء بردته بالمبرد **الاعراب**
وموضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لانها في موضع خبر المبتدا وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار وكانه قيل ذلك مستقر بما قدمت ايديكم وان الله فتح لانه
معطوف على ما عمل فيه الباء وتقديره بان الله فموضعه جر **النزول** قال المفسرون لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء
وقائله حيي بن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر بيت
مدارستهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء فدعاهم الى الاسلام والصلوة فقال فنحاص ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير
ونحن اغنياء ولو كان غنيا لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجهه فانزل الله هذه الاية عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق **المعنى** ثم ذكر سبحانه
خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا اي علم معنى ما ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي ان الله فقير اي محتاج لانه يستقرض منا ونحن
اغنياء عن الحاجة وقد علموا ان الله لا يطلب القرض وانما ذلك تلطف في الاستدعاء الى الانفاق وانما قالوه تلبيسا على عوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لانه يضيق
علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على اهالينا سنكتب ما قالوا اي سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل نامر بكتبه في
صحائف اعمالهم وانما تفعل ذلك مبالغة في الزجر عن الخصلة لان المكلف اذا علم ان افعاله واقواله مكتوبة في الصحائف وانه لابد من عرضها عليه من قراءتها على رؤس الاشهاد
يوم التناد كان ذلك ابلغ له في الزجر عن المأثم وامنع عن ارتكاب الجرائر وقتلهم الانبياء بغير حق اي وسنكتب قتل اسلافهم الانبياء ورضى هؤلاء به فجعلهم كانهم فعلوه
دلالة على ان الرضا بفعل القبيح يجري مجراه في عظم الجرم لان اليهود الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم وانما ذموا بذلك لانهم بمنزلة من تولى في عظم الاثم
ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق وفيه الفائدة وهي ان يعلم ان العذاب بالنار التي تحرق وهي الملتهبة لان من النار ما لا يلتهب ولا يسمى حريقا لئلا يكون العذاب
بغير النار وقيل معناه ذوقوا الكروب لا تخلصون منه ويقال ذق هذا البلاء اي انك لست بناج منه ذلك اشارة الى ما سبق اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم معناه بما
كسبتم عملتموه وجنيتموه على انفسكم وان الله ليس بظلام للعبيد اي وبان الله لا يظلم احدا من عباده وانما اضاف الى اليدين وان كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لان عامة
ما يكتسب الانسان انما يكتسبه بيده ولان العادة قد جرت باضافة الاعمال التي لا تلبسها الانسان الى اليد وان كانت اكتسبها بجارحة اخرى تجري خطاب القديم تعظيما
لهم وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة لانه يدل على انه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من انه سبحانه يعذب الكفار
من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك وانما ذكر لفظ الظلام وهو للتكثير تاكيدا لنفي الظلم عنه **قوله تعالى** الذين قالوا
ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير ايتان **القراءة** قرء ابن عامر وحده وبالزبر بالباء وكذلك هو في مصاحف الشام كانه
والباقون بغير باء **الحجة** من حذف فلان واو العطف اغنت عن تكرار العامل ومن اثبتها فانما كرر العامل تاكيدا وكلا الامرين حسن **اللغة** القربان مصدر على فعلان
عدوان وخسران تقول قربت قربانا وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل بر يتقرب به العبد الى الله والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور وقال امرؤ
القيس لمن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني تقول زبرت الكتاب اذا كتبته وزبرت الرجل اذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على كتف الاسد وزبرت البئر
اذا حكمت طيها بالحجارة فهي مزبورة والزبر العقل وانما جمع بين الزبر والكتاب وهما واحد لان اصلهما مختلف فهو كتاب لضم حروفه بعضها الى بعض وزبور لما
فيه من الزجر على خلاف الحق وانما سمي زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر **الاعراب** الذين قالوا محله جر ردا على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير سمع
قول الذين **النزول** نزلت الاية في جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازوراء قالوا يا محمد ان الله عهد الينا
في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فانزل الله هذه الاية عن الكلبي وقيل ان الله امر بني
اسرائيل في التورية من جاءكم يزعم انه نبي فلا تصدقوه حتى ياتي بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فآمنوا بهما بغير قربان **المعنى** ثم ذكر سبحانه
الاخر فقال الذين قالوا اي انهم ان الله عهد الينا اي امرنا وقيل اوصانا في كتبه وعلى السنة رسله ان لا نؤمن لرسول اي لا نصدق رسولا فيما يقوله من انه جاء به من
عند الله تعالى حتى ياتينا بقربان اي حتى يجيئنا بما يتقرب به الى الله من صدقة او بر يتقبل منه وقوله تاكله النار اي العلامة التقبل فانه كان علامة قبول

قربانهم

قربانهم ان تنزل النار من السماء فتاكله وكان يكون ذلك دلالة على صدق المتقرب فيما ادعاه عن ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلي
يعني جاء اسلافكم بالبينات اي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقية قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم وبالذي قلتم معناه وبالقربان الذي
قلتم فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الانبياء يعني لم قتلتموهم وانتم مقرون بان الذي جاءكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم
ان كنتم صادقين فيما عهد اليكم مما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم في قولهم ودلالة على عنادهم وعلى ان النبي لو اتاهم بالقربان المتقبل كما ارادوه لم يؤمنوا به
كما لم يؤمن اباؤهم بالانبياء الذين اتوا به وبغيره من المعجزات وانما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذي تاكله النار لعلمه تعالى بان في الاتيان به مفسدة
لهم والمعجزات تابعة للمصالح ولان ذلك تحكم في الادلة على الله والذي يلزم في ذلك ان يزيح علتهم بنصب الادلة فقط فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
هذا تسلية للنبي في تكذيب الكفار اياه وذلك انه تعالى اخبر بانه ليس باول من كذب من الرسل بل كذب قبله رسل جاؤا بالبينات اي بالمعجزات الباهرات والزبر
اي الكتب التي فيها الحكم والزواجر والكتاب المنير قيل المراد به التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء به موسى من صفة النبي
وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى ايضا جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما امرهم به فيه والمنير الذي ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادي الى الحق
قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور اية **اللغة** يقال لكل من نجا من هلكة ولكل من لقي ما يغتبط به فقد فاز وتاويل فاز تباعد عن المكروه ولقي ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة
التفاؤل وانما المفازة المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا **المعنى** ثم بين سبحانه ان مرجع الخلق اليه فيجازي المكذبين برسله على اعمالهم من حيث
حتم الموت على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة الموت اي ينزل بها الموت لا محالة فكانها ذاقته وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدائده وسكراته
كقوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله عم لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان
القتل لا ينفك عن الموت الذي هو فعل الله وقيل ان المراد بالموت هنا انتفاء الحيوة والقتيل قد انتفت الحيوة منه فهو داخل في الاية وانما توفون اجوركم كملا
وانما تعطون جزاء اعمالكم وافيا يوم القيمة ان خيرا فخير ثوابا وان شرا فشر عقابا فان الدنيا ليست بدار جزاء وانما هي دار عمل والاخرة دار جزاء وليست بدار عمل
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة اي بوعد عن نار جهنم ونجي منها وادخل الجنة فقد فاز اي نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور ومعناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا متعة متمتعون بها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الاختبار لانكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم
بالرزايا والفجائع ولا تركنوا اليها ولا تغتروا بها فانها هي غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور يعني في الاصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفي الاية دلالة
على ان اقل نعيم من الاخرة خير من نعيم الدنيا باسره ولذلك قال عم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حي يموت فلولا ورود
السمع بذلك لكان يجوز في العقل ان يتصل حيوتهم الى وقت المجازات واذا قيل اليس من قولكم لا بد من تقطع بين حال التكليف وحال المجازات فجوابه ان ذلك القطع
كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة فهاهنا دلالة على ان المقتول يحل فيه الموت وقد اختلف في الموت فقول ابي علي وابي هاشم فعند ابي علي الموت معنى ينافي الحيوة وعند
ابي هاشم عدم الحيوة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله في المقتول **قوله** لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اية **الاعراب** اللام في قوله لتبلون لام التاكيد وفيه معنى القسم والنون تاكيد للقسم وانما
ضمت الواو في لتبلون ولم تكسر لالتقاء الساكنين لانها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة بالهدى ولو كانت الواو
حرف الاعراب لفتحت نحو هل تغزون زيدا **النزول** نزلت الاية في كعب بن الاشرف وكان يهجو النبي ص والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبب بنساء المسلمين
فقال ص من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة واتوا براسه الى النبي اخر الليل وهو قائم يصلي عن
الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع لما بعث رسول الله ابا بكر اليه يستمده وكتب اليه كتابا فلما قرءه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر
ان يضربه ثم ذكر قول النبي لا تفتاتن بشيء حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل **المعنى** ثم بين تعالى ان الدنيا دار محنة وابتلاء وانها انما زويت عن المؤمنين
ليصبروا فيوجروا فقال لتبلون اي لتوقع عليكم المحن ولتلحقكم الشدائد في اموالكم بذهابها ونقصانها وفي انفسكم ايها المؤمنون بالقتل والمصائب مثل ما نالكم يوم
احد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرائض والقرب لتصبروا بها وانما سماه بلوى مجازا فان حقيقة الاختبار والتجربة لا يجوز على الله لانه العالم بالاشياء قبل
كونها وانما يفعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن ابي علي الجبائي ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني كفار
مكة وغيرهم اذى كثيرا يعني ما تسمعون من تكذيب النبي ومن الكلام الذي يغمه وان تصبروا وتتقوا يعني ان تصبرتم على ذلكم وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده بما
يبلغ الاثم فان ذلك من عزم الامور اي مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من حكم الامور **قوله تعالى** واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون اية **القراءة** قرء ابن كثير وابو بكر وابو عمرو عن
عاصم ليبيننه بالياء ولا يكتمونه بالياء ايضا الباقون بالتاء فيهما **الحجة** حجة من قرء بالتاء قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم واتفاق عليه
كذلك قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرء بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لانهم غيب **المعنى** ثم
حكى سبحانه عنهم نقض الميثاق والعهود بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسل فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اراد اليهود
والنصارى وقيل اراد به كل من اوتي علما بشيء من الكتب لتبيننه للناس اي لتظهرنه للناس والهاء عائدة الى محمد ص في قول سعيد بن جبير والسدي لان في كتابهم انه رسول الله

رسول الله وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عائدة الى الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة ولا تكتمونه اي ولا تخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم اي طرحوه خلف ظهورهم وضيعوه وتركوه واشتروا به ثمنا قليلا ولم يعملوا به ولكانوا مقرين به عن ابن عباس ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبأ به رميته بظهرك قال الفرزدق تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها واشتروا به ثمنا قليلا اي استبدلوا بما اخذ الله عليهم وعاقده وميثاقه عوضا يسيرا من حطام الدنيا ما حصلوه لانفسهم من المأكلة والرشا والهدايا التي اخذوها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشيء ذلك اذ يستحقون به العذاب الاليم وان كان نفعا عاجلا ودلت الاية على وجوب اظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والاحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الحسن بن عمارة قال اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال اوما علمت اني تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن نجم الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب عليه السلام يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم آية القراءة قد ذكرنا الاختلاف في القراءة في يحسبن وتحسبنهم قبل

الحجة قال ابو علي من قرا لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين في موضع رفع بانه فاعل يحسبن ولم يوقع يحسبن على شيء قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة من قرا الاولى بالياء لانه لم يوقعه على شيء وهو انه لم يستجز ان لا يعدي حسب لانه قد يجري مجرى اليمين في نحو علم الله لافعلن ولقد علمت لتاتين منيتي ونحو ما لهم من محيص فكان القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه وكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب ايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء نحوه وما خلت ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسنفات القلائصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت الى مفعوليه اللذين يقتضيهما لان تحسبن في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول وعدي الى مفعوليه استغني بها عن تعدية الاول اليهما كما استغني في قوله باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب بتعدية احد الفعلين الى المفعولين عن تعدية الاخر اليهما والفاء زائدة فالتقدير لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة من العذاب اما قراءة فلا يحسبنهم بضم الباء فان فعل الفاعل الذي هو يحسبن تعدى الى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان قيل هلا لم يحذف الواو من يحسبن واثبتها كما تثبت في تمود الثوب واتحاجوني ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الاول من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالقول فيه انه حذفت كما حذفت مع الخفيفة الا ترى انك لو قلت لا يحسبن زيدا ذاهبا لم يكن الا الحذف فاجرى الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وحذف ذكر المفعول الاول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى الى ضمير نفسه نحو ظننتني اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على المبتدا والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولهن على المبتدا والخبر كدخول هذه الافعال عليهما وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول انني ذاهب ومما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني فاعلا فاما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء فوجه ذلك انه فضل قراءة ابن كثير وابي عمرو الا في قوله فلا تحسبنهم المفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفان لدلالة ما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما واما قراءة حمزة بالتاء فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن لان ما يجيء من بعد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اليم يجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي النزول انزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس بهم ونسبتهم اياهم الى الفضل في العلم عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل النفاق لانهم كانوا يجتمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل انهم يهود خيبر اتوا النبي فقالوا نحن نعرفك ونؤمن بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت الاية فيهم عن قتادة المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال لا تحسبن الذين يفرحون اي الفارحون الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان امر النبي واحبوا ان يحمدوا بانهم ائمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالتاء والياء في الحجة فلا معنى لاعادته وقال ابو القاسم البلخي ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه واهل الصلوة والصوم وليسوا اولياء الله ولا احباءه ولا اهل الصلوة والصوم ولكنهم اهل الشرك والنفاق وهو المروي عن ابي جعفر الباقر وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم والاولى ان يكون المعني بالاية من اخبر الله عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد ولا يكتمونه وعليه اكثر اهل التأويل وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تظنهم بمنجاة وبعد من النار ولهم عذاب اليم اي مؤلم موجع قوله تعالى ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير آية المعنى لما ذكر سبحانه في الاية المتقدمة من فرح بمعصيته وكتمانها واحب ان يحمد بما لم يفعل واخبر انه لا نجاة لهم من عذابه قال ولله ملك السموات والارض بمعنى انه يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما شاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه في الخلاص منه والله على كل شيء قدير فيه تنبيه على انه قادر على اهلاك من اراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد خمس آيات فضلها روى الثعلبي في تفسيره

باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب ان رسول الله كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي انه لما نزلت هذه الايات قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل ما فيها وروي عن الائمة من آل محمد الامر بقراءة هذه الايات الخمس وقت القيام بالليل للصلوة وفي الضجعة وبعد ركعتي الفجر وروى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت ابا عبد الله وذكر ان النبي قال كان يؤتى بطهور فيخمر عند راسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره الى السماء وتلا الايات من آل عمران ان في خلق السموات والارض الايات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه ويركع حتى يقال متى يرفع راسه ويسجد حتى يقال متى يرفع راسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الايات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس ويصلي الركعتين ثم يخرج الى الصلوة اللغة اللب العقل سمي به لانه خير ما في الانسان واللب من كل شيء خيره وخالصه سبحانك معناه تنزيها لك عن ان تكون خلقتهما باطلا وبراءة مما لا يليق بصفاتك قال الله سبحانه ثم سبحانه يقول وقبلنا سبحه والابرار جمع بر وهو الذي بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وابر الرجل على اصحابه اي زاد عليهم الاعراب الذين يذكرون في موضع جر صفة لاولي الالباب قياما وقعودا نصب على الحال ولذلك عطف على جنوبهم على قياما وقعودا ومضطجعين لان الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط اي مستقر عليه وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ماشيا على الفرس فيكون على الفرس في موضع نصب على الحال اي مستقرا على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ماشيا على الفرس في موضع نصب على الحال من الضمير في اصير قوله ما خلقت هذا باطلا اي خلقت هذا الخلق يقولون هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا نصب على انه المفعول الثاني وقيل تقديره بالباطل او للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وجزاؤه في قوله انك من تدخل النار فقد اخزيته جملة مركبة من الشرط والجزاء والاصل فيها جملتان كل واحدة منهما من فعل وفاعل الا ان من في موضع نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان آمنوا يحتمل ان يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لانه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بان آمنوا المعنى لما بين سبحانه ان له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال ان في خلق السموات والارض اي في انشائهما بما فيهما من العجائب والبدائع واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما ومجيء كل واحد منهما خلف الاخر لايات اي دلالات على توحيد الله وصفاته العلى لاولي الالباب اي لذوي البصائر والعقول ووجه الدلالة في خلق السموات والارض ان وجودهما مع ما يعرض فيهما من اعراض حادثة وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لا بد له من محدث يحدثه ومن موجد يوجده فدل وجودهما وحدوثهما على ان لهما محدثا وقادرا ودل ابداعهما بما فيهما من البدائع والامور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان صانعهما عالم لان الفعل المحكم المنتظم لا يصح الا من عالم كما ان الايجاد لا يصح الا من قادر ودل ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدي الى التسلسل ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار ان في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه نقصانا واخذ كل منهما عن الاخر في حال الزيادة عليه في حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الاخر دلالة ظاهرة على ان لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف سبحانه اولي الالباب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلق السموات والارض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين اي في سائر الاحوال لان احوال المكلفين لا تخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد امر الله تعالى بذكره في جميعها وقيل معناه يصلون على قدر امكانهم في صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلي قائما والسقيم جالسا وعلى جنبه اي مضطجعا فسمى الصلوة ذكرا رواه علي بن ابراهيم في تفسيره ولا تنافي بين التفسيرين لانه غير ممتنع وصفهم بالذكر في هذه الاحوال وهم في الصلوة وهو قول ابن جريج وقتادة ويتفكرون في خلق السموات والارض اي ومن صفة اولي الالباب ان يتفكروا في خلق السموات والارض ويتدبروا في ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك اي ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم نزهوه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون سبحانك اي ننزهك يا الله عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثا ولا لعبا بل تعريضا للثواب لامن العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذي نتمسك معه بطاعتك وفي هذه الاية دلالة على ان الكفر والقبائح والضلال ليست خلقا لله لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا خلاف وقد نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن اولي الالباب الذين رضي اقوالهم بانه لا باطل فيما خلقه فيجب بذلك القطع على ان القبائح كلها غير مضافة اليه ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولي الالباب الذين وصفهم بانهم ايضا يقولون ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وقيل فيه وجوه احدها ان معناه فضحته واهنته فيكون منقولا من الخزي ونظيره قوله ولا تخزون في ضيفي وثانيها قول المفضل ان معناه اهلكته وانشد اخزى الاله من الصليب الهه واللابسين ملابس الرهبان وثالثها ان معناه احللته محلا توقفه موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزاية التي معناها الاستحياء قال ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته من جانب الحبل مخلوطا بها الغضب واختلف اهل التأويل في المعني بهذه الاية فروي عن انس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج ان الاخزاء يكون بالتأبيد في النار ومن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله ان الخزي يكون بالدخول فيها وروي عنه عمرو بن دينار وعطاء ثم قال وما اخزاه من احرقه بالنار ان دون ذلك لخزيا وهذا هو الاقوى لان الخزي انما هو هتك المخزي وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لان على قول من قال

هو الخلود في النار فمن عفى الله عنه لا يكون لخزاه وان ادخله النار ثم اخرجه منها بعد استيفاء العقاب على قول من اثبت الخزي بنفس الدخول فانه وان كان خزيا فليس كخزي الكفار ويجوز على هذا ان يحمل قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه على كلا الوجهين على قول من جعله من الخزي الذي هو الاستحياء فيكون اخزاء المؤمنين محمولة على الاستحياء واخزاء الكافرين على الاهانة والخلود في النار وقوله وما للظالمين من انصار اي ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لان الناصر هو الذي يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافي ذلك ما صح من شفاعة النبي والاولياء لاهل الكبائر لان الشفاعة طريقها الخضوع والخشوع والتضرع الى الله وليست من النصرة في شيء وصح عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها ثم يخرجون فيسميهم اهل الجنة الجهنميين رواه البخاري باسناده في الصحيح عن انس بن مالك وفيما رواه عن ابي سعيد الخدري قال عنه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر يقال له نهر الحيوة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل رواه البخاري ومسلم ايضا في الصحيح وما روي في مثل ذلك من الاخبار لا يحصى هذا كما تراه صريح في وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر ربنا اننا سمعنا مناديا قيل المنادي محمد عن ابن عباس وابن مسعود وابن جريج واختاره الجبائي وقيل هو القرآن عن محمد بن كعب القرظي وقتادة واختاره الطبري قال لانه ليس يسمع كل احد قول النبي ولا يراه والقرآن سمعه من رآه ولم يره كما قال مخبرا عن الجن انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ولمن نصر القول الاول ان يقول من بلغه قول النبي ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنى قوله سمعنا مناديا ينادي مناديا لان المنادي لا يسمع قوله ينادي للايمان معناه الى الايمان كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا ومعناه الى هذا وكقول الراجز اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت ومثله قوله بان ربك اوحى لها فالمعنى ربنا اننا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان آمنوا بربكم معناه بان آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم فآمنا اي صدقنا الداعي فيما دعانا اليه من التوحيد والدين واجبناه فاغفر لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيمة على رؤوس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك في جملة الابرار واحشرنا معهم فان قيل ما معنى قوله وكفر عنا سيئاتنا وقد اغنى عنه قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدهما ان معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبة وكفر عنا ان تبنا الثاني ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكبائر السيئات لان الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير لا يكون الا عند فعل من العبد الاول ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك من الثواب ولا تخزنا اي لا تفضحنا او لا تهلكنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وهو كلام مستانف بدلالة انه كسرت ان والمعنى انك وعدت الجنة لمن آمن بك وانت لا تخلف وعدك فان قيل ما وجه المسألة في انجاز الوعد والمعلوم انه يفعل لا محالة فالجواب عنه من وجوه احدها ان ذلك على وجه الانقطاع الى الله والتضرع اليه والتعبد كما قال قل رب احكم بالحق واختاره علي بن عيسى والجبائي والثاني ان الكلام خرج مخرج المسألة والمراد الخبر اي توفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك لا تخزنا يوم القيمة لانهم علموا ان ما وعد الله بحق ولا بد ان ينجزه والثالث ان معناه السؤال والدعاء بان يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على السنة رسله لانهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في انفسهم شهدوا وانهم سألوه ان يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لانه لو كان كذا لكانوا قد زكوا انفسهم وشهدوا لها بانها قد استوجبت كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين والرابع انهم انما سألوا ذلك على وجه الرغبة منهم الى الله في ان يؤتيهم ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لانه لا يجوز ان يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا اليه في تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في ذلك وقت فرغبوا اليه في تعجيل ذلك لهم لما لهم في ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبري وقال الآية مختصة بمن هاجر من اصحاب النبي الذين رغبوا في تعجيل النصرة على اعدائهم وقالوا لا صبر لنا على اناتك وحلمك ويقوي ذلك ما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الآيات الى هذا ادعى ابو القاسم البلخي ايضا قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب القراءة قرء حمزة والكسائي وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل بالتخفيف وقرء الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر الحجة اما تقديم قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل وحجة التشديد لتكرر الفعل فهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلان فعلوا يقع على القليل والكثير والتشديد يختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز ان يكون اولا في المعنى وان كان مؤخرا في اللفظ ويمكن ان الوجه فيه ان يكون لما قتل منهم قاتلوا ولم يضعفوا ولم يهنوا ولم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اللغة الاضاعة الاهلاك ضاع يضيع ضياعا اذا هلك واضاعه وضيعه بمعنى ومنه الضيعة للقرية واما قولهم كل رجل وضيعته فان الضيعة هيهنا بمعنى الحرفة وهاجر فاعل من الهجر وهو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار الى دار اي تركوا الاولى للثانية وهجر الرجل تشبه بالمهاجرين الاعراب من في قوله من ذكر او انثى للتبيين والتفسير عن قوله منكم اي لا اضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث فهو لبيان الجنس من اضيف العمل اليه وقيل انها مؤكدة بمعنى النفي في لا اضيع اي لا اضيع عمل ذكر او انثى منكم وبعضكم مبتدء وقوله من بعض في موضع رفع بانه خبره وثوابا مصدر مؤكد لان معنى ولادخلنهم جنات لاثيبنهم ومثله قوله كتاب الله عليكم لان معنى قوله حرمت عليكم امهاتكم كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد النزول روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فانزل الله هذه الآية قال البلخي نزلت الآية وما قبلها في المتبعين للنبي والمهاجرين معه ثم هي في جميع من سلك سبيلهم وحذا حذوهم من المسلمين المعنى ثم عقب سبحانه دعوة المؤمنين بذكر الاجابة فقال فاستجاب لهم ربهم اي اجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم

اني لا اضيع اي باني لا ابطل عمل عامل منكم من ذكر او انثى رجل او امرأة بعضكم من بعض في النصرة والدين والموالات فحكمي في جميعكم حكم واحد فلا اضيع عمل واحد لاتفاقكم في صفة الايمان وهذا يتضمن الحث على مواظبة الادعية التي في الآيات المتقدمة والاشارة الى انها مما تعبد الله تعالى بها وندب اليها ذلك لانه تضمن الاجابة لمن دعا بها فالذين هاجروا الى المدينة وفارقوا قومهم من اهل الكفر واخرجوا من ديارهم اخرجهم المشركون من مكة واوذوا في سبيلي اي ظلموا في طاعتي وديني وذلك هو سبيل الله فتحملوا الاذى لاجل الدين وقاتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولاتفضلن عليهم بعفوي ومغفرتي ورحمتي وهذا يدل على ان اسقاط العقاب تفضل من الله ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت ابنيتها الانهار واشجارها ثوابا اي جزاء لهم من عند الله على اعمالهم والله عنده حسن الثواب اي عنده من حسن الجزاء على الاعمال ما لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه نعت ناعت مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسن الثواب في دوامه وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ثلاث آيات القراءة قرء يعقوب برواية رويس وزيد لا يغرنك ولا يحطمنكم ولا يستخفنك واما نذهبن بك او نرينك خفيفة النون في الجميع والباقون بالتشديد وقرء ابو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون والباقون لكن بالتخفيف اللغة الغرور ايهام حال السرور فيما الامر بخلافه في المعلوم وليس كل ايهام غرورا لانه قد يوهمه مخوفا فيحذر منه فلا يقال غره والفرق بين الخطر والغرر بينهما ان الغرر فيه قبح كله لانه ترك الحزم فيما يمكن ان يتوثق منه والخطر قد يحسن على بعض الوجوه لانه من العظم ومن قولهم رجل خطير اي عظيم والمتاع النفع الذي يتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما يكون به اللذة نحو المال الجليل والملك والاولاد والاخوان والمهاد الذي يكون فيه الانسان ويفترشه وواحد الابرار بر مثل رب وارباب والذي فانا نون صلة يرقوي ذكرناه واد عمت التخفيف الاعراب بني المضارع مع نون التوكيد لانه بمنزلة ضم اسم الى اسم كخمسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدء محذوف تقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلالة ما تقدم عليه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلالة ما تقدم عليه تقديره وبئس المهاد جهنم ونزلا مصدر مؤكد قيد ايضا مثل ما تقدم ذكره في قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم في الجنة انزالهم فيها فصار كانه قال ينزلونها نزلا وهو بمعنى ينزلوها انزالا وقيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبة وصدقة عن الفراء خالدين فيها منصوب على الحال اي مقدرا لهم الخلود فيها النزول انزلت في مشركي العرب كانوا يتجرون ويتنعمون بها فقال بعض المسلمين ان اعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع فنزلت الآية وقال الفراء كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فانزل الله تعالى لا يغرنك الآية المعنى لا يغرنك ما تجد لهم من الحال والمراد تغريرهم وقيل معناه ايها الانسان او السامع تقلب الذين كفروا اي تصرفهم في البلاد سالمين غانمين غير مؤاخذين باجرامهم اعلم الله تعالى ان ذلك مما لا ينبغي ان يغبطوا به لان مأويهم ومصيرهم الى النار بكفرهم ولا خير بخير بعده النار وقوله متاع قليل معناه تصرفهم في البلاد والنعم متاع قليل اي يتمتعون بذلك قليلا ثم يزول وسماه متاعا لانهم متمتعون به في الدنيا ثم مأويهم اي مصيرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد اي بئس المستقر هي ثم اعلم تعالى ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال لكن الذين اتقوا ربهم لفظة لكن للاستدراك ويكون بعد كلام متقدم فمعناه ليس للكفار عاقبة خير انما هي للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله بين سبحانه ما يصيرون اليه من النعيم المقيم في دار القرار المعدة للابرار والنزل ما يعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا لان ذلك عن قريب سيزول وما عند الله تعالى دائم لا يزول يروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من نفس برة او فاجرة الا والموت خير لها من الحيوة فاما الابرار فقد قال الله وما عند الله خير للابرار واما الفجار فقال الله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الآية وقوله في النفس الفاجرة ان الموت خير لها انما يعني بذلك اذا كانت تدوم على فجورها قوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب آية اللغة اصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهي السهولة في الرمل كالربوة والخاشع من الارض الذي لا يهتدى له لان الرمل يعفي آثاره والخاشع المتضع لله بجسده والخشوع هو التذلل خلاف التصعب الاعراب خاشعين نصب على الحال من الضمير في يؤمن وهو عايد الى من وقيل هو حال من الضمير في انزل اليهم المجرور بالى والاول احسن النزول اختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبرئيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله وابن عباس وانس وقتادة وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران من بني الحارث بن كعب اثنين وثلاثين من ارض الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي عن عطاء وقيل نزلت في جماعة من اليهود كانوا اسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جريج وابن زيد وابن اسحق وقيل نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم لان الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل ما يتناوله عن مجاهد المعنى لما ذم سبحانه اهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفة منهم بالايمان والاخلاص والحق والتصديق فقال وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله اي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وما انزل اليكم ايها المؤمنون وهو القرآن وما انزل اليهم وهو التوراة والانجيل خاشعين لله اي خاضعين متذللين له بالطاعة متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اي لا ياخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب وكتمان الحق من الرشى والماكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى في قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولكن ينقادون الى الحق ويعملون بما امرهم الله به وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعني هؤلاء الذين وصفناهم لهم اجرهم عند ربهم معناه لهم ثواب اعمالهم واجر طاعاتهم عند الله مذخورا حتى يوفيهم الله يوم القيمة ان الله سريع الحساب وصف الحساب بالسرعة لانه تعالى لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه بطول الحساب لانه لا يخفى عليه شيء من اعمالهم قبل ان يعملوها وبعد ما عملوها

فلا حاجة به الى احصاء عمله فيقع في الاحصاء الخطأ وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معاً فاذا حاسب واحداً فقد حاسب الجميع لانه قادر على ان يكلمهم في حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه لانه القادر لنفسه لا يشغله شأن عن شأن في الحساب وانما خص الله تعالى هذه الطائفة بالوعد ليبين انه لا يضيع اعمالهم وان كفر من كفر منهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون آية اللغة اصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم في ثغر يدفع عمن خلفه وان لم يكن له مركب والرباط ايضاً اسم لما يشد به المعنى لما حكى الله تعالى اقوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله فقال يا ايها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف في معناه على وجوه احدها ان المعنى اصبروا على دينكم اي اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا يكون معنى اصبروا على طاعة الله وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم في الحق كما يصبرون على قتالكم في الباطل وانما اتى بلفظ صابروا وههنا لان فاعل انما يأتي لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين ايضاً يعني اعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثانيها ان المراد اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم ورابطوا عدوي وعدوكم عن محمد بن كعب القرظي وثالثها ان المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن اسلم وقيل ان معناه رابطوا الصلوات ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لان المرابطة لم تكن حينئذ روي ذلك عن علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوة واكمل التحيات وعن جابر بن عبد الله وابي سلمة بن عبد الرحمن وروي عن النبي انه سئل عن افضل الاعمال فقال اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وروي عن ابي جعفر الباقر انه قال معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول الاول وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يأمركم به لكي تفلحوا بنعيم الابد وقيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكي تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية والوصول الى النجح في الطلبة وذلك حقيقة الفلاح وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لان قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات وصابروا يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منهما من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر والايتمار بجميع الاوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح والنجاح هذا آخر المجلد الثاني من جميع كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن من المجلدات العشر في الاصل واستعين الله باتمام المجلد الثالث واستغفر الله من ذنوبي كلها واتوب اليه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واعني على جميع المهمات **سورة النساء** مدنية كلها وقيل انها مكية الا قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية وقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة الى آخرها فان الآيتين نزلتا بمكة **عدد** آيها مائة وسبع وسبعون آية شامي وست كوفي وخمس في الباقين خلافها ثلاث ان تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذاباً اليماً شامي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي قال من قرأها فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً واعطي من الاجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم وروي عن عمر بن الخطاب قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرائض وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين انه قال من قرأ سورة النساء في كل جمعة أومن من ضغطة القبر اذا دخل في قبره **تفسيرها** لما ختم الله تعالى السورة التي ذكر فيها آل عمران بالامر بالتقوى افتتح ايضاً هذه السورة به الا انه خص به المؤمنين ثم عم به ههنا سائر المكلفين فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذ والارحام بالرفع **الحجة** حجة من خفف تساءلون اراد تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تساءلون فانه ادغم التاء في السين لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعهما في الهمس فحسن الادغام كما حسن هنا الحذف قال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين احدهما ان يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور والآخر ان يكون معطوفاً على اتقوا والتقدير واتقوا الله والارحام اي صلوها ولا تقطعوها واما من جر فانه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به احسن انما ضعف في القياس لان الضمير قد صار عوضاً مما كان متصلاً بالاسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدلك على انه يجري عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الاكثر من غيره وجه الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون لانه لا يوقف على الاسم منفصلاً منه كما ان التنوين كذلك في المضمر ذهب في مشابهته التنوين عن المظهر لانه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه اذا كان ظاهراً بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر كان اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقول الآخر من فرخ القبج الكاشح وليس المضمر في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لان المعطوف ينبغي ان يكون مشاكلاً للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب فعطف الايام على موضع الكاف قال الآخر نعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فعطف الكعب على الهاء والالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن والكلام الفصيح قال المازني وذلك لان الثاني في العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكاً للثاني والا لم يصلح ان يكون الثاني شريكاً له فكما لا تقول مررت بزيدك كذلك لا تقول مررت بك وزيد اما القراءة بالرفع في الارحام فالوجه فيه انه رفع على الابتداء والارحام مما يجب ان تتقوه وحذف الخبر للعلم به **اللغة** البث النشر يقال بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش

المبثوث

المبثوث وبعضهم يقول ابث بمعناه يقال بثثت سري وابثثتك سري اظهرته واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقيب لانه كذلك كل واحد منهما ينتظر صاحبه يقال رقب يرقب رقوباً ورقبة ورقباناً فعلى هذا يكون الرقيب فعيلاً بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء **المعنى** افتتح الله هذه السورة بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء مما كان في كتاب الله بيا ايها الناس اما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا ايها الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا ايها الذين آمنوا ومرة بيا ايها الناس اتقوا ربكم معناه اتقوا معصية ربكم او مخالفة ربكم بترك ما امركم به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه فكانه قال يجب عليكم ان تتقوا عقاب من انعم عليكم باعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت عنده النعمة فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكانه قال الذي يقدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته قوله الذي خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين وانما لم يقل نفس واحد بالتذكير وان كان المراد آدم لان لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال فانث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز وخلق منها زوجها يعني حواء ذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ورووا عن النبي انه قال خلقت المرأة من ضلع آدم ان اقمتها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها وروي عن ابي جعفر الباقر ان الله تعالى خلق حواء من فضل الطينة التي خلق منها آدم وبث منهما رجالاً كثيراً اي نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً ونساء وانما من علينا تعالى بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضاً لرجوعنا جميعاً الى اصل واحد ولان ذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذي تساءلون به قيل في معناه قولان احدهما انه من قولهم اسألك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم كذا كانت العرب تقول عن الحسن وابراهيم وعلى هذا يكون قوله والارحام عطفاً على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله باقوالكم فعظموه بطاعتكم اياه والآخر ان معنى تساءلون تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم به والارحام معناه والمعنى واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع وهو المروي عن ابي جعفر فعلى هذا يكون منصوباً عطفاً على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما رواه عن النبي انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالانفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين قال ان احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدن منه فان الرحم اذا مسها الرحم استقرت وانها متعلقة بالعرش تناديه اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ان الله كان عليكم رقيباً اي حافظاً عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنى متقارب وانما اتى بلفظ كان لتفيده للماضي لانه اراد انه كان حفيظاً على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده الى زمان المخاطبين وعالماً بما صدر منهم لم يعزب عنه من ذلك شيء **قوله تعالى** وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوباً كبيراً آية **اللغة** الحوب الاثم يقال حاب يحوب حوباً وحيابة والاثم الحوب روي عن الحسن انه قرأ حوباً ذهب الى المصدر وتحوب فلان من كذا اذا تحرج منه ومنه قيل لما يجوتم من الارض بموضع سوء الحوبة الحزن والتحوب التحزن والحوباء الروح **المعنى** ثم امر الله سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقيبه باخر من التقوى وهو توفية حقوق اليتامى فقال وآتوا اليتامى اموالهم وهذا خطاب لاوصياء اليتامى اي اعطوهم اموالهم بالانفاق عليهم في حالة الصغر والتسليم اليهم عند البلوغ اذا اونس منهم الرشد وتسميتهم يتامى بعد البلوغ مجاز لان النبي قال لا يتم بعد احتلام كما قالوا للنبي يتيم ابي طالب بعد كبره يعنون انه رباه وكقوله سبحانه والقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله تعالى عليكم من اموال اليتامى بما احله الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم والرفيع ويجعلون مكانه الخسيس الردي عن ابراهيم النخعي والسدي وسعيد بن المسيب والزهري والضحاك وقيل معناه لا تتبدلوا الخبيث بالطيب بان تتعجلوا الحرام قبل ان يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم عن ابي صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكونوا يورثون النساء ولا الصغار بل يأخذه الكبار عن ابن زيد والاقوى الوجه الاول لانه انما ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا السمين الجيد من اموالهم وتضعوا مكانها المهزول والردي فتحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها وتبخسونهم في صفاتها ومعانيها وقوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ومعناه لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فتأكلوهما جميعاً ويحتمل ان يكون معناه لا تخلطوا الجيد من اموالهم بالردي من اموالكم فتأكلوها فان في ذلك اجحافاً وخلطاً بهم فاما اذا لم يكن في ذلك اضرار ولا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بمال نفسه وروي انه لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك الى رسول الله فانزل الله سبحانه ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين الآية عن الحسن وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق انه كان حوباً كبيراً اي اثماً عظيماً **قوله تعالى** وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً آيتان عند الا تعولوا آية بالاتفاق وهذا مما يشكل ويعسر **القراءة** قرأ ابو جعفر فواحدة بالرفع والباقون بالنصب **الحجة** القراءة بالنصب على انه مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه فواحدة مكانه او فواحدة مجزية كقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان **اللغة** الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور يقال قسط ... وثلاث ومثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس ومخمس الا في بيت للكميت وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالاً عشارا وقال صخر الغي تمنى تلكم ثناء وموحد وتركت ترة مثل الامس المدبر وقال الرجل يعول عولاً اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت

دخلت

نحلها النقص قال ابو طالب بميزان قسط وزنه غير عائل وعال يعيل عيلة اذا احتاج قال الشاعر فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل اي يفتقر ومن قال معنى قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطأ لانه من باب الياء كما يحكى من قال ان معناه الا تكثر عيالكم فقد اخطأ ايضا لان ذلك يكون من الاعالة يقال عال الرجل يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال العيال اذا مانهم وقوله ابدأ بمن تعول وقد حكى الكسائي عال الرجل يعول اذا كثر عياله والصدقات جمع صدقة المهر والنحلة عطية تكون على غير جهة المثامنة يقال نحلت الرجل اذا وهبت له نحلة ونحلا وسمي النحل نحلا لان الله نحل منها الناس العسل الذي في بطونها هنيئا مأخوذ من هناء البعير بالقطران فالهنيء شفاء من المرض كما ان الهناء الذي هو القطران شفاء من الجرب قال ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هاني أينق جرب متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب يقال منه هنأني الطعام ومرأني اي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنئني ومرئني بالكسر وهي قليلة وتقول في المستقبل يهنيني ويمريني واذا افردوا قالوا امرأني ولا يقولون هناني وتقول هذا الطعام امرأه ويقال هنأت القوم اذا اعطيتهم وهنأت فلانا انا اذهب لا اهنأه هنئا ومنه المثل انما سميت هانئا لتهنئ اي لتعطي الاعراب قوله ما طاب ما ههنا مصدرية عند الفراء اي فانكحوا الحلال وروي عن مجاهد انه قال فانكحوا النساء نكاحا طيبا قال المبرد ما ههنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل وامرأة وقيل ما كان مكان من لانهما جاءت في الموضعين كقول العرب سبحان من عنكما شئت وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل لما طاب موضعه النصب وتقديره اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا الا انه لا ينصرف لعلتين العدل والوصف قال الزجاج انه لا ينصرف لجهتين ولا اعلم احدا من النحويين ذكرهما وهو انه معدول عن اثنين اثنين وثلاث ثلاث وانه عدل عن تأنيث وخطأ ابو علي الفارسي في ذلك واورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكلام ثم قال الوجه ان يقول قائل ان مثنى وبابه معدل عن مؤنث لمجيئه في النساء وواحدهن مؤنثة لكان الاحسن ان يقول ان مثنى وبابه معدل عن مذكر لانه اجري صفة على اجنحة وواحدها مذكر وانما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع هذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي انما هو من العمل لجمل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقي قال صخر الغي منجب بن تلاقيني المنايا احاد احاد في شهر حلال وعبأ الكتاب لكتما اهلي بواد ابنة ذياب يتقي الناس مثنى ومكرر بعد مثنى فهو ذياب وهو جمع مذكر وقال تميم ابن ابي مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى صعقتها صواهله فاحاد ومثنى ههنا حال من النعرات وقال ابو علي في الفطرة ان مثنى وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جئتك ماشيا وراكبا ومنحدرا او صاعدا تريد انك جئته في كل حال من هذه الاحوال الا في وقت احدها من قدرها على البدل ومن قال انما جاءت الواو ههنا ولم تأت او لانه على طريق البدل كانه قال وثلاث بدلا من مثنى ورباع بدلا من ثلاث ولو جاء باو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلاث ولصاحب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسا نصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل جلودها ولو قال فان طبن لكم انفسا لجاز وقوله بالاخسرين اعمالا انما جمع لئلا يتوهم انه عمل مضاف الى الجميع كما يضاف الفعل الى جماعة اذا رضوا به ومن في قوله عن شيء منه لتبيين الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيئا مريئا نصب على الحال **النزول** الخلف في سبب نزوله وكيفية نظم محصوله واتصال فصوله على اقوال احدها انها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال المهور وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد وثانيها انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما يتزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع لئلا يحتاجوا الى مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة وثالثها انهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون ان لا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد بن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك وفي احدى الروايتين عن ابن عباس ورابعها انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك فكذلك تحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح من واحد الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قاله الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلاث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه الى ولي اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون عن مؤاكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بينهن ولا تتزوجوا منهن الا من تأمنون معه الجور وقال القاضي ابو عاصم القول الاول اولى واقرب الى نظم الآية ولفظها **المعنى** وان خفتم الا تقسطوا اي الا تنصفوا ولا تعدلوا في اليتامى من اولياء النساء في النساء ومعاشرة اولياء اليتامى في النساء فقد ذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول فانكحوا ما طاب لكم اي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لان معناه فانكحوا الطيب من النساء اي الحلال منهن لان ليس كل النساء يحل نكاحهن وذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية ويكون تقديره على القول الاول ان خفتم الا تعدلوا في نكاح اليتامى ان نكحتموهن فانكحوا البوالغ من النساء وذلك انه ان وقع حيف في حق البوالغ امكن طلب المخلص منهن بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لانهن من اهل التحليل لاسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فانه ان وقع حيف في حقهن لم يمكن التخلص منه لانهن لسن من اهل التحليل ولا من اهل اسقاط الحقوق وقوله مثنى وثلاث ورباع معناها اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فلا يقال ان هذا يؤدي الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلاثة واربعة تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولان لهذا العدد لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من العي

من النساء

جل

جعل كلامه عن ذلك وتعلق به قال الضحاك لا يحل لما مال الرجل ان يجري في اكثر من اربعة او خمسة من الحرائر فان خفتم ان لا تعدلوا بين الاربع والثلث في القسم والنفقة وبين الاثنين في التسوية فواحدة اي فتزوجوا واحدة او ما ملكت ايمانكم اي واقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لانهن لا حق لهن في القسم ذلك اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها ادنى ان لا تعولوا اي اقرب ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ان لا تكثر عيالكم فانه مع ضعفه في اللغة فقد لا يبطله وهو قوله او ما ملكت ايمانكم ومعلوم ان ما يحتاج اليه من النفقة عند كثرة الجواري مثل ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الآية يتزوج بما شاء وقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله ان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء الاستمتاع بها على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد بالنحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان ينتحل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل هم الازواج امرهم الله باعطاء المهر المدخول بها كاملا ولغير المدخول بها على النصف على ما شرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة لان ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء لان الرجل منهم كان اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر عليه السلام رواه ابو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر فان طبن لكم عن شيء منه نفسا خطاب للازواج معناه فان طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق فكلوه اي كلوا الموهوب لكم هنيئا مريئا فالهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي وفي كتاب العياشي مرفوعا الى امير المؤمنين عليه السلام انه جاءه رجل فقال يا امير المؤمنين اني يوجع بطني فقال الك زوجة فقال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني سمعت الله تعالى يقول في كتابه وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء والمريء شفيت ان شاء الله تعالى ففعل ذلك فشفي قال استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا **القراءة** قرأ نافع وابن عامر قيما بغير الف والباقون قياما بالالف **الحجة** قال ابو علي في قيام ثلاث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها قال ابو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشيء انما القيم بمعنى القيام وهو مصدر بدلالة قوله دينا قيما فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لا تذهب اليه ههنا وانما المعنى في قيام ثابت دائم لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدرا وصف الدين به ولا وجه للجمع ههنا ولا للصفة فلعل مجيء هذا المصدر الذي يرى انه انما جاء في قوله قوم عدي ومكان سوى وجعل في الصفات كالشبع والرضا ونحوهما او وقع في الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر **المعنى** لما امر تعالى فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع اليه منهم فقال ولا تؤتوا السفهاء اي لا تعطوا السفهاء اموالكم اختلف في المعني بالسفهاء على اقوال احدها انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وابي مالك وقتادة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه مفسد للمال لم ينبغ له ان يسلطهما على ماله وثانيها انه اراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروى انس بن مالك ان امرأة سوداء جريئة المنطق ذات ملح اتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت بابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فانه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت قالت سميتنا السفهاء فقال الله سماكن السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال اما يكفي احداكن انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فاذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد اسماعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من ولد اسماعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشير قال فقالت السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه من الشرط وثالثها انها عامة في كل سفيه من صبي او مجنون او محجور عليه للتبذير وقريب منه ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول اولى لعمومه وقوله التي جعل الله لكم قياما اي اموالكم التي جعلها الله مما تقيمكم فتقومون بها قياما وقيل معناه ما تعطي ولدك السفيه من مالك الذي جعله الله قوام العيش لك فيفسده عليك ويضطرك الى ان تعتمد على غيرك فيما لك عليك وارزقوهم فيها واكسوهم خلاف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها لكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقتهم واكسوهم عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك ثم تصير تسأل ما في ايديهم ولكن ارزقهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحسن سياسته كقوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقيل لقول النبي صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد عني بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اي لا تعطوا اليتامى اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الآية على العموم فلا يجوز ان تعطي المال السفيه الذي يفسده ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وانما تكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامرهم ضربا من المجاز او يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي انه سئل الصادق عليه السلام عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال اذا كنت انت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا اي تلطفوا لهم في القول ولا تخشنوا وقولوا لهم ما ينبههم ويعينهم على الرشد والصلاح في امور المعاش والمعاد حتى اذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم اذا بلغ منه الرشد لان الله منع من دفع المال الى السفهاء وفيها ايضا دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة سفهاء لان ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال لاهل السفه وانما سمي الناقص العقل سفيها لان السفه خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق سفيها لانه لا وزن له عند اهل الدين قوله تعالى

وابتلوا

الجزء الرابع

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً
فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً آية اللغة الإيناس الإبصار ومن قوله آنس من
جانب الطور ناراً ... [illegible]
[illegible]

سورة النساء من كلام الله تع

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والأقربون ... المعنى للرجال نصيب ... مما ترك الوالدان والأقربون أي من تركة الوالدين والأقربين ...
[illegible]

نفسه ولم يأكل مال اليتيم بجوابه لا بل يكون اكل الّا مال اليتيم لكن لا على وجه يكون ظلما بان التزم عوضه على نفسه واستحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون
انما ذكر كونه ظلما ضرب من التأكيد البيان لان كل مال اليتيم لا يكون الا ظلما وسئل الرضا عليه السلام كم ادنى ما يدخل به اكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية فقال
قليله وكثيره واحد اذا كان من نيته ان لا يرده اليهم وقوله انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل فيه وجهان احدهما ان النار تلتهب من افواههم واسماعهم وآنافهم
يوم القيمة ليعلم اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر عليه السلام انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث ناس من قبورهم يوم القيمة تأجج افواههم نارا فقيل
له يا رسول الله من هؤلاء فقرأ هذه الآية والاخر انه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك يصير الى جهنم فتمتلي بالنار اجوافهم عقابا على اكلهم مال
اليتيم كما قال الشاعر وان الذي اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس بأحمرا يصف اقواما اخذوا الابل في الدية يقول انما تحلبون دم القتيل منها لا اللبن وسيصلون
سعيرا اي سيلزمون النار المسعرة للاحراق وانما ذكر البطون تأكيدا كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت بيدي ومشيت برجلي وروى الحلبي عن الصادق عليه السلام قال ان في
كتاب علي بن ابي طالب عليه السلام ان اكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ويلحقه وبال ذلك في الآخرة اما في الدنيا فان الله يقول وليخش الذين لو تركوا
الآية واما في الآخرة فان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية **قوله تعالى** يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء
فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه وَلَد
فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة
من الله ان الله كان عليما حكيما آية **القراءة** قرأ اهل المدينة وان كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة والكسائي فلامه وفي امها ونحو
بكسر الهمزة والميم وفي بطون امهاتكم وبيوت امهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم
يوصى بفتح الصاد في الموضعين وقرأ حفص الاولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرها **الحجة** الاختيار في واحدة النصب لان التي قبلها لها خبر منصوب
وهو قوله فان كن نساء اي وان كانت الوارثة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة او وجدت واحدة اي ان حدث حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه
قراءة حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها فاتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيهما من وجه واحد
ويقوي ذلك انهما تقاربا لها وقد فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه وفي من قرأ يوصي فلان ذكر الميت قد تقدم في قوله وان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرأ يوصى
فانما يحسن لانه ليس لميت معين انما هو شايع في الجميع هو في المعنى يؤول الى يوصي **الاعراب** للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدأ وخبر تفسير لقوله يوصيكم
الله وانما لم يقل للذكر مثل حظ الانثيين نصبا لانه مثل فيعمل قوله يوصيكم فيه لانه في تقدير القول في حكاية الجملة بعده فكانه قال قال الله في اولادكم
للذكر مثل حظ الانثيين وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث وسدس وربع وثمن قال الزجاج ومن زعم ان
الاصل التخفيف فيها فثقل فخطأ لان الكلام موضوع على الايجاز لا على التثقيل وانما قيل للاب والام ابوان تغليبا للفظ الاب كما قيل لابن وابنة
ابنان لانه يوهم فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التأكيد والحال من قوله ولابويه لهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضا فريضة مؤكدة
لقوله يوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لان معناه يفرض عليكم فريضة **النزول** روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال
مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر ماشيين وقد اغمي علي فدعا بماء فتوضأ ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله فكيف اصنع في مالي فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزلت آية
المواريث فيّ وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امرأة وخمس اخوان فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الله آية المواريث عن السدي وقيل كانت المواريث للاولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل آية المواريث فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله لم يرض بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس **المعنى** ثم بين سبحانه ما اجمله فيما قبل من قوله
للرجال نصيب مما ترك الوالدان الآية بما فصله في هذه الآية فقال يوصيكم الله اي يأمركم ويفرض عليكم لان الوصية منه سبحانه امر وفرض يدل على ذلك قوله
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به وهذا من الفرض المحكم علينا في اولادكم اي في ميراث اولادكم او في توريث اولادكم وقيل في اموال اولادكم اذا
متم ثم بين ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين اي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد فقال فان كن نساء فوق اثنتين
اي فان كانت المتروكات والاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر هذا الكلام يقتضي ان البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم
البنتين حكم من زاد عليهما من البنات وذكر في الظاهر وجوه احدها ان في الآية بيان حكم البنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك الا انه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روي
عن النبي انه قال لا تسافر المرأة سفرا فوق ثلثة ايام الا ومعها زوجها او ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفرا ثلثة ايام فما فوقها وثانيها ما قاله ابو العباس المبرد ان
في الآية دليلا على ان للبنتين الثلثين لانه اعلم الله بان ما فوق البنتين لهن الثلثان وثالثها ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا بفرض لهما مسمى والدليل قوله تعالى
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فقد صار للاخت النصف كما ان للبنت النصف فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت الابنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين واعطيت جملة الاخوات الثلثين كما اعطيت جملة البنات الثلثين ويدل عليه ايضا الاجماع
على ان حكم البنتين حكم البنات في استحقاق الثلثين الا ما روي عن ابن عباس ان للبنتين النصف وان الثلثين للثلاث من البنات وحكى النظام في كتاب النكت عن ابن عباس انه قال
للبنتين نصف وقيراط لان للواحدة النصف وللثلث الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم
من ذلك ان للبنتين الثلثين وينبغي ان يكون للبنتين ما بينهما وان كانت واحدة اي وان كان المولود او المتروكة واحدة فلها النصف اي نصف ما ترك الميت ثم ذكر ميراث الوالدين

فقال

فقال ولابويه يعني بالابوين الاب والام والهاء التي اضيف اليه الابوان كناية عن غير مذكور وتقديره ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له
ولد فللاب السدس مع الولد وكذلك الام لها السدس معه ذكرا كان او انثى واحدة كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان الباقي له وان كانوا ذكورا فالباقي لهم بالسوية
وان كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولاحد الابوين السدس ولهما السدسان والباقي عندنا مقسوم على البنت
وعلى احد الابوين او عليهما على قدر سهامهم بدلالة قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت ان قرابة الوالدين قرابة الولد لان الولد
يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بانفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد الصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي هذه المسئلة خلاف
بين الفقهاء فان لم يكن له يعني للميت ولد اي ابن ولا بنت ولا اولادهما لان اسم الولد يعم الجميع وورثه ابواه فلامه الثلث وظاهر هذا يدل على ان الباقي للاب وفيه اجماع فان
كان في الفريضة زوج فان له النصف وللام الثلث والباقي للاب هو مذهب ابن عباس وائمتنا وفي قول غيرهم فان للام ثلث ما يبقى وما يدرك الظاهر وكذلك
كان بدل الزوج زوجة فلها الربع وللام الثلث والباقي للاب قوله فان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس اذا كان هناك اب ويدل عليه
ما تقدم من قوله وورثه ابواه فان هذه الجملة معطوفة على قوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث وتقديره فان كان له اخوة وورثه ابواه فلامه السدس فالبعض
اصحابنا ان لها السدس مع الاخوة لئن لم يكن هناك اب به قال جميع الفقهاء واتفقوا على ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وقد روي عن ابن عباس انه قال
لا يحجب الام من الثلث الى السدس الا بثلثة من الاخوة والاخوات كما يقتضيه ظاهر الآية واصحابنا يقولون لا يحجب الام عن الثلث الى السدس الا بالاخوين او اخ واختين
او اربع اخوات من قبل الام والاب او من قبل الاب خاصة دون الام وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم حكى سيبويه
انهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلي راحلتيهما وقال نعم وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان وقال قتادة انما تحجب الاخوة الام مع انهم
لا يرثون من المال شيئا معونة للاب لان الاب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الام وهذا يدل على انه ذهب الى ان الاخوة للام لا يحجبون على ما ذهب اليه اصحابنا
لان الاب لا يلزمه نفقتهم بلا خلاف من بعد وصية يوصي بها او دين اي تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وانفاذ الوصية ولا خلاف في ان الدين مقدم
على الوصية والميراث وان احاط بالمال فاما الوصية فقد قيل انها مقدمة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روي
عن امير المؤمنين انه قال انكم تقرأون في هذه الآية الوصية قبل الدين وان رسول الله صلى الله عليه وآله قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم الدين على الوصية في
الآية ان لفظة او انما هو لاحد الشيئين او الاشياء ولا يوجب الترتيب فكانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او
ابن سيرين اي جالس احدهما مفردا او مضموما الى الآخر آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه احدها ان معناه لا تدرون اي هؤلاء انفع
لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد وثانيها ان معناه لا تدرون بايهم انتم اسعد في الدين والدنيا والله
يعلمه فاقسموه على ما بينه من المصلحة فيه عن الحسن وثالثها ان معناه لا تدرون ان نفعكم بتربية آبائكم لكم اكثر ام نفع ابنائكم بخدمتكم اياه وانفاقكم عليهم عند
كبره اكثر عن الجبائي ورابعها ان المعنى اطوعكم لله من الآباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيمة لان الله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في
الجنة من ولده رفع الله اليه ولده في درجته فتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله والديه الى درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن
والموروثين عباس وخامسها ان المراد لا تدرون اي الوارثين اسرع موتا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن ابي مسلم فريضة من الله اي فرض الله ذلك
فريضة او كما ذكرنا في الاعراب ان الله كان عليما حكيما اي لم يزل عليما بمصالحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الاموال وغيرها قال الزجاج في كان ههنا ثلثة
اقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما
فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبر من الله في هذه الاشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال لان الاشياء عند الله في حال واحدة ما مضى وما يكون وما
هو كائن **قوله تعالى** ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها
او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل
يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها
او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم آية **القراءة** وروي في الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة بكسر الراء وقراءة عيسى بن عمر الثقفي يورث
وقرأ الحسن ايضا غير مضار وصية مضافا **الحجة** كلالة من قرأ يورث فهو من ورث يرث وذاك من ورث في كلا القراءتين المفعولين محذوف فكانه قال يورث
وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت بأي كتاب ام بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب فلم يعد تحسب وما قوله غير مضار وصية فيعني به غير
مضار من جهة الوصية او عند الوصية كقول طرفة بضة المتجرد اي بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسئلة اي شجاع عند الحرب وكريم عند المسئلة
والوالد **اللغة** اصل الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس ومنه الكل لاحاطته بالعدد فالكلالة تحيط باصل النسب الذي هو الولد قال ابو مسلم اصلها
من كل اي اعيى فكان الكلالة تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين بن علي المغربي اصله عندي ما تركه الانسان وراء ظهره مأخوذ من الكل وهو الظهر
تقول العرب ولاني فلان كله على وزن اظلمته وولاني ظهره والعرب تخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والورثة قال عامر بن الطفيل واني وان كنت ابن فارس عامر
وفي السر منها والصريح المهذب فما سودتني عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بام ولا اب ويروى عن وراثة وقال زياد بن زيد العذري ولم ارث المجد التليد كلالة ولم يأن
مني فترة لعقيب ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامرأة كلالة لا تثنى ولا تجمع لانه مصدر **الاعراب** نصب كلالة على انه مصدر وضع موضع الحال ويكون كلالة

يورث

ويورث صفة رجل في تقديره ان وجد رجل مورث ومتكلل النسب العامل في الحال يورث وذو الحال الضمير في يورث ويجوز ان ينتصب كلالة على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرء يورث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرء يورث فكلالة منصوب على الحال غير مضار منصوب على الحال ايضا وصية نصب على المصدر اي يوصيكم الله بذلك وصية المعنى ثم خاطب الله الازواج فقال ولكم ايها الازواج نصف ما ترك ازواجكم اي زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى ولا ولد ابن فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي من ميراثهن من بعد وصية يوصين بها او دين فقد تقدم تفسيره ولهن اي ولزوجاتكم الربع مما تركتم من الميراث ان لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة او اثنتين او ثلاثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك فان كان لكم ولد ذكرا او انثى او ولد ولد فلهن الثمن مما تركتم من الميراث واحدة كانت الزوجة او اكثر من ذلك من بعد وصية توصون بها ايها الازواج او دين فقد تقدم تفسيره فيما مضى ثم بين ميراث الازواج ثم ذكر ميراث ولد الام فقال وان كان رجل يورث كلالة اختلف في معنى الكلالة فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس في احدى الروايتين عنه وقتادة والزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه من عدا الوالد وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت الذي يورث عنه والمروي عن ائمتنا ان الكلالة الاخوة والاخوات والمذكورون في هذه الاية من كان من قبل الام منهم والمذكورون في اخر السورة من كان منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب او امرأة هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله او امرأة كلالة تورث مالها على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلالة ومن قال انه الحي الوارث فتقديره وان كان رجل يورث في حال تكلل نسبه او امرأة تورث كذلك هو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر انه قال اتاني رسول الله (ص) وانا مريض فقلت كيف الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت اية الفرائض فالكلالة في النسب من احاط بالميت وتكلله من الاخوة والاخوات والولد والوالد ليسا بكلالة لانهما اصل النسب الذي ينتهي الى الميت ومن سواهما خارج عنهما وانما يشتمل عليهما بالانتساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلالة كالاكليل يشتمل على الراس ويحيط به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فيسمى ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعني الاخ والاخت من الام فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يجعل الذكر والانثى فيهما سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات من قبل الام متساوون في الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله منع الله من الضرار في الوصية اي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار في الميراث كره الضرار في الحياة وبعد الممات عن قتادة وتقديره لا يضار بعض الورثة بعضا قيل هو ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك الضرر بالورثة فالضرار في الوصية راجع الى الميراث وهو ان يضر في وصيته بماله او بعضه لاجنبي او يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه او يقر باستيفاء دين له في مرضه او يبيع ماله في مرضه ويستوفي ثمنه لئلا يصل الى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوصية من الكبائر والله عليم بمصالح عباده لا يحكم الا بما توجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها حليم لا يعاجل العصاة بالعقوبة ومن عليهم بالانظار والمهلة وفي هاتين الايتين دلالة على تقديم سهام اصحاب الفرائض المواريث ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت وغيرهم فان الاختلاف في مسائل المواريث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب عن ارادة وتجد في مظانه اعلم ان الارث يستحق بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابو الميت ومن يتقرب بهما والاخر ولده وولد ولده وان سفل المانع من الارث بعد وجود سببه وجوبه ثلاثة الكفر والرق وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الابوين والولد والزوج والزوجة من اصل الارث مانع ثم هم على ثلاثة اضرب الاول الولد يمنع من يتقرب به ومن يجري مجراهم من ولد اخوته واخواته عن اصل الارث ويمنع من يتقرب بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدس الا على سبيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب بهما او باحدهما ولا يمنع منهما الى غير ذلك والزوج والزوجة لا حظ لهما في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الادنى عند فقده في الارث والمنع ويمنع من الارث الاقرب فالاقرب وهذا سبيل ولد الاخوة والاخوات فانه سفل عند فقد الاخوة والاخوات مع الاجداد او الجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة والفرض ما سماه الله ولا يجتمع في المال الا من كانت قرابته متساوية الى الميت مثل البنت والبنات مع الابوين او احدهما لان كل واحد منهم يتقرب الى الميت بنفسه فمتى انفرد احدهم بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالقرابة وعند الاجتماع ياخذ كل واحد منهم ما سمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج والزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات دون الابوين او احدهما دون الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلالتين لتساوي قرابتهما فاذا فضل التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلالة الاب والام او الاب دون كلالة الام وكذلك اذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة الزوج والزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلالة الام والزوج والزوجة لانهم لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع كلالة الام كان لكلالة الام للواحد السدس وللاثنين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الاب لا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب والام ذكورا كانوا او اناثا فاما من يرث بالقرابة دون الفرض فقوام الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ياخذ نصيب من يتقرب به ذكرا كان او انثى في البطن الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الاب ياخذ جميع المال اذا انفرد ثم من يتقرب به اما ولده او والده او من يتقرب بهما من عم فالجد للاب مع الاخ الذي هو ولده في درجة وكذلك الجدة مع الاخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين يعول به بانا يمنع من له قرابة بسبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام ابائهم وامهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الاب كذلك الجد والجدة وان علوا يقاسمون الاخوة والاخوات او اولادهم وان نزلوا على حد واحد اما من يرث بالقرابة ممن يتقرب بالام فهم الجد والجدة او من يتقرب بهما من الخال والخالة فان اولادهم يرثون بالفرض او بالفرائض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الاب مع قرابة الام مع استوائهم في الدرج كان لقرابة الام الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد احد القرابتين بدرجة سقطت مع الذي قرب

فاذا مات الرجل

سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل الام الا في مسألة واحدة وهو ابن عم لاب وام مع عم لاب فان المال لابن العم هذه اصول مسائل الفرائض والتفريع عليها طويل وقد استوفيته في كتب الفقه قوله تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين القراءة قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء الحجة من قرء بالياء فلان ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرء بالنون عدل عن لفظ الغيبة الى الخطاب عن الله بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي اللغة الحد الحاجز بين الشيئين واصله المنع والفصل حد الدار يفصلها من غيرها والفوز والفلاح نظائر الاعراب خالدين فيها نصب على الحال قال الزجاج والتقدير يدخله مقدرين الخلود فيها الحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائدا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدا فيها منصوب على احد وجهين احدهما الحال من الهاء في يدخله نارا والتقدير على ما ذكرناه والاخر ان يكون صفة لقوله نارا وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت تسكن فيها لجرى ابرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها المعنى لما ذكر الله فرائض المواريث عقبها بذكر الوعد في الايتمار لها والوعيد على التعدي لحدودها فقال تلك حدود الله اي هذه التي بينت من الفرائض وامر اليتامى حدود الله اي الاماكن التي لا ينبغي ان يتجاوز عن الزجاج واختلف في معنى الحد وعلى اقوال احدها تلك شروط الله عن السدي وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الاقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من امواتكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فان معنى حدود الله حدود طاعة الله وانما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين ومن يطع الله ورسوله فيما امر من احكام وقيل فيما فرض الله له من فرائض المواريث يدخله جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها وابنيتها الانهار اي ماء الانهار وحذف لما تقدم اليه معناه والوضع خالدين فيها اي دائمين فيها وذلك الفوز العظيم وصفه بالعظيم ولم يبين بالاضافة الى ماذا والمراد انه عظيم بالاضافة الى منفعة الحيازة في التركة من حيث كان امر الدنيا حقيرا بالاضافة الى امر الاخرة وانما خص الله الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع انه واجب في كل طاعة اذ تعلق بموجبها والوجه فيه التبيين عن عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها ومن يعص الله ورسوله فيما بينه من الفرائض وغيرها ويتعد حدوده اي يتجاوز ما حده له من الطاعات يدخله نارا خالدا اي دائما فيها وله عذاب مهين سماه مهينا لان الله يفعله على وجه الاهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الاية على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة مخلد في النار ومعاقب فيها لا محالة بقوله ويتعد حدوده يدل على ان المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولان صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الاية وان كان فاعلا للمعصية ومتعديا احدا من حدود الله واذا جاز اخراجه منه بدليل جاز لغيره ان يخرج من عمومها من يشفع له النبي او يتفضل الله عليه بالعفو بدليل اخر وايضا فان التائب لا بد من اخراجه من عموم الاية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة وكذلك يجب اخراج من يتفضل الله باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فان جعلوا للاية دلالة على ان الله لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان في المفسرين من حمل الاية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون الا كافرا قوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما القراءة قرأ ابن كثير واللذان ياتيانها بتشديد النون وكذلك فذانك وهذان وهاتين وقرء الباقون بتخفيف ذلك كله الا ابا عمرو فانه شدد فذانك وحدها الحجة قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض من الحذف الذي يلحق الكلمة الا ترى ان ذا قد حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان في التثنية واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الاوائل منهما في التحقير مع ضمها في غيرهما وذلك نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا اللغة اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال من اللواتي واللتي يحسبن اني كبرت لداتي وقد يحذف التاء من اللاتي فيقال اللاي قال من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرئ المغفلا المعنى لما بين حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بين حكم الحد فيهن اذا ارتكبن الحرام فقال واللاتي ياتين الفاحشة اي يفعلن الزنا من نسائكم الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من المسلمين خاطب الحكام والائمة وامرهم بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للازواج في نسائهم اي فاشهدوا عليهن اربعة منكم وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الاية ان تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول يخالف الاجماع وما عليه المفسرون فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا فان شهدوا اي الاربعة فامسكوهن اي فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت اي يدركهن الموت فيمتن في البيوت كان في مبتدأ الاسلام اذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة شهود حبست في البيت ابدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصن والجلد في البكر او يجعل الله لهن سبيلا قالوا لما نزل قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال اصحابنا ان من وجب عليه الرجم يجلد اولا ثم يرجم به قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك يختص بالشيخ والشيخة فاما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الاية منسوخ عند جمهور المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقال بعضهم انه غير منسوخ لان الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا الى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخا له كما لو قال افعلوا كذا الى راس الشهر فتعديه في فرد الموضعين فان الحكم المعلق بمجيء راس الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الاية وقوله واللذان ياتيانها منكم اي ياتيان الفاحشة وفيه ثلاثة اقوال احدها انهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطاء وثانيها انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد وثالثها انهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لانه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لان الوعد والوعيد انما ياتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد

اي الفلاح العظيم

يتعدى ان قوله

اللاء

شهود

منهم او بلفظ الواحد لدلالة على الجنس واما التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما فالفاحشة في الاية الاولى عنده السحق وفي الاية الثانية اللواط فحكم الايتين عنده ثابت غير منسوخ والى هذا التأويل ذهب اهل العراق فلا حد عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لان الذي عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة في الاية الزنا وان الحكم في الاية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحد بالرجم او الجلد وقوله فآذوهما قيل معناه عنفوهما لان احدهما هو التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس والاولى انه التعيير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في الاذى والحبس كيف كان فقال الحسن كان الاذى اولا ثم الا ان الاخيرة نزلت من قبل ثم امر ان توضع في التلاوة من بعد فكان الاول الاذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم وقال السدي كان الحبس في الثيبين والاذى في البكرين و قيل كان الحبس للنساء والاذى للرجال وقال الفراء ان الاية الاخيرة نسخت الاية الاولى وقوله فان تابا اي رجعا عن الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما اي اصفحوا عنهما وكفوا عن اذاهما ان الله كان توابا رحيما يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائي في الاية دلالة على نسخ القرآن بالسنة لانها نسخت بالرجم او الجلد والرجم قد ثبت بالسنة يقول ان هذه الاية نسخت بالجلد في الزنا واضيف الرجم اليه زيادة لا نسخا واما الاذى المذكور في الاية فغير منسوخ فان الزاني يؤذى ويعنف على فعله ويذم لكنه لم يقتصر عليه بل زيد عليه بان اضيف الجلد او الرجم اليه **قوله تعالى** انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما **اللغة** اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبح ويكفي في حدها الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله واعتدنا اي اعددنا فابدل من احدى الدالين تاء وقيل هو افتعلنا من العتاد وهو العدة قال عدي بن الرقاع تأتيه اسلاب الاعزة عنوة عتدا ويجمع الحرب حين يشبها يقال للفرس المعد للحرب عتد وعتيد **الاعراب** موضع الذين يموتون جر بكونه عطفا على قوله للذين يعملون السوء تقديره ولا للذين يموتون **المعنى** لما وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم بين عقيبه شرائط التوبة فقال انما التوبة ولفظة انما تتضمن النفي والاثبات فمعناه لا توبة مقبولة على الله اي عند الله الا للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه احدها ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كان على سبيل العمد لانه يدعو اليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله فانه قال كل ذنب عمله العبد وان كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله وثانيها ان معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن الفراء وثالثها انهم يجهلون انها ذنوب ومعاص فيفعلونها اما بتأويل يخطئون فيه واما بان يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم انها ذنوب توبة لان قوله انما التوبة تفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقال ابو العالية وقتادة اجمعت الصحابة على ان كل ذنب اصابه العبد فهو بجهالة وقال الزجاج انما قال بجهالة لانهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال فهو جهل بالاختيار ومعنى يتوبون من قريب اي يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت قال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال السدي هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت وروي عن امير المؤمنين انه قيل له فان عاد وتاب مرارا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال قال رسول الله في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال وان يوما لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب قبل موته وقد بلغت نفسه هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه وروى الثعلبي باسناده عن عبادة بن الصامت عن النبي هذا الخبر بعينه الا انه قال في آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغرغر بها تاب الله عليه وروى ايضا باسناده عن الحسن قال قال رسول الله لما هبط ابليس قال وعزتك وجلالك وعظمتك لا افارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه وعزتي وعظمتي لا احجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها فاولئك يتوب الله عليهم اي يقبل توبتهم وكان الله عليما بمصالح العباد حكيما فيما يعاملهم به وليست التوبة اي التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها للذين يعملون السيئات اي المعاصي ويصرون عليها ويسوفون التوبة حتى اذا حضر احدهم الموت اي اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطاع الرجاء عن الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها احد غير المحتضر قال اني تبت الآن اي فليس لهذا التائب توبة واجمع اهل التأويل على ان هذه قد تناولت عصاة اهل الاسلام الا ما روي عن الربيع انه قال انها في المنافقين وهذا لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت اولئك اعتدنا اي هيأنا لهم عذابا اليما اي موجعا وانما لم يقبل الله تعالى التوبة في حال اليأس من الحياة لانه يكون العبد هناك ملجأ الى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجا عن حد التكليف اذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم واذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين ولا تقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله اعتدنا لهم عذابا اليما على وجوب العقاب لمرتكبي الكبائر من المؤمنين قبل التوبة فالانفصال عن ذلك ان يقال ان معنى اعتدنا لهم انما هو خلق النار التي هي جزاؤهم فالظاهر يقتضي استحقاقهم لدخولها وليس في الاية ان الله يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون وهم كفار لانه اقرب اليه من قوله للذين يعملون السيئات ويحتمل ايضا ان يكون المقصود من اعتدنا لهم العذاب اي ان عاملناهم بالعدل ولم نشأ العفو عنهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم ما يستحقونه من العقاب لئلا يأمنوا من ان يفعل بهم ذلك فان قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا ينافي المشيئة فيه الا المؤمنين من اهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لان المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب لا خلاف فيه

ان الله

ان الله لا يعذب اهل الطاعات من المؤمنين ولا التائبين من المعصية والكافر خارج ايضا عن المشيئة لاخبار الله تعالى انه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشيئة الا من مات مؤمنا موحدا وقد ارتكب كبيرة لم يتب منها قال الربيع ان الاية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لانه حكم من الله والنسخ جائز في الاحكام كما جاز في الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في الاخبار بان يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون كذا وهذا لا يصح لان قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الاخبار **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا **القراءة** قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والاحقاف ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرأ بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس بكسر الياء خفيفة **الحجة** الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال سيبويه بين الشيء وبينته وابان الشيء وابنته واستبان الشيء واستبنته وتبين وتبينته من ابيات الكتاب سل الهموم بكل معطي رأسه ناج مخالط صهبة متعيس مغتال احبله مبين عنقه في منكب زبن المطي عرندس وفي نوادر ابي زيد يبين لي لحاجة انهم فيهم الحي ومن كلامهم قد بين الصبح لذي عينين **اللغة** العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضها اذا عسرت عليها واعضل الفضاء بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال ابو عبيدة الفاحشة الزنا والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة **الاعراب** ان ترثوا النساء في موضع رفع بانه فاعل يحل وكرها مصدر وضع موضع الحال عن النساء والعامل في الحال ترثوا ولا تعضلوهن يجوز ان يكون مجزوما على النهي **النزول** قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن بن عاصم اراد ابنه محصن بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت الى النبي فقالت يا نبي الله لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت الاية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امرأته كما يرث ماله والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ابو الجارود عن ابي جعفر وقيل نزلت في الرجل تكون تحته امرأة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ليفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده ولا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن ابي جعفر **المعنى** لما نهى الله فيما تقدم عن عادات اهل الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن الاستنان بسنتهم في النساء فقال يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ان تحبسوهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم ان تسيئوا صحبتهن ليفتدين بما لهن او بما سقتم اليهن من مهورهن او ليمتن فترثوهن ولا تعضلوهن اي ولا تحبسوهن ولا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن واختلف في المعني بهذا النهي على اربعة اقوال احدها انه الزوج امره الله بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله وثانيها انه الوارث نهي عن منع المرأة من التزويج كما تفعله اهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن وثالثها انه المطلق اي لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا تتزوج الا باذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان اعطته وارضته اذن لها وان لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ورابعها انه الولي خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الاول اصح الا ان يأتين بفاحشة مبينة اي ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما انه يعني الا ان يزنين عن الحسن وابي قلابة والسدي قالوا اذا اطلع منها على زنية فله اخذ الفدية والآخر ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والاولى حمل الاية على كل معصية وهو المروي عن ابي جعفر واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله الا ان يأتين مما هو فقيل هو من اخذ المال وهو قول اهل التفسير وعلى هذا كان قبل الحدود وكان الاخذ منهن على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل هو من الحبس والامساك على ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وابي مسلم الا ان ابا علي قال انها منسوخة وابى ابو مسلم النسخ وعاشروهن بالمعروف اي خالقوهن من العشرة التي هي المصاحبة بما امركم الله به من اداء حقوقهن التي هي النصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه معها وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع له فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه اي في ذلك الشيء وهو امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطفكم عليهن بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد فعلى هذا يكون المعنى ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حث للازواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الازواج وترغيبهم في امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يخافوا في ذلك ضررا على النفس او الدين او المال ويحتمل ان يكون الهاء عائدا الى الذي تكرهونه اي عسى ان يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا والمعنى مثل الاول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته قال القاضي هذا بعيد لان الله تعالى حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة **قوله تعالى** وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احديهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا **اللغة** القنطار مأخوذ من القنطرة ومنه القنطرة المعقودة لانها كالقنطار في عظم الصورة ويقال قنطر في الامر يقنطر اذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له واصله التحير من قوله فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء الى الشيء هو الوصول اليه بالملامسة واصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضوا اذا اتسع **الاعراب** بهتانا مصدر وضع موضع الحال وكذلك اثما

واتما والمعنى لا تاخذوه بهتانا مبينا المعنى لا تاخذوا شيئا على حسن صحبة النساء عند الامساك عقيب بيان حال الاستبدال وقد خاطب الازواج ان اردتم
استبدال زوج مكان زوج اي اقامة امراة مقام امراة وآتيتم احديهن اي اعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها قنطارا اي مالا كثيرا على ما قيل منه من انه ملء
مسك ثور ذهبا وانه دية الانسان او غير ذلك من الاقوال التي ذكرنا في آل عمران فلا تاخذوا منه اي من المولى او المعطى شيئا اي لا ترجعوا فيما اعطيتمو
من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن اتاخذونه بهتانا هذا استفهام انكار اي اتاخذونه ظلما كالظلم بالبهتان وقيل معناه اتاخذونه بانكار
التمليك وسماه بهتانا لان الزوج اذا انكر تمليكه اياها بغير حق يستوجب المعطى بها ظاهر الحكم كان انكاره بهتانا وكذبا اثما مبينا اي ظاهرا
قيل في الاية لم خص حال الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ محرم مع عدم الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم
مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فبين تعالى ان ذلك لا يجوز وازال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المرية سواء استبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا

وهذا الجماع فان دخل بها الاب على وجه السفاح فهل يحرم على الابن ففيه خلاف وعموم الاية يقتضي تحريمه عليه لان النكاح قد يعبر به عن الوطي وهو الاصل فيه
كما يعبر به عن العقد فينبغي ان يحمل اللفظ في الاية على الامرين وامراة الاب تحرم على الابن وان سفل بلا خلاف قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا
رحيما آية واحدة اللغة الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته اياها فهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز
ان تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها او لم يتول وسواء كانت في حجره او لم تكن لانه اذا تزوج باُمها فهو ربيبها وهي ربيبته والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع
بهم ويوقعونه يقولون هذا مقتول وان لم يقتل بعد هذا ذبيح وان لم يذبح بعد اذا كان يريد ذبحه وقتله وكذلك يقولون هذا اضحية لما اعد للتضحية وهذه

لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان يكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن اسحق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عليا كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتي دخلتم بهن في الحجور وغير الحجور في غير الحجور والامهات مبهمات دخل بالبنات او لم يدخل فحرموا ما حرم الله وابهموا ما ابهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد به الجماع عن ابن عباس والاخر انه الجماع وما يجري مجراه من المس والتجريد عن عطاء وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن يعني بامهات الربائب فلا جناح عليكم اي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اي وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة في امر زوجة المتبنى بقوله الذين من اصلابكم لئلا يظن ان زوجة المتبنى تحرم على المتبني وروي عن عطاء ان هذه نزلت حين نكح النبي صلى الله عليه وآله امرأة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما كان محمد ابا احد من رجالكم وليس حلائل الابناء من الرضاعة محرمات ايضا بقوله ع انه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان تجمعوا بين الاختين اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع صلتها بحكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الاختين في العقد على الحرائر وتحريم الجمع بينهما في الوطي بملك اليمين فاذا وطي احديهما فقد حرمت عليه الاخرى حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء الا ما قد سلف استثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف لا يؤاخذكم الله به وليس المراد به ان ما سلف حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب فانه جمع بين الاختين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف عن عطاء والسدي ان الله كان غفورا رحيما لا يؤاخذكم الله بحكم ما سلف من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرم الله في هذه الاية فانما هو على وجه التابيد سواء كان مجتمعا او متفرقات الا الاختين يحرمهما على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الاية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الانساب فانها لا يصح ان تملك واحدة منهن لان التحريم عام والمحرمات بالنسب على وجه التابيد يسمون مبهمات لانهن يحرمن من جميع الجهات وهي ماخوذة من البهيمة التي لا يخالطها لون لون اخر يقال فرس بهيم لا شية له ان الله كان غفورا يغفر الذنوب جميعا رحيما يرحم العباد المؤمنين **قوله تعالى** والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما آية **القراءة** قرء الكسائي وحده والمحصنات ومحصنات في سائر القرآن بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد فيه وقرء الباقون بفتح الصاد في كل القرآن وقرء اهل الكوفة الا ابا بكر وابا جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرء الباقون بفتح الهمزة والحاء **الحجة** وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الاية ومعناها النساء اللاتي احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرية يدل عليه قوله الذين يرمون المحصنات الاية يعني الحرائر لان من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فاما قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فبالعفايف ويقع على التزويج كما في الاية ويقع على الاسلام كما فسر من قرء فاذا احصن بفتح الهمزة باسلمن ويصلح الجميع للمنع لان الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة تحظر النفس عما خطره الشرع والتزويج في المرأة يحظر خطبتها التي كانت سائغة قبل ويمنع تصديها للتزويج و الاسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرء واحل لكم ما وراء ذلكم قال بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله كتب الله عليكم كتابا والله احل لكم ومن قرء واحل لكم قال انه في المعنى يؤول الى الاول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم **اللغة** قال الازهري يقال للرجل اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج واسهب فهو مسهب اي الكثير الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل قال سيبويه حصنت المرأة حصنا فهي حصان مثل جبن جبنا فهو جبان وقد قالوا الحصان كما قالوا علما والحصان الفحل من الافراس حصن الرجل امرأته وتحصنت المرأة فرجها من الفجور والمسافحة والسفاح الزنا واصله من السفح وهو صب الماء باطلا وسفح الجبل اسفله لانه يصب الماء فيه منه قال الزجاج المسافحة والسفاح الزانيان الا يمتنعان من احد فاذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن **الاعراب** كتابا انتصب على المصدر من فعل محذوف دل عليه كتب الله كتابا عليكم ثم اضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فانه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقي كتاب الله عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل كما اضيف الى المفعول في قولهم ضرب زيد مثل ذلك قوله صنع الله الذي وعلى ذلك قول الشاعر ما ان يمس الارض الا جانب منه وحرف الساق طي المحمل لان ما في البيت يدل على انه طيان فكان تقديره طوى طي المحمل وقال الزجاج يجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان يكون منصوبا بعليكم لان عليكم لا يجوز تقديم منصوبه وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بانه مفعول على قراءة من قرء واحل لكم بفتح الهمزة ومن قرء واحل بالضم فمحله رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع ورفعا ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام فلان تبتغوا على ما مر مثاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير مسافحين صفة لمحصنين فريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا في موضع حال اي مفروضة **المعنى** ثم عطف بحاله على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال والمحصنات اي وحرمت عليكم اللاتي احصن من النساء واختلف في معناه على اقوال احدها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من سبي من كان لها زوج عن علي وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم على ذلك بخبر ابي سعيد الخدري ان الاية نزلت في سبي اوطاس لان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج في دار الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله الا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة من خالف فيه ضعف هذا الخبر بان سبي اوطاس كانوا عبدة الاوثان ولم يدخلوا في الاسلام ولا يحل نكاح الوثنية واجيب عن ذلك بان الخبر محمول على انها بعد الاسلام وثانيها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج لان بيعها طلاقها عن ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس وابن المسيب والحسن قال ابن عباس طلاق الامة يثبت بستة اشياء سبيها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها وهو المروي في روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب

وعبد

وعبد الرحمن بن عوف ليس بيع الامة طلاقها بل طلاقها كطلاق الحرة وانما هو في السبي خاصة لان النبي خير بريرة بعد ما اعتقها عائشة ولو بانت بالعتق لم يصح تخييرها قال الاولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان حرا لم يخيرها النبي وثالثها ان المراد بالمحصنات العفائف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح او بالثمن ملك استمتاع بالمهر او النفقة او ملك استخدام بالثمن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وعطا والسدي كتاب الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به قوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل في معناه اربعة اقوال احدها احل لكم ما وراء ذات المحارم من اقاربكم عن عطا وثانيها ان معناه احل لكم ما دون الخمس ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح عن السدي وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن قتادة ورابعها احل لكم ما وراء ذات المحارم والزيادة على الاربع ان تبتغوا باموالكم نكاحا او ملك يمين وهذا الوجه احسن لانه لا تنافي بين هذه الاقوال ومعنى ان تبتغوا ان تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء بثمن او نكاحا بصداق عن ابن عباس محصنين غير مسافحين اي متزوجين غير زانين وقيل معناه اعفة غير زناة وقوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد فمعناه على هذا فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان في الاصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لا سيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن اجورهن ويدل على ذلك ان الله علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لان المهر لا يجب بالاستلذاذ وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود انهم قرؤا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وفي ذلك تصريح بان المراد به عقد المتعة وقد اورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن ابي ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابي فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرء سورة النساء فقلت بلى فقال فما تقرء فيها فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقرؤها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله ثلث مرات وباسناده عن سعيد بن جبير انه قرء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سألت عن هذه الاية فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى الا قال الحكم قال علي بن ابي طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي وباسناده عن عمران بن الحصين قال نزلت اية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل اية بعدها تنسخها فامرنا رسول الله ص وتمتعنا مع رسول الله ص ومات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء ومما اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح قال حدثنا الحسن الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال استمتعنا على عهد رسول الله وابي بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الاية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الاية جميع المهر بنفس العقد لانه قال فآتوهن اجورهن اي مهورهن ولا خلاف في ان ذلك غير واجب وانما تجب الاجرة بكمالها بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسئلة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالا انا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر بان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله ص واضاف النهي عنها الى نفسه لضرب من الراي فلو كان النبي نسخها او نهى عنها او اباحها في وقت مخصوص دون غيره لاضاف التحريم اليه دون نفسه فانه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي ولا خلاف ان متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة قيل المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تاخير وقال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استيناف عقد اخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الاجر وتزيده في المدة وهذا قول الامامية وتظاهرت به الروايات عن ائمتهم ان الله كان عليما بما يصلح امر الخلق حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي تحفظ الاموال والانساب **قوله تعالى** ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم آية **القراءة** قرء اهل الكوفة غير حفص فاذا احصن مفتوحة الهمزة والباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد **اللغة** الطول الغناء وهو ماخوذ من الطول خلاف القصر فشبه الغنى به لانه ينال به معالي الامور والتطول الافضال بالمال والتطاول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة وطال فلان طولا اذا تفضل في القدرة يقال طاوله فطاله ويقال منه فلان بطائل اي بشيء له مزية من فضل وطالت طولك وطيلك اي طالت مدتك قال الشاعر انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل والطول الحبل قال طرفة لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الامة وان كانت عجوزا لانها كالصغيرة في انها لا توقر توقير الحرة والفتوة حالة الحداثة ومنه الفتاء والخدن الصديق يقع على المذكر والمؤنث والواحد والجمع والخدين بمعناه والعنت الجهد والشدة قال المبرد العنت الهلاك **المعنى** ثم بين تعالى نكاح الاماء فقال ومن لم يستطع منكم طولا اي من لم يجد منكم غنى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر ان ينكح اي يتزوج المحصنات المؤمنات الحرائر المؤمنات يعني من لم يقدر على شيء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة فمما ملكت ايمانكم اي فليتزوج مما ملكت ايمانكم من المؤمنات اي اماءكم فان مهورهن اقل ومؤونتهن اخف في العادة والمراد بها امة الغير لانه لا يجوز ان يتزوج الرجل بامة نفسه بالاجماع وقيل ان المعنى من الاية فلم

فاتوهن

ان تنزوجها فان كان ذلك بطلا عن جابر وعطاء وابراهيم وسعيد والقول الاول هو الاصح عليه اكثر الفقهاء وفي الاية دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية لانه
تقيد جواز العقد عليهن بالايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهذا مذهب مالك والشافعي والله اعلم بايمانكم اراد بهذا بيان انه لم يؤخذ علينا الا بان نأخذ
بالظاهر في هذا الحكم اذ لا سبيل لنا الى الوقوف على حقيقة الايمان والله هو المنفرد بعلم ذلك لا يطلع عليه غيره فانه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر بعضكم
من بعض فيه قولان احدهما ان المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الاماء فانهن من جنسكم كالحرائر والآخر ان معناه كلكم على الايمان ودينكم واحد فلا
ينبغي ان يعير بعضكم بعضا بالهجنة نهى الله عن عادة اهل الجاهلية في التعيير بالاماء فانكحوهن يعني الفتيات المؤمنات اي تزوجوهن باذن اهلهن اي باذن
ساداتهن ومواليهن وفي هذا دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة بغير اذن مالكها واتوهن اجورهن اي اعطوا مالكهن مهورهن بالمعروف اي بما لا ينكر في الشرع
وهو ما تراضى عليه الاهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل ونقص محصنات اي عفائف بتزويجهن عفائف غير مسافحات غير زوان وقيل
متزوجات غير زانيات وقد قرئ محصنات بفتح الصاد وكسرها على ما مر ذكره في الاية الاولى ولا متخذات اخدان اي اخلاء في السر لان الرجل منهم كان يتخذ صديقة يفجر
بها والمرأة تتخذ صديقا يفجر بها وروي عن ابن عباس انه قال كان قوم في الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى الله عن الزنا سرا وجهرا فعلى
هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات الاسرار ولا جهرا فاذا احصن من قرأ بضم الهمزة معناه فاذا زوجن فاحصن بازواجهن وهو معنى
ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومن قرأ بالفتح فمعناه اسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابراهيم والشعبي والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها
الاسلام فان اتين بفاحشة اي زنين فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي نصف ما على الحرائر من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرة ذلك اشارة الى نكاح الامة
عند عدم الطول لمن خشي العنت منكم يعني الزنا وهو ان يخاف ان تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الدنيا او العذاب في الآخرة وعليه اكثر المفسرين وقيل معناه ان
يهوى امة ويزني بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد في الدين والدنيا لغلبة الشهوة والاول اصح وان تصبروا خير لكم معناه وصبركم عن نكاح الاماء عن الزنا خير لكم وان
تصبروا متبذلا وخير جزم والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم وفائدته انه متى لم يصبر عنها الرجل بالصبر عنه تاب الله عليه فغفر الله له ورحمه استدل الخوارج بهذه الاية على ابطال
الرجم قالوا ان الرجم لا يمكن تبعيضه وقد قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فعلمنا ان الرجم لا اصل له والجواب عن ذلك اذا كان المراد بالمحصنات الحرائر فقد
هذا القول ويدل على ذلك قوله في اول الاية ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك انه الحرائر والعفائف لان اللاتي لهن ازواج لا يمكن العقد
عليهن على حال حتى تعم في اول الاية ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك انه الحرائر والعفائف لان اللاتي لهن ازواج لا يمكن العقد عليهن على ان ذا
من قال ان المحصنات هنا المراد بها الحرائر دون العفائف لانه لو كان بحصانة العفائف لجاز العقد على غيرهن ثم يعلوا ان ذلك جائز هذا والرجم مجمع لانه على انه
من احكام الشرع وتواتر المسلمون بان النبي صلى الله عليه رجم ماعز بن مالك الاسلمي ورجم يهوديا ويهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة الى يومنا هذا وخلاف الخوارج في ذلك
شاذ عن الاجماع فلا يعتد به قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثلاث آيات الاعراب ذكر في اللام من قوله
ليبين ثلاثة اقوال احدها ان معناه ان يبين واللام في معنى ان وتدخل مع اردت وامرت لانها تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان في سائر الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا
لها باللام دون جمعوا بين اللام وكي للتأكيد والاستقبال قال الشاعر اردت لكيما لا ترى لي عثرة ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل وهذا قول الكسائي والفراء و
انكره الزجاج وانشد اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود قال ولو كانت اللام بمعنى ان لم يدخل على كي كما لا يدخل ان على كي قال وقد ذهب
سيبويه واصحابه ان اللام دخلت على تقدير المصدر اي الارادة للبيان نحو قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون اي ان كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون اي رهبتهم
لربهم قال كثير اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بان جعل اللام بمعنى ان لم تقم حجة بالمعنى
وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم دون التأخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل في المتقدم
يضعف كعمل المصدر في التأخير ولذلك لم يجز الا في المتقدم فاما ردف لكم فعلى تأويل ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي امرنا بما امرنا لنسلم وهذه الاقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف وتقديره يريد الله تبصيركم ليبين لكم المعنى ثم بين تعالى بعد التحليل و
التحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال تعالى يريد الله عز وجل بما يريد ليبين لكم احكام دينكم ودنياكم ولم ومعاشكم ومعادكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم من اهل
الحق والباطل فيه قولان احدهما يهديكم الى طريق الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم فيه من المصلحة والآخر سنن
الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم ويتوب عليكم اي ويقبل عليكم توبتكم وقيل يريد التوبة عليكم بالدعاء
اليها والحث عليها وتبيين السبل اليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه بين تعالى انه لا يريد الا الخير والصلاح والله عليم حكيم في تدبيره والله
يريد ان يتوب عليكم اي يلطف في توبتكم ان وقع منكم ذلك وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقويكم واعيكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات فيه اقوال احدها ان المعني
بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة نفسه باطلة عن ابن زيد وثانيها ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد وثالثها انهم اليهود والنصارى عن السدي ورابعها
انهم اليهود خاصة اذ قالوا ان الاخت من الاب حلال في التوراة والقول الاول اقرب ان تميلوا ميلا عظيما اي تعدلوا عن الاستقامة عدولا بينا بالاستكثار من المعصية
وذلك ان الاستقامة هي المؤدية الى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدي الى الهلاك واستحقاق العذاب واذا قيل لم كرر قوله تعالى يتوب عليكم فجوابه انه للتأكيد
وايضا فان في الاول بيانا انه يريد الهداية والانابة وفي الثاني بيانا ارادته خلاف ارادة اصحاب الاهواء وايضا انه اتى في الثاني بان لبيان ان الاول ايضا انه يريد ليتوب ولا

يريد ان يتوب وانما قال تعالى ميلا عظيما لان العاصي يأنس بالعصيان بالعاصي كما يأنس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل الى الشكل ويألف به ولان العاصي يريد
مشاركة الناس اياه في المعصية ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم وتقطيعهم قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وودوا لو تكفرون كما كفروا وفي المثل من حرق كدسه تمنى احراق
كدس غيره وعلى هذا جبلت القلوب يريد الله ان يخفف عنكم يعني في التكليف في امر النساء والنكاح باباحة نكاح الاماء عن مجاهد وطاوس ويجوز ان يكون يريد التخفيف
بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف في التكليف على العموم وذلك انه تعالى خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية وخلق الانسان ضعيفا
في امر النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا
وكان ذلك على الله يسيرا آيتان القراءة قرأ اهل الكوفة تجارة بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من رفع فتقديره الا ان تقع تجارة فالاستثناء
منقطع لان التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين احدهما الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر اذا
كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما والآخر الا ان تكون الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فالاستثناء على هذا الوجه
منقطع المعنى ثم بين تعالى بعد تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عقبه بتحريم الاموال في الوجوه الباطلة فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله
لا تأكلوا اموالكم بينكم ذكر الاكل واراد سائر التصرفات وانما خص الاكل لانه معظم المنافع وقيل لانه يطلق على وجوه الانفاقات اسم الاكل يقال اكل
ماله بالباطل وان انفقه في غير الاكل ومعناه لا يأكل بعضكم اموال بعض وفي قوله بالباطل اقوال احدها انه الربا والقمار والبخس والظلم
عن السدي وهو المروي عن الباقر وثانيها ان معناه بغير استحقاق من طريق الاعواض عن الحسن قال وكان الرجل منهم يتحرج عن ان يأكل عند احد من الناس
بعدما نزلت هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله في سورة النور ليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله ان تأكلوا جميعا او اشتاتا والاول هو الاقوى لان ما اكل
على وجه مكارم الاخلاق لا يكون اكلا بالباطل وقد روي عن ابي جعفر عليه السلام ان معناه لا تأخذه من غير وجهه وحكى فيه ما لا يحل له الا ان تكون تجارة اي مبايعة ثم وصف التجارة فقال عن تراض
منكم اي يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي في التجارة قولان احدهما انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير بعد العقد وهو قول شريح و
الشعبي وابن سيرين وهو مذهب الشافعي والامامية لقوله البيعان بالخيار ما لم يفترقا او يكون بيع خيار وربما قالوا او يقول احدهما للآخر اختر و
الثاني انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابي حنيفة ولا تقتلوا انفسكم فيه اربعة اقوال احدها ان معناه لا يقتل بعضكم بعضا لانكم اهل دين واحد وانتم
كنفس واحدة كقوله فسلموا على انفسكم عن الحسن وعطاء والسدي والجبائي وثانيها انه نهى الانسان عن قتل نفسه في حال غضب او ضجر عن ابي القاسم البلخي وثالثها ان معناه
لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب الآثام والعدوان في اكل المال بالباطل وغيره من المعاصي التي تستحقون بها العذاب ورابعها ما روي عن ابي عبد الله
عليه السلام ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه ان الله كان بكم رحيما اي لم يزل رحيما وكان من رحمته ان حرم عليكم قتل النفس وقال ابو
ومن يفعل ذلك قيل ان ذلك اشارة الى اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل اشارة الى المحرمات في هذه السورة وقيل من قوله يا ايها الذين آمنوا لا
يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل اشارة الى كل ما نهى الله عز وجل عنه من اول السورة وقيل الى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطاء عدوانا وظلما قيل
هما واحد فجمع بينهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر والفي قولها كذبا ومينا وقيل العدوان التجاوز لما امر الله به والظلم ان يأخذه على غير وجهه الاستحقاق وقيل
انما قيده بالعدوان والظلم لانه اراد به المستحلين فسوف نصليه نارا اي نجعله صلى نار ونحرقه بها وكان ذلك اي ادخاله النار وتعذيبه فيها على الله يسيرا
يسيرا هينا لا يمنعه منه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده الا باذنه قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم
مدخلا كريما آية القراءة قرأ ابو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرأ الباقون مدخلا بضمها الحجة قال ابو علي من قرأ مدخلا يحتمل ان يكون
مصدرا وان يكون مكانا فان حملته على المصدر اضمرت له فعلا دل عليه الفعل المذكور وتقديره ندخلكم فتدخلون مدخلا وان حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا
كريما وهذا اشبه هنا لان المكان قد وصف بالكرم في قوله تعالى ومقام كريم ومن قرأ مدخلا فيجوز فيه ايضا ان يكون مكانا وان يكون مصدرا اللغة الاجتناب
المباعدة عن الشيء وتركه جانبا ومنه الاجنبي ويقال اجتنبنا فلان الامر جنابة اي بعد قال علقمة بن عبدة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ وسط القباب
غريب قال الاعشى اتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان حريث عن عطائي جامدا والتكفير صلة الستر المعنى لما تقدم ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها
فقال ان تجتنبوا اي تتركوا جانبا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اختلف في معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعد الله تعالى عليه في الآخرة عقابا واوجب عليه
في الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس والى هذا ذهب اصحابنا فانهم قالوا المعاصي كلها كبيرة
من حيث كانت قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما تكون صغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منه ويستحق العقاب عليه اكثر والقولان الاولان يقتضيان ان وقال
المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابها عن ثواب صاحبها ثم ان العقاب اللازم عليه يحبط بالاتفاق بينهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه عند ابي هاشم ومن يقول بالموازنة
يحبط وعند ابي علي الجبائي لا يحبط بل يسقط الاقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصغائر لا معينة
ولا يجوز ان يكون كبيرة فان في تعريف الصغائر اغراء بالمعصية لانه اذا علم المكلف انه لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب
الكبائر يجب غفران الصغائر ولا يحسن معها المؤاخذة بها وليس في ظاهر الآية ما يدل عليه فان معناها على ما رواه الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التي اوجب
الله فيها الحدود وسمى فيها النار نكفر عنكم ما سواها من الصلوات الى الصلوات ومن الجمعة الى الجمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان هذا الزمان المستقبل

كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف لذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه في اول السورة الى رأس الثلاثين فهو كبيرة ويعضد هذا القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ندخلكم مدخلا كريما اي مكانا طيبا حسنا لا ينقصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القراءتين قبل فاما تفصيل الكبائر الموبقة على ما وردت به الروايات فنذكر جملة مقنعة روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله قال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك بالله لقول الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وبعده اليأس من روح الله لان الله يقول ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لان الله جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي حرم الله الا بالحق لانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لان الله يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم ظلما لقوله الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق والزنا لان الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس لان الله يقول الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة الآية والغلول قال الله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله يقول يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيء مما فرض الله تعالى لان رسول الله ص يقول من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم وروي عن النبي انه قال الكبائر سبع اعظمهن الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله تعالى وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ورواه الواحدي في تفسيره بالاسناد مرفوعا **قوله تعالى** ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما آية **القراءة** قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجهة في كل القرآن والباقون بالهمز ولم يختلفوا في وليسألوا ما انفقوا انه مهموز **الحجة** قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان فلو خفف الهمزة في قوله وليسئلوا لكان وليسلوا **اللغة** التمني هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب وقال البلخي هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الارادة لان الارادة لا تتعلق الا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالارادة والتمني قد يتعلق بما مضى واهل اللغة ذكروا التمني في اقسام الكلام **النزول** قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله ص فقالت يا رسول الله اليس الله رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فليتنا فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية المواريث قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدي **المعنى** لما بين سبحانه حكم الميراث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي لا يقل احدكم ليت ما اعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فان ذلك يكون حسدا ولكن يجوز ان يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل ان يتمنى ان لو كان امرأة ولا للمرأة ان تتمنى ان لو كانت رجلا لان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح فيكون قد تمنى ما ليس بالاصلح او ما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة كما يقوله في حسن السؤال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل فيه وجوه احدها ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع كل منهم ويرضى بما قسم الله له وثالثها ان لكل منهما نصيبا من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس فالاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة والاحراز واسئلوا الله من فضله معناه ان احتجتم الى ما لغيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ما له فاسئلوا الله ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسألة لا تحسن الا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج قال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسألة الا ليعطي ان الله كان بكل شيء عليما معناه ان الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما تظهرونه وما تضمرونه من الحسد فيقسم الارزاق بين العباد على ما يعلم

تفصيل الكبائر

فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فانه لا يحصل الا الغم والاثم **قوله تعالى** ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة عقدت بغير الف والباقون عاقدت بالالف **الحجة** قال ابو علي الذكر الذي يعود من الصلة الى الموصول ينبغي ان يكون ضميرا منصوبا فالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المعاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى والذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعاقدت اشبه بهذا المعنى لان لكل نفر من المعاقدين يمينا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على المعنى اذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قالوا عقدت جعلوا حملوا الكلام على لفظ الايمان لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ وانما اسند الى الايمان **اللغة** اصل المولى من ولي الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق والمعتق وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والاولى بالشيء والاحق وهو الاصل في الجميع فسمي المعتق مولى لانه اولى بميراث المعتق والمعتق اولى بنصرة المعتق من غيره وابن العم اولى بنصرة ابن عمه لقرابته والورثة اولى بميراث الميت من غيرهم والحليف اولى بامر حليفه للمحالفة التي جرت بينهما والولي اولى بنصرة من يواليه والسيد اولى بتدبير من يسوسه من غيره ومنه الخبر ايما امرأة نكحت بغير اذن مولاها اي من هو اولى بالعقد عليها وقال ابو عبيدة في قوله النار مولاكم معناه هي اولى بكم وانشد بيت لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والاصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون صفقة البيع والبيعة بايمانهم فيأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ثم سمي القوة عليه قسما يمينا وقال اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة **الاعراب** قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور وقع موقع صفة لقوله موالي اي موالي كائنين مما ترك اي خلف الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون والذين فيكون في موضع رفع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان متعلقا بفعل محذوف وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان ويكون والذين عقدت ايمانكم مبتدأ وقوله فآتوهم نصيبهم خبره **المعنى** ثم عاد الى ذكر المواريث فقال ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي ورثة هم اولى بميراثه عن السدي وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن والاول اصح لقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني فجعله مولى للميراث وقيل انما كان اولى به من غيره لماله كما يقال لمالك العبد مولاه مما ترك الوالدان اي يرثون او يعطون مما ترك الوالدان والاقربون الموروثون والذين عقدت ايمانكم اي ويرثون مما ترك الذين عقدت ايمانكم لانهم ورثتهم واولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت ايمانكم عطفا على قوله الوالدان والاقربون فآتوهم نصيبهم اي فآتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤمر له بشيء اصلا وقال اكثر المفسرين ان قوله والذين عقدت ايمانكم مقطوع من الاول وكأنه قال والذين عقدت ايمانكم ايضا فآتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال احدها ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فعاقد ابو بكر مولى فورثه فذلك قوله فآتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال مجاهد معناه فآتوهم نصيبهم من النصر والعقل والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ويؤيده قوله اوفوا بالعقود وقول النبي ص في خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله ص قال شهدت حلف المطيبين وانا غلام مع عمومتي فما احب ان لي حمر النعم واني انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة كانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض عن ابن عباس وابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله فامروا في الاسلام ان يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فآتوهم نصيبهم عن سعيد بن المسيب ان الله كان على كل شيء شهيدا اي لم يزل عالما بجميع الاشياء مطلعا عليها جليها وخفيها **قوله تعالى** الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا آية **القراءة** قرأ ابو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون بالرفع وقرئ في الشواذ فالصوالح قوانت قراءة طلحة بن مصرف **الحجة** قوله بما حفظ الله يكون على حذف المضاف كانه قال بحفظ عهد الله او دين الله كقوله ان تنصروا الله اي ان تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير في الكلام والوجه في قراءة من قرأ فالصوالح قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعتان للقلة فهما على حد التثنية من الواحد فيكون من الثلاثة الى العشرة والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الالف والتاء قد جاءا ايضا على معنى الكثرة كقوله ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرات والغرض في جميع الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة الى العشرة وقال ابن جني كان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار الى قوله لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك وهذا خبر مجهول لا اصل له لان الله تعالى يقول وهم في الغرفات آمنون ولا يجوز ان يكون الغرف التي في الجنة من الثلاثة الى العشرة **اللغة** يقال رجل قيم وقيام وقوام وهذا البناء للمبالغة والتكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام واصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه مأخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اي ارتفاع يقال نشزت المرأة تنشز وتنشز والهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه العمل وهجر الرجل البعير ربطه بالهجار واصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع اضطجاعا اذا استلقى للنوم واضجعته انا وكل شيء املته فقد اضجعته والبغية الطلب

يقال بغيت الشيء اذا طلبته وقال الشاعر يصف الموت بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته امس موعدا **الإعراب** الباء في قوله بما فضل الله وبما انفقوا يتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية فيكون تقديره بان يحفظهن الله ومن قرأ بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله اي يحفظ امر الله **النزول** قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي ص فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي ص لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي ص ارجعوا هذا جبرئيل اتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي ص اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي نزلت في سعد بن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه **المعنى** لما بين تعالى فضل الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم في القيام بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن اي انما ولاهم الله امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم وبما انفقوا من اموالهم عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان لعلة تقويمهم عليهن وتوليتهم امرهن فالصالحات قانتات اي مطيعات لله ولازواجهن عن قتادة والثوري ويدل عليه قوله ... على طاعته فطالما حافظات للغيب يعني لانفسهن وفروجهن في حال غيبة ازواجهن عن قتادة وعطاء والثوري وقيل حافظات لاموال ازواجهن في حال غيبتهم ولعيالهم وحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافي بينهما بما حفظ الله اي بما حفظهن الله في مهورهن والزام ازواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن وعصمهن لم يحفظن ازواجهن بالغيب واللاتي تخافون نشوزهن يعني عصيانهن لازواجهن واستعلاءهن عليهم بالخلاف واصله الارتفاع وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى العلم لان خوف الشيء علم بوقوعه فعظوهن واهجروهن في المضاجع معناه فعظوهن اولا بالقول والنصيحة فان لم ينجع الوعظ ولم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع الا انه ذكر المضجع لاختصاص الجماع به وقيل معناه اهجروهن في الفراش والمبيت وذلك مما يظهر به حبها للزوج وبغضها له فان كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضجع وان كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطاء والى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر عليه السلام قال يحول ظهره اليها وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله اولا وذلك ان تقول اتقي الله وارجعي الى طاعتي فان رجعت والا اغلظ لها القول فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح ان لا يقطع لحما ولا يكسر عظما وروي عن ابي جعفر انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اي رجعن الى طاعتكم في الايتمار لامركم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل وقيل سبيلا للضرب والهجران بما ابيح لكم فعله عند النشوز عن ابي علي الجبائي وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينة فيكون المعنى اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعللوا عليهن بما في باطنهن ان الله كان عليا كبيرا اي متعاليا عن ان يكلف الا الحق ومقدار الطاقة والعلو والكبر يأتي من صفات الله وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن وقوته على الانتصار ممن ضرهن عنده وقيل المراد به انه مع علوه وكبريائه لم يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن الا ما يطقن **قوله تعالى** وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا **اللغة** الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجانب فالمشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة اي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الامور فالتوفيق هو اللطف يتفق عنده فعل الطاعات لمساواته في الوقت والتوفيق بين النفسين هو الصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق في الوقوع كرمية من غير رام **الإعراب** اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا باضافة شقاق اليه كما قال هذا فراق بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الاصل وان خفتم شقاقا بينهما **المعنى** لما قدم الله الحكم عند مخالفة احد الزوجين صاحبه عقيبه بذكر الحكم عند التباس الامر في المخالفة فقال ان خفتم خشيتم وقيل علمتم والاول اصح لانه لو علم الشقاق يقينا لما احتيج الى الحكمين شقاق بينهما اي مخالفة وعداوة بين الزوجين فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اي وجهوا حكما من قوم الزوج وحكما من قوم المرأة لينظرا في ما بينهما والحكم القيم بما يسند اليه واختلف في المخاطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو السلطان الذي يترافع الزوجان اليه عن سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر في الاخبار عن الصادقين وقيل انه الزوجان واهل الزوجين عن السدي واختلفوا في ان الحكمين هل لهما ان يفرقا بالطلاق ان رأيا ام لا فالذي رواه اصحابنا عنهم انه ليس لهما ذلك الا بعد ان يستأمراهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك عن سعيد بن جبير والشعبي والسدي وابرهيم وروي ذلك عن علي ع ومن ذهب الى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين يوفق الله بينهما حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما عائد الى الحكمين عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا بين الزوجين يوفق الله بين الزوجين اي يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الاصلاح والافساد خبيرا بما فيه من مصالحكم ومنافعكم **قوله تعالى** واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا **اللغة** الجار الجنب الصلة من العدل يقال جاوره يجاوره مجاورة وجوارا فهو مجاور له وجار له بمعنى انه ناحية في مسكنه من قولهم جلس الى جنبه وجانبه والجنب البعيد يقال رجل جنب اذا كان بعيدا عن اهله ... والجار ذي القربى والجار الجنب الغريب قال ابو علي الجنب صفة على فعل مثل ناقة اجد ومشية سجح فالجنب المتباعد عن اهله يدل على ذلك مقابلته بقوله والجار

القربى والقريب من القرب كالبعيد من البعد واصل المختال من التخيل وهو التصور لانه يتخيل بحاله مرح البطر والمختال الصلف التياه ومنه الخيلاء لانها مختال في مشيتها اي تتبختر والخول الحشم والفخور الذي يعدد مناقبه كبرا وتطاولا واما الذي يعددها اعترافا بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور **الإعراب** احسانا انتصب على المصدر كما تقول ضربا بزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احسانا او يكون نصبا على تقدير واستوصوا بالوالدين احسانا فيكون مفعولا به لان المعنى لما امر بجميع مكارم الاخلاق في امر الايتام والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معالي الامور ومحاسن الافعال فبدء بالامر بعبادته فقال واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اي وحدوه وعظموه ولا تشركوا في عبادته غيره فان العبادة لا تجوز لغيره لانها لا تستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه تعالى وبالوالدين احسانا اي فاستوصوا بهما برا وانعاما واحسانا واكراما وقيل ان فيه اضمار فعل اي واوصاكم الله بالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين معناه احسنوا بالوالدين احسانا خاصة وبالقرابات عامة يقال الكسب واحسنوا الى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها والجار ذي القربى والجار وجوه الاحسان واحسنوا الى المساكين فلا تعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وغيرهما مما لا بد منه والجار ذي القربى يعني القريب في النسب والجار الجنب الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذي القربى منك بالاسلام والجار الجنب المشرك البعيد في الدين وروي عن النبي ص انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق الجوار المشرك من اهل الكتاب وقال الزجاج والجار ذي القربى الذي يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد ويكون ان حد الجوار الى اربعين دارا ويروى الى اربعين ذراعا ولا يجوز ان يكون المراد به القربى القريب في القرابة لانه قد سبق ذكر القرابة والامر بالاحسان اليهم بقوله وبذي القربى ويمكن ان يجاب عنه بان يقال هذا جائز وان كان قد سبق ذكر القرابة لان الجار اذا كان قريبا فله حق القرابة والجوار والقريب الذي ليس له حق القرابة حسب فحسن ان الجار القريب بالذكر والصاحب بالجنب معناه ثلثة اقوال احدها انه الرفيق في السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة عن ابن عباس ايضا ان المنقطع اليك يرجو نفعك وثانيها انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي وثالثها انه المنقطع اليك يرجو نفعك اليه بالمواساة وحسن العشرة وثالثها انه الخادم الذي يخدمك والاولى حمله على الجميع وابن السبيل معناه صاحب الطريق وفيه قولان احدهما انه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال الضيافة ثلثة ايام وما فوقها فهو معروف وكل معروف صدقة وروي جابر عن النبي ص كل معروف صدقة ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك وما ملكت ايمانكم يعني المماليك من العبيد والاماء وذكر اليمين تأكيدا كما يقال رجلك وبطشت يداك في موضع ما من قوله وما ملكت ايمانكم جر بالعطف على ما تقدم اي واحسنوا الى عبيدكم واماءكم بالنفقة والكسوة ولا تحملوهم من الاعمال ما لا يطيقونه امر الله عباده بالاحسان الى هؤلاء اجمع ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ان الله لا يحب المتكبر ... في مشيته فخورا على الناس بكثرة المال بكبرا عن ابن عباس وانما ذكرهما لانهما يأنفان من اقاربهم وجيرانهم اذا كانوا فقراء لا يحسنان عشرتهم وهذه آية جامعة تضمنت اركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر اغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته الى جم غفير من علوم العلماء **قوله تعالى** الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم **الحجة** قال سيبويه هما لغتان **اللغة** البخل اصله مشقة الاعطاء وقيل هو منع الواجب لانه اسم ذم لا يطلق الا على مرتكب الكبيرة وقيل هو منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضد البخل الجود والاول اليق بالاية لانه نفي محبته عمن كان بهذه الصفة وقال علي بن عيسى معناه منع الاحسان لمشقة الطباع ونقيضه الجود ومعناه بذل الاحسان لاشتهاء الطباع **الإعراب** الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا فاما النصب فعلى ان يكون بدلا من من في قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستيناف بالذم على الابتداء ويكون الآية الثانية عطفا عليها ويكون الخبر ان الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير في فخور **المعنى** الذين يبخلون اي يمنعون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائي وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة النبي ص عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد ويأمرون الناس بالبخل وقيل يأمرون غيرهم بذلك وقيل يأمرون الانصار بترك الانفاق على رسول الله وعلى اصحابه عن ابن عباس وقيل يأمرون بكتمان الحق ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي يجحدون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذارا لهم في البخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم بصفة النبي ص ومبعثه والاولى ان تكون الآية عامة في كل من يبخل باداء ما يجب عليه اداؤه ويأمرون الناس به وعامة في كل من كتم فضل الله من العلم وغيره من انواع النعم اظهارها لمجرم كما نهاه عنه وقد روي في الحديث ان الله اذا انعم على عبد نعمة احب ان يرى اثرها عليه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا معناه اعددنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذابا يهانون فيه ويذلون والمهين الاهانة اي العذاب الذي كان يحصل به **قوله تعالى** والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما **اللغة** القرين من الاقتران ومنه القرن لاقتران ... هل العصر لاقترانهم والقرن المقاوم في الحرب والقرين الصاحب المألوف وقال عدي بن زيد عن المرء لا تسل وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي **الإعراب** والذين يحتمل ان يكون ما قلناه في الآية المتقدمة ويحتمل ان يكون عطفا على الكافرين فكانه قال واعتدنا للكافرين وللذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ورئاء مصدر وضع موضع الحال فكانه قال ينفقون مرائين للناس وقرينا نصب على التمييز وموضع ماذا عليهم يحتمل وجهين احدهما ان يكون رفعا لانه في موضع الذي تقديره وما الذي عليهم لو آمنوا والثاني ان يكون لا موضع له لانه مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره اي شيء عليهم لو آمنوا والمعنى تعطف

على ما تقدم بذكر المنافقين فقال الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي مراءاة الناس ولا يؤمنون اي لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر الذي فيه الثواب والعقاب
جمع الله سبحانه في الذم اليهود بين من بخل بالمال ومن انفق ماله بالرياء والسمعة ومن لم ينفق اصلا ومن يكن الشيطان له قرينا اي صاحبا وخليلا في الدنيا يتبع امره ويوافقه
على الكفر وقيل يعني في القيمة وفي النار فساء قرينا اي بئس القرين الشيطان لانه يدعوه الى المعصية المؤدية الى النار وقيل بئس القرين الشيطان حيث يلاعنه
ويتبرأ منه في النار وماذا عليهم اي اي شيء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله قطع الله بهذا عذر الكفار في العدول عن الايمان
وابطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الايمان لانه لا يحسن ان يقال للعاجز عن الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلا
ولا للاعمى ماذا عليك لو كنت بصيرا وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا الى انفاقهم الايمان بالله لينفعهم الانفاق وكان الله بهم عليما يجازيهم بما يسرون ان خيرا
فخير وان شرا فشر فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء وفي الآية دلالة ايضا على ان الحرام لا يكون رزقا من حيث انه تعالى حثهم على الانفاق مما رزقهم واجمعت
الامة على ان الانفاق من الحرام محظور قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما آية القراءة قرأ ابن
كثير ونافع وان تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد والباقون يضاعفها بالالف الحجة من نصب حسنة
فمعناه وان تك زنة الذرة حسنة وان تك فعلته حسنة ومن رفعها فمعناه وان تقع حسنة او ان تحدث حسنة فيكون كان تامة لا تحتاج الى خبر ويضاعف ويضعف
بمعنى واحد قال سيبويه يجيء فاعلت ولا يراد به عمل الاثنين وذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ومثل ذلك ضاعفت وضعفت ونعمت وناعمت وهذا
يدل على انهما لغتان اللغة الظلم هو الالم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا آجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة
واصله نقص الشيء عن موضعه وقيل اصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بدخول الليل وسقاء مظلوم اذا
شرب منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه يضع الشيء غير موضعه من حيث يحضن غير بيضه واصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشيء في الثقل
ما ثقل من ذلك التقدير الاعراب اصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون النون فاما سقوط النون فلكثرة الاستعمال وكانهم ارادوا ان
يجزموا الكلمة مرة اخرى فلم يجدوا حركة يسقطونها فاسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات قال تعالى ان يكن غنيا او فقيرا ومثل ذلك قولهم لا ادر ولم
ابل والاصل لا ادري ولم ابال ولدن في موضع جر وفيه لغات لدن ولد ولدى والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك وعند تكون لما يليك ولما بعد منك
تقول عندي مال وان كان ببلدك وبحضرة وبعد واذا اضفته الى نفسك قلت لدني فتزيد النون الاخيرة لكي تسكن النون تقول لدني وكذلك عني ومني المعنى ان الله لا
يظلم احدا قط مثقال ذرة اي وزن ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهي صغار النمل وقيل هي جزء من اجزاء الهباء في الكوة من
اثر الشمس وانما لا يفعل الله الظلم ولا يجوز عليه الظلم لانه عالم بقبحه ومستغن عنه وعالم بغناه عنه وانما يفعل القبيح من يفعله لجهله بقبحه او لحاجته اليه
لدفع ضرر او لجر نفع او لجهله باستغنائه عنه والله تعالى منزه عن جميع ذلك لان ذلك من صفات النقص والعجز ولم يذكر تعالى الذرة لينقص الحكم عليها بل انما خصها
بالذكر لانها اقل شيء مما يدخل في وهم البشر وان تك حسنة يضاعفها معناه وان تك زنة الذرة حسنة يقبلها ويجعلها اضعافا كثيرة وقيل يجعلها ضعفين
عن ابي عبيدة وقيل معناه يديمها لا يقطعها مثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكلتا الآيتين غاية في الحث على الطاعة والنهي عن المعصية وقوله عظيما اي جزاء
ويؤت من لدنه اجرا عظيما هو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على ان منع الثواب او التنقيص منه ظلم لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترتيب في الآية معنى
وفيها ايضا دلالة على انه تعالى قادر على الظلم لانه نزه نفسه عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادرا عليه لم يكن فيه مدحة قوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا آية
القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرأ يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرأ الباقون تسوى بضم التاء و
تخفيف السين الحجة قال ابو علي قراءة نافع وابن عامر لو تسوى معناه لو تتسوى فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف
التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام واما تسوى فهي تفعل من التسوية الاعراب كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ وتقديره كيف
حال هؤلاء يوم القيمة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف المبتدأ المحذوف فهو في موضع الرفع بانه خبر المبتدأ ولا يجوز ان يكون العامل في كيف
جئنا لانه في موضع جر باضافة اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول لانه من تمام الاسم من كل امة في موضع نصب
على الحال لانه صفة شهيد فلما تقدم عليه نصب على الحال والعامل في اذا جوابه المحذوف لدلالة ما تقدم عليه شهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ
يود بعد اذ ولم يجز ذلك في جئنا لانه لما اضيف يوم الى اذ بطلت اضافته الى الجملة ونون اذ ليدل على تمام الاسم المعنى لما ذكر اليوم الآخر وصف حال وانما عمل في يومئذ يود
المنكرين له فقال فكيف اي فكيف حال الامم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا بك يا محمد على هؤلاء يعني قومك شهيدا وهذا
كما تقول العرب للرجل في الامر الهائل يتوقعه كيف بك اذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الامر وتهويله وتحذيره وتحذير الرجل عنه شره والانذار وحثه على الاستعداد
له ومعنى الآية ان الله يستشهد يوم القيمة كل نبي على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا على امته وفي الآية ما فيه الحث على الطاعة واجتناب
المعصية والزجر عن كل ما يستحي منه على رؤس الاشهاد لانه يشهد للانسان وعليه يوم القيمة شهود عدول لا يوقف في الحكم بشهادتهم ولا
يتوقع القدح فيهم وهم الانبياء والمعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والمكان والزمان كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ويوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم

وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الاخبار المكان والزمان يشهدان على الرجل باعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة وليستعد لهذه الحالة فكأن قد وقعت
وكأن الشهادة قد قامت وروي ان عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه الحالة فماذا
ينبغي ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض معناه لو يجعلون والارض سواء كما قال تعالى يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
ومن التسوية قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعلها صفحة واحدة لا يفصل بعضها على بعض فيكون كالكف فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان
وروي عن ابن عباس ان معناه يودون ان يمشي عليهم اهل الجمع يطؤنهم باقدامهم كما يطؤن الارض وعلى القول الاول فالمراد به ان الكفار يوم القيمة يودون انهم لم يبعثوا
وانهم كانوا والارض سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي ايضا ان البهائم يوم القيمة يصيرن ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك
ترابا وهذا لا يجوز الا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم لم يصح هذا الخبر وقوله ولا يكتمون الله حديثا قيل فيه اقوال احدها انه
عطف على قوله لو تسوى اي ويودون ان لو لم يكتموا الله حديثا لانهم اذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا
ترابا ويا ليتنا لم نكتم الله شيئا ولم يرد بذلك تحقيق الكتمان فانه لا يكتم شيء عن الله لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها انه كلام مستأنف والمراد به
انهم لا يكتمون الله شيئا من امور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما يقولون والله ربنا
ما كنا مشركين في بعض الاحوال فان للقيمة مواطن واحوالا ففي موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر تعالى وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظنا منهم ان
ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن وثالثها ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله لان جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه
جوارحهم وان كتموه ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد وبعثه عن عطا وخامسها ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون
الله شيئا لانهم ملجئون الى ترك القبائح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث
تقربهم الى الله عن ابي القاسم البلخي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى
تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
ان الله كان عفوا غفورا آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم لمستم بغير الف ههنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم بالالف الحجة حجة من قرأ لمستم
ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلت في غير موضع قال تعالى لم يطمثهن انس ولم يمسسني بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص
وطارقت النعل اللغة يقال قرب يقرب متعد ولازم وقرب الماء يقربه اذا ورده واصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم لموضع السكر فالسكر
ينسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمرأة سكرى ايضا ويقال رجل جنب من الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد
والجمع يقال رجل جنب وقوم جنب وامرأة جنب العابر من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا اذا قطعته من هذا الجانب الى الجانب الآخر والغائط اصله
المطمئن من الارض يقال غائط وغيطان وكانوا يبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن الحدث في الغائط
وقيل انهم كانوا يلقون النجو في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاز والغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال المؤرج الغائط قرارة من الارض
تحفها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فاوقع على غيره وقالوا المس وهو اشغل من اللمس فاوقع على ما لا يقع
عليه اللمس قال الحجر المجن والفلفل يا سية فانهم يلمس ارادانهم تطلب ملتمس ومعرفة طلاب ليس ههنا مماسة ولا مباشرة والتيمم القصد مثل التأمم قال الاعشى
تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذي شزن وقال آخر تيممت دارا وتيممت دارا وقد صار في الشرع اسما للقصد مخصوص وهو ان يقصد الصعيد
يستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر قال ذو الرمة كانه بالضحى ترمي الصعيد به دبابة في عظام الرأس خرطوم وقال الزجاج
الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وانما سمي صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض الاعراب وانتم سكارى جملة
منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما انتصب لكونه معطوفا المراد به الجمع عابري سبيل منصوب على الاستثناء
وتغتسلوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ثم انه مع ان المضمر في موضع الجر بحتى والجار والمجرور في موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك
قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر في موضع نصب عطفا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين المعنى لما امر الله سبحانه في الآية بالعبادة ذكر عقيبها ما هو
اكبر العبادات وهو الصلوة فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اي لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا
تقربوا اماكن الصلوة اي المساجد للصلوة وغيرها كقوله وصلوات اي ومواضع الصلوة عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيده قوله
الا عابري سبيل فان العبور انما يكون في الموضع دون الصلوة وقوله وانتم سكارى اي نشاوى واختلف فيه على قولين احدهما ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروي ذلك عن موسى بن جعفر وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين
احدهما انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي والآخر ان النهي انما ورد عن التعرض للسكر مع حال ادا وجوب الصلوة
عليهم واجاب ابو علي بجواب ثالث وهو ان النهي انما دل على ان اعادة الصلوة واجبة عليهم ان ادوها في حال السكر وقد سئل ايضا فقيل اذا كان السكران
مكلفا فكيف اذا كان يجوز ان ينهى عن الصلوة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك ايضا بجوابين احدهما انه منسوخ والآخر انهم لم يؤمروا بتركها
لكنهم امروا بان يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلوة معه صلى الله عليه وآله في جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثاني ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك

معنى ذلك عن ابي جعفر ع ويعضد ذلك ما روته عائشة عن النبي ص انه قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعو على نفسه وهو لا يدري حتى تعلموا ما تقولون اي حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا فيه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم وان كان لا يرتفع حكم الجنابة فان التيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرفع الحدث عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والاخر ان معناه ولا تقربوا مواضع الصلوة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطا والزهري وابرهيم وهو المروي عن ابي جعفر ع وعابري سبيل اي مارين في طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الاخير اقوى لانه بين حكم الجنب في اخر الاية اذا عدم الماء فاذا حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد في اول الاية ويبين حكمه في الصلوة عند عدم الماء في اخر الاية وان كنتم مرضى قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضا لم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح او الكسر او القروح اذا خاف صاحبها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الصادق والباقر ع جواز التيمم في جميع ذلك او على سفر معناه ان كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغائط وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او هيهنا بمعنى الواو كقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون بمعنى وجاء احد منكم من الغائط وذلك لان المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فانهما سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لايجاب الطهارة او لامستم النساء المراد به الجماع عن علي وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطا واختاره الشافعي والصحيح الاول لان الله سبحانه بين حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر في الاية ويبين فيه حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله او لامستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملامسة معناهما الجماع لانه لا يلمسها الا وهي تحت ستر وروي ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال غلب الموالي المراد به الجماع وسمى الجماع لمسا لانه به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع الى المرضى والمسافرين جميعا اي مسافرا لا يجد الماء ومريضا لا يجد من يوضئه او يخاف الضرر من استعمال الماء لان الاصل في حال المريض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء فتيمموا اي تعمدوا وتحروا واقصدوا صعيدا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب ام لم يكن طيبا اي طاهرا وقيل حلالا عن سفيان وقيل منبتا دون السبخة التي لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف في كيفية التيمم على اقوال احدها انه ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابي حنيفة والشافعي وغيرهما وقال قوم من اصحابنا وثانيها انه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم اذا كان بدلا من الجنابة فاذا كان بدلا من الوضوء فكفا ضربة واحدة يمسح بها جبهته من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من الزند الى اطراف الاصابع وهو الصحيح عن سعيد بن المسيب وثالثها انه الى الاباطين عن الزهري ان الله كان عفوا غفورا قيل عفوا بقبول العفو لان في قوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الامر علينا وقيل عفوا كثير الصفح والتجاوز غفورا كثير الستر للذنوب على عباده وفي الاية دلالة على ان السكران لا تصح صلوته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شيء من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير ذلك ولا رفعها كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابي حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعي لا يقع في احد القولين فاما ما يلزمه من الحدود والقصاص فعندنا يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف لعموم الايات المتناولة لذلك ولاجماع الطائفة عليه قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (القراءة) في الكوفي عدد ان تضلوا السبيل اية وانه وحده في غيره (اللغة) العداوة الابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهي التقريب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والاهانة وضدها المحبة وهي ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشيء دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لان منع المعونة لا يجوز الا عقوبة (الاعراب) في دخول الباء في قوله بالله قولان احدهما انه للتاكيد لاتصال الفعل والثاني انه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بالاتفاق (النزول) نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله لويا لسانهما وعاباه عن ابن عباس (المعنى) لما ذكر تعالى الاحكام التي يجب العمل بها اتصلها بالتحذير مما يخالفها فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي الم ينته علمك الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعني التورية وهم اليهود عن ابن عباس يشترون الضلالة اي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبي بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود تعطي احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصنعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن ابي علي الجبائي وقيل كانوا ياخذون الرشا عن الزجاج ويريدون ان تضلوا السبيل اي يريد هؤلاء اليهود ان تضلوا ايها المؤمنون عن طريق الحق وهذا الدين الاسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضلالا وفي ذلك تحذير للمؤمنين ان يستنصحوهم في شيء من امورهم الدينية والدنيوية ثم اخبر تعالى بانه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم ايها المؤمنون فانتهوا الى طاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فاني اعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة لكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصره اياكم يغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته

قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا اية (اللغة) اصل الليّ الفتل يقال لويت العود وغيره ليا ولويت الغريم اذا مطلته والوية تجمع المرضعة السلوى بقلبها اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى على الامر اذا اضعف ولم يستحكم بنيته والالسن جمع لسان وهو آلة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وتقول لسنته السنه اذا اخذته بلسانك قال طرفة اذا انني لسنتها فانني لست بموهون فقر واصل الطعن بالرمح ونحوه والطعن باللسان (الاعراب) قيل في من هيهنا واتصاله وجهان احدهما انه تبيين للذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيكون العامل فيه اوتوا وهو صلة الذين فيجوز انه لا يكون في الصفة كما تقول انظر الى النفر من قومك ما صنعوا الثاني ان يكون على الاستيناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فالغي الموصول لان الصفة عليه كما قال ذو الرمة فظلوا ومنهم دمعه سابق له واخر يثني دمعة العين بالهمل وانشد سيبويه وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح وقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذلك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر من في ابتداء الكلام بمن لان من تبعض لما هي منه كما قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول قالا لان من يحتاج الى صلة وصفة تقوم مقام الصلة فلا يجوز حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يجوز حذف بعض الكلمة وغير مسمع نصب على الحال وراعنا من نونها جعلها كلمة الامر كقولك رويدا وهيئا ومن لم ينونها جعلها من المراعاة كما تقول ناضيا ليا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا في الدين تقديره يلوون السنتهم ليا ويطعنون في الدين طعنا الا قليلا تقديره يؤمنون قليلا فيكون قليلا منصوبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف وتقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا يريد الا ذكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين (المعنى) ثم لما تقدم ذكرهم قال من الذين هادوا والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله يحرفون الكلم في موضع الحال وان جعلته كلاما منقطعا فالمعنى من اليهود فريق يحرفون الكلم عن مواضعه اي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها قال مجاهد يعني بالكلم التورية وذلك انهم كتموا ما في التورية من صفة النبي ص ويقولون سمعنا وعصينا معناه يقولون بحكامه بالسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي ويقولون هؤلاء اليهود للنبي اسمع منا غير مسمع اي ويقولون هؤلاء اليهود للنبي اسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تاويله اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من الله عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي لانهم كانوا يسبونه ويؤذونه بقبيح القول وراعنا قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي ص تواضعوا عليه وقيل كانوا يقولونه على وجه التجبر كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا انما يكون هو من المراعاة التي هي المراقبة ليا بالسنتهم اي تحريكا منهم السنتهم بتحريفه منهم الى المكروه وطعنا في الدين اي وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك قبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا اي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم يعني يقع لهم عاجلا واجلا واقوم اي اعدل واصوب في الكلام من الطعن والكفر ولكن لعنهم الله بكفرهم اي طردهم [illegible] عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم اخبر الله تعالى فقال فلا يؤمنون في المستقبل الا قليلا لانهم [illegible] فلم يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل وقيل معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي لا اخلاص فيه ولكنهم عصاة الله وذمتهم واموالهم ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون الا بقليل مما يجب الايمان به قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا اية (اللغة) الطمس عفو الاثر والطامس الداثر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر وهو مقابل القبل يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذ ادبر معناه تبع النهار والتدبير ادبار الحكام الامور وعواقبها (المعنى) ثم خاطب الله تعالى اهل الكتاب بالتحذير والتحذير فقال يا ايها الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا علم الكتاب آمنوا اي صدقوا بما نزلنا على محمد من القرآن وغيره من احكام الدين مصدقا لما معكم من التورية والانجيل اللذين تضمنتا فيهما صفته ونبأه وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها اختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نمحو آثار وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل عيونها في اقفيتها فتمشي القهقرى عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان معناه ان نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها ذما لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر ع وثالثها ان معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القردة عن الفراء وابي القسم البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم اي نواحيهم التي هم بها وهو الحجاز الذي هو مسكنهم ونردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاؤا وهو الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد فهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فان قيل على القول الاول كيف اوعد الله ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية واسد بن سعية واسعد بن عبيدة ومخيريق وغيرهم واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب عن الباقين ويفعل بهم في الاخرة على انه قال او نلعنهم والمعنى انه يفعل بهم احدهما وقد لعنهم فقد فعل ذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الاخرة لانه لم يذكر انه يفعل ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخي والجبائي وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بد ان يطمس وجوه اليهود قبل قيام الساعة بان يمسخها عن المبرد او نلعنهم اي نخزيهم ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن وانما قال نلعنهم بلفظ الغيبة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عائد الى اصحاب الوجوه لانهم في حكم المذكورين وكان امر الله مفعولا فيه قولان احدهما ان كل امر

امر الله من وعد او وعيد او خبر فانه يكون على ما اخبر به عن الجبائي والاخر معناه ان الذي يأمر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله من قبل ان نطمس وجوها دلالة
على ان لفظة قبل تستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك الغير ولا خلاف في ان استعماله صحيح ولذلك يقال كان الله تعالى قبل خلقه **قوله تعالى** ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما آية **اللغة** افترى اختلق وكذب واصله من فري الاديم
يقال فريت الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته اذا قطعته على وجه الافساد **الاعراب** اثما عظيما منصوب على المصدر لان افترى بمعنى اثم وهذا
كما تقول حمدته شكرا **النزول** قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم
مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انا قد ندمنا على الذي صنعنا وليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآيتان وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك
فنزلت الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتان فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وآله الى وحشي واصحابه فلما قرأهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل
عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية فنزلت ان الله لا يغفر الآية فبعث بها اليهم فقرأوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزلت يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فلما قرأوها دخل هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وآله فقبل منهم ثم قال
لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب شخصك عني فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات وروى ابو مجلز عن ابن عمر قال نزلت
في المؤمنين وذلك انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية قام النبي صلى الله عليه وآله على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه
مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية اثبتت هذه في الزمر وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بانه من اهل النار حتى نزلت الآية فامسكنا عن الشهادات **المعنى** ثم انه تعالى آيس الكفار من رحمته فقال ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه ان الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك لاحد ويغفر ما دون الشرك من الذنوب
لمن يريد قال المحققون هذه الآية ارجى آية في القرآن لان فيه ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران وقف الله المؤمنين الموحدين بهذه
الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن ولذلك قال الصادق عليه السلام لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ويؤيده قوله و
من يقنط من رحمة ربه الا الضالون ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وروي عن ابن عباس انه قال ثمان آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الامة
مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله يريد الله ليبين لكم ويريد ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ان الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على ان الله يغفر الذنوب
من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان يغفر من غير توبة لان الامة اجمعت على ان الله يغفره بالتوبة وان كان الغفران مع
التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه يغفر ما دون الشرك من
الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لان موضوع الكلام الذي فيه جملة النفي والاثبات وينضم اليه الاعلى والادون ان يخالف الثاني
الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان
لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة ان في حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون الشرك في المشيئة اغراء على المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران
فاما اذا كان الغفران معلقا بالمشيئة فلا اغراء فيه بل يكون العبد واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران
ذنوب البعض دون البعض ميلا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله وجوابه ان الله متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على قوم دون قوم وانسان دون انسان
وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل والشرع عن الفضل والعدل ومنهم من قال ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فانما
نخصها ونحملها على الصغائر او ما يقع منه التوبة لاجل عموم ظاهر آيات الوعيد وجوابنا انا نعكس عليكم ذلك فنقول بل قد خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم هذه الآية وهذا
اولى لما روي عن بعض السلف انه قال ان هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد ايضا فان الصغائر تقع عندكم محبطة ولا تجوز المؤاخذة
بها وما هذا حكمه فكيف يعلق بالمشيئة فان احدا لا يقول اني افعل الواجب ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي فقد كذب بقوله ان العبادة تستحقها غير
الله واثم اثما عظيما غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ما في القرآن آية ارجى عندي من هذه الآية **قوله تعالى** الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل
الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا آيتان **اللغة** التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالطهر
تزكية واصله من الزكاء وهو النمو يقال زكى الزرع يزكو زكاء وزكى الشيء اذا نمى في الصلاح واصل الفتيل ما يفتل وهو في الشيء والفتيلة معروفة وانما قيل لما
كان في شق النواة فتيل لانه كالخيط المفتول وهو فعيل بمعنى مفعول وهو ما في شق النواة قال النابغة يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا والنظر هو الاقبال
على الشيء بالبصر ومنه النظر بالقلب لانه اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التأميل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع والمناظرة
اقبال كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظير مثل الشيء لانه مقابل على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبصر نحو
المرئي ولذلك قال قد ينظر ولا يرى ولذلك يجوز ان يقال ان الله تعالى راء ولا يجوز ان يقال انه ناظر **الاعراب** فتيلا منصوب على انه مفعول ثان كقولك ظلمته

قال

قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقا **النزول** قيل نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي فقالوا هل على هؤلاء من
ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله عن الكلبي وقيل نزلت في اليهود
والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن الضحاك والحسن وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام
المعنى ثم ذكر تعالى تزكية هؤلاء انفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال الم تر معناه الم تعلم وقيل الم تخبر وهو سؤال على وجه الاعلام وتأويله اعلم قصتهم الم تر
علمك الى هؤلاء الذين يزكون انفسهم اي يمدحونها ويصفونها بالزكاء والطهارة بان يقولوا نحن ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود انما قال
انفسهم لانهم على دين واحد وهم كنفس واحدة بل الله يزكي من يشاء رد الله ذلك عليهم وبين ان التزكية اليه يزكي من يشاء اي يطهر من الذنب من يشاء وقيل معناه
يقبل عمله فيصير زكيا ولا يزكي اليهود بل يعذبهم ولا يظلمون فتيلا معناه لا يظلمون في تعذيبهم وترك تزكيتهم فتيلا اي مقدار فتيل وذكر الفتيل مثلا واختلف
في الفتيل فقيل هو ما يكون في شق النواة عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وقيل الفتيل ما في بطن النواة والنقير ما على ظهرها والقطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل
ما فتلته بين اصبعيك من الوسخ عن ابن عباس وابي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم انه لا يظلم قليلا ولا كثيرا انظر
يا محمد كيف يفترون على الله الكذب في تحريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج
وكفى به اي كفى هو اثما مبينا اي وزرا بينا وانما يقال كفى به في العظم على جهة المدح والذم يقال كفى المؤمن نبلا وكفى بحال الكافر اثما فكانه قال ليس يحتاج الى
حال اعظم منه ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اي ليس يقصر عن منزلة الاثم **قوله تعالى** الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا آيتان **اللغة** الجبت لا تصريف له في
اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال هو الساحر بلغة اهل الحبشة وهذا يحمل على موافقة اللغتين او على ان العرب ادخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم اللعنة
الابعاد من رحمة الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن حية
او عقربا ونحو ذلك فقد اخطأ لانه سأل الله ما لا يجوز في حكمته فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة جاز **الاعراب** سبيلا منصوب على التمييز كما تقول
هذا احسن منك وجها اولئك لفظه جمع واحده ذا في المعنى كما يقال نسوة جمع امرأة وغلب على اولاء ها التي للتنبيه وليس ذلك في اولئك لان حرف الخطاب تنبيها
للمخاطب وصار الكاف معاقبا للها التي للتنبيه اكثر الاستعمال **النزول** قيل كان ابو برزة كاهنا في الجاهلية فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل
وهو قول اكثر المفسرين ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وآله وينقضوا العهد الذي كان
بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن ان يكون
هذا مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب يا اهل مكة ليجيء منكم ثلثون
ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن
اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك
العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال
انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب **المعنى** المعني به كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين معه
بين الله افعالهم القبيحة وضمها الى ما عدده فيما تقدم فقال يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني بهما الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد لهما كعب بن الاشرف
ويقولون للذين كفروا لابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من الذين آمنوا محمد واصحابه سبيلا اي دينا عن عكرمة وجماعة من المفسرين وقيل ان المعني بالآية حيي بن
اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابي الحقيق وابو رافع في جماعة من علماء اليهود والجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام الذين كانوا يتكلمون
بالتكذيب عنها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت السحر عن مجاهد والشعبي وقيل الجبت الساحر والطاغوت الكاهن
عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كل ما عبد من دون الله من حجر او صورة او شيطان عن ابي عبيدة وقيل الجبت
هنا حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين وانما سمي سبيلا لانه كالطريق في
الاستمرار عليه ليؤدي الى المقصود اولئك اشارة الى الذين تقدم ذكرهم الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته وخزاهم وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله
اي ومن يلعنه الله فلن تجد له نصيرا اي معينا يدفع عنه عقاب الله الذي اعده له وقيل فلن تجد له نصيرا في الدنيا والآخرة لانه لا يعتد بنصرة من ينصر
مع خذلان الله اياه **قوله تعالى** ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل
ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ثلث آيات **اللغة** النقير من النقر وهو النكت
ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لانه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة تنقر وينبذ فيها لانه نقر وخص كالخص النقر وحده والحسد قال الطرماح
في الشاة لانه عود الجلد لا من ولا ادب فيها ينقر والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيلها وهو خلاف الغبطة لان الغبطة تمني مثل
تلك النعمة لاجل السرور بها لا لصاحبها ولهذا صار الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من افراط البخل لان البخل منع النعمة لمشقة
بذلها والحسد تمني زوال النعمة لمشقة نيل صاحبها والعمل فيها على المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السعر وهو ايقاد النار واستعرت النار والحرب اي التهبتا

فلسوفا

واشعرتها او الشعر شعرا او سعره لشعر فذلك لانه اسم التنور بمعناه في البيع والشعور كالتنور التنور الاعراب ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة
الاستفهام التي تسمى المتصلة وتقديره بل الهم نصيب من الملك وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لان ام لا تجيء مبتدأة وتقديره الهم نصيب من النبوة
ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في القرآن واذن لم تعمل في يؤتون لانها اذا وقعت
بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى ظننت واخواتها اذا توسطت او تأخرت لان النية بها التأخير فالتقدير فلا يؤتون
الناس نقيرا اذا واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا اذن ويجوز ان تقدر مستأنفة فتعمل مع حرف العطف لو وقع فاذا لا يؤتوا الناس جاز لكن القراءة سنة متبعة واذا
لا تعمل في الفعل النصب الا بشروط اربعة ان تكون جوابا للكلام وان تكون مبتدأة في اللفظ وان لا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها وان يكون الفعل بعدها
مستقبلا المعنى لما حكم اليهود بان المشركين اهدى من النبي صلى الله عليه وآله واصحابه بين الله ان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام
معناه الانكار اي ليس لهم ذلك قيل المراد بالملك هنا النبوة عن الجبائي اي الهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود
تدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملكهم ويدعو الى دينهم فكذبهم الله فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو اعطوا الدنيا وملكها لما
اعطوا الناس من الحقوق الا قليلا او لا كثيرا وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم من الملك لما اعطوا محمدا واصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا لا
يعطون الفقراء شيئا ام يحسدون الناس معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هنا على اقوال فقيل اراد به النبي حسدوه على ما آتاه الله من فضله من النبوة
واباحة تسع نسوة وميله اليهن وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين الله ان النبوة ليست ببدع في آل ابراهيم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعني النبوة
وقد آتينا داود وسليمان الملك كان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان مائة امرأة وقال بعضهم كان لسليمان الف امرأة سبعمائة سرية وثلاثمائة امرأة وكان
لداود مائة امرأة فلا معنى لحسدهم محمدا على هذا وهو من اولاد ابراهيم وهم كانوا اكثر تزويجا واوسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل كان قوام الدين
به صار حسدهم له حسدا لجميع الناس وثانيها ان المراد بالناس النبي عن ابي جعفر والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الامامة وفي تفسير العياشي باسناده عن ابي
الصباح الكناني قال ابو عبد الله يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله
في كتابه ام يحسدون الناس الآية قال المراد بالكتاب النبوة وبالفضل الفهم والقضاء وبالملك العظيم افتراض الطاعة وثالثها ان المراد بالناس محمد وصحابه
لانه قد تقدم ذكرهم في قوله هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ومن فضله من نعمته عن ابي علي الجبائي ورابعها ان المراد بالناس العرب اي يحسدون العرب لمكان
النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التوراة والزبور والانجيل وبالحكمة ما اوتوا من العلم وقوله وآتيناهم ملكا عظيما المراد بالملك
العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل المراد بالملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما احل لداود وسليمان من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة الدنيا
وشرع الدين فمنهم من آمن به فيه قولان احدهما ان المراد من اهل الكتاب من آمن بمحمد ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائي ووجه
اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد غير ممتنع افعالهم القبيحة فقد آمن بعضهم والآخر ان المراد فمن امة ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من اعرض عنه كما انكر في
امر محمد كذلك وليس ذلك بموهن امره كما لم يكن اعراضهم عن ابراهيم موهنا امر ابراهيم وكفى بجهنم سعيرا اي كفى هؤلاء المعرضين عنه في العذاب لنار جهنم عذابا لهم
جهنم نارا موقدة ايقادا شديدا يريد بذلك انه ان صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد اعد لهم عذاب جهنم في العقبى قوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا آيتان اللغة يقال اصليته النار اذا القيته فيها وصليته
صليا اذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلا فلان بشر فلان والتبديل التغيير يقال ابدلت الشيء بالشيء اذا ازلت عينا بعين كما قال
الشاعر عزل الامير بالامير المبدل وبدلت بالتبديل اذا غيرت هيئته والعين واحدة يقولون بدلت جبتي قميصا اي جعلتها قميصا ذكره المغربي وقد يكون
التبديل بان يوضع غيره موضعه قال الله يوم تبدل الارض غير الارض والظل اصله الستر من الشمس قال رؤبة كل موضع تكون فيه الشمس ثم تزول عنه فهو ظل
وفيء وما سوى ذلك ظل ولا يقال فيء في ظل الليل كانه كالستر من الشمس لظلة والظليل الكنين المعنى لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد
والوعيد على الايمان والكفر فقال ان الذين كفروا بآياتنا اي جحدوا حججنا وكذبوا انبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا سوف نصليهم نارا
اي نلزمهم ونحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل على انه يفعل ذلك بهم في المستقبل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قيل فيه اقوال احدها ان
الله تعالى يجدد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في انها غيرها عن قتادة وجماعة من اهل التفسير واختاره علي بن عيسى وقال على هذا ان هذا
الجلد المجدد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه ان المعذب الحي ولا اعتبار بالاطراف والجلود وقال علي بن عيسى ان ما يراد لا يولم ولا هو بعض لما
يولم وانما هو بعض الموجع وانما هو شيء يصل به الالم الى المستحق له وثانيها ان الله يجددها بان يردها الى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال [illegible]
يغير ذلك الوجه اذا كان قد تغير وجهه من الحالة الاولى كما اذا انكسر خاتم فاتخذ منه خاتم آخر يقال هذا غير الخاتم عن الجبائي وثالثها ان التبديل انما
هو للسرابيل التي ذكرها الله تعالى سرابيلهم من قطران وسميت السرابيل جلودا على سبيل المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القول
الاخير لا يلزم سؤال التعذيب بغير ذنب فاما من قال ان الانسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المعذب في الحقيقة فقد تخلص من هذا السؤال وقوله ليذوقوا
العذاب معناه ليجدوا الم العذاب وانما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حال فيحسون في كل حالة الما لكن لا كمن يستمر به الشيء فانه يصير اخف

[illegible]

عليه ان الله كان عزيزا اي لم يزل منيعا لا يدافع ولا يمانع وقيل معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما يوعد به او يتوعد حكيما في تدبيره وتقديره وفي
تعذيب من يعذبه وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة والذين آمنوا بكل ما يجب الايمان به وعملوا الصالحات
اي الطاعات الصالحة الخالصة سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها وقصورها الانهار خالدين فيها اي دائمين
فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة طهرت من الحيض والنفاس ومن جميع المعايب والادناس والاخلاق الدنية والطبائع الردية لا يفعلن ما يوحش ازواجهن
ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن وندخلهم في ذلك ظلا ظليلا اي كنينا ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقيل ظلا دائما لا تنسخه الشمس كما في الدنيا وقيل
ظلا متمكنا قويا كما يقال يوم ايوم وليل اليل وداهية دهياء يصفون الشيء بمثل لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا آية القراءة قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في نعما ووجوه
قراءاتهم وحججها في سورة البقرة اللغة يقال ادى الشيء تادية وقد يوضع الاداء موضع التادية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من كان على صفة
يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات اذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك
للمبصرات ولهذا يوصف القديم فيما لم يزل بانه سميع بصير ولا يوصف في القدم بانه سامع مبصر الاعراب قوله نعما يعظكم به تقديره نعم شيئا شيء يعظكم
به فيكون شيئا تبيينا للاسم المضمر الذي هو فاعل نعم والمخصوص بالمدح قد حذف واقيمت صفته مقامه وقوله نعما يعظكم به جملة في موضع رفع بانه خبر ان
المعنى ثم امر سبحانه باداء الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل في المعني بهذه الآية اقوال احدها انها في كل من اؤتمن امانة من الامانات
امانات الله اوامره ونواهيه وامانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن ابي
جعفر وابي عبد الله وثانيها ان المراد به ولاة الامر امرهم الله ان يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن
حوشب وهو اختيار الجبائي ورواه اصحابنا عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق قالا امر الله تعالى كل واحد من الائمة ان يسلم الامر الى من بعده ويعضده انه
امر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الامر وروي عنهما انهما قالا آيتان احداهما لنا والاخرى لكم قال الله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الآية وهذا القول داخل في القول الاول لانه من جملة ما ائتمن الله عليه الائمة الصادقين ولذلك قال
ابو جعفر ان الصلاة والزكاة والصوم والحج من الامانة ويكون من جملتها الامر لولاة الامر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظم
الله امر الامانة بقوله يعلم خائنة الاعين وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه الآية وثالثها انه خطاب للنبي برد مفتاح الكعبة الى
عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة واراد ان يدفعه الى العباس لتكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول على ما تقدم وان صح القول الاخير والرواية
فيه فقد دل الدليل على ان الامر اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل
والنصفة ونظيره قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروي ان النبي قال لعلي سو بين الخصمين في لحظك ولفظك وورد في الآثار ان الصبيين ارتفعا
الى الحسن بن علي في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم اي الخطين اجود فبصر به علي فقال يا بني انظر كيف تحكم فان هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة ان الله نعما
يعظكم به من الامر برد الامانة والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الامر بالخير والنهي عن الشر ان الله كان سميعا
بجميع المسموعات بصيرا بجميع المبصرات وقيل معناه عالما باقوالكم وافعالكم وادخل كان تنبيها على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك
خير واحسن تأويلا آية المعنى لما بدأ في الآية المتقدمة بحث الولاة على تأدية حقوق الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثنى في هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم
والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله اي الزموا طاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول اي والزموا طاعة رسوله
ايضا وانما افرد الامر بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقرونة بطاعة الله مبالغة في البيان وقطعا لتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الاوامر ونظيره
قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله في الفرائض واطيعوا الرسول
في السنن عن الكلبي والاول اصح لان طاعة الرسول هي طاعة الله وامتثال اوامره واما المعرفة بانه رسول الله فهي معرفة برسالته ولا يتم ذلك الا بعد معرفة الله
وليست احداهما هي الاخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لان اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا اليها جميع العالمين
الى يوم القيامة كما علم انه رسول الله اليهم اجمعين وقوله واولي الامر منكم للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الامراء عن ابي هريرة وابن عباس في احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدي
واختاره الجبائي والبلخي والطبري والآخر انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الاخرى ومجاهد والحسن وعطاء وجماعة قال بعضهم لانهم الذين يرجع اليهم
في الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاة واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق ان اولي الامر هم الائمة من آل محمد اوجب الله طاعتهم
بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز ان يوجب الله طاعة احد على الاطلاق الا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وامن منه الغلط والامر
بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الامراء ولا العلماء سواهم جل الله ان يأمر بطاعة من يعصيه او بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لانه محال ان يطاع المختلفون كما
انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله لم يقرن طاعة اولي الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولو الامر فوق الخلق جميعا
كما ان الرسول فوق اولي الامر وفوق سائر الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت الامة على علو رتبتهم وعدالتهم

[illegible]

[illegible]

فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول معناه فان اختلفتم في شيء من امور دينكم فردوا التنازع فيه الى كتاب الله وسنة الرسول وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي ونحن نقول الرد الى الائمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول في حياته لانهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في امته فجرى مجراه فيه ثم اكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فانه ليس مؤمنا من لم يرد ذلك والاشارة الى طاعة الله وطاعة رسوله واولي الامر والرد الى الله والرسول خير لكم واحسن تأويلا اي احمد عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لان التأويل من آل يؤول اذا رجع فالمآل المرجع والعاقبة سمي تأويلا لانه مآل الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا واحسن عاقبة في الآخرة وقيل معناه احسن من تأويلكم انتم اياه من غير رد الى اصل من كتاب الله وسنة نبيه عن الزجاج وهو الاقوى لان الرد الى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة من تأويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول على ان اجماع الامة حجة بان قالوا انما اوجب الله الرد الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا والاجماع حجة وهذا الاستدلال انما يصح لو فرض ان في الامة معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم يفرض ذلك فلا يصح لان تعليق الحكم بشرط او صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه هيهنا على ان الامة لا تجمع على شيء الا عن كتاب او سنة وكيف يقال انها اذا اجمعت على شيء لا يجب عليها الرد الى الكتاب والسنة وقد ردت اليهما قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا اللغة الطاغوت والطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد يسمى به الاوثان كما تسمى بانها رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل من طغى بان حكم بخلاف حكم الله واصل الضلال الهلاك والعدول عن الطريق المؤدي الى البغية لانه ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي الى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه الى هذه النكتة ذكرناه في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين تعالوا اصله من العلو فاذا قلت لغيرك تعالوا فمعناه ارتفع الى وصددت الاصل فيه لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي لانه دخله معنى منعته عنه مثل رجعت انا ورجعت غيري لانه دخله معنى رددته الاعراب صدودا نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما والمعنى تأكيد ذلك على بيان مثل الكلام بالحكمة والحقيقة وقيل ان معنى تكليما انه كلمه بكلمات ويقال عظيما فيمكن تقدير مثل ذلك في الاية اي يصدون عنك صدودا عظيما النزول كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي احاكمك الى محمد لانه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم فقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه يأخذ الرشوة فنزلت الاية عن اكثر المفسرين المعنى لما امر الله تعالى الامر بالحكم والعدل وامر المسلمين بطاعتهم ثم ذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال الم تر الى الذين يزعمون وقيل التعجب منه اي الم تتعجب من صنيع هؤلاء وقيل الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك من القرآن وما انزل من قبلك من التوراة والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن من جهينة اراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبي وقتادة وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن وروى اصحابنا عن السيد الباقر والصادق ان المعني به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد امروا ان يكفروا به يعني تعالى قد امروا ان يكفروا بالطاغوت ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق باضلالهم الى الشيطان فلو كان تعالى خلق فيهم الضلال على ما يقوله المجبرة لكان اضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذا قيل لهم اي المنافقين تعالوا الى ما انزل الله في القرآن من الاحكام والى الرسول في حكمه رأيت يا محمد المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك الى غيرك اعراضا قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا آيات اللغة الحلف القسم ومنه الحليف لتحالفهم فيه على الامر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا كان يبلغ بعبارته كنه ما في قلبه ويقال احمق بلغ وبلغ اي انه مع حماقته يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ في الحماقة الاعراب موضع كيف رفع بانه خبر مبتدأ محذوف والتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة وكانه قال الاساءة صنيعهم بالجرأة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف نصبا تقديره فكيف تكونون امصرين ام تائبين تكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال اصلاح بك ام فساد بك فيكون مبتدأ محذوف الخبر يحلفون في موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا جواب القسم احسانا مفعول به اي ما اردنا الا احسانا المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله فكيف صنيع هؤلاء اذا اصابتهم مصيبة اي نالتهم من الله عقوبة بما قدمت ايديهم بما اكتسبت ايديهم من النفاق واظهار السخط لحكم النبي ثم جاؤك يا محمد يحلفون يقسمون بالله ان اردنا الا احسانا اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت في مجلسك ونقتصر على من يتوسط لنا برضا الخصمين دون الحكم المر للقطع فقوله الا احسانا الى الخصم وتوفيقا بينهم بالتماس التوسط دون الحمل على الحكم واراد بالتوفيق الجمع والتأليف وقيل توفيقا اي طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعني بالاية عبد الله بن ابي والمصيبة ما اصابه من الذل برجعتهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار وسنذكر ذلك في سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله في الاقالة والاستغفار واستوهبه ثوبه ليتقي به النار يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين في غزوة بني المصطلق ذكره الحسن بن علي المغربي وفي الاية دلالة على انه قد تصيب المصيبة بما يكسبه العبد من الذنوب ثم اختلف في ذلك فقال ابو علي الجبائي لا يكون ذلك الا عقوبة الا في التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا وقال القاضي عبد الجبار قد يكون ذلك لطفا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل واولئك

الذين

الذين يعلم الله ما في قلوبهم من الشرك والنفاق والخيانة فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في انفسهم قولا بليغا اي قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاره تنزل بهم في انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابي علي الجبائي وفي قوله قل لهم في انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على تعلمها ومدح بها لكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج الى التعبير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما آية الاعراب من في قوله من رسول زائدة وما ارسلنا رسولا ولذلك قال من رسول لان من لا تزاد في الايجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءني من احد لو موضوع للفعل لما فيه من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا تأتي بعدها الا الافعال ان تقع بعدها لانها كالفعل في افادة التأكيد فموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع انهم جاؤك وقت ظلمهم انفسهم اي لو وقع مجيئهم المعنى ثم لام على رد دعوتهم وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة فقال وما ارسلنا من رسول اي لم نرسل رسولا من رسلنا الا ليطاع اخبر تعالى بان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول ويمتثل بما يأمر به وانما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله انه لم يرسل رسولا الا ليطاع وقيل باذن الله اي بامر الله الذي دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه احدها بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وثانيها بمعنى التخلية كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما في الاية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بان بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم بالكفر والنفاق جاؤك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه واستغفر لهم الرسول وجمع من لفظ الخطاب في قوله جاؤك الى لفظ الغيبة على عادة العرب المألوفة واستغفر لهم يا محمد ذنوبهم اي سألت الله ان يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله هذا يحتمل معنيين احدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم والثاني لعلموا الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره هنا بمعنى الادراك لانه غير مدرك في نفسه توابا اي قابلا لتوبتهم رحيما بهم في التجاوز عما قد سلف منهم وفي قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اوكد دلالة على بطلان مذهب المجبرة وذلك بان الله يريد ان يعصي انبياءه قوم ويطيعهم آخرون وذكر الحسن في هذه الاية ان اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة لرسول الله فاتاه جبرئيل فاخبره بها فقال ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله الا تقومون فلم يقم احد منهم فقال قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الان اخرجوا عني انا كنت في اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة وكان الله اسرع الى الاجابة فخرجوا عنه حتى لم يرهم وفي الاية دلالة على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله سبحانه يتوب عليه بان يقبل توبته ويدل على انه لا يجوز ان يكون الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لانه لم يكن ليستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي ان يتوب ويندم على ما فعله ثم يستغفر الله فالتائب يتوب الله عليه قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما آية اللغة شجر الامر شجرا وشجورا اذا تخالط وتشاجروا في الامر اذا تنازعوا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اي لا ضيق وقيل الاثم الاعراب لا دخلت في اول الكلام لانها رد لكلام كانه قيل فليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم وقال وربك لا يؤمنون وقيل ان لا هيهنا توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد لان ذكر النفي في اول الكلام وآخره اوكد فان النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب وتسليما مصدر مؤكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانيا ومن حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره في صدر الكلام فاذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت ضربا احقه النزول قيل نزلت في الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبي للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله لان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله اشار الى الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ويقال ان الرجل كان حاطب بن ابي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في حاطب بن ابي بلتعة وليه شدقه هذه الاية وقال الشعبي نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر وقد مضت قصتهما المعنى ثم بين الله تعالى ان الايمان انما هو بالتزام حكم رسول الله والرضا به فقال فلا اي ليس كما تزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت وربك لا يؤمنون اقسم الله ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان حتى يحكموك اي حتى يجعلوك حكما او حاكما فيما شجر بينهم اي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة ثم لا يجدوا في انفسهم اي في قلوبهم حرجا اي شكا في ان ما قلته حق عن مجاهد وقيل اثما اي لا يأثمون بانكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك او اثم عن ابي علي الجبائي وهو الوجه مما قضيت اي حكمت ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك اذعانا لك وخضوعا لامرك وروي عن الصادق انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله الا صنع خلاف ما صنع او وجدوا من ذلك حرجا في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية

آخر الجزء الرابع عشر من مجمع البيان والجزء الخامس من القرآن

قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ثلث آيات القراءة قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ان اقتلوا بضم النون او اخرجوا بضم
الواو وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما وقرأ ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرأ ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وهو كذلك في مصاحف الشام وقرأ الباقون بالرفع الحجة

اول الجزء الثامن عشر من الكتاب سورة النساء

نزلت في ثوبان مولى رسول الله وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول
الله ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة
كنت في منزل ادنى من منزلك

ظاهر لكان يا ليتني كنت معهم فافوز الرزق اقبل انها نزلت في المؤمنين لانه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق بين المؤمنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا
منهم قال اكثر المفسرين نزلت في المنافقين وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائي المعنى لما حث الله على الجهاد
بين حال المتخلفين عنه فقال وان منكم خاطب المؤمنين ثم اضاف المنافقين اليهم فقال لمن ليبطئن اي هم منكم في الحال الظاهر في حكم الشريعة من حقن الدماء والمناكحة
والموارثة وقيل منكم اي من عدادكم اعدادكم وخلانكم ويبطئ ويبطي بالتشديد والتخفيف معناهما واحد اي من يتأخر عن الخروج مع النبي فان اصابتكم مصيبة
فيه من قتل او هزيمة قال قول الشامت المسرور بتخلفه قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي شاهدا حاضرا في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال الصادق ع
لو ان اهل السماء والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين ولئن اصابكم فضل من الله اي فتح او غنيمة ليقولن تحسرا فنفوز بالغنيمة
كنت معهم وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض يتصل بما تقدمه قال في تقديره قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه مودة اي لا يعاضد
على القتال عدوكم ولا يرعى الذمام الذي بينكم عن ابي علي الفارسي وقيل انها اعتراض بين القول والتمني وتقديره ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز من الغنيمة فوزا عظيما كان
لم يكن بينكم وبينه مودة اي يتمنى الحضور لا لنصرتكم وانما يتمنى النفع لنفسه وقيل ان الكلام في موضعه من غير تقديم وتأخير ومعناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا
المبطئ قول من لا تكون بينه وبين المسلمين مودة اي كانه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتني كنت معهم اي يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا
من قول المخلصين فقد عدوا التخلف في حكم الخالين لهم من الله تمنوا الخروج معهم ثم حكم الخالين لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا فيكون قوله
كان لم تكن بينكم وبينه مودة في موضع النصب على الحال وقال ابو علي الجبائي انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدهم عن الجهاد كان لم تكن بينكم وبينه اي بين محمد مودة
فيخرجوا معه لتأخذوا معه من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليبغضوا اليهم رسول الله يا ليتني كنت معهم وهذا التمني من قول المبطئين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم
تلك الغزوة فافوز فوزا عظيما ان يصيبه غنيمة عظيمة واخذ حظا وافرا منها قوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اللغة يقال شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت وشريت بعته وقال يزيد بن
مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه والهامة الاعراب فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه المعنى لما امر الله سبحانه في الآية
الاولى ان يقاتلوا ومن لم يقاتل ويبطئون المؤمنين حث في هذه الآية على القتال فقال فليقاتل في سبيل الله هذا امر من الله وظاهره يقتضي
الوجوب اي فليجاهد في سبيل الله اي في طريق دين الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية ويجوز يشرون الحيوة
الدنيا بنعيم الآخرة اي يبذلون انفسهم واموالهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله وبيعهم اياها بالآخرة هو استبدالهم اياها بالآخرة
ومن يقاتل في سبيل الله اي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعة ربه بان يبذل نفسه فيقتل او يغلب اي يظفر بالعدو وفيه حث
على الجهاد فكانه قال هو فائز باحد الحسنيين ان غلب او غلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اي نعطيه على اتمام العمل وقيل ثوابا دائما لا انقطاع له قوله تعالى
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا اللغة الولدان جمع الولد مثل خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاعراب
على بابه فعال بحوجا وجمال وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة الاعراب ما لكم ابتداء وخبر ولا تقاتلون في موضع نصب على الحال
وتقديره اي شيء لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه في والمستضعفين قال المبرد هو عطف على اسم الله تعالى واختار الزجاج
القتال في سبيل الله وهو في معنى الاهلا توبة على العامل القريب منها من الفعل كما يمكنها في الوصفية بانها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف ما باب فعل فلك
فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت برجل خير منه ابوه بل يقال مررت برجل خير منه ابوه لتكون الجملة في موضع الجر المعنى ثم حث سبحانه
على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها المؤمنون لا تقاتلون اي اي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال في سبيل الله اي في
طاعة الله وقيل في دين الله وقيل في نصرة دين الله وقيل في اعزاز دين الله واعلاء كلمته والمستضعفين اي وفي سبيل المستضعفين اي في نصرة المستضعفين
وفي الذب عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن
الوليد وعياش بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهيل كانوا جماعة يدعون الله ان يخلصهم من ايدي المشركين ويخرجهم من مكة وهم الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها اي يقولون في دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم الظالم اهلها
اي التي ظلم اهلها بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة واجعل لنا بالطاقة تأييدك من لدنك اي من عندك وليا يلي امرنا بالكفاية حتى
ينقذنا من ايدي الظلمة واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله تعالى دعاءهم فلما فتح رسول الله مكة جعل الله النبي لهم وليا فاستعمل
على مكة عتاب بن اسيد فجعله الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديد فاغاثهم الله فكانوا اعز بها من الظلمة قبل ذلك وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع
الدعاء من الله وابطال قول من زعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لان الله حكى عنهم انهم دعوا فاجابهم الله واتم سؤلهم ولولا انه استجاب دعاءهم لما كان لذكر
دعائهم معنى قوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان
كان ضعيفا آية اللغة الطاغوت قد مر ذكره والكيد السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال كاده يكيده كيدا فهو كائد اذا عمل في ايقاع الضرر به على وجه
الحيلة فيه المعنى ثم شجع المجاهدين ورغبهم في الجهاد بقوله الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعة الله وفي نصرة دينه واعلاء كلمته ابتغاء مرضاته

بلا عجب ولا صلف ولا طمع في غنيمة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت وطاعته فقاتلوا اولياء الشيطان يعني جميع الكفار وهذا يقوي قول من قال
ان الطاغوت الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا دخلت كان زهيتها مؤكدة لله على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الاحوال والاوقات ماضيها
منها وما يستقبل وليس هو عارضا في حال دون حال وانما وصف كيد الشيطان بالضعف لانه ضال الى نصرة الله المؤمنين عن الجبائي وقيل لانه اخبرانه
سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل الضعف راجع الى اولياء الشيطان اذ لا بصيرة لهم وانما يقاتلون بما تدعو اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو اليه
الحجة قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا آية القراءة لا يظلمون بالياء مكي كوفي غير عاصم الباقون بالتاء الحجة من قرء بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله
الم تر الى الذين قيل لهم ومن قرء بالتاء فلانه ضم اليهم في الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة الاعراب اذا فريق منهم اذا هذه ظرف مكان وهي
بمنزلة الفاء في تعليقه الجملة بالشرط وتسمى ظرف المكان كما في قول الشاعر وكنت ارى زيدا كما قيل سيدا اذا انه عبد القفا واللهازم وهي في محل
النصب بيخشون والكاف في كخشية الله في محل النصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشية منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم للمصدر
لولا معناها التحضيض لا تدخل الا على الفعل النزول قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون وسعد بن
ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة فيشكون الى رسول الله ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء
فانهم قد آذونا فقال امرؤا بالكف عنهم فلما هاجر رسول الله المدينة وامر بالمسير الى بدر شق على بعضهم فنزلت هذه الآية المعنى ثم عاد الله الى ذكر القتال ومن كرهه فقال الم تر الى الذين قيل لهم
وهم بمكة كفوا ايديكم اي امسكوا عن قتال الكفار فاني لم اؤمر بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال وهم بالمدينة اذا فريق منهم اي جماعة منهم يخشون
الناس كخشية الله اي يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس
بالقتل كما يخافون عقوبة الله او اشد خشية قيل او هنا بمعنى الواو اي واشد خشية وقيل ان او هنا للابهام لا للتخيير على المخاطب كما قد ذكرنا الوجوه في مثل هذا
عند ذكر قوله او اشد قسوة في سورة البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية لامر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك
على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاما لا انكارا وقالوا لولا اخرتنا قالوا ذلك لانهم ركنوا الى الدنيا واثروا نعيمها على الآخرة كلها فلولم
يقولوا ذلك لكان خيرا لهم لولا اخرتنا اي هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت باجالنا ثم اعلم الله ان الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال قل يا محمد
لهؤلاء متاع الدنيا اي ما يستمتع به من منافع الدنيا قليل لا يبقى والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي لا يبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والفتيل ما
تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه عن ابن عباس وقيل ما في شق النواة لانه كالخيط المفتول قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
آية القراءة روي في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرء يدرككم الموت برفع الكاف الحجة هذه القراءة ضعيفة على انها جاءت وهو ان يكون على حذف الفاء كانه قال
فيدرككم الموت وعليه بيت الكتاب من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان اي فالله يشكرها اللغة البروج جمع برج واصله من الظهور
يقال تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والبرج بناء في العين لظهوره العين بالارتفاع والمشيدة المزينة بالشيد وهو الجص والتشديد رفع البناء يقال شاد البناء يشيده
اذا رفعه وانما قيل للجص شيد لانه مما يرفع البناء ويجوز اشاد الرجل بناءه اذا رفعه فاما في الذكر فانه يقال اشاد بذكره لا غير والفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقها
الا ان الفقه صار بعرف الاستعمال علما على علم الفقه من علوم الدين وفقه الرجل يفقه فقاهة اذا صار فقيها والتفقه تعلم الفقه الاعراب اينما ظرف من الظروف التي
يجازى بها لتضمنها معنى ان ولا يلزمها ما تقول اين تكن اكن واينما تكن اكن وهي تستغرق الامكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت اينما هنا موصولة وفي قوله
اينما كنتم تدعون مفصولة لان ما هيهنا مزيدة وهنالك بمعنى الذي فوصلت هذه كما يتصل الحروف فصلت تلك كما تنفصل الاسماء وفما لهؤلاء كتبت في الكلام
توهموا ان اللام مما بعده في بعض المواضع وصلوها كما بعضها لا يجوز الوقف على اللام لانها لام الجر فهي متصلة بما بعدها المعنى
ثم خاطبهم تعالى فقال اينما تكونوا يدرككم الموت اي اينما كنتم من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت بآجالكم ولو كنتم في بروج مشيدة قيل يعني بالبروج القصور عن
مجاهد وقتادة وابن جريج وقيل حصون في السماء بعينها عن السدي والربيع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن الجبائي وقيل الحصون
والقلاع فهذه خمسة اقوال والمشيدة المجصصة عن عكرمة وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله اختلف
فيمن حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا يكون معناه ان اصابهم
خصب ومطر قالوا هذا من عند الله وان اصابهم قحط وجدب قالوا هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه عن البلخي والجبائي و
هو المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان اصابهم ظفر وغنيمة قالوا هذا من عند الله وان تصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد بسوء تدبيرك وهو المروي
عن ابن عباس وقتادة وقيل هو عام في اليهود والمنافقين وهو الاصح بل هو حكاية عمن سبق ذكره قبل الآية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال
تقديره وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسيئة السراء والضراء

والبؤس الرخاء والنعم والمصيبة والخصب والجدب قال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والغنيمة والظفر قل يا محمد كل من عند الله اي جميع ما مضى ذكره من البؤس
والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر احد على رده ودفعه يبتلي بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية
فما لهؤلاء القوم اي فما شأن هؤلاء المنافقين لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون معنى الحديث الذي هو القرآن لانهم يبعدون منه باعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه
لا يفقهون حديثا اي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به انه من عند الله من الشر والضر على ما وصفنا قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا آية الاعراب رسولا منصوب بارسلناك وانما ذكره تاكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا
نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من فيه زائدة لا معنى لها المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله قيل
هذا خطاب النبي والمراد به الامة عن الزجاج وقيل خطاب للانسان اي ما اصابك ايها الانسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فانها
من الله وما اصابك من سيئة اي من المعاصي فمن نفسك وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو علي
معناه ما جدوا في القتال يوم بدر لما اطاعوا الله تم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابي العالية قال ابو القاسم
هذا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره واللاواء والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي
يفعلونها وربما يكون على سبيل العقوبة وانما سماها سيئة مجازا لان الطبع ينفر عنها وان كانت في انفسها حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من
الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابك من المرض والشدة والالام والمصائب فبسبب ما تكسب من الذنوب كما قال وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وقد روى ابو القاسم البلخي فقال ما اصاب المكلف من مصيبة فهي كفارة
ذنب صغير وعقوبة ذنب كبير او تاديب مع لاجل تفريط وقد قال النبي ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقيل من
نفسك اي من فعلك قال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله لا يفعل الالم الا على وجه اللطف للعباد وتحري العوض لان المصائب اذا كانت كلها من
قبل ذنب العبد فهي اما ان تكون عقوبة واما ان تكون من قبيل تاديب المصلحة وقوله وارسلناك للناس رسولا معناه ومن الحسنة ارسلناك يا محمد ومن السيئة [illegible]
يا محمد وكفى بالله شهيدا لك وعليك وقيل معنى اتصاله بما قبلها ان ما اصابهم فبشؤم ذنوبهم وانما انت رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية
الله لا يتطير بك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهدا لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما
يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب والتحذير عن الشر قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا آيتان القراءة قرء ابو عمرو بادغام الطاء في التاء من بيت طائفة وبه قرء حمزة والباقون بالاظهار الحجة
حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينهما بانهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لان الطاء تزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام
الانقص صوتا من الحرف في الازيد صوتا ولم يحسن ادغام الازيد في الانقص ومن بين لم يدغم لانفصال الحرفين واختلاف المخرجين اللغة قال
المبرد التبييت كل شيء دبر ليلا قال عبيدة بن همام اتوني فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتوني لامر نكر والبيوت الامر يبيت عليه صاحبه مهتما والبيات والتبييت
ان يأتي العدو ليلا فاصل التبييت احكام الامر ليلا واصل الوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير الاعراب جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا
تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا عليهم وطاعة مبتدأ اي عندنا طاعة او خبر مبتدأ محذوف اي امرنا طاعة ولو نصبت على نطيع
طاعة جاز المعنى ثم رغب تعالى في طاعة الرسول فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان طاعته طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبي من
حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل فانها طاعة الله ايضا على الحقيقة اذ كانت بامره وارادته واما الامر الواحد فلا يكون على الحقيقة من آمرين كما
ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى اي ومن اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا اي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا
اول ما بعث كما قال فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظا لاعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها
لا انك تجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي في تولي الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه بكون طاعته طاعة
الله ثم بين ان المنافقين يظهرون الطاعة ويضمرون خلافه فقال ويقولون طاعة يعني المنافقين عن السدي والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذين حكى عنهم انهم يخشون
الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كأنهم قالوا قابلنا امرك بالطاعة فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي قدر جماعة منهم ليلا
غير الذي تقول اي غير ما يقولون على جهة التكذيب عن الحسن وقتادة وقيل معناه غيروا بالليل ما قالوه بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به ونهيتهم
عنه عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابي عبيدة والقتيبي والله يكتب ما يبيتون في اللوح المحفوظ ليجازيهم به وقيل
يكتبه بان ينزله اليك في الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله نبيه بالاعراض عنهم وان لا يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وستر الامور عليهم الى ان يستقر امر الاسلام
وتوكل على الله اي فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله وكيلا اي حفيظا لما تفوض اليه من التدبير قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا آيتان اللغة التدبر النظر في عواقب الامور والتدابر التقاطع لان كل واحد

يولي

يولي الآخر دبره بعداوته ودبر القوم يدبرون دبارا اهلكوا لانهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب
بالنظر في الدلائل والاختلاف هو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب في
الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة ولقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان من
يشرب منه تشبث بحلقه علقة وذاع الخبر ذيعا ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر واذاع الناس ما في الحوض اذا شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة
والاشاعة والافشاء والاظهار نظائر وضدها الكتمان والاسرار والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العين او
معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون المعنى
افلا يتدبرون القرآن اي افلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن ان ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه
ليس بكلام المخلوق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وائتلاف احكامه وتشهاد بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن ونهي
عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خارج عن كلام البشر والاولى ان
يحمل على الجميع لان تدبره فيه علم جميع ذلك ولو كان من عند غير الله اي كلام غير الله اي لو كان من عند النبي او كان يعلمه بشر كما زعموا لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا قيل فيه اقوال احدها ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس والثاني اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث
من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي والرابع تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك ان كلام البشر اذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني
والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها
بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه دعا الى التفكر والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول
من الحشوية وغيرهم لانه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزان كلام عباده ولوجدوا الاختلاف فيه ومنها ان المتناقض
من الكلام لا يكون من فعل الله لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت
واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت في الحسن والقبح والخطأ والصواب ونحو ذلك مما تدعو اليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن
البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض واما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاءم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام
في الناسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على انه من فعل الله بان قال لو لم يكن ذلك
دلالة لما اخبر الله به ولو لم يخبر بذلك لكان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا لا يوجد فيه شيء من التناقض وعلى هذا لا
يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن الا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي ثم عاد الى ذكر حالهم فقال واذا جاءهم يعني هؤلاء الذين سبق
ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعفة المسلمين امر من الامن او الخوف يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو
الخوف او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله ذلك لان من فعل هذا فلا يخلو كلامه
من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم المعنى لو سكتوا الى ان يظهره الرسول واولو الامر منهم قال ابو جعفر
الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي امراء السرايا والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهما انهم اهل العلم والفقه الملازمون للنبي
لانهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعلموه واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه قال انما يطلق اولو الامر على من له الامر على الناس
لعلمه الذين يستنبطونه اي لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج وقيل يتجسسونه عن ابن عباس وابي العالية وقيل يبتغونه ويطلبون علم ذلك
عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال استنباطهم سؤالهم عنه وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قيل ان الضمير في منهم يعود
الى اولي الامر وهو الاظهر وقيل يعود الى الفرق المذكورة من المنافقين او الضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي ولولا اتصال مواد الالطاف
من جهة الله وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي ورحمته القرآن عن الضحاك والسدي وهو اختيار الجبائي
وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله فضل الله ورحمته النبي وعلي لاتبعتم الشيطان الا قليلا قيل فيه اقوال احدها ان في الكلام تقديما وتأخيرا والاستثناء
من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولى لان الاذاعة تكون
من الاستنباط وثانيها ان الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ويكون تقديره ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن اكثر اهل اللغة وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على انهم
غير [illegible] ولا ما غيره وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي الا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب
وآمنوا بالله ووحدوه مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وغيرهم قال الانباري وذكر ابن بهان ان
معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية الى الجبن والفشل
الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا منكم وهم اهل البصائر الذين هم اهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا يحتاجون من
رحمة الله ولا ينكلون في نصرته والجهاد [illegible] والله اعلم بالنظم [illegible] في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون القرآن بما قبله فقيل انه

حكي

بقوله ويقولون طاعة الآية فان الله اطلع على اسرار المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر مخالفا للخبر وقيل انه متصل
بقوله وما ارسلناك الا مبلغا رسالة الله تبليغا بمعجزة **قوله تعالى** فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا آية **اللغة** نكل به ونكله به ويرد به نظائر واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها النكال
ما يمتنع من الفاحشة من مثله والنكل القيد **المعنى** ثم عاد تعالى الى الامر بالقتال فقال فقاتل في سبيل الله قيل في الفاء قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل
في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والآخر ان يكون متصلا بقوله وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله فقاتل في سبيل الله عن الزجاج ووجهه انه لا حظ لك في ترك القتال فتتركه والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله خاصة امره الله ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله
لا تكلف الا نفسك معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فان ضرر ذلك عليهم وحرض المؤمنين على القتال
اي حثهم عليه عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي يمنع الله شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية
احد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخرج عسى هنا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه
عسى ان تفلح بطاعتك والله اشد بأسا اي اشد نكاية في الاعداء منكم واشد تنكيلا اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل اشتهارهم بالامور الفاضحة
عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما ينالهم على ايدي المسلمين من الاذلال والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والاهلاك **القصة** قال الكلبي ان ابا
سفيان لما رجع الى مكة يوم احد واعد رسول الله صلى الله عليه وآله موسم بدر الصغرى وهو سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ النبي الميعاد قال للناس اخرجوا الى الميعاد فتثاقلوا
وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله هذه الآية فحرض النبي المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في سبعين راكبا حتى اتى موسم
بدر فكفاهم الله بأس العدو ولم يوافهم ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله بمن معه سالمين **قوله تعالى** مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً
يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا آية **اللغة** اصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فان الرجل اذا شفع لصاحبه فقد
شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفيع في الملك لانه يضم ملك غيره الى ملك نفسه ومن خالف الامة في كيفية شفاعة النبي يوم القيامة فقال المعتزلة ومن تابعهم يشفع
لاهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع النبي لامته ممن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب واخذ
من قولهم اكتفلت البعير اذا درت على سنامه كساء وركبت عليه وانما يقال ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله وانما استعمل نصيبا من الظهر وقال الازهري الكفل الذي
لا يحسن يكون الفرس واصله الكفل هو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفل المثل والمقيت اصله من القوت فانه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يمسكه
ويقدر والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك والقائل تقيت قاله وينشد للزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا فهذه لغة
قريش **المعنى** من يشفع شفاعة حسنة الآية قيل فيه اقوال احدها ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ومن يشفع شفاعة سيئة اي يمشي بالنميمة يكن له كفل
منها اي اثم منها عن الكلبي عن ابن عباس وثانيها ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز في الدين ان
يشفع فيه فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم يشفع لان الله قال ومن
يشفع ولم يقل ومن يشفع ويؤيده قوله اشفعوا تؤجروا وقوله من حال شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة بغير
علم كان في سخط الله حتى ينزع وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن ابي علي الجبائي وقال لان اليهود كانت
تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفع صاحبه في جهاد عدوه فيحصل له في هذه الشفاعة نصيب في
العاجل من الغنيمة والظفر وفي الآجل من الثواب المنتظر وان صار شفعا له في معصية او شر حصل له نصيب من الذم في العاجل والعقوبة في الآجل والكفل الوزر عن
الحسن وقتادة وهو النصيب والحظ عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة وكان الله على كل شيء مقيتا قيل في معنى المقيت اقوال احدها انه المقتدر
عن السدي وابن زيد وثانيها الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا وخامسها
المجازي عن ابي علي الجبائي اي يجازي على كل شيء من الحسنات والسيئات **النظم** وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بان
له مع هذا في دعاء المؤمنين الى الحق ما للآذن في شفاعة صاحب الخير يصل الى المشفوع له لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره لا يزيد بفعله
بعمل غيره وعن علي بن عيسى قيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له نصيب منه وان قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم الى الجهاد وحثثتهم
عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل فيه **قوله تعالى** وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا آية **اللغة** التحية
السلام يقال حيى يحيي تحية اذا سلم قال الشاعر انا محيوك يا سلمى فحيينا وان سقيت كرام الناس فاسقينا والتحية البقاء قال من كل ما نال الفتى
قد نلته الا التحية يعني الملك وانما سمي بذلك لان الملك يحيى بالسلم والثناء الحسن والحسيب الحفيظ لكل شيء حتى لا يشذ منه شيء والحسيب الفعيل من
الحساب الذي هو الاحصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا وهو حسيبه اذا كان صاحب حسابه ومن قال الحسيب الكافي فهو من قولهم احسبني فلان الشيء احسابا
اذا كفاني وحسبي كذا اي كفاني وقال الزجاج معنى الحسيب معطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه ومنه قوله عطاء حسابا اي كافيا
المعنى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله المسلمين برد السلام على المسلم باحسن مما سلم ان كان مؤمنا والا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن
منها امر للمسلمين برد السلام للمسلمين خاصة وقوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن عباس فاذا قال المسلم السلام عليكم فقلت وعليكم السلام ورحمة الله واذا قال

السلام عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حييته باحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل ان قوله او ردوها للمسلمين ايضا
عن السدي وعطاء وابراهيم وابن جريج قالوا اذا سلم عليك فرد عليه باحسن مما سلم عليك او بمثل ما قال وهذا اقوى لما روي عن النبي انه قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا وعليكم وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين ان المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر وذكر الحسن ان رجلا دخل على النبي فقال السلام عليك فقال
النبي وعليك السلام ورحمة الله فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال النبي وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله
وبركاته فقال النبي وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقيل يا رسول الله زدت للاول والثاني في التحية ولم تزد للثالث فقال انه لم يبق من التحية شيئا فرددت
عليه مثله وذكر الواحدي باسناده عن ابي امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب
له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة ان الله كان على كل شيء حسيبا اي حفيظا عن مجاهد وقيل كافيا وقيل محاسبا عن ابي علي وفي هذه
الآية دلالة على وجوب رد السلام لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب قال الحسن جاء عن النبي ان السلام تطوع والرد فرض ثم الرد ربما كان من فروض الكفاية وقد يتعين بان
يخص بالسلام ولا احد عنده فيتعين عليه الرد **النظم** وجه اتصال الآية بما قبلها ان المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر بقتال المشركين عقبه بان من
مال الى السلم واعطى ذلك من نفسه حيي المؤمنين بتحية الاسلام **قوله تعالى** اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا
آية **الاعراب** اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثا نصب على التمييز كما يقال من احسن من زيد فهما وهو مثلها في اللفظ وتمييز في المعنى **المعنى** الله لا اله الا هو تقديره
ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليبعثنكم من بعد مماتكم وليحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يفصل فيه بين اهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج معنى ليجمعنكم في الموت
وفي قبوركم لا ريب فيه اي لا شك في هذا القول وانما سمي يوم القيامة لان الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا
اي موعدا لا اخلاف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به **النظم** انه تعالى لما امر بما تقدم ذكره بين بعده انه الاله الذي لا تحق العبادة الا له
على حسب ما اوجبه عليكم فانه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اي انما الحسيب هو الله **قوله تعالى** فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ
وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا آية **اللغة** الاركاس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت
فاركسوا في حميم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابي بن كعب قرأ فالله ركسهم بغير الف فيه
الاعراب فئتين نصب على الحال كما تقول ما لك قائما والعامل فيه الحال معنى الفعل الذي في الظرف اي ما لكم تفترقون فئتين **النزول** اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه فقيل
نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لانهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد
المسلمون ان يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم مؤمنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر
وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فاختلف اصحاب رسول الله فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد
ابن ثابت **المعنى** ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال تعالى فما لكم ايها المؤمنون صرتم في امر هؤلاء المنافقين اي فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم ومنكم من
لا يكفرهم والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فاقاموا على كفرهم
وترددوا فيه فاخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابي مسلم اتريدون ان تهدوا اي تحكموا بهداية من اضل الله اي حكم الله بضلاله وتسميته ضالا وقيل معناه من خذله
الله ولم يوفقه كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع عن قتالهم مع ان الله حكم بضلالهم
وخذلهم ووكلهم الى كفرهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهدوا الى طريق الجنة من اضله الله تعالى عن طريق الجنة والثواب بعطف على القول الاول لانه لو اراد القتل
والحكم لقال عن ضلل الله وهذا لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب واليه فانه انما
انما وصف المؤمنين بهداية من سماهم مهتدين بانهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال الله لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا معناه ومن نسبه الله الى الضلال فلن ينفعه ان يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من خذله الله في حكمه
فلن تجد له وصلا الى الحجة عن جعفر بن حرب قال العبد على انهم هم الذين كسبوا ما صاروا اليه من الكفر دون ان يكون الله تعالى اضطرهم اليه قوله على انه ذلك وقد
قوله تعالى وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا آية **المعنى** ثم بين تعالى احوال هؤلاء المنافقين فقال ودوا اي تمنى هؤلاء المنافقون
المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يعني تمنوا لو تكفرون انتم بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اي فتستوون انتم وهم فتكونون مثلهم كفارا ثم نهى
المؤمنين ان يوادوهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تستنصحوهم ولا تستنصروهم ولا تستعينوا بهم في الامور حتى يهاجروا اي حتى يخرجوا من دار الشرك
ويفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله اي في ابتغاء دين الله وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وانما سمي الله
سبيل طريقه لان من سلكه اداه الى النعم وقيل الى الجنة فان تولوا اي اعرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس فخذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم
من الحل والحرم فان حكمهم حكم اهل الشرك لا تتخذوا منهم اولياء اي خليلا ولا نصيرا اي ناصرا ينصركم على اعدائكم **قوله تعالى** إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا آية **اللغة** الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة

والحصر ضيق الصدر بالبخل والاعتزال ان ينحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت تعزلته قال الاحوص يا بيت عاتكة الذي تعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل وسميت المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل بن عطا لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على اليه وافقهم جماعة على هذا المذهب فال الامر بهم الى الاعتزال للحسن البصري واصحابه فسماهم الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك الاسم **الاعراب** حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد فيه مقدرة معه لان الفعل الماضي لا يكون حالا حتى يكون معه قد اما مضمرة او مظهرة فان قد تقرب الماضي من الحال تقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قال الجاء فلان ذهب عقله اي قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بانه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوما حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفته مقامه وانما جاز ان يكون هذا حالا لانه بمنزلة قولك او جاؤكم حصرت موصوفين بحصر الصدر او مخرجين بذلك **المعنى** لما امر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وان لم يتولوهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ومعنى الآية ان من وصل من هؤلاء الى قوم بينكم وبينهم ميثاق موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكم اولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء والمروي عن ابي جعفر انه قال المراد بقوله تعالى قوم بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله فقال في موادعته على ان لا نخيف يا محمد من اتانا ولا نخيف من اتاك فنهى الله ان يتعرض لاحد عهد اليهم به وقال السدي وابن زيد وعكرمة هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي جاء الى النبي بعد احد فقال انشدك الله والنعمة واخذ منه ان لا تغزو قومي فان اسلم قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شبة ثم استثنى لهم حالة اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت قلوبهم من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم يعني من قرابتهم الكراد قتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم ولعلها عنى به اشجع فانهم قدموا المدينة في سبع مائة يقودهم مسعود بن رخيلة فاخرج اليهم النبي احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا قرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره فامر الله تعالى المسلمين ان لا يتعرضوا لهؤلاء ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم فيجترؤن على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بان يامرهم بذلك او ياذن لهم فيه لانه تعالى انما يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حلف من بينكم وبينهم ميثاق فلقاتلوكم اي لو فعل ذلك لقاتلوكم فان اعتزلوكم يعني هؤلاء الذين امر بالكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم او بمصيرهم اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت اليك قيادي والقيت اليك زمامي اذا استسلم له وانقاد لامره والسلم الصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الآية والتي بعدها والآيات التي في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى قوله الظالمون الآيات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية **قوله تعالى** ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا آية **النزول** اختلفوا فيمن عني بهذه الآية فقيل نزلت في اناس كانوا يأتون النبي فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فابى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن الحصين الفزاري وذلك انه اجدبت بلادهم فجاء الى رسول الله ووادعه على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي سماه رسول الله الاحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق **المعنى** ثم بين تعالى طائفة اخرى منهم فقال ستجدون آخرين يعني قوما آخرين غير الذين وصفتهم قبل يريدون ان يأمنوكم فيظهرون لكم الاسلام ويأمنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة في دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والاركاس الرد قال الزجاج اركسوا فيها انتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه فان لم يعتزلوكم ايها المؤمنون اي فان لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي فاسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا في القتال وسميت الحجة سلطانا لانه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط السلطان

قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما آية **اللغة** الخطأ خلاف الصواب والفعل منه خطأ والخطأ في الامر الذي يصيب الصواب والخطأ بالفتح في الخطاء والخطاة بالتسكين فيهما والخاطئ المذنب والفعل منه خطئ يخطأ اذا اثم **الاعراب** اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطأ استثناء منقطع والاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الارض الا ريط برد مرجل والمعنى ولم تطأ على الارض الا ان تطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد تقدم ذكر ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل مؤمنا متعمدا ومن قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك يخرجه عن الايمان ثم قال الا خطأ اي فان قتله خطأ لا يخرجه من الايمان فتحرير رقبة مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع ان في قوله الا ان يصدقوا نصب لان المعنى

فعليه

فعليه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم سقط على ويعمل فيها ما قبله على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال وقيل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجيهما وقيل انه في قراءة ابي الا ان يتصدقوا توبة من الله كقوله تعالى لك حذر الموت عن الزجاج فيكون مفعولا له وقيل انه بمعنى تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدرا مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره **النزول** انزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه لانه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه والمقتول حارث بن يزيد ابو نبيشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحرة بعد الهجرة وكان احد من رده وكان يعذب عياشا مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كان في سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا اله الا الله فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله فذكر ذلك له فقال رسول الله الا شققت عن قلبه فقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه قال فكيف بي يا رسول الله فقال فكيف بلا اله الا الله قال ابو الدرداء فتمنيت ان ذلك اليوم مبتدأ ايامي فنزلت الآية عن ابن زيد **المعنى** ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن فيما عهد اليه ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الا قتل مؤمن الا ان يقع القتل خطأ وقيل تقديره وما كان لمؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ كقوله ما كان الله ان يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرنا لان الله تعالى لا يلحقه الامر والنهي وانبات الشجر لا يدخل تحت قدرة العبد فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفنا ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ومن قال ان الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمنا ثم قال فان كان القتل خطأ فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لان ذلك يؤدي الى الامر بقتل الخطأ او اباحته ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو ان يريد شيئا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انسانا فيقتله وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافرا كما ظن عياش بن ابي ربيعة وابو الدرداء على ما قلناه قبل ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه عتق رقبة مؤمنة في ماله خاصة على وجه الكفارة حقا لله والرقبة المؤمنة هي البالغة التي صلت وصامت فلا يجزي في كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابراهيم والحسن وقتادة وقيل يجزي كل رقبة ولدت على الاسلام عن عطا والاول اقوى لان لفظ المؤمن لا يطلق الا على البالغ الملتزم للفرائض الا ان من ولد بين مؤمنين فلا خلاف انه يحكم له بالايمان ودية اي وعليه على عاقلته دية مسلمة الى اهله اي الى اهل القتيل والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير منقصة حقوق اهلها منها تدفع الى اهل القتيل فتقسم بينهم على حساب الميراث الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اولياء القتيل على عاقلة القاتل بالدية ويتركوها عليهم فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن معناه فان كان القتيل من جملة قوم هم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله انه مؤمن فقتله وهو يظنه مشركا فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتيل في عداد قوم اعداء وهو مؤمن بين اظهرهم لم يهاجر فمن قتله فلا دية له وعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لان الدية ميراث واهله كفار لا يرثونه عن ابن عباس في رواية اخرى وابراهيم والسدي وقتادة وابن زيد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم فدية مسلمة الى اهله تلزم عاقلة قاتله وتحرير رقبة مؤمنة اي يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق واختلف في صفة هذا القتيل اهو مؤمن او كافر فقال قوم انه كافر الا انه يلزم قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي والنخعي وقتادة وابن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يؤديها الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابراهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انهم قالوا يعطى ديته ورثته المسلمون دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعا فمن لم يجد اي لم يقدر على عتق الرقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله اي ليتوب الله به عليكم فتكون التوبة من فعل الله وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لان الله انما جوز للقاتل العدول الى الصيام تخفيفا عليه فيكون كقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان الله عليما اي لم يزل عليما بكل شيء حكيما فيما يأمر به وينهى عنه اما الدية الواجبة في قتل الخطأ فمائة من الابل ان كانت العاقلة من اهل الابل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وروي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا وقد روي ايضا انها اخماس عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل انها اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي اخماس ايضا الا انه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي وروي ايضا عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات متكافئة والاولى التخيير فاما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الاصح وقيل اثنا عشر الفا ودية الخطأ تؤدى في ثلاث سنين ولو خلينا وظاهر الآية لقلنا ان دية الخطأ على القاتل لكنا علمنا بسنة الرسول والاجماع ان الدية في الخطأ على العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الاب وابناؤهم والموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها يعقل القاتل وروى ابن مسعود عن النبي انه قال لا يؤخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة ابيه وليس الزام الدية للعاقلة على سبيل مؤاخذة البريء بالسقيم لان ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقيل ان ذلك على سبيل المواساة والمعاونة **النظم** لما ذكر الكفار وامر بقتلهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتلهم ثم ذكر من نافق وحكم قتلهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصله بذكر احكامه من دية وغيره **قوله تعالى** ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما آية **النزول** نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله فارسل

معه قيس بن هلال الفهري وقال له قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه ديته فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه
الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا اخذت دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك لتكون نفس مكان نفس والدية فضل
فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا ورجع الى مكة كافرا وانشد يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فقال النبي صلى الله عليه وآله لا اؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين المعنى لما بين تعالى قتل الخطاء وحكمه عقبه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي قاصدا لقتله عالما بايمانه وحرمته فجزاؤه قيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى التعمد ان
يقتله على دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق فجزاؤه جهنم خالدا فيها ابدا وغضب الله عليه ولعنه ابعده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة واعد له
عذابا عظيما لا يعلم قدره الا الله وصفة قتل العمد ان يقصد قتل غيره بما جرت العادة بان يقتل مثله سواء كان بحديدة حادة كالسلاح او بخنق او سم او احراق او تغريق او موالاة
ضرب بالعصا او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم النخعي والشافعي واصحابنا وقال قوم لا يكون قتل العمد الا بالحديد وبه قال سعيد بن
المسيب وطاوس وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبه العمد فهو ان يضربه بعصا او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغلظة تلزم القاتل
خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الآية وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا حرم الله بقتل المؤمن وغلظ فيه وقال جماعة من التابعين الآية اللينة وهي ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نزلت بعد الشديدة وهي ومن يقتل مؤمنا متعمدا وقال ابو مجلز في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها فهي جزاؤه
ان جازاه ويروى هذا ايضا عن ابي صالح ورواه العياشي باسناده عن ابي عبد الله وقد روي ايضا مرفوعا الى النبي انه قال هو جزاؤه ان جازاه وروي
عاصم بن ابي النجود عن ابن عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكر بن عبد الله وغيرهما انه كما يقول
الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا ابو علي الجبائي فقال ما لا يفعل
لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة فالدراهم التي معه مسلمة لا تسمى جزاء ما لم يعطها وهذا لا يصح لان الجزاء عبارة عن المستحق فعل
ذلك او لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسيء الاساءة وان لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال انه فعل ذلك او لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاؤه
هذا ان يقتل وانما لا يقال للدراهم انه جزاء الاجير لان الاجير انما يستحق الاجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستأجر ان يعطيه منها او من غيرها ومن تعلق بهذه
الآية من اهل الوعيد في ان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فانا نقول لهم ما انكرتم ان يكون المراد به من لا ثواب له اصلا بان يكون كافرا او يكون قتله
مستحلا لقتله او قتله لايمانه فانه لا خلاف ان هذه صفته مخلد في النار ويعضده من الرواية ما تقدم ذكره في سبب نزول الآية واقوال الائمة في معناها
ويعضده وانفقنا على ان الآية مخصوصة بمن لا يتوب بان التائب خارج عن عمومها واما ما روي عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل المؤمن الا اذا قتله في حال
الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى ان يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التغليظ في القتل كما روي عن سفيان الثوري
انه سئل عن توبة القاتل فقال كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلي الرجل قالوا له تب وقال الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء عن ابن عباس
ان رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال جاءني ذاك لم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكي لا يقتل وجاءني هذا وقد قتل فقلت
لك توبة لكي لا يلقي نفسه بيده الى التهلكة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المؤمن لا يوفق للتوبة لا يخلو قلنا لان هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار
التوبة مع انها لو حصلت لازالت العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الآية بالتوبة جاز ان نخص بمن تفضل عليه بالعفو وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى
الاصمعي قال جاء عمرو بن عبيد الى ابي عمرو بن العلاء فقال يا ابا عمرو ويخلف الله ما وعده فقال لا قال افرأيت من اوعده الله على عمل عقابا ايخلف الله وعده
فيه فقال ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف
ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فاوجدني هذا في كلام العرب قال نعم اما سمعت قول الاول واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي وروينا
في الدعاء المروي في الرواية الصحيحة عن الصادقين يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا وهذا يؤيد ما تقدم وقد احتج يحيى بن معاذ في هذا المعنى حين قال
الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا
كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء عاقب لانه حقه واولاهما بربنا العفو والكرم انه غفور رحيم وروى اسحاق بن ابراهيم قال سمعت يحيى بن يونس
يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فاتى رجل فقال يقول يؤتى بي يوم القيامة فاقام بين يدي الله فيقول لي قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل
مؤمنا الآية فقلت له وما في البيت اصغر سنا مني ارأيت ان قال لك فاني قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اين
علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون
خبيرا آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا ههنا في الموضعين بالثاء والتاء وفي الحجرات وقرأ الباقون فتبينوا بالياء والنون في الجميع وقرأ
اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الف وقرئ في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرأ الباقون السلام بالالف وروي
عن ابي جعفر القارئ من بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى ابو القاسم البلخي انه قراءة محمد بن علي الباقر الحجة قال ابو علي من قرأ فتثبتوا
فحجته ان التثبت خلاف الاقدام والمراد التأني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ويبين ذلك قوله واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا به ان

لا يقدموا

لا يقدموا عليه ومن قرأ فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من التثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالعجلة دلالة
على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع تثبت وتوعدنا تبين اين تاه بك الوعيد قال ومن قرأ السلم احتمل ضربين احدهما ان يكون
بمعنى التحية اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف عنه والاخر ان يكون بمعنى لا تقولوا لمن القى اليكم استسلاما لست مؤمنا قال
ابو الحسن يقال فلان سلم اذا كان لا يخالط احدا ومن قرأ السلام اراد الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا
الامر لما يراد منهم ومن قرأ السلم بكسر السين فمعناه الاسلام مصدر اسلم اي صار سلما او خرج عن ان يكون حربا ومن قرأ مؤمنا فانه من الامان فمعناه لا
تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم اللغة جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر يقال لكل شيء يقل لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف
الجوهر عند المتكلمين لانه لا يبقى من اللبث ما يبقى الاجسام والعرض ما يعرض للانسان من مرض ونحوه الاعراب تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو
في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم النزول قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي صلى الله عليه وآله في سرية فلقوا رجلا قد انحاز
بغنم له الى جبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وروي عن ابن عباس وقتادة
انه لما نزلت الآية حلف اسامة ان لا يقتل رجلا قال لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي عليه السلام لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب
طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وكان بعثه في سرية فلقيه عامر بن الاضبط
الاشجعي فحياه بتحية الاسلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي جلس بين يديه وسأله ان يستغفر له فقال عليه السلام لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت
عليه سبعة ايام حتى هلك ودفن فلفظته الارض فقال عليه السلام لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي
جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن اسحاق بن يسار عن ابن عمر وابن مسعود وابي حدرد وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل ابو
الدرداء عن ابن زيد المعنى لما بين تعالى احكام القتل وانواعه عقب ذلك بالامر بالتثبت والتأني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم
اي سرتم وسافرتم في سبيل الله للغزو والجهاد فتبينوا اي ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالثاء والتاء توقفوا وتأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان
متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن اظهر لكم الاسلام ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم اي حياكم بتحية اهل الاسلام او من
استسلم اليكم فلم يقاتلكم مظهرا لكم انه من اهل ملتكم لست مؤمنا اي لست من اهل الايمان حقيقة وانما اسلمت خوفا من القتل او لسنا نؤمنك تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني
الغنيمة والمال ومتاع الحيوة الدنيا الذي لا بقاء له فعند الله مغانم كثيرة اي في مقدوره نوافل نعم ورزق ان اطعتموه فيما امركم وقيل معناه ثواب كثير
لمن ترك قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم انتم مستخفين
بأديانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك
كنتم اذلاء واحادا اذا سار الرجل منكم وحده خاف ان يختطف عن المغربي فمن الله عليكم فيه قولان احدهما فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم
الاسلام بعدما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ للتأكيد بعدما طال الكلام وقيل
الاول معناه تبينوا انه خالد والثاني معناه تبينوا هذه الفوائد فيما ترون لم تعرفوها وابتغوها ان الله كان بما تعملون اي بما تعملونه خبيرا
عليما قبل ان تعملوه قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة
ورحمة وكان الله غفورا رحيما آيتان القراءة قرأ اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير اولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع الحجة قال الرفع
على ان يجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قال في غير المغضوب عليهم انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد واذا جوزيت قرضا فاجزه
انما يجزي الفتى غير الجمل فعلى هذا يكون التقدير لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ويكون نصبه
على اعني القاعدين فالتقدير لا يستوي القاعدون الا اولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في
حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة الضرر النقصان وهو كل ما
يضرك وينقصك من عمى او مرض او علة والدرجة المنزلة ودرجته الى كذا اي رقيته اليه منزلة بعد منزلة وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل
مضى سبيله لانه مضى الى منزلة الآخرة ومنه فلان اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات الاعراب درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر
اي تفضيلا بدرجة وكلا مفعول وعد والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر للاجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات
ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التأكيد لاجرا عظيما لان الاجر العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة كما تقول لك علي الف درهم عرفا كانك
لقولك لك علي الف درهم هو اعتراف فكانك قلت اعرفها عرفا فكانه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله اجرا عظيما فيه معنى غفر ورحم
وفضل النزول نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن الربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من بني واقف تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله يوم تبوك وعذر الله اولي الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم رواه ابو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي حين نزلت
عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى لا ابصر فتغشى النبي الوحي ثم سري عنه

فقال

فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر فكتبها المعنى لما حث سبحانه على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل والثواب فقال لا يستوي
القاعدون من المؤمنين اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله المؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة
الحرب والمشقة بلقاء العدو غير اولي الضرر الا اهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي بهم
والمجاهدون في سبيل الله ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون جهدهم ووسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينهم باموالهم انفاقا لها فيما
يوهن كيد الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة معناه فضيلة ومنزلة وكلا وعد
الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وعد الله الجنة عن قتادة وغيره من المفسرين وفي هذه دلالة على ان الجهاد فرض على
الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا وقيل لان المراد بالكل هنا المجاهدون والقاعدون من اولي الضرر المعذورون فقال
وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير اولي الضرر اجرا عظيما درجات منه اي منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الاعمال
كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة والهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات هي الدرجات السبع التي ذكرها في سورة براءة في قوله
ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الى قوله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن
ما كانوا يعملون فهذه الدرجات السبع عن عبد الله بن زيد ومغفرة ورحمة هذا بيان لخلوص النعيم بانه لا يشوبه غم بما كان منهم من الذنوب بل عفو
له ذلك ثم رحمهم باعطاء النعم والكرامات وكان الله غفورا رحيما لم يزل الله غفارا للذنوب صفوحا لعبيده من العقوبة عليها رحيما بهم
متفضلا عليهم وقد يسأل فيقال كيف قال في اول الاية فضل المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال في اخرها فضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات وهذا متناقض الظاهر واجيب عنه بجوابين احدهما ان في اول الاية فضل الله المجاهدين
على القاعدين من غير اولي الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين ان كانوا تاركين للفضل
والثاني ما قاله ابو علي الجبائي وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى درجة عند الخليفة
من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على قدر استحقاقهم وقال المغربي انما كرر لفظ التفضيل
لان الاول اراد به تفضيلهم في الدنيا واراد بالثاني تفضيلهم في الاخرة وجاء في الحديث ان الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين
مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في
الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء و
الولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ثلاث ايات القراءة روي في الشواذ
عن ابرهيم انه قرأ ان الذين توفتهم الملائكة بضم التاء الحجة قال ابن جني معنى هذا كقولك ان الذين يتوفون على الملائكة اي يحتسبون عليهم فهو نحو
من قولك ان المال الذي توفاه امر الله اي ينتهي اليها ويحتسب عليها كأن كل ملك جعل عليه قبض نفس بعض الناس ثم تمكن من ذلك وتوفيته اللغة التوفي
القبض يقال توفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لان الميت يقبض روحه والتوفي الاحصاء قال الشاعر ان بني ادرم ليسوا من احد ليسوا الى قيس وليسوا
من اسد ولا توفاهم قريش في العدد والماوى المرجع من اوى الى منزله ياوي اويا اذا رجع الى منزله والاستضعاف وجدان الشيء ضعيفا
كالاستطراف نحوه الاعراب توفاهم ان شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لان الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا فيكون مرفوعا
على معنى تتوفاهم حذف احدى التاءين لاجتماع التائين وقد ذكرنا شرحا فيما تقدم ظالمي انفسهم نصب على الحال واصله ظالمين انفسهم الا ان
النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في التقدير كما قال هديا بالغ الكعبة فيم حذفت الالف عن ما الاستفهام وهي في موضع جر بفي والجار مع المجرور في (اي بالغا الكعبة)
موضع نصب لانه خبر كان وخبر ان قالوا فيم كنتم قالوا لهم فحذف لهم لدلالة الكلام عليه ويقال خبر ان قوله فاولئك ماويهم جهنم ويكون قالوا لهم
في موضع نصب بكونه صفة لظالمي انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله ماويهم جهنم الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في موضع
نصب على الحال من المستضعفين النزول قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا اذ خرجوا احدا الا صبيا او شيخا كبيرا او مريضا فخرج
معهم ناس ممن تكلم بالاسلام فلما التقى المشركون ورسول الله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا واصيبوا فيمن
اصيب من المشركين فنزلت فيهم الاية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل انهم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الاسود
وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص منبه بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف عن عكرمة وروى ابو الجارود عن ابي جعفر قال ابن عباس كنت
انا من المستضعفين وكنت غلاما صغيرا وذكر ايضا عنه انه قال كان ابي من المستضعفين من الرجال وامي كانت من المستضعفات من النساء وكنت انا
من المستضعفين من الولدان المعنى ثم اخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرة النبي بعد الوفاة فقال ان الذين توفاهم الملائكة اي تقبض ارواحهم
او تقبض ارواحهم الملائكة المشكة ملك الموت وهو عزيم فان الملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى وما يفعله الملائكة او ملك الموت
يجوز ان يضاف الى الله اذ فعلوه بامره وما تفعله الملائكة يجوز ان يضاف الى ملك الموت اذ فعلوه بامره ظالمي انفسهم اي في حال هم فيها ظالمو
انفسهم اذ بخسوها حقها من الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر قالوا فيم كنتم اي قالت لهم الملائكة فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من دينكم

على وجه

على وجه التقرير لهم او التوبيخ لفعلهم قالوا كنا مستضعفين في الارض يستضعفنا اهل الشرك بالله في ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم
وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله على جهة الاعتذار قالوا اي قالت الملائكة لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي فتخرجوا
من ارضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله ورسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروي
عن سعيد بن جبير انه قال معناه اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج منها ثم قال تعالى فاولئك ماويهم جهنم اي مسكنهم جهنم وساءت مصيرا اي جهنم مصيرا
لاهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون
عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم وهو قوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق
طريق الخروج منها اي لا يعرفون طريقها الى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل
عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا غفورا اي لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه عقوبتهم على
معاصيهم غفورا ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبي يدعو عقيب الصلوة صلوة الظهر اللهم خلص الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة وضعفة المسلمين من ايدي المشركين قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما اية اللغة المهاجرة المفاعلة واصله
من الهجر الذي هو ضد الوصل المراغم المضطرب في البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه فلان فاهاجرته ولم ابال رغم انفه اي لصق
بالتراب انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والرغم الذل والمراغم المغاضب الذي يروم اذلال غيره ومنه حديث اذا صلى احدكم فليلزم جبينه
وانفه الارض حتى يخرج منه الرغم اي حتى يذل ويخضع لله وفعلته على رغمه اي على ذله لما يكره وارغم الله انفه اذله والمراغم الموضع المتحد من المراغمة قال الى بلد
غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب النزول قيل لما نزلت ايات الهجرة سمعها رجل من المسلمين هو جندع او جندب بن ضمرة وهو كان بمكة فقال والله ما انا
ممن استثنى الله اني لاجد قوة واني لعالم بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت بمكة حتى اخرج منها فاني اخاف ان اموت فيها فخرجوا يحملونه على
سرير حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الاية عن ابي حمزة الثمالي وعن قتادة وسعيد بن جبير وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن
دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم المعنى ثم قال تعالى ومن يهاجر يعني يفارق اهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه
الى ارض الاسلام في سبيل الله اي في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة اي متحولا من الارض وسعة في الرزق عن ابن عباس
والضحاك والربيع وقيل مراغما عما يكره وسعة من الضلالة الى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا متسعا مما كان فيه من تضييق المشركين عليه ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله اخبر تعالى ان من خرج من بلده مهاجرا من ارض الشرك فارا بدينه الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد
وقع اجره على الله اي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله وكان الله غفورا اي ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا وما جاء في معنى الاية من الحديث
ما رواه الحسن عن النبي انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد وروى العياشي باسناده عن محمد بن ابي
عمير قال وجه زرارة بن اعين ابنه عبيدا الى المدينة ليستخبر له خبر ابي الحسن موسى بن جعفر وعبد الله فمات قبل ان يرجع اليه عبيد ابنه قال محمد بن ابي عمير حدثني
محمد بن حكيم قال ذكرت لابي الحسن زرارة وتوجيه عبيدا ابنه الى المدينة فقال اني لارجو ان يكون زرارة ممن قال الله فيهم ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الاية
قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اية
اللغة يقال قصر الصلوة ثلاث لغات قصرت الصلوة اقصرها وهي لغة القرآن وقصرتها تقصيرا واقصرتها اقصارا وفتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل
الحجاز وبنو تميم وربيعة واهل نجد كلهم يقولون افتنت الرجل فهو مفتن وقد فتن فتونا اذا دخل في الفتنة وانما قال في الكافرين انهم عدو لان لفظة
عدو يقع على الواحد والجماعة المعنى واذا ضربتم في الارض معناه اذا خرجتم فيها اي سافرتم فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا من الصلوة فيه اقوال
احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا الرباعيات ركعتين ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو قول اكثر الفقهاء وهو مذهب اهل
البيت وقيل يقصر صلوة الخائف من صلوة المسافر وهما قصران قصر الامن من اربع الى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين الى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه
ايضا اصحابنا وثانيها ان معنى القصر من حدود الصلوة عن ابن عباس وطاوس وهو الذي رواه اصحابنا ايضا ان معنى القصر من حدود الصلوة في صلوة شدة الخوف
فانها تصلى ايماء والسجود اخفض من الركوع فان لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة وثالثها ان المراد بالقصر الجمع بين الصلوتين والصحيح الاول
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا يعني خفتم فتنة الذين كفروا في انفسكم وقيل او دينكم معناه ان خفتم الذين كفروا في الصلوة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى على
خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم اي يقتلهم وقيل معناه ان يعذبكم الذين كفروا بنوع من انواع العذاب ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة
وفي قراءة ابي بن كعب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان يفتنكم الذين كفروا من غير ان يقرأ ان خفتم وقيل ان معنى هذه القراءة ان لا يفتنكم او كراهة
ان يفتنكم كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا الاية وظاهر هذه على ان القصر لا يجوز الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببيان النبي ويحتمل
ان يكون ذكر الخوف في الاية قد خرج مخرج الاعم الاغلب عليهم في اسفارهم فانهم كانوا يخافون الاعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير واختلف الفقهاء

والاسلام فنعتب ابو طعمة عليه ... فاعتبر بني ملح واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكى ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا فتجسسا في الدار وسئلا
اهل الدار في ذلك فقال بنو ابيرق والله ما نراه الا لبيد بن سهل رجلا ذا حسب ونسب فلما سمع لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم يا بني ابيرق اترموني
بالسرقة وانتم اولى بها مني وانتم منافقون تهجون رسول الله وتنسبونه الى قريش لتبينن ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله فقال
يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا عليه من ظهرها فاصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله انظر في شأنكم فلما سمع بذلك
رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله فقال ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل بيت منا اهل حسب ونسب
وصلاح وانبوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتادة رسول الله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبها شديدا قال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب
تأتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله ورجع الى عمه وقال يا ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه
رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على
سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال فقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها
وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي ... ... الابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير ... شعر حسان ...
مجاهد وقتادة بن النعمان وعكرمة وابن جريج الا ان قتادة وعكرمة قالوا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله وجاء
بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع
درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي فغضب له قومه فقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب
عليه فانزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لان الخيانة انما تكون في الوديعة لا في السرقة المعنى ثم خاطب الله تعالى نبيه فقال انا انزلنا اليك
يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق الذي يجب له على عباده وقيل معناه انه بالحق لتحكم يا محمد بين الناس بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين
خصيما نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يدفع عنه من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم عنه واستغفر الله امر
بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مؤاخذتهم بها الخطاب وان توجه الى النبي من خاصم
عنه او على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك الامة وانما ذكر ذلك في وجه التأديب له في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد
ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه لم يخاصم عن الخصم انما هم بذلك فعاتبه الله عليه النظم وجه اتصال الآية بما قبلها
انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والامر بمجاهدتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر بالاجتناب عنهم والدفع عنهم وقيل انه تعالى لما بين الاحكام والشرائع
في السورة عقبها بان جميع ذلك نزل بالحق قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من
الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم
في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ثلث آيات اللغة المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر
وان كان بينها فرق فان المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة والمناظرة
فيما يقع بين النظيرين والمحاجة في مجادلة اظهار الحجة واصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل رجل مجدول كانه قد جدل اي فتل والاجدل
الصقر لانه اشد الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت راحة الناس وهدوئهم الاعراب ها للتنبيه واعيدت في اولاء والمعنى
ها انتم الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر عدس ما
لعباد عليك امارة امنت وهذا تحملين طليق اي والذي تحملين طليق النزول نزلت الآيات والقصة التي ذكرناها قبل المعنى ثم نهى عن
المجادلة والدفع عن الخائن مؤكدا لما تقدم فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي حين هم ان يبرئ ابا طعمة لما اتاه قومه ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب
له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ايها الانسان عن الذين يختانون انفسهم اي يخونون نفوسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع ومن شاركه في
السرقة والخيانة وقيل انه اراد به قومه الذين مشوا معه الى النبي وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به السارق وقومه ومن هو في معناهما
وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم كانه راجع اليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في شيء
واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذ سرق الدرع واثيما اذ رمى بريئا اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية
لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة او يرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع ورمى بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في
رميه غيره بها يستخفون من الناس اي يكتمون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين خونوا الدرع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن
الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وهو
معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون خفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله وهو عالم بافعالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
اي يدبرون بالليل قولا لا يرضاه الله وقيل يغيرون القول من جهة يكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي

ثم احلف اني بريء منه فيصدقني المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى دار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون
محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم وخشيتهم عن ارتكاب القبائح
ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب واجدر ان يحذر وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل القبيح ثم يقذف غيره به مسلما كان ذلك الغير او كافرا
ها انتم خطاب للذابين عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اي خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة استفهام يراد
به النفي لانه في معنى التقريع والتوبيخ اي لا مجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله يوم القيمة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ام من
يكون عليهم وكيلا اي من يحفظهم ويتولى معونتهم يعني لا يكون يوم القيمة عليهم وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم واصل الوكيل من جعل اليه القيام بالامر والله تعالى يسمى
وكيلا بمعنى انه القائم بالامر ويقال انما يسمى وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيل لنا وانما يقال انه وكيل علينا قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا و
اثما مبينا ثلث آيات اللغة السوء القبيح الذي يسوء صاحبه من حيث ... سوء ذا لوجه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شأنه ان يسوء الناس بالمكاره واما السيئة
فهي نقيض الحسنة ويجد اصله من الوجد ... ومن الوجد الضالة ... ووجد عليه ... الوجد
... بالادراك والكسب فعل يجر به نفع او يدفع به ضرر ولذلك لا يوصف به القديم المعنى ثم بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال ومن
يعمل سوءا اي معصية او امرا قبيحا او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءا بان يسرق الدرع او يظلم نفسه بان يرمي بها بريئا وقيل السوء الشرك والظلم ما دون
الشرك ثم يستغفر الله اي يتوب اليه ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورا رحيما ... وان عظمت فانها غير مانعة من المغفرة وقبول التوبة ...
وما بوء ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه في المعنى ونظيره ولا تكسب كل نفس الا عليها ... من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما بافعال عباده حكيما في
عقابه وقيل عليما في ضمائرهم وقيل عليما بالسارق حكيما في ايجاب القطع عليه ثم بين تعالى من يكسب اثما ثم يقذف به غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب خطيئة
يعمل ذنبا على عمد او غير عمد وانما الذنب ما تعمد ... وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريئا اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود الى الاثم وقيل الى
واحد منهما وقيل يعني بكسبه فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ... وفي هذه الآيات دلالة على انه لا يجوز ان يخلق افعال خلقه
ثم يعذبهم عليها لانه اذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل ان الكسب مضاف الى العبد فجوابه ان الكسب لو كان ... معنى لم يخرج العبد بذلك عن ان يكون بريئا
لانه اذا قيل ان الله تعالى اوجد الفعل واحدث قدرة واوجد الاختيار في القلب والفعل لا يتخصص فقد انتفى عن العبد من جميع جهاته قوله تعالى ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما
آيتان القراءة فسوف يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وقتيبة والكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون الحجة من قرأ بالياء فلما تقدم من قوله
لولا فضل الله عليك وانزل الله عليك الكتاب ومن قرأ بالنون فلانه اشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم اللغة الهم ...
الهمام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى النحوي هو الاسرار وعند اهل اللغة وقال الزجاج النجوى الكلام ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا ...
نجوت الشيء في اللغة خلصته والقيته يقال نجوت الجلد اذا القيته عن البعير او غيره وقال الشاعر فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه
ونجوت فلانا اذا استنكهته قال نجوت مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد واصله من النجوة وهو ما ارتفع من الارض فالمراد بنجواهم ما ينفردون
بتدبيره من الكلام وقال بنجي فلان اي نجيا والقوم النجية الاعراب الا من امر يجوز ان يكون في موضع جر المعنى الا في نجوى من امر ويجوز ان يكون استثناء ليس
من الاول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من امر بصدقة او معروف ففي نجواه خير وينصب ابتغاء مرضات الله لانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر
مجرور الموضع ايضا على الاتباع لكثير بمعنى لا خير في كثير الا فيمن امر بصدقة كما يقال لا خير في القوم الا نفر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين نحو قوله واذ هم
نجوى ويجوز ان يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير في نجوى الناس الا نجوى من امر وهذا اولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لان حمل الكلام على الاتصال
اولى اذا امكن الحمل بالمعنى النزول قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد من ثقيف قدموا على رسول الله وقالوا يا
محمد جئناك نبايعك على ان لا نكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان نتمتع بالعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه الله منه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس المعنى
ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه وصرف كيدهم عنه وعصمته من الميل اليهم فقال ولولا فضل الله عليك ورحمته قيل فضل الله النبوة ورحمته
نصرته اياه بالوحي وقيل فضله تأييده بالالطاف ورحمته نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة لهمت طائفة منهم لقصدت واضمرت جماعة
من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك فيه قولان احدهما ان المعني بهم الذين شهدوا للخائنين من بني ابيرق بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائي فيكون
المعنى همت طائفة منهم ان يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى اطلعك الله على اسرارهم وخيانتهم ... الا
يجوز وقد مضى ذكرهم عن ابن عباس ايضا والثاني انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما في قوله اذا ضللنا في
الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته اياك لهمت طائفة من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك ... وما يضلون
الا انفسهم وما يزيلون عن الحق الا انفسهم قيل فيهلكون الا انفسهم معناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك والاضلال يعود عليهم حتى استحقوا العذاب

الدائم وما يضرونك من شيء اي لا يضرونك بكيدهم ومكرهم شيئا فان الله حافظك وناصرك ومؤيدك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي
القرآن والسنة وانما اضافه الى ما قبله بالفاء والمعنى كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحي اليك بالاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اي ما لم تعلمه من اخبار
وانباء الرسل الاولين وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما قيل فضله عليك منذ خلقك الى ان بعثك عظيم اذ جعلك خاتم النبيين وسيد
المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال لا خير في كثير من نجويهم اي اسرارهم ومعنى النجوى لا يتم الا بين اثنين فصاعدا كالدعوى الا من امر بصدقة فان في نجواه
خيرا او معروف يعني بالمعروف ابواب البر لاعتراف العقول بها قيل لان اهل الخير يعرفونها او اصلاح بين الناس اي تأليف بينهم بالمودة وقال علي بن
ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي عبد الله ع قال ان الله فرض التجمل في القرآن فقال قلت وما التجمل في القرآن جعلت فداك قال ان
يكون وجهك اعرض من وجه اخيك فتجمل له وهو قوله لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف الاية قال وحدثني ابي رفعه الى امير المؤمنين انه قال
ان الله فرض عليكم زكوة جاهكم كما فرض عليكم زكوة ما ملكت ايديكم ومن يفعل ذلك يعني ما تقدم ذكره ابتغاء مرضات الله اي طلب رضا الله فسوف
نؤتيه اي نعطيه اجرا عظيما اي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فانه دائم واما المنزلة فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة
فلانه غير مشوب بما ينقصه وفي الاية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله فيها لا له ايضا على ان الذي يدعو الى
الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال هو المضل لنفسه وعلى ان الدعاء الى الضلال يسمى اضلالا **قوله تعالى** ومن يشاقق الرسول من بعد ما
تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا آية **اللغة** المشاقة الخلاف مع العداوة وشق العصا فارق الجماعة وشق
المنصف واصله من الشق وهو القطع فهو القطع والمشاقة لان احد المتعاديين يصير في شق غير شق الآخر من اجل العداوة التي بينهما
ومثله الاشتقاق فانه قطع الفرع عن الاصل نوله من الولي وهو القرب وهو القرب من الشيء والولي المطر الذي يلي
الوسمي **النزول** قيل نزلت في شأن ابن ابيرق سارق الدرع ولما انزل الله في تقريعه وتقريع قومه الآيات كفر وارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم نقب حائطا للسرقة
فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب فاخذ ورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي **المعنى** لما بين سبحانه
التوبة عقيبه بذكر حال الاصرار فقال ومن يشاقق الرسول اي من يخالف محمدا ويعاديه من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق والاسلام وقامت له الحجة وصحت لديه
ثبوت نبوته ورسالته ويتبع طريقا غير سبيل المؤمنين اي غير طريقهم الذي هو دينهم نوله ما تولى اي نكله الى من انتصر به واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نخلي بينه وبين ما
اعتمده من دون الله اي نقرب منه ما قرب نفسه اليه عن الخذلان ونصله جهنم اي نلزمه دخول جهنم عقوبة له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى
وساءت مصيرا اي مرجعا وقد استدل بعضهم بهذه الاية على ان اجماع الامة حجة لانه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول والصحيح انه لا يدل على ذلك
لان ظاهر الاية يقتضي ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا لان من اظهر الايمان لا يوصف بانه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان
وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا ومتى حملوا الاية على بعض الامة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد ص على ان ظاهر الاية
يقتضي ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما يتناوله الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد انما يتناول
مشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الاية فيجب ان يستدلوا على تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين بدليل آخر **قوله تعالى** ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا آية قد مضى تفسيره فيما تقدم وقوله فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو نعيم
المقيم في الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله **قوله تعالى** ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا
لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا خمس
آيات **القرائة** القراءة المشهورة الا اناثا وروي في الشواذ عن النبي ص الا انثا بالثاء قبل النون وهي ساكنة **الحجة** اما انث فجمع انيث واصله وثن قلبت الواو
همزة نحو وجوه واجوه ووعد واعد فاما انث بسكون الثاء فهو كاسد بسكون السين واما انثا بتقديم النون على الثاء فيمكن ان يكون جمع انيث كقولهم سيف انيث الحديد
ويمكن ان يكون جمع اناث **اللغة** المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتي الخارج عن الطاعة والمتملس منها يقال حائط امرد اي املس وشجرة مرداء تناثر ورقها
ومنه سمي من لم تنبت له اللحية امرد اي املس موضع اللحية ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة واصل اللعن الابعاد وقيل الطرد واللعين واصل الفرض
القطع والفرضة الثلمة تكون في النهر والفرض الحز الذي يكون في السواك وغيره يشد فيه الخيط والفرض في القوس الحز الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله به العباد
فجعله حتما عليهم قاطعا ومنه قول الشاعر اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا فالفرض هنا التمر وانما سمي التمر فرضا لانه يؤخذ في فرائض الصدقة
والتبتيك التشقيق والبتك القطع بتكه يبتكه بتكا والبتكة مثل القطعة والبتك القطع قال زهير حتى اذا ما هوت كف الغلام لها طارت وفي كفه من ريشها
بتك والمحيص المعدل يقال حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا وحيصانا بمعنى قال ولم ندر ان جضنا عن الموت جضة كم العمر باق والمدى متطاول
ان على اربعة اوجه النافية كما في الاية ان يدعون اي ما يدعون والثاني ان المخففة من الثقيلة كما في قوله وان كانت لكبيرة وتلزمها اللام للتأكيد والثالث ان الجازمة
كما في قوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا لعنه الله جملة في موضع
النصب بانها صفة لقوله شيطانا واللام في لاتخذن وما بعده لام اليمين وانما يدخل على جواب القسم لان القسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمرا في جميع

المعنى لما ذكر في الاية المتقدمة اهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الاية حالهم وفعالهم فقال ان يدعون اي ما يدعون هؤلاء المشركون وما يعبدون من
دون الله الا اناثا فيه اقوال احدها الا اوثانا وكانوا يسمون الاوثان باسم الاناث اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واساف ونائلة عن ابي مالك والسدي ومجاهد
وابن زيد وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة انثى تتراءى للسدنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال
لعنه الله قالوا واللات كان اسما لصخرة والعزى كان اسما لشجرة الا انهم نقلوهما الى الوثن وجعلوهما علما عليهما وقيل العزى تأنيث الاعز واللات تأنيث لفظ الله
وقال الحسن كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الانثى وثانيها ان المعنى الا امواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله الا جمادا
امواتا لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسماها اناثا لاعتقاد مشركي العرب الانوثة في كل ما اتضعت منزلته ولان الاناث
من كل جنس ارذله وقال الزجاج لان الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول الاحجار يعجبني ولا تقول يعجبون ويجوز ان يكون سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها
وثالثها ان المعنى الا ملائكة لانهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ماردا شديدا في كفره وعصيانه
متماديا في شركه وطغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى في اول الكلام عبادتهم لغير الاوثان ثم اثبت في آخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الاخر ما نفاه في الاول اجاب الحسن
عن هذا فقال انهم لم يعبدوا الا الشيطان في الحقيقة لان الاوثان كانت مواتا ما دعا احدا الى عبادتها بل الداعي الى عبادتها الشيطان فاضيف العبادة الى الشيطان بحكم
الدعاء والى الاوثان لاجل انهم كانوا يعبدونها ويدل عليه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن فنفت الملائكة عبادتهم الى الجن حتى قيل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدونها
شيطان مريد يدعو المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الاية اثبات المنفي بل ما يعبدون الا الاوثان والا الشيطان
وهو ابليس لعنه الله اي ابعده الله عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم وقال يعني الشيطان لما لعنه الله لاتخذن من عبادك نصيبا اي حظا مفروضا اي معلوما
عن الضحاك وقيل مقدرا محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من اطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه
يضله وروي ان النبي ص قال في هذه الاية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف واحد لله وسائرهم للنار ولابليس اوردهما
ابو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له نصيبا مفروضا من عباد الله والجواب علم ذلك من قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل انه لما نال من آدم ما نال
طمع في ولده وانما قال ذلك ظنا ويؤيده قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم هذا من مقالة ابليس يعني لاضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه
الى الضلال وتسبيله وتسببه له بحبائله وغروره ووساوسه ولامنينهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الاخرة وقيل معناه اقول
لهم ليس وراءكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين
لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعو كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه في المعصية ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعن
ولآمرنهم بتبتيك آذان الانعام فليبتكن اي فليشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن الآذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله ع وهذا شيء قد كان مشركو
العرب يفعلونه يجدعون آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسنذكر ذلك في سورة المائدة ان شاء الله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اي لآمرنهم بتغيير خلق الله
فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله وامره عن ابن عباس وابرهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروي عن ابي عبد الله ع ويؤيده قوله سبحانه فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصاء عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء
في البهائم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان وليا اي ناصرا وقيل ربا يطيعه من
دون الله فقد خسر خسرانا مبينا اي ظاهرا واي خسران اعظم من استبدال اهل الجنة بالنار واي صفقة اخسر من استبدال رضا الشيطان من رضا الرحمن يعدهم الشيطان
ان يكون لهم ناصرا ويمنيهم الاكاذيب والاباطيل وقيل معناه يعدهم الفقر ان انفقوا مالهم في ابواب البر ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها ليؤثروها على
الاخرة وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل وحقيقة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر اولئك اشارة الى الذين اتخذوا اولياء من دون الله
فاغتروا بغروره وتابعوه في ما دعاهم اليه مأويهم اي مستقرهم جميعا جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ولا مهربا ولا مفرا **قوله عز وجل** والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا آية قد مضى تفسير الاية مثل هذه في هذه السورة وقوله
اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا ونحوه باشمام الزاي كوفي غير عاصم وروي الباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط في الفاتحة قوله وعد الله نصب
على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل معنى الكلام الذي تقدم على فعله الناصب له وحقا ايضا مصدر مؤكد لما قبله كأنه قال احقه حقا وقيلا
منصوب على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلا ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه ومن اصدق من الله قيلا فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولا فيما وعد به والجزم وعلى
تمامه **قوله تعالى** ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او
انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا آيتان **القرائة** يدخلون الجنة بضم الياء هنا وفي مريم وحم مكي بصري وابو جعفر وابو بكر والباقون
يدخلون بفتح الياء وضم الخاء **الحجة** حجة من قرأ يدخلون قوله ادخلوها بسلام آمنين وحجة من قرأ يدخلون انهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله
الاماني جمع امنية وهي تقدير الامر في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن الامنية افعولة من المنية واصل التقدير يقال مني له الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت
المنية وهي فعيلة اي مقدرة والنقير النكتة في ظهر النواة كان ذلك نقرا فيه **الاعراب** اسم ليس مضمر لان الكلام عليه تقديره ليس الامر باما نيكم ولا ليس

الثواب بامانيكم ولا يجد بجزم عطفا على الجزاء الواقع على الشرط وهو قوله يجز والوقف عند قوله اهل الكتاب تام ثم استوى الخبر بعدها بمن يعمل من موضع رفع
بالابتداء على ما تقدم نكرة امثاله ومن في قوله من الصالحات مزيدة وقيل للتبعيض لان العبد لا يطيق جميعها وقيل انه للتبيين للجنس قال وهو مؤمن في محل النصب على الحال
فاولئك يدخلون الجنة جمع لان من مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى النزول قيل تفاخر المسلمون واهل الكتاب
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب وديننا الاسلام فنزلت الاية فقال
اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله الاية التي بعدها ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففلج المسلمون عن قتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نزلت الاية عن مجاهد المعنى ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال عقيب ذلك ليس
بامانيكم ومعناه ليس الثواب والعقاب بامانيكم ايها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ولا
اماني اهل الكتاب في انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهذا يقوي القول الاخير على انه لم يجر ذكر للمسلمين في الاماني وذكر اماني الكفار قد جرى في قوله ...

وقيل انما سمي خليلا لانه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه وانما خصه من بين الانبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما
وان كان كل واحد من الانبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة وقد دعي النبي صلى الله عليه وآله فقال قد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه وهذا الوجه حكاه ابو علي
الجبائي قال وكل ما تعبد الله به ابراهيم فقد تعبد به نبينا وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم ثم ذكر وجه خلة ابراهيم ما روي في التفسير ان ابراهيم كان يضيف الضيفان
ويطعم المساكين وان الناس اصابهم جدب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لاهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله بمفازة ذات رمل فملأ غرائره من
ذلك الرمل لئلا يغتم اهله برجوعه من غير ميرة فحول الله ما في غرائره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغرائر وعجنوا من الدقيق وخبزوا
وقدموا اليه طعاما طيبا فسألهم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال اما انه من خليلي وليس بمصري فسماه الله سبحانه خليلا
وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام ان الله سبحانه انما اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه
الى خلته فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وهو مستغن عن جميع خلقه والخلق محتاجون اليه وكان الله بكل شيء محيطا يعني لم يزل سبحانه عالما بجميع ما يفعل ...

قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ يصلحا كما تقول اصلحت بينهم صلحا ومن قرأ يصالحا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا به لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال فان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله ما اكرت خاجتها الدجاج بسحرة وقوله وبعد عطائك المائة الرتاعا اللغة الشح هو ذكره في هذه السورة والشح افراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الاغراض يقال هو شحيح بمودتك اي حريص على دوامها لا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة بفقدك الا من طاح طائح يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت النفوس الشحائح الاعراب وان امرأة خافت امرأة ترتفع بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو خافت وما قبل الذكر على شريطة التفسير وتقديره وان خافت ولا تفصل بينها وبين ما يجزم امرأة وان قلت ان امرأة تخف فرقت بين الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لان ذلك في الشعر جائز في ان وغيرها قال الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه ويعطف عليه كأس الساقي فاما الماضي فان غير عامل في لفظه وان لم تكن من حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل فاما غير ان فالفصل قبيح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا النزول كانت بنت محمد بن مسلم عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت بل راجعني على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله انزل فيه هذه الاية عن ابي جعفر وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله فقالت لا تطلقني واجلسني مع نسائك ولا تقسم لي واجعل يومي لعائشة فنزلت الاية عن ابن عباس المعنى ثم اتبعه حكم نشوز المرأة بين سبحانه وتعالى نشوز الرجل فقال وان امرأة خافت اي علمت وقيل ظنت من بعلها اي من زوجها نشوزا اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما لبغضه واما لكراهة منه شيئا منها اما دمامتها واما علو سنها او غير ذلك او اعراضا يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها منه قيل معنى المعرض عنها بمجانبة اياها جفاها وميلا الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج ولا اثم على كل واحد منهما من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المرأة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة او كسوة او غير ذلك لتستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والصلح خير معناه والصلح بترك بعض الحق خير من طلب الفرقة بعد الالفة هذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما يسوغ في الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها [illegible] وبهذا قالت الصحابة والتابعون منهم علي وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح خلقت عليه وقيل معناه واحضرت انفس النساء الشح على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهن واياماتهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي وقيل معناه واحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة وغيرهما وشح الرجل بانفاقه على التي لا يريدها هذا العربية قال ابن وهب بن زيد وان تحسنوا خطاب للرجال اي وان تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكرهون من النساء وتتقوا من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصي الله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي هو عالم بما يكون منكم في امرهن يحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم باعمالكم قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما اللغة الاستطاعة والقوة والقدرة نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع من صفات القديم اختلف في معناه وقيل انه واسع العطاء اي المكرم وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله ورحمتي وسعت كل شيء وقيل انه واسع المقدور المعنى لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بانه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لن تقدروا ان تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص لان ذلك ليس اليكم ولا تملكونه فلا تكلفونه ولا تؤاخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الامور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبر والبشر وغير ذلك والمراد بين ذلك لا يخف عليكم بل يثقل ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل اي فلا تعدلوا باهوائكم عمن لم تملكوا محبته منهن كل العدل حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة اي تذرون التي لا تميلون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره انه قال سأل رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على ابي عبد الله فسألته عن ذلك فقال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فانه عنى في النفقة واما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى في المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امرأتين في المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي ص انه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك قوله وان تصلحوا يعني في القسمة بين الازواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك وتتقوا الله في امرهن بترك الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الاخرى فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك كان كذلك يفعل فيما مضى مع غيركم وذكر عن جعفر الصادق عن ابيه ان النبي ص كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن وروي ان عليا ع كانت له امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وكان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يعني ان ابى كل واحد من الزوجين مصالحة الاخر بان تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الرجل من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فانه سبحانه يغني كل واحد منهما من سعته اي من سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما اي لم يزل واسع الفضل على العباد حكيما فيما يدبره وفي هذه الاية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يسوقها بحكمته وان كان

يقترها على من يشاء من بريته قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا المعنى ثم ذكر سبحانه بعد اخباره بانه يغني كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال ولله ما في السموات وما في الارض اخبارا عن كمال قدرته وسعة ملكه اي فان من يملك ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفقر والايناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والاخرة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اي ووصيناكم ايها المسلمون في كتابكم ان اتقوا الله تقديره بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه وان تكفروا اي تجحدوا وصيته اياكم وتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض لا يضره كفركم وعصيانكم وهذا اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس لاستكثاره بهم عن قلة ولا لاستنصاره بهم عن ذلة ولاستغنائه بهم عن حاجة فان له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يلحقه العجز ولا تغيره الضعف ولا يجوز عليه الحاجة وانما امرهم ونهاهم نعمة منه علينا ورحمة بنا وكان الله غنيا اي لم يزل غير محتاج الى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون اليه حميدا اي مستوجبا للحمد عليكم بصنائعه الحميدة اليكم وآلائه الجميلة لديكم فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يأمركم به ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شيء ولا يؤوده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله ولله ما في السموات وما في الارض في الايتين ثلاث مرات فقد قيل انه للتأكيد والتذكير وقيل انه لبيان عن علل ثلاث احدها بيان ايجاب طاعته فيما قضى تدبيره لهم لان له ملك السموات والارض والثاني بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما في السموات وما في الارض والثالث بيان حفظه اياهم وتدبيره لهم لان له ملك السموات والارض قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا المعنى لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بان له ما في السموات وما في الارض عقب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وانه له الاهلاك والانجاء والاستبدال بعد الافناء فقال ان يشأ يذهبكم اي يذهبكم ربنا الله يهلككم ايها الناس ويفنيكم وقيل فيه محذوف اي ان يشأ ان يذهبكم يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين اي بقوم اخرين غيركم ينصرون نبيه ويؤازرونه ويروى انه لما انزلت هذه الاية ضرب النبي ص يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اي لم يزل سبحانه ولا يزال قادرا على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه تمام ملكه وقدرته بان جزاء الدارين عنده فقال من كان يريد ثواب الدنيا اي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عمن اظهر الايمان بمحمد من اهل النفاق يريد عرض الحياة الدنيا بما اظهر من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي يملك سبحانه الدنيا والاخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا ما يأخذون من الفيء والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم في الاخرة النار وكان الله سميعا بصيرا اي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات هذا الوجه هو الصفة التي هي كونه حيا الا انه يدرك وقيل انما ذكر هذا ليبين انه يسمع ما يقوله المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نفاقهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا القراءة قرأ ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة والثانية ساكنة الحجة من قرأ تلوا فحجته ان يقول انه من الولاية وولاية الشيء اقبال عليه خلاف الاعراض عنه فيكون المعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم يجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيء المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه ومن قرأ تلووا فهي من اللي مثل الاعراض فيكون كالتكرير لان قوله تلووا وتعرضوا بمعنى واحد ويصدق معنى الاعراض في ترك الانقياد للحق ومن قرأ تلووا من لوى فحجته ان يقول لا يستنكر ان يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقول الشاعر وهند اتى من دونها النأي والبعد وقول الاخر والفى قولها كذبا ومينا وقيل ان تلوا يجوز ان يكون تلووا ابدل الواو التي هي عين همزة لانضمامها كما همزت في ادؤر ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصار تلوا كما تطرح الهمزة في ادؤر وتلقى حركتها على الدال فتصير ادر اللغة القسط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده ويد قسطاء يابسة فكان معنى اقسط اي ازال الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسط اي جار معناه ازال الشيء عن جهته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو ان يكون عادته القيام واللي الدفع يقال لويت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مطل الغني جور الاعراب شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين امنوا ويجوز ان يكون خبر كان على ان لها خبرين نحو هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما قيل انما اراد فالله اولى بغنى الغني وفقر الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل انما ثنى الضمير لان او في هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه يجوز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية وقد ذكر ان في قراءة ابي فالله اولى بهم وقيل انما قال بهما لانهما قد ذكرا كما قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر فيه من خاصم على ما تقدم ذكره في المعنى شرحا وان تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له اي هوى كراهة ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا المعنى لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والاخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط اي دائمين على القيام بالعدل ومعناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله تعالى عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقربا اليه وطلبا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوامين بالحق في الشهادة على من كانت له من قريب او من بعيد ولو على انفسكم اي ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اي على والديكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل

واقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغنى غني او لفقر فقير فان الله قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذه الآية دلالة
على جواز شهادة الوالد لولده والولد لوالده وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقرابته وعليه واليه ذهب ابن عباس في قوله امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او آبائهم والوالد لولده
او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت منهم امور حملت الولاة
على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم ولا تكون شهادة الانسان على نفسه الا بالاقرار للخصم فاراد الشهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل ان يكن غنيا او فقيرا معناه
ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا او المشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك ان الشاهد ربما امتنع عن اقامة الشهادة
للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن اقامة الشهادة للفقير على الغني تهاونا بالفقير وتوقيرا
للغني وخشية منه وحشمة له فبين سبحانه بقوله فالله اولى بهما انه اولى بالغني والفقير وانظر لهما من سائر الناس اي فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه
ونظرا له ولا من اقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به فان الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغنى الغني وفقر الفقير في عواقب امورهم فيما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم
فلا تتبعوا الهوى معناه فلا تتبعوا هوى انفسكم في اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاخر بينكم وبينه عداوة او حسد او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاجل هذه المعاني وتشهدوا للانسان
بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة ان تعدلوا اي لان تعدلوا يعني لاجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولك لا تتبع هواك لترضي ربك اي كيما ترضي ربك
وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور معناه ولا تتبعوا الهوى مخافة ان تعدلوا عن الحق ولا ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي تمطلوا في اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها
عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي وان تلووا ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الاخر او تعرضوا عن احدهما الى الاخر عن ابن عباس والسدي وقيل معناه
ان تلووا اي تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه كان عالما بما يكون منكم من
اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك طريق العدل بالنفس والغير فذلك عن ابن عباس في
معنى قوله وان تلووا او تعرضوا هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الاخر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا آية القراءة
قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل بالضم وكسر الزاي والباقون نزل وانزل بفتحهما الحجة من قرأ بالضم فحجته قوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم
ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرأ نزل وانزل فحجته انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وانزلنا اليك الذكر المعنى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و
رسوله قيل فيه ثلاثة اقوال احدها هو الصحيح المعتمد ان معناه يا ايها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ويكون
الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن والكتاب الذي انزل من قبل هو التوراة والانجيل عن الزجاج و
غيره وثانيها ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه
عن الحسن واختاره الجبائي قال لان الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال وثالثها ان الخطاب لاهل الكتاب
امروا بان يؤمنوا بالنبي والكتاب الذي انزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب ويكون في قوله والكتاب الذي انزل من قبل الاشارة الى ما معهم من التوراة والانجيل
ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون لان التوراة والانجيل فيهما صفة نبينا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه ولم يصدق القرآن لا
يكون مصدقا بهما لان في تكذيبه تكذيب التوراة واما ان يكون تعالى امرهم بالاقرار بمحمد وبالقرآن وبالكتاب الذي انزل من قبله وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى
ايضا وهو نبي مرسل ويعضد هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال ان الآية نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن اخت
عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقيل لهم
بل آمنوا بالله ورسوله الآية فآمنوا كما امرهم الله ومن يكفر بالله اي بمحمد او بنبيه بخلقه وبيد دائرة في نهيه وملائكته اي بنفيهم او بتنزيلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات
الله وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم واليوم الآخر اي يوم القيامة فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن الحق وبعد قصد السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن الضلال
البعيد هو ما لا ائتلاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من الخلق بشيء مما امر الله به الا بالايمان به وبما انزل الله
عليه وفي هذه الآية دلالة على ان الكلام لاهل الكتاب اعلاما لهم ان اقرارهم بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوة محمد ويكون
وجوه وعده سوى النظم اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان ومراعاته وقيل انها متصلة بقوله كونوا قوامين
بالقسط القيام بالقسط هو الايمان على الوجه المذكور قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ثلاث آيات
اللغة اصل البشارة الخبر السار الذي يظهر به السرور في بشرة الوجه لكنه ههنا استعمل في الخبر الذي يغمهم ايضا فوضع خبرهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول
تحيتك الضرب وعتابك السيف اي تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع واصل العزة
الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي ان يكون كذا اي اشتد علي وعز الشيء اذا صعب وجوده واشتد حصوله وتعزز فلان بفلان اذا اشتد
ظهره به والعزيز القوي المنيع بخلاف الممتنع الذليل المعنى ثم قال ان الذين آمنوا ثم كفروا قيل في معناه اقوال احدها انه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل
وغير ذلك ثم آمنوا يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد عن قتادة وثانيها انه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى

ازدادوا

ازدادوا كفرا بمحمد عن الزجاج والفراء وثانيها انه عنى به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من اصحاب رسول الله فكانوا يظهرون الايمان بحضرتهم ثم
يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على
الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وثالثها ان المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن
عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي في البر والبحر لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم باظهارهم الايمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا
فيما بعد ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه يخذلهم ولا يلطف لهم عقوبة
لهم على كفرهم المتقدم ثم قال بشر المنافقين اي اخبرهم يا محمد بان لهم في الآخرة عذابا اليما اي وجيعا ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الآية
المتقدمة نزلت في شأن المنافقين وانه لا يصح الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين من مشركي العرب وقيل اليهود اولياء اي انصارا
ومعينين واخلاء من دون المؤمنين اي من غيرهم ايبتغون عندهم العزة اي يطلبون عندهم القوة والمنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون اهل الايمان بالله ثم اخبر
سبحانه ان العزة والمنعة له فقال فان العزة لله جميعا يريد سبحانه انهم لو آمنوا مخلصين طلبوا الاعزاز بالله تعالى وبدينه ورسوله والمؤمنين لكان اولى بهم من الاعتزاز
بالمشركين فان العزة باجمعها لله ومن عنده يعز من يشاء قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا آية القراءة قرأ عاصم ويعقوب نزل بالفتح والباقون نزل
بضم النون وكسر الزاي الحجة الوجه في القراءتين ما ذكرناه قبل الاعراب اذا سمعتم آيات الله ان مخففة من الثقيلة في موضع نصب لان تقديره نزل الله ذلك واذا قرئ نزل
فان في موضع الرفع وان هذه هي المخففة من الثقيلة النزول كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس
المعنى لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم الكفار عقب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر
بها ويستهزأ بها اي يكفر بها المشركون والمنافقون ويستهزئون بها فلا تقعدوا معهم اي مع هؤلاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى يخوضوا في
حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في
آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث
غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفر واستهزاء بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
انكم اذا مثلهم يعني انكم اذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزء به فانتم مثلهم وانما حكم بانهم مثلهم بانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهة
لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه
فهو مخطئ آثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من اي جنس كانوا وبه قال جماعة من اهل التفسير وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابراهيم
وابو وائل قال ابراهيم من ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس بكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي انه ضرب رجلا صائما كان قاعدا مع
قوم يشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده
وروي عن ابن عباس انه قال امر الله تعالى في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي والجبائي وجماعة من المفسرين وقال
الجبائي واما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهة لما يسمعه او يراه
قال وفي الآية دلالة على بطلان قول نفاة الاعراض وقولهم ليس هنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غيرا لما كانوا فيه وذلك هو الخوض
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة كما اتفقوا في الدنيا على عداوة
المؤمنين والمظاهرة عليهم قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ
عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا آية اللغة التربص الانتظار والاستحواذ
الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال العجاج يصف ثورا وكلابا يحوذهن وله حوذي ويروى يحوزهن وله حوزي
استحوذ مما خرج على اصله فمن قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذ واطيب واطيبت فاخرجه على الاصل قال استحوذ و
الاحوذي الحاذ المنكمش الخفيف في اموره المعنى ثم وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ايها المؤمنون لانهم كانوا
يقولون سيهلك محمد واصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم فتح من الله اي فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء قالوا الم نكن معكم نجاهد عدوكم
ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين نصيب اي حظ باصابتهم من المؤمنين قالوا اي قال المنافقون للكافرين
الم نستحوذ عليكم اي الم نغلب عليكم من التمكن ومعناه الم نغلبكم على رأيكم بالموالاة لكم ونمنعكم من الدخول في جملة المؤمنين وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه
نصحكم الى انفسنا لعطفكم على اسرار محمد واصحابه ونكتب اليكم اخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج ونمنعكم من المؤمنين اي ندفع
عنكم صولة المؤمنين بتخذيلنا اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم فالله يحكم بينكم يوم القيامة هذا اخبار منه عن نفسه بانه الذي يحكم بين
الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قيل فيه اقوال احدها ان المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا
عن ابن عباس وقيل لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي

قال

قال الجبائي ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لأن غلبة الكفار للمؤمنين ليست مما فعله الله فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلا لأنه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بين الله سبحانه انه ان يثبت لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا بالقتل والقهر والنهب والأسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيمة عليهم سبيلا **قوله تعالى** ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا **البيان القرائة** في الشواذ قرائة عبد الله بن ابي اسحق يرؤن الناس مثل يرعون والقرائة المشهورة يراؤن مثل يراعون وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال الثانية **الحجة** قال ابن جني يرؤن يفعلون من رأيت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطون وهو اقوى من يراؤن بالمد على يفاعلون لأن معناه يتعرضون لأن يروهم قال الشاعر ترى دونه عند مقعد غوثها تهاديا من اجلاء نهم هام وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر مسيرة شهر للبريد المذبذب اي المهتز القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هؤلاء **اللغة** يقال ذبذبته فتذبذب اي حركته فتحرك وهو كتحريك شيء معلق به قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب **الاعراب** كسالى منصوب على الحال من الواو في قاموا مذبذبين نصب على الحال من المنافقين **المعنى** ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة فقال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين لله اظهارهم الايمان الذي حقنوا به دماءهم واموالهم وقيل معناه يخادعون النبي كما قال انما يبايعون الله فسمى مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص ولأن ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل هو ان يعطيهم الله نورا يوم القيمة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن السدي والحسن وجماعة من المفسرين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اي متثاقلين يراؤن الناس يعني انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على وجه القربة الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم حذرا من القتل وسلب الاموال واذا رآهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشي باسناده عن مسعدة بن زياد عن ابي عبد الله عن ابائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل فيم النجاة غدا قال النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الايمان ونفسه يخدع لو يشعر فقيل له فكيف يخادع الله قال يعمل بما امره الله ثم يريد به غيره فاتقوا الرياء فانه شرك بالله ان المرائي يدعى يوم القيمة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك ولا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له ولا يذكرون الله الا قليلا ومعناه لا يذكرون الله من نية خالصة ولو ذكروه مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقلة لأنه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو التكبير والاذكار التي يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القرائة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقلة لأنه سبحانه لم يقبله وكل ما رده الله فهو قليل مذبذبين بين ذلك اي مرددين بين الكفر والايمان يريد كانه فعل بهم ذلك وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذبذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذي هو الطرد وصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه وهذه لا تدري ايهما تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا مع هؤلاء في الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه والمشركون يظهرون الكفر كما يضمرونه ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي طريقا ومذهبا قد مضى ذكر معنى الاضلال مشروحا في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ثلاث آيات **القرائة** قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها **الحجة** هما لغتان كالنهر والنهر والشمع والشمع والقص والقصص **اللغة** السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويؤنث قالوا قضت عليك السلطان وامرك به السلطان ولم يات في القرآن الا مذكرا وقيل للامير سلطان ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل بالرشاء ويعلق به الدلو ثم لما كان في النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك **المعنى** ثم نهى سبحانه عن موالاة المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اي انصارا من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله لا يعاقب احدا الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له على الخلق لولا معصيتهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا لله سبيلا الى عذابكم بكفركم ثم بين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اي في الطبق الاسفل من النار فان النار طبقات ودركات كما ان الجنة درجات فيكون المنافق على اسفل طبقة منها لقبح عمله عن ابن كثير وابي عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان يكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها الا ان الاول عن ابي القاسم البلخي ولن تجد لهم نصيرا اي لا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم وينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم استثنى تعالى فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة في المستقبل واعتصموا بالله اي تمسكوا بكتاب الله وصدقوا

صه

ورسله وقيل وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اي تبرؤا من الالهة والانداد وقيل طلبوا بايمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين اي فانهم اذا فعلوا ذلك يكونون في الجنة مع المؤمنين ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية ووعد واطماع ومن الله ايجاب لانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرط عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك المؤمنون او من المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عني به جميع المؤمنين من تقدم منهم بالكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به ان الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق **قوله تعالى** ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما آية **المعنى** ثم خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا واصلحوا اعمالهم فقال ما يفعل الله بعذابكم والمعنى ولا حاجة بالله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من جهنم لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع به عن نفسه ضررا اذ هما يستحيلان عليه ان شكرتم اي اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه وآمنتم به وبرسله واقررتم بما جاؤا به من عنده وكان الله شاكرا يعني لم يزل سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمي الجزاء باسم المجزي عليه عليما بما تستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من اعمالكم واقوالكم ويجازيكم عليها قال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنها عليم باعمالهم **قوله تعالى** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا آيتان **البيان القرائة** على ضم الظاء من ظلم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام **الحجة** قال ابن جني ظلم وظلم على الاستثناء المنقطع اي لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه امره ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما قال ويجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى احد المعنى لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا المظلوم قال وفيها وجه آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول **المعنى** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول قيل في معناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم في الانتصار الا من ظلم فلا بأس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي عن ابي جعفر ونظيره ولمن انتصر بعد ظلمه قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زاني ان يقابل له بمثل ذلك من انواع الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة ويكره رفع الصوت بما يسوء الغير الا المظلوم يدعو على من ظلمه وثالثها ان المراد لا يحب الله ان يذم احد احدا او يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو من ظلمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد وروي عن ابي عبد الله ان الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه ان يذكره بسوء ما فعله وكان الله سميعا لما يجهر به من سوء القول عليما بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلا بعمله وفي هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق واخبار بتنزيهه ذاته تعالى عن ارادة القبائح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ان تبدوا اي تظهروا خيرا اي حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال اي تظهروا الصدقة او تخفوها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي اذنت لكم ان تجهروا به فان الله كان عفوا اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم قديرا اي قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام والمكافات فانه تعالى مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الآية التي قبلها اباحة الانتصار من الظالم بشرط ان يقتصر على حد الظلم وموجب الشرع **النظم** وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه انه ليس كلما يقع في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى **قوله تعالى** ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ثلث آيات **القرائة** قرأ حفص يؤتيهم بالياء والباقون نؤتيهم بالنون **الحجة** حجة حفص قوله سوف يؤت الله المؤمنين وحجة من قرأ نؤتيهم قوله وآتينا الكل اجرا عظيما اولئك سنؤتيهم اجرا **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر المنافقين عقبه بذكر اهل الكتاب والمؤمنين فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى اليهم وذلك معنى ارادتهم التفريق بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذاك كما فعل اليهود صدقوا بموسى ومن تقدم من الانبياء وكذبوا بعيسى ومحمد وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي طريقا الى الضلالة التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه اولئك هم الكافرون حقا اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا بدعوتهم انهم يقرون بما زعموا انهم مقرون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله وانما قال تعالى اولئك هم الكافرون حقا على وجه التأكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن ببعض يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين واعتدنا اي اعددنا وهيأنا للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين آمنوا بالله ورسله اي صدقوا الله ووحدوه واقروا بنبوة رسله ولم يفرقوا بين احد

منهم

منهم بل آمنوا بجميعهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم أي سنعطيهم أجورهم وسمى الله الثواب أجراً للدلالة على أنه مستحق أي نعطيهم ثوابهم الذي استحقوه على إيمانهم
بالله ورسله وكان الله غفوراً رحيماً أي لم يزل كان غفوراً لمن هذه صفتهم فما سلف منهم من المعاصي والآثام رحيماً متفضلاً عليهم بأنواع الإنعام يأتيهم
إلى دار السلام **قوله تعالى** يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم
الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً الثاني القراءة قرأ أهل المدينة لا تعدّوا بتسكين العين وتشديد الدال وروى ورش عن نافع تعدّوا
بفتح العين وتشديد الدال وقرأ الباقون لا تعدوا خفيفة الحجة من قرأ لا تعدّوا فأصله لا تعتدوا فأدغم التاء في الدال لتقاربهما ولأن الدال يزيد على التاء
في الجهر قال أبو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني منهما مدغماً ولم يكن الأول حرف مد ولين نحو دابة وأصيم تموا الثوب ويقولون
إن المد يصير عوضاً من الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب بكر فأدغموا مع أن المد الذي فيهما أقل من المد الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منهما فإذا جاز ذلك
مع نقصان المد الذي فيه لم يمتنع أن يجمع بين ساكنين في نحو لا تعدّوا ويقوي ذلك جواز نحو أصيتم دويبة وتميق ومن قرأ لا تعدّوا فإن الأصل فيه لا تعتدوا
فسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها إلى العين الساكنة قبلها فصار لا تعدّوا ومن قرأ لا تعدوا فهو من لا تفعلوا مثل قوله تعالى إذ يعدون في السبت وحجة
الأولين قوله اعتدوا منكم في السبت **اللغة** قال أبو زيد يقول عدا على اللص أشد العداء والعدو والعدوان والعدا إذا سرقك وظلمك وعدا الرجل يعدو عدواً
في الحضر وتعدى عني عن ذلك الشيء العدو وتعدى وعدا يعدو إذا جاوز ويقال ما عدوا إذا دونك ما جاوزت ذلك **الإعراب** قوله جهرة يجوز أن يكون صفة لقولهم أي
قالوا جهرة أي مجاهرة أرنا الله ويجوز أن يكون على أرنا الله رؤية ظاهرة **النزول** روي أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد إن كنت نبياً فأتنا بكتاب
من الله جملة كما أتى موسى بالتوراة جملة فنزلت الآية عن السدي **المعنى** لما أنكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الإيمان عقبه بالإنكار في طلبهم المحالات مع ظهور
الآيات والمعجزات فقال يسألك يا محمد أهل الكتاب يعني اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء واختلف في معناه على أقوال أحدها أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتاباً من
السماء مكتوباً كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح عن محمد بن كعب والسدي وثانيها أنهم سألوا أن ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتاباً يأمرهم الله تعالى فيها
بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري وثالثها أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتاباً خاصاً لهم عن قتادة وقال الحسن إنما سألوا ذلك للتعنت والتحكم في طلب
المعجزات لا لظهور الحق ولو سألوه للاسترشاد لا للعناد لأعطاهم الله ذلك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك أي لا يعظمن عليك يا محمد مسئلتهم إياك إنزال
الكتاب عليهم من السماء فإنهم سألوا موسى يعني اليهود أعظم من ذلك بعدما أتاهم بالآيات الظاهرة والمعجزات القاهرة التي يكفي الواحد منها في معرفة صدقه وصحة نبوته
فلم يقنعهم ذلك فقالوا أرنا الله جهرة أي عياناً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم أنفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير أكثر ما في هذه الآية في سورة البقرة
عند قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية وقوله وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا الآية ثم اتخذوا العجل أي عبدوه واتخذوه إلهاً من بعد
ما جاءتهم البينات أي الحجج الباهرات وقد دل الله بهذا على جهل القوم وعنادهم فعفونا عن ذلك مع عظم جريمتهم وعنادهم وجنايتهم وقد أخبر الله بهذا عن سعة رحمته
ومغفرته وتمام نعمته وأنه لا جريمة يضيق عنها عفوه ولا خيانة يقصر عنها مغفرته وآتينا موسى أي أعطيناه سلطاناً مبيناً أي حجة ظاهرة تبين عن صدقه
وصحة نبوته ورفعنا فوقهم الطور أي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وإنما نقضوا بعبادة العجل غيرها عن أبي علي الجبائي وقال أبو مسلم إنما رفع الله
الجبل فوقهم إظلالاً لهم من الشمس بميثاقهم أي بعهدهم جزاء لهم على ذلك وهذا القول يخالف أقوال المفسرين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً يعني باب حطة
وقد مر بيانها هناك وقلنا لهم لا تعدوا في السبت أي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حرم عليكم عن قتادة قال أمرهم الله أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت
وأحل لهم ما عداه وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً أي عهداً وثيقاً وكيداً بأن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره **قوله تعالى** فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم
إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن
وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً أربع آيات **اللغة** البهتان الكذب الذي يتحير فيه من شدته وعظمته وقد مر معنى المسيح في سورة آل
عمران يقال قتلت الشيء خبراً وعلماً أي علمته علماً تاماً وذلك لأن القتل هو التذليل فيكون كالدرس له من التذليل ومنه قولهم الدارس للكتب فقولك درست
العلم بمعنى ذللته ويقال في المثل قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها قال الأصمعي معناه ضبط الأمر من يعلمه أقول معناه أن العالم يغلب أهل الأرض والجاهل
مغلوب مقهور كأن الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتحير ويتردد فيه **الإعراب** ما في قوله فبما نقضهم لغو أي فبنقضهم ومعناه التوكيد أي فبنقضهم ميثاقهم حقاً
الجالب للباء فبنقضهم والعامل فيه قيل إنه محذوف أي لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم
عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم إلى آخر الآية اعتراض وكذلك قوله وما صلبوه إلى قوله شهيداً وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ويجوز أن
يجعلا كاسم واحد لوقوع ابن بين علمين مع كونه صفة والصفة والموصوف كشيء واحد فجعلا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح أو
بدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع ليس من الأول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن **المعنى** ثم ذكر سبحانه أفعالهم
القبيحة ومجازاته إياهم بها فقال فبما نقضهم أي فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ميثاقهم أي عهودهم التي عاهدوا الله عليها أن يعملوا بما في
التوراة وكفرهم بآيات الله أي جحودهم بأعلام الله وحججه وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله وقتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير

حق أي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة أتوها وخطيئة استوجبوا بها القتل وقد مضى القول في أمثال هذا وإنما يذكر على سبيل التوكيد فإن قتل الأنبياء
لا يمكن إلا بغير حق فهو مثل قوله ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به والمعنى أن ذلك لا يكون عليه بينة وبرهان وقولهم قلوبنا غلف مضى تفسيره في سورة
البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم قد شرحنا معنى الختم والطبع عند قوله ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون إلا قليلاً أي لا يصدقون قوله إلا تصديقاً قليلاً وإنما
وصفه بالقلة لأنهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به ويجوز أن يكون الاستثناء من الذين نفي عنهم الإيمان فيكون المعنى إلا جمعاً قليلاً فكأنه سبحانه علم
أنه يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون قال جماعة من المفسرين مثل قتادة وغيره وذكر بعضهم أن الباء في قوله فبما
نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وبكذا فتبع الكلام بعضه بعضاً وقال الطبري إن قوله فبما نقضهم منفصل عما قبله
يعني فبهذه الأشياء لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لأن من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه
وإنما قلنا ذلك لأن الذين أخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الأنبياء والذين رموا مريم ببهتان عظيم وقالوا قتلنا المسيح كانوا بعد موسى بزمان طويل
ومعلوم أن الذين أخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم إنا قتلنا المسيح فبان بذلك أن الذين قالوا هذه المقالة غير
الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا الكلام إنما يتجه على قول من قال إنه يتصل بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهذا أقوى لأنه إذا أمكن إجراء الكلام على ظاهره
من غير تقدير حذف فلا وجه لأن يحمل عليه قوله وبكفرهم أي بجحود هؤلاء لعيسى وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً أي أعظم كذب بأن شنعوا ورموها بالفاحشة
عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مر عيسى برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بأمه فسمع ذلك عيسى فقال
اللهم أنت ربي خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير وقولهم إنا قتلنا المسيح رسول الله يعني
قول اليهود إنا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله تعالى عنهم أي رسول الله في زعمه وقيل إنه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو
رسولي وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس أنه قال لما مسخ الله تعالى الذين سبوا عيسى وأمه بدعائه بلغ ذلك يهودا
وهو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرئيل يمنعه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وأيدناه بروح القدس
فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم فثاروا إليه ليقتلوه فأدخله جبرئيل في خوخة البيت الداخل
لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل إلى السماء فبعث يهودا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم
فظنوا أنه يقاتله في الخوخة فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على أصحابه قتلوه وصلبوه وقيل ألقي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض
القوم إن الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس وقال بعضهم إن كان هذا ططيانوس فأين عيسى وإن كان هذا عيسى فأين ططيانوس فاشتبه الأمر عليهم وقال وهب بن منبه
أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم
جميعاً فقال عيسى لأصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك
وبه قال قتادة ومجاهد وابن إسحاق وإن اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر أحد غير وهب أن شبهه ألقي على جميعهم بل قالوا ألقي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري
وقول وهب أقوى لأنه لو ألقي الشبه على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقى عليه شبهي فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه وإن جاز أن يشتبه على أعدائهم
من اليهود الذين لم يعرفوه ولكن ألقي شبهه على جميعهم كانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل أحدهم اشتبه الحال عليهم قال أبو علي الجبائي إن رؤساء اليهود أخذوا إنساناً
فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا أحداً من الدنو إليه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما
دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا أن يكون ذلك سبباً لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوه وإنما هم باقي اليهود وقيل إن الذي
دلهم عليه فقال هذا عيسى أحد الحواريين على ثلاثين درهماً وكان منافقاً ثم إنه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه يودس زكريا بوطا وهو ملعون في النصارى
وبعض النصارى يقول إن يودس زكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم أنا الذي دللتكم عليه وقيل إنهم حبسوا المسيح مع عشرة من أصحابه في بيت فدخل عليهم
رجل من اليهود فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا ذلك الرجل عن السدي وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل يعني بذلك عامتهم لأن علماءهم علموا أنه غير مقتول عن
الجبائي وقيل إن المراد بذلك جماعة اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن أي لم يكن لهم من قتله علم لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظناً
منهم أنه عيسى ولم يكن به وإنما شكوا في ذلك لأنهم عرفوا عدتهم في البيت فلما دخلوا عليهم فقدوا واحداً منهم فالتبس عليهم أمر عيسى فقتلوا من قتلوه على شك منهم في أمر عيسى هذا
على قول من قال لم يتفرق أصحابه حتى دخل عليهم اليهود وأما من قال تفرق أصحابه عنه فإنه يقول كان اختلافهم في أن عيسى هل كان فيمن بقي أو كان فيمن خرج اشتبه الأمر عليهم وقال
الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه أن منهم من ادعى أنه إله لم يقتل ومنهم من
قال قتل وما قتلوه يقيناً اختلف في الهاء في قتلوه فقيل إنه يعود إلى الظن أي ما قتلوا ظنهم يقيناً كما يقال ما قتلته علماً عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في
المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقيناً أنه عيسى ولا أنه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل إن الهاء عائد إلى عيسى يعني ما قتلوه يقيناً أي حقاً فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن
أراد أن الله تعالى نفى عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفعه الله إليه يعني بل رفع الله عيسى إليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله إني
متوفيك ورافعك إلي وكان الله عزيزاً حكيماً معناه لم يزل الله سبحانه منتقماً من أعدائه حكيماً في أفعاله وتقديراته فاحذروا أيها السائلون محمداً أن ينزل عليكم
كتاباً من السماء حلول عقوبته بكم كما حل بأوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما ذكره في تفسير هذه الآية من أن الله ألقى شبه عيسى على غيره فإن ذلك من مقدور الله بلا خلاف

بين المسلمين فيه ويجوز أن يفعله الله سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وإن كان ذلك خارقاً للعادة فإنه يكون معجزاً للمسيح كما روي أن جبرئيل كان يأتي نبينا في صورة دحية الكلبي وتمايل عن هذا الإيراد يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجتمعت على أن المسيح قد قتل وصلب فكيف يجوز عليهم أن يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الأخبار والجواب أن هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما أخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وإنما أخبروا أنهم قتلوا رجلاً قيل لهم إنه عيسى فهم في خبرهم صادقون وإن لم يكن المقتول عيسى وإنما اشتبه الأمر على النصارى لأن شبه عيسى ألقي على غيره فرأوا من هو على صورته مقتولاً مصلوباً فلم يخبر أحد منهم عن اعتقاد الأمر على ما أخبر به فلا يؤدي ذلك إلى بطلان الأخبار بحال قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً آية الإعراب إن في قوله وإن من أهل الكتاب نافية وأكثر ما يأتي مع إلا وقد يأتي مع غير إلا نحو قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي في الذي ما مكناكم قال الزجاج المعنى وما منهم أحد إلا ليؤمنن به وقوله كذلك وإن منكم إلا واردها معناه وما منكم أحد إلا واردها كذلك وما منا إلا له مقام معلوم أي وما منا أحد إلا له مقام معلوم ومثله قول الشاعر لو قلت ما في قومها لم تيثم يفضلها في حسب وميسم أي ما في قومها أحد يفضلها وذهب الكوفيون إلى أن المعنى وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن به وما منكم إلا من هو واردها وما منا إلا من له مقام وأهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة المعنى ثم أخبر تعالى أنه لا يبقى أحد منهم إلا ويؤمن به فقال وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته واختلف فيه على أقوال أحدها أن كلا الضميرين يعود إلى المسيح أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا ويؤمن بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الإيمان واختاره الطبري وقال الآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن أباه حدثه عن سليمان بن داود المنقري عن أبي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد أعيتني قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته الآية والله إني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح الله الأمير ليس على ما أولت قال كيف هو قلت إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ولا يبقى أهل ملة يهودي أو نصراني أو غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي قال ويحك أنى لك هذا ومن أين جئت به قلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال جئت والله بها من عين صافية فقيل لشهر ما أردت بذلك قال أردت أن أغيظه وذكر أبو القاسم البلخي مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال إن الذين يبقون في زمن عيسى من أهل الكتاب إلا أن جميعهم يقولون إن عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به وثانيها أن الضمير في به يعود إلى المسيح والضمير في موته يعود إلى الكتابي قليل والآية تقتضي عموم إيمان أهل الكتاب فضمير موته يعود إلى الكتابي ومعناه لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا ويؤمن بعيسى قبل موته إذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الإيمان حينئذ وإنما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون اليهود بالكفر والنصارى بالغلو في أمره وذهب إليه ابن عباس في رواية أخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وجويبر قالوا ولو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وثالثها أن يكون المعنى ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابي عن عكرمة ورووه أيضاً عن أصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه بأن قال لو كان ذلك صحيحاً لما جاز إجراء أحكام الكفار عليهم إذا ماتوا وهذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمد إنما يكون في حال زوال التكليف فلا يعتد به وإنما ضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبينا هيهنا ولا ضرورة توجب رد الكناية إليه وقد جرى ذكر عيسى فالأولى أن يصرف ذلك إليه ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً يعني عيسى يشهد عليهم بأنه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية ولم يدعهم إلى أن يتخذوه إلهاً عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن أبي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى أن إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الإمامية أن المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله وخلفاءه عند الموت ويروون في ذلك عن علي أنه قال للحارث الهمداني يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا يعرفني طرفه وأعرفه بعينه واسمه وما فعلا وإن صحت هذه الرواية فالمراد برؤيتهم في ذلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة أحوال يدركونها كما قد روي أن الإنسان إذا عاين الموت أري في تلك الحالة ما يدل على أنه من أهل الجنة أو من أهل النار قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً آية المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فبظلم من الذين هادوا أي من اليهود ومعناه فبما ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها وقد مضى ما تقدم عن الزجاج أنه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل في الباء قوله حرمنا عليهم طيبات ولكنه لما طال الكلام أجمل في قوله فبظلم ما ذكره قبل وأخبر أنه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا أنبياءه وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً وفعلوا ما وصفه الله طيبات من المآكل وغيرها أحلت لهم أي كانت حلالاً لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم عن مجاهد وأكثر المفسرين وقال أبو علي الجبائي حرم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بين في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية وبصدهم عن سبيل الله كثيراً أي بمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صداً كثيراً وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم أن ذلك من الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه وأعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد وتركهم بيان ما علموا من أمره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره وأخذهم الربوا أي ما فضل على رؤوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى أجل آخر وقد نهوا عنه أي عن الربوا وأكلهم أموال الناس بالباطل أي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام

كقوله وأكلهم السحت وما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم ويقولون هذا من عند الله وما أشبه ذلك من المآكل الخبيثة فعاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات وأعتدنا للكافرين منهم أي هيأنا ليوم القيامة لمن كفر بالله ورسله من هؤلاء اليهود عذاباً أليماً أي مؤلماً موجعاً اختلف في أن التحريم هل يكون على وجه العقوبة أم لا فقال جماعة من المفسرين إن ذلك كان عقوبة وإذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز أيضاً عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال أبو علي الجبائي كان تحريم عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال أبو هاشم إن التحريم لا يكون إلا للمصلحة وإنما لما كان التحريم مصلحة عند الله بهم على هذا الظلم جاز أن يقال حرم عليهم بظلمهم قال لأن التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على أدائه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً آية القراءة قرأ حمزة وحده سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون الحجة ذكرنا الوجه فيما قبل عند أولئك نؤتيهم أجورهم الإعراب اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون إلى أنه نصب على المدح على تقدير أعني المقيمين الصلوة قالوا إذا قلت مررت بزيد الكريم ولست تريد أن تعرف زيداً الكريم فالوجه الجر وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت فقلت مررت بزيد الكريم كأنك قلت أذكر الكريم وإن شئت رفعت فقلت الكريم على تقدير هو الكريم وقال الكسائي موضع المقيمين جر وهو معطوف على ما من قوله بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلوة وقال قوم إنه معطوف على الهاء والميم من قوله منهم على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقال آخرون إنه معطوف على الكاف من قبلك أي بما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلوة وقيل إنه معطوف على الكاف في أولئك والكاف في قبلك هذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لأنه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وقد شرحنا في مبدأ السورة عند قوله والأرحام وأما ما روي عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله والمقيمين الصلوة وعن قوله والصابئون وعن قوله إن هذان لساحران فقالت يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب وما روي عن بعضهم أن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها قالوا وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلوة فمما لا يلتفت إليه لأنه لو كان كذلك لم يكن ليعلمه الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين أخذوه عن النبي المعنى ثم ذكر سبحانه مؤمني أهل التوراة فقال لكن الراسخون في العلم والذين نحو ذلك عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي إن اليهود لتعلم أن الذي جئت به حق وإنك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت اليهود ليس كما يقولون إنهم لا يعلمون شيئاً وإنهم ليغرونك ويحدثونك بالباطل فقال الله تعالى لكن الراسخون الثابتون المتعمقون في العلم المدارسون بالتوراة منهم أي من اليهود يعني ابن سلام وأصحابه من علماء اليهود والمؤمنون يعني أصحاب النبي من غير أهل الكتاب يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد من القرآن والشرائع أنه حق وبما أنزل من قبلك من الكتب على الأنبياء والرسل قيل إنما استثنى الله من وصفهم من هداه الله لدينه ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله يسألك أهل الكتاب وهيهنا فقال لكنهم لا يسألونك ما سأل هؤلاء الجهال من إنزال الكتاب من السماء لأنهم قد علموا صدقك بما قرأوا في الكتب المنزلة على الأنبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك معجزة أخرى ولا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ في قلوبهم عن قتادة وغيره والمقيمين الصلوة إذا كان نصباً على الثناء والمدح على تقدير أذكر المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة ويكون نعتاً على هذا عطفاً على قوله والراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمعنى والذين يؤدون الصلوة بشرائطها إذا كان جراً عطفاً على ما أنزل أي يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة فقيل إن المراد بهم الأنبياء أي ويؤمنون بالأنبياء المقيمين الصلوة وقيل المراد بهم الملائكة وإقامتهم للصلوة تسبيحهم وهو استغفارهم لمن في الأرض عن الملائكة واختاره الطبري قال لأنه في قراءة أبي كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم الأئمة المعصومون والمؤتون الزكوة أي والمعطون زكوة أموالهم والمؤمنون بالله بأنه واحد لا شريك له واليوم الآخر بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال أولئك أي هؤلاء الذين وصفهم الله سنؤتيهم أي سنعطيهم أجراً أي ثواباً وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره عظيماً أي جزيلاً وهو الخلود في الجنة قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً آية القراءة قرأ حمزة وخلف زبوراً بضم الزاي حيث وقع والباقون زبوراً بفتحها الحجة الزبور يجوز أن يكون جمع زبر بمعنى الزبور ومثله نحو وعذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز أن يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الأمير ونسج اليمن اللغة الزبر إحكام العمل في البئر خاصة يقال بئر مزبورة أي مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زبر أي عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعها زبر وزبرت الكتاب أزبره زبراً وزبرته أزبره زبراً أي كتبته المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه بقوله إنا أوحينا إليك يا محمد قدمه في الذكر وإن تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل كما أوحينا إلى نوح قدم نوحاً لأنه أبو البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم تشب شعرة وقيل لأنه لم يبالغ أحد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس أحد من قومه ما قاساه وهو أول من عذبت أمته بأن ردت دعوته والنبيين من بعده أي وأوحينا إلى النبيين من بعد نوح وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب أعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين تعظيماً لأمرهم وتفخيماً لشأنهم والأسباط وهم أولاد يعقوب وقيل إن الأسباط في ولد إسحق كالقبائل في ولد إسمعيل وقد بعث منهم عدة رسل كداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم كما تقول أرسلت إلى بني تميم إذا أرسلت إلى وجوههم ولم يصح أن الأسباط الذين هم إخوة يوسف كانوا أنبياء وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان قدم عيسى على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية بأمره لغلو اليهود في الطعن فيه والواو لا توجب الترتيب وآتينا داود زبوراً أي كما آتينا داود زبوراً واشتهر كتاب موسى بالتورية وكتاب عيسى بالإنجيل النظم هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء وهذا يدل على أنهم قد سألوه ما يدل على نبوته فأخبر سبحانه أنه أرسله كما أرسل من تقدمه من الأنبياء وأظهر بعد ذلك على يديه

آخر الجزء التاسع عشر من الكتاب البحر والسادس من القرآن

وقيل ان اليهود لما تلا النبي عليهم تلك الايات قالوا ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الايات اذ اخبر انه قد انزل على من بعد موسى من الذين
سماهم ومن لم يسمهم عن ابن عباس قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ايتان الاعراب ورسلا منصوب وجهين احدهما ان يكون
منصوبا بفعل مضمر يفسره الذي ظهر اي وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رايت زيدا وعمرا اكرمته

أول الجزء العشرين من الكتاب سورة النساء

بولايته عن ابي جعفر من ربكم اي من عند ربكم فامنوا اي صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم خيرا لكم اي واتوا خيرا لكم انما انتم عليه
من الجحود والتكذيب وان تكفروا اي تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله فان لله ما في السموات والارض اي فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله فانه يملك ما في السموات
والارض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما بما انتم صائرون اليه من طاعته ومعصيته حكيما في امره ونهيه اياكم وتدبيره فيكم
وفي غيركم قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا

العدد ونعيرهم من الصغار من صغر او كبر او عقل او علة بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول الجبائي والحسن وهو الصحيح قوله رجالا ونساء بدل من قوله اخوة
وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا فيه اقوال احدها ان المعنى لان لا تضلوا فحذف حرف النفي وتلخيصه لئلا تضلوا ... [illegible]
[illegible]

شاني ولبيان في غيرهم اللغة الاستنكاف الانفة من الشيء واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر فبانوا فلولا ما تذكر
منهم من الحلف لم ينكف لعينيك مدمع ... [illegible]
عمرو وقيل لن يستنكف لن يقبض ولم يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز في صفة الله تعالى المتكبر ولا
يجوز المستكبر النزول ان وفد نجران قالوا للنبي يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله
ورسوله فنزلت الآية المعنى لما تقدم ذكر النصارى والحكاية عنهم في امر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال لن يستنكف اي لن يانف ولم يمتنع المسيح يعني
عيسى من ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اي ولا الملائكة المقربون يانفون ويستكبرون عن الاقرار بعبوديته والاذعان له بذلك والمقربون الذين قربهم
الله ... [illegible]
[illegible]

لا بين متعاقدين والعهد قد يتفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهدا واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل يقال عقدت
الحبل فهو معقود وعقيد قال عنترة وكان ربا او كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل
حي لا يميز فهو بهيمة وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان تميز والحرم جمع حرام وقوم حرم قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب اي
ملب الاعراب موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن
الاخفش وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله ما يتلى عليكم عن الربيع وانتم حرم جملة في
موضع حال من محلي الصيد مجرور اللفظ منصوب المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد وقال
الزجاج وهذا عند البصريين باطل لان المعنى على هذا التأويل جاء اخوتك وزيد كانه يعطف بالا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجال الا زيد
على معنى جاء الرجال غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس المعنى خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا وتقديره
يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم اوفوا بالعقود امر بالوفاء بالعقود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العقود على اقوال احدها ان المراد بها
العقود التي كان اهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضا فيها على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم وبغاهم سوءا وذلك هو معنى الحلف عن ابن
عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي وثانيها انها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن
عباس ايضا وفي رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وما حد في القرآن كله اي فلا تتعدوا فيه ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه الى قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع
وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم ورابعها ان ذلك امر من الله لاهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التورية والانجيل في تصديق نبينا وما
جاء به من عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها الله على العباد في الحلال والحرام و
الفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتدء
سبحانه كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة الانعام واختلف في تأويله على اقوال احدها ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتأكيد كما يقال نفس
الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك وثانيها ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها
اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها
كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والفراء والاولى حمل الآية على الجميع الا ما يتلى عليكم معناه الا ما يقرأ عليكم في القرآن وهو قوله حرمت عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي غير محلي الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا فمعناه اوفوا بالعقود غير محلي الصيد
وانتم محرمون في حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم بهيمة الانعام اي الوحشية من الظباء والبقر والحمر غير مستحلين اصطيادها في حال الاحرام ومن قال
انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد آخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ان الله يحكم ما يريد
معناه ان الله يقضي في الخلق ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا
عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن
المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب القراءة قرأ ابن عامر وابو بكر
عن عاصم واسمعيل عن نافع شنآن قوم بسكون النون الاولى في الموضعين والباقون شنآن بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها
الحجة من قرأ شنآن بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر يكثر على فعلان نحو الضربان والغليان ومن قرأ شنآن فحجته ان المصدر قد جاء على فعلان ايضا نحو الليان
كقول الشاعر وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنآن وفندا فهذا يدل على الشنآن بالسكون ايضا يخفف الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون
المعنى في القرائتين واحدا وقوله ان صدوكم من كسر ان جعله للجزاء وقوله صدوكم وان كان ماضيا فان الماضي قد يقع في الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بما
ولكن المراد انما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول
الفرزدق اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم وعلى ذلك قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فالانتفاء
الولادة امر ماض قد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل فيكون المعنى ان تنتسب لا تجدني مولود لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم
المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقوله بين لانه مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام
ان تعتدوا فان الثانية في موضع نصب لانه المفعول الثاني وان الاولى منصوب لانه مفعول له اللغة الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقها
من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والشعار العلامة ومن ذلك الاشعار الاعلام من جهة الحس ومنه الشعيرة والعلامة والآية واحدة والحلال والمحل المباح
وهو ما الآمر به لفعله على تركه والحرام المحرم وضده حرم بيت البيت لحرمته لانه يحرم فيه على غيره ما يحل والمحرم لاحرامه ولحرم الرجل نساءه ومحرمه ما الحرم خلاف الشهر
الحرام ويحل حرمي منسوب الى الحرم الهدي ما يهدى الى الحرم من النعم والقلائد جمع قلادة وهو ما يقلد به الهدي والتقليد ان يعلق في عنقها شيء ليعلم انه هدي

والقلد السوق لانها كالقلادة للبدن والام القصد يقال اممت كذا اذا قصدته ويممته وتيممته ايضا قال الشاعر اني كذاك اذا ما ساءني بلد يممت بصدر
غيره بلدا ومنه الامام الذي يقتدى به ولا منه الذي لانه يقصد والامة بالكسر النعمة لانها تقصد يقال حللت من الاحرام فانا احل والرجل حلال وقال احرم الرجل فهو
حرام وبعض بني تميم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم الجرم القطع الكسب يجرمنكم اي لا يكسبنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين وقيل معناه لا
يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان ان صنعت كذا اي حملني عليه واستشهد بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان
يغضبوا اي حملت فزارة وقيل معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب وقيل معناه كسبت فزارة الغضب والشنآن البغض شنأت الرجل اشنأه شنأ وشنآ وشنأة وشنآنا ابغضته ذكره
سيبويه في ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ شيء نحو شنأته شنآنا قال سيبويه وقالوا لويته ليانا على فعلان فهذا يجوز
ان يكون الشنآن مصدرا مثله وقال ابو زيد رجل شنآن وامرأة شنآنة مصروفان ويقال ايضا رجل شنآن غير منصرف وامرأة شنأى وقد جاء الشنآن على مصدر
وصفا وهما جميعا قليلان النزول قال ابو جعفر الباقر نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطم وقال السدي اقبل الحطم بن هند البكري
الى النبي صلى الله عليه وآله وحده وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو وقد كان النبي قال لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اتى
النبي قال انظرني لعلي اسلم ولي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سروح المدينة فساقه وانطلق
به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج
الساقين ممسوح القدم ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن
جريج وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح في ناس يأمون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون فمثل هؤلاء فلن ندعهم الا ان نغير عليهم
فانزل الله تعالى الآية المعنى ثم ابتدء سبحانه بتفصيل الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا الذين صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم لا تحلوا شعائر الله
اختلف في معنى شعائر الله على اقوال احدها ان معناه لا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطا وغيره وثانيها ان معناه لا
تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على المعالم اي حرم الله من البلاد عن السدي وثالثها ان معنى شعائر الله مناسك الحج اي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها
عن ابن جريج وابن عباس ورابعها ما روي عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان
يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وخامسها ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد قال الفراء كانت عامة العرب لا ترى
الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروي عن ابي جعفر وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم
عن ابن عباس في رواية اخرى وسابعها ان الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن ابي علي
الجبائي وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة اي المعلمة لتهدى الى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو
القول الاول لانه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها فحمل الآية على ما هو الاعم اولى ولا الشهر الحرام معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا
فيه اعداءكم من المشركين كما قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل
رجب كانت مضر تحرمه وفيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الاشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا اليق بالعموم
وقيل اراد به النسيء كقوله انما النسيء زيادة في الكفر عن القتيبي ولا الهدي اي ولا تستحلوا الهدي وهو ما يهدى الى البيت من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تقربا
اليه وطلبا لثوابه فيكون المعنى لا تستحلوا ذلك فتغصبوا اهله ولا تحولوا بينهم وبين ان تبلغوا محله من الحرم لكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله
له قوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال احدها انه عنى بالقلائد الهدي المقلد وانما كرره لانه اراد المنع من حل الهدي الذي لم يقلد والهدي
الذي قلد عن ابن عباس واختاره الجبائي وثانيها ان المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر
فاذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى الشعر عن قتادة قال في الجاهلية كان اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج يقلد من السمر فلم يتعرض له احد
اذا رجع يقلد قلادة شعر فلم يتعرض له احد وقال عطا انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء اهل الحرم كانوا
يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما وثالثها انه عنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه
في جاهليتهم عن عطا في رواية اخرى والربيع بن انس ورابعها ان القلائد ما يقلده الهدي نهاهم من حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها عن ابي علي الجبائي قال هو صوف يفتل يعلق
به عنق الهدي وقال الحسن هو نعل يقلد به الابل والبقر ويجب التصدق بها ان كانت لها قيمة والاولى ان يكون نهيا عن استحلال القلائد فيدخل فيه الانسان والبهيمة و
يكون نهيا عن استحلال الحرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا ولا آمين البيت الحرام اي ولا تحلوا قاصدي البيت الحرام اي لا تقاتلوهم لانه من اتى في الاشهر الحرم فقد احل فيه
لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام اي القاصدين له والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمي حراما لحرمته وقيل لانه يحرم فيه ما يحل في غيره واختلف في المعني بذلك فمنهم من حمله
على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية ومنهم من حمله على من اسلم وكانه نهى ان يؤخذوا بعد الاسلام بفعل الجاهلية لان الاسلام يجب ما قبله يبتغون
فضلا من ربهم يعني يلتمسون رضوانا اي ارباحا في تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم قال ابن عباس رضي الله عنهم هم مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل
ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا فيها وقيل فضلا في الدنيا ورضوانا في الآخرة وقال ابن عباس
ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع اختلف في هذا فقيل هو منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة

شيء ولا من هذه الآية لانه لا يجوز ان يبتدئ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا وعن ابن جريج وهو المروي عن ابي جعفر [illegible] نحو عن الحسن وذكر ابو
مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ
منها قوله ولا الشهر الحرام ولا آمين البيت الحرام ذكر ابن ابي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى فيها علي بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا
القلائد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا [illegible] الصيد [illegible] ان تحلوا فاصطادوا ان شئتم [illegible] لان السبب المحرم
قد زال عن جميع المفسرين ولا يجرمنكم اي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم شنآن قوم اي بغض قوم ان صدوكم اي لان صدوكم او لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام يعني النبي
واصحابه لما صدوكم عام الحديبية ان تعتدوا ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم بصدهم اياكم عن المسجد الحرام قال ابو علي الفارسي معناه لا تكسبوا بغض قوم

[illegible]

سورة المائدة الجزء السادس من القرآن

الميتة كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية وقد ذكر عن النبي انه سمى الجراد والسمك ميتا فقال ميتتان مباحتان الجراد والسمك [illegible]
وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباعر ويشوونه ويأكلونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح اي المصبوب حرام فاما المتلطخ باللحم فانه كاللحم وما كان
كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد ورد الكراهية فيه عن علي وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب سائر الفقهاء الى انه مباح ولحم
الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل ما يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه
في التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع والمسوخ مما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر مما اعتادوه وما اهل لغير
الله به موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبائح من خالف الاسلام لا يجوز اكلها لانهم يذكرون

[illegible]

بحرمتهم لم يمتنع ان يوصف بالكمال اذا امر جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان توصف بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها واكمل وثانيها ان معنى اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين فلا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف و ثالثها ان معنى اليوم كفيتكم الاعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انه انما انزل بعد ان نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا علما للانام يوم غدير خم عند منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله قال علي بن ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن العلا ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر ع قال كان نزولها بكراع الغميم فاقامها رسول الله ص بالجحفة وقال الربيع بن انس نزلت في المسير من حجة الوداع واتممت عليكم نعمتي خاطب سبحانه المؤمنين بانه اتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه اتممت عليكم نعمتي بان اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا امة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الاسلام دينا اي رضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه دينا اي طاعة منكم والفائدة في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومرتبة بعد مرتبة حتى اكمل لهم شرائعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القصة المتقدمة في التحريم والتحليل انما ذكر قوله اليوم يئس الذين كفروا الى قوله ورضيت لكم الاسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه فمن دعته الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من اكله عن ابن عباس وقتادة و السدي غير متجانف لاثم اي غير مائل الى اثم وهو نصب على الحال يعني من اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فان الله اباح تناول ذلك له قال قدر ما يمسك به رمقه لا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل الحجاز يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله غير متجانف لاثم غير عاص بان يكون باغيا او عاديا او خارجا في معصية عن قتادة فان الله غفور رحيم في الكلام محذوف لما دل عليه المعنى تقديره فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف لاثم فاكله فان الله غفور لذنوبه ساتر عليه اكله لا يؤاخذه به وليس يريد انه يغفر له عقاب ذلك الاكل لانه اباحه ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرم عليهم في حال الخوف على النفس قوله تعالى يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب

القراءة المشهور في القراءة مكلبين بالتشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف **الحجة** الكلاب الكالب هو الذي يغريه بالصيد ايضا ويقال الكلب مكلبة كما يقال اسد مأسدة ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل اذا كثرت كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته والمكلب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكلب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يعلم الكلاب اخذ الصيد **اللغة** الطيب الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لانها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلانة اي لا كاسب لها قال اعشى بني ثعلبة ذات خد منضج ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح اي اكتسب **الاعراب** ماذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا في موضع رفع بالابتداء وذا خبره واحل من صلة ذا وتقديره اي الذي احل لهم ويحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا في موضع رفع بالابتداء واحل خبره وتقديره اي شيء احل لهم ومكلبين نصب على الحال اي وما علمتم من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين من قوله مما امسكن عليكم قيل ان من هنا زائدة لان جميع ما يمسكه مباح كقوله وننزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وننزل من السماء جبالا فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذلك من الوجوه ذكرناها اذا انتهينا الى موضعها من الكتاب ان شاء الله تعالى وقيل ان من للتبعيض لانه لا يجوز ان يؤكل جميع ما يمسكه الكلب فان في جملته ما هو حرام من الدم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله فمعناه فكلوا مما اباح الله لكم اكله مما امسكن عليكم **النزول** عن ابي رافع قال جاء جبرئيل الى النبي ص يستأذن عليه فاذن عليه وقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني رسول الله ان اقتل كل كلب في المدينة فقتلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت الى رسول الله ص فامرني فرجعت الى الكلب وقتلته فجاؤوا فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله فانزل الآية فاذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيها وامر بقتل العقور وما يضر ويؤذي وعن ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهيرة ان زيد الخيل وعدي بن حاتم الطائيين اتيا رسول الله ص فقالا ان فينا رجلين لهما ستة اكلب تأخذ بقر الوحش والظباء فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فانزل الله فكلوا مما امسكن عليكم وسماه رسول الله ص زيد الخير **المعنى** لما تقدم سبحانه ذكر المحرمات اعقبه بذكر ما احل فقال يسئلونك يا محمد ماذا احل لهم اي يستخبرونك المؤمنون ما الذي احل لهم من المطاعم والمآكل وقيل من الصيد والذبائح قل يا محمد احل لكم الطيبات اي الحلال الذي اذن لكم ربكم في اكله من المأكولات والذبائح والصيد عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا اولى لما روي ان الاشياء كلها على الاطلاق والاباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ وما علمتم من الجوارح اي واحل لكم ايضا صيد ما علمتم من الجوارح اي الكواسب من سباع الطير والبهائم

عن بلادهم خ

فاخبرته

فحذف المضاف لدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه او لانه جواب عن سؤال السائل عن الصيد فقيل الجوارح الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام فانهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة احلها الله اذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وروى علي بن ابرهيم في تفسيره باسناده عن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبد الله ع قال سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تأكل الا ما ذكيت الا الكلاب فقلت فان قتله قال كل فان الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال ع كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها الا الكلاب المعلمة فانها تمسك على صاحبها وقال اذا ارسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان تقول بسم الله والله اكبر ويؤيد هذا القول ما يأتي بعده من قوله مكلبين اي اصحاب الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب تعلمونهن مما علمكم الله اي تؤدبونهن حتى يصرن معلمة مما الهمكم الله بعقولكم حتى ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة على ان صيد الكلب غير المعلم حرام اذا لم يدرك ذكاته وقيل معنى تعلمونهن مما علمكم الله كما علمكم الله عن السدي وهذا بعيد لان من بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يسترسل للطلب الصيد اذا ارسله صاحبه ويمسك عليه اذا اخذه ويستجيب اذا دعاه ولا يفر منه فاذا توالى منه ذلك كان معلما عن سعد بن ابي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وان لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطاء والشعبي وطاوس والسدي وروى عدي بن حاتم عن النبي ص انه قال اذا اكل الكلب من الصيد فانما امسك على نفسه وقيل حد التعلم ان يفعل ذلك ثلاث مرات عن ابي يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب فاذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه اذا اخذ كلب المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز اكل ما يقتله وقد تقدم ان عند اهل البيت لا يحل اكل صيد غير الكلب الا ما ادرك ذكاته ومن اجاز ذلك قال ان تعلم البازي هو ان يرجع الى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو ان يشلى على الصيد فينشلي وياخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك كان معلما اكل منه او لم يأكل وروي ذلك عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وقال الحسن ما اكل منه فلا يؤكل ورواه عن علي ع والنخعي وعكرمة وقوله فكلوا مما امسكن عليكم اي مما امسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه امسك على نفسه ومن شرط ذلك استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند ارساله فان لم يسم لم يجز له اكله الا اذا ادرك ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان يجده تتحرك عينه او اذنه او ذنبه فيذكيه حينئذ بفري الاوداج والحلقوم واذكروا اسم الله عليه اي قبل الارسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الاول اصح واتقوا الله اي اجتنبوا ما نهاكم عنه فلا تقربوه وخذوا واصطادوا الذي نهاكم عنه من اكل صيد الكلب غير المعلم او ما لا يمسكه عليكم او ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح ان الله سريع الحساب قد تقدم تفسيره قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين آية

المعنى ثم بين سبحانه في هذه الآية ما يحل من الاطعمة والانكحة تماما لما تقدم فقال اليوم احل لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من الاطعمة الا ما قام الدليل على حرمته وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل المراد به ذبائح اهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء وبه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذبيحة كل كتابي ممن انزل عليه التوراة والانجيل او من دخل في ملتهم ودان بدينهم عن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وقتادة واجازوا ذبائح نصارى بني تغلب ومنهم من قال عنى به من نزل التوراة والانجيل عليهم او كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من سائر الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبائحهم حكي ذلك الربيع عن الشافعي وحرم ذبائح بني تغلب النصارى ورووا ذلك عن علي عليه السلام وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبائحهم وغيرها من الاطعمة عن ابي الدرداء وعن ابن عباس وابرهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي والبلخي وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله ع وبه قال جماعة من الزيدية فاما ذبائحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه وطعامكم يحل لكم ان تطعموهم والمحصنات من المؤمنات معناه واحل لكم العقد على المحصنات اي العفائف من المؤمنات عن الحسن والشعبي وابرهيم وقيل اراد الحرائر عن مجاهد اختاره ابو علي وعلى هذا القول لا يدخل الاماء في الاباحة مع القدرة على طول الحرة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هن العفائف حرائر كن او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحرائر ذميات كن او حربيات قال اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وتأولوا هذه الآية بان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتي كن في الاصل مؤمنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبين سبحانه انه لا حرج في ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القاسم البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطيهن بكلا الوجهين على انه قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر ع انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وبقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقوله اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره محصنين غير مسافحين يعني اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو نصب على الحال ولا متخذي اخدان اي ولا منفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مر معنى الاحصان والسفاح والاخدان في سورة النساء ومن يكفر بالايمان اي ومن يجحد ما امر الله بالاقرار به والتصديق من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذي عمله واعتقده قربة الى الله تعالى لانها تحبط الاعمال بان لا يستحق عليها ثواب وهو في الآخرة من الخاسرين اي الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع من الايمان ولم يؤمن وقوله فقد حبط عمله هنا لا يدل على ان حبوط الاعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وانما يكون له عمل في الظ

فلا تأكل

لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر عن هذا العمل بأنه حبط فهو حقيقة معنا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم و
أيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم
تشكرون القراءة قرء نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي وحفص والأعشى عن أبي بكر عن عاصم وأرجلكم بالنصب والباقون وأرجلكم بالجر وقد ذكرنا الخلاف في
لامستم في سورة النساء ونذكر ما في محل أرجلكم على القرائتين في المعنى لأن الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه الأمة من القول بوجوب غسل الرجلين ومسحهما أو التخيير بين
الغسل والمسح أو وجوب الجمع بينهما على ما سيأتي إن شاء الله تعالى اللغة الجنب يقع على الواحد والجمع المذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور
وقوم زور ويقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وإنما هو على تأويل ذو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما أضيف إليه ومن العرب من يثني ويجمع
ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل وأجنب الرجل وجنب وأصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب واطهروا
معناه فتطهروا إلا أن التاء أدغم في الطاء فسكن أول الكلمة فزيد فيها ألف الوصل وقيل اطهروا المعنى لما تقدم الأمر بالوفاء بالعقود ومن جملتها إقامة الصلوة
ومن شرائطها الطهارة لا جرم بين سبحانه ذلك بقوله يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلوة وأنتم على غير طهر حذف الإرادة
لأن في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة والمعنى إذا أردت قراءة القرآن وإذا كنت
فيهم فأردت أن تقيم لهم الصلوة وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل معناه إذا أردتم القيام إلى الصلوة فعليكم الوضوء عن عكرمة وإليه ذهب داود وكان
علي يتوضأ لكل صلوة ويقرء هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلوة والقول الأول هو الصحيح وإليه ذهب الفقهاء كلهم وما روي من تجديد الوضوء
محمول على الندب والاستحباب وقيل إن الفرض كان في بدء الإسلام الوضوء عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف عن ابن عمر قال حدثتني أسماء بنت زيد بن
الخطاب أن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل حدثها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلا من حدث
فكان عبد الله يرى أن فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلوة فلما كان عام الفتح صلى
الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنع قال عمدا فعلته يا عمر وقيل إن هذا إعلام بأن الوضوء لا
يجب إلا للصلوة لأنه روي أن النبي كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها حتى أنه لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلوة ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية فاغسلوا
وجوهكم هذا أمر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو إمرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح أن يبل المحل بالماء من غير أن يسيل واختلف في حد الوجه فالمروي عن
أئمتنا عليهم السلام أنه من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولا وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضا وقيل حده ما ظهر من بشرة الإنسان
من قصاص شعر رأسه منحدرا إلى منقطع ذقنه طولا وما بين الأذنين عرضا وما غطاه الشعر من الذقن وغيره أو كان داخل الفم والأنف والعينين فإن
الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره كما قلنا وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري والشعبي وغيرهم وإليه ذهب أبو حنيفة
وأصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من الرأس إلى منقطع الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر ومن بين الشعر
شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والأنف وما أقبل من الأذنين على الوجه عن أنس بن مالك وأم سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير و
جماعة وإليه ذهب الشافعي وأيديكم إلى المرافق أي واغسلوا أيديكم إلى المرافق جمع المرفق وهو المكان الذي يرتفق به أي يتكأ عليه من اليد قال الواحدي كثير
من النحويين يجعلون إلى هنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب أكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة وكانت
اليد كلها يجب أن يغسل ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرفق حد ما ينتهي إليه في الغسل منها والظاهر على ما ذكره ولكن الأمة
أجمعت على أن من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صح وضوؤه واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الأصابع إلى المرافق وأجمعت الأمة أيضا على أن من غسل
المرفقين صح وضوؤه واختلفوا في من لم يغسلهما هل يصح وضوؤه قال الشافعي لا أعلم خلافا في أن المرفقين يجب غسلهما وقد جاء في القرآن إلى بمعنى مع قوله
تعالى من أنصاري إلى الله أي مع الله وقوله ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحوه قول امرئ القيس له كفل كالدعص لبده الندى إلى حارك مثل الرتاج المضبب
وفي أمثال ذلك كثرة وامسحوا برؤسكم هذا أمر بمسح الرأس والمسح أن تمسح شيئا بيديك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الرأس لأن من
مسح البعض يسمى ماسحا وإلى هذا ذهب أصحابنا قالوا يجب أن يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وإبراهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي وقيل يجب مسح
جميع الرأس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الرأس عند أبي حنيفة وروي عنه روايات في ذلك تطول بذكرها وأرجلكم إلى الكعبين اختلف في ذلك فقال
جمهور الفقهاء إن فرضهما الغسل وقالت الإمامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس
وأنس وأبي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل وإليه ذهب الطبري والجبائي إلا أنهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار
على مسح ظاهر القدم وقال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية يجب الجمع بين المسح والغسل وروي عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله فمسح على رجليه وروي عنه
أنه قال إن في كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن علية عن حميد عن
موسى بن أنس أنه قال لأنس ونحن عنده إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤسكم وإنه ليس شيء من بني آدم
أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال أنس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين قال

فكان

فكان أنس إذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبي نزل جبرئيل بالمسح ثم قال إن في التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا قال يونس حدثني من صحب عكرمة
إلى واسط قال فما رأيته غسل رجليه إنما كان يمسح عليهما وأما ما روي عن سادة أهل البيت في ذلك فأكثر من أن يحصى فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الأهوازي
عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت أبا جعفر عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرئيل وعنه عن أحمد بن محمد قال سألت أبا الحسن
موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحها إلى الكعبين فقلت له لو أن رجلا قال بإصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين قال
لا إلا بكفه كلها وأما حجة القرائتين في أرجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على أنه عطف على برؤسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل وروي عن أبي زيد أنه قال المسح
خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة ويقوي ذلك بأن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل
لموافقته الغسل في التحديد وهذا قول أبي علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب بخفض خرب وإن كان صفة للجحر لا الضب وكما قال امرؤ القيس
كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل وقال الزجاج إذا قرئ بالجر يكون عطفا على الرؤس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف أنه قال نزل جبرئيل
بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل قال الأخفش هو معطوف على الرؤس في اللفظ
مقطوع منه في المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا المعنى وسقيتها ماء باردا وأما القراءة بالنصب فقالوا فيه أنه معطوف على أيديكم لأنا رأينا فقهاء الأمصار
عملوا على الغسل دون المسح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوما توضؤا وأعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره أبو علي الفارسي وأما من قال بوجوب مسح الرجلين
حمل الجر والنصب في وأرجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وأمثال ذلك في كلام العرب أكثر من أن يحصى
قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا أنشد معاوي إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون
ابن مخراق فعطف عبد على موضع دينار فإنه منصوب في المعنى وبعد ذلك قول الشاعر جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أخوة منظور بن سيار فإنه لما كان معنى
جئني هات وأحضر مثلهم عطف بالنصب على المعنى وأجابوا الأولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب بأجوبة نوردها على وجه الإيجاز قالوا ما ذكروه من أن
المراد بالمسح الغسل باطل من وجوه أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى
المسح والغسل واحدا وثانيها أن الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤس وكان الفرض في الرؤس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك لأن حقيقة
العطف يقتضي ذلك وثالثها أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي أنه توضأ وغسل رجليه لأن على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فتوهموا
المسح غسلا وفي هذا ما فيه فأما ما استشهد به أبو زيد بقولهم تمسحت للصلوة فالمعنى فيه أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز أن يقولوا اغتسلت
للصلوة لأن ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضا فتجوزوا لذلك تعويلا على أن المراد مفهوم وهذا لا يقتضي أن يكونوا
جعلوا المسح من أسماء الغسل وأما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى رضي الله عنه في الجواب عنه أن ذلك لا يدل على الغسل وذلك لأن المسح فعل قد أوجبته
الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا أرجلكم وانتهوا بالمسح إلى الكعبين لم يكن منكرا فإن قالوا إن تحديد اليدين لما
اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا إنا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وإن قالوا عطف
المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لأن الأيدي محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة فإذا جاز عطف الأرجل
هي محدودة على الرؤس التي ليست بمحدودة وهذا أشبه مما ذكروه لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم
استأنف ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب أن يكون الأرجل ممسوحة محدودة معطوفة على الرؤس دون غيره ليقابل الجملتان في عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود و
عطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود وأما من قال أنه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوز ذلك في القرآن ومن جاز ذلك في الكلام فإنما يجوز
مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حايل بين هذا وذاك وأيضا فإن المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس
والأمن من الاشتباه فإن أحدا لا يشتبه عليه أن خربا لا يكون من صفة الضب ولفظة مزمل لا يكون من صفة البجاد وليس كذلك الأرجل فإنها يجوز أن تكون
ممسوحة كالرؤس وأيضا فإن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزا في كلام العرب قالوا في جحر ضب خرب أنهم أرادوا خرب جحره فحذف المضاف
الذي هو جحر وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير أناس في بجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الإعراب
بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره وأما من جعله مثل قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا كأنه قدر في الآية واغسلوا أرجلكم فقوله أبعد من الجميع لأن مثل
ذلك لو جاء في كتاب الله تعالى على ضعفه بعد من الكلام فإنما يجوز إذا استحال حمله على ظاهره فأما إذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز
مثل هذا التقدير الشاذ البعيد وأما ما قاله أبو علي في القراءة بالنصب على أنه معطوف على الأيدي فقد أجاب عنه المرتضى بأن قال جعل التأثير في الكلام القريب
أولى من جعله للبعيد فنصب الأرجل عطفا على الموضع أولى من عطفها على الأيدي والوجوه على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد انقضت وبطل حكمها
باستيناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى أن يعطف على ما فيها فإن ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا وأكرمت خالدا وبكرا فإن رد
بكر إلى خالد في الإكرام هو الوجه في الكلام لا يسوغ غيره ولا يجوز رده إلى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك أيضا لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى
القراءتين ولا تتنافيان فأما ما روي في الحديث أنه قال ويل للعراقيب من النار وغير ذلك من الأخبار التي رووها عن النبي أنه توضأ وغسل رجليه فالكلام في ذلك
أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار التي لا يوجب علما وإنما يقتضي الظن على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت عن أهل

توجب

وتجب في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما ذكر وعن اوس بن ابي اوس انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله يتوضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله سباطة
قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه ذكره ابو عبيد في غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله ويل للاعقاب من النار فقد روي في الخبر ان قوما
من جفاة الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على اعقابهم وارجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلوة وكان ذلك سببا لهذا الوعيد واما
الكعبان فقد اختلف في معناهما فعند الامامية هما العظمان الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة وان كان يوجب
غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين
لان على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان وان كنتم جنبا فاطهروا معناه ان كنتم جنبا عند القيام الى الصلوة فتطهروا بالاغتسال وهو ان تغسلوا جميع البدن والجنابة انما تكون
بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه انزال او لم يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم الختانين
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه قد مر تفسيره في سورة النساء فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما
يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع
المفسرين ولكن يريد ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة ان يطهر اجسامكم بذلك من الذنوب والآثام وقد دخلت اللام في ليطهركم للارادة اي يريد بذلك
لتطهيركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل ويؤيده ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان الوضوء يكفر ما قبله
وليتم نعمته عليكم اي ويريد الله مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته
باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد الطيب طهورا ورخصته لكم منه مع سوابغ نعمه التي انعم بها عليكم لعلكم تشكرون اي لتشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به
ونهاكم عنه وقد تضمنت هذه الآية احكام الوضوء مفسرة واحكام الغسل والتيمم وما يتعلق بها المتفرعة منها مسائل كثيرة موضعها الكتب المؤلفة في الفقه قوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور آية اللغة انما قال ذات الصدور وهي لفظة التأنيث
لان المراد بذلك المعاني التي تحل القلوب ثم يقال ذات نفسي عن الحصافة لكل ذات المعنى لما امر سبحانه بذكر الشرائع عقبه بذكر نعمه فقال واذكروا نعمة الله
عليكم ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لانه من جهة التضعيف كل نعمة لله فانه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم اذ هي مثل الخلق والحيوة والعقل
وحواس القدرة والآلات وقيل بل لانه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجملة النعم تسمى نعمة كما ان نظام الارض تسمى ارضا ميثاقه الذي واثقكم به قيل فيه اقوال
احدها ان معناه ما اخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله عند اسلامهم وبيعتهم بان يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم وسرهم عن ابن عباس والسدي وثانيها ان المراد بالميثاق ما
بين لهم في حجة الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابي الجارود عن ابي جعفر ع وهذا داخل في القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله
وثالثها ان المراد به ما بايعهم النبي عليه من بيعة العقبة وبيعة الرضوان عن ابي علي الجبائي ورابعها ان معناه ما اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد والقول الاول اصح لانه قال اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني سمعنا ما تقول واطعناك فيما امرتنا واتقوا الله معناه ان الله عليم بذات الصدور
اي بما تضمنته صدوركم من المعاني والمراد بالصدور هنا القلوب وانما جاز ذلك لان موضع القلب الصدر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ثلاث آيات اللغة جرمت واجرمت بمعنى وقيل معنى لا يجرمنكم لا يدخلنكم في الجرم كما
يقال اثمته اي ادخلته في الاثم تقول وعدت الرجل بالخير واوعدت الرجل بالشر فاذا ذكرت الموعود قلت فيهما جميعا وعدت فقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا ليس
على الخير ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة الاعراب قوامين نصب بانه خبر كان شهداء نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر
وجدنا الصالحين لهم جزاء وجنات وعينا سلسبيلا فكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت وعينا نصبا على الموضع ويحتمل ان يكون
موضع لهم مغفرة رفعا فيكون الموعود محذوفا المعنى لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه ان ما يلزم الوفاء به ما ذكره في الآية فقال يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله اي قائمين لله اي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق في انفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعني بقوله لله افعلوا ذلك ابتغاء
مرضاة الله شهداء بالقسط اي بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لان الشاهد يبين ما شهد عليه وقيل معناه كونوا من اهل العدالة
الذين حكم الله تعالى بان مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيمة ولا يجرمنكم شنآن قوم قد ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من حرك النون من شنآن
اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم اي ان الشنآن مصدر والشنآن بالسكون صفة على ان لا تعدلوا اي لا يحملنكم بغضكم قوما على ان لا تعدلوا ايها وعلى القول الآخر
لا يحملنكم بغيض قوم وعدو قوم على ان لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم اعدلوا اي اعملوا بالعدل ايها المؤمنون في اوليائكم واعدائكم هو
اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى واتقوا الله اي خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات ان الله خبير اي عالم بما تعملون اي باعمالكم يجازيكم
عليها وعد الله الذين آمنوا اي صدقوا بوحدانية الله تعالى واقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وعملوا الصالحات اي الحسنات من الواجبات والمندوبات لهم مغفرة اي ستر
لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به التغطية والستر واجر عظيم يريد ثوابا عظيما والفرق بين الثواب والاجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والاجر قد
يكون على سبيل المعاوضة بمعنى الاجرة والوعد هو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر والذين كفروا اي جحدوا
توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه وكذبوا بآياتنا اي بدلائله وبراهينه اولئك اصحاب الجحيم معناه انهم يخلدون في النار لان الصحابة تقتضي الملازمة

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون آية
اللغة الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لان من شأنه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهم بالامر هو
حديث النفس بفعله يقال هم بالامر يهم هما ومنه الهم وهو الفكر الذي يغم وجمعه الهموم واهمه الامر اذا عني به فحدثت نفسه والفرق بين الهم بالشيء والقصد
اليه انه قد يهم بالشيء قبل ان يريده ويقصده بان يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمه عليهم بما
دفع عنهم كيد الاعداء فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم اي قصد ان يبسطوا اليكم ايديهم واختلف فيمن بسط اليهم الايدي على
اقوال احدها انهم اليهود هموا بان يفتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله وهم بنو النضير دخل رسول الله مع جماعة من صحابته عليهم وكانوا عاهدوه على ترك القتال وعلى ان
يعينوه في الديات فقال صلى الله عليه وآله رجل من صحابتي اصاب رجلين معهما امان مني فلزمني ديتهما فاريد ان تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي
تسألنا وهموا بالفتك به فآذن الله تعالى رسوله فاطلع النبي اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احد اسباب اجلائهم عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وثانيها
ان قريشا بعثوا رجلا ليقتل النبي صلى الله عليه وآله فدخل عليه وفي يده سيف مسلول فقال له ارنيه فاعطاه فلما حصل بيده قال ما الذي يمنعني من قتلك قال الله
يمنعك فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن امية ليقتله بعد بدر وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب عن الحسن وثالثها ان المعنى
بذلك ما لطف الله للمسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم باشياء شغلهم بها من الامراض والقحط وموت الاكابر وهلاك المواشي وغير ذلك من الاسباب
التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين عن ابي علي الجبائي ورابعها ما قاله الواقدي ان رسول الله غزا جمعا من بني ثعلبة وبني محارب بذي امر فتحصنوا برؤس الجبال ونزل رسول
الله صلى الله عليه وآله بحيث يراهم فذهب لحاجته فاصابه مطر فبل ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم غورث بن الحارث حتى وقف على رأسه بالسيف مشهورا
فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال الله فدفع جبرئيل في صدره ووقع السيف من يده فاخذه رسول الله وقام على رأسه فقال من يمنعك مني اليوم فقال لا احد وانا اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الآية فعلى هذا يكون تخليص النبي مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث ان مقامه فيهم نعمة عليهم فلذلك اعتد عليهم فكف ايديهم
عنكم اي منعهم عن الفتك بكم واتقوا الله المعنى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليثق المؤمنون بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله تعالى كافيهم وناصرهم قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم
سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل آية اللغة الميثاق اليمين المؤكدة لانها يستوثق بها من الامر
واصل النقيب في اللغة من النقب وهو الثقب الواسع نقيب القوم كالكفيل الضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه قيل المرتبة ومنه المناقب الفضائل لانها
تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل يقال نقب الرجل على القوم ينقب اذا صار نقيبا عليهم وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم اذا صار عريفا ونكب عليهم
نكابة اذا صار منكبا وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الامور والنقبة الجرب ويجمعها النقب والنقب قال متبذلا تبدو
محاسنه يضع الهناء مواضع النقب واصل الباب كله معنا الثقب الذي هو عمق يدخل فمن ذلك نقب الحائط اي بلغ في الحائط النقب خرقا ومن ذلك النقبة
الجرب لانه داء يدخل والنقبة السراويل لا رجلين لها قد بولغ في فتحها انما قيل نقيب لانه يعلم دخلة امور القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة امورهم قال
ابو عبيدة التعزير التوقير والنصرة وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندي التعزير التعظيم والعزر الرد والمنع وقول الفراء تقول عزرت فلانا اذا ادبته وتقدمت
اليه معنى القبيح ومنه التعزير النصرة والتعظيم لان ذلك يمنع صاحبه ممن اراده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه الاعراب انما قال قرضا ولم يقل
اقراضا لانه رده الى قرض قرضا فان في اقرضتم معنى قرضتم وهذا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا وقال امرؤ القيس ورضت فذلت صعبة اي اذلال
لان في رضت معنى اذللت المعنى لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتل النبي ودفع الله عنه شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم وقبح عاداتهم في خيانتهم الرسل
تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله فيما هموا به فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم المؤكد باليمين باخلاص العبادة له والايمان برسله وما يأتون به من الشرائع وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا اي امرنا موسى بان يبعث من الاسباط الاثني عشر اثني عشر رجلا كالطلائع يتجسسون ويأتون بني اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من
كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن
مجاهد والسدي وقيل معناه اخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر نقيبا اي شهيدا على قومه
عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التورية ويأمروهم بما فرض الله
عليهم وامرهم به وقال الله اني معكم قيل انه خطاب لبني اسرائيل الذين اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم اني معكم وتم الكلام
عليه اي معكم بالنصر والحفظ انصركم على عدوكم وعدو الذين امركم بقتالهم فالتوعد ثم ابتدأ بعد ذلك ثم وعدهم فقال والميثاق الذي اخذه عليكم ثم ابتدأ سبحانه فقال
لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة اي اعطيتموها وآمنتم برسلي اي صدقتم بما اتيكم به رسلي من شرائع ديني وقيل آمنتم بالنقباء وعزرتموهم
اي نصرتموهم وقيل وقرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم عن ابن زيد وابي عبيدة واقرضتم الله قرضا حسنا اي انفقتم في سبيل
الله واعمال البر ما فرضه نفقة حسنة سماه قرضا كانه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عفوا عن طيبة نفس وان لا يتبعه من ولا اذى وقيل يعني حلالا
لاكفرن عنكم سيئاتكم اي لاعطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاط عقابكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار المعنى فمن كفر
بعد ذلك منكم اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي هذا دلالة على ان

وغشي

الحق

الحق بين الغلو والتفريط كما روي عن امير المؤمنين اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة الى آخر كلامه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين ﴿ القراءة قرأ حمزة والكسائي قسية بغير الف وقرأ الباقون قاسية بالف ﴿ الحجة من قرأ قسية فان قسيا فعيل بمعنى فاعل مثل
شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرأ قاسية فلانه الاعرف والاكثر في مجاري العادة ﴿ اللغة القسوة خلاف اللين والرقة وانشد ابو عبيدة
وقد قسوت وقسا لداتي فالقاسي الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم انما سمي قسيا اذا كان فاسدا زائفا لشدة صوته
بالغش الذي فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحي في الحجارة لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في ايدي الصياريف قال ابو علي الفارسي قسيا في الدراهم
معربا واذا كان معربا لم يكن من القسي العربي في شيء لان المعرب نحو ابليس جالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التي من الفاظ العرب لا يكون
مشتقة من باب العيش والابلاس يدلك على ذلك منعهم الصرف فيها الخائنة الخيانة وفاعلة من اسماء المصادر كثيرة نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية
وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت راغية الغنم وثاغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة
مغل الاصبع قوله مغل الاصبع بدله من خائنة ﴿ الاعراب ما في قوله فبما نقضهم زائدة مؤكدة اي فبنقضهم ميثاقهم مثله قوله يحرفون
في موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلم ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام على قوله قاسية وقليلا منهم نصب على
الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم ﴿ المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فيه تسلية للنبي يقول لا تعجب
يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم وغدروا بك فان ذلك دأبهم وعادة اسلافهم
الذين اخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيبا فنقضوا ميثاقي وعهدي فلعنتهم بنقضهم ذلك العهد الميثاق وفي الكلام حذف
اكتفى بدلالة الظاهر عليه تقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة
عن عطا وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه منها انهم كذبوا
الرسل وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبي عن ابن عباس وجعلنا قلوبهم قاسية
اي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس وقيل معناه سلبناهم التوفيق واللطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وهذا كما يقول الانسان لغيره انت افسدت سيفك اذ تركت تعاهده حتى صدئ وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم تقصها وقيل معناه بينا عن حال قلوبهم
وما هي عليه من القساوة وحكمنا بانهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعظة عن الجبائي وقيل معناه قاسية ردية فاسدة من قولهم الدراهم القسية اذا كانت فيها غش
وهذا راجع الى معنى الاول ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش قال الفراء يقال للرحيم يابس القلب يحرفون الكلم عن مواضعه اي يفسرونه على غير ما انزل
ويغيرون صفة النبي فيكون التحريف بامرين احدهما سوء التاويل والآخر التغيير والتبديل كقوله تعالى ويقولون هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به وتركوا
نصيبا مما امروا به ووعظوا به من اتباع النبي فصار كالمنسي عندهم ولو آمنوا به واتبعوه لكان ذلك لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله في كتابهم
مما فيه رشدهم بتركهم تلاوته ونسوه وعلى هذا الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني على خيانة اي معصية عن ابن عباس وقيل كذب وفجور ونقض عهد ومظاهرة
للمشركين على رسول الله وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا
عاهدوا او عاهدتهم نقضوه الا قليلا منهم لم يخونوا فاعف عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوك عن ابي مسلم وقيل القليل الذين استثناهم عن الحسن وقيل معناه فاعف
عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن قتادة وقيل انه منسوخ بقوله واما
تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائي ان الله يحب المحسنين ﴿ قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما
ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴿ اللغة معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل
معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غريت به غراء ممدود واغريت زيدا بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي يلصق
به الاشياء ﴿ المعنى ثم بين سبحانه حال النصارى في نقضهم ميثاق عيسى كما بين حال اليهود في نقضهم ميثاق موسى فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي
من الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح وجميع انبياء الله وانهم كلهم عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وانما نسبهم
الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها لهذا لم يقل من النصارى الا انه سبحانه اطلق هذا الاسم في موضع عليهم لانه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن
فنسوا حظا مما ذكروا به مر بيانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اختلف فيه فقيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين
اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من خلافهم العداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبري وانما اغري بينهم العداوة بالاهواء
المختلفة في الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح ابن مريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلاثة الله
وعيسى ومريم وقيل بامره بعضهم ان يعادي بعضهم بعضا عن الجبائي فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء يكفر بعضهم بعضا قوله الى يوم القيمة
به المعاداة لا تنقطع بينهم الى يوم القيمة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل الوجه في قوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء انه امرهم ان يتخلوا
فيما بينهم وكلهم على خطاء وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم الى الخطاء وانهم لا ينال غرضها بعضهم خطاء بعض فتعادوا على ذلك

تباغضوا ولم يعرفوا كل فرقة منهم حظا لانفسهم فلم يصل كل منهم الى المعرفة بحظها حينئذ الا من جهة كتاب الله وولاء له والتعادي بينهم كان من اجل ذلك
جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حارث وقيل الوجه في ذلك انا اخطرنا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه ليهيج
العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق وسوف ينبئهم الله عند المحاسبة بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على حسب
استحقاقهم وكانه لما قال سبحانه فاعف عنهم واصفح بين ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم على صنيعهم بتبع فعلهم قوله تعالى يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴿ اللغة الرضوان والرضا من الله سبحانه
هو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو خلوص الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها ونقيضها
الغضب قال لان الرضا بما مضى يصح ارادة ما مضى لا يصح نقول يصح ان يرضى عما كان ولا يصح ان يريد ما كان فاما هذا الذي ذكره غير صحيح لان الرضا عبارة عن
ارادة وحدوث الشيء من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتعقبها كراهية فتقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد بعد الارادة فيسمى رضا بما كان فقط
الا ان يجد وقوع المراد بعد الارادة فيسمى رضا بما كان فسقط ما قاله ﴿ المعنى ثم ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعائهم
الى الايمان بمحمد وذكرهم ما اتيهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب يعني ما بينه من رجم الزانين واشياء كانوا يحرفونها من كتبهم بسوء التاويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لان الكتاب اسم جنس فيه معنى
العهد فصار كالطريقة الا انها في اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب واحد ويعفو عن كثير معناه يترك كثيرا لا يذكره ولا يؤاخذكم به لانه لم يؤمر به عن
الجبائي وقيل معناه ويصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه في تبيين بعضه وترك بعضه انه بين ما فيه دلالة على نبوته من صفته ونعته والبشارة
به وما يحتاج الى علمه من ذلك مما سقوله لاسباب التي يحتاج معها الى استعلامه كالتوقف في الرجم وما عدا هذين مما لم يحتج في تفصيله فائدة كفى ذكره في
الجملة قد جاءكم من الله نور يعني بالنور محمدا لانه يهتدي به الخلق كما يهتدي بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لانه يبين الحق من الباطل عن
ابي علي الجبائي والاول اولى لقوله وكتاب مبين فيكون اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين يهدي به الله اي بالكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبي من اتبع
رضا الله في قبول القرآن والايمان وتصديق النبي واتباع الشرايع سبل السلام قيل السلام هو الله تعالى عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو شريعته
التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه السلامة من كل مخوف ومضرة الا يقيد به لا يؤول الى النفع في العاقبة عن الزجاج اي يهدي الى طرق
السلامة من اتبع ثوابه الى رضا الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدي انه يفعل اللطف المؤدي الى سلوك طريق الحق ويخرجهم
من الظلمات الى النور لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالايمان الى النجاة كما يهتدي بالنور باذنه اي بلطفه ويهديهم الى صراط
مستقيم اي يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ﴿ اللغة الاحباء جمع الحبيب والحب
المحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة وقد يستعمل في كل واحد منهما يقال احب استقامة امورك ﴿ الاعراب الله تعالى في قوله
لقد كفر فهو على الحكاية تقديره لقد كفر الذين قالوا ان الله وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات على الجمع لانه اراد النوعين والصنفين
كما قال الشاعر طرفاه ... فلما التقى الواقع كالعصا حولا فقال طرفا ثم قال فتلك ﴿ المعنى ثم حكى سبحانه عن النصارى فقال قالوا ان المسيح
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم كفرهم الله سبحانه بهذا القول لانهم قالوا على وجه التدين به والاعتقاد له لا على وجه الانكار وانما كفروا
بذلك من وجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير الله ممن ليس باله والآخر انهم كفروا بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات
الله سبحانه فقالوا انه اله وكل جاهل بالله كافر لانه ضيع نعمة الله كان بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن يملك من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله
شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك تقديره من يملك من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا عنى بذلك انه لو كان المسيح الها لقدر على دفع امر الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس يقدر على ذلك لانه سبحانه القادر على مغالبة القديم
فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه ان من قدر على هذا لم يجز ان يكون ضدا له ولا ان يشبهه شيء ولله ملك السموات والارض
وما بينهما ومن كان بهذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا له لم يكن الها ولا ابنا له لان المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون
الها وقوله يخلق ما يشاء اي يخلق ما يشاء ان يخلقه فان شاء خلق من ذكر وانثى وان شاء خلق من انثى بغير ذكر فيه تنبيه على انه ليس في كون المسيح من انثى بغير ذكر دلالة
على كونه الها وقوله والله على كل شيء قدير يعني يقدر على كل شيء بان يخلقه وفي هذه الآية رد على النصارى القائلين بان الله سبحانه جل جلاله اتحد بالمسيح فصار انسانا
لانه اوجب ان يعبد ويتخذ الها فاحتج عليهم بان من جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل الكتاب
فقال وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من ابيه والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله جعلوا نفوسهم

ابناء

ابناء الله واحباؤه لانهم تأولوا ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وزيد بن التابوه و
غيرهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه يزول عن
قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح بن الله اجري ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراء اي منهم شعراء وكما قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء الله
قال تابعوهم وكما قال جرير قدسنا ابا مسعدة القين بالعصا فقال قدسنا وانما كان الشاعر رجلا من قوم جرير ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله قل لهؤلاء المفترين على ربهم فلم
يعذبكم بذنوبكم اي فلاي شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبهم وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا
بذلك كذبوا بكتبهم وقد اقرت اليهود بانهم يعذبون بعضهم عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل اي فلم عذبكم وقد
اقررتم بانه عذبكم عند عبادتكم العجل عذبكم بان جعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباءه ما عذبكم
بل انتم بشر ممن خلق اي ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم خلق من بني آدم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازي غيركم
وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انما علق العذاب بالمشية مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصيا لان ذلك على الاغلب (?)
ولا يحاسبه الامور الى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة ولله ملك السموات والارض يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اي ما بين الصنفين
دون ذلك على انه لا ولد له لان الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا له واليه المصير مرجع الكل وما يؤول اليه حال العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره ولا امر يطلع لكم
لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امر فلان الى القاضي اي انما يراد بذلك المنتصر فيه والامر له لا على معنى قرب المكان قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير اللغة الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر
فتورا اذا سكن فيه والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر عليه من الجد في العمل من قولهم فتر الماء اذا انقطع عما
كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر الاعراب موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا
فحذف المضاف الذي هو مفعول له واقيم المضاف اليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا ومن في قوله من بشير زائدة وفائدتها نفي الجنس وموضع
الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير المعنى ثم عاد سبحانه الى خطاب اهل الكتاب فاحتج عليهم بسلطانه والزمهم الحجة برسول الله فقال يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وآله يبين لكم اي يوضح لكم اعلام الدين وفيه دلالة على انه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره على فترة من الرسل اي على انقطاع
من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبي وكانت الفترة بين عيسى ومحمد وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني اسرائيل وذكر
عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا في هذه الفترة بينهما فقيل ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة وستون عن قتادة في رواية
اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمسمائة وشيء عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد خمسمائة وتسع وستون سنة وكان
بعد عيسى اربعة من الرسل هو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا ادري من الرابع فكان من تلك المدة مائة واربع وثلاثون سنة
نبوة وسايرها فترة عن الكلبي ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا محتجين يوم القيمة ما جاءنا
بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين سبحانه انه قد قطع عذرهم عليهم وازاح علتهم بارسال رسوله فقال فقد جاءكم بشير ونذير وهو
محمد يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شيء قدير ظاهر المعنى وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لان الحجة بمنع اللطف
تكون الحجة بمنع القدرة اوكد من الحجة في ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثة الانبياء مصلحة لهم فاذا لم يبعث تكون لهم الحجة فاما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم
ان لم يبعث اليهم الرسل قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين آيتان اللغة اصل التقديس التطهير
ومنه قيل للسطل القدس لانه يتطهر به ومنه تسبيح الله تقديسه هو تنزيهه عما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب الاعراب انبياء
لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها بخلاف علامة التانيث في حمزة وقائمة فانها لا تلزم فلذلك انصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب
على الحال من الواو في فتنقلبوا المعنى ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبيهم تسلية لنبينا في مخالفتهم اياه فقال واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد
اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم واياديه لديكم وآلاءه فيكم اذ جعل فيكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب وتنصرون بهم على الاعداء ويبينون لكم
الشرايع قيل هم الانبياء الذين كانوا بعد موسى مقيمين فيهم الى زمن عيسى يبينون لهم امر دينهم وجعلكم ملوكا بان سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم عن قتادة
وقيل انه خاطبهم موسى بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك لا يدخل عليه الا باذن فهو ملك كائنا من كان عن
عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روي عن النبي انه قال من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها
وقيل الملك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتكفف في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر
والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني ملكهم ان يكون الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي يكون بها الانسان ملكا عن ابي القسم البلخي
وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي اعطاكم ما لم يؤت احدا من عالمي زمانكم عن الحسن والبلخي وقيل معناه ما اكرمكم به من اجتماع هذه الامور وكثرة الانبياء
والآيات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي والخطاب في قوله وآتاكم فيه قولان احدهما لقوم موسى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهو

الاظهر وقيل هم امة النبي عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم سبحانه دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال يا قوم حكاية عن خطاب موسى لقومه ادخلوا الارض
المقدسة وهي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج والفراء وقيل هي الشام عن قتادة وقيل هي ارض
الطور وما حوله عن مجاهد المقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء والمؤمنين التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انها
لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن قتادة والسدي فان قيل كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة
عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم عن ابن اسحق وقيل ان المراد به الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كانه مكتوب لبعضهم حرام على
البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى بشهرين ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل
لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي فتنقلبوا خاسرين الثواب في الآخرة وانما قال ذلك لانهم كانوا امروا ان يدخلوها كما امروا بالصلوة وغيرها عن قتادة والسدي
وقيل انهم لم يؤمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا خاسرين حظكم في دخولها كما يقال الخسران في البيع فلان القصة قال المفسرون لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك
فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول فبعث من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا فعاينوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى بني اسرائيل فاخبروا موسى بذلك فامرهم ان يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه
كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يهودا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتم اثنان منهم واظهر الباقون وفشى الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون
نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وارادوا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي
فاوحى الله اليه انهم يتيهون في الارض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وهم ستمائة الف
مقاتل لا تخرق ثيابهم وتنبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات اكثرهم ونشأ ذراريهم فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها
واختلفوا فيمن فتحها فقيل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان الله قد بعثه نبيا وروي انهم كانوا في المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع وكان قد نبئ
فرد الله عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهرون عليهما السلام في التيه وتوفي هرون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة في ملك
افريدون ومنوچهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاة موسى مدبرا لامر بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم
غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ثلث آيات
بصري وثلاث عند غيرهم غالبون وقوله جبارين [illegible] اللغة الجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من الناس
هو الذي يجبرهم على ما يريد بالجبر العظيم وهو كالاكراه على الصلح قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعور الرحمن من ولى العور والجبار في صفة الله تعالى
صفة تعظيم لانه يفيد الاقتدار وهو سبحانه لم يزل جبارا [illegible]
في حكم المنادى بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بانه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فان العظمة لله سبحانه الاعراب
فاذهب انت وربك اتى بالضمير المرفوع المنفصل تاكيدا للضمير المستكن فانه يستقبح العطف عليه فانه يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل
من غير ان يؤكد لانه يصير كانه معطوف على الفعل اذا عطف على ما هو متصل بالفعل غير منفصل عنه ولا يجوز ان يقال انه ابرز الضمير فان ابرز بعد الفعل
خاليا منه قوله اذهب غير بارز من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لان ذكر المفعول صار عوضا من الضمير المنفصل كما
كان لا في قوله ولو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عوضا المعنى ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه قالوا يعني بني اسرائيل يا موسى ان فيها اي في الارض المقدسة
قوما جبارين شديدي البطش والباس في الخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروه من خبرهم رآهم رجل
من الجبارين يقال له عوج فاخذهم في كمه مع فاكهة كان حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال للملك تعجبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك
ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكانت فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى كان طوله
عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع وانا لن ندخلها يعني المدينة حتى
يخرجوا منها فان يخرجوا يعني الجبارين منها فانا داخلون قال رجلان من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرفوا خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب بن
يوفنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس من الذين يخافون الله تعالى انعم الله عليهما بالاسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اي لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالوا الحق انعم الله
عليهما بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروي ذلك عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون خبر عن الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما انهم يظفرون بهم و
يغلبونهم اذا دخلوا باب مدينتهم بما اخبرهم موسى من وعد الله تعالى بالنصر وقيل لما رأوه من القاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا
وعلى الله فتوكلوا في نصرة الله على الجبارين ان كنتم مؤمنين بالله [illegible] ثم اخبر عن قوم موسى انهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها اي هذه المدينة
ابدا ما داموا فيها اي ما دام الجبارون فيها انما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ثم [illegible] بوعد الله سبحانه بالنصر لهم عليهم

فاذهب

فاذهب انت وربك فقاتلا الجبارين انا هاهنا قاعدون الى ان تظفر بهم وترجع الينا فحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين
احدهما ان الكلام كله يدل على الانكار عليهم والتعجب من جهلهم في تلقيهم امر ربهم بالرد له والمخالفة عليه والاخر انهم لما قالوا ذلك مجازا بمعنى وربك معين
لك على ما قاله ابو القسم البلخي والاول اليق بجهل اولئك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله حق
معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان الى مكان فانه كفر وان قالوه على وجه الخلاف فانه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم
الله انى يؤفكون فانه مجاز والمعنى انه بمنزلة من يقاتلهم عداوة لان المقاتل يحل به ما يحل بالمقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان ثم بين الله **قوله تعالى**
قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم
الفاسقين ايتان **اللغة** اصل التيه التحير الذي لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه يتيه تيها وتوها اذا تحير وتيهته وتوهته
الياء اكثر والتيهاء من الارض هي التي لا يهتدى فيها اي ترضيها والاسى الحزن يقال اسي ياسى اسى اذا حزن قال امرؤ القيس وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك
اسى وتجمل **الاعراب** اخي يجوز ان يكون في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب فرفعه من وجهين احدهما ان يكون عطفا على موضع اني وشئت ان الله بريء
من المشركين ورسوله والاخر ان يكون معطوفا على ما في املك فالمعنى لا املك انا واخي الا انفسنا ونصبه ايضا من وجهين احدهما ان يكون عطفا على الياء في
اني واخي لا نملك الا انفسنا والاخر ان يكون عطفا على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون
وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطأ لانه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابدا **المعنى** ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم امره
تعالى لما قال اي قال موسى اذا غضب على قومه رب اني لا املك الا نفسي اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لانها التي تجيبني اذا دعوتها واخي كذلك لا
يملك الا نفسه او يكون معناه ولا املك الا اخي لانه يجيبني اذا دعوته فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي فافصل بيننا وبينهم بحكمك سماهم فاسقين وان كانوا
قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الايمان الى الكفر والفسق الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصي قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن
امر ربه فعلى هذا في سؤال موسى ان يفرق بينه وبينهم قولان احدهما انه سأل ان يحكم ويقضي بما يدل على بعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوه من العصيان ولذلك القوم
في التيه عن ابن عباس والضحاك والاخر انه سأل ان يفرق بينه وبينهم في الاخرة بان يكون هؤلاء في النار وهو في الجنة ولو دعا بالهلاك لاهلكوا عن الجبائي قال
اي قال الله سبحانه لموسى فانها محرمة عليهم اي الارض المقدسة حرمت عليهم وفي كيفية التحريم قولان احدهما انه تحريم منع كقول امرئ القيس جالت لتصرعني فقلت
لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام يعني ابنته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس لا تمكنني ان تصرعيني ويجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابي علي الجبائي
والاول اظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا امروا بان يطوفوا فيها اربعين سنة يتيهون في الارض اي يتحيرون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان
مقداره ستة فراسخ عن ابن جريج كانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن مجاهد واكثر المفسرين ان موسى وهرون كانا معهم في التيه وقيل انهما لم
يكونا في التيه لان التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبياء لا يعذبون قال الزجاج ان كانا في التيه جاز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك
كما سهل على ابرهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما ومات فيها الاخرون ومات موسى في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع ابن اخت موسى ووصيه والنبي
في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد وانما فتح المدينة موسى ومتى سأل فقيل كيف يجوز على عقلاء كبيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا
يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك بان تحول الارض التي هم عليها اذا ناموا فيردوا الى المكان الذي ابتدؤوا منه عن ابي علي والاخر ان
يكون ذلك بالاسباب المانعة من الخروج عنها اما بان يمحو العلامات التي يستدل بها او بالقاء شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للعادة وقال قتادة لم يدخل
بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت موسى بشهرين وانما دخلها اولادهم معهما فلا تأس على القوم الفاسقين خطاب لموسى امره الله تعالى ان
لا يحزن على هلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي **قوله تعالى** واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك
قال انما يتقبل الله من المتقين اية **اللغة** القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران
والكفران من الشكر والكفر وقربان الملك جلساؤه لقربهم اليه **الاعراب** اذ قربا متعلق بقوله نبا والتقدير نبا ابني ادم وما جرى منهما حين قربا قربانا فجمعهما
الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا **المعنى**
واتل اي واقرأ عليهم نبا ابني ادم اي خبرهما بالحق اي بالصدق وجمهور المفسرين على انهما كانا ابني ادم لصلبه الا الحسن فانه قال كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قربا قربانا اي فعلا
فعلا يتقرب به الى الله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر تقبل الطاعة ايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك الزمان نارا تاتي فتاكل
المتقبل ولا تاكل المردود عن مجاهد والاول اظهر قال لاقتلنك في الكلام حذف تقديره قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لاقتلنك فقال له لم تقتلني
قال لانه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني قال له وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين كلام مطلق للعلم بان المراد انها الحق مما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما
يتقبل الله ممن كان زاكي القلب ورد عليك لانك لست بزاكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى
ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها
على وجه لوجهه يستحق عليه الثواب **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين حال اليهود في نقض العهد وارتكاب الفواحش
كما ذكر حال ابن ادم في قتله اخاه وما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه ان يتلو عليهم اخبارهما تسلية لنبيه فيما ناله من جهلهم وتكذيبهم وتبكيتا لليهود

قالوا

قالوا ان حواء امرأة ادم كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل بن ادم وقيل قابين وتوامته اقليما بنت ادم والبطن الثاني هابيل وتوامته
لبوذا فلما ادركوا جميعا امر الله تعالى ان ينكح ادم قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضي هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسن منها وقال ما امر الله سبحانه
بهذا ولكن هذا من رايك فامرهما ادم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فعمد هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من
شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فاتت النار فاكلت قربان هابيل وكان ادم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال
قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا فقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تاخذ اختي الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه
بحجر فقتله روي ذلك عن ابي جعفر الباقر وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الاخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب وقرب بشر ماله واخبثه وقرب
هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكان تنزل نار من
السماء فتاكله وعن اسمعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتع في الجنة حتى فدي به ابن ابرهيم **قوله تعالى** لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله
فاصبح من الخاسرين ثلث ايات **اللغة** البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهي المنزل وباؤا بغضب من الله اي رجعوا
البوء الرجوع بالقود وهم في هذا الامر بواء اي سواء طوعت فعلت من الطوع والعرب يقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع له كذا اي اتاه
طوعا ولا يقال اطاعته نفسه لان اطاع يدل على قصد الموافقة بمعنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة انقطاع له اصول الشجرة وفي الفعل معنى ما لا نفس
الفاعل نحو حول لنفسه نفسه وقتل نفسه فيه ما لا يتعدى الى ذلك نحو لم ونهي لان الامر والنهي لا يكونان الا ممن هو على الى من هو دونه **الاعراب** لئن بسطت اللام
للقسم جوابه ما انا بباسط لا يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام بالقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم ولام الابتداء لم
يجز بالفاء لان المقسم عليه يجب مع القسم انما القسم موكدة وجواب الشرط يجب بوجود الشرط فاذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من الجزاء
لانه لما تقدم القسم صار الجزاء حشوا الكلام عليه على الجواب فصار له واكتفي به عن جواب الشرط لدلالته عليه **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال
لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم يتقبل قربان اخيه لئن بسطت الي يدك ومعناه لئن مددت الي يدك لتقتلني اي لان تقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اي لان اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المأمور به ليكون الله تعالى
هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد اختاره الجبائي وقيل ان معنى الاية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم والابتداء لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك على
وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قال انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى والظاهر يقتضي هذين الوجهين شبيه لانه تعالى حكى عنه انه
وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يمد هو يده ليقتله لان اللام بمعنى كي وهو منبئ عن الارادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لان المدافع انما يحسن
منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله فكانه قال لئن ظلمتني لم اظلمك اني اخاف الله رب العالمين معناه اني اخاف الله في مد يدي اليك
لقتلك اني اريد ان ترجع باثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس والحسن وابن مسعود وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج
اثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه باثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سببت القتل وقيل ترجع باثمي بعقابه لانه لا يجوز لاحد
ان يريد معصية الله من غيره ولكن يجوز ان يريد عقاب المستحق عليها لمعصيته ومتى قيل كيف يحسن ارادة عقاب لم يقع سببه القتل على هذا لم يكن وقع بعد قيل يجوز
ان ذلك بشرط يحسن وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما راى من جهة العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه فيكون
من اصحاب النار اي فيصير بذلك من الملازمين النار وذلك جزاء الظالمين اي عقاب العاصين يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن قول هابيل ويحتمل ان يكون
ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه اي قولان احدهما انها شجعته نفسه على قتل اخيه عن مجاهد وثانيهما ان المراد زينت له نفسه قتل
اخيه وثالثها ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتل اخيه فلما حذف حرف الجر نصب وقيل اخيه من قال انه معنا زينت له فيكون قتل اخيه مفعولا به
قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير فاخذ طيرا اخر وترك راسه بين حجرين فشدخه فتعلم قابيل منه وفعل مثله وقيل هو اول قتيل كان في الناس
فاصبح من الخاسرين اي ممن خسر الدنيا والاخرة وذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح على انه قتله ليلا وهذا ليس بشيء لان من عادة العرب ان يقولوا اصبح
فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كانت نتيجة الخسران يعنون حصوله كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت **قوله تعالى** فبعث الله غرابا يبحث في
الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتي اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين اية **اللغة** البحث طلب
الشيء في التراب ثم يقال بحثت عن الامر بحثا واصل السوءة التكرة يقال ساءه يسوءه سوءا اذا اتاه بما يكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة عجزت
عن الامر اعجز عجزا ومعجزة **الاعراب** قال الزجاج يا ويلتي الوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه والنداء لغير الادميين نحو يا حسرتاه ويا ويلتا انما وقع
كلام على تنبيه المخاطبين وان الوقت الذي تدعى هذه الاشياء هو فيها فالمعنى يا ويلتي تعالى فانه من اوانك وكذلك معنى الويل كذلك يا عجبا المعنى يا ايها
العجب هذا وقتك هذا على كلام العرب وقرأ الحسن يا ويلتي وهو حكاه الازهري انها بمعنى **المعنى** فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه قال كان هابيل
اول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والاخر ميت وقيل كانا حيين فقتل احدهما صاحبه ثم
بحث الارض ودفنه فيه ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني ادم كانا من بني

اسرائيل

اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القتيل فلما رأى قابيل ما أكرم الله به هابيل انه بعث طيرا ليواريه وتقبل قربانه قال يا ويلتى عن الأصم
وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا دلالة على ان الفعل من الغراب وان كان المعنى بذلك الطير كان مقصودا الى هذا الضرب سبحانه بعثه الى نفسه لم
يقع اتفاقا كما قاله ابو مسلم لكنه تعالى ألهمه قال الجبائي كان ذلك معجزا مثل حديث الهدهد وحملة الكتاب في زمن الجوب السلام ويجوز ان يريد الله في
فهم الغراب حتى يعرف هذا الفعل كما نراه صبيانا نافعة مواضع لديه ليريه الغراب قابيل كيف يواري أي ليعلم كيف يغطي ويستر سوأة أخيه عورة أخيه قال الجبائي
بل يعني جيفة أخيه لانه كان تركه حتى انتن فقيل لجيفته سوأة قال يا ويلتى أعجزت هيهنا حذف فالتقدير ليريه كيف يواري سوأة أخيه فواراه وقال القاتل لما
يا ويلتى أعجزت أن أكون في هذا العلم مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي والسوأة عبارة عما يكره وعما ينكر فأصبح من النادمين على قتله ولكن لم يندم
على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لانه صدعه فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله عن الذي القصة
روى العياشي عن جعفر الصادق ع قال لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى أروح علقت عليه الطير
تنظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ودفنه ثم ألقاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن أخاه عن ابن
عباس قال لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فاذا
قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح وقال سالم
ابن أبي الجعد لما قتل هابيل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك ثم أتي فقيل له حياك الله وبياك أي أضحكك قالوا ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك
بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل كان وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا
شريدا مذعورا لا يأمن من يراه وذهب الى عدن من اليمن فأتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك
فبنى بيت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ أولاده آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة
النار والزنا والفواحش حتى غرقهم ايام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث قوله تعالى من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير
نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض (أخيه)
لمسرفون آية القراءة قرأ ابو جعفر يزيد وحده من اجل ذلك بكسر النون موصولة والباقون من اجل مقطوعة الهمزة مفتوحة الحجة قال ابن جني يحتمل
فعلت ذلك من جلك في من جلك أي من اجلك فيجب ان يكون على هذا قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على نون من (من جلك و)
كقولك في تخفيف كم ابلك كم بلك اللغة الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا يأجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال خوات بن جبير وأهل خباء
صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله أي انا جانيه وهذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جرائك من اجلك أي من جر بك
كأنه يقول انت جررتني الى ذلك وانت جنيت علي هذا وعندي الاجل الوقت لانه يجر اليه الوقت العقد الاول والاجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما جر اليه والاجل
القطيع من بقر الوحش واحد الآجال لانها يجر بعضها الى بعض قال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكأ صلبا بازار اراد من اجل
فحذف الجار فوصل الفعل فنصبه الاسراف الخروج من التقصير الاقتصاد هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار الاعراب اختلف في قوله من اجل ذلك
فقيل انه من صلة النادمين أي فأصبح من النادمين من اجل انه حين قتل أخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة
المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله الحجة من الاول ان ندمه لجهله بانه دليل ودليل الآية فضل الاول لانه من جعله من صفة الندم
أسقط العلة للكتابة ومن جعله من صفة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد يقدم ما كشف عنه فكان هذا أولى المعنى ثم بين سبحانه التكليف في باب القتل
فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جنايته ذلك الذي هو الاشارة الى قتل احد ابني آدم اخاه ظلما كتبنا على بني اسرائيل أي حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل
نفسا أي من قتل نفسا ظلما بغير نفس أي بغير قود عن ابن عباس أو فساد في الارض أو من قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الأرض فاستحق بذلك قتلها
وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما ذكر الله في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فكأنما قتل الناس جميعا
ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا فقيل في تأويله اقوال احدها ان معناه هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وتر من قصد لقتلهم جميعا فاوصل
اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اتى به على قول وصل الى المقتول فكأنه قتلهم كلهم ومن استنقذها من غرق أو حرق او هدم او ما يميت لا محالة او استنقذها من ضلال
فكأنما احيا الناس جميعا أي أجره على الله أجر من احياهم جميعا لانه في اسدائه المعروف اليهم باحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد منهم عن مجاهد
والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى مروي عن ابي عبد الله ع ثم قال وافضل من ذلك ان يخرجها من ضلال الى هدى وثانيها ان من قتل نبيا او اماما عدل فكأنما
قتل الناس جميعا أي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكأنما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس وثالثها ان
من قتل نفسا بغير حق فعليه مأثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل وسهله لغيره وكان بمنزلة المشارك ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه
بان يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله فلم يقدم على قتلها لذلك فقد احيا الناس بسلامتهم منه فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار الطبري و
يؤيده قوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ورابعها ان المراد فكأنما
قتل الناس جميعا عند المستنقذ المقتول ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة وخامسها ان معناه يجب عليه القصاص

بقتله

من قتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن عفى عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما لو عفى عن الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق
لا يقدر على خلق الحياة غيره وانما قال احياها على سبيل المجاز ثم حكى عن نمرود انه قال انا احيي واميت فاستبقى واحدا وقتل الآخر ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
معناه ولقد اتت بني اسرائيل الذين ذكرنا قصصهم جاءتهم رسلنا بالبينات الواضحة والمعجزات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان كثيرا منهم يعني من بني
اسرائيل بعد ذلك في الارض لمسرفون أي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاما في كل متجاوز عن حق وتوليه ما روي عن
ابي جعفر ع المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم آيتان اللغة اصل النفي الاهلاك بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير
من الماء عن الدلو قال الراجز كأن متنيه من النفي مواقع الطير من الصفا والنفي الطرد قال اوس بن حجر ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما يلي القرد وخزي
الفضيحة يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان اذا استحيى وخزيته اخزوه اذا ساسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل الاكبر
فسادا مصدر وضع موضع الحال أي يسعون في الارض مفسدين ويجوز ان يكون في موضع نصب بانه خبر المبتدأ الذي هو جزاء الذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع
رفع بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا الى ما بعده من الحد النزول اختلف في
نزول الآية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ص موادعة فنقضوا العهد وافسدوا في الارض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة
وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة مظهرين للاسلام فاستوخموها واصفرت الوانهم فأمرهم النبي ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وابوالها ففعلوا
ذلك فصحوا ثم مالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فأخذهم النبي ص وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة و
سعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جل الفقهاء المعنى لما تقدم ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم
فيهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله أي اولياء الله كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله ويحاربون رسوله ويسعون في الارض فسادا المروي عن اهل البيت
ان المحارب هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر فان اللص المحارب في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي
ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطا الخراساني والمعنى في قوله جزاؤهم بما لا هذا عن الزجاج قال
لان القائل اذا قال الجزاء لك دينار جاز ان يكون معه غيره واذا قال انما الجزاء لك دينار كان المعنى ما الجزاء لك الا دينار ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم قال ابو جعفر وابو عبد الله ع انما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان اخذ المال
ولم يقتل فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع
وعلى هذا فان ولي الله يأخذ هذا بتهذيبه الحكم باختلاف الجنايات وقال الشافعي ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا وان لم يقتل قال ويحك كل واحد بعد
قتله فيجب عليه الصلب وقيل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال ابو عبيدة سألت محمد بن الحسن عن قوله ان يصلبوا فقال ان يصلب حيا
ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو رأي ابي حنيفة فقيل له هذا مثلة قال المثلة يراد بها وقيل معنى او هيهنا الاباحة والتخيير أي ان شاء الامام قتل وان شاء صلب
وان شاء قطع وان شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روي ذلك عن ابي عبد الله ع وقوله من خلاف معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى او ينفوا من الارض
قيل فيه اقوال والذي يذهب اليه اصحابنا ان الامام ينفيه من بلد الى بلد حتى يتوب ويرجع قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي قال اصحابنا
ولا يمكن من الدخول الى بلاد الشرك ويقاتل المشركين على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هو ان ينفى من بلده الى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز (المسجون)
وعن سعيد بن جبير في رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه النفي هو الحبس في السجن واحتجوا بان المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف
محولا بينه وبين اهله مع مقاساته الشدائد في الحبس وانشدوا قول بعض المسجونين خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جاءنا
السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك أي فعل ما ذكرناه لهم خزي أي فضيحة وهوان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم زيادة على ذلك
وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال ان اقامة الحدود تكفير للمعاصي لانه سبحانه بين ان لهم في الآخرة عذابا عظيما مع اقامة الحدود عليهم والمعنى انهم
يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية انه يفعل بهم لا محالة لانه لا يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل باسقاط ما يستحقونه من العذاب الاكبر الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم استثنى سبحانه من جملتهم من تاب من قبل ان يؤخذ ويقدر عليه لان توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه في يد
الامام لا تنفعه بل يجب اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم يقبل توبته ويدخله الجنة وفي هذه الآية حجة على من قال لا تصح التوبة عن معصية مع الاقامة
على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية لانه علق بالتوبة حكما لا يحل به الاقامة على معصية هو شكر او غيره قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون آية اللغة اصل الابتغاء في اللغة الطلب يقال بغى يبغي ويقال ابتغى الشيء اذا طلبه
فبغى ابتغوا اليه بحقه والوسيلة فعيلة من قولهم توسلت اليه أي تقربت قال عنترة ان الرجال لهم اليك وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي
ويقال وسل اليه أي تقرب قال لبيد بلى كل ذي رأي الى الله واسل ومنه الوسيلة والوصلة القربة المعنى لما تقدم ذكر القتل للمحاربين عقب ذلك
بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله أي اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة أي اطلبوا اليه القربة بالطاعات عن (حسن)

الحسن ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم فكأنه قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة افضل درجات الجنة عن عطاء وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينالها الا عبد واحد وارجو ان اكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال في الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احديهما بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون الف غرفة ابوابها واكوابها من عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد واهل بيته والصفراء لابراهيم واهل بيته وجاهدوا في سبيله اي في طريق دينه مع اعدائه من المشركين بالجهاد في دين الله لانه وصلة الى ثوابه والسبيل الدليل على الشيء طريق الى العلم به التعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه واللطف طريق الى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب بالسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بنعيم الابد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل وعسى من الله واجب فكأنه قال اعملوا لتفلحوا قوله تعالى ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم آيتان الاعراب خبر ان في لو وجوابها قوله ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون في موضع الحال وان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وفي موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو وراء علاه لرجمه لانه في موضع معتمد الفائدة ومعنى التالي في استينافه وانما اجيب لو بما ولم يجز ان يجاب ان بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها ان تضمن ان يجاب جواب القسم لانه غير عاملة وان عاملة فلذلك صح ان يجاب بلا ولم يصح يجاب بما تقول ان اتيتني لا الحقك شيء ولا يجوز ما لان لا تنفي ما بعدها اذا وجب مثلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما تنفي ما بعدها ما يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام المعنى ثم اخبر تعالى عن حال الكفار فقال ان الذين كفروا لو ان لهم لكل واحد منهم ما في الارض جميعا من المال والاولاد والملك ومثله معه اي مثل ذلك ليفتدوا به اي ليجعلوا ذلك فداء لانفسهم من عذاب يوم القيمة الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ما تقبل منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اي وجيع يريدون ان يخرجوا من النار اي يتمنون ان يخرجوا من النار عن ابي علي الجبائي قال لان الارادة هنا بمعنى التمني وقيل معنى الارادة على الحقيقة اي كلما دفعتهم النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو كقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها عن الحسن وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذا دفعتهم بلهبها كما قال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه اي يكاد ويقارب فان قال قائل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بان الشيء لا يكون لا يصرف عن ارادته وانما الداعي الى الارادة حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعني من جهنم ولهم عذاب مقيم اي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب مني عذابا دائما لكم مقيما قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ثلث آيات الاعراب قال سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى فيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكم السارق والسارقة ومثله قوله الزانية والزاني فاجلدوا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال سيبويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة القراءة الا بالرفع يعني بالعامة الجماعة وقرء عيسى بن عمر والسارقة والسارق وكذلك الزانية والزاني وقال المبرد الاختيار عندي الرفع بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنى فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وانما دخلت الفاء في الخبر لانها للشرط المتوهم وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لان المراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع وليس في الجسد الا يمين واحدة قال الفراء وكل شيء موحد من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الانسان كاليدين والرجلين والعينين جمع لذلك يقال قطعت ارجلهما وفقئت عيونهما فلما جرى الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلي فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لا ترقع لانه الاصل ويجوز هذا ايضا في ما ليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خليتما نساءكما وانت تريد امرأتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لان المعنى اليمين من كل واحد منهما كما قال الشاعر كلوا في بعض بطنكم تعيشوا ويجوز في الكلام ان تقول ائتني برأس شاتين وبرأس شاة فمن قال برأس شاتين اراد الرأس من كل شاة ومن قال برأس شاة اراد رأسي هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الاضافة الى الاثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط واصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد فكان لفظ الجمع احق من لفظ الاثنين فلما كان لفظ الجمع لا يشتبه ذلك بالتثنية عند الاضافة الى الاثنين لانك اذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد استغنيت عن تثنية قلب قال وان ثنيت ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين وانشد ظهراهما مثل ظهور الترسين فجاء باللغتين وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بانه مفعول له وكذلك نكالا من الله ولو شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لان المعنى جازوهم ونكلوا بهم قال الازهري يقال نكل به ينكل نكلة اذا عزل فعلا من نكل ينكل اذا جبن المعنى لما ذكر تعالى الحكم فيمن اخذ المال بالحرابة عقبه ببيان الحكم فيمن اخذه سرا اي المال فقال والسارق والسارقة والالف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلا كان او امرأة وبدأ بالسارق هنا لان الغالب وجود السرقة في الرجال وبدأ في آية الزنا بالنساء فقال الزانية والزاني لان الغالب وجود ذلك في النساء فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي وتحقيق المسلمين انه تقطع اليد اليسرى

بعد

بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم يرد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نطق القرآن الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليدين في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله فقد صغت قلوبكما ودلت قراءة عبد الله بن مسعود على ان المراد بالايدي الايمان قال العلماء ان هذه الآية مجملة في ايجاب القطع على السارق والسارقة وبيان ذلك ماخوذ من السنة واختلف في المقدار الذي يقطع به السارق فقال اصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعدا وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور ورووا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه يقطع في عشرة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روي عن عطاء عن ابن عباس ان ادنى ما يقطع فيه ثمن المجن قال وكان ثمن المجن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة دراهم وذهب مالك انه يقطع في ثلثة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روي عن ابن عمر ان رسول الله قطع في مجن ثمنه ثلثة دراهم وقال بعضهم لا يقطع الا في خمسة دراهم اختاره ابو علي الجبائي وقال انه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة فانه فاسق وقال بعضهم يقطع يد السارق في القليل والكثير وهو مذهب الخوارج واحتجوا بعموم الآية وبما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده هذا الخبر قد طعن فيه اصحاب الحديث في سنده وذكر ايضا في تأويله ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وبالحبل حبل السفينة واختلفوا في كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء انه انما يقطع من الرسغ هو مفصل الكف والساعد ثم عند الشافعي تقطع يده اليمنى في المرة الاولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا يقطع في الثالثة وقال اصحابنا انه تقطع من اصول الاصابع وتترك له الابهام والكف وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك له عقبه يعتمد عليها في الصلوة فان سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور عن علي عليه السلام واجمعت الطائفة عليه واستدل على ذلك بعضهم بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ولا شك انهم انما يكتبونه بالاصابع والاجماع على ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز الا ما روي عن داود انه قال يقطع السارق وان سرق من غير حرز والحرز من كل شيء انما يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحده عند كل من لم يكن لغيره الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه جزاء بما كسبا اي افعلوا ذلك بهما جزاء على ما فعلاه نكالا من الله اي عقوبة منه على ما فعلاه فمن تاب من بعد ظلمه اي الظلم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اي فعل الفعل الصالح الجميل فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته باسقاط العقاب عنه عن المعصية التي تاب منها على التائب منه فائدة عظيمة وهي ان في ذلك ترغيبا للعاصي في فعل التوبة والله تعالى يوصف بالتواب الرحيم ويوصف العبد بانه تواب ومعنى التواب هو من صفات الرحمن ان الله غفور رحيم فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله الم تعلم قيل هو خطاب للنبي والمراد به امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكلف وتقديره الم تعلم ايها الانسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم ايها الانسان ان الله له ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما بلا دافع ولا مانع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء اذا عصاه ثم تاب اذا تاب فقد قيل انه لا يؤاخذه بذلك بعد التوبة وعند اهل الوعيد يغفر لمن يشاء ان يؤاخذه بعد التوبة على الوجه المشار اليه بالمشيئة والله على كل شيء قدير معناه قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم آية اللغة سماعون للكذب اي قابلون له يقال لا تسمع من فلان قوله اي لا تقبل ومنه سمع الله لمن حمده اي تقبل الله حمده وقيل معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسماع الجاسوس والفتنة الاختبار واصله التخليص من قولهم فتنت الذهب في النار اذا خلصته من الغش الاعراب ارتفع سماعون لانه خبر مبتدأ محذوف اي هم سماعون ويجوز ان يرتفع على ان يكون ومن الذين هادوا خبرا فيكون مبتدأ على قول سيبويه ومعمولا له على قول الاخفش ويكون تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله لم يأتوك في موضع جر لانه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله سماعون فيكون في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على انه حال من الضمير في اسم الفاعل اي سماعون محرفين الكلم اي مقدرين تحريفه ويقولون في انفسهم تحريفه اي يسمعون كقوله معرضا قال ابو علي قوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه مواضعه لو قال في معناه عن مواضعه جاز لان معناهما متقارب كما يقال اتيتك بعد فراغي من الشغل وعن فراغي منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لان المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا الشيء الذي كان هو كالسبب له وبعد انما هو لما تأخر عن كون الشيء فما صح فيه معنى السبب ومعنى التأخر جاز فيه الامران وما لم يصح فيه الا احد الامرين لم يجز الا احدهما النزول قال الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبي عن ذلك طمعا ان يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي اني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به ولولا خشية ان يحرقني رب التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا هكذا انزل الله

في التورية على من زنى فقال له النبي فما كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زنى الشريف تركناه واذا زنى الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة ثم يسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنا لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال انه انشدني بالتورية ولولا ذلك لما اخبرته فامر بهما النبي فرجما عند باب مسجده وقال انا اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذي امرت ان تعفو عنه فاعرض النبي عن ذلك ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي فقال صدقت واخبرني عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه شيء او بامه ليس فيه من شبه ابيه شيء فقال ايهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت فاخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة منه قال فاغمي على رسول الله طويلا ثم خلي عنه محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم والدم والظفر والشحم للمرأة والعظم والعصب والعروق للرجل قال له صدقت امرك امر نبي فاسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من يأتيك من الملائكة قال جبرئيل قال صفه لي فوصفه النبي فقال اشهد انه في التورية كما قلت وانك رسول الله حقا فلما اسلم ابن صوريا وقعت فيه اليهود وشتموه فلما اراد ان ينهض وتعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجم والقصاص الآيات المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه بتسلية النبي والامانة من كيدهم فقال يا ايها الرسول لا يحزنك اي لا يغمك حزنك ولا يحزنك ومعناه الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون فيه بالاصرار عليه والتمسك به من المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا اي ومن اليهود سماعون للكذب قيل هو كناية عن اليهود والمنافقين وقيل عن اليهود خاصة والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك سماعون قولك كلاما لقوم آخرين لم يأتوك ليكذبوا عليك سماعون كلامك اذا رجعوا اليهم اي هم عيون عليك لانهم كانوا رسل خيبر واهل خيبر لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره ابو علي وقيل معناه سماعون للكذب قائلون للكذب سماعون لقوم آخرين ارسلوهم في قصة زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه لانهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التورية عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل انما كان ذلك في قتيل منهم قالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال ابو جعفر كان ذلك في امر بني النضير وبني قريظة يحرفون الكلم اي كلام الله من بعد مواضعه اي من بعد ان وضعه الله مواضعه فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم الى اربعين جلدة عن جماعة من المفسرين وقيل بدلوا حكم القتل من القود الى الدية حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل اراد به تحريفهم التورية بتحليله الحرام وتحريمه الحلال وقيل انهم يحرفون كلام النبي بعد سماعه ويكذبون عليه عن الحسن والجبائي وكانوا يكتبون بذلك الى خيبر وكان اهل خيبر حربا لرسول الله وفي هذا تسلية للنبي يقول ان اليهود كيف يؤمنون بك مع انهم يحرفون كلام الله في التورية ويحرفون كلامك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي يقول يهود خيبر ليهود المدينة ان اعطيتم هذا اي ان امركم محمد بالجلد فاقبلوه وان اوتيتم بالقود فلا تقبلوه وان لم تعطوه يعني الجلد بان افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن وقيل معناه ان اوتيتم الدية فاقبلوه ومن يرد الله فتنته قيل فيه اقوال احدها ان الفتنة العذاب اي من يرد الله عذابه كقوله على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم اي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وابو مسلم وثانيها ان معناه من يرد الله اهلاكه عن السدي والضحاك وثالثها ان المراد من يرد الله خزيه وفضيحته باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج ورابعها ان المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والاصح الاول فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تستطيع ان تدفع لاجله من امر الله الذي هو العذاب او الفضيحة او الاهلاك شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم معناه اولئك اليهود لم يرد الله ان يطهرهم من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع على قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بان كتب في قلوبهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام عن الجبائي والحسن وقيل معناه لم يرد الله ان يطهرها من الكفر بالحكم عليها بانها برية منه ممدوحة بالايمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على انه سبحانه لم يرد منهم الايمان لان ذلك لا يعقل من تطهير القلب الا على جهة التوسع ولان قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم يقتضي نفي كونه مريدا لذلك على الوجه الذي لم يرد ذلك عليه المراد بذلك انه لم يرد تطهير قلوبهم بما يلحقها من الغم بالذم والاستخفاف ولذلك قال عقيبه لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولو كان المراد ما قاله المجبرة لم يجعل ذلك في ما لهم ولا عقبه بالذم ولا جعله حكم الجزاء على ما لاجله عاقبهم اراد ذلك منهم والخزي الذي لهم في الدنيا ما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بالزام الجزية واظهار كذبهم في كتمان الرجم واجلاء بني النضير من ديارهم وخزي المنافقين باطلاع النبي على كفرهم قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين القراءة السحت بضم السين والحاء مكي بصري والكسائي وابو جعفر وقرء الباقون السحت باسكان الحاء الحجة قال ابو علي السحت والسحت لغتان وليس التخفيف والتثقيل فيه هذا النحو مما اسم الشيء المسحوت كما اوقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الامير والصيد على المصيد في قوله ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم اللغة اصل السحت الاستيصال يقال

اي مسارعة الذين يبادرون

سحته واسحته اي استاصله ومن اسحت قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف ويقال للحالق اسحت اي استاصل فلان مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يشبع واسحت ماله افسده واذهبه الحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما يفصل وقد يفصل بما يبين انه الحق وقد يفصل بان يجوز ولا يأخذ به كما يفصل الحاكم بين خصوم بما يقطع الخصومة بينهم القضية التولي الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لانه اقبال عليه والتولي له هو من النصرة والمعاداة المعنى ثم وصفهم الله تعالى فقال سماعون للكذب تقديره هم سماعون للكذب اعاد الله تعالى ذمهم على استماع الكذب وبقوله تاكيدا ومبالغة في الزجر عنه اكالون للسحت اي يكثرون الاكل للسحت وهو الحرام وروي عن النبي ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسب الفحل وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستجعال في المعصية عن علي وروي عن ابي عبد الله ان السحت انواع كثيرة فاما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله وقيل في اشتقاق السحت اقوال احدها ان الحرام انما سمي سحتا لانه يعقب عذاب الاستيصال عن الزجاج وثانيها انما سمي سحتا لانه لا بركة فيه لاهله فيهلك هلاك الاستيصال عن الجبائي وثالثها انه انما سمي سحتا لانه القبيح الذي يسحت العاهو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا السحت مرة الاثم عن الخليل فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خير الله تعالى نبيه بين الحكم والاعراض عنهم يعني اليهود الذين تحاكموا اليه في حد الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في دم قتيل زاد بنو قريظة بني النضير لما تحاكموا اليه فخير النبي ان يحكم بينهم او يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية اخرى وعن قتادة وابن زيد والظاهر في روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت في الشرع للائمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وابرهيم وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله عن الحسن ومجاهد وعكرمة وان تعرض عنهم اي عن الحكم بينهم فلن يضروك شيئا اي لا يقدرون لك على ضرر في دين او دنيا فدع النظر بينهم ان شئت وان حكمت اي واي اخترت ان تحكم بينهم فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل وقيل بما في القرآن وشريعة الاسلام ان الله يحب المقسطين اي العادلين وكيف يحكمونك اي يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيرضون بك حكما وعندهم التورية التي انزلتها على موسى وهي التي يقرون بها انها كتابي الذي انزلته وانه حق وان ما فيه حكمي يعلمونه ولا يتناكرونه فيها حكم الله اي احكامه التي لم تنسخ عن ابي علي وقيل عني به الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة ثم يتولون من بعد ذلك اي يتركون الحكم جرأة على الله وهذا تعجيب للنبي وتعجيب وتقريع لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكأنه قال كيف تقرون ايها اليهود بحكم نبي محمد النبي مع انكاركم نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي تقرون بوجوبه وتعترفون بانه جاءكم من عندي ثم من بعد ذلك اشارة الى الحكم الله في التورية عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك اي من بعد تحكيمك لحكمك بالرجم لانهم لم يرضوا به وانما طلبوا به الرخصة وما اولئك بالمؤمنين اي وما هم بمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم نبوتك وقيل هذا اخبار من الله تعالى عن اولئك اليهود بانهم لا يؤمنون بالنبي ولا بحكمه قوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون القراءة قرء اهل البصرة وابو جعفر واسماعيل عن نافع واخشوني بالياء في الوصل ويعقوب يقف بالياء ايضا والباقون واخشون بغير ياء في الوقف والوصل الحجة قال ابو علي الاثبات حسن والوقف حسن لان القوم ثباتها اواخر الاي مثل القوافي في اثباتها او اخر الابيات فمما حذفت منه الياء في القوافي قول الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين ومن شانئ كاسف وجهه اذا ما انتسبت له انكرن اللغة الرباني منسوب الى الرب بمعنى انه عالم بسياسة الامور وتدبير الناس الاحبار جمع حبر وهو العالم واشتق من التحبير وهو التحسين والعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح قال الفراء اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر الاعراب الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالاحبار كانه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون النبيون الذين بما استحفظوا المعنى ثم بين سبحانه ان اليهود تولوا عن احكام التورية وصف التورية وما انزل فيها فقال انا انزلنا التورية فيها هدى اي بيان للحق ودلالة على الاحكام ونور اي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس وقيل معناه فيها هدى بيان للحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي ونور بيان ان امر النبي حق عن الزجاج يحكم بها النبيون الذين اسلموا معناه يحكم بالتورية النبيون الذين اذعنوا لحكم الله واقروا به ونبينا داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال الاكثرون هو المعني بذلك لما حكم برجم المحصن وهذا لا يدل على انه كان متعبدا بشرع موسى لان الله هو الذي اوجب ذلك بوحي انزله عليه لا بالرجوع الى التورية فصار ذلك شرعا له وان وافق ما في التورية ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث اخبر عما في التورية من غامض العلم الذي قد التبس على كثير منهم وتدعو فوجدوا انه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك الى علمائهم وكان من دلائل صدقه وقيل يريد بالنبيين الانبياء الذين كانوا بعد موسى وذلك انه كان في بني اسرائيل الوف من الانبياء بعثهم الله لاقامة التورية يحدون حدودها ويحلون حلالها ويحرمون حرامها عن ابن عباس وتسميتهم ايقضي بها النبيون الذين اسلموا من لدن موسى الى وقت عيسى وصفهم بالاسلام لان الاسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله للذين هادوا اي تابوا عن الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق بيحكم اي يحكمون بالتورية لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير وتقديره انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعلمون ويعملون والاحبار العلماء الخيار بما استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه عن الجبائي وكانوا عليه شهداء اي كانوا على حكم النبي في الرجم انه ثابت في التورية شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطا فلا تخشوا الناس واخشون اي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في اظهار صفة النبي محمد وامر الرجم واخشوني في كتمان ذلك عن السدي والكلبي وقيل الخطاب للنبي وامته اي فلا تخشوا الحدود وامضوها على اهلها كائنا من كان واخشوني في ترك ذلك فان النفع والضر بيدي عن الحسن ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي لا تأخذوا

من الزجاج

في الآيات التي وردت في القصاص

بين الحكم الذي انزل الله على موسى بها الاجابة وهذا خبيثا هو الثمن القليل نهاهم الله بهذا عن كل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه ومن لم يحكم بما

[illegible]

[illegible]

الله يقضي بين اليهود بالقرآن في الرجم على الزانيين عن ابن عباس قال إذا ترافع أهل الكتاب إلى الحكام يجب أن يحكموا بينهم بحكم القرآن وشريعة الإسلام لأنه أمر
من الله بأن يحكم بينهم والأمر يقتضي الإيجاب وبه قال الحسن ومجاهد وقال الجبائي وهذا ناسخ للتخيير في الحكم بين أهل الكتاب ولا أعرض عنهم والترك ولا تتبع أهواءهم
يريد فيما حرفوه وبدلوه من أمر الرجم عن ابن عباس عما جاءك من الحق أي على الأعمال جاءك من الحق ويجوز أن يكون عما من صلة معنى لا تتبع أهواءهم لا تعدل عن
ما جاءك من الحق باتباع أهوائهم ومتى قيل كيف يجوز أن يتبع النبي أهواءهم مع كونه معصوما فالجواب أن النهي يجوز أن يرد عما يعلم أنه لا يفعله ويجوز أن يكون
الخطاب له والمراد بجميع الحكام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب للأمم الثلاث أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ولا يبعد أن يكون لكل نبي لأنه قد ذكر موسى
فيما تقدم في قوله إنا أنزلنا التوراة الآية ثم وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا إليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم شرعة فغلب المخاطب على
الغائب شرعة أي شريعة فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة والقرآن شريعة عن قتادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى أن نبينا كان
متعبدا بشريعته فقط وكذلك أمته وقيل الخطاب لنبينا عن مجاهد والأول أقوى لأنه بين أن لكل نبي شريعة ومنهاجا أي سبيلا واضحا غير شريعة صاحبه وطريقه
ويقوي ذلك قوله ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة معناه لو شاء لجمعكم على ملة واحدة عن الحسن وقتادة ولكن ليبلوكم أي ولكن جعلكم على شرائع مختلفة
ليمتحنكم فيما آتاكم أي فيما فرض عليكم وشرعه لكم وقيل فيما آتاكم من الكتب والكتاب قال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث إليكم نبيا فتكونون
متعبدين بما في العقل فتكونون أمة واحدة ولكن ليختبركم فيما كلفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول إليه أمركم فاستبقوا الخيرات أي بادروا فوت الحظ بالتقدم في الخير
وقيل معناه بادروا إلى ما أمركم به فإنه ما أمركم إلا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الأمم الماضية إلى الطاعات أي الأعمال الصالحة عن الكلبي وفي هذا دلالة على
وجوب المبادرة إلى أفعال الخير ويكون محمولا على الواجبات ومن قال إن الأمر على الندب حمله على جميع الطاعات إلى الله مرجعكم أي مصيركم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون من دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم **قوله تعالى** وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك
فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون آيتان
القراءة قرأ ابن عامر وحده تبغون بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر وإبراهيم النخعي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الميم وقراءة الأعمش أفحكم الجاهلية
بفتح الكاف والحاء والميم **الحجة** من قرأ يبغون بالياء فلأن ما قبله غيبة وإن كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون
نحو ما جاء في الشعر وقد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنبا كله لم أصنع أي لم أصنعه فيكون التقدير أفحكم الجاهلية يبغونه فحذف العائد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال في
قولهم الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت أي أكرمته وأهنته ومررت بهند يضرب زيد أي يضربها زيد ويجوز قوله أفحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشياع أي أحكم الجاهلية يبغون
ويجوز أن يقع المصادر جنسا كما جاء عنهم من قولهم منع العراق قفيزها ودرهمها يرجع المعنى إلى قوله أفحكم الجاهلية لأنه ليس المراد هنا نفس حكم فهو الحكم والمصادر
أفحكم الجاهلية يبغون **الإعراب** موضع أن احكم نصب بالعطف على الكتاب والتقدير أنزلنا إليك الكتاب وأن احكم ويجوز أن يكون موضعه رفعا وتقديره ومن الواجب أن احكم
بينهم بما أنزل الله ووصلت أن بالأمر وإن كان لا يجوز صلة الذي بالأمر لأن الذي اسم ناقص يحتاج صلته إلى أن يخبر عنها في الصفة بأنه نكرة ولذلك لا بد من عائد يعود منها
كما أن الصفة لا بد من عائد يعود منها إلى الموصوف وليس كذلك أن لأنها حرف في معنى مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد فلما كان في فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على
معنى مصدره حكم نصب لأنه مفعول يبغون وحكما نصب على التمييز **المعنى** وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وإنما كرر الأمر بالحكم بينهم لأمرين أحدهما
حكمان أمر بهما جميعا لأنهم احتكموا إليه في زنا المحصن ثم احتكموا إليه في قتيل كان بينهم عن الجبائي وجماعة من المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر والثاني أن الأمر الأول
مطلق والثاني يدل على أنه منزل واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فيه قولان أحدهما أن معناه احذرهم أن يضلوك عن ذلك إلى ما يهوون من الأحكام بأن
يطمعوك منهم في الإجابة إلى الإسلام عن ابن عباس والثاني أن معناه احذرهم أن يضلوك بالكذب على التوراة لأنه ليس كذلك الحكم فيها فإني قد بينت لك حكمها عن ابن زيد
وفي هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة أهل البدع والضلال وذوي الأهواء وترك مخالطتهم فإن تولوا أي فإن أعرضوا عن حكمك بما أنزل الله فاعلم أنما يريد الله أن
يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل في معناه أقوال أحدها أن معناه فاعلم يا محمد أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض إجرامهم ذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد الخصوص
عن الجبائي والثاني أنه ذكر البعض تغليظا للعقاب والمراد أنه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم الثالث أنه أراد تعجيل بعض العقاب بما
كان من التمرد في الإجرام لأن عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب وبعض عذاب الآخرة يعم وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد يوم الأحزاب عوقبوا بالقتل
وإن كثيرا من الناس لفاسقون هذا تسلية للنبي عن امتناع القوم من الإقرار بنبوته والإسراع إلى إجابته بأن أهل الإيمان قليل وأهل الفسق كثير فلا ينبغي أن يعظم
عليك ذلك ثم أنكر عليهم فعلهم فقال أفحكم الجاهلية يبغون والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه
وإذا وجب على أقويائهم لم يأخذوهم به فقيل لهم أفحكم الجاهلية أي عبدة الأوثان تطلبون وأنتم أهل الكتاب وقيل المراد أن كل من طلب غير حكم الله فإنه
يخرج منه إلى حكم الجاهلية وكفى بذلك أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم ومن أحسن من الله حكما أي لا أحد حكمه أحسن من حكم الله لقوم يوقنون أي عند
قوم أيقنوا اللام بمعنى عند عن الجبائي وهذا جائز إذا تقاربت المعاني وارتفع اللبس فإذا قيل الحكم لهم فالمعنى أنهم يستحسنونه وإذا قيل عندهم العلم بصحته **قوله تعالى**
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم
مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء
الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ثلاث آيات **القراءة** قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو

كلهم

كلهم قرأ بضم اللام إلا أبا عمرو فإنه فتحها **الحجة** من حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلأن في الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها وذلك أن من وصف
بقوله يسارعون فيهم إلى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر
من الأخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما أن قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر ما تقدم
اكتفى بذلك عن الواو لأنهما بالذكر وملابسة بعضها ببعض قد ترتبط إحداهما بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف فيدل ذلك على حسن دخول الواو وقوله تعالى
وثامنهم كلبهم فحذف الواو من يقول كحذفها من هذه الآية وإلحاقها كإلحاقها فيها والوجه في قراءة أبي عمرو ويقول بالنصب أن يحمله على أن يأتي بدلا من اسم الله
كأن أن أذكره بدلا من الهاء في قوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ثم يكون ويقول منصوبا عطفا على ذلك فكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول
الذين آمنوا ومن رفع فيجب أن يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد **اللغة** الاتخاذ الاعتماد على الشيء لإعداده لأمر وهو افتعال من الأخذ وأصله ائتخاذ
فأبدلت الهمزة تاء وأدغم في التاء وأدغمها في التاء التي بعدها مثل الاتعاد من الوعد الأخذ يكون على وجوه تقول أخذ الكتاب إذا تناوله وأخذ القربان إذا
تقبله وأخذه الله أي أهلكه وأصله حوز الشيء من جهة من الجهات والأولياء جمع ولي وهو الذي يلي بالنصرة والمحبة والدائرة ههنا الدولة التي
تتحول إلى من كانت له عمن هي بيده قال حميد الأرقط كنت حسبت الخندق المجحوا ودائرة مثل القدر مقدور ودائرات الدهر أن تدورا يعني دول الدهر الدائرة
من قوم إلى قوم وعسى موضوعة للشك وهي من الله تعالى تفيد الوجوب لأن الكريم إذا أطمع في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس ورجائها له
فكذلك لا يضيع منزلته لا يخيب والفتح القضاء والفصل يقال للحاكم الفتاح لأنه يفتح الحكم ويفصل الأمر **النزول** اختلف في سبب نزوله
وإن كان حكمه عاما لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفي والزهري لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل
يوم بدر فقال مالك بن ضيف أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أمررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فجاء عبادة بن
الصامت الخزرجي إلى رسول الله فقال يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود كثيرا عددهم قوية أنفسهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم ولا
مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال رسول الله يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية
اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال إذا أقبل وأنزل الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين أنا ألحق
بفلان اليهودي وآخذ منه أمانا وقال آخر أنا ألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فآخذ منه أمانا فنزلت الآية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد
المنذر حين قال لبني قريظة إنه الذبح إذا نزلوا على حكم سعد **المعنى** لما تقدم ذكر اليهود والنصارى أمر سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرؤ منهم
فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء أي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر لأن سائر الكفار
بمنزلتهما في وجوب معاداتهم بعضهم أولياء بعض ابتداء كلام أخبر سبحانه أن بعض الكفار ولي لبعض في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين وفي هذا دلالة على أن الكفر
كله كالملة الواحدة في أحكام المواريث لعموم قوله بعضهم أولياء بعض قال الصادق ولا يتوارث أهل ملتين ونحن نرثهم ولا يورثوننا ومن يتولهم منكم أي من استنصر بهم
واتخذهم أنصارا فإنه منهم أي هو كافر مثلهم عن ابن عباس المعنى أنه يحكم له حكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه وأنه من أهل النار إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهديهم إلى طريق الجنة
لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها إلى طريق النار عن أبي علي الجبائي وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين في المدح والثناء والنصرة على الأعداء فترى
يا محمد الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق يعني عبد الله بن أبي عن ابن عباس يسارعون فيهم أي في موالاة اليهود ومناصحتهم وقيل في معاونتهم على المسلمين وقيل كانوا اليهود ونصارى
نجران لأنهم كانوا يميرونهم عن الكلبي يقولون أي قائلين وهو موضع الحال نخشى أن تصيبنا دائرة أي دولة تدور لأعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج إلى نصرتهم عن مجاهد والسدي
وقتادة وقيل معناه نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه يعنون الجدب فلا يميروننا عن الكلبي فعسى الله أن يأتي بالفتح عن السدي وقيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائي وقيل المراد
بالفتح القضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الأقوال قول ابن عباس يريد يظهر الله لمحمد على جميع خلقه أو أمر من عنده فيه إعزاز للمسلمين والمؤمنين وإذلال المشركين وظهور
الإسلام عن السدي وقيل هو إظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتالهم عن الحسن والزجاج وقيل هو القتل وسبي الذراري لبني قريظة والإجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى
قول ابن عباس أو أمر من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين أي فيصبح أهل النفاق على ما كان
منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود ودس الأخبار إليهم نادمين عن ابن عباس وقتادة والمعنى إذا أظهر الله المؤمنين ندم المنافقون والكفار على تفويتهم أنفسهم ذلك وكذلك
إذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق ويقول الذين آمنوا يعني يقول المصدقون الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين
واجترائهم على الله بالأيمان الكاذبة أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم نصب جهد لأنه مصدر أي جهدوا جهد أيمانهم قال عطاء أي حلفوا بأغلظ الأيمان وأوكدها
إنهم لمعكم أي إنهم مؤمنون ومعكم في معاونتكم على أعدائكم ونصرتكم يريد يحلفون لكم إنهم معكم في الإيمان حبطت أعمالهم أي ضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوها
على خلاف الوجه المأمور به وبطل ما أظهروه من الإيمان لأنه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب فأصبحوا خاسرين أي خسروا الدنيا والآخرة أما الدنيا
فللبوار والافتضاح وأما الآخرة ففوتهم الثواب مع الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بأنفسهم ومنازلهم في الجنة إذ صاروا إلى النار وورثها المؤمنون عن الكلبي
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم آية **القراءة** قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر من يرتدد بدالين والباقون بدال
واحدة مفتوحة **الحجة** حجة من أدغم أنه لما أسكن الحرف الأول ليدغمه في الثاني وكان الثاني ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وحجة من

أظهر

اظهر لان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا والمدغم فيه متحركا واذا كان الحرف المدغم ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان والتقاء الساكنين في التحريك ليس من كلامهم فاظهر الحرف الاول وحرك
وا سكن الثاني من المثلين وهذه لغة اهل الحجاز الاعراب اللغة الذل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل
بين الذل من قوم اذلاء والاول من اللين والانقياد والثاني من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت فلانا على امره اي غلبته عليه والعزاز الارض الصلبة
وعز الشيء اذا لم يقدر عليه واصل الباب الامتناع المعنى لما بين تعالى حال المنافقين وانهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعده اعلم ان
ذلك كائن وانهم لا ينالون اماناتهم والله سينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة يتميزون بها من بين العالمين فقال يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه اي من يرجع
منكم ايها المؤمنون الى الكفر بعد اظهار الايمان فلن يضر دين الله شيئا فان الله لا يخلي دينه من انصار يحمونه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين اي رحماء على المؤمنين غلاظ شداد على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كالولد
لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ولا يخافون لومة
لائم فيما يأتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الاوصاف منهم فقيل هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل
هم الانصار عن السدي وقيل هم اهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض
ابن غنم الاشعري لما نزلت هذه الاية اومى رسول الله الى ابي موسى الاشعري فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس وروي ان النبي سئل
عن هذه الاية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس وقيل هم امير المؤمنين علي واصحابه
حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين وروي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ويؤيد هذا
القول ان النبي وصفه بهذه الصفات المذكورة في الاية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رجع عنها حامل الراية اليه مرة بعد اخرى وهو يجبن الناس ويجبنونه
كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ثم اعطاها اياه فاما الوصف باللين على اهل الايمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع انه لا يخاف فيه
لومة لائم فمما لا يمكن احدا دفع علي عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على اهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين
والرأفة بالمؤمنين ويؤيد ذلك انذار رسول الله قريشا بقتال علي لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا له يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم
علينا فقال رسول الله لتنتهن يا معاشر قريش او ليبعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض اصحابه من هو يا
رسول الله ابو بكر قال لا فقال عمر قال لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان علي يخصف نعل رسول الله وروي عن علي انه قال يوم البصرة والله ما قوتل
اهل هذه الاية حتى اليوم وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله قال يرد علي قوم من اصحابي يوم القيمة
فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال انك لا علم لك بما احدثوا من بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل ان الاية عامة في كل من استجمع هذه
الخصال الى يوم القيمة وذكر علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره انها نزلت في مهدي الامة واصحابه واولها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن
ان ينصر هذا القول بان قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يوجب ان يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم وبهذه
الصفة الى قيام الساعة ذلك فضل الله اي محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين بفضل من الله وتوفيق ولطف منه ومنة من جهته يؤتيه
من يشاء يعطيه من يعلم انه محل له والله واسع اي جواد لا يخاف نفاد ما عنده بموضع جوده وعطائه فلا يبذله الا لمن تقتضي الحكمة اعطاءه وقيل معناه
واسع الرحمة عليم بمن يكون من اهلها قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون اللغة الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير
الامر يقال فلان ولي المرأة اذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان اليه المطالبة بالقود والسلطان ولي امر الرعية ويقال لمن يرشحه لخلافته
عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليا ونعم ولي الامر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب وانما اراد ولي الامر والقائم
بتدبيره قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله اصل الولي الذي هو اولى اي احق ومثله المولى والركوع هو التطأطؤ المخصوص قال الخليل كل شيء
ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطأطئ رأسه فهو راكع وانشد لبيد اخبر اخبار القرون التي مضت ادب كاني كلما قمت راكع وقال ابن دريد الراكع
الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلوة قال الشاعر وافلت حاجب فوق العوالي على شقاء تركع في الظراب وقد يوصف الخاضع بانه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما
يستعمله من التطامن والتطأطؤ وعلى ذلك قول الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والحزب الطائفة والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يحزبه اذا
نابه فكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم حزب وتحزب القوم اذا اجتمعوا وحزابية مجتمع الخلق غليظ الاعراب لفظة انما مخصصة لما اثبت بعدها نافية لما لم
يثبت يقول القائل لغيره انما لك عندي درهم فيكون مثل ان يقول له ليس لك عندي الا درهم وقالوا انما السخاء حاتم يريدون نفي السخاء عن غيره والتقدير انما السخاء سخاء
حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القائل انما اكلت رغيفا وانما لقيت اليوم زيدا نفي اكل اكثر من رغيف ونفي لقاء غير زيد وقال الاعشى ولست بالاكثر منهم
حصى وانما العزة للكاثر اراد نفي العزة عمن ليس بكاثر وقوله وهم راكعون جملة في موضع نصب على الحال ومن يتول ضمير يعود الى من وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء
مع ما بعدها جزم لان ذلك في موضع الجزاء لان تقديره فهو غالب فحذف ومعنى هذا الحرف الذي في من معنى الشرط والجزاء في موضع
رفع بكونه خبر المبتدا النزول حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني القائني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثني ابو الحسن محمد بن القسم الفقيه

الصيدلاني

الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا ابو علي احمد بن علي بن رزين البياشاني قال حدثني المظفر بن الحسين الانصاري قال حدثنا السيد
السندي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول
الله اذ اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال
يا ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا جندب بن جنادة البدري ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله بهاتين والا فصمتا ورأيته بهاتين والا فعميتا يقول علي قائد البررة
وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما اني صليت مع رسول الله يوما من الايام صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد شيئا فرفع السائل يده
الى السماء فقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني احد شيئا وكان علي راكعا فأومى بخنصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره
وذلك بعين رسول الله فلما فرغ النبي من صلوته رفع رأسه الى السماء فقال اللهم ان اخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فانزلت عليه قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما اللهم
وانا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه
جبرئيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية وروى هذا الخبر ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بهذا الاسناد بعينه
وروى ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والرماني والطبري انها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو قول مجاهد
والسدي والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وجميع علماء اهل البيت وقال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه لما اسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الاية وفي
رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رأيت عليا تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه السيد ابو الحمد عن ابي القسم الحسكاني بالاسناد
المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد امنوا بالنبي فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس
لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وان قومنا لما رأونا امنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا
فشق ذلك علينا فقال لهم النبي انما وليكم الله ورسوله الاية ثم ان النبي خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال النبي هل اعطاك احد
شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي من اعطاكه قال ذلك القائم واومى بيده الى علي فقال النبي على اي حال اعطاك قال اعطاني وهو راكع فكبر النبي ثم قرأ
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون فانشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحك المحبر ضائعا وما المدح في جنب الاله بضائع فانت الذي اعطيت اذ كنت راكعا زكوة فدتك النفس يا خير راكع فانزل فيك الله خير ولاية
وبينها في محكمات الشرائع وفي حديث ابرهيم بن الحكم بن ظهير ان عبد الله بن سلام اتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون الى رسول الله ما لقوا من قومهم فبيناهم
يشكون اذ نزلت هذه الاية واذن بلال فخرج رسول الله الى المسجد واذا مسكين يسأل فقال ماذا اعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القائم
فاذا هو علي قال على اي حال اعطاكه قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول الله وقال ومن يتول الله ورسوله المعنى ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام
بامورهم وتجب طاعته عليهم فقال انما وليكم الله ورسوله اي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعله بامره والذين امنوا ثم وصف
الذين امنوا فقال الذين يقيمون الصلوة بشرائطها ويؤتون الزكوة اي ويعطون الزكوة وهم راكعون اي في حال الركوع وهذه الاية من اوضح الدلائل على
صحة امامة علي بعد النبي بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم تفيد من هو اولى بتدبير اموركم ويجب طاعته عليكم وثبت ان المراد بالذين
امنوا علي ثبت النص عليه بالامامة ووضح والذي يدل على الاول هو الرجوع الى اللغة فمن تأملها علم ان القوم نصوا على ذلك وقد ذكرنا قول اهل اللغة فيه
قبل فلا وجه لاعادته ونزيد ان الذي يدل على انها في الاية تقتضي ذلك دون غيره ان لفظة انما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون
انما الفصاحة للجاهلية ويعنون نفي الفصاحة عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن
دون مؤمن اخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الاخر وهو
التحقق بالامور وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لانه لا محتمل للفظة الا الوجهان فاذا بطل احدهما ثبت الاخر والذي يدل على ان المعني بالذين امنوا
هو علي الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الاية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع وقد تقدم ذكرها وايضا فان كل من قال ان المراد بلفظة
ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والامامة ذهب الى انه هو المقصود بالاية والمتفرد بمعناها ولا احد من الامة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي ما ذكرناه و
يذهب الى ان المعني بها سواه وليس لاحد ان يقول ان لفظة الذين امنوا لفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك ان اهل اللغة قد يعبرون بلفظ
الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه
شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لايتاء الزكوة وذلك لان قوله يقيمون الصلوة قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من
يؤتون الزكوة وحملناه على ان من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه اخر في الدلالة
على ان الولاية مختصة انه قال انما وليكم الله فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي وغيره ثم قال ورسوله فاخرج النبي من جملتهم
لكونهم مضافين الى ولايته ثم قال والذين امنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالاية غير الذي جعلت له الولاية والا ادى الى ان يكون المضاف هو
المضاف اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده فليطلبه من مظانه

الولاية

الولاية واستدل اهل العلم بهذه الاية على ان العمل القليل لا يقطع الصلوة وان دفع الزكوة الى السائل في الصلوة جائز مع نية الزكوة ومن يتول الله بالقيام بطاعته ورسوله باتباع امره والذين امنوا بالموالاة والنصرة فان حزب الله اي جند الله عن الحسن وقيل انصار الله هم الغالبون الظاهرون على اعدائهم الظافرون بهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين اية القراءة قرء اهل البصرة والكسائي والكفار بالجر وقرء الباقون بالنصب الحجة حجة من قرء بالجر انه حمل الكلام على اقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب فكانه قال لا تتخذوا الكفار اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا اربعة اوجه ان شئت قلت هزؤا بضم الزاء وتخفيف الهمزة وهو الاصل الاجود وان شئت قلت هزوا وابدلت من الهمزة واوا لانضمام ما قبلها ان شئت قلت هزءا باسكان الزاي وتحقيق الهمزة فهذه الوجوه الثلثة جيدة يقرء بهن وفيها وجه رابع لا يجوز القراءة به وهو ان يقول هزا مثل هدى وذلك انه يجوز اذا اردت تخفيف همزة هزء ان تطرح حركتها على الزاي كما تقول رأيت خبا تريد خبأ اللغة الهزء السخرية وهو اظهار ما يبطن خلافه تعجبا مما يجري قال الله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال الشاعر الا هزئت واعجبها المشيب فلا نكر لديك ولا عجيب يقال هزء به يهزأ هزوا وتهزاء واستهزاء واللعب الاخذ على غير طريق الحق ومثله العبث واصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه لانه يخرج على غير جهته فكذلك اللاعب يمر على غير جهته كصوب النزول قيل كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الاية عن ابن عباس المعنى ثم اكد سبحانه النهي عن موالاة الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا اي اظهروا الايمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى والكفار بالجر اي ومن الكفار اولياء اي بطانة واخلاء فيكون الهزو من الكتابي ومن المشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم كافر ويدل على ذلك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن ان يكون قوله والكفار تبيينا للاسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من الكفار فبين به لعم الجميع لكن الكفار كانه على المشركين اغلب واهل الكتاب على من عاهد ودخل في ذمة المسلمين يغلب مسخرتهم واوقع على دينه غلب فلذلك فصل بينهما واما القراءة بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من اهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء واتقوا الله في موالاتهم بعد النهي عنها ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاة من يطعن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لايمانه على من طعن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اية اللغة النداء الدعاء الذي يمد الصوت على طريقة يا فلان واصله من ندى الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه ومنه قولهم اناديك لا اناجيك اي اعاليك النداء لا اسارك النحوي قال ابو دهبل فابرزتها من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلوة فاعتما واصل الباب الندى وهو الاجتماع ومنه الندى وتداولوا اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة ومنه الندى الماء لانه يجتمع قليلا قليلا وفي الصوت لانه من جنس الندى المعنى ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار والذين نهى الله المؤمنين عن موالاتهم فقال واذا ناديتم ايها المؤمنون الى الصلوة اي دعوتم اليها اتخذوها اي اتخذوا الصلوة هزوا ولعبا وقيل في معناه قولان احدهما انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي اليها والاخر انهم كانوا يرون المنادي اليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها جهلا منهم بمنزلتها ذلك بانهم قوم لا يعقلون وقيل فيه قولان احدهما انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب والثاني انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخل خادمه ليلة بنار وهو نائم واهله فسقطت شرارة فاحترق هو واهله واحترق البيت قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون اية اللغة يقال نقم الامر ينقم نقما ونقم ينقم اذا انكره والاول اكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل الاعراب قوله وان اكثركم فاسقون في موضع نصب وكذلك قوله ان امنا بالله والتقدير هل تنقمون منا الا ايماننا وفسقكم النزول قيل اتى نفر من اليهود رسول الله صلعم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله الاية وما بعدها المعنى ثم امر سبحانه رسوله بمحاجتهم فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل هل تكرهون منا والمعاني متقاربة الا ان امنا بالله فوحدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته وما انزل الينا من القرآن وما انزل من قبل على الانبياء وان اكثركم فاسقون قال الزجاج معناه هل تكرهون الا ايماننا وفسقكم اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على الحق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال وهذا معنى قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض اهل التحقيق وعلى هذا يجب ان يكون موضع ان في قوله تعالى وان اكثركم فاسقون نصبا باضمار اللام على تأويل ولان اكثركم فاسقون وقيل لما ذكر نعت ما نقمه اليهود عليهم من الايمان بجميع الرسل ليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن في الازدواج يقول القائل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر والا اني غني وانك فقير فيحسن ذلك لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن امر الله طلبا للرياسة حسدا على منزلة النبوة والمراد بالاكثر من لم يؤمن منهم لان قليلا من اهل الكتاب امن وقيل في قوله وان اكثركم فاسقون

قوله

قولان احدهما ذكره ابو علي الجرجاني صاحب النظم قال يجعله منظوما بقوله امنا بالله على تأويل امنا بالله وبان اكثركم فاسقون فيكون موضع ان جرا بالباء وهذا وجه حسن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل اية القراءة قرء حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت بفتح الباء ونصب التاء وروي في الشواذ قراءة الحسن وابن بريدة مثوبة ساكنة الثاء مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لمثوبة وقرء ابن عباس وابن مسعود وابراهيم النخعي والاعمش وابان بن تغلب عبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقرء ابي بن كعب عبدوا الطاغوت وفي رواية عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقرء ابو واقد وعباد الطاغوت وقرء ابو جعفر الرواسي النحوي وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد ثم ذا علم قرء عون العقيلي وابن بريدة وعابد الطاغوت وفي رواية علقمة عن ابن مسعود وعبد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها في السبعة الحجة قال ابو علي حجة حمزة في قراءته وعبد الطاغوت انه يحمله على ما عمل فيه جعل كانه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها وليس عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب وتكرر ذلك عنه واما من فتح فقال وعبد الطاغوت فانه عطفه على بناء الماضي في الصلة وهو قوله لعنه الله وافراد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول على لفظ من دون معناه وفاعله ضمير من كما ان فاعل الامثلة المعطوف عليها من وافرد لحمله على لفظ من ولو حمل الكل على المعنى والبعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيما اما الوجه في مثوبة فانه قد خرج على الاصل شاذا قال ابو الفتح مثله ما يحكى عنهم الفكاهة مقودة الى الاذى وقياسها مقادة ومثله مزيد مراد الا ان مزيدا علم والاعلام قد يحتمل فيها ما لا يحتمل في غيرها نحو محبب وموكوزة ومدين ورجاء بن حيوة ومثوبة مفعلة نظيرها المبطخة والمشرقة واصل مثوبة مثوبة فنقلت الضمة من الواو الى الثاء ومثلها معونة وقيل هي مفعولة نحو مقولة ومضوفة على المصدر قال الشاعر وكنت اذا جاري دعا لمضوفة اشمر حتى ينصف الساق مئزري قال واما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد انسب العبد الى ابائه اسود الجلدة من قوم عبد هكذا قال ابو الحسن قال الجمهور يجيء عبد جمع عابد كبازل وبزل وشارف وشرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون عبد جمع عبد فاما عبد الطاغوت وعبد الطاغوت فظاهر واما وعابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك عبد الطاغوت لانه كحطم ولبد كما ان عبدا كذلك ونظر نحو صيفه في الاعراب مثوبة نصب على التمييز كما هو خير ثوابا موضع من يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب احدها الجر على البدل من بشر والتقدير هل انبئكم بمن لعنه الله والثاني الرفع على خبر المبتدأ المحذوف اي هم من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع بشر والمجرور والتقدير انبئكم اي هل اخبركم على من لعنه الله كما انشد على النهي المعنى ثم امر سبحانه نبيه ان يخاطبهم فقال قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من الكفار واليهود هل انبئكم اي هل اخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اي جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شرا فانا اخبركم بشر منه عاقبة عند الله وقيل معناه هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المؤمنين شر على الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين من لعنه الله اي ابعده من رحمته وغضب عليه بفسقه وكفره وغضبه عليه ارادة عقوبته والاستحقاق لها وقيل غضبه صب عليهم الذلة والمسكنة والجزية انما كانوا من الارض وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالبي عن ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت قال الزجاج هو نسق على لعنه الله المعنى من لعنه الله ومن عبد الطاغوت وقال الفراء تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت وعلى هذا يكون الموصول محذوفا وذلك لا يجوز عند البصريين والصحيح الاول والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لانهم اطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لان الكلام كله في صفتهم ولا تعلق للمجبرة في هذه الاية لان اكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق من يعبد الطاغوت على قراءة حمزة او غيره ممن قرأ عابد او عباد وعبد او غير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر وانه لا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب ان يكون خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك وذلك انا انما استفدنا ذلك ولان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعل الله وليس كذلك ما به يكون الكافر كافرا فانه قد دل الدليل على انه سبحانه عن فعله وخلقه فافترق الامران اولئك شر مكانا اي هؤلاء الذين وصفهم الله بانه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لان مكانهم سقر ولا شر في مكان المؤمنين مثل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل معناه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا واجل الاخرة ممن نقمتم عليه من المؤمنين اما في الدنيا فبالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم والزام الجزية واما في الاخرة فبعذاب الابد واضل عن سواء السبيل اي اجور عن الطريق المستقيم وابعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الاية عير المسلمون اهل الكتاب فقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم افتضاحا قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ثلث ايات اللغة الفرق بين الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت فيما مضى والصنع العمل وقيل الفرق بينهما ان الصنع يتضمن الجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان اذا استخلصه على غيره وصنع الله لفلان اي احسن اليه كل ذلك كالفعل الجيد الاعراب قد تدخل في الكلام على وجهين اذا كانت مع الماضي قربته من الحال واذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب

وخفض التاء

على الحال

اي ثابتين عليه — مستتر

على الحال لان المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لانه لا يريد انهم دخلوا يحملون شيئا وهو كقولك خرج زيد بثيابه اي يريد خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر و
كاسنان الحرمي قد قطع الحبل بالمرود اي وفيه المرود يعني هذه صفة الفرس بين قولك متى جاؤكم واذا جاؤكم ان متى يتضمن الجزاء ويعمل فيه جاؤكم ولا يجوز ان يعمل
في اذا لان اذا مضافة الى ما بعده والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه من تمامه لبئس اللام فيه لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها لا تدخل على الفعل الا في باب
ان خاصة لانها اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدل على ان المدح والذم يكونان بالافعال لانه بمنزلة لبئس العمل عملهم و
ما يحتمل امرين احدهما ان يكون كافة كما يكون في انما زيد منطلق وليتما عمرو قائم فلا يكون له على هذا موضع والثاني ان يكون نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا
يعملون ولولا ههنا بمعنى هلا قال علي بن عيسى اصلها التقرير لوجوب الشيء عن الاول فنقلت الى التخصيص على فعل الثاني من اجل الاول وان لم يذكر لا ولا بد معها من
لا لانه دخلها معنى لم لا تفعل فان قيل كيف تدخل لولا على الماضي وهي للتخصيص والتخصيص انما يكون للمستقبل قيل لانها تدخل للتخصيص والتوبيخ فاذا كانت مع الماضي فهو توبيخ
كقوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء المعنى ثم اخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله واذا جاؤكم ايها المؤمنون قالوا آمنا اي صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم
قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما انهم دخلوا به على النبي وخرجوا به من عنده اي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتا الحالتين عن الحسن وقتادة والثاني ان معناه
دخلوا به في احوالهم وخرجوا به الى احوال اخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به اكد الكلام بالضمير تعيينا اياهم بالكفر وتمييزا لهم من
غيرهم بهذه الصفة والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه بما يكتمونه من نفاقهم اذا اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه في قلوبهم ثم بين الله سبحانه انهم يضمون الى نفاقهم
خصالا اخر ذميمة فقال وترى يا محمد كثيرا منهم قيل المراد بالكثير رؤساؤهم وعلماؤهم يسارعون في الاثم والعدوان قيل الاثم الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة
حدود الله وتعديها وقيل الاثم كل معصية وهو الاولى والعدوان الظلم اي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخزي واكلهم السحت اي
الرشوة في الحكم عن الحسن وسماها سحتا لانه يؤدي الى الاستيصال ويقال لانه يذهب بالبركة من المال قال اهل المعاني اكثر ما تستعمل المسارعة في الخير كقوله تعالى
يسارعون في الخيرات وفائدة لفظ المسارعة وان كان لفظ العجلة ادل على الذم انهم يعملونه كانهم محقون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره وانهم يجترئون على الخطأ لبئس ما
كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم لولا ينهاهم اي هلا ينهاهم والكناية ترجع الى الكثير الربانيون العلماء الذين ... الرب على وجه تغيير الاسم كما قال روحاني
بالنسبة الى الروح وبحراني بالنسبة الى البحر وقال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التورية وقال غيره كلهم من اليهود لانه يتصل بذكرهم عن
قولهم الاثم اي عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما قالوه بخلاف الحق واكلهم السحت اي الحرام والرشوة لبئس ما كانوا يصنعون اي لبئس الصنع صنعهم حيث اجمعوا على
معصية الله ذم سبحانه علماءهم بترك النكير عليهم فيما يصنعونه لانهم قدم هؤلاء بمثل اللفظة التي ذمهم بها اولئك وفي هذه الاية دلالة على ان تارك النهي عن المنكر
بمنزلة مرتكبه في حصول الاثم بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق
كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين اية اللغة اليد تذكر في اللغة على خمسة اوجه الجارحة والنعمة والقوة والملك وتحقيق اضافة الفعل النعمة
في قولهم لفلان عندي يد اشكرها اي نعمة قال عدي بن زيد ولن اذكر النعمان الا بصالح فان له عندي يديا وانعما جمع يدا على يدي كالكليب والعبيد ... للفظ
واليد القوة في نحو قوله اولي الايدي والابصار اي ذوي القوى والعقول وانشد الاصمعي لعروة فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان
تبق وعلى هذا ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك معنى هذه التثنية المبالغة في نفي الاقتدار والقوة على الشيء واليد بمعنى الملك في نحو قوله الذي بيده عقدة النكاح
اي يملك ذلك وهذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه واليد بمعنى التولي للشيء وتحقيق اضافة الفعل نحو قوله لما خلقت بيدي اي توليت خلقه تخصيصا لادم وتشريفا
بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خلقها ... ويستعمل ايضا حيث يراد النصرة وذلك
مثل ما جاء في الحديث وهم يد على من سواهم اي نصرتهم ... وكلمتهم مجتمعة على من ... قال احمد بن يحيى بن ثعلب اليد الجماعة ... وهم يد على من سواهم
... وقد يستعمل اليد التي لا يد له ... قال ابن الاعرابي يد الدهر الدهر كله يقال لا اتيه يد الدهر يد المسند قال ذو الرمة الا طرقت مي هيوما بذكرها
وايدي الثريا جنح في المغارب وأصل هذا الاستعارة لثعلبة بن صعير في قوله القت ... يمينها كافر ... في المغيب ...
القت يدا في كافر ... وقد يستعمل اليد مواضع كثيرة يطول بذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك اليد عن الانفاق وصف الجود
والبخل الى اليد فقالوا للجواد بسط اليد ... فياض الكف وللبخيل كز الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل واشعارها كثيرة معروفة في استعمال الكثرة ...
في استعمالهم وانكر الزجاج على من ذهب الى ان معنى اليد في الاية النعمة بان قال هذا ينقضه قوله بل يداه مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمتاه مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان
تحصى قال ابو علي الفارسي قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وان بعضه نعمتان اثنتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاءت التثنية يراد بها الكثرة
والمبالغة وتعداد الشيء لا المعنى الذي يشفع الواحد المفرد الا ترى الى قولهم لبيك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعديك انما هو مساعدة بعد مساعدة و
ليس المراد بذلك طاعتين اثنتين ولا مساعدتين وكذلك المعنى في الاية ان نعمه متظاهرة متتابعة فهذا وجه وجه آخر وهو ان تحملت المثنى على انه تثنية جنس لا تثنية واحد
مفرد ويكون احد الجنسين نعمة الدنيا والآخر نعمة الاخرة او نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مرادا بها الكثرة وقد جاء تثنية اسم الجنس في كلامهم ...
واسعا قال الفرزدق وكل رفيقي كل رحل وان هما تعاطى القنا قوما هما اخوان فتاويل الرفيقين في البيت العموم والكثرة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقا الشان
كل رحل ونعلا فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي يذهب للكثرة كقوله لاصبح القوم اوبادا ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جمالين ...

لنا سيدا ... ومثله قول ابي النجم بين رماحي نهشل وعقيل وجمعها ابو زيد احكاه سيبويه من قولهم لقد اخذ ان سوداوات فان جمع تثنية اسم الجنس
لجاز فانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن انه اشبه بالفاظ الافراد الاعراب قال ابو علي اعلم ان يدا كلمة نادرة ووزنها فعل يدلك على ذلك قولهم ايد
جمعهم له على افعل كما كان ... يدل على انه فعل ... ان وزن ... فعل واللام منه ياء وهو من باب ... ولا نعلم اللام في الكلام نظير
الذي يدل على ذلك بيت لبيد ولا يعلم في الواو مثله الا ترى انه لم يجي مثل دعوت وقد جاء في الاسماء ذلك هو قولهم ... واما قولهم ذهبوا ايادي سبا اذا ارادوا التفرق
وقول ذي الرمة فيا لك من دار تحمل اهلها ايادي سبا بعدي وطال احتيالها وهو في موضع حال لانه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصلح اضافتها الى
سبا معرفة فيكون المضاف اليه معرفة واذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالا والوجه فيها ان لا يقدر فيها الاضافة ولكن يجعل الاسمان اسما واحدا كخمسة عشر
فيمن لم يضف وكان القياس ان يتحرك الياء من ايادي بالفتح في موضع النصب الا انهم اسكنوه ولم يحركوه شبهوه بالحالين الاخيرين وهذا الضرب قد اطرد فيه الاسكان
فقالوا معدي كرب وقالي قلا وبادي بدا واسكنوا جميع ذلك المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن عظيم فريتهم فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء ممسكة عن
الرزق فنسبوه الى البخل عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله
في محمد وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ولم يقل الى عنقه قال اهل المعاني انما قاله فنحاص
ولم ينههم الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا ما يبر به قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل عن الحسن و
قيل انه استفهام وتقديره ايد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا وقال ابو القاسم البلخي يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا اعتقادا مذهبا يؤدي
معناه الى ان الله يبخل في حال ويجود في حالة اخرى فحكى الله عنهم ذلك على وجه التعجب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكون قالوا ذلك على وجه الهزء من حيث
لم يوسع على النبي وعلى اصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ويتخذون العجل الها ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود اخرى
وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر ان طائفة منهم قالت ذلك غلت ايديهم قيل فيه قولان احدهما انه على سبيل الاخبار اي غلت ايديهم في جهنم
عن الحسن وابي الجبائي ومعناه شدت الى اعناقهم وتاويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون في الكلام ضمير الفاء او الواو وفيه تقديره — تقديره
او وقلت لانه كلام ... ويستانف بعده كلام اخر ومن عادتهم انهم يحذفون فيما يجري هذا المجرى ومن ذلك قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان
تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والمراد فقالوا لان كلام موسى قد تم وثانيها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء كما يقال قاتله الله فعلى هذا يكون معناه
تعليما وتوقيفا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وثالثها ان معناه جعلوا بخلاء و
الزموا البخل فهم ابخل قوم فلا يلقى يهودي ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج ولعنوا بما قالوا اي ابعدوا عن رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا
بالجزية وفي الاخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله عليهم بضد مقالتهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى
غير افادة معنى الجود وانما قال يداه على التثنية مبالغة في معنى الجود والانعام لان ذلك ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد
باليد النعمة فيكون الوجه في تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله فمن حيث اختص كل منها بصفة تخالف صفة الاخر كانها
جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة ان يكون انه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليد القوة
والقدرة عن الحسن ومعناه قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا ينفق كيف يشاء معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من
عباده ويمنع من يشاء من عباده لانه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحة وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي سيزدادون عند نزول
القران اليك طغيانا وكفرا ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا كفرا لانه كلما انزل الله حكما واخبرهم اتى به جحدوه فازدادوا بذلك
طغيانا وهو التمادي والمجاوزة عن الحد وكفرا اي نضموا الى كفرهم هذا كما يقول القائل وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك الا شرا على
معنى انك ازددت عندها شرا وذلك معهود في الاستعمال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة اي بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقيل بين
اليهود خاصة وقد مر تفسيره في اول السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اي لحرب محمد
عن الحسن ومجاهد وفي هذا دلالة ومعجزة لان الله اخبرهم فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز باسا وامنعهم دارا حتى ان قريشا كانت تعتضد بهم
والاوس والخزرج تستبق الى محالفتهم وتتكثر بنصرتهم فاباد الله خضراءهم واستاصل شافتهم واجتث اصلهم فاجلى النبي بني النضير وبني قينقاع
وقتل بني قريظة وشرد اهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحى الله تعالى آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه ان الله اذلهم ذلا لا يعزون بعده ابدا
وانما يطفئ نار حربهم بلطفه وبما يطلع نبيه عليه من اسرارهم وبما من به عليه من ... بالنصر ويسعون في الارض فسادا بمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة
امره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي من كتبهم والله لا يحب المفسدين العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا و
اتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون اية اللغة اصل التكفير التغطية ومنه يكفر في السلاح والاقتصاد الاستواء
في العمل الذي يؤدي الى الغرض واشتقاقه من القصد لان القاصد الى ما يعرفه مكانه فهو يمر على الاستقامة اليه خلاف الطالب المتحير في طلبه الاعراب
ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد يحذف المعنى ولو ان اهل الكتاب

يعني

يعني اليهود والنصارى امنوا بمحمد ﷺ واتقوا الكفر والفواحش لكفرنا عنهم سيئاتهم اي سترنا عليهم وغفرناها لهم ولادخلناهم جنات النعيم ظاهر المعنى ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل اي عملوا بما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منهما او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلون ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيهما بان اقاموهما نصب اعينهم لئلا
يزلوا في شيء من حدودهما وما انزل اليهم من ربهم يريد به القرآن نقل عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كل ما دل الله عليه من امر الدين لاكلوا من فوقهم بارسال السماء
عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم باعطاء الارض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لاكلوا ثمار النخيل والاشجار من فوقهم والزرع من تحت ارجلهم
المعنى لتركوا في ديارهم لم يجلوا عن بلادهم ولم يقتلوا وكانوا يتمتعون باموالهم وزروعهم وثمارهم وما رزقهم الله من النعم وانما خص ذكر الاكل لان ذلك معظم الانتفاع
وفي هذا تاسيف لهم على ما فاتهم ولحقهم بجحدهم مما كانوا فيه من نعم الله عليهم وهو جواب لهم في قولهم يد الله مغلولة وقيل ان المعنى في قوله لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه الى قدمه اي يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الاية قوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله التقوى من اسباب التوسعة في الرزق منهم امة مقتصدة اي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل
[illegible]

منهم سعد حذيفة الحقوه بملاحقكم فان الله قد عصمني من الناس قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم
من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين اية النزول قال ابن عباس جاء جماعة الى رسول الله من اليهود
فقالوا الست تقر بان التورية من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الاية المعنى ثم امر سبحانه النبي ان يخاطب اليهود فقال
يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين الصحيح حتى تقيموا التورية والانجيل بما فيهما من البشارة بالنبي محمد والعمل بما يوجب ذلك فيهما وقيل معنا الامر
باقامة التورية والانجيل ما فيهما وانما كان ذلك قبل النسخ لهما عن الجبائي وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا مر تفسيره قبل فلا تأس
على القوم الكافرين اي لا تحزن عليهم وهذا تسلية للنبي ص اي فلا تحزن فان تكذيب الانبياء عادتهم ودأبهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد
[illegible]

ووقع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وان كان يصلح الفصل لدخول لا ولكونها عوضاً عن حذف الضمير معه لا يلائمها لم يكن فيه لو قلت علمت ان تقول لم يجز
حتى تأتي بما يكون عوضاً نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فان قلت فقد جاء وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس
فانما جاز هذا لان ليس ليس بفعل على الحقيقة واما قوله كثير منهم ففيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الواو في عموا وصموا والثاني ان يكون خبر مبتدأ محذوف
كانه قال العمي والصم كثير منهم والثالث ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر يلومونني في اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل وقال الفرزدق
ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه المعنى ثم اخبر سبحانه بانه اخذ عليهم
الميثاق فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل يريد الايمان المؤكدة التي اخذها انبياؤهم عليهم في الايمان بمحمد والاقرار به وقيل اخذ ميثاقهم على الاخلاص
في التوحيد والعمل بما امر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد ووجه الاحتجاج عليهم بذلك انه كان اخذ الميثاق على آبائهم انهم عن ذلك في كتبهم
اقروا بصحته فالحجة لازمة لهم وهو سبحانه الغني بحجته كما يلحق بآبائهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما لا يوافق اهواءهم فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون اي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فان قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون
مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب ان يكون موافقا لرؤس الآي ويمكن ان يقال التقدير فريقا كذبوا لم يقتلوه وفريقا كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق
لم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي على الجواب الاول ولم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لان التقدير كذبوا وفريقا يقتلون وفريقا قد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة
البقرة عند قوله ففريقا كذبتم وفريقا يقتلون وحسبوا ان وظنوا ان لا تكون فتنة اي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم بل ظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس
وقيل حسب القوم ان لا يكون بلية عن قتادة والحسن البصري وقيل فتنة اي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل حسبوا فعلهم غير فتنة لهم وذلك انهم كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدروا ان لا يفتنهم بتشديد الاصر عليهم الكفر فلما ظنوا ان ذلك لا يكون موافقا لهم عن الابتلاء فعموا
وصموا عن الحق على التشبيه بالاعمى والاصم لانه لا يهتدي الى الطريق لرشد في الدين لاعراضهم عن النظر كما لا يهتدي هذا الى الطريق لرشد في الدين لاجل عماه وصممه ثم
تاب الله عليهم يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا اي عادوا الى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون وفشا قرون اخر تخلفوا بافعال
آبائهم فعموا عن الحق وصموا عن سماعه وقيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم عمي كثير منهم كما كانوا وقيل اراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا والله
بصير بما يعملون اي عليم باعمالهم وهذا كالوعيد لهم **قوله تعالى** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من
اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثلاث آيات

اللغة الشرك اصله الاجتماع في الملك فاذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شيء بين نفسين لا يلزم على ذلك ما يجتمع الى كل واحد منهما كالعبد
يكون ملكا لله وهو ملك للانسان لانه لو بطل ملك الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمشرك ههنا ما يكون معه ثان وهو حلوله فيه لان العقل لا يقتضي
يجوز الا الحسن وقد يكون الحسن بعض الحسن **الاعراب** قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون الا مضافا ولا يجوز التنوين في ثالث فتنصب الثلاثة وكذلك قوله ثاني اثنين ورابع اربعة
لا يكون الا مضافا الا ان تقول ثالث اثنين فان قلت ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة لانه فعل واقع
وقال الزجاج لا يجوز في ثلاثة الا الخفض لان المعنى احد ثلاثة فان قلت ثالث اثنين ورابع ثلاثة جاز الخفض والنصب فاما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة
فربعتهم وانا رابعهم غدا ومن خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغا الكعبة وقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فيه لام القسم على اضمار
القسم مثل قوله ولئن جئتهم باية ليقولن على الفعل الثاني دون الاول لانه لو كان جواب القسم على الاول لم تحذف اللام منه وان لم ينتهوا كما لم تحذف اللام
الثانية في موضع مثله قول العارف وقالت فاقسمت لاخل الا بعضه فحرام علي رحله وبتاته فانه لم يعتبر فجاء به ضعيفا لا يتحقق لا يتحقق العظم والمعار
فان قيل لم لا يجوز ان يكون جواب القسم على اللام الاولى الا انها حذفت كما حذفت في قوله قد افلح من زكيها فجوابه ان ذلك لا يجوز لان اللام انما حذف من افلح لطول الكلام
لما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل ههنا الموضع يتجه حذفها واما هذه اللام فهي لام ان في قولك والله ان لو فعلت لفعلت تشبيها تارة وتحذفها اخرى والقسم لا يعتمد على
هذه اللام كما لا يعتمد على ان هذه افلا تسمع فاقسم ان لو التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر مظلم فالذي اعتمد عليه القسم قوله لكان دون ان الاترى تقول اقسم
لو جئت جئت فتحذف ان كما تحذف هذه اللام من الزيادات لانها اذا دخلت كذلك واذا سقطت لا يخل سقوطها بالكلام الا ان زيادتها في القسم وغيره كما ان
تزاد في قولهم اما ان في التقدير وغيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم قولك لئن اتيتني لاكرمتك انما هو لاكرمتك ولكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة
بالقسم كانك قد حلفت على الثبات انك كرمته ثم بدا لك اذا اردت ذلك ثم علقت الاكرام باتيانه فصار التقدير والله لاكرمتك ان اتيتني لاكرمتك فاستغنيت
عن ذكر الجزاء لتقدم ما يدل عليه فقولك لئن اتيتني متصل بما يدل عليه لاكرمتك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصها من كلام الشيخ ابي علي **المعنى**
ثم عاد سبحانه الى ذكر النصارى فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا مذهب اليعقوبية منهم لانهم قالوا ان الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئا واحدا
وصار الناسوت لاهوتا وذلك قولهم انه الاله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم واني وإياكم عبيده انه من يشرك بالله
باين يزعم ان غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر احد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله فقد حرم الله عليه الجنة يحرم عليه دخولها ومنعه لا تحريم تعبد
ومأواه النار اي مصيره الجنة ومأواه النار ومأواه النار وهذا كله اخبار من المسيح لقومه وما للظالمين من انصار معناه انه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من انواع العذاب ثم اقسم

تعالى قسما آخر فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية لانهم يقولون ثلاثة
اقانيم جوهر واحد اب وابن وروح القدس اله واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة وان كان يلزمهم ان يقولوا ثلاثة آلهة فصح ان يحكى عنهم بالعبارة
اللازمة وانما قلنا انه يلزمهم ذلك لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن ليس هو الاب ثم قال ما من اله الا اله واحد اي ليس اله الا اله واحد وانما دخلت من
للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اي وان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولون من القول بالتثليث قسم ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم وانما خص منهم الذين
يثبتون على كفرهم لانه علم ان بعضهم يؤمن عن ابي علي الجبائي والزجاج وقيل انه عم بقوله الذين كفروا الفريقين الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم والذين
قالوا ان الله هو ثالث ثلاثة والضمير عائد الى اهل الكتاب وليس في هذا دلالة على ان افعال الجوارح ما هو كفر لانه انما يتضمن ان من قال انه ثالث ثلاثة فهو
كافر ولا خلاف في ذلك فان من قال ان الكفر هو الجحود بالقلب قال ان في افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا
دلالة في الآية على ما قالوه افلا يتوبون الى الله قال الفراء هذا امر في لفظ الاستفهام وتقديره الامر بلفظ الاستفهام كقوله فهل انتم منتهون وانما دخلت الا لان
معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها ويستغفرونه والفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة
او غيرها من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على ان لا يعود الى مثلها لانه قبيح والاستغفار مع الاصرار على القبيح لا يصح والله غفور رحيم يغفر الذنوب
ويرحمهم ويرحم منه اعبادة وفي هذه تحريض على التوبة وحث على الاستغفار **قوله تعالى** ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو
السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ثلاث آيات **اللغة**
الصديقة المبالغة في الصدق والصديق فعيل من ابنية المبالغة كما يقال رجل سكير مبالغ في السكر ويقال افكه يأفكه افكا اذا صرفه ولا فك الكذب لانه صرف عن
الحق وكل مصروف عن شيء مأفوك عنه وقال ابن الكيسان ان افك صرف عن الرشد مأفوكا في قد افكوا وقد افكت الارض اذا صرف عنها المطر وارض مأفوكة لم يصبها
مطر والمؤتفكات المنقلبات من الرياح وغيرها لانها صرفت عن وجهها الملك القدرة على تصريف ما للقادر عليه ان يصرفه فملك الضر والنفع اخص من القدرة عليهما لان
القادر قد يقدر من ذلك على ما له ان يفعل وقد يقدر على ما ليس له ان يفعله النفع هو فعل اللذة والسرور وما ادى اليهما او الى واحد منهما مثل الملاذ التي تحصل
في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فان جميع ذلك نفع لانه يؤدي الى اللذة والضر هو فعل الالم والغم او ما يؤدي اليهما او الى واحد منهما كالالام التي توجد
في الحيوان وكالقذف والسب لان جميع ذلك يؤدي الى الالم والاهواء جمع هوى النفس مقصور لانه مثل فعل وفعل جمعه افعال **الاعراب** غير الحق نصب على وجهين
احدهما ان يكون على الحال من دينكم فكانه قال لا تغلوا في دينكم مخالفين للحق والثاني ان يكون منصوبا على الاستثناء بمعنى لا تغلوا في دينكم الا الحق فيكون مستثنى من
المنهي عن الغلو فيه بان يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه **المعنى** لما تقدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والحجاج لهم فقال ما المسيح
ابن مريم الا رسول اي ليس هو باله قد خلت من قبله الرسل اي كما ان الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بآلهة وان اتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح فمن ادعى له
الالهية فهو كمن ادعى لهم الالهية لتساويهم في المنزلة وامه صديقة لانها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصديقها الخبر بها بما بشرها الله به وقوله وصدقت بكلمات ربها
عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من امرها كانا يأكلان الطعام قيل فيه قولان احدهما انه احتجاج على النصارى
بان من ولدته النساء ويأكل الطعام لا يكون الها للعباد لان سبيله سبيلهم في الحاجة الى الصانع المدبر والمعنى انهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف
يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام وهذا قول ابن عباس والثاني ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لان من اكل الطعام لا بد له من الحدث فلما ذكر
الاكل صار كانه اخبر عن عاقبته انظر كيف نبين لهم الآيات من سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامته بان يفكروا فيما بين تعالى من الآيات اي الدلالات على بطلان ما اعتقدوه
انظر من ربوبية المسيح ثم امر بان ينظروا وقال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق الذي يؤدي اليه تدبر الآيات فالنظر الاول انما هو الى فعله تعالى
الجميل في نصب الآيات وازاحة العلل والنظر الثاني الى افعالهم القبيحة وتركهم التدبر للآيات ثم زاد في الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد اتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي اتوجهون عبادتكم الى من لا يقدر لكم على النفع والضر لان القادر عليهما هو الله او من يمكنه الله تعالى من ذلك والمستحق
للعبادة انما هو القادر على اصول النعم والنفع والضر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه والله هو السميع لاقوالكم العليم
بضمائركم وفي هذا تحذير من الجزاء والاستحقاق استدعاء الى التوبة ثم دعاهم الى ترك الغلو فقال يا محمد قل للنصارى فانهم هم المخاطبون هنا وقيل انه خطاب لليهود
والنصارى لان اليهود والنصارى غلوا فيه كتكذيب عيسى ومحمد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم الى الازدياد وضده التقصير وهو
الخروج عن حد الى النقصان والزيادة في الحق والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله الذي امر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد غير الحق اي مجاوزين الحق
الى الغلو والى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال الخطاب لليهود والنصارى قال غلو النصارى في عيسى دعاؤهم له الالهية وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم اياه الى انه
لغير رشدة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قال ابن عباس كل هوى ضلالة يعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والآية
خطاب للذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهوا ان يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والاهواء ههنا المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة
لان الانسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه الى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك به ولا اتباع هو سلوك الثاني طريقة الاول على وجه الاقتداء
به وقد يتبع الثاني الاول في الحق وقد يتبعه في الباطل وانما يعلم ذلك بدليل واضلوا كثيرا يعني به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق واضلوا كثيرا من الخلق اي اضلوا

اليهم من حيث كان يدعوهم واغوائهم وضلوا عن سواء السبيل قيل في معناه قولان احدهما انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج والثاني انهم ضلوا من قبل بكفرهم
بعيسى وضلوا غيرهم من بعد بكفرهم بمحمد فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل السؤال استمر وقيل الاشارة بتيقنهم الى الجنة والخلود في النعيم
قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا
يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ثلاث آيات **اللغة** التناهي له
معنيان احدهما انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا والثاني انه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عنه اذا كف عنه **الاعراب** بئس ما يجوز ان يكون
ما فيها كافة لبئس كما يكف في انما ولكنما وبعدما واللام فيه للقسم ويجوز ان يكون ما نكرة فكانه قال بئس شيئا فعلوه كما تقول بئس رجلا كان عندك ومحل
ان سخط الله عليهم رفع كرفع زيد في قولك بئس رجلا زيد فيكون مبتدأ وبئس وما فيه خبره او يكون خبر مبتدأ محذوف كانه قال بئس رجلا قيل من هو فقال زيد اي هو
زيد ويجوز ان يكون محله نصبا على تأويل بئس الشيء ذلك لان سخط الله عليهم **المعنى** ثم اخبر تعالى عما جرى على اسلافهم فقال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان
داود وعيسى بن مريم قيل في معناه اقوال احدها ان معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وانما ذكر عيسى وداود لانهما ابنا الانبياء المبعوثين
بعد موسى ولما ذكر داود وعيسى عن ذكر سليمان لانهما لا نبوة لهما وعن الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابو جعفر اما داود فلعن اهل ايلة لما اعتدوا في سبتهم
وكان اعتداؤهم في زمانه فقال اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة واما عيسى فانه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد
ذلك وثانيها ما قاله ابن عباس انه يريد في الزبور وفي الانجيل ومعنى هذا ان الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني اسرائيل وفي الانجيل كذلك فلذلك قيل على لسان
داود وعيسى وثالثها ان يكون عيسى وداود علما ان محمدا نبي مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والاول اصح والمراد ان الله ايأسهم من المغفرة مع الاقامة على الكفر لدعاء
الانبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وانما ذكر اللعن على لسانهما ازالة للايهام بان لهم منزلة بولادة الانبياء تنجيهم من العقوبة وذلك اشارة الى اللعن
المتقدم ذكره بما عصوا وكانوا يعتدون اي بمعصيتهم واعتدائهم ثم بين تعالى حالهم فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لم يكن ينهى بعضهم بعضا
ولا ينتهون اي لا يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلاث فرق فرقة اعتدوا في السبت وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ومواكلتهم
وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعا ولذلك قال رسول الله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر لتنهن
ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وانما سمي القبيح منكرا
لانه ينكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقبله فهو الحق وقيل ان المراد
بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشى في الاحكام وقيل اكلهم الربوا واثمان الشحوم ثم اقسم سبحانه فقال لبئس ما كانوا يفعلون اي
بئس شيئا فعلهم ترى كثيرا منهم اي من اليهود يتولون الذين كفروا يريد كفار مكة يعني بذلك كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله وذكرنا
ذلك عند قوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وقال ابو جعفر الباقر يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم اهواءهم ليصيبوا
من دنياهم وفي هذا توبيخ لاولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم ووجوب عقابهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ان سخط
الله عليهم وفي العذاب هم خالدون وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن الى ان هذه الآية في المنافقين من اليهود والكناية في قوله منهم عائدة اليهم
ويؤكده ما بعد هذه الآية **قوله تعالى** ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون آية **المعنى**
ولو كانوا يؤمنون بالله اي لو كانوا يصدقون بالله والنبي محمد وما انزل اليه من القرآن ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه ما اتخذوهم يعني الكافرين اولياء
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبي موسى وبما انزل اليه التوراة فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله وتولوا المشركين ويكون
معنى النص المعاندة على محاربة النبي ومعاداته ويجوز ان يكون المراد الموالاة على الحقيقة ولكن كثيرا منهم فاسقون وصفهم بالفسق وان كان الكفر ابلغ في باب الذم الموالاة
لامرين احدهما انهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بان يصفهم بالكفر والآخر ان الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على انهم فاسقون في كفرهم اي
خارجون الى التمرد فيه **قوله تعالى** لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا
مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ثلاث آيات **اللغة** قال الزجاج القس
والقسيس من رؤساء النصارى فاما القس في اللغة فهو النميمة ونشر الحديث يقال قس فلان الحديث قسا قال الفراء ويجمع القسيس قساوسة جمعوه
على مهالبة فكان تحسنه فكثرت السينات فابدلوا احديهن واوا والقسوس مصدر القس والقسيس وقد تكلمت العرب بهما وانشد المازني لو عرضت لايبلي قس
اشعث في هيكل مندس حن اليها كحنين الطس وقال امية لو كان منفلتا كانت قساوسة يحييهم الله في ايديهم الزبر والرهبان جمع راهب مثل راكب وركبان
وفارس وفرسان والرهبانية مصدر والترهب التعبد في صومعة واصله من الرهبة المخافة وقال جرير رهبان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شعف الجبال
الفادر وقال بعضهم الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جعل بناءه على فعلان وانشد لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان يمشي ونزل
فيض العين من الدمع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء سيلانه من شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وافاض القوم من عرفات الى منى اذا
دفعوا وافاضوا في الحديث اذا اندفعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين وشبه به التأني فقال كانه دمعة الدامع مجاري الدمع وشجة دامعة تسيل دما والطمع

تعلق

تعلق النفس بما يقوى ان يكون من مضى المحبوب ونظيره الامل والرجاء والطمع ان يكون معه خوف وان لا يكون والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه فان كان عمله في غيره
فهو مصلح فلذلك يوصف الله تعالى بانه مصلح ولم يوصف بانه صالح **الاعراب** اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا
مذهب الخليل والزجاج وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز ويقولون ربنا آمنا موضعه نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن في موضع نصب على الحال وتقديره اي
شيء لنا تاركين الايمان اي في حال تركنا الايمان ومن الحق معنى من تبيين لا صفة ان نقوم مع الصفة كانه قيل والحال التي هي لنا الذي هو الحق وقيل انها للتبعيض لانهم
آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل **النزول القصة** نزلت في النجاشي واصحابه قال المفسرون ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة
على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر
بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجا واراد به
النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول
الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامرأته ام
سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك
في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله وهذه هي الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا
سوى النساء والصبيان فلما علمت بذلك قريش وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا الى النجاشي والى بطارقته ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه
واخرج عمرو بن العاص اهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لاهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة
واخرج من الماء والقى الله بينهما العداوة في مسيرهما قبل ان يقدما الى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو بن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا
وصاروا اليك فردهم الينا فبعث النجاشي الى جعفر فجاءه فقال ايها الملك سلهم ايستعبدوننا فقال لا بل احرار قال فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا ما لنا
عليكم ديون قال فلكم في اعناقنا دماء تطالبوننا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذيتمونا فخرجنا من بلادكم ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا بخلع الانداد وترك
الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلوة والزكوة والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي
لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال هذا والله هو الحق فقال
عمرو انه مخالف لنا فرده الينا فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو فقال اسكت والله لئن ذكرته بعد بسوء لافعلن بك وقال ارجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا
فانكم سيوم والسيوم الآمنون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو واقام المسلمون هناك بخير دار وحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وهادن قريشا وفتح
خيبر فوافى جعفر الى رسول الله بجميع من كان معه فقال رسول الله لا ادري انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله في سبعين رجلا منهم اثنان
وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام منهم بحيرا الراهب فقرأ عليهم رسول الله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى فانزل الله فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلا
اربعون من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية وستون من اهل الشام **المعنى** ثم ذكر تعالى معاداة اليهود للمسلمين فقال لتجدن اشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا وصف اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لان اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين يؤمنون بنبوة موسى
والتوراة التي اتى بها فكان ينبغي ان يكونوا اقرب الى من وافقهم في الايمان بنبيهم وكتابهم وانما فعلوا ذلك حسدا للنبي ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
انا نصارى يعني الذين قدمنا ذكرهم من النجاشي ملك الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي الذين جاؤا مع جعفر مسلمين عن مجاهد ذلك بان
منهم قسيسين اي علماء النصارى امرهم عبادها عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى ضيعت الانجيل وادخلوا فيه ما ليس فيه وبقي من علمائهم واحد على الحق
والاستقامة وهو قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس ورهبانا اي اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون معناه ان هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع
الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعباد الاوثان وانفوا عن قبول الحق اخبر الله تعالى في هذه الآية عن عداوة اليهود للنبي ص من اليهود ومودة النجاشي واصحابه ثم
وصفهم فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق اي لمعرفتهم بان المتلو عليهم كلام الله وانه حق يقولون
ربنا آمنا اي صدقنا بانه كلامك انزلته على نبيك فاكتبنا اي فاجعلنا بمنزلة من قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ مع الشاهدين
اي مع محمد وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائي
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق معناه اي عذر لنا لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم عن الزجاج وقيل انهم قالوا ذلك في انفسهم
كأن سائلا سألهم عنه فاجابوا بذلك والحق هو القرآن والاسلام ووصفه بالمجيء مجاز كما يقال نزل وانما نزل به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث نحو قوله وجاءت
سكرة الموت بالحق ونطمع اي نرجو ونؤمل ان يدخلنا ربنا يعني في الجنة لايماننا بالحق وحذف لدلالة الكلام عليه مع القوم الصالحين اي المؤمنين من امة
محمد **قوله تعالى** فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم آيتان **اللغة** الاثابة المجازاة واصل الثواب الرجوع والاحسان ايصال النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهو ايصال الضرر
القبيح اليه وليس كل من كان فرحه بانه احسانا فهو محسن وظلما فالمحسن فاعل الاحسان بشرط ان يكون خاليا من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الايقاد وهو

هنا

[illegible]

[illegible]

ثم عطف الله تعالى على ما بين من الأحكام بالنهي عن أفعال أهل الجاهلية والخصال المحرمة التي بقيت بعد الإسلام فقال يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر وقد مضى تفسيرهما
في سورة البقرة وقال ابن عباس يريد بالخمر جميع الأشربة التي تذكر وتسكر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر من تسع من البتع وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر
ومن الحنطة ومن الذرة والشعير والسلت قال والميسر يريد القمار وهو أشياء كثيرة انتهى كلامه والأنصاب والأزلام ذكرنا معانيها في أول السورة رجس من
عمل الشيطان لا بد من أن يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناوله والتصرف فيه وعبادة الأنصاب والاستقسام بالأزلام رجس أي خبيث من عمل الشيطان و
إنما نسبها إلى الشيطان وهي أجسام من فعل الله لما يأمر به الشيطان فيها من الفساد فيأمر بشرب المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار ليستعمل فيه الأخلاق الدنية
ويأمر بعبادة الأصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق وقال الباقر عليه السلام يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد
وغير ذلك من أنواع القمار حتى أن لعب الصبيان بالجوز من القمار فاجتنبوه أي كونوا على جانب منه أي في ناحية لعلكم تفلحون معناه لكي تفوزوا بالثواب وفي هذه
الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الأشياء من أربعة أوجه أحدها أنه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف والثاني أنه نسبها إلى عمل الشيطان وذلك
يوجب تحريمها والثالث أنه أمر باجتنابها والأمر يقتضي الإيجاب والرابع أنه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة إلى عمل الشيطان تقديره
فاجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الأنصاب والأزلام من عمل الشيطان ويجوز أن يكون الهاء عائدة إلى الرجس وفي وقع على الخمر لما
ذكر وبعدها قد قرن الله تعالى الخمر بعبادة الأوثان تغليظا في تحريمها لذلك قال الباقر عليه السلام مدمن الخمر كعابد الوثن وفي هذه دلالة على تحريم سائر التصرفات في
الخمر من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين تعالى أنه نهى عن الخمر لما يتعلق في اجتنابه من الصلاح وخير الدارين فقال إنما يريد الشيطان أن يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال ابن عباس يريد سعد بن أبي وقاص ورجلا من الأنصار كان مواخيا لسعد فدعاه إلى الطعام فأكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقع
بين الأنصاري وسعد مراء ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر أنفه فأنزل الله تعالى ذلك فيهما والمعنى يريد الشيطان إيقاع العداوة بينكم
بالإغواء المزين لكم ذلك حتى إذا سكرتم زالت عقولكم وأقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه منه عقولكم قال قتادة فإن الرجل كان يقامر في ماله وأهله فيقمر
ويبقى حزينا سليبا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله أي يمنعكم عن الذكر لله بالتعظيم والشكر على آلائه وعن الصلوة التي هي قوام دينكم
فهل أنتم منتهون صيغته الاستفهام ومعناه النهي وإنما جاز في صيغة الاستفهام أن يكون على معنى النهي لأن الله ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها وإذا ظهر قبح
الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك فكأنه قيل له أتفعله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهي بقوله فهل أنتم منتهون في محل من
عقد عليه ذلك بإقراره فكان هذا أبلغ في باب النهي من أن يقال انتهوا ولا تشربوا **قوله تعالى** وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم
فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين آية **المعنى** لما أمر الله تعالى باجتناب الخمر وما بعدها عقبه بالأمر بالطاعة له فيه وفي غيره فقال وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول والطاعة هي امتثال الأمر والانتهاء عن المنهي عنه لذلك يصح أن تكون الطاعة طاعة لاثنين بأن يوافق أمرهما وإرادتهما واحذروا وهذا أمر منه تعالى
بالحذر عن المحارم والمناهي قال عطا يريد واحذروا سخطي والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر فإن توليتم أي فإن أعرضتم ولم تعملوا بما أمركم
به فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين معناه الوعيد والتهديد كأنه قال فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب لتوليكم عما أدى رسولنا إليكم من البلاغ
المبين يعني الأداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للإيجاز ولو كان الكلام على صيغة من غير هذا التقدير لأن عليهم أن يعلموا ذلك تولوا أو لم يتولوا
وفائدة قوله إنما كأنه قال لا غير علمها **قوله تعالى** ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين **النزول** لما نزل
تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وأنس
بن مالك والحسن والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل إنها نزلت في القوم الذين حرموا على أنفسهم اللحوم وسلكوا طريق الترهب
كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله لهم أنه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات **المعنى** ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح أي إثم وحرج
من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير أهل البيت فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعا إذا ما اتقوا شربها بعد التحريم
وآمنوا بالله وعملوا الصالحات أي الطاعات ثم اتقوا أي داموا على الاتقاء وآمنوا أي داموا على الإيمان ثم اتقوا بفعل الفرائض وأحسنوا بفعل النوافل
فعلى هذا يكون الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الإحسان إليه وقيل أن
الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تخص المكلف ولا تتعدى والإيمان الأول هو الإيمان بالله تعالى وبما أوجب الله ثم الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي
ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والإيمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يخص مظالم العباد وما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد عن
أبي علي الجبائي أن الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد واستدل على أن
هذا الاتقاء يختص المظالم بقوله وأحسنوا فإن الإحسان إذا كان متعديا وجب أن يكون المعاصي التي أمروا باتقائها قبله متعدية وهذا ضعيف لأنه لا تصريح في الآية
بأن المراد به الإحسان المتعدي ولا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وإن اختص الفاعل ولا يتعدى كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن والجميل ثم لو سلم أن
المراد به الإحسان المتعدي فلم لا يجوز أن يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح تعالى فقال اتقوا القبائح كلها وأحسنوا إلى غيركم لم يمتنع ثم أبطل أبو علي أنما يحمل
الثالث عن ذكر الأحوال الثلاث أنه لا يمكن فيه ما أمكن في الأول والثاني وهذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضي والثاني على الحال والثالث على المستقبل
المستقبل ومتى قيل إن المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فإن الفعل إما أن يكون موجودا فيكون ماضيا أو يكون معدوما فيكون مستقبلا فإنما ذكره

الأحوال

الأحوال الثلاث النحويون فجوابه أن الصحيح أنه لا واسطة بين المعدوم والموجود كما ذكرت غير أن الموجود في أقرب الزمان لا يمتنع أن يسمى حالا ويفرق بينه وبين الغابر الماضي
والغابر المنتظر ووجدت السيد الأجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي قد ذكر في بعض مسائله أن المفسرين تشاغلوا بإيضاح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الآية وظنوا أنه
المشكل فيها وتركوا ما هو أشد إشكالا من التكرار وهو أنه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات
والإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا إثم عليه ولا وزر وقال ولنا في حل هذه الشبهة طريقان أحدهما أن نضم إلى المشروط
المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لأن
الشرط في نفي الجناح لا بد من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا أن باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه
ولما ولي ذكر الاتقاء الإيمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا أنه أضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق المشروط لأن من اتقى المحارم فيما يطعم
لا جناح عليه فيما يطعمه ولكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به من واجب وضيعه من فرض فإذا شرطنا أنه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وعمل الصالحات
ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة الدلالة عليه مغنية عن
النطق به ومنه قول الشاعر تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه أن مولاه ثاب له وفر لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الأنف الذي يليق الجدع به أضمر ما
يليق بها وهو الفقء من العين وما يجري مجراه والطريق الثاني هو أن يجعل الإيمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وإن كان معطوفا على الشرط فكأنه لما
أن يبين وجوب الإيمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم لاشتراكهما في الوجوب وإن لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا نوع
البلاغة وفيه الفصل استحسانا ويسر بالنهي كلامه وقد قيل في الجواب عن ذلك أن المؤمن يصح أن يطلق بأنه لا جناح عليه والكافر مستحق للعقاب مغمور فلا
يطلق عليه هذا اللفظ وأيضا فإن الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك تخص المؤمن بالذكر والله يحب المحسنين أي يريد ثوابهم وإجلالهم
وإكرامهم وتبجيلهم ويروى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر بن الخطاب فأراد أن يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
الآية فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال علي عليه السلام أديروه على الصحابة فإن لم يسمع أحد قرأ عليه آية التحريم فادرؤا عنه وإن كان قد سمع فاستتيبوه فأقيموا عليه الحد فإن
لم يتب وجب عليه القتل **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن
اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا
عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه و
الله عزيز ذو انتقام آيتان **القراءة** قرأ أهل الكوفة ويعقوب فجزاء منونا مثل رفع والباقون فجزاء مثل ما قتل بالإضافة وقرأ أهل المدينة وابن عامر
أو كفارة بغير تنوين طعام على الإضافة والباقون أو كفارة بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين أنه جمع وفي الرواية الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن فجزاء
منون مثل منصوب وقراءة محمد بن علي الباقر عليهما السلام وجعفر بن محمد الصادق يحكم به ذو عدل منكم **الحجة** قال أبو علي حجة من رفع المثل أنه صفة للجزاء والمعنى
فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء وفاء اللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد فقوله من النعم على هذه القراءة صفة
للنكرة التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي إضافة جزاء إلى المثل لأن عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز أن يكون
قوله من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز أن يكون الجار متعلقا في قوله جزاء سيئة بمثلها لأنك قد وصفت الموصول وإذا وصفته لم يجز أن تعلق
بعد الوصف شيئا كما أنك إذا عطفت عليه وأكدته لم يجز أن تعلق به شيئا بعد العطف عليه والتأكيد له فأما في قراءة من أضاف الجزاء إلى المثل فإن قوله من النعم
يكون صفة للجزاء كما كان في قول من نون ولم يضف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول من نون ووصف وهو أن تقدره متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا
القول أن يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وإنما جاز تعلقه بالمصدر على قول من أضاف لأنك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من نون فيمتنع
تعلقه به وأما من أضاف الجزاء إلى مثل فإنه وإن كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنهم قد يقولون أنا أكرم مثلك يريدون أنا أكرمك فكذلك إذا قال فجزاء
مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل وإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كغير الإضافة ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فأضفته إلى المثل كما تضيف المصدر
إلى المفعول به لكان جائزا في قول من جر مثلا على الاتساع الذي ذكرناه ألا ترى أن المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قرأه أبو عبد الرحمن فجزاء مثل ما قتل ومثله
قول الشاعر فضرب بالسيوف رؤس قوم أزلنا هامهن عن المقيل لما نون المصدر أعمله وأما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين فإنه جعله عطفا على الكفارة
عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة إلى الطعام ومن أضاف الكفارة إلى الطعام فلأنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء الهدي والطعام و
الصيام استجاز الإضافة لذلك فكأنه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صوم فاستقامت الإضافة وأما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه أنه لم
يوحد لأن الواحد يكفي لكنه أراد معنى من أي يحكم به من يعدل ومن يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان وأمثال هذا الوجه الذي
ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد جعلت تفسير أهل البيت منقولا عن السيدين أن المراد بذي العدل رسول الله وأولوا الأمر من بعده وكفى بحجتهم القراءة خبرا
بمعنى قراءتهما **اللغة** البلاء الاختبار والامتحان وأصله إظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر أو الكفر والبلية
الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه والغيب خلاف الحضور ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو أن تذكر خلف الغيب بالقبيح وحرم جمع حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك
وأحرم الرجل دخل في الشهر الحرام وأحرم أي دخل في الحرم وأحرم أهل بالحج والحرم الإحرام ومنه الحديث كنت أطيب النبي لحرمه وأصل الباب المنع وسميت النساء

حرما لانها تمنع والمحروم الممنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد النعم في اللغة هي الابل والبقر والغنم وان انفردت الابل قيل لها نعم وان انفردت
الابل قيل لها ابل ... الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك وشاتك اذا كانت
شاة تعدل شاة وغلام يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه نصبت فقلت عدل وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من جنسه او من غير الجنس

حنيفة والشافعي وكلا القولين رواه اصحابنا ليذوق وبال امره اي عقوبة ما فعله في الاخرة ان لم يتب وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة امره وثقله بما يلزمه من
الجزاء فان سال سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا وانما هو عبادة فاذا كانت عبادة فهي نعمة ومصلحة فالجواب ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد ان عصى فثقل
ذلك عليه كما حرم الشحم على بني اسرائيل لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك عليهم وان كان مصلحة لهم عفا الله عما سلف من الجاهلية عن الحسن وعطاء وقيل عفا الله عما
سلف من الدفعة الاولى في الاسلام اي قبل التحريم ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء

امن وعظم حرمتها في القلوب بقيت تلك الحرمة الى يومنا هذا فلولا كونه عالما بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير موافقا للمصلحة وثانيها انه تعالى
لما اخبر في هذه السورة بقصص موسى وعيسى والتورية والانجيل وما فيهما من الاحكام والاخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا محمد صلعم ولا احد من عصره قال تعالى ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ومعناه انه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنهم بقوله ذلك اشارة الى ما انبأهم به من علم الغيب والعلم بالكائنات قوله تعالى اعلموا
ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون آيتان اللغة العلم ما اقتضى سكون النفس فان قيل
قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس الى المعتقد والاول اوجز ولا يجوز ان يحد العلم بالمعرفة لان العلم فكيف يحد الشيء بنفسه العلم يعني بالشيء على ما
هو به كذلك الرؤية والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه والرؤية لا تتعلق بالمرئي الا على وجه واحد العلم معنى يحل القلب والرؤية ليست معنى على الحقيقة لكن
للمرئي صفة بكونه مرئيا العطف والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والاهانة ولو اقتصر على ان تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت هو الضرر
الذي يقارنه استخفاف واهانة لكفى وانما سمي عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من جنايته والمغفرة هي الخشية من غفر عقابها واصل الرسول من الارسال وهو الاطلاق
يقال ارسل الطير اذا اطلقه وترسل في القراءة اذا تحقق فيها الترسل الشيء اذا تسلسل الرسل اللبن لاسترساله من الضرع والفرق بين الارسال والانباء ان الانباء عن
الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ والارسال لا يكون الا بتحميل الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو ههنا وصول الانذار الى نفوس المكلفين ليصل البلاغ
البلوغ ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس في حسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة المعنى لما تقدم تبيان الاحكام عقبه بذكر الوعد
الوعيد فقال اعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه وان الله غفور رحيم لمن تاب واطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه
بفضله لما الله وتبر في هذه الاية عقبها بقوله ما على الرسول الا البلاغ اي ليس على الرسول الا اداء الرسالة والشريعة فاما القبول والامتثال فانه يتعلق بالمكلف
المبعوث اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا يخفى عليه شيء من احوالكم التي تظهرونها والتي تخفونها وفيه غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد
العقاب الاية دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونهما لطفا في باب التكليف قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله
يا اولي الالباب لعلكم تفلحون آية اللغة الاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهاب واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء
راجع الى الاستواء في المكان لانه تمكن واقتدار والخبيث اصله الردي مأخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده وقد يجيء الخبيث بمعنى الحرام
بردي والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من اصل واحد العجب منه ما لانه كبر يدخل النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله وعجوز الرمل
لانفراده من جملته كانفراد ما يتعجب منه المعنى انه بين سبحانه الحلال والحرام وبين انهما لا يستويان فقال تعالى قل يا محمد لا يستوي اي لا يتساوى الخبيث والطيب اي الحرام
والحلال عن الحسن والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي ولو اعجبك ايها السامع او ايها الانسان كثرة الخبيث اي كثرة ما تراه من الحرام لانه لا يكون في الحرام بركة
ويكون في القليل من الحلال البركة وقيل ان الخطاب للنبي والمراد غيره فاتقوا الله اي فاجتنبوا ما حرم الله عليكم يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول لعلكم تفلحون اي لتنجحوا
وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى
الله عنها والله غفور حليم آية اللغة ابدا الشيء اذا اظهره وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وبدا له في الرأي بداء اذا تغير رأيه لانه ظهر له والبداية خلاف الخاتمة
والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا الاية وقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولم يجئ في اقوال العرب البداء
بمعنى الندامة وتغير الرأي واذا كان لفظ البداء يطلق على الله تعالى فالمراد به الارادة والظهور دون ما يظن قوم من الجهال وعليه تشهد اقوال العرب واشعارهم
فمن ذلك قوله ما بدا للنعمن وذو من كذب حلمي اصم ولاذني غير صما وامثال ذلك والله اعلم الاعراب اشياء في موضع جر الا انها فتحت لانها لا تنصرف قال
الكسائي اشبهت اخرها حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطأ والزموه ان لا يصرف ابناء واسماء قال الخليل ان اشياء اسم للجمع
كان اصله شيئاء على وزن فعلاء مثل الطرفاء والقصباء والحلفاء لانها على لفظ الاحاد والمراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما الف وليس بحاجز قوي
لاجل انه ساكن ومن جنس الهمزة الا ترى انهم يقولون اليها اذا تحركت فقدموا الهمزة التي هي لام الفعل في اول الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفعاء كما قالوا في قوس قسي
في قووس وهو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين قالوا والدلالة على ان اشياء اسم مفرد ما روي من تكسيرها على اشاوى كما كسر صحراء على صحارى حيث
كانت مثلها في الافراد وقال الاخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء اصل اشياء اشيئاء على وزن افعلاء فحذفت الهمزة التي هي لام الفعل كما حذفت من قولهم
سوائية حيث قالوا سواية ولم تحذف هنا في افعلاء لاجل ان احديهما تقارب الهمزة واذا كانوا قد حذفوا الهمزة منفردة فاذا تكررت لزم الحذف والاحوال الكلمة جمع
وقد يستثقل في الجمع ما لا يستثقل في الاحاد ووزن اشياء على هذا القول افعاء وذكروا ان المازني ناظر الاخفش في هذا الباب فسأله كيف تصغر اشياء
فقال اشيياء فقال له لو كانت افعلاء لردت في التصغير الى واحدها فقيل شيئات كما قالوا في تصغير اصدقاء صديقون فانقطع الاخفش واجاب عنه علي الفارسي
فقال ان افعلاء انما يجب تحقيرها ان لم تحقر في غير هذا الموضع لانها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة العدد القليل اليها كما اضيف الى افعال ويدل
على كونه بدلا من افعال تذكيرهم العدد المضاف اليها نحو ثلاثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله ان تبد لكم تسؤكم جملة شرطية في موضع جر بكونها
صفة لاشياء النزول اختلف في نزولها فقيل سأل الناس رسول الله صلعم حتى احفوه بالمسئلة فقام مغضبا خطيبا فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن
شيء الا بينته فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل
اخر فقال يا رسول الله ابن ابي فقال في النار فقام عمر بن الخطاب وقبل رجل رسول الله صلعم وقال انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا

في هذا الموضع

عفى الله عنك فسكن غضبه فقال اما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر عن الزهري
وقتادة عن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله صلعم استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من ابي ويقول الاخر اين ابي ويقول الاخر ضلت
ناقتي اين ناقتي فانزل الله تعالى هذه الاية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله صلعم فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن
مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلثا فقال رسول الله صلعم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني كما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما
استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه عن علي بن ابي طالب وابي امامة الباهلي وقيل نزلت حين سألوا رسول الله صلعم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي
عن مجاهد المعنى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسئلة عن اشياء لا يحتاجون اليها التي ان ابديت واظهرت
ساءتكم وحزنتكم وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذي سأل عن نسبه واشباه ذلك من امور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ان تبد لكم
تسؤكم فقدم واخر وعلى هذا يكون قوله عفا الله عنها صفة لاشياء ايضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما وكلام الزجاج يدل على هذا لانه قال
اعلم الله ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي ان يقع فانه اذا ظهر فيه جواب ساء ذلك خاصة في وقت سؤال النبي صلعم على جهة تبيين الايات فنهى الله تعالى عن ذلك
وعلم انه قد عفى عنها ولا وجه لمسألة ما عفى الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل ان ظهر والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عم في قوله ان الله افترض عليكم فرائض
فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها قال مجاهد كان ابن عباس اذا
سئل عن الشيء لم يجئ فيه اثر يقول هو من العفو ثم يقرء هذه الاية وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه وان تسألوا عنها حين نزول القرآن
اظهر لكم جوابها اذا لم تقصدوا التعنت على محمد صلعم فلا تتكلفوا السؤال عنها في الحال وقيل معناه لا تسألوا عن اشياء لانه كان قد سبق ذكر الاشياء وقيل ان الهاء
راجعة الى الاشياء الاولى وتبين لهم انكم ان تسألوا منها عند نزول القرآن في الوقت الذي يأتيه الملك بالقرآن يظهر لكم ما تسألون عنه في ذلك الوقت فلا
تسألوه ودعوه مستورا ثم قال عفا الله عنها اي عفا الله عن سؤالكم ويكون تقديره عفى الله عن مسألتكم التي سلفت منكم مما كرهه النبي صلعم والله غفور
حليم فلا تعودوا الى مثلها هذا مثل قول ابن عباس في رواية ابن عطا واما على ما ذكرنا من ان قوله عفا الله على التقديم فيكون تقدير الاية لا تسألوا عن اشياء
ترك الله ذكرها وبيانها لانكم لا تحتاجون اليها في التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم نزلت فيما سأل الامم انبياءهم من الايات وتؤيده
الاية التي بعدها النظم قيل في اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انها تتصل بقوله تفلحون لان من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه
وثانيها انها تتصل بقوله ما على الرسول الا البلاغ فانه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعنيكم وثالثها انها تتصل بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
اي لا تسألوه فيظهر لكم سرائركم قوله تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون آيتان اللغة البحر الشق وبحر اذن الناقة يبحرها بحرا اذا شقها شقا واسعا والناقة بحيرة وهي فعيلة
بمعنى المفعول مثل النطيحة والذبيحة واصل الباب السعة وسمي البحر بحرا لسعته ومن بحر في العلم وفي الحديث انه صلعم قال لفرس وجدته بحرا والسائبة فاعلة من
ساب الماء اذا جرى على وجه الارض ويقال سيبت الدابة اي تركتها تسيب حيث شاءت ويقال للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لانه يضع ماله حيث شاء واصله
الحلالة وهي السيبة اخذت من قولهم سابت الحية والسائبة اذا مضت مستمرة والوصل نقيض الفصل ولعن رسول الله الواصلة وهي التي تصل شعر المرأة بشعر اخر والوصيلة
بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها هذا ظاهر الاية واختلف اهل اللغة في البحيرة فقيل هي التي حرمت لا يأكل الناس لحمها و
لا يجز في شيء كذلك البحائر واختلفوا في السائبة فقيل سائبة الله تعالى لم تشكل بان الله عالم خلقه وجاعلها واختلفوا في الوصيلة لما بدئ شرا لحدث ما كتب في الناس عما
ترعى واجلالا من البحار الوصايا واختلفوا في الحامي حماها ابو قابوس من غير كبيره كما حمى ولاد الولاد الفحل المعنى ثم اخبر سبحانه ان قوما سألوا مثل سؤالهم فلما
اجيبوا الى ما سألوا كفروا فقال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وفيه اقوال احدها انهم قوم عيسى سألوا انزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس وثانيها انهم
قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها وثالثها انهم قريش حين سألوا النبي ان يحول الصفا ذهبا عن السدي ورابعها انهم كانوا يسألون النبي عن مثل هذه الاشياء
يعني من ابي ونحوه فلما اخبرهم بذلك قالوا ليس الامر كذلك فكفروا به ويكون على هذا نهيا عن سؤال النبي صلعم عن انساب الجاهلية لانهم لو سألوا عنها لظهر الامر فيها
خلاف حكمهم فحملهم ذلك على تكذيبه عن ابي علي الجبائي فان قيل ما الذي يجوز ان يسأل عنه وما الذي لا يجوز فالجواب ان الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل
عليه في الامور الدينية والدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في امور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز ان يسأل الانسان من ابي لان المصلحة تقتضي
ان يحكم على كل من ولد على فراش انسان بانه ولده وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسئلة بخلاف ذلك سفه لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سألوه فقيل انه تعالى ذكر
الحلال والحرام وبين حال ما تعتقده اهل الجاهلية من ذلك فقال ما جعل الله من بحيرة اي ما حرمها على ما حرمها اهل الجاهلية من ذلك ولا امر بها والبحيرة هي
الناقة كانت اذا انتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها لا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى فاذا لقيها المعيي لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم
كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن نظروا في البطن الخامس فان كان ذكرا نحروه فاكله الرجال والنساء جميعا وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجز لها وبر
ولا يذكر عليها اسم الله ان ذكيت ولا حمل عليها وحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئا ولا ان ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فاذا ماتت
اشترك الرجال والنساء في اكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبة عن مجاهد ولا سائبة وهي ما كانوا يسيبونه فان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر او برء من علة

او ما اشبه ذلك فقال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في ان لا ينتفع بها وان لا تخلى عن ماء ولا تمنع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للاصنام
تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدمة الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السائبة
هي الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم يخلى
سبيلها مع امها في البحر وعن محمد بن اسحق والوصيلة هي في الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا جعلوه لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت
اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع جديا ذبحوه لالهتهم ولحمه للرجال دون النساء وان كان عناقا
استحيوها وكانت من عرض الغنم وان ولدت في البطن السابع جديا وعناقا قالوا ان الاخت وصلت اخاها فحرمته علينا فحرما جميعا وكانت المنفعة واللبن للرجال دون
النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة اذا اتمت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيهن ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور
دون الاناث عن محمد بن اسحق والحام هو الذكر من الابل كانت العرب اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى عن
ابن عباس وابن مسعود وهو قول ابي عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل اذا لقح ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب عن الفراء اعلم الله انه لم يحرم من هذه الاشياء شيئا
وقال المفسرون روي عن ابن عباس عن النبي ص ان عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وبحر
البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي قال رسول الله فلقد رأيته في النار يؤذي اهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه في النار ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب هذا اخبار منه تعالى ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه الاشياء من فعل الله وامره واكثرهم لا يعقلون خص الاكثر منهم بانهم لا يعقلون
لانهم اتباع فهم لا يعقلون ان ذلك كذب وافتراء كما يعقله الرؤساء عن قتادة والشعبي وقيل ان معناه ان اكثرهم لا يعقلون ما حرم عليهم وما احل لهم يعني ان المعاند
هو الاقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الاية دلالة على بطلان قول المجبرة لانه سبحانه نفى ان يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل لذلك
والخالق له ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول وافتروا على الله الكذب بان نسبوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون آية المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين
جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون على الله الكذب عن كفار قريش وغيرهم واذا قيل لهم تعالوا اي هلموا الى ما انزل الله من القرآن واتباع ما فيه والاقرار بصحته والى
الرسول وتصديقه والاقتداء بافعاله قالوا اي الجواب عن ذلك حسبنا اي كفانا ما وجدنا عليه آباءنا اي نتبعهم في ذلك ثم اخبر سبحانه منكرا عليهم او لو كان
آباؤهم اي انهم يتبعون آباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان وان كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون اليه وقيل في معنى لا يهتدون
قولان احدهما انه يذمهم بانهم ضلال والآخر انهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الاية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء من امور
الدين الا بحجة وفي هذه الاية دلالة ايضا على وجوب المعرفة وانها ليست ضرورية على ما قاله اصحاب المعارف فانه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحة ما دعاهم
الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لآبائهم ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معا لان بينهما فرقا وان الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان
والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون آية القراءة روي في الشواذ عن الحسن لا يضركم وعن ابراهيم لا يضركم الحجة في ذلك اربع لغات ضاره يضوره وضاره يضيره وضره يضره وضره
يضره ومن قرأ ضره يضره فعلى المضاعف متعديا وانما جزم يضركم ويضركم لانه جواب الامر وهو قوله عليكم انفسكم ويجوز ان يكون لا هنا بمعنى النهي فيكون يضركم
مجزوما به الاعراب قال الزجاج عليكم انفسكم اجريت مجرى الفعل فاذا قلت عليك زيدا فتأويله الزم زيدا وعليكم انفسكم معناه الزموا امر انفسكم وقال غيره
العرب تامر من الصفات بعليك وعندك ودونك فتعديها الى المفعول وتقيمها مقام الفعل فتنصب بها على الاغراء فتقول عليك زيدا كانه قيل خذ زيدا فقد
علاك اي اشرف عليك وعندك زيدا اي حضرك فخذه ودونك اي قرب منك فخذه وقد تقيم العرب غير هذه الاحرف مقام الفعل لكن لا تعديها الى المفعول
وذلك نحو قولهم اليك عني اي تأخر عني ووراءك بمعنى تأخر ولا يجوز ذلك الا في الخطاب لو قلت عليه زيدا لم يجز وقوله لا يضركم لا يجوز ان يكون اعرابه رفعا
يكون على جهة الخبر ويجوز ان يكون موضعه جزما ويكون الاصل لا يضرركم الا ان الراء الاولى ادغمت في الثانية وضمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية
لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسرها فالضم لاتباع الضم والفتح للخفة والكسر لان اصل التقاء الساكنين الكسر وهذا النهي للفظ الغائب والمراد به المخاطبون اذا
قلت لا يضرك كفر فلان فمعناه لا تعتد بان كفره ضرك كما انك اذا قلت لا ارينك هيهنا فالنهي في اللفظ لنفسك ومعناه لا تكونن هنا المعنى لما بين الله سبحانه
حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم واسلافهم وتركوا الادلة اتبعه بالامر بالطاعة وبين ان المطيع لا يؤخذ بذنوب العاصي فقال يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم
معناه احفظوا انفسكم من ملابسة المعاصي والاصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا امر انفسكم فانما الزمكم الله امرها عن الزجاج وهذا موافق لما روي عن
ابن عباس ان معناه اطيعوا امري واحفظوا وصيتي لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم ضلال من ضل من آبائكم وغيرهم اذا كنتم مهتدين ويقال اهل بدعة بهذه الاية
على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوابهم ان في هذه وجوها احدها ان الاية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يؤاخذ بذنوب العاصي وثانيها ان
الاية تدل على الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله انما يجوز في حال التقية او حال لا يجوز فيها تمكن انكار ما فيها او يتصلون بانكاره مفسدة وروي ان ابا ثعلبة سأل رسول الله ص عن هذه
الاية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودعهم وثالثها
ان هذه آكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه سبحانه خاطب بها المؤمنين فقال عليكم انفسكم يعني عليكم اهل دينكم كما قال ولا تقتلوا انفسكم لا يضركم

من ضل

من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس في رواية عطا عنه وقال مجاهد وابن زيد يعظ بعضكم بعضا وينهى بعضكم بعضا ويعلم بعضكم بعضا ما يقربه الى الله ويبعده من الشيطان ولا يضركم
من ضل من المشركين والمنافقين واهل الكتاب الى الله مرجعكم جميعا اي مصيركم ومصير من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجازيكم باعمالكم وفي هذا غاية الزجر
والتهديد وفي الاية دلالة على فساد قول من قال ان الله يعذب الاطفال بذنوب الآباء ويعذب الميت ببكاء الحي عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا شهادة
بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد
الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين آية القراءة روي في الشواذ عن الحسن والشعبي والاعرج
شهادة بينكم وعن الاعرج بنصب شهادة بينكم بالنصب وروي عن علي والشعبي بخلاف ونعيم بن ميسرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب شهادة والمد في الله وهو قراءة يعقوب في
رواية روح وزيد وروي شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير والكلبي والشعبي الحجة اما قوله شهادة بالرفع بينكم فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة
بينكم الا انه حذف التنوين وانجر الاسم ويجوز ان يكون المصدر محذوفا فاما آخر الكلام اي شهادة بينكم شهادة اثنين اي ينبغي ان يكون الشهادة المعتمدة هكذا اما شهادة
بينكم بالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهو من قراءة الجماعة المشهورة شهادة الله بالاضافة واما
المد في الله فعلى ان همزة الاستفهام صار عوضا من حرف القسم وقوله الله بحذف الذي كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالف كما
قولهم آلذكرين حرم ام الانثيين واما الله مقصورا بالجر فعلى ما حكاه سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا
وذلك لكثرة الاستعمال واما تقدير الكلام فعلى انه يقول نقسم بالله انا نقدم على هذه اليمين وهذا انما يكون على وجه الاعطاء لليمين والتهيب لها الاعراب
قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين احدهما ان يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فحذف شهادة ويقيم اثنان مقامها
والآخر ان يكون التقدير وفيما فرض عليكم في شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو علي الفارسي القول الاول قال واتسع في بين
فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال ان الظرف يستعمل اسما في غير الشعر لانه قد جاء ذلك في التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر
نحو قوله فصادف بين عينيه الجبوبا واما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز ان يكون متعلقا بالوصية لامرين احدهما ان المضاف
اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لانه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه في موضعه فاذا قدر ذلك لزم ان يقدم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يجز القتال زيدا حين تأتي والآخر
ان الوصية مصدر فلا يتعلق به ما تقدم عليه واما قوله حين الوصية اثنان فلا يجوز حمله على الشهادة لانه اذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف آخر منه
ولكن تحمله على احد ثلاثة اوجه احدها ان يتعلق بالموت كانه يموت في ذلك الحين وهذا انما يكون على ما قرب منه كقوله اذا حضر احدكم الموت قال اني تبت الآن وهذا
القول انما يكون قبل الموت واما ان يتعلق بحضر اي اذا حضر في هذا الحين واما ان يكون محمولا على البدل من اذا لان ذلك الزمان في المعنى هو هذا الزمان فتبدله
كما تبدل الشيء من الشيء اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفي الظرف ضمير وقوله او آخران من غيركم تقديره او شهادة آخرين
من غيركم ومن غيركم صفة لآخرين كما كان منكم صفة لاثنين ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم بذلك ان شهادة الآخرين
اللذين هما من غير اهل ملتنا انما يجوز في السفر فاستغني عن جواب ان بما تقدم من قوله او آخران من غيركم لانه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الامر كان المعنى
ينبغي ان تشهدوا اذا ضربتم في الارض آخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ان يستغنى عن جواب اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدم من قوله شهادة بينكم
فان جعلت اذا بمنزلة حين فلم تجعل لها جوابا كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله
شهادة بينكم يدل عليه فيكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لان المعنى ينبغي ان تشهدوا وقوله
تحبسونهما من بعد الصلوة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلوة يتعلق بتحبسونهما فيقسمان بالله الفاء لعطف الجملة على الجملة وان شئت جعلت
الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة وانسان عيني يحسر الماء تارة فيبدو وتارات يجم فيغرق تقديره عندهم اذا انحسر بدا فكذلك اذا حبستموهما اقسما وقوله لا
نشتري به ثمنا جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان والتقدير لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا اي ذا ثمن فحذف المضاف
الموضعين وانما ذكر الشهادة لان الشهادة قول كما قال واذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه كما كان القسمة يراد به المقسوم لان القسمة التي هي فرز الانصباء
لا يرزق منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان المشهود له ذا قربى واضاف الشهادة الى الله لامره باقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله
اقيموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه هذا كله ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي وناهيك به فارسا في هذا الميدان نقابا يخبر عن مكنون هذا العلم بنوع
البيان النزول اسباب نزول هذه الاية ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجارة الى الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي وهما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو
بن العاص السهمي وكان مسلما حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابي مارية فكتب وصيته بيده ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما قال ابلغا هذا
اهلي فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا الى الوصية
فوجدوا المال فيها تاما فكلموا تميما وصاحبه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبي ص فنزلت الاية عن الواقدي عن اسامة بن زيد عن ابيه
عن جماعة من المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر المعنى لما امر الله بالرجوع الى ما نزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون
شهادة بينكم قيل في معنى الشهادة التي تقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الاية على هذا المعنى وهذا هو قول ابن عباس
وثانيها انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم

هنا اقوال الاصل في انها
الشهادة ع

اذا

اذا حضر احدكم الموت واردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدالة جعلهما اثنين تاكيدا للامر في الوصية عن ابن عباس وهو
قول سعيد بن جبير وابن زيد والثالث انهما شهادة ايمان ان ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والاول اقوى
والبق بالاية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورضا ورجال عدل ورضا ثم قال تقدير المضاف فيكون
المعنى عدة شهود بينكم اثنان كقوله الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر قال ابن جني ويجوز ان يكون المعنى مقيموا شهادة بينكم اثنان فيكون على هذا
القول قد حذف المضاف من المبتدا وعلى قول الزجاج وابي علي من الخبر اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج انما
ان الشهادة في وقت الوصية بل الموت ليس الموت حاضر هو يوصي انما يقول الموصي صحيحا كان او غير صحيح اذا حضرني الموت واذا مت فافعلوا واصنعوا اثنان ذوا
عدل منكم اي من اهل دينكم وملتكم او اخران من غيركم اي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابراهيم
وهو المروي عن الباقر والصادق فيكون او ههنا للتفصيل لا للتخيير لان المعنى او اخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم
او اخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والاصم قالوا لان عشيرة الموصي اعلم باحواله من غيرهم واجدر ان لا ينسوا ما شهدوا وقالوا لا يجوز
شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الاية كانت في شهادة اهل الذمة فنسخت وقد بين ابو عبيد هذه الاقاويل ثم قال
جل العلماء تاولوها في اهل الذمة ويرونها محكمة ويقوي هذا القول تتابع الاثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل ان انتم
ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت معناه فاصابكم الموت علم الله تعالى ان من الناس من يصحبه في سفره اهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي
لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال او اخران من غيركم ان انتم سافرتم فاصابتكم مصيبة الموت فالعدلان من المسلمين للحضر و
السفر ان امكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة اذا لم يوجد غيرهما ثم قال تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم المعنى تحبسونهما
بعد صلوة العصر لان الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلوة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت هو المروي عن ابي جعفر وقتادة وسعيد بن جبير و
غيرهم وقيل بعد صلوة الظهر او العصر عن الحسن وقيل بعد صلوتهما يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تحبسونهما توقفونهما كما تقول مر بي فلان على
فرس محبوس على دابته اي واقفة وقيل معناه تصبرونهما على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها ان ارتبتم فيقسمان بالله اي شككتم وخشيتم ان يكونا قد
غيرا او بدلا او كتما او خانا والخطاب في تحبسونهما للورثة ويجوز ان يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الامر اي فاحبسوهما ذكره ابن الانباري وكان يقف
على قوله مصيبة الموت ويبتدي بقوله تحبسونهما يحتمل ان يكون الا ان يعني الكون المجاز ان ارتاب بهما الورثة وادعوا انهما استبدا بشيء من التركة فيجيزان
مدعى عليهما فيحلفان بالله لا نشتري به ثمنا اي لا نشتري بتحريف الشهادة والتغيير لا نشتري به ثمنا اي لا نرتشي ثمنا لا يشتري وانما يشتري البيع دون
ثمنه وقيل ان الهاء في به تعود الى القسم بالله وقيل معناه لا نبيعه بعرض من الدنيا لان من باع شيئا فقد اشترى ثمنه ويريد لا نحابي في شهادتنا احدا ولو كان المشهود له
ذا قربى وخص ذو القربى بالذكر لميل الناس الى قرابتهم ومن يناسبونه ولا نكتم شهادة الله اي شهادة لزمنا اداؤها بامر الله تعالى انا اذا لمن الآثمين قوله تعالى
انا اذا لمن الآثمين اي انا ان فعلنا ذلك كنا من الآثمين قوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم
الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد
ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم وحمزة وخلف ويعقوب استحق بضم التاء الاولين
جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الاوليان الحجة والاعراب قال الزجاج هذا الموضع من اصعب ما في القرآن في الاعراب والاوليان في
قول اكثر البصريين يرتفع على البدل لما في يقومان المعنى فليقم الاوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما فاذا ارتفع الاوليان
على البدل فالذي استحق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الاوليان من الذين استحقت الوصية او الايصاء عليهم وجاز ان يرتفعا باستحق فيكون معناه الاوليان
باليمين ان يحلفا من يشهد بعدهما فان جازت شهادة النصرانيين كان الاوليان على هذا القول النصرانيين والاخران من غير اهل بيت الميت قال ابو علي لا يخلو
ارتفاعه من ان يكون على الابتداء وقد اخر كانه في التقدير فالاوليان بامر الميت اخران من اهله او من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما
كقولهم تميمي انا او يكون خبر مبتدأ محذوف كانه قال فالاخران يقومان مقامهما الاوليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق وقد
اجاز ابو الحسن فيه شيئا اخر وهو ان يكون الاوليان صفة لقوله فاخران من غيركم لانه لما وصف اخران اختص فوصف لاجل الاختصاص الذي صار له بما وصف به
المعاني ومعنى الاوليان بالشهادة على وصية الميت انهما كانا اولى بها من اتهمهما بالخيانة لانهما اعرف باحوال الميت وعبوه ولانهما من المسلمين الا
ترى ان وصفهم بانه استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لان الخطاب من قبل الاية مصروف اليهم فاما ما اسند اليه استحق فلا يخلو من ان يكون الايصاء او الوصية
او الاثم والجار والمجرور وانما قيل استحق الاثم لان اخذه ما اخذه اثم فسمي اثما كما سمي ما يوخذ منه بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما اخذ منك
فلذلك سمي هذا الماخوذ باسم المصدر فاما قوله عليهم فيحتمل ثلثة اضرب احدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد مال بالشهادة اي لزمه
عليه ووجب الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخرجهما
منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه هذا كلام ابي علي والقول ان الظاهر ان الذين استحق عليهم في الاية هم ورثة الميت والمفهوم
من كلام ابي علي هذا ان الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما تراه والذي صح تفسير التقدير من الذين استحقت عليهم الوصية واستحق عليهم

الايصاء

الايصاء عشيرة الميت في الضرب الاخر ان يكون على فيه بمنزلة من كانه قال من الذين استحق منهم الاثم ومثل هذا قوله اذا اكتالوا على الناس اي من الناس
يكون على فيه بمنزلة في كانه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام على في قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل والمعنى من الذين استحق عليهم شهادة الاخرين
اللذين هما من غيرنا او قول ان هذا المعنى ايضا انما يلائم الضرب الاول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعنى من الذين استحق فيهم الاثم اي ركبهم
استحق الاخران من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهم الاثم بخيانتهما وبيمينهما الكاذبة ثم قال ابو علي فان قلت هل يجوز ان يسند استحق الى الاوليان فالقول
في ذلك انه لا يجوز لان المستحق انما يكون الوصية او شيئا منها ولا يجوز ان يستحقا فيسند استحق اليهما واما من قرأ من الذين استحق عليهم الاولين على الجمع فهو
نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله من الذين استحق عليهم وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء او الاثم وانما قيل لهم الاولين من حيث كانوا اولين
في الذكر الا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم وذكرا في اللفظ قبل قوله او اخران من غيركم واحتج من قرأ الاولين
على من قرأ الاوليان بان قال ارايت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما ان كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت
وان كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اي فيحلفان بالله يعني الاخرين اللذين يقومان مقام الشاهدين اللذين هما اخران من غيرنا وقوله لشهادتنا
احق من شهادتهما المتلقى به فيقسمان بالله وقوله استحق عليهم الاوليان فاستحق عليهم بمعنى استحق اي وجب فالمعنى فاخران من الذين وجب عليهم الايصاء
بوصية منهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق عليهم الاوليان بالميت وصيته التي اوصى بها الى غير اهل بيته فالمفعول محذوف وحذف المفعول
في نحو هذا كثير وقال الامام الحمولي في تفسيره معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاولين من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها
الكاذبين بهذا الحسن الاقوال اللغة عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا اذا اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امري اطلعته عليه ومنه قوله
كذلك اعثرنا عليهم واصل العثور الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا اذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الاعشى بذات لوث عفرناة اذا عثرت
فالتعس اولى لها من ان يقال لعا والعثير الغبار لانه يقع على الوجه عثيره والعاثور حفرة تحفر ليقع فيها الاسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كذا
عليه حق وحقت عليه القضية حقا وحقتنا اذا وجبت ويكون نحو معنى استحق النزول قالوا المائدة نزلت الاية [illegible] رسول الله صلى العصر [illegible] فاستحلفهما
عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فخلى رسول الله سبيلهما ثم اطلعوا على اناء من فضة منقوش بالذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه
ونسينا ان نخبركم به فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه فنزل قوله فان عثر على انهما استحقا اثما الى اخره فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والاخر المطلب بن ابي وداعة
السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري بعدما اسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره
المعنى ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين او الشاهدين فقال فان عثر اي اطلع وظهر على انهما اي الشاهدين عن ابن عباس او الوصيين عن سعيد بن جبير
استحقا اثما اي استوجباه اثما بايمانهما الكاذبة وخيانتهما وقصدهما شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة اثم من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
اي بعقوبة اثمي فتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي فاخران يقومان مقامهما اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاوليان
المعنى فليقم الاوليان بالميت اللذين استحقت عليهم الوصية او يكون المعنيين فالاوليان بامر الميت اخران من اهله يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما وقد بينا ما
قيل في القراءتين الاخريين فيما قبل يجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله اخران فصح ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الاوليان الاقربان الى الميت يجوز ان يكون
معناهما الاوليان باليمين وانما كان الاوليان باليمين لان الوصيين ادعيا ان الميت باع الاناء فانتقل اليمين الى الاولياء لانهما صارا مدعى عليهما ان مورثهما باع الاناء
كما لو اقر انسان لاخر بدين وادعى قضاءه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح
فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي يحلفان بالله لشهادتنا على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولهما وقيل يريد بها فيقولون
والله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت اليمين ههنا شهادة لان اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك وما اعتدينا اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه
حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره انا ان اعتدينا كنا من جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الاية مع
التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا ومعنى وحكما ولست تجد كلام احد من ظانها اوفر فائدة ولا غزر عائدة واجمع على الاوجز لفظا ومعنا مما لخصته لك وسقته
اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف الشهود فقال ذلك ادنى اي ذلك الاحلاف والاقسام وذلك الحكم اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
اي حقها وصدقها لا يكتمون شيئا ولا يزيدون شيئا لان اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين او يخافوا اي واقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمان الى
اولياء الميت بعد ايمانهم فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين والشهادة الى المستحق
عليهم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين الى ثوابه وجنته قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب الاعراب يوم منتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع متصل بقوله واتقوا الله واسمعوا
عن الزجاج وقيل يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا واذكروا ذلك اليوم المعنى
يوم يجمع الله الرسل هو كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وانما انتصب يوم على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لانهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم
والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لان اليوم لا يتقى ولا يحذر ويحذر فيه اذا قام المصلي اليه مقاما فيقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي اجابكم قومكم
فيما دعوتموهم اليه هذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهارها فضيحتهم على رؤوس الاشهاد قالوا لا علم لنا قيل فيه اقوال احدها

للقيمة

لآخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس (وآية منك) أي ودلالة منك عظيمة الشأن في إذعان قلوب الجاحدين إلى الإقرار بعدلها وأولها والاعتراف بالحق الذي يشهد به ظاهرها على توحيدك وصحة نبوة نبيك (وارزقنا) أي واجعل ذلك رزقاً لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) في هذا دلالة على أن العباد قد يرزق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح أن يقال سبحانه أنت خير الرازقين كما لا يجوز أن يقال أنت خير الآلهة لما لم يكن غيره إلهاً (قال الله) مجيباً لعيسى إلى ما التمسه (إني منزلها) يعني المائدة (عليكم فمن يكفر بعد منكم) أي بعد إنزال المائدة عليكم (فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) قيل في معناه أقوال أحدها أنه أراد عالمي زمانه فجحد القوم وكفروا بعد نزولها فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن أبي الحسن موسى أنهم مسخوا خنازير وثانيها أنه أراد عذاب الاستئصال وثالثها أنه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به أحداً غيرهم وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم كفروا بعدما رأوا الآية التي هي من أزجر الآيات عن الكفر بعد سؤالهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب عظيم الموقع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الموقع (القصة) اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن ومجاهد إنها لم تنزل وإن القوم لما سمعوا الشرط استعفوا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح أنها نزلت لقوله تعالى إني منزلها عليكم ولا يجوز أن يقع في خبره الخلف ولأن الأخبار قد استفاضت عن النبي والصحابة والتابعين أنها نزلت قال كعب إنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارى عيداً واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي قال نزلت المائدة خبزاً ولحماً وذلك لأنهم سألوا عيسى طعاماً لا ينفد يأكلون منها قال فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس إن عيسى بن مريم قال لبني إسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً وإنا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وهو المروي عن أبي جعفر وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال عطاء نزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل وقال يمان بن رئاب كانوا يأكلون منها ما شاؤا وروى عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى شيئاً من المساوي قط ولا انتهر يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذب ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أنفه من شيء قط ولا عبث قط ولما سأل الحواريون أن ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون إليها ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه فقام عيسى فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون شيئاً إذا أعطيتموه كرهتموه ما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت بإذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل منها نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكل منها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا برئ ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنياً حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفيء طارت صعداً وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غباً يوماً ويوماً لا فأوحى الله إلى عيسى اجعل مائدتي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى إني شرطت على المكذبين أن من كفر بعد نزولها أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات يأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وفي تفسير أهل البيت كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير (قوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ثلاث آيات

اللغة النفس تقع على وجوه النفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان وهي التي إذا فارقها خرج من كونه حياً ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات

الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس أيضاً الإرادة كما في قول الشاعر: فنفساك نفس قالت ائت ابن بحدل * تجد فرجاً من كل غمى تهابها * ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن * كخاضبة لم تغن شيئاً خضابها * وقال النمر بن تولب: أما خليلي فإني لست معجله * حتى يؤامر نفسيه كما زعما * نفس له من نفوس القوم صالحة * تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما * يريد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين التي تصيب الإنسان وروي أن رسول الله كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك ومن كل عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد قال ابن الأعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالنفس وذكر رجلاً فقال كان حسوداً نفوساً كذوباً وقال ابن قيس الرقيات: يتقي أهلها النفوس عليها * فعلى نحرها الرقى والتميم * وقال عمر بن ... وإذا نموا صعداً فليس عليهم * منا الخبال ولا نفوس الحساد * والنفس الغيب يقال إني لأعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل الآية ويقال النفس بعض العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله ويحذركم الله نفسه والرقيب الحافظ من الترقب الانتظار ومعنى الحافظ رقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز أن يكون بمعنى العليم (الإعراب) حقيقة إذ أن يكون للمضي وهذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وذلك إذ يقول يا عيسى بن مريم أأنت قلت قال أكثر المفسرين فعلى هذا فيكون القول ماضياً عن البلخي وهذا قول السدي والصحيح أن الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وأراد به يوم القيامة ثم خرج هذا مخرج الماضي وهو المستقبل تحقيقاً لوقوعه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ومثله قوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت يريد يفزعون وكذلك قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال أبو النجم ثم جزاه الله عنا إذ جزى * جنات عدن في العلالي العلى * (من دون الله) من زائدة مؤكدة للمعنى قوله إن كنت قلته فقد علمته إن كان لا فيما مضى وليس كان فيه على المضي لأن الشرط والجزاء لا يقعان إلا في المستقبل فيما يستقبل وحرف الجزاء يغير معنى المضي إلى الاستقبال لا محالة هذا قول المحققين وقوله أن اعبدوا الله فقد ذكر في محله وجوه أحدها النصب بدلاً من ما أمرتني به والثاني أن يكون مجروراً والموضع بدلاً من الهاء في به والثالث أن يكون تفسيراً لما أمرتني به أي وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب (المعنى) ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أخبار المسيح فقال (وإذ قال الله) والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة (يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) هذا وإن خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس أن من ادعى على غيره قولاً فيقال لذلك الغير بين يدي المدعي عليه ذلك القول أأنت قلت للناس هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاماً لذلك القول وتكذيباً لقائله وذكر فيه وجه آخر وهو أن يكون تعالى أراد بهذا القول تعريف عيسى أن قوماً قد اعتقدوا فيه وفي أمه أنهما إلهان لأنه يمكن أن يكون عيسى لم يعرف ذلك إلا في تلك الحال عن البلخي والأول أصح وقد اعترض على قوله إلهين فقيل لا يعلم في النصارى من اتخذ مريم إلهاً والجواب عنه من وجوه أحدها أنهم لما جعلوا المسيح إلهاً لزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً إلهاً لأن الولد يكون من جنس الوالدة هذا على طريق الإلزام لهم والثاني أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق اسم الآلهة عليهما كما أطلق اسم الرب على الرهبان والأحبار في قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ أبو جعفر عن بعض النصارى أنه كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم أنها إله فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية عن اليهود وقولهم عزير ابن الله قال يعني عيسى (سبحانك) تنزيهاً لك وتعظيماً وتعاليت عن عطاء وقيل معناه تنزيهاً لك من أن أقول هذا مما لا يجوز عليك وقيل تنزيهاً لك من أن تبعث رسولاً يدعي إلهية لنفسه ويكفر بنعمتك فيجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي لا يجوز لي أن أقول لنفسي ما لا يحق لي فآمر الناس بعبادتي وأنا عبد مثلهم وإنما تحق العبادة لك لقدرتك على أصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال (إن كنت قلته فقد علمته) يريد لم أقله لأني لو كنت قلته لما خفي عليك لأنك علام الغيوب (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم غيبي ولا أعلم غيبك عن ابن عباس وإنما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارية بأن الإنسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الإخفاء ثم قال ما في نفسك على جهة المقابلة وإلا فالله منزه عن أن يكون له نفس وقلب يحل فيه المعاني ويقوي هذا التأويل قوله تعالى (إنك أنت علام الغيوب) لأنه علل علمه بما في نفس عيسى بأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى في جواب ما قرره تعالى عليه (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي لم أقل للناس إلا ما أمرتني به من الإقرار لك بالعبودية وأنك ربي وربهم وإلههم وأمرتهم أن يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة (وكنت عليهم شهيداً) أي شاهداً (ما دمت فيهم) بما شاهدته منهم وعلمته وبما أبلغتهم من رسالاتك التي حملتنيها وأمرتني بأدائها إليهم (فلما توفيتني) أي قبضتني إليك وانتهت عني الحياة وقيل معناه وفاة الرفع إلى السماء عن الحسن (كنت أنت الرقيب عليهم) أي الحفيظ عليهم عن السدي وقتادة (وأنت على كل شيء شهيد) أي أنت عالم بجميع الأشياء لا تخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال الجبائي في هذه الآية دلالة على أنه أمات عيسى وتوفاه ثم رفعه إليه لأنه بين أنه كان شهيداً عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف عندنا لأن التوفي لا يستفاد من إطلاقه الموت ألا ترى إلى قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فبين أنه يتوفى الأنفس التي لم تمت (إن تعذبهم فإنهم عبادك) لا يقدرون على دفع شيء عن أنفسهم (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) في هذا تسليم الأمر لمالكه وتفويض إلى مدبره وتبرؤ من أن يكون إليه شيء من أمور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تدبير أمر من الأمور ويريد تفويضه إلى غيره هذا الأمر لا مدخل لي فيه فإن شئت فافعله وإن شئت فاتركه مع علمه وقطعه على أن أحد الأمرين لا يكون منه وقيل إن المعنى إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم عن الحسن فكأنه اشترط التوبة وإن لم يكن الشرط ظاهراً في الكلام وإنما لم يقل فإنك أنت الغفور الرحيم لأن الكلام يخرج مخرج السؤال فلو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة على أن قوله العزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران على أن قوله العزيز الحكيم أبلغ في المعنى وذلك أن المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لأن العزيز

هو المنيع القادر الذي لا يضاد والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم الذي يضع الاشيا مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل
فالمغفرة والرحمة ان اقتضتها الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه اقتضا وصفه بالحكمة في شأنهما قوله تعالى
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله
ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير القراءة قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من ملك
رفع يوما جعله خبر المبتدا الذي هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التي من المبتدا والخبر في موضع نصب بانه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك
ومن قرأ هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص وهذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول
وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ الماضي وان كان المراد به الآتي كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك
حكاية في هذا الوجه كما كان في الوجه الآخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع اي هذا الذي اقتصصنا يقع او يحدث يوم
ينفع او خبر المبتدا الذي هو هذا الظرف لانه اشارة الى حدث وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب بانها في موضع مفعول قال
لا يجوز ان تكون في موضع رفع وقد فتح لان المضاف اليه معرب انما يكتسب البناء من المضاف اليه اذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك في هذا
الضرب من الاسماء اذا اضيف الى ما كان مبنيا نحو من خزي يومئذ وصار في المضاف البناء للاضافة الى المبني كما صار فيه الاستفهام للاضافة الى المستفهم
به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما اصح والشيب
وازع لان الماضي مبني والمضارع معرب واذا كان معربا لم يكن شيء يحدث من اجله البناء في المضاف لان المضاف الى الفعل في الحقيقة الى المصدر واذا كان الاضافة الى
المصدر لم يبن المضاف اليه المعنى لما بين عيسى بطلان ما عليه النصارى قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف
لان يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ولا يخبر احد فيه الا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة اذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم
تصديقهم لرسل الله وكتبه وقيل انه الصدق في الآخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فعلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الى دائمين فيها بنعيم مقيم لا يزول رضي الله عنهم بما فعلوا ورضوا عنه بما اعطاهم من الجزاء والثواب ذلك
الفوز العظيم هو ما يحصلون فيه من الثواب والحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين تعالى عظم قدرته واتساع مملكته فقال لله ملك السموات والارض
وما فيهن نزه تعالى نفسه عما قالت النصارى ان معه الها فقال لله ملك السموات والارض ومن كل ما سواه فالله قادر عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضمر في
الكلام كانه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والارض وجمع السموات ووحد الارض تفخيما لشأن السموات وهو على كل شيء قدير فهو
يقدر على المعدوم بان يوجده وعلى الموجودات بان يعدمها وعلى كثير منها بان يعيدها بعد الافناء وعلى مقدورات غيره بان يقدر عليها ويمنع منها ويمكن منها
وقيل معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له وكذا الخالق كل شيء عز ربي على الجبابرة تم المجلد الثالث من مجمع البيان لعلوم القرآن ويتلوه المجلد
الرابع بعون الله وتوفيقه بسم الله الرحمن الرحيم سورة الانعام مكية عن ابن عباس غير
ست آيات وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلاث آيات قل تعالوا اتل ما حرم عليكم ربكم الى آخر ثلاث آيات فانهن نزلن بالمدينة وفي رواية اخرى عنه
غير ثلاث آيات قل تعالوا اتل الى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها
سبعون الف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها
حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور عدد آيها مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي وسبع حجازي خلافها اربع آيات وجعل
الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي قال انزلت علي الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصاري
عن النبي من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة وينزل
ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس او يرمي في قلبه شيئا ضربه بها الى آخر الخبر وروى العياشي باسناده عن الحسين بن ابي حمزة عن ابي عبد الله قال ان سورة الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فان اسم الله فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما في
قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلام من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلاته اذا فرغ
من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي والايام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي
وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ومن اليتم آواه ونصره على جبابرة
قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث تقول ذلك مرارا فوالذي نفسي بيده لو دعوت الله بها ثم سألت الله جميع حوائجك لاعطاك وروى
علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن علي بن موسى قال نزلت الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل و
التكبير فمن قرأها سبحوا له الى يوم القيامة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الانعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيامة ولم ير النار بعينه ابدا
تفسيرها لما ختم الله سورة المائدة بانه على كل شيء قدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغير ذلك فقال بسم الله

ملك

الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم
تمترون بيان عراقي شامي ثلاث آيات حجازي اللغة العدل خلاف الجور وعدلت به غيره اي سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل اي قومته
فاستقام والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال اجله تاجيلا واجل
محله تعجيلا والاجل نقيض العاجل والامتراء الشك وصله من مري الناقة اذا مسح ضرعها لاستخراج اللبن ومنه المراء لانه مماراة اذا استخرج ما عند
بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة المشكلة المعنى بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصول النعم وفروعها منه تعالى
ولان له الصفات العلى الحمد لله الذي خلق السموات والارض يعني اخترعهما بما اشتملا عليهما من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل انه في لفظ الخبر ومعناه الامر
احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه
كفاية وجعل الظلمات والنور يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة وقيل الجنة والنار عن قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وكذلك
خلق السموات قبل الارض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اي جحدوا الحق بربهم يعدلون اي يسوون
به غيره بان جعلوا له اندادا ماخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله
ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجب
ان هؤلاء الكفار مع اقرارهم بان اصول النعم منه وانما الله هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به ايضا فانهم عبدوا ما لا ينفع ولا يبصر من الحجارة
والموات هو الذي خلقكم من طين يعني به آدم والمعنى ان اباكم واصلكم من طين وانتم من ذريته فلما كان آدم اصلنا ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم من طين
ثم قضى اجلا اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال احدها انه يعني
بالاجلين اجل الحياة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروي ايضا عطا عن ابن عباس قال
قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحياة ونقص
من اجل الممات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
وثانيها ان الاجل الاول هو الذي يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعني الآخرة لانه اجل دائم ممدود لا آخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب في اللوح
المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وثالثها ان الاجل الاول يعني به اجل من مضى من الخلق
واجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين عن ابي مسلم ورابعها ان قوله قضى اجلا يعني بالنوم تقبض الروح فيه ثم ترجع الى صاحبها عند اليقظة واجل مسمى عنده هو
اجل موت الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والاصل في الاجل هو الوقت الذي يكون فيه الحياة واجل الموت او القتل هو الوقت
الذي يحدث فيه الموت والقتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى بذلك مجازا وما جاء في الاخبار من ان صلة
الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الاجل وان الله تعالى زاد في اجل قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع منه وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكوا
في البعث والنشور والحجاج عليهم بانه سبحانه خلقهم ونقلهم من حال الى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون
ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم وبعثهم قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون آية الاعراب هو لا يخلو من ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم ما في السموات وما في الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره
وفي السموات وفي الارض في موضع نصب بيعلم وسركم مفعول له ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور متعلقا بالموضع لمصدر وان جعلنا الظرف متعلقا باسم
الله جاز في قياس قول من قال انما صلى الله الا انه فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة الاسماء الاعلام
فلا يجوز ان يتعلق الظرف به الا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الارض اسم الله على ما ظنا
ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وفيه وجوه على ما ذكرنا في الاعراب على
التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلائق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او بشرا او
جنا فهم في الارض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شيء ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر
فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه ان المعبود في السموات وفي الارض والمتفرد بالتدبير في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى
عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم علقت قوله في السموات وفي الارض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبرا
لله تعالى عنه وهم بان يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب به
من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل فتأويله وهو المعظم او نحوه في السموات وفي الارض قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الا ان يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت
والدار ولو قلت هو المعتضد الخليفة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقه

من غير حل

فاجل الحيوة هو الوقت

وتقدير الامر الله في السموات التي في الارض

بجار

لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك في صورته لان اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة
الانس وكان جبريل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكذلك نزول الخصم تسوروا المحراب واتيا ابراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الادميين وللبسنا عليهم
ما يلبسون قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون انما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فراوا الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من
اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اي فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بان الذي طلبوا لا يزيدهم بيانا بل يكون الامر في ذلك على ما هم عليه
من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملائكة
ثم قال يخاطب نبيه على سبيل التسلية لنبيه من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزأت الامم الماضية برسلها كما استهزأ
بك قومك فلست باول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزأت برسولها فحاق بالذين سخروا منهم اي فحل بالساخرين منهم ما كانوا به يستهزءون من وعيد انبيائهم بعاجل
العقاب في الدنيا وقيل معناه فحاق بهم اي احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت
ما في قوله ما كانوا به يستهزءون عبارة عن القران والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي صلى الله عليه وسلم ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف
فيكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزءون قوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض
قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ثلث
ايات الاعراب قال الاخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان ليجمعنكم
مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا انفسهم وغيرهم واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز ان يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استانف فقال ليجمعنكم
والمعنى والله ليجمعنكم وجائز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيمة ليتوبوا المعنى
ثم خاطب سبحانه نبيه فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا في الارض بصائركم ثم انظروا والنظر طلب الادراك بالبصر وبالفكر بالاستدلال ومعناه
فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف كان عاقبة المكذبين الذين كذبوا الرسل يريد ديار المكذبين من الامم الخالية كانت باقية واخبارهم في الخسف والهلاك
كانت شايعة فاذا سار هؤلاء في الارض سمعوا اخبارهم وعاينوا اثارهم فدعاهم ذلك الى الايمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن ما
في السموات والارض فان الذي خلقهما ام الاصنام فان اجابوك فقالوا الله والا فقل انت لله اي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له كتب على نفسه
الرحمة اي اوجب على نفسه الرحمة اي اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره
عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد بان لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الامم
الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيمة عن الكلبي ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسير الرحمة على ما ذكرناه ان
المراد بها امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اي ضممت بينهم في الجمع
يريد يجمع اخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذي لا ريب فيه وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذي يجحدونه
ويكفرون به عن الاخفش وقد سال عن هذا فقال كيف يحتج على المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب
الدليل وقيل كيف نفى الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فان الدلائل تزيل الشك والريب فان
نعم الدنيا تعم المحسن والمسيء ولا بد من دار يتميز فيها المحسن من المسيء وايضا فقد صح ان التكليف تعريض لنفع ذلك لم يكن ايصال الثواب في الدنيا لان من شانه ان يكون
صافيا من الشوائب فلا يكون مقترنا بالتكليف لان التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فان التمكين من الظلم من غير انتصاف والعاجل انزال الالام
من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل وانزال الامراض يوجب في قضية العقل ان يكون دار اخرى توفى فيها الاعواض وينتصف من الظالم للمظلوم
الذين خسروا انفسهم اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم لا يؤمنون اي لا يصدقون ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال وله
ما سكن اي لكل متمكن ساكن في الليل والنهار خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان والثاني
يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الاية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن
الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة
وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولان عاقبة المتحرك السكون ولان النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن
والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الاخر لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد الحر والبرد
وقيل انما ذكر السكون لان الحركة من بين المخلوقات قليلة وفي ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة
والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذي على صفة
يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا افة به ولذلك يوصف فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدبير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم
وانما جعل الليل والنهار في هذه الاية كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء هذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن
كما قال النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتاى عنك واسع فجعل الليل مدركا اذ كان مشتملا عليه قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا

فاطر

مما دل عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ وخبرا والمعنى وهو المنفرد بالالهية في السموات وفي الارض لا اله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السموات خبرا
بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السموات وفي الارض يعني انه في كل مكان فلا يكون في مكان اقرب منه الى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مثبتا
لذلك مؤكدا له بقوله يعلم سركم وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم سائر احوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي
ذكرته في معنى هذه الاية التي استنبطتها من وجوه الاعراب قال لم يسبق عليه احد وهو في استقامته ووضوحه ومطابقته اصول الدين لحصول كما تراه لا غبار عليه وفيه
دلالة على فساد قول من يقول بان الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لان من كان عالما
بعلم لا يصح ذلك منه قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا
به يستهزءون ثلث ايات الاعراب من الاولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار
المذكورين في اول الاية فقال وما تاتيهم من اية اي لا ياتيهم حجة من ايات ربهم اي من حججه وبيناته كانشقاق القمر وايات القران وغير ذلك من المعجزات الا كانوا
عنها معرضين لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اي بالحق الذي اتاهم به محمد من القران
وبيانه فسوف ياتيهم انباء اي اخبار ما كانوا به يستهزءون والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الاخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول اليه
استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن قال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام التفخيم في معنى التحقير قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين اية
اللغة القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقترانهم في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل
مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين
اعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من الة وغيرها والامداد اعطاء المدد ومفعال من ابنية المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارا
وهذا كقولهم امراة مذكار اذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث في الاناث واصل المدرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودرت
السماء اذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اي عمله وفي الذم لا در دره اي لا كثر خيره الاعراب كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لان الاستفهام له صدر
الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يروا في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر الى الخطاب في قوله ما لم نمكن لكم
اتساعا في الكلام وقد قال مكناهم في الارض وانما لم يقل ما لم نمكنكم لان العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له المعنى ثم حذرهم سبحانه
ما نزل بالامم قبلهم فقال الم يروا اي الم يعلم هؤلاء الكفار كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من امة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم معناه جعلناهم ملوكا واغنياء كانه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم قال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة
العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم واثارهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال ابن عباس يريد الغيث
والبركة والسماء معناه المطر هنا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت اشجارهم ومنازلهم فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا وتجبروا وعلوا وانشانا
من بعدهم قرنا اخرين اي استحدثنا من بعد هلاكهم جماعة اخرين وفي هذه الاية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث بان من اهلك من قبلهم
قوما اخرين قادر على ان يفني العالم وينشئ عالما اخر ويعيد الخلق بعد الافناء قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين اية النزول نزلت في نضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبي المعنى ثم اخبر الله تعالى سبحانه عن عنادهم فقال ولو نزلنا عليك يا محمد كتابا
في قرطاس اي صحيفة واراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الارض عن ابن عباس فلمسوه بايديهم اي مسوه وذلك ابلغ في
بايديهم عن قتادة وغيره قالوا واللمس باليد ابلغ في الاحساس من المعاينة فلذلك قال فلمسوه بايديهم دون ان يقول فعاينوه لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين اخبر سبحانه انهم يدفعون الدليل حتى لو اتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الاية دلالة على ما يقول اهل
العدل في اللطف لانه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سالوه من حيث علم انهم لا يؤمنون عنده قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ثلث
ايات اللغة قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب وكلها يرجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا اشبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته
معنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لبسا لباسا والحيق ما
يشتمل على الانسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا اي نزل بهم المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لولا اي هلا انزل
عليه اي على محمد ملك نشاهده ونصدقه ثم اخبر عن عظم عنادهم فقال ولو انزلنا ملكا على ما اقترحوا لما امنوا به واقتضت الحكمة استيصالهم ولم
ينظروا ولا يمهلوا بعد ذلك معنى قوله لقضي الامر ثم لا ينظرون اي لاهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكا في صورته لقامت
الساعة ووجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى ولو جعلناه ملكا اي لو جعلنا الرسول ملكا او الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك لجعلناه رجلا

لانهم

فاطر السماوات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم القراءة روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم بفتح الياء ومعناه لا ياكل اللغة الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري ما معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدات حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انهما يرجعان الى شيء واحد لان معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعا الاعراب غير نصب لانه مفعول اتخذ ووليا مفعول ثان وقوله ان عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالافعال فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والآخر انه في موضع نصب على الحال كانه قيل اني اخاف عاصيا لربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا النزول قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فانا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم اغير الله اتخذ وليا اي مالكا ومتوليا وولي الشيء مالكه الذي هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا انه اخرجه على لفظ الاستفهام لانه ابلغ من سائر الفاظ النفي فاطر السماوات والارض اي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق فالمراد يرزق الخلق ولا يرزقه احد وقيل انما ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا يجوز الا على الاجسام ويحتج بهذا على الكفار لان من خلق السماوات والارض وانشأ ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما ثم فطرهم اليه معلوم انه الذي ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره قل يا محمد اني امرت ان اكون اول من اسلم اي استسلم لامر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلبي وقيل اول من اسلم من امتي ولمن يعبد الغير وعن الحسن وانما كان اول لا ينتظر الوحي وقيل معناه ان اكون اول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى ممن سالك رؤيتك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بان هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة ولا تكونن من المشركين [illegible] بالامر جميعا اي امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين فصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى قل يا محمد اني اخاف قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف ان عصيت ربي بترك امره وارتكاب نهيه قيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم يعني يوم القيمة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد عظيم في قلوبهم **قوله تعالى** من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء والباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء الحجة قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرف عنه كذلك في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل ليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لانه من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير انما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بعثه واصطفاهم ولا يقوى الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وانما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا فعل احدهما تكرر وعطف على الاول ومنها الى المفعول فعلم بتعديته الاول ان الثاني بمنزلته واما قراءة من قرا يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد الى المبتدأ الذي هو من في الهاء التي في عنه ومما يقوي قراءة من قرا يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير اسم الله فقد اتفق الفعلان في الاسناد الى هذا الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرف لما كان في حيز الجزاء وكان ما في حيزه لا يتسلط على ما تقدمه يحسن حذفها لانه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذفها من الصلة المعنى من يصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله يريد من غفر له فانه يثيبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز اي الظفر بالبغية المبين الظاهر البين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن احد الا برحمة الله كما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال والذي نفسي بيده ما من الناس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق راسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره **قوله تعالى** وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير البيان **المعنى** ثم بين سبحانه انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال وان يمسسك الله بضر اي ان يمسسك بفقر او مرض او مكروه فلا كاشف له الا هو اي لا مزيل ولا مفرج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبد المشركون وان يمسسك بخير اي وان يصبك بغنى وسعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا فهو على كل شيء من الخير والضر قدير ولا يقدر على دفع ما يريده لعباده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال وان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد ان يمسك الله الضر اي يجعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به وهو القاهر فوق عباده معناه القادر على ان يقهرهم غيره فوق عباده معنى فوق هنها انه قاهر لهم ومستعل عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه احد شكله قوله يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتاويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر اي علم واصله من الخبر لانه طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيما لم يزل بانه قاهر تعالى بعضهم يسمي قاهر الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به **قوله تعالى** قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله

آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون القراءة اكثر القراء على تحقيق الهمزتين من قوله ائنكم وفصل بعض القراء بينهما بالف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم من بلغ في محل نصب باللام والعائد الى الموصول محذوف ولئنكم كتب بالياء لان الهمزة التي قبلها همزة تخفف بان تجعل بين بين فاذا كانت مكسورة جعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى هذه الآية **المعنى** قل يا محمد لهؤلاء الكفار اي شيء اكبر اي اعظم شهادة واصدح حتى اتيكم به واذا لم يجدوا ذلك على التصديق وقيل معناه اي شيء اكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ عليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل معناه اي شيء اعظم حجة وتصديقا شهادة عن ابن عباس فان قالوا الله والا فقل لهم الله شهيد بيني وبينكم يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياي واوحي الي هذا القرآن اي انزل الي حجة وشهادة على صدقي لانذركم به اي لاخوفكم به من عذاب الله ومن بلغ اي ولاخوف من بلغه القرآن الى يوم القيمة وروى الحسن في تفسيره عن النبي انه قال من بلغه اني ادعو الى ان لا اله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكانما راى محمدا وسمع منه وقال مجاهد حيثما ياتي القرآن فهو داع ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله من بلغ معناه من بلغ ان يكون اماما من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفا على الضمير في انذر وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا لان قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله جواب له ومعنى الشيء انه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله شيء لا كالاشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والاعراض والاشتراك في الاسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على انه خاتم الانبياء ومبعوث الى الكافة ثم قال سبحانه موبخا لهم قل يا محمد لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى هذا استفهام معناه الجحد والانكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله آلهة اخرى بعد وضوح الادلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل اخر لان الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ثم قال سبحانه النبي قل انت يا محمد لا اشهد بمثل ذلك ان شهدتم بانيات الشريك لله تعالى بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي ثم قال قل يا محمد لمن يشهد معه آلهة اخرى انما هو اله واحد انني بريء مما تشركون به بعبادته من الاوثان وغيرها لهذا قال اهل العلم يستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الاسلام ثم ذكر سبحانه ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد مضى تفسيره في سورة البقرة الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون مضى تفسيره في هذه السورة فان حملته على انه صفة للذين الاولى فالمعني اهل الكتاب وان حملته على الابتداء فانه يتناول جميع الكفار وقال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله اذا رايناه فيكم كما يعرف احدنا ابنه اذا راه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لانا بمحمد اشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فاما ابني فاني لا ادري ما احدثت امه فقال قد وفقت وصدقت واصبت **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون القراءة ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرأ في سبأ القرآن بالنون وقرأ حفص ههنا وفي يونس بالنون وفي سبأ القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سبأ القرآن بالنون وقرأ الباقون بالنون في جميع القرآن **الحجة** من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون **الاعراب** ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل انه معطوف على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا ويوم نحشرهم والعائد الى الموصول محذوف ومن الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام عليه حالة السؤال عليه **المعنى** ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا معناه ومن افحش ظلما ممن كذب على الله كذبا فاشرك به الآلهة عن ابن عباس هذا استفهام معناه الجحد اي لا احد اظلم منه لان ذنبه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب بآياته اي بالقرآن وجحد معجزاته انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار والظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوته محمد المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته ويوم نحشرهم جميعا يعني من تقدم ذكرهم من الكفار لانه سبحانه يحشرهم يوم القيمة من موضع الحساب ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا راوا تجاوز الله تعالى عن اهل التوحيد يقول بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا انا موحدين فلما جمعهم الله قال اين شركاؤكم ليعلموا ان الله يعرف انهم اشركوا في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون ان آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها آلهتكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر المفسرين وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم معنى تزعمون تكذبون وقال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة وحجة على بطلان مذهب المجبرة على اثبات المعاد وحشر جميع الخلق **قوله تعالى** ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون البيان القراءة قرأ اهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ الباقون ربنا بالجر الحجة من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فانه انث ان قالوا لما كان

القول الفتنة في المعنى كما قال خلف عترمنا لها فانث الامثال لما كانت في المعنى الحسنا وبما جاء في الشعر قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي
عردت اقدامها فانث الاقدام لما كانت العادة في المعنى مؤنثا ويجوز ان يكون تأويل ان قالوا الا مقالتهم ومن قرء لم تكن بالتاء فتنتهم رفعا انث علامة التاء
في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله الا ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرء لم يكن بالياء فتنتهم نصبا فجعل ان
قولهم ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنتهم نصبا ان قالوا الاسم لان ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان
مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى وقوله والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد
ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب القسم ومن قرء ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل لا يمتنع وقد فصل
بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل ويجوز ان يكون نصبه على
معنى اعني ربنا واذكر ربنا **اللغة** الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان ماخوذ من قولك فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار ...
فتن الرجل بالمرأة وافتتن ... قال الشاعر لئن فتنتني لهي بالامس افتتنت عقيلا فامسى قد قلى كل مسلم **الاعراب**

[illegible]

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم قال القاضي ابو عاصم العامري ...
فيما روي ان النبي كان يصلي بالليل يقرء القرآن في الصلوة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيها ويؤمن فكان المشركون اذا سمعوا آذوه
ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم ويجعل في قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما يقوم به الحجة وينقطع به العذر
وبعد ما علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر آذانهم لان ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطا

[illegible]

ويعقوب وقرء ابن عامر ونكون بالنصب وقرء الباقون بالرفع فيهما الحجة قال ابو علي من قرء بالرفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمنوا الرد وان لا نكذب وان نكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجها آخر وهو ان تقطعه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فانا لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فانني ممن لا يعود فانما سأل الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ان يا ليتنا نرد وان لا يعود وحجة من نصب فقال ولا نكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني لان التمني غير موجب فهو كالاستفهام والامر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول كانه في التمثيل يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب ونصب نكون فان الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب والآخر ان يخبر على البتات ان لا نكذب رد ولم يرد ومن نصبهما نصبهما جميعا جعلهما داخلين في التمني اللغة يقال وقفت الدابة اقفها وقوفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفت هيهنا مع خباثه انه لم يسمعه من العرب بدا الشيء يبدو اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بدا له الرأي بعد الرأي وبدا لي في هذا الامر بدأ والبدأ لا يجوز على الله سبحانه لانه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال الاعراب لو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يريد لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول الشاعر وجدك لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا تقديره ولو اتانا رسول غيرك لدفعناه فان قيل لم جاء لو ترى اذ وقفوا ولفظه لفظ الماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر صار كانه قد وقع المعنى ثم بين سبحانه حال هؤلاء الكفار يوم القيمة من الحسرة وتمني الرجعة فقال ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار فهذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون المعنى عاينوا النار وجاز ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والاجود ان يكون معنى ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وان كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كائن يوما ما ولم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد في مثله ستندم اذ يأتي عليك رعيلنا باروع جرار كثير صواهله فوضع ستندم موضع ندمت ووضع يأتي موضع أتى كما في قول الشاعر وندمان يزيد الكأس طيبا سقيت اذا تعرضت النجوم فقالوا اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ونكون من المؤمنين بعض من جملة المؤمنين بآيات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف في ذلك على اقوال احدها ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفون عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم ثانيها ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن الحسن وثالثها ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا الآية عن الزجاج وهو قول الحسن ورابعها ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال تقتضي ظهور فضيحتهم في الآخرة وتهتك ستارهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اي لو ردوا الى الدنيا الى حال التكليف كما طلبوا لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون يسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الامر الذي تمنوه قال ان معناه كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكى عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لا يدرك وقال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب وقال آخر كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الامل والتمني فان قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للتخلص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي وثانيها ان التمني قد يكون يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما كان وان لا يكون فعل قد فعل وتقضى وقته وثالثها انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد ولان يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون التمني وهذا انما يتأتى في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا اكذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدل على قراءته بالرفع في الجميع بان قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ان تمنوا لان التمني لا يقع فيه الكذب قوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون آيتان المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال وقالوا ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا عنوا بذلك انه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا وما نحن بمبعوثين اي لسنا بمبعوثين من بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه فقال ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على ربهم ليس يحتمل في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفت على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على

التمني

وعدهم

وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به فخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الافصاح والايضاح بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لانه لتحققه كانه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بامر الله تعالى أليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا بلى يقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين لما هو حق وربنا اقسموا واكدوا اعترافهم بهم قال الله تعالى او الملك بامره فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدونه وذلك كما يجد الذائق المذوق في شدة الاحساس من غير ان يصير الى حال من شبع بالطعام في نقصان الادراك قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون آيتان القراءة قرء ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الاضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرء اهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالتاء هيهنا وفي الاعراف ويوسف ويس ووافقهم حفص الا في يس وحماد ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرء الباقون جميع ذلك بالياء الحجة من قرء وللدار الآخرة فلان الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الاولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة فجعلها صفة ومن اضاف دار الى الآخرة فانه لم يجعل الآخرة صفة للدار فان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكانه قال ولدار الساعة الآخرة وجاء وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان الآخرة قد صارت كالابطح والابرق الا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الاولى فلما استعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء وصار الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله في سعي ديارها قد عفت وكما وجه القراءة بالياء افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان يكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يكون المراد الغيب والمخاطبون فغلب الخطاب اللغة كل شيء اتى فجاءة فقد بغت يقال بغته الامر يبغته بغتة قال الشاعر ولكنهم باتوا ولم اخش بغتة وافظع شيء حين يفجأك البغت والحسرة شدة الندم بحيث يبقى النادم كالحسير الذي يقوم به ابتيه في السير والتفريط التقصير واصله التقديم والافراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط في العجز والتقصير الوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم الملك برأيه ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويقال يفعلون تزر وزر يزر وزرا اذا اثم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل ذلك وفي الحديث في النساء يتبعن جنازة قيل لهن ارجعن مأزورات غير مأجورات والعامة تقول ماجورات للمزاوجة والعقل والنهي والحجي متقاربة المعنى فالعقل الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها عن الحسن قال الاصمعي بالدهناء خباء يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لانها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهى لا يخلو ان يكون مصدرا كالهدى او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الارض والحجي اصله من الحجو وهو احتباس وتمكث قال فهن يعكفن به اذا حجا ومحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الازهري قال ابو علي فكان الحجي مصدر كالشبع من هذا الباب كالحجا اللغز لانه الذي يلقى عليه حتى يحجه الاعراب يقال ما معنى الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها الجواب ان معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيمة والعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فقد موحيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما معنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتي أألد وهذا ابلغ من ان تقول انا حسير على التفريط قاله الزجاج وقال سيبويه انك اذا قلت يا عجبا فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ايامك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا على انا قد خسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها لتنبيه على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشيء شيء يزرونه وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني بلقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيمة بغتة اي فجاة من غير ان علموا وقتها قالوا وعند معاينتهم ذلك اليوم واهواله وتبيانهم احوال اهل الثواب والعقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة اي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد الخدري في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفقة لانه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا وهم يحملون اوزارهم اي اثقال ذنوبهم على ظهورهم وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم قال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء

صورة

صورة واطيبه ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك اليوم وذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يحمل لان الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين في قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم الا ساء ما يزرون اي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا فبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور اذا لم يجعل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عنى بالحيوة الدنيا اعمال الدنيا لانه وصفها باللعب واللهو وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف بانه لعب لان اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحيوة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللعب واللهو وللدار الآخرة وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله لانها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها افلا تعقلون ان ذلك كما وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤديهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموه من متاع وتقريع للاغنياء اذا ركنوا اليها ولم يرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤديهم الى ذلك الا خطأها ولم يعملوا لغيرها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين آيتان القراءة قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والاعشى عن ابي بكر لا يكذبونك بالتخفيف وهو قراءة علي والمروي عن جعفر الصادق والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد الحجة قال ابو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته زعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدي قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وحجة نافع انه اراد ان يعدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في حزنته اكثر منه في احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء واما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في افعلته قالوا اسقيته اي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز ان يكون لا يكذبونك اي لا يصادفونك كاذبا كما تقول احمدته اذا اصبته محمودا ويدل على الوجه الاول قول الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالت مسيء ومذنب اي نسبوني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب كذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بالكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب المعنى ثم سلى سبحانه نبيه عن تكذيبهم اياه بعد اقامة الحجة عليهم فقال قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقولون اي ما يقولون انك شاعر او مجنون واشباه ذلك فانهم لا يكذبونك دخلت الفاء في انهم لان الكلام الاول يقتضيه كانه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف في معناه على وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب عنادا وهو قول اكثر المفسرين ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما رواه سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لاعلم انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله الآية وقال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وثانيها ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي انه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك وثالثها ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما اجبناكم اي ما اصبناكم جبناء قال الاعشى اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا اي وجدتها من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع افعلت هو الاصل ثم يشدد تاكيدا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ورابعها ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانك كنت عندهم امينا صدوقا وانما يدفعون ما اتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وما روي ان ابا جهل قال للنبي ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه وخامسها ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبونني فان تكذيبك راجع الي ولست مختصا به لانك رسول الله فمن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية منه سبحانه للنبي وقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدى بغير جار ومجرور لان معناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله وقال ابو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين بردهم آيات الله وانكارهم

لا نفع الدنيا

هذا المعنى

الله

الله يجحدون ناصره وقومه من صدقك انما ينكرك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا بردهم لها الكفر بها ثم زاد سبحانه في تسلية النبي بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والاذى في اداء الرسالة حتى اتاهم نصرنا اياهم على المكذبين وهذا امر منه سبحانه لنبيه بالصبر على كفار قومه الى ان ياتيه النصر كما صبر الانبياء ولا مبدل لكلمات الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على اخلاف وعده وان ما اخبر الله به من نصر نبيه ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعده به من نصره فلا بد من حصوله لانه لا يجوز الكذب في اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الانبياء نحو قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي خبرهم في القرآن كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من ههنا زائدة كما تقول اصابنا من مطر اي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لان من لا تزاد في الواجب وانما تزاد في النفي ومن ههنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ فيكون المعنى انه اخبره عليه السلام ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ثلاث آيات اللغة النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان آخر واصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الايمان الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد السلم الدرج وهو ماخوذ من السلامة قال الزجاج لانه الذي يسلمك الى مصعدك والاستجابة من المجيب هو القطع وهل عند الاجابة خبر يجوز البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعي اليه وليس كذلك يجيب لانه قد يجيب بالمخالفة كان السائل يقول اتوافق في هذا المذهب ام تخالف فيقول المجيب اخالف عن علي بن عيسى وقيل ان اجاب واستجاب بمعنى الاعراب جواب ان محذوف وتقديره ان استطعت ذلك فافعل قال الفراء وانما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب الا ترى انك تقول للرجل ان استطعت ان تتصدق ان رايت ان تقوم معنا فتترك الجواب لمعرفته به فاذا قلت انت نعم تصبحرا فلا بد من الجواب لان معناه لا يعرف اذا طرح الجواب المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا للنبي وان كان كبر اي عظم واشتد عليك اعراضهم وانصرافهم عن الايمان بك وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك فان استطعت اي قدرت وتهيأ لك ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض اي سربا ومسلكا في جوف الارض او سلما اي مصعدا في السماء او درجا فتاتيهم بآية اي حجة تلجئهم الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتاتيهم بآية افضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا آية افضل مما اظهرناه ذلك لو شاء الله لجمعهم على الهدى بالالجاء وانما اخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لالجاهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لانه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية انه سبحانه لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين ولا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وانما نفى المشية لما يلجئهم الى الايمان ليبين ان الكفار لم يغلبوه بكفرهم فانه لو اراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون ايمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف فلا تكونن من الجاهلين قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بان تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا النهي له عنه لا يكن جاهلا ابعد ان اتاك العلم باحوالهم وانهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم واعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب تبعيدا وزجرا عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذي لاجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون ومعناه انما يستجيب الى الايمان بالله وما انزل اليك من يسمع كلامك ويصغي اليك والى ما تقرأ عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فان من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وقال الآخر اصم عما ساءه سميع والموتى يبعثهم الله يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرأ عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما آيست ان تسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فايئس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمنون السامعون للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يستجيب الى ان يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بانه يبعثهم فيحكم فيهم ثم اليه يرجعون اي الى حكمه يرجعون وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد سبحانه الى حكاية اقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضة ما اتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الاولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال ههنا قل يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية اي آية تجمعهم على الهدى عن الزجاج وقيل آية كما يسالونها ولكن اكثرهم لا يعلمون ما في انزالها من وجوب الاستيصال لهم ان لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما اوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فيما انزلنا من الآيات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترض الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين اياها فيقال لهم قد بينا ان الله سبحانه انما لم ينزل ما اقترحوه لان المصلحة منعت من انزالها وقد انزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن واتاهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها ادى بهم الى العلم بصدقه وصحة نبوته وقد بين في آية اخرى انه لو انزل عليهم ما اقترحوه لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزلها متى شاء فسقط ما اعترضوا به قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ

الله

الا شيئا للدوم من يشا يجعله على صراط مستقيم اثبات اللغة الدابة كل ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو
الدبوب والديبوب النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لانه يدب بالنميمة والقلاع الواشي بالرجل ليقطعه قال الازهري يقال
الدابة ديبة بخففة ومنها النمام الكسر في الحديث ايتكن صاحبة الجمل الاديب تنبحها كلاب الحوأب اراد الادب فاظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد
دب يدب دببا والجناح احد ناحيتي الطير التي يتمكن بهما من الطيران في الهوا واصله الميل الى ناحية الاعراب من مزيدة وتقديره
وما دابة ويجوز في غير القران ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة ايضا تفيد التعميم اي ما فرطنا شيئا اما صم وبكم كلاهما
خبر الذين كقولهم حلو حامض ودخول الواو لا يمتنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم المعنى لما بين سبحانه انه قادر على ان ينزل اية عقبه بذكر ما يدل على
كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال وما من دابة في الارض اي ما من حيوان يمشي على وجه الارض ولا طائر يطير بجناحيه جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لانها
لا تخلو اما ان تكون مما يطير بجناحيه او يدب ومما يسئل عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطير لا يطير الا بالجناح فالجواب ان هذا انما جا للتوكيد
ورفع اللبس لان القائل قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها قال الشاعر قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا وانشد سيبويه فطرت
بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا وقيل انما قال بجناحيه لان السمك يطير في الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطائر لانه من دواب
البحر وانما اراد سبحانه ما في الارض وما في الجو الا امم امثالكم اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه
يريد اشباهكم في ابداع الله اياها وخلقه لها ودلالتها على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم
واكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويحشرون وبين بهذه الاية انه
لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فان الله خالقها والمنتصف لها ما فرطنا في الكتاب من شيء اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في
معنى الكتاب على اقوال احدها انه يريد بالكتاب القران لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه من امور الدين والدنيا اما مجملا واما مفصلا والمجمل قد
بينه على لسان نبيه وامر باتباعه في قوله ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي
سمعت ذلك منه جميع القران ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما اتيكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وان مما اتانا رسول الله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول اكثر المفسرين وهذا القول اختيار
البلخي وثانيها ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه اجال الحيوان وارزاقه
واثاره ليعلم ابن ادم ان عمله اولى بالاحصاء والاستقصاء عن الحسن وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اي ما تركنا شيئا الا وقد اوجبنا له اجلا ثم يحشرون جميعا
عن ابي مسلم هذا الوجه بعيد ثم الى ربهم يحشرون معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما يحشر العباد فيعوضهم الله ما يستحق العوض منها وينتصف
لبعضها من بعض فيما رووه عن ابي هريرة انه قال يحشر الله الخلق يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان ياخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ انتطحت عنزان فقال النبي صلى الله عليه وآله اتدرون فيما انتطحتا فقالوا
لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى هذا فانما جعلت امثالنا في الحشر والاقتصاص اختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويدل عليه
قوله واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضر الا الله سبحانه اذ لم يمكن منه ما مكن في الدنيا واستدلت جماعة من اهل التناسخ بهذه
الاية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله امم امثالكم وهذا باطل لانا قد بينا انها من اي وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان يكون امثالنا
في كونها على مثل صورنا وهياتنا وخلقنا واخلاقنا وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل والذين كذبوا باياتنا اي بالقران
وقيل بسائر الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما في سورة البقرة في الظلمات اي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل اراد صم وبكم في
الظلمات في الاخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لانه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي من يشا الله يضلله هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا
الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشا يخذله بان يمنعه الطافه وفوائده وذلك اذا
واتر عليه الادلة واوضح له الحجج فاعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ويجوز ان يريد من يشا الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن يشا الله يجعله على
صراط مستقيم اي ومن يشا ان يرحمه يهديه الى الجنة ويجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة قوله تعالى قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم
الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا وتنسون ما تشركون اثبات القراءة قرا اهل المدينة ارايتكم
وارايتم وارايت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة في كل القران وقرا الكسائي بحذف الهمزة في كل القران وقرا الباقون بالهمز في الجميع في كل القران
الحجة قال ابو علي من حقق الهمزة فوجهه ظاهر لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرا بالف في كل القران من غير همز على مقدار الهمزة فانه
يجعل الهمزة بين بين اي بين الالف والهمزة واما الكسائي فانه حذف الهمزة حذفا الا ان التخفيف القياسي فيها ان يجعل بين بين هذا حذف الهمزة كما قالوا
ويلمه كما انشد احمد بن يحيى ان لم اقاتل فالبسوني برقعا وكقول ابي الاسود يا با المغيرة رب امر معضل ومما جا على ذلك قول الاخر ارايت ان جئت به املودا
مرجلا ويلبس البرودا ومما يقوي ذلك قول الشاعر ومن رايت يعني ليلى اذا ما الشيخ صال على الحلقة الاعراب ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجرد او معنى الاسم

هز

عنه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعده في نحو قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى ولو كان كذلك لتعدى
ويكون الاول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف في المعنى واذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء
في انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء في ارايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان يلحق الكلمة علامتا الخطاب كما لا يلحقها علامتا التانيث ولا علامتا
الاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين
الفاعلين فيخصص التانيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التانيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب مما يلحق التاء ومما يلحق الكاف وكان يؤدي
الى ما لا نظير له فرفض وكان هذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان من قوله ان اتيكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتيتك زيد تكرمه وموضع
ان وجوابه نصب لانه في موضع مفعولي رايت قوله ان كنتم صادقين جوابه محذوف يدل عليه قوله ارايتكم لانه في معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من
تدعون عند نزول البلاء بكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارايتكم عذاب الله في الدنيا كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود
او اتتكم الساعة اي القيمة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد والمعنى او اتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق
كلهم اغير الله تدعون اي اتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع نفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو خالقكم ومالككم
لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين في ان هذه الاوثان الهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال بل اياه تدعون بل
استدراك وايجاب بعد النفي اعلمهم الله تعالى انهم لا يدعون في حال الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويبتهلون عليه المعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف
ما تدعون اليه ان شا اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ان شا ان يكشفه وتنسون ما تشركون اي تتركون دعا ما تجعلونه شريكا له من دون الله لانه ليس عندهم ضر
ولا نفع عن ابن عباس ويكون للعائد الى الموصول حذف للعلم به على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم في تركهم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانهم
كالغافلين عنه واعراض الناسي اليائس في النجاة من قبله ويجوز ان يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم قوله تعالى ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالباسا والضرا لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين ثلاث ايات القراة قرا ابو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه
خففهما ووافقه يعقوب في القمر وقرا الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها نذكرها ان شاء الله اذا بلغنا الى موضعها الحجة
من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك اللغة الباسا من الباس والخوف والضرا من الضر وقد يكون الباسا من البؤس التضرع التذلل يقال
ضرع فلان لفلان اذا بخع خضع له وسال ان يعطيه المبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال العجاج وحضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه
صفرة وابلاس دابر القوم الذي يدبرهم ويدبرهم عقبا وهو الذي يلومهم من خلفهم ياتي على اعقابهم انشد الى المهلب جز الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل
ولا طرف وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله انشد فدى لكما رجلي رحلي وناقتي غداة الكلاب اذ تحز الدوابر اي يقتل القوم فيذهب
اصولهم فلا يبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر اخره ومنه عن عبد الله انه قال من الناس من لا ياتي الصلوة الا دبريا بضم الدال يعني في اخر الوقت كذا يقوله اصحاب
الحديث قال ابو زيد يضبطونه بفتح الدال والبا الاعراب لولا للتحضيض ولا يدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم عطف
على تاويل الكلام الاول فان في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين المعنى ثم اعلم سبحانه
نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسلهم تسلية له ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريقهم في مخالفتهم كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وههنا محذوف وتقديره
رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وقد حذف للايجاز والاختصار من غير اخلال لدلالة الكلام عليه بالباسا والضرا يريد الفقر
والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون قال الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد والمعنى فاخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد
منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك والغرض به
تعالى انه ارسل الرسل الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم ليخضعوا ويذلوا لامر الله فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا
كالتسلية للنبي فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكن قست قلوبهم فاقاموا على كفرهم فلم ينجع فيهم العظة
لانه سبحانه بين انه انما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان زين لهم بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة ما كانوا
يعملون يعني اعمالهم وفي هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافرين الايمان لانه سبحانه بين انه انما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي
الكفر للكافر بخلاف ما قاله المجبرة من انه تعالى هو المزين لهم ذلك فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وقيل تركوا العمل بذلك وقيل تركوا
ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي كل نعمة وبركة من السماء والارض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن
مقاتل والمعنى انه تعالى امتحنهم بالبلاء لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الاخرة وانما
فعل ذلك بهم وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم ذلك الى الطاعة فان الدعا الى الطاعة يكون تارة بالعنف
وتارة باللطف او لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم الى العذاب الاليم حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا السرور بما

ان اتيكم
٢ الوقت الذي يصعق فيه العباد ايام

اعطوه

اغطوه لم يروه نعمة من الله حتى يشكروه اخذناهم اى احللنا بهم العقوبة بغتة اى مفاجاة من حيث لا يشعرون فاذا هم مبلسون اى آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني متقاربة والمراد بقوله ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم فهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وانلناهم خيرا كثيرا وروى عن النبي ص انه قال اذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الاية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي ع انه قال يا ابن آدم اذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين ظلموا معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل والحمد لله رب العالمين على هلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بان استأصل شافتهم وقطع دابرهم لانه سبحانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم واخذهم بالباساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله يجب حمده عليها وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله ع قال سألته عن الورع فقال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد احب ان يعصى الله ان الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **قوله تعالى** قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون آيتان **اللغة** صدف عن الشيء صدوفا اذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع مثل الحائط كانه اذا مر بصدف مال عنه **الاعراب** من اله مبتدأ وخبره غير صفة له وهذه الجملة في موضع مفعولي ارأيتم ومن سيبويه علق الفعل الذي هو ارأيتم فلم تعمل في معموله لفظا وقوله ان اخذ الله سمعكم جوابه محذوف تقديره فمن يأتيكم به ولا انه اغنى عنه قوله من اله غير الله يأتيكم به الذي هو مفعول ارأيتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لاضربنه ذهب او مكث فان قولك ان ذهب او مكث وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره مقدرا ذهابه او مكثه ويدل على انه في موضع الحال مشابهته المفرد في انه لا يستقل بنفسه كما لا يستقل الجملة وان كان جملة في المعنى فانه بدخول حرف الشرط فيه صار بمنزلة المفرد في الحاجة الى ما يسند اليه كاحتياج المفرد ويدل على انه حال انه مما قبله حاجته الى ما قبله كاحتياج ما وقع موقعه الى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع نصب حال فان قيل ان الجزاء مقدر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قيل الجزاء وان كان مقدرا لا حكم له لانه لا يجوز اظهاره وانما هو شيء ثبت من جهة التقدير فضعف لذلك ولو جاز اظهاره لكان في موضع الحال وهذا ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي ذكره في القصريات مع كلام كثير في معناه وقد توحد به ولم يسبق اليه قوله يأتيكم به في موضع رفع بانه صفة اله **المعنى** ثم اراد سبحانه الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي ذهب بهما فصرتم صما عميا وختم على قلوبكم اي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تعقلوا شيئا وانما خص هذه الاشياء بالذكر لانه بها تتم النعمة دينا ودنيا من اله غير الله يأتيكم به قال الزجاج هذه الهاء تعود الى معنى الفعل المعنى من اله غير الله يأتيكم بما اخذ منكم ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة معه لانه معطوف عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون ان يجعلوا لكم اسماعا وابصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون ان اخذها الله منكم فمن يردها عليكم بين سبحانه بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب ان لا تعبدوا سواه انظر كيف نصرف الايات اي نبينها لهم في القرآن الايات عن الكلبي وقيل نصرف الايات نوجهها في الجهات التي يظهر بها اتم الاظهار تارة في جهة النعمة وتارة في جهة الشدة وقيل تصريف الايات احداثها دالة على وجوه كما ان الاية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي ص وصدقه ثم هم اي الكفار يصدفون اي يعرضون عن تامل الايات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها انما قال انظر لانه تعالى عجب الخلق من تتابع نعمه عليهم ضربا بعد ضرب لانه من تصريف الايات وابلاغ الاعذار ثم عجب نبيه من اعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال قل ارأيتكم اي اعلمتم ان اتاكم عذاب الله اي عذاب الله بعد اعذاره عليكم وارساله الرسل بغتة اي مفاجاة او جهرة اي علانية وانما قابل البغتة بالجهرة لان البغتة تضمنت معنى الخفية لانه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان يأتيهم ليلا والجهرة ان يأتيهم نهارا عن الحسن هل يهلك اي لا يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون اي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الارض وقيل انهم كانوا يستدعون العذاب فبين انه اذا انزل لا يهلك به الا الكافرون فان هلك فيه مؤمن او طفل فانما يهلك محنة ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الايات وانما يرسلهم لما يعلم من المصالح فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ثم ذكر ثواب من صدقهم في باقي الاية وعقاب من كذبهم في الاية الثانية فقال فمن آمن اي صدق الرسل واصلح اي عمل صالحا في الدنيا فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون كما يحزن اهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوه وراءهم في الدنيا والذين كذبوا باياتنا اي ادلتنا وحججنا وقيل بمحمد ومعجزاته يمسهم العذاب اي يصيبهم العذاب بعقوبته بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وخروجهم عن الايمان **قوله تعالى** قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون آية **اللغة** الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان

الذي

الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي ومنه خزن اللحم يخزن خزنا اذا تغير لانه يخزن مخلى حتى ينتن **المعنى** ثم امر النبي ان يقول لهم بعد ما قدم من الايات مثله لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال قل يا محمد لا اقول لكم ايها الناس عندي خزائن الله يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال ولا اعلم الغيب الذي يختص الله بعلمه وانما اعلم قدر ما يعلمني الله من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون اليه عن ابن عباس ولا اقول لكم اني ملك لاني انسان تعرفون نسبي يريد لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا على ان الملائكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هيهنا وانما المراد لا اقول اني ملك فاشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي يريد ما اخبركم الا بما انزل الله الي عن ابن عباس وقال الزجاج اي ما انبئكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله عز وجل ثم امر سبحانه فقال قل يا محمد لهم هل يستوي الاعمى والبصير اي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله وبنبيه هذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعلموا ما الواجب عليكم من الاقرار والتوحيد ونفي التشبيه هذا استفهام والمراد به الاخبار يعني انهم لا يستوون **قوله تعالى** وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون آية **الاعراب** الهاء في به يعود الى ما من قوله ما يوحى الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كانه قيل متخلين من ولي ولا شفيع **المعنى** ثم امر سبحانه بعد تقديم البينات بالانذار فقال وانذر اي عظ وخوف به اي بالقرآن عن ابن عباس والحسن وقيل بالله عن الضحاك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم يريد المؤمنين يخافون يوم القيمة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما منهم بانه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون يعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو منذر لجميع الخلق لان الذين يخافون الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق ع انذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم ترغبهم فيما عنده فان القرآن شافع مشفع لهم ليس لهم من دونه اي غير الله ولي ولا شفيع عن الضحاك وقال الزجاج ان اليهود والنصارى ذكرت انها ابناء الله واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان اهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في اهل الكفر والمفسرون على ان الاية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على ان شفاعة الانبياء وغيرهم للمؤمنين انما يكون باذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فذلك راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كي يخافوا في الدنيا وينتهوا عما نهاهم الله عنه عن ابن عباس **قوله تعالى** ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين آيتان **القراءة** قرأ ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القرآن بواو والباقون الغداة بالالف **الحجة** قال ابو علي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فاما غدوة فمعرفة هو علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحدة منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين لدابة معرفة قال وزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته يوما من الايام غدوة او بكرة وانت تريد المعرفة لم تنون وهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان يقول آتيك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته ان بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير مصروف والفينة بعد الفينة فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك اذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا فيه واتيتك يوم اثنين مباركا فيه فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبلا اما ان يكون جعل عرسا نكرة وان كان علما واما ان يكون جعله خبرا عن مبتدأ **الاعراب** فتطردهم جواب النفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب جواب للنهي وهو قوله ولا تطرد الذين لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في موضع آخر **النزول** روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله ص وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى ولا تطرد الخ وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي ص قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان يرونا مع هؤلاء الاعبد ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي ص الى ذلك فقالا اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرئيل ع بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله ص الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية قال فكان رسول الله ص يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات **المعنى** ثم نهى سبحانه نبيه عليه السلم عن اجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريد يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة يعني صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن

ومجاهد

مجاهد وقتادة وقيل ان المراد بالدعاء هيهنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابرهيم وروي عنه ايضا ان هذا في الصلوات الخمس يريدون وجهه يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعدلون بالله شيئا عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون في ذلك له اي يقصدون الطريق الذي امرهم بقصده وكانه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ما عليك من حساب المشركين الذين نهيتهم شيء ولا عليهم من حسابك شيء انما الله الذي يثيب اولياءه ويعذب اعداءه عن ابن عباس في رواية عطا واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم هو اشبه بذكر وايذه ويجيء حديثا ما عليك من عملهم من حسابهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وهذا لان المشركين انه دعوه الى طردهم ... الى الاعمال الدنية وقوم من المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء اي لا يلزمك عار بجلوسهم فتطردهم ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تاكيدا لمطابقة الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثاني ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم اي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وانما يرزقك واياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانباري عظم الامر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوف الدخول في جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الرؤساء واولي الاموال على الضعفاء مقدرا انه يستجر باسلامهم اسلام قومهم ومن لف لفهم وكان لم يقصد في ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء فاعلمه الله ان ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فاذا نظر الشريف الى الوضيع قد سبقه الى الايمان انف ان يسلم ويقول سبقني هذا بالاسلام فلا يسلم وانما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لانه عاملهم معاملة المختبر ليقولوا اهؤلاء اللام لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل امرهم الى هذه العاقبة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والاستفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف على الشريف والعربي بان امرناه بالايمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنة وقوله ليقولوا اي فعلنا ذلك بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم بالايمان اذ راوا النبي يقدم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والتشديد في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه لانه لو اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين هذا استفهام تقرير اي انه كذلك كقول جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح وهذا دليل واضح على ان فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقريب والتقريب والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين عليه السلام من اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه **قوله تعالى** واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم **القراءة** قرا اهل المدينة انه من عمل بالفتح فانه بالكسر وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب انه فانه بفتح الالف فيهما وقرا الباقون انه فانه بالكسر فيهما **الحجة** قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما كسر فانه غفور رحيم فلان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم قوله فينتقم الله منه على ارادة المبتدا بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله انه فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل واما فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا تقديره فله انه غفور رحيم اي فله غفرانه او اضمر مبتدا يكون انه خبره كانه قال فامره انه غفور رحيم على هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم الا ان اضماره هنا الحسن لان ذكره قد جرى في قوله ان له ولو ابتدا قد جرى على ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدا المضمر واما قراءة كتب ربكم انه فانه فالقول فيها انه ابدله من الرحمة ثم استانف ما بعد الفاء **اللغة** قال المبرد السلام في اللغة على اربعة اشياء فمنها سلمت سلاما وجمع سلامة ومنها اسماء الله عز وجل ومنها الاسلام ومحمل ومعنى السلام الذي هو مصدر انه دعاء للانسان بان يسلم من الآفات والسلام اسم الله تاويله ذو السلام اي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لان معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التي لها عروة واحدة لانها اسلم الدلاء من الآفات **النزول** الخلاف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا رآهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابداهم بالسلام ... قال الحمد لله الذي جعل في امتي عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله فقالوا انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله فنزلت الآية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه بتعظيم المؤمنين فقال واذا جاءك يا محمد الذين يؤمنون باياتنا اي يصدقون بحججنا وبراهيننا فقل سلام عليكم ذكر فيه وجوه احدها ان الله امر نبيه ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله عن الحسن وثانيها ان الله تعالى امر نبيه ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائي وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس كتب ربكم على نفسه الرحمة ايجابا مؤكدا عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة هيهنا وجهين احدهما انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والاخر انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه اثر العاجل فجعل جاهلا بانه اثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة وهذا اقوى ومثله قوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية وقد ذكرنا ما قيل فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح اي رجع

حق فمنزلة

عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح عمله فانه غفور رحيم **قوله تعالى** وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين **القراءة** قرا اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرا اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرا زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرا الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع **الحجة** من قرا لتستبين بالتاء سبيل فقد جعل السبيل فاعلا وانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرا ولتستبين بالتاء سبيل بنصب ففيها الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعول به وهو على قولك استبنت الشيء ومن قرا بالياء سبيل فجعل الفعل مسندا الى السبيل الا انه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلا المعنى وليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لان ذكر احد السبيلين يدل على الاخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرا بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السابل سبيل المجرمين **الاعراب** الكاف في كذلك في موضع نصب بانه مفعول نفصل ويجوز ان يكون الموضع باضافة الكاف اليه وتكون ما المشبه به في قوله وكذلك ويحتجوا بان حدهما التفصيل الذي تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم ممن كل يخالف الحق والثاني ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفصل لغيركم **المعنى** ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتج بها على مشركي العرب وغيرهم فقال وكذلك اي كما قدمنا من الدلالات على التوحيد والنبوة والقضاء نفصل الآيات وهي الحجج والدلالات اي نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع اي لتظهر طريق من عاند بعد البيان او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها من المؤمنين ويسلكوا غيرها وبالنصب لتعرف انت ايها السائل ولتعرفن انت يا محمد سبيلهم يريد بما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصي والجرائم المؤدية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما فعلتهم القصبة من الاذلال واللعن والبراءة منهم والامر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير ليفقهوا وليستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لان في ما بقي دليلا على ما القي **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين **القراءة** روي في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها **الحجة** هما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح **الاعراب** معنى من في قوله من دون الله قصد الادعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعه اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام التي يعبدونها وانما تدعونها الهة قل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادتها اي انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المؤمنين قد ضللت اذا اي ان انا فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين الذين سلكوا سبيل الدين معكم وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى **قوله تعالى** قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين **القراءة** قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقض الحق **الحجة** حجة من قرا يقص قوله والله يقضي بالحق وحكي عن ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين وان الفصل الحكم ليس في القصص وحجة من قرا يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه لقول فصل اما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مسرودتان قضاهما داود وصنع السوابغ تبع **اللغة** البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الامر على التمام **الاعراب** يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لان البينة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتم قد يضمر معه لانه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي الا ومعه قد اما مظهرا او مضمرا **المعنى** لما امر النبي بان يخبرهم بما يعبده عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار اني على بينة من ربي اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة اي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس وكذبتم به اي بما اتيتكم به من البيان يعني القرآن ما عندي اي ليس عندي ما تستعجلون به قيل معناه الذي تطلبونه من العذاب كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالذي تعدنا وهذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآيات التي اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله تعالى ان ذلك عنده فقال ان الحكم الا لله يريد ان ذلك عند ربي عن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الآيات الا لله يقص الحق اي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق اي يقوله ويخبر به وهو خير الفاصلين لانه لا يظلم في قضايا ولا يجوز عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم وكل قبيح الا من الله تعالى وذلك كله ليس بحق قل يا محمد لهؤلاء الكفار لو ان عندي اي بقدرتي وارادتي ما تستعجلون به من انزال العذاب بكم لقضي الامر بيني وبينكم اي لفرغ من الامر بان اهلككم فاستريح منكم غير ان الامر فيه الى الله تعالى والله اعلم بالظالمين بوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه انما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لانه لا يؤمنوا او لغيرهم من المصالح فانه يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة **قوله تعالى** وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون **اللغة** المفاتح جمع مفتح فالمفتح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء في قوله ما ان مفاتحه لتنوء

بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التمام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة والجارحة الجوارح لاكتساب الاعراب
ولا حبة تغليها ولا تسقط حبة ما بينه في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس قوله الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لانه خبر الابتداء تقديره
الا هو في كتاب مبين ولا بد من هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا الوجه لكان ان لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب في الاستثناء منقطع
المعنى ثم ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين من عقيبه لانه لا يخفى عليه شيء من الغيب فيعلم اسرار الظالمين فقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو معناه وعنده
خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من يعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على
من يشاء من عباده باعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل اليه ونصبه الادلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكلما لا يعلم اذا استعلم
يقال فيه افتح علي وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الاية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب الارزاق والاعمال وفي هذه
الاية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدئات الامور وعواقبها فهو يعجل ما يعجله اصوب واصلح ويؤخر ما تاخيره اصوب واصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من
الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ويعلم ما في البر والبحر من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار و
البحر كل قرية فيها ماء وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تاويله الا
وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن عند سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض معناه وما
تسقط من حبة في بطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل
الارضين السبع او تحت حجر او شيء ولا رطب ولا يابس قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لان الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك
ولا مجتمع ولا مفترق لان الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او مفترقة وقيل يريد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس
البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيى و
اليابس ما يغيض الا في كتاب معناه الا وهو مكتوب في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فانه كان عالما بها قبل ان كتبها ولكن لتعارض
الملائكة الحوادث على ممر الايام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيزدادوا بذلك علما ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فان المكلف اذا علم ان اعماله
مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قوي دواعيه الى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا تاكيد في الزجر عن المعاصي والحث
على البر لان هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان
قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد
مكافاته عليه وانشد ان لسلمى عندنا ديوانا عن الجبائي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استانف خبرا اخر بقوله الا في كتاب مبين
يعني وهو في كتاب مبين ايضا لانك لو جعلت قوله الا في كتاب متصلا بالكلام الاول لفسد المعنى وقد نبه سبحانه بهذه الاية على انه عالم لذاته من حيث
انه لو كان عالما بعلم لوجب احد ثلاثة اشياء كلها فاسدة اما ان يكون له علوم غير متناهية واما ان يكون معلوماته متناهية او يتعلق علم واحد بمعلومات
غير متناهية وكل ذلك باطل بالدليل ثم نبه في الاية التي تليها على انه قادر على الاحياء والاماتة فقال وهو الذي يتوفيكم بالليل اي يقبض ارواحكم عن
التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها الاية عن الزجاج والجبائي ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمته
بعلمه بمخالفتهم اياه لا يعاجلهم بعقوبته ولا يمنعهم فضله ورحمته ثم يبعثكم فيه اي ينبهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من
النوم بعثا ليقضى اجل مسمى معناه لتستوفوا اجالكم وترتيب الاية وهو الذي يتوفيكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما جرحتم بالنهار ليقضى
اجل مسمى فاللام يتصل بقوله ثم يبعثكم فيه الا انه قدم ما من اجله بعثنا بالنهار لانه اهم والعناية والاعتناء به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء
فصل الامر على تمام ومعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشاة الثانية لان منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظة
بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على الاخر ثم اليه مرجعكم يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله الى الدار الاخرة ومعنى اليه الى حكمه و
جزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر ثم ينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون اي بما فعلتموه من اعمالكم وفي هذه الاية دلالة على البعث والاعادة ونبه الله
سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فان كل منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فاما ما يصح اعادته من الاشياء فالصحيح من مذهب اهل العدل فيه ان يكون الشيء
من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان يكون مما يبقى وان لا يكون مما يتولد عن سبب قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين اثنان القراءة قرأ حمزة
وحده توفيه والباقون بالتاء وقرأ الاعرج يفرطون في الشواذ الحجة من قرأ بالتاء فلقوله فقد كذبت رسل قالت رسلهم ووجه حمزة انه فعل متقدم مسند
الى مؤنث غير حقيقي وانما التانيث بجمع فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لان الالف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج
من افرط في الامر اذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط في الامر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضر منيته وذلك بمعنى لا يزيدون على
ذلك ولا يتوفون الا من امروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار المعنى ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال وهو القاهر فوق عباده معناه الله

المقتدر

الجزء الرابع والعشرون من الكتاب

المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك ومثله
في اللغة امر فلان فوق امر فلان اي هو اعلى امرا وانفذ حكما ومثله قوله يد الله فوق ايديهم فالمراد بذلك انه اقوى واقدر منهم انه القاهر لهم ويقال هو فوقه
في العلم اي اعلم منه وفوقه في الجود اي اجود فعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها ويرسل عليكم عطف على صلة الالف واللام في القاهر وتقديره
وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة يحفظون اعمالكم ويحصونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي اذا علموا
ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا اي تقبض روحه رسلنا يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن
وقتادة قالوا وانما يقبضون الارواح بامره ولذلك اضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفيكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى
يرسلهم للحفظ في الحيوة والتوفية عند مجيء الممات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة وهم لا يفرطون اي لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا
يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط تقدمة العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين تتوفيهم رسله يرجعون اليه فقال ثم ردوا الى الله اي
الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو مولاهم الحق قد مر معناه عند قوله انت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل المعنى انه كله
حق لا يشوبه باطل وجد لا يجاوره هزل فيكون مصدرا وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير متى يشتجر قوم يقل سرواتهم هم بيننا فهم رضا وهم عدل
وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد ان افعاله واقواله حق الا له الحكم
القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليكه اياه وهو اسرع الحاسبين اي اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه
في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وروي انه سبحانه يحاسب
جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة احد عن محاسبة غيره ويدل على انه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت
واحد قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون اثنان القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الاعراف والباقون خفية بالضم وقرأ قل من ينجيكم خفيفة يعقوب
وسهل وقرأ الباقون ينجيكم وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا بالالف الا ان عاصما قرأ بالتفخيم والباقون بالامالة وقرأ غيرهم من القراء لئن انجيتنا و
قرأ اهل الكوفة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف الحجة اما خفية فان ابا عبيدة قال خفية اي تخفون
في انفسكم وقال غيره خفية وخفية لغتان واما خيفة فيفعلة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال فلا تقعدن على زخة وتضمر في القلب وجدا وخيفا
هو جمع خيفة واما قوله ينجيكم فانهم قالوا نجا زيد فاذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فانجاه الله من النار فانجيناه
والذين امنوا معه ونجينا الذين امنوا فاستوى القراءتان في الحسن واما من قرأ انجانا فانه حمله على الغيبة لان ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما
للغيبة ومن قرأ لئن انجيتنا فانه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون الاعراب تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين
وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب على انه حال ايضا من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين
الحاجة اليه او معلنين ومسرين المعنى ثم امر سبحانه الى الحجاج على الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من ينجيكم اي يخلصكم ويسلمكم من ظلمات البر و
البحر اي من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اي قد اشتدت ظلمته
حتى صار كالليل وانشد بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم ذو كواكب اشهب وقال الحر يا لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
قال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع تدعونه اي تدعون الله عند مشاهدة هذه الاهوال تضرعا
وخفية اي علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم وخفية في انفسكم وهذا اظهر لئن انجيتنا اي في
شدة وقعتم فيها قلتم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين لانعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والاخفاء وقد روي عن النبي انه قال خير الدعاء
الخفي وخير الرزق ما يكفي ومر بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا قل يا محمد الله ينجيكم اي ينعم عليكم
بالنجاة والفرج ويخلصكم من هذه الظلمات ومن كل كرب اي ويخلصكم الله من كل غم ثم انتم تشركون بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم بما لا يقدر على الانجاء
من كرب وان خف قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس
بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون اثنان اللغة اللبس اختلاط الامر لبست عليهم الامر البسه اذا لم ابينه وخلطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس اختلاط
الامر واختلاط الكلام والالتباس الامر خاصة والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلانا اتبعته والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع
والشيعة صارت في العرف اسما لمتبعي امير المؤمنين علي عليه السلام القائلين بامامته بعد النبي بلا فصل من الامامية والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة
على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا الا ان يقطع عنه لام التعريف ويقيد اللفظ بمن للتبعيض فيقال هؤلاء من شيعة بني العباس او شيعة
بني فلان المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج بها الكافرين ونبه على الاعذار والانذار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار هو القادر على ان
يبعث اي يرسل عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قيل فيه وجوه احدها ان عذابا من فوقكم يعني به الصيحة والحجارة والطوفان والريح كما فعل بعاد
وثمود وقوم شعيب وقوم لوط ومن تحت ارجلكم يعني الخسف كما فعل بقارون وعن سعيد بن جبير ومجاهد ثانيها ان المراد بقوله من فوقكم اي من قبل كباركم

من تحت

الواضح يقولون له ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لا يستبين الشيطان عليه يهويه ولا يحتكم امر الله سبحانه فقال قل لهؤلاء الكفار ان هدى الله هو الهدى امر دلالة الله لنا على توحيده وامر دينه هو الهدى الذي يؤدي المسترشد الى الصلاح والرشاد في دينه هو الذي يجب ان يعمل عليه لا يعدل به فلا نترك ذلك الى ما تدعون اليه وامرنا لنسلم لرب العالمين معناه ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امورنا ونفوسنا الى الله ونتوكل عليه فيها **قوله عز وجل** وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير بيان كونه ثلاث ايات في الباقين عند اكثرهم فيكون في اية **الاعراب** يحتمل اول الاية وجهين احدهما ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلوة والثاني ان يكون محمولا على المعنى لان معناه امرنا بالاسلام وباقامة الصلوة وموضع ان نصب لان الباء لما سقط افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السموات والارض ويحتمل ان يكون على فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح كانه قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع والاول اجود **المعنى** وان اقيموا الصلوة هذا موصول بما قبله اي وقيل لنا اقيموا الصلوة واتقوه اي واتقوا رب العالمين اي تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون اليه يوم القيمة فيجازي كل عامل منكم بعمله هو الذي خلق السموات والارض بالحق فيه قولان احدهما ان معناه خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطاء كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وادخلت الباء والالف واللام كما ادخلت في نظائرهما يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول حقا لان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصوابا من حكم الله وهو موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الاخر ما قاله قوم ان معناه خلق السموات والارض بكلامه الحق وهو قوله ائتيا طوعا او كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول هو الصحيح ويوم يقول كن فيكون ذكر في نصب يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء في قوله واتقوه اي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا والثاني ان يكون معطوفا واذكر يوم يقول كن فيكون لان بعده واذ قال ابرهيم لابيه عطفا على ذلك قال الزجاج وهو الاجود والثالث ان يكون معطوفا على السموات المعنى وهو الذي خلق السموات والارض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فان قيل ان يوم القيمة لم يات بعد فجوابه ما انبأ الله بكونه فحقيقته واقع لا محالة واما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول للصور كن فيكون في ما ذكر من الصور ويدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون يتناول جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا انما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون اي لا يتعذر عليه ذلك ولا يلحقه مشقة ولا ابتداء وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون قوله الحق اي يامر فيقع امره اي ما وعد به من الثواب حق وما توعد به من العقاب والحق من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك ليس المعنى انك قلت فكان الكلام انما المعنى انه كان ما دل عليه القول واما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون في سورة البقرة مستقصى وله الملك يوم ينفخ في الصور قيل في نصب يوم هنا وجوه احدها ان يكون متعلقا بالملك تقديره ان الملك قد حصل له في ذلك اليوم الذي ينفخ في الصور فقد خص ذلك اليوم بان الملك له فيه كما خص في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا او يغلب عليه بل ينفرد سبحانه بالملك والثاني ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنيا عن قوله يوم يقول كن فيكون والثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في تخصيصه بذلك اليوم وان كان قوله تعالى في كل وقت ما بيناه في الوجه الاول وهو مثل قوله والامر يومئذ لله ولا شك ان في كل وقت الامر لله تعالى والمراد ان ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في اوامره لانها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر احد على معصيته واما الصور فقيل انه قرن ينفخ فيه اسرافيل نفختين فيفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فيكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الاخرة وقال الحسن هو جمع صورة كان الصور جمع وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ في الصور الروح ويؤيد القول الاول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي ص انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبينه واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله ص قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر لولا ابن جعدة لم تفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور عالم الغيب والشهادة اي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهده وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو الحكيم في افعاله الخبير العالم بعباده وافعالهم **قوله تعالى** واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اثنان **القراءة** القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرء يعقوب الحضرمي بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد **الحجة** من قرء بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلا من ابيه عطف بيان ومن قرء بالضم جعله منادى مفردا وتقديره يا آزر **اللغة** الاصنام جمع صنم وهو ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور والالهة جمع اله مثل ازار وازرة والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير ان هذا اللفظ ابلغ لان الواو والتاء تزادان للمبالغة ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم **الاعراب** العامل في واذ محذوف وتقديره واذكر اذ قال وقيل انه متصل بقوله بعد اذ هدانا الله اي وبعد اذ قال ابرهيم الكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى وكما ارينا ابرهيم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض اي الاعتبار وقيل تشبيه رؤية ابرهيم برؤية محمد والمعنى كما اريناك يا محمد ابرهيم قوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستانفة اي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق باريناه المحذوف وقيل الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد **المعنى** ثم قال ابرهيم اي واذكر اذ قال ابرهيم لابيه آزر وفيه اقوال احدها انه اسم ابي ابرهيم عن الحسن والسدي والضحاك وثانيها انه اسم

ابرهيم

ابرهيم تارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف ان اسم ابي ابرهيم تارخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه يا مخطئ فاذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز ان يكون وصفا له كانه قال لابيه المخطئ وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد فاذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه اتتخذ آزر وجعل اصناما بدلا من آزر واشباهه فقال بعد ان قال اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما الهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابرهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي الى آدم كلهم كانوا موحدين واجمعت الطائفة على ذلك ورووا عن النبي ص انه قال لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى انما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها قوله اتتخذ اصناما الهة استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك اني اريك وقومك في ضلال عن الصواب مبين ظاهر وفي الاية حث للنبي ص على محاجة قومه الذين يدعون الى عبادة الاصنام والاقتداء بابيه ابرهيم فيه وتسلية له بذلك وكذلك نري ابرهيم اي مثل ما وصفنا من قصة ابرهيم وقوله لابيه ما قال نريه ملكوت السموات والارض اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما اريناك ما تجهله بينا انا قد بينا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض من البحار والجبال والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل ملكوت السموات والارض آياتهما عن مجاهد وقيل ان ملكوت السماوات والارض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت السماوات والارض ما فيهما من الحوادث الدالة على ان الله تعالى مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء يصح ان يملكه سواها جرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والارض مجازا عن الجبائي قال ابو جعفر ع كشط الله له عن الارضين حتى راهن وما تحتهن وعن السموات حتى راهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله ع قال لما رأى ابرهيم ملكوت السموات والارض رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلثة فدعا عليهم فماتوا فاوحى الله تعالى يا ابرهيم ان دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فاني لو شئت لم اخلقهم اني خلقت خلقي على ثلثة اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئا فاثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فاخرج من صلبه من يعبدني وليكون من الموقنين اي من المستيقنين بانه سبحانه هو خالق ذلك والمالك له **النظم** وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم الهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين ان دين ابرهيم للناس الف بدين الاباء لا سيما اذا كان الاب مقدما وقيل انها تتصل بقوله اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا الى قوله بعد اذ هدانا الله ثم قال وبعد ان قال ابرهيم كذا وكذا عن ابي مسلم **قوله تعالى** فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين اربع ايات **القراءة** قرء ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرء ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر رأى بكسر الراء والهمزة وقرء الباقون بفتح الراء والهمزة **الحجة** ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يمل قراءة من امال وان في ذلك كلاما اكثر تركنا ذكره خوف الاطالة **اللغة** يقال جن الليل عليه وجنه الليل واجنه الليل اذا اظلم حتى يستر بظلمته ويقال لكل ما ستر قد جن واجن ومنه اشتقاق الجن لانهم استجنوا عن اعين الناس قال الهذلي ولما وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف الادهم ويقال اجننت الميت وجننته اذا واريته في اللحد افل يافل افولا اذا غاب قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت وتسمى ثلث ليال من اول الشهر الهلال ويسمى قمرا الى آخر الشهر وانما يسمى قمرا لبياضه حمار اقمر ابيض والحنيف المائل الى الحق **الاعراب** السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة الجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كانا جميعا على التانيث في فلما رأى الشمس بازغة وقال الزجاج فيما انشد المجاشعي قوله فلما رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابرهيم والشمس مؤنثة في كلام العرب فاما في كلام ما سواهم فيجوز ان لا يكون مؤنثة وابرهيم لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته وقيل انما ذكر الشمس وذكر القمر والجواب ان تانيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابة وعلامة وليس القمر كذلك لانه دونها في الضياء وقيل انه دخلت الالف واللام فيهما وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو وقيل لان شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف في قصد الجرم للشمس او الى الشعاع على طريق الجنس او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك **المعنى** لما تقدم ذكر الايات التي اراها الله تعالى ابرهيم بين سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال فلما جن عليه الليل اي اظلم عليه ستر بظلامه كل شيء رأى كوكبا واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري قال هذا ربي فلما افل اي غرب قال لا احب الافلين واختلف في تفسير هذه الايات على اقوال احدها ان ابرهيم انما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لانه لما اكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتامل رأى الكوكب فاعظمه واعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما غاب علم ان الافول لا يجوز على الاله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فانه لما رأى افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال في آخر كلامه يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الاية وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بان صفات المحدثين لا يجوز عليه وهذا اختيار ابي القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر اكثر من ساعة واقل من شهر ولا يعلم ما بينهما الا الله تعالى وثانيها انه انما قال ذلك قبل بلوغه كما انه لما قارب كمال العقل حركته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وظهوره ظن انه ربه فلما افل وانتقل من حال الى حال قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا عند طلوعه رأى كبره واشراقه وانبساط نوره وضيائه في الدنيا

قال

قال هذا ربي فلما افل وصار مثل الكوكب في الافول والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك مستقرا لاله قال لئن لم يهدني ربي الى رشدي لم يوفقني ويلطف بي
في اصابة الحق من توحيده لاكونن من الضالين القوم بعبادة هذه الحوادث فلما راى الشمس بازغة اي طالعة قد ملأت الدنيا نورا ورأى عظمها وكبرها
قال هذا ربي هذا اكبر من الكوكب والقمر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من الهتكم فلما اكمل الله عقله وضبط
بفكره النظر في حدوث الاجسام بان وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال يا قوم اني وجهت وجهي اي صرفت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا اي مخلصا مائلا عن الشرك الى الاخلاص وما انا من المشركين وهذا اختيار ابي علي الجبائي واستدل على القول الاول بان قال كيف قال هذا ربي مخبرا وهو غير عالم بما
يخبر به والاخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يقل ذلك مخبرا وانما قاله فارضا مقدرا على سبيل التأمل كما يفرض احدنا
اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين فساد ما يؤدي اليه الفرض من الفساد فلا يكون بذلك مخبرا في الحقيقة والاخر انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المتفكر في حال
فكره ونظره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة وسؤال اخر كيف يتعجب ابراهيم من رؤية هذه الاشياء تعجب من لم يكن رآها كيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم يشاهد
السماء والكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون ما راى السماء الا في ذلك الوقت لانه قد روي ان امه ولدته في مغار خوفا من ان يقتله نمرود ومن يكون في المغارة
لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة وراى السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد راى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لان الفكر
لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك وثالثها ان ابراهيم لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب
وانما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على من يكون الها معبودا لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدث ويكون قوله هذا ربي محمولا على احد وجهين
اما على انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن واما على ان يكون قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء
عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال اوس بن حجر لعمرك ما ادري وان كنت داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر وقال الاخطل كذبتك عينك ام رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالا وقال عمر بن ابي ربيعة ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب اي احبها وقال الاخر رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم اي اهم هم وروي عن ابن عباس انه قال في قوله فلا اقتحم العقبة معناه افلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام ورابعها انه انما قال ذلك استدراجا
للقوم بريهم تقصير عقولهم ببطلان عبادتهم المخلوق وجاز عليه اعراض الحوادث فانهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم
يعبدون الاوثان فلما راى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال اين شركائي الذين كنتم تزعمون فاضافه الى نفسه حكاية لقولهم فكانه
قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل انه نوى في قلبه الشرط اي ان كان بزعمكم هذا النجم كما تزعمون هذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن النجم ربهم ولا الكوكب ربه
وفي هذه الايات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابراهيم بالافول على حدوثها لان حركتها بالافول اظهر ومن الشبهة ابعد واذا جازت
عليها الحركة والسكون فلا بد ان يكون مخلوقة محدثة واذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد ان يكون قادرا لصحة الاحداث منه واذا احدثها على غاية
الانتظام والاحكام فلا بد ان يكون عالما واذا كان قادرا عالما وجب ان يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركي العرب ليزجرهم عن عبادة الاصنام وحثهم على سلوك
طريقة ابيهم ابراهيم في النظر والتفكر لانهم كانوا يعظمون اباهم فاعلمهم سبحانه ان اتباع الحق من دين ابراهيم الذي تقرون بفضله يوجب عليهم [illegible] القصة
ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابراهيم ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس وبعضهم قال كان ملكا برأسه وقيل لنمرود انه يولد في
بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم انما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال اخرون بل وجد ذلك
في كتب الانبياء وقال اخرون راى نمرود كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعبر بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك امر بقتل
كل غلام يولد تلك السنة وامر بان يعزل الرجال عن النساء وبان يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فان كان غلاما قتل وان كانت جارية خليت حتى حبلت
ام ابراهيم فلما دنت ولادة ابراهيم خرجت امه هاربة فذهبت الى الغار ولفته في خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في ابهامه
فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء
الله ان يمكث وقيل كانت تختلف اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا عن ابي روق
ومحمد بن اسحق ولما اخرج من السرب نظر الى النجم وكان اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر ثم راى القمر ثم راى الشمس فقال ما قال ولما راى قومه يعبدون الاصنام خالفهم
وكان يعيب الهتهم حتى فشا امره وجرت المناظرات **قوله تعالى** وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء
ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين
احق بالامن ان كنتم تعلمون ايات **القراءة** قرأ اهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان اتحاجوني بتخفيف النون والباقون بالتشديد **الحجة** قال ابو
علي [illegible] في قول من شدد فاما وجه التخفيف فانه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل الى ازالته تارة بالحذف نحو علماء بنو
فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى يفارقا ونحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الاستثقال
يقع بالتكرير في الامر الاعم وفي الاولى ايضا انها دلالة الاعراب فانما حذفت الثانية كما حذفها في ليتي في نحو قوله اذ قال ليتي اصادفه ويذهب بعض مالي و
قوم كالثغام الثغام قوله تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني فالمحذوفة المصاحبة للياء التي للمتكلم سكون لام الفعل ما يحركها
او حركتها ولا يجوز ان يكون الحذف في الاولى لان الفعل يبقى بلا فاعل كما لا يحذف الاولى في تحاجوني لانها للاعراب ويدل على ان المحذوفة انما حذف مع

المجاز ايضا نحو قوله فذلك من نصر خبيبين [illegible] وقد جاء حذفه هذا القول في كلامهم قال الشاعر ابالموت الذي لا بد اني ملاق لا اباك تخوفيني و
قال تذكروني [illegible] الاعراب موضع ان يشاء نصب اي لا اخاف الا مشية الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل تقديره
لا اخافهم الا ان يشاء احياءهم واقدارهم [illegible] **المعنى** ثم ذكر سبحانه محاجة ابراهيم مع قومه فقال وحاجه قومه اي خاصموه وجادلوه
في الدين وخوفوه من ترك عبادة الهتهم قال لهم ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هداني اي وفقني لمعرفته ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك و
اخلاص العبادة له ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه وحجر ذل قوله
على جهلته فكيف تحاجونني وتدعونني الى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه الا ان يشاء ربي شيئا فيه قولان احدهما ان معناه الا ان يقلب الله هذه
الاصنام التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع فيكون ضرها ونفعها اذ ذاك دليلا على حدثها وعلى توحيد الله وعلى انه المستحق للعبادة وحده
وانه لا شريك له في ملكه ثم اثنى على الله سبحانه فقال وسع ربي كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء ثم امرهم بالتذكر والتدبر فقال افلا تتذكرون والثاني قول
الحسن معناه ولا اخاف الاوثان الا ان يشاء ربي ان يعذبني ببعض ذنوبي او يشاء الاضرار بي ابتداء والاول اجود ثم احتج عليهم واكد الحجاج بقوله وكيف
اخاف ما اشركتم اي كيف تخوفونني ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالها في انها لا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم
بالله وهو القادر على الضر والنفع بل تجترئون عليه بان اشركتم اي جعلتم له شركاء في ملكه [illegible] وقيل معناه كيف اخاف شرككم
انا منه بريء والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وانتم لا تخافونه وقد اشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ما اشركتم مصدرية ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة على
صحته وهذا يدل على ان كل من قال قولا او اعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل فاي الفريقين احق بالامن انحن وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه
ام انتم وقد اشركتم به جماعة غيره من الاصنام ولو اطرحتم العصبية والحمية لما جعلتم لها [illegible] ان كنتم تعلمون اي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون
الحق من الباطل والدليل من الشبهة **قوله عز وجل** الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اية **اللغة** قال الاصمعي الظلم في
اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما هم [illegible] وضعوا الشيء في غير موضعه قال النابغة والنؤي
كالحوض بالمظلومة الجلد [illegible] الارض التي [illegible] لانهم يحفرون فيها حوضا لم يكن موضعه ولم يضعوه في موضعه لكنهم مسافرين
المعنى لما تقدم سبحانه قوله اي الفريقين احق بالامن اي بالامن من العقاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو احق به فقال الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم معناه
الذين عرفوا الله وصدقوا به وبما اوجب عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد واكثر المفسرين وروي عن ابي
بن كعب انه قال الم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية شق على
الناس وقالوا يا رسول الله واينا لم يظلم نفسه فقال انه ليس الذي تعنون الم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال
الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة قال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا كان امنا وذلك
خلاف القول بالارجاء وهذا لا يلزم لانه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير امن وان كان ذلك معلوما بدليل اخر اولئك لهم الامن من الله بحصول الثواب والامان
من العقاب وهم مهتدون اي محكوم لهم بالاهتداء الى الحق والدين وقيل الى الجنة واختلف في هذه الاية فقيل انه من تمام قول ابراهيم وروي ذلك عن علي وقيل
ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بين ابراهيم وقومه عن محمد بن اسحق وابن زيد والجبائي **قوله تعالى** وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب و
يوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على
العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم خمس ايات **القراءة** قرأ اهل الكوفة ويعقوب درجات منونا والباقون
درجات من نشاء بالاضافة وقرأ اهل الكوفة غير عاصم والليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي ص والباقون واليسع بسكون اللام وفتح الياء
الحجة من اضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة صاحب الدرجات من نشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من نون قوله تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض فمن فضله على غيره فقد رفع درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لانه في ذكر الرسل فاما قوله ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فانه في الرتب وارتفاع الاحوال في الدنيا واتضاعها لانه قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا واما من قرأ
الليسع باللام فان هذه اللام زائدة قال ابو علي اعلم ان لام المعرفة تدخل الاسماء على ضربين احدهما التعريف والاخر زيادة كما تزاد الحروف والتعريف
على ضربين احدهما ان يكون اشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما والاخر ان يكون اشارة الى ما في نفوس الناس
من علمهم بالجنس هذا الضرب وان كان معرفة كالاول فهو مخالف له من حيث كان الاول قد علمه حسا وهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا واما نحو مررت
بهذا الرجل فانما اشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غائب معلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك وبين مخاطبك ويدل على ذلك قولك في النداء
يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فاما نحو العباس والحارث والحسن فانما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني
الخليل بقوله جعل الشيء بعينه فاذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الالف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلا المذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق
يقعدهم اعراق حلم بعدما رجا الهتم ادراك العلى والمكارم وقال ثلاث مائين للملوك وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الاهاتم فجعله مرة اسما فنزله منزلة

وانضمّ او من قصفه بمنزلة لحو ومحو وجمع الاعشى بين الامرين في قوله اتانا وعيد الحوص من ال جعفر فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوص واما قوله واليتيم الاّمن بني
والاهم فهل ابن تميم بنو السود المذانيس فانه يحتمل الامرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لان اليتيم مصدر والمصادر قد اجريت مجرى اسماء الفاعلين ووصف بها كما
وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها نحو نور ونوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا الفضل في اسم رجل كانهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص ولا يمتنع
ان يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج واما الالف واللام في الليسع فلا تخلو ان يكون زائدة او غير زائدة فان كانت غير زائدة فلا يخلو ان يكون على حد الرجل اذا اردت
به المعهود او الجنس نحو الانسان في خسر او على حد قولهم للعباس فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زائدة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما انشد
احمد بن يحيى باعدت ام العمرو كانت صبا مكان من انشا على الركائب ومما جاءت الالف واللام فيه زائدة الخمسة العشرة دراهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انها
اسم واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يتعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن الى ان اللام في اللات زائدة لان اللات معرفة فاما العزى
فبمنزلة العباس قياس قول ابي الحسن هذا ان يكون اللام في اليسع زائدة لانه علم مثل اللات وليس صفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر وجدنا الوليد بن
اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله فاما من قال الليسع فانه يكون اللام على حد ما في الحرث الا ترى انه على وزن الصفة الا انه وان كان كذلك فليس
من يدعا القول الاخر الا ترى انه لم يجيء في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو اسمعيل اسحق شيء على هذا النحو كما لم يجيء فيها شيء فيه لام التعريف فاذا كان
كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع فانه في انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة المعربة الاعراب وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر ان قوله
على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت اتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا
بمحذوف هذا الظاهر تفسيره كذا نقل عن ابي علي الجبائي المعنى ثم بين سبحانه ان الحجج التي ذكرها ابرهيم لقومه اتاه اياها واعطاه اياها بمعنى ان هذه
لها وانه احتج بها بامره فقال وتلك حجتنا اي ادلتنا اتيناها اي اعطيناها ابرهيم واخطرناها بباله وجعلناها حجة على قومه من الكفار حتى تمكن من ايرادها
عليهم عند المحاجة نرفع درجات من نشاء من المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين
ان ربك حكيم عليم يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة ووهبنا له اي
لابرهيم اسحق وهو ابنه من سارة ويعقوب ابن اسحق كلا هدينا اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي ذاهبا على النبوة
فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي من الله سبحانه على ابرهيم بان رزقه الولد وولد الولد فان من افضل النعم على العبد
ان رزقه الله ولدا يدعو له بعد موته وكيف اذا رزق الولد وولد الولد فهما نبيان مرسلان ونوحا هدينا من قبل اي من قبل هؤلاء ومن ذريته اي ومن ذرية نوح لانه
اقرب المذكورين اليه ولان فيمن عدهم من ليس من ذرية ابرهيم هو لوط والياس وقيل انه داود من ذرية ابرهيم داود وهو داود بن ايشا وسليمان ابنه وايوب وهو ايوب بن
موص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابرهيم ويوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وموسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون اخاه
كان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما فضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة فكذلك نفضل على المحسنين بنيل
الثواب والكرامات وزكريا وهو زكريا بن اذن بن بركيا ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن موسى بن ميشا والياس واختلف فيه فقيل انه
ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن يسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران نبي الله عن ابن اسحق وقيل هو الخضر عن
كعب كل من الصالحين اي من الانبياء والمرسلين واسمعيل هو ابن ابرهيم واليسع هو اليسع بن اخطوب بن العجوز ويونس بن متى ولوطا وهو لوط بن هاران ابن اخي ابرهيم وقيل
هو ابن اخته وكلا اي وكل واحد منهم فضلنا على العالمين اي عالمي زمانهم ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابرهيم قال انه سمى ذريته الى قوله وكذلك
نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الاكثر الذين هم من نسل ابرهيم على ان الرواية التي جاءت عن ابن
ان الياس ادريس وهو جد نوح اذا لم تضعف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابرهيم لم تضعف قول من قال ان الهاء كناية عن
ابرهيم قال الزجاج يجوز ان يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابرهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى وسماهم الانبياء الذين جاءت بعد قوله ونوحا
نسق على نوح واذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابرهيم او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين ذرية رسول الله على الاطلاق
وانهما ابنا رسول الله وقد صح في الحديث انه قال لهما عليهما السلم ابناي هذان امامان قاما او قعدا وقال للحسن عليه السلم ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل
منهما ومن اولادهما يا ابن رسول الله ومن اباءهم يعني ومن اباء هؤلاء الانبياء وذرياتهم واخوانهم جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا
بعض اباءهم واخوانهم واجتبيناهم اي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو ماخوذ من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته وهديناهم اي سددناهم وارشدناهم فاهتدوا
الى صراط مستقيم اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما
كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء
الا ان حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف الحجة قال ابو علي الوجه
الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباتها ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة لان هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف
كما ان همزة الوصل في الابتداء بالساكن فكما لا يثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا يثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي

هؤلاء

يحق

يلحق الوقف وحسن ضمها لذكر الفعل الدال عليه مثل ذلك قول الشاعر فجال على وحشيه وتخاله على ظهره سبا جديدا يمانيا كانه قال وتخال الخيال على
ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذئب فالهاء كناية عن المصدر
دل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لان الفعل قد تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه الى ضميره المعنى ثم بين سبحانه اكرامه لانبيائه
ثم امر من بعدهم بالاقتداء بهم فقال ذلك وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء هدى الله يهدي به من يشاء من عباده من
لم ينبههم في هذه الايات والهداية ههنا هؤلاء تنساق الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الادلة الا ترى الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وذلك لا يليق
بالثواب الذي يختص المحسنين دون الدلالة التي يشترك فيها المؤمن والكافر وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يدل على ذلك ومعناه انهم لو
اشركوا لبطلت اعمالهم التي كانوا يعملون على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجهها الى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي يستحقونه
على طاعتهم المتقدمة يحبط اذ ليس في ظاهر الاية ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون له ثواب اصلا لاجتماع الامة على ذلك اولئك يعني
به من تقدم ذكرهم من الانبياء الذين اتيناهم الكتاب اي اعطيناهم الكتاب اراد الكتب ووحده لانه عنى به الجنس والحكم معناه الحكم بين الناس وقيل الحكمة والنبوة
فان يكفر بها هؤلاء يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي في ذلك الوقت فقد وكلنا بها قوما اي الزمنا بها مراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدي الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين
واختلف في المعنيين بذلك فقيل عنى به الانبياء الذين جرى ذكرهم امنوا بما اتى به النبي قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عني
به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من امن من اصحاب النبي في وقت مبعثه وقيل عني بقوله فان يكفر بها كفار قريش وبقوله قوما ليسوا بها بكافرين
اهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وانما قال وكلنا بها لانهم بقبولهم لها والايمان بها قوم تشريفا لهم بالاضافة اليه نفسه وقيل معناه فقد ارصدنا لها قوما فقاموا
بها وفي هذا ضمان من الله تعالى ان ينصر نبيه ويحفظ دينه اولئك الذين هدى الله اي هديهم الله الى الصبر فيهداهم اقتده معناه اقتد بهم في الصبر على اذى
قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه ومعناه قيل اولئك الذين تقدم هداهم الله فاقتدوا واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم
في التوحيد والادلة وتبليغ الرسالة والانبياء وانما اولئك الى الانبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين الموكلين بحفظ
دين الله لانه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الاول اعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فبهداهم
اقتده انه يصبر ايوب وسخاء ابرهيم وصلابة موسى وزهد عيسى وبعض اقتدى بهم فيه بقوله قل يا محمد لا اسالكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على
تبليغ الوحي واداء الرسالة جعلا كما لم يسال ذلك الانبياء قبلي فان اخذ الاجر عليه ينفر الناس عن القبول ان هو اي ما هو الا ذكرى اي تذكير للعالمين المكلفين
اثباته واجتنابه وفي هذه الاية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين اما نبي واما امام لقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واسند التوكيل الى نفسه
واستدل قوم بالاية على ان النبي وامته كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لان الاية تدل على ما اتفقوا فيه على ما تقدم ذكره
وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الاخلاق فاما الشرايع فانها مختلفة ولا يصح الاقتداء بجميع الانبياء فيها فيدل الاية على ان نبينا مبعوث الى كافة العالمين والنبوة
مختومة به لذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء
به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اية

٧ القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفونها بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع الحجة من قرا بالياء فلان ما قبلها ما قدروا
الله على الغيبة ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من انزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا الاعراب حق قدره منصوب على المصدر تبدونها تخفون كثيرا
يجوز ان يكون صفة لقراطيس لان النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في المعنى لانه مكتوب فيها انما رفع قوله يلعبون لانه لم يجعله جوابا لقوله
ذرهم ولو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم النزول جاء رجل من اليهود يقال له مالك
بن الصيف يخاصم النبي فقال له النبي انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله سبحانه يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب فقال والله ما انزل
الله على بشر من شيء فقال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الاية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا
محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الاية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن
اقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد المعنى لما تقدم ذكر الانبياء والنبوة عقبه سبحانه بالنقض على من
انكر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شيء اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرات تدل على بعثة كثير منهم ثم امر سبحانه نبيه

٨ فقال قل يا محمد لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني التورية وانما احتج بذلك عليهم لان القائل لذلك اليهود عن ابي ان المعنى بالاية مشركوا العرب احتج عليهم
بالامر الظاهر ثم بين ان منزلته منزلة في ذلك ثم اثبته موسى نورا اي ضياء يستضاء به في الدين هدى للناس اي دلالة يهتدون به تجعلونه قراطيس كتبا
صحفا متفرقة وقال ابو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس اي تودعونه اياها تبدونها وتخفون كثيرا اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب
من صفات النبي والاشارة اليه والبشارة به وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما انعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب
لليهود اي علمتم التورية فضيعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا وقيل لمن قل يا محمد الله انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا اراد

تجعلونه على ان تجعل القراطيس الكتاب

الذين كالاستضاء

البيان

البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ثم ذكر بعد ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي دعهم بما خاضوا من العبث والخوض فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار عليهم بل على التهديد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم قوله عز وجل **وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** آية

القراءة قرء ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء **الحجة** من قرء بالتاء يؤيده قراءته قوله وانذر به الذين يخافون وانما انت منذر من يخشيها ومن قرء بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وانما انذركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع **الاعراب** ام القرى مفعول به الموضع صفة الكتاب ومبارك ايضا صفة له **المعنى** لما احتج سبحانه بانزال التورية على موسى بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه من السماء الى الارض لان جبرئيل اتى به من السماء مبارك وانما سماه مباركا لانه مبارك ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز في الدارين وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لان قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لانه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف مصدق الذي بين يديه من الكتب كالتورية والانجيل وغيرهما عن الحسن وتصديقه للكتب على وجهين احدهما انه يشهد بانها حق والثاني انه ورد بالصفة التي نطق بها الكتب المتقدمة ولتنذر ام القرى ومن حولها يعني بام القرى مكة ومن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وانما سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فكان الارض نشأت منها وقيل لانها اول بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكان القرى نشأت منها عن السدي وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لانها قبلتهم كما يجب تعظيم الام عن الزجاج والجبائي والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اي بالقرآن ويحتمل ان يكون كناية عن محمد صلى الله عليه وآله وهم على صلاتهم اي على اوقات صلاتهم يحافظون اي يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن من لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلوة ومنزلتها لانه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر الفرائض ونبه على ان من كان مصدقا بالقيمة وبالنبي لا يخل بها ولا يتركها

المؤمن

قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون آية

اللغة اصل الافتراء القطع من فريت الاديم افريه فريا وكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الغشية وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا واصله الشيء يغمر الاشياء فيغطيها الهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العدواني اذهب اليك فما امي براعية ترعى المخاض ولا اغضي على الهون والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الارض هونا وقال هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن اسفا في اثر من ماتا **الاعراب** من قال سانزل في موضع الجر على العطف كانه قال ومن اظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت محذوف اي لرايت عذابا عظيما **النزول** اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شيء وقوله سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فانه كان يكتب الوحي للنبي ص فكان اذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفورا رحيما واذا قال له اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة وقال اني انزل مثل ما انزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر ع وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة **المعنى** لما تقدم ذكر النبي وانزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه وادعوا مثل ما اتى به فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا استفهام في معنى الانكار اي لا احد اظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبي وليس بنبي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء اي يدعي الوحي ولا يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الافتراء فانما افرده بالذكر تعظيما ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوه وبذلوا النفوس والاموال واستعملوا سائر الحيل في اطفاء نور الله ويابى الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن ابي سرح فانه لما نزل على النبي ص ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا آخر جرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فاملاه عليه وقال هكذا انزل فارتد عدو الله وقال لئن كان محمد صادقا فلقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الاسلام وهدر رسول الله ص دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد اخذ بيده ورسول الله ص في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ص ثم اعاد فسكت ثم اعاد فسكت ثم اعاد فقال هو لك فلما مر قال رسول الله لاصحابه الم اقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير الي فاقتله فقال الانبياء لا يقتلون بالاشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اي في شدائد الموت عند النزع وقيل في اشد العذاب في النار والملائكة الذين يقبضون الارواح وقيل يريد ملائكة العذاب باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم وقيل يبسطون اليهم ايديهم بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم اخرجوا انفسكم اي يقولون اخرجوا انفسكم من سكرات الموت ان استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم وقيل اخرجوا انفسكم من اجسادكم عند معاينة الموت [illegible] لهم وتغليظا عليهم وان كان اخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الاول يقولون لهم في القيمة اخرجوا انفسكم من عذاب النار ان استطعتم اي خلصوها منه اليوم تجزون عذاب الهون اي عذابا تلقون فيه الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق في الدنيا وكنتم عن آياته تستكبرون اي تأنفون من اتباع آياته

ولقد

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون آية

القراءة قرء اهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع **الحجة** قال ابو علي استعمل هذا الاسم على ضربين احدهما ان يكون اسما متصرفا كالافتراق والآخر ان يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرء لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا انه لا يخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اتسع فيه او يكون الذي هو مصدر فلا يجوز ان يكون المصدر لان تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه فان قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل واصله الافتراق والتباين قيل انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا قد جاء لقد تقطع بينكم بمعنى لقد تقطع وصلكم فاما من نصب بينكم ففيه مذهبان احدهما انه اضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لان هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل كانه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه انهم قالوا اذا كان غدا فأتني والمضمر ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر انه لا ينصب على شيء يراه ابو الحسن فانه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في اكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيمة يفصل بينكم وقوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك فدون في موضع رفع عنده وان كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح **اللغة** فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراد فلا تصرف فشبهت بثلاث ورباع قال الشاعر ترى النعرات الزرق تحت لبانه فرادى ومثنى اصعقتها صواهله وقال النابغة من وحش وجرة موشى اكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد ومثل الفرادى الردافى والقرابى والتخويل الاعطاء واصله تمليك الخول كما ان التمويل هو تمليك الاموال وخوله الله اعطاه الله وفلان خولي مال وخائل مال اذا كان يصلح المال ومنه خول الرجل اي اتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر يقول هلكنا ان هلكت وانما على الله ارزاق العباد كما زعم والبين مصدر بان يبين اذا فارق قال الشاعر بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجزع قال ابو زيد بان الحي بينونة وبينا اذا ظعنوا وتباينوا اذا تفرقوا بعد ان كانوا جميعا **الاعراب** فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بانه مفعول تركتم **النزول** نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حين قال سوف تشفع لي اللات والعزى عن عكرمة **المعنى** ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال ولقد جئتمونا هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت او عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله الذين يقبضون ارواحهم فرادى اي وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفردا من شريكه في الغي وشقيقه عن الزجاج كما خلقناكم اول مرة اي كما خلقناكم في بطون امهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي انه قال تحشرون حفاة عراة غرلا والغرل هم القلف وروي ان عائشة قالت لرسول الله ص حين سمعت ذلك واسوأتاه اينظر بعضهم الى سوءة بعض من الرجال والنساء فقال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بداناكم اول مرة اي يكون بعثكم كخلقكم وتركتم ما خولناكم معناه ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الاموال وراء ظهوركم اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الاموال وحملتم من الذنوب الاحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة وما نرى معكم شفعاءكم اي ليس معكم من كنتم تزعمون انهم يشفعون لكم عند الله يوم القيمة وهي الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد ما نفعكم عبادة الاوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتقد غيره من يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى لقد تقطع بينكم اي وصلكم وجمعكم ومن قرء بالنصب فمعناه لقد تقطع الامر بينكم او تقطع وصلكم بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم ولم ينفعكم عبادتها وقيل معناه وما تزعمون من عدم البعث والجزاء وقد حث الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز ويدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات

قبل

ولكنا

يومئذ

قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم آيتان

القراءة قرء اهل الكوفة وجعل الليل سكنا والباقون وجاعل بالالف والرفع الليل بالجر **الحجة** قول من قرء وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق الحب فالق الاصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لان الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف فنصب تقر ليكون في تقدير اسم بانضمام ان فيكون قد عطف اسما على اسم وقوله ولولا رجال من رزام ومازن وآل سبيع او اسوءك علقما ومن قرء وجعل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل لموافقته له في المعنى ويدلك على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما امس فالدرهم محمول على اعطى لان اسم الفاعل اذا كان للماضي لم يعمل عمل الفعل فاذا كان معط بمنزلة اعطى كذلك جعل فالق بمنزلة فلق لان اسم الفاعل الماضي فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته **اللغة** الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لان الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كانه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبر والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روي عن الحسن انه قرء فالق الاصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرء به غيره

والسكن

والسكن الذي يسكن إليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب حسابا وحسبانا وحكي عن بعض العرب على الله حسبان فلان و حسبته أي حسابه والحسبان بالكسر جمع حسبانة وهي وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا أحسبه. الإعراب: النصب في الشمس والقمر محمول على فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسبانا وحسبانا المفعول الثاني منه ولا يجوز جاعل الليل سكنا لأن اسم الفاعل إذا كان للماضي لا يعمل عمل الفعل ويضمر له ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير. المعنى: ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير فقال سبحانه إن الله فالق الحب والنوى أي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه فالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنواة من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضا قائما بأنه حي فإذا يبس أو قطع أو قلع سموه ميتا وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وقد استقصينا معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذلكم الله أي فاعل ذلك كله الله فأنى تؤفكون أي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة إلى الباطل أفلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى وإخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته فالق الإصباح أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المفسرين وقيل معناه فالق الصباح عن ابن عباس وجاعل الليل سكنا تسكنون فيه وتستريحون عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين نبه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال والشمس والقمر حسبانا أي جعلهما يجريان في أفلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الاثني عشر في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما ويبني عليهما الليالي والأيام والشهور والأعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما فيهما من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية ذلك إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا تقدير العزيز الذي عز بسلطانه فلا يقدر أحد على الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم. قوله عز وجل: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون. القراءة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف. الحجة: قال أبو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك وجب أن يكون خبره المضمر منكم أي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر أي مستقر في الأرحام ومن فتح فليس على أنه مفعول لأن استقر لا يتعدى وإذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول وإذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا ألفا وأودعت زيدا ألفا فاستودع مثل أودع كما أن استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز أن يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فمن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه أي فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالمعنى منكم مستقر في الأرحام ومنكم مستودع في الأصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان. المعنى: ثم ذكر سبحانه ما يقارب معنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال وهو الذي جعل أي خلق لكم أي لنفعكم النجوم لتهتدوا بها إلى مقاصدكم وطرقكم ومواضعها في ظلمات البر والبحر لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الأسفار وفي البلاد وفي القبلة وأوقات الليل إلى الطريق في مسالك البراري والبحار قال البلخي وليس في قوله لتهتدوا ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها لأمور جليلة عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافعها في الشمس والقمر في نشو الحيوان والنبات علم أن الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلاف أماكنها معنى … قد فصلنا الآيات أي بيناها بالحجج والبينات لقوم يعلمون أي يتفكرون فيعلمون وهو الذي أنشأكم أي ابتدأكم وخلقكم من نفس واحدة أي آدم لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاعه … التواد والتعاطف فمستقر ومستودع قد ذكرنا الحجة والاختلاف في معناه فقيل مستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث تموت وحيث تبعث عن أبي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد: وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع. وقال سليمان بن يزيد العدوي في هذا المعنى: فجع الأحبة بالأحبة قبلنا فالناس مفجوع به ومفجع مستودع أو مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع. قد فصلنا الآيات أي بينا الحجج وميزنا الأدلة لقوم يفقهون مواقع الحجة ومواضع العبرة وإنما خص الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثا على النظر وتنبيها على أن كلا منهما آية ترد لأنه يدل على توحيده وصفاته العلى. قوله تعالى: وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. القراءة: قرأ أبو بكر عن عاصم ورواية أبي يوسف الأعشى والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله

بن مسعود والأعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقون وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرأ الباقون ثمره بفتحتين. الحجة: من قرأ وجنات عطفها على قوله خضرا أي فأخرجنا من الماء خضرا وجنات ومن رفع وجنات فإنه حملها على قوله قنوان لفظا وإن لم يكن من جنسها كقول الشاعر: متقلدا سيفا ورمحا. ومن قرأ إلى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرأ ثمره فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون على ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب وأكمة وأكم قال الشاعر: نحن الفوارس يوم ديسقة المغشو الكماة غير لابسي الأكم. ونظيره من المعتل نارة ونور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر: وكان سنان الأير حول فنائها أو ليسحوه بها أغبرت السوح. والآخر أن يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع. اللغة: خضر بمعنى أخضر يقال أخضر فهو خضر وأخضر كما يقال أعور فهو عور وأعور وفي الحديث إن الدنيا حلوة خضرة أي غضة ناعمة وذهب دمه خضرا مضرا أي باطلا وأخذ الشيء خضرا مضرا أي بغير ثمن وقيل غضا طريا وفلان أخضر الجلدة وأخضر المنكب أي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب: وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب برسول الله وابني عمه وبعباس بن عبد المطلب. وكتيبة خضراء إذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمي الأسود أخضر وتسمي سواد العراق لكثرة خضرته والمتراكب المتلاحم من الركوب وطلع النخل أول ما يبدو من ثمره وقد أطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين أي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمها لغتان وقيل إن تثنيته قنوان لغة تميم ودانية قريبة التناول والينع النضج يقال ينع الثمر ينعا وينوعا وأينع إذا أدرك قال الشاعر: في قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا. وقيل إن الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر. المعنى: ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الذي أنزل من السماء ماء يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فأظلك فهو سماء فأخرجنا به نبات كل شيء المعنى فأخرجنا بالماء الذي أنزلنا من السماء من غذاء الأنعام والطيور والوحش وأرزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويريد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل أن يكون المراد فأخرجنا به جميع أنواع النبات فيكون كل شيء هو صنف النبات كقوله إن هذا لهو حق اليقين عن الفراء والأول أحسن وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سببا … إلى النبات لا مولدا له وقد كان يمكنه الإنبات بغيره فلا يقال إنه فعله بسبب مولد فأخرجنا منه أي من الماء وقيل من النبات خضرا أي زرعا رطبا أخضر وهو ساق السنبلة نخرج منه أي من الخضر حبا متراكبا قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والشعير وغير ذلك ومن النخل أي ونخرج من النخل من طلعها قنوان أي أعذاق الرطب دانية أي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلا على البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة فاجتزأ بذكر القريبة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لأن في الكلام دليلا على أنها تقي البرد لأن ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الأرض لكثرة ثمرها وثقل حملها … ومن النخل من طلعها ما قنوانه بعيدة وإنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية الشريفة التي ليست في كمال الثمار وجنات من أعناب يعني وأخرجنا به أيضا جنات من أعناب أي بساتين من كروم … ونخرج به جنات من أعناب والزيتون والرمان أي فأخرجنا به الزيتون والرمان أي شجر الزيتون والرمان وعني بالزيتون والرمان لأنهما شجرتان تعرفهما العرب بورقهما أنها تشتمل على الغصن من أوله إلى آخره قال الشاعر: بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون. ومعناه أن ورقهما يشتمل على العود كله مشتبها وغير متشابه أي مشتبها شجره ويشبه بعضه بعضا وغير متشابه في الطعم قيل مشتبها ورقه مختلفا ثمره عن قتادة وقيل مشتبها في الخلق مختلفا في الطعم وقيل مشتبها ما كان من جنس واحد وغير متشابه ما اختلف جنسه عن الجبائي والأولى أن يقال إن جميعها يشتبه من وجه ويختلف من وجه فيدخل فيه جميع ما تقدم انظروا إلى ثمره إذا أثمر أي انظروا إلى خروج الثمار نظر الاعتبار وينعه أي نضجه ومعناه انظروا إلى ابتداء خروج الثمر إلى انتهائه إذا أينع وأدرك كيف تنتقل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر لتستدلوا بذلك على أن له صانعا مدبرا إن في ذلكم لآيات أي في خلق هذه الثمار والزروع مع اتفاق أصولها واختلاف الخلقة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على أن لها خالقا قادرا على التمييز بينها قبل خلقها عالما بها أنها تكون على ما تكون بخلقه وتدبيره لقوم يؤمنون لأنهم بها يستدلون وبمعرفتهم مدلولاتها ينتفعون. قوله عز وجل: وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم. القراءة: قرأ أهل المدينة وخرّقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف. الحجة: قال أحمد بن يحيى خرق واخترق بمعنى كذب وقال أبو الحسن الخفيفة أعجب إلي لأنها أكثر والمعنى في القراءتين كذبوا والتشديد للتكثير … وخرقوا بالحاء والفاء وهذا شاهد بكذبهم أيضا مثله يحرفون الكلم عن مواضعه. اللغة: البديع بمعنى المبدع والفرق بين الإبداع والاختراع أن الإبداع فعل ما لم يوجد لسبب ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه إحداث ما لم يسبق إليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير محل القدرة وعليه القادر بقدرة إما أن يفعل مباشرا وهو ما ابتدئ في محل القدرة أو متولدا وهو ما يوقع بحسب فعل … ولا يقدر على الاختراع … الإعراب: نصب الجن من وجهين أحدهما أن يكون مفعولا أي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا والآخر أن يكون الجن بدلا من شركاء ومفسرا له وبديع السموات رفع على المدح كأنه قال بديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السموات ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره أنى يكون له ولد وإنما … بديع وهو فعيل لأنه معدول عن مفعل الصفة … إذا لم تكن معدولة لم تتعد نحو طويل وقصير. المعنى: ثم رد الله سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبينات فقال وجعلوا يعني المشركين لله شركاء الجن أخبر الله سبحانه أنهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم لله أندادا كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا أراد بالجن الملائكة وإنما سماهم جنا لاستتارهم عن الأعين هذا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا عن قتادة والسدي وقيل إن قريشا كانوا يقولون إن الله تعالى قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد بالجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوهم

الشياطين في عبادة الاوثان عن الحسن خلقهم الهاء والميم عائدة اليهم اي جعلوا الله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز ان يكون الهاء والميم عائدة على الجن
فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز ان يكون المعنى وخلق الجن والانس جميعا

ومنويت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير الاولين للعز البصرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو والبصائر جمعها البصير بقدر الذين
الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثار والدية

ناعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه فذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين لان ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى ما دعا الى
معصيته لكنه نهى عنها وذم فاعليها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي فذلك لا يدل على ان المراد بالآية تزيين
اعمال الطاعة ثم الى ربهم مرجعهم اى مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى باعمالهم من الخير والشر فنهى الله سبحانه فى هذه الآية عن سب الاصنام لا يؤدى ذلك الى سبه فاذا
كان سبحانه لا يريد ما يكون سببا الى سبه فلان لا يريد سبه نفسه اولى واجدر وايضا فاذا لم يرد سب الاصنام اذا كان يؤدى الى الكفر فكفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم اجدر
فبطل قول المجبرة قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون القراءة قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم بخلاف عن الكسائى وخلف انها بكسر
الالف وقرأ الباقون انها بفتح الالف وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقون بالياء لا يؤمنون بالياء فى الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الاعمش الحجة قال
ابو على وما يشعركم ما فاعل يشعركم ضمير اسم الله ولا يجوز ان يكون فيه ما لان الفعل يبقى بلا فاعل فان قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله قيل
ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لان الله قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا اسند الى يكون ما النفى فيجب
انها لا يستقيم ... ويكون المعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير قال انهم لا يؤمنون مع مجيء الآية فمن
كسر الهمزة فانه استأنف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم منقولا من شعرت به مثل دريته ودريت به ...
فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان فى قول من لم يجعلها بمعنى لعل فى موضع جر لان الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون فى موضع نصب والوجه فى هذه القراءة
تأويلين احدهما ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر هو ابن زيد العمى ذريني اطوف فى البلاد لانني ارى ما ترين او بخيلا مخلدا وقال هل انتم عايجون بنا لانا نرى الرمل
آثار اخيا وقال عدى بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتى الى ساعة فى اليوم او فى ضحى الغد اى لعل منيتى فالمعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره
الخليل بقوله ائت السوق انك تشترى لنا شيئا اى لعلك وقد جاء فى التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتأويل
الآخر الذى لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان تكون لا فى قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه فى كونها فى تأويل زائدة وفى
آخر غير زائدة قول الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله يريد لا يمنع الجائع الخبز يريد ابى جوده لا البخل ومن نصب البخل
جعلها زائدة كانه قال ابى جوده البخل ومن جر البخل اضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالتاء انه انصرف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب
الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فانه اسكن الراء تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة
تقول اجهد يمينه اى بالغ فى اليمين واجتهد وجهد ايمانهم منصوب على المصدر لانه مضاف الى المصدر ... الايمان جمع اليمين واليمين
والتقليب ... واقسموا بالله جهد ايمانهم النزول قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان ثمود كانت لهم
ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله اى شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك احق
ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك او تأتينا بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن
فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله يدعو ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرئيل فقال ان شئت اصبح
الصفا ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله هذه الآية عن الكلبى ومحمد بن كعب القرظى المعنى ثم بين سبحانه حال الكفار
الذين سألوا الآيات فقال واقسموا اى حلفوا بالله جهد ايمانهم اى مجتهدين مجدين مظهرين الوفاء به لئن جاءتهم آية مما سألوها ليؤمنن بها قل يا محمد انما الآيات
اى الاعلام والمعجزات عند الله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم فى انزالها لانزلها وما يشعركم الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد
وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره لانهم ظنوا انهم لو جيئوا الى الآيات لآمنوا انها اذا جاءت لا يؤمنون تقدم معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم معناه
سبحانه انه تعالى يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم فى كيفية تقليبها فى جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به اول مرة فى الدنيا عن الجبائى
قال وجمع بين صفتهم فى الدنيا وصفتهم فى الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعنى فى الآخرة عاملة ناصبة يعنى فى الدنيا الآخر ان المعنى نقلب افئدتهم وابصارهم
بالحيرة التى تعم وتزعج النفس وقوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله ... والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم علم
ان فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسألة وقلب هذا الامر اذا عرف حقيقته ووقف عليه وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا
بما انزل الله من الآيات اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ... الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا كما لم يؤمنوا اول مرة فى الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن
عباس فى رواية اخرى وقيل معناه يجازيهم فى الآخرة كما لم يؤمنوا به فى الدنيا عن الجبائى والهاء فى به يحتمل ان يكون عائدة الى القرآن وما انزل من الآيات ويحتمل ان
يكون عائدة الى القرآن وما انزل من الآيات ويحتمل ان يكون عائدة الى النبى ونذرهم فى طغيانهم يعمهون اى نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينهم
وبينه يعمهون يترددون فى الحيرة قال الحسين بن على المغربى قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين
اى نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون آية القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين ههنا وفى الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ ابو جعفر
ههنا بكسر القاف وفى الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف فى الموضعين وقرأ اهل الكوفة بضم القاف فى السورتين الحجة قيل يحتمل ان يكون

جمع

جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسره ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اى مواجهة كما فسره ابو زيد فى قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا
مقابلة وقبلا لكل واحد وهو المواجهة فالمعنى فى القراءتين على قوله واحد وان اختلفت الالفاظ اللغة الحشر الجمع مع سوق كل جمع حشر المعنى ثم بين سبحانه
حالهم فى عنادهم وترددهم فى طغيانهم وكفرهم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يروهم عيانا فيشهدون لنبينا بالرسالة وكلمهم الموتى اى واحيينا الموتى حتى كلموهم
بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شيء اى كل آية وقيل كل ما سألوه قبلا اى معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه
من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يكون فى المشاهد التى لا تبقى فيها شك مثله قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اى قبيلا
قبيلا عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذى هو الصنف وانما كانت ... هذه الآية لا ... العرب جمع جميع الاشياء وتحشر الى موضع قبيلا
كفيلا عن الفراء وهذا الوجه بعيد لانهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل شيء
المحشورة فما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة فما لا ينطق كان خارقا للعادة ما كانوا ليؤمنوا عند هذه الآيات الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو
المروى عن اهل البيت والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرههم ولكن اكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية
ما آمنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فائدة فيه وفى الآية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا
لفعل ذلك لكان ذلك من الواجب فى حكمته لانه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بانه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على
ان ارادته محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله ولا
ان يقدر الله ... هاتين الصفتين فيما لم يزل ... قبل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لانه سبحانه علم انه لم يشأ فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا
على المشيئة وكانت الآيات لم تكن فى هذا ابطال للآيات قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون آية القراءة
فى الشواذ عن الحسن ولتصغى اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام فى الجميع القراءة بكسر اللام فى سائرها الحجة قال ابو الفتح هذه اللام هى الجارة اعنى لام كى
وهى معطوفة على الغرور من قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اى للغرور ولان تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا الا ان اسكان
هذه اللام شاذ فى الاستعمال على قوته فى القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم فى لام الامر نحو قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وانما اسكنت تخفيفا
لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كى بان لم يسكنوها كانهم اختاروا تسكين لام الامر والتحريك للام كى من حيث كانت لام كى نائبة فى اكثر الامر عن ان
كان سيفعل ذا قلت ما كان ليفعل ... مع اللام البتة فلما نابت عنها قووها باقرار حركتها فيها لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بان ينوب عن
غيره من الاضعف اللغة الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفى الحديث انه لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحى وقيل كانت
نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها فقيل اراد بالزخرف الذهب والغرور فانه ظاهر تحته باطن مكروه والشيطان لانه يحمل على محاب النفس ...
وتبع الغرور ما لا يكون على ثقة وتصغى اليه ... صغوا ... بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ...
... ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله يصغى الاناء للهرة والاصل فيه الميل الى الشيء
لغرض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال خرج يقترف لاهله اى يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفنى بالذنب اى اتهمنى به ...
مما ادعاه عليه ... الاعراب نصب عدوا على انه احد مفعولى جعلنا ... ان يكون مفعولا وجعلنا وشياطين بدل منه وفيه
وعدوا فى معنى الاعداء ... ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا اى اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر
من معنى الفعل المتقدم لان معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جنى وقيل نصب على البدل من
زخرف عن ابى مسلم المعنى ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الانبياء مع اعدائهم تسلية لنبيه فقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن اى
وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبياء واممهم وقيل فى معنى قوله وجعلنا ههنا وجوه احدها ان المراد كما امرناك بعداوة
قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك بمعاداة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الامير لجماعة
عسكره جعلت فلانا قرنك فى المبارزة وانما يعنى بذلك انه امره بمبارزته فقد جعل من بارزه قرنا له وثانيها ان معناه حكمنا بانهم اعداء
واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء فى الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضى فلانا عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالته
وفسوقه وثالثها ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لان ذلك يزيل التكليف ورابعها انه سبحانه انما اضاف ذلك الى
نفسه لانه سبحانه لما ارسل اليهم الرسل وامرهم بدعائهم الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان نصبوا عند ذلك العداوة لانبيائه ومثله
قوله سبحانه مخبرا عن نوح فلم يزدهم دعائى الا فرارا والمراد بشياطين الانس والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين
يغوونهم شياطين الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدى وعكرمة وفى تفسير الكلبى عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا
الى الجن فشياطين الجن والانس اعداء الرسل والمؤمنين فيلتقى شياطين الانس وشياطين الجن فى كل حين فيقول بعضهم لبعض اضللت صاحبى بكذا فاضل صاحبك
بمثلها فكذلك يوحى بعضهم الى بعض وروى عن ابى جعفر ... انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى اليه ما يغوى به الخلق حتى يتعلم بعض من بعض

ما يتخيّر يوحي يوسوس يلقي خفية بعضهم الى بعض زخرف القول المموّه المزيّن الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اي يغرّونهم بذلك غرورا و
ليغرّهم بذلك لو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك لو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكن خلّى

[illegible]

[illegible]

القرآن وقيل انه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية الا ما اضطررتم اليه معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع في تركه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمق وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر وان كثيرا ليضلون باهوائهم اي باتباع اهوائهم ومن قرأ بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول به في امثاله كثير وانما جعل النكرة اسم ان لان الكلام لما طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي اتركوا الاثم مع قيام الدلالة على كونه اثما ونهى عن ركوبه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم هو الزنا والباطن اتخاذ الاخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم امرأة الاب بالنكاح والباطن الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان اهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا اظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن اثما ذكره الضحاك والاصح القول الاول لانه يعم الجميع ان الذين يكسبون الاثم اي يعملون المعاصي التي هي الآثام ويرتكبون القبائح سيجزون اي سيعاقبون بما كانوا يقترفون بما كانوا يكتسبونه ويرتكبونه **قوله تعالى** ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون آية **المعنى** ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه يعني الذبائح ٤٠
من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لانه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها وانه لفسق يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم كل الذبائح ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لانهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك التسمية عمدا او نسيانا عن الحسن وابن سيرين وقيل يحل اكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا وان الشياطين يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم ليوحون اي يومئون ويشيرون الى اوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار ليجادلوكم في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونه انتم ولا تأكلون مما قتله الله وقتل الله اولى بالاكل من قتلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم اليهم قال ابن عباس معناه ان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحي القاء المعنى الى النفس من وجه خفي وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه وان اطعتموهم ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة وغيره انكم لمشركون لان من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها مختارا فهو فاسق عن الحسن وجماعة المفسرين وقال عطاء انه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها للاوثان **قوله تعالى** او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون آيتان **القراءة** قرأ اهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون ميتا بالتخفيف **الحجة** قال ابو عبيدة الميتة مخففة ومعناهما واحد قال ابو الحسن ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء والمحذوف من البابين الثانية المنقلبة عن الواو واعلت بالحذف كما اعلت بالقلب **اللغة** الاكابر جمع الاكبر وقد قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا الخمر واللحم السمين احبه والزعفران فلا ابيت مرقعا واصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة اي مفتولة البدن فكان المكر معناه الفتل الخلاف الرشد **الاعراب** ومن في هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وحذف ما يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين اكابر مجرميها يجوز ان يكون منصوبا على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه **النزول** الآية الاولى منها قيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل آذى رسول الله فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء ومعه قوس فضرب بها رأس ابي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا اولى لانه اعم فائدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة **المعنى** ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فاحييناه بان هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والايمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فاحييناه كقوله وكنتم امواتا فاحياكم وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قيل فيه وجوه احدها ان المراد بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم يهتدي به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات وثانيها ان المراد به الايمان عن ابن عباس كمن مثله في الظلمات لم يقل كمن هو في الظلمات لان تقديره مثله كمن مثله في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ليس بخارج منها لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل فيها انما سمى الله تعالى الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحياته ولا يتشوق الا من الميت لانه لا يوجد من الميت طاعة عليه ولا ينتفع بغيره وسمى المؤمن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى وقوله لينذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمى القرآن والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لان الكافر لا يهتدي به ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى الكافر اعمى في قوله

١٠١ ص

افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وجه التشبيه بالكافرين مثل ما زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لاولئك الايمان فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين بحال اولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وقد روي عن الحسن انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وبقوله زين لا يقتضي من زين غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى في يضعفونه وان يوفه فتكون قول العرب اعجب فلان بنفسه كذا ومثله كثير وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك من زين للكافرين عملهم وقيل في ذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها جعلنا في المكرمين المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لان في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وانما خص اكابر المجرمين بذلك دون الاصاغر لانه اليق بالاستدلال على الجميع لان الاكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر واللام في قوله ليمكروا فيها لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا قال الشاعر فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدا وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون لان عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها كما يصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية ان اكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على المغالبة لله اذ لم يكن سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المبالغة **قوله عز وجل** واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون آية **القراءة** قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد بنصب التاء والباقون رسالاته على الجمع **الحجة** من جمع فلان الرسل انه تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما اختلف من انواع الرسالة **اللغة** الصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا **الاعراب** الله اعلم حيث يجعل رسالته لا يخلو حيث من ان يكون ظرفا منصوبا على المفعول به فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه يصير المعنى الله اعلم في هذا الموضع وفي هذا الوقت ولا يوصف تعالى بانه اعلم في موضع وفي وقت دون وقت كما يقال زيد اعلم في مكان كذا او اعلم في زمان كذا واذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون حيث هنا ظرفا واذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها كما كان الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال اعلم من ضل عن سبيله في موضع اعلم من يضل عن سبيله فمن يحمل نصبه على فعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمول اعلم لان المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه وانما تعمل فيها الافعال التي تلغى فتعلق كما تلغى وقيل ذلك في انه لا يكون الا محمولا على فعل قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعاني لا تعمل في المفعول به ومما جعل حيث فيه اسما ما انشده ابو عمرو من قول الشاعر كان فيها حيث المنطق حقفا نقا مالا على حقف نقا الا رواح حيث هنا موضع نصب بكان على انه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها وانشد ابن الاعرابي بيتا آخر في الخبر وانشد ايضا ابو سعيد ابو علي في الاخراج حيث من حد الظرفية الاختصاص بالى الحد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخا يقل القمل حيث الحزام عقد عند الحصى اذ لحيث يكون بمنزلة الكل ومن ذلك قول الفرزدق فنحن بعد بارضنا باعزة رفاق وعلى حيث تكبر عجب وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصل بيصيب اي سيصيبهم عند الله صغار ويجوز ان يكون عند متصلا بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد يحضره عمرو وقال ابو علي اذا قلت زيد عند عمرو فالصغار لم يحتج الى تقدير في الكلام لكن تقدير المصدر ثابت له ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغر واعند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت صغار الموصوف بعند لم يكن عند معمول الصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف ولا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون في الاصل صفة ثم حذف واقيم الظرف مقام الدلالة عليه وهذا كقولك انت بك الصغر هذا رجل عندك والمعنى ثابت عندك او مستقر عندك وكلا الوجهين جائز **النزول** نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت في ابي جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل **المعنى** ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال واذا جاءتهم آية اي دلالة معجزة من عند الله تعالى دالة على توحيده وصدق نبيه قالوا لن نؤمن اي لن نصدق بها حتى نؤتى اي نعطى آية معجزة مثل ما اوتي اي اعطي رسل الله حسدا منهم للنبي ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته لانه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالته ويتعلق مصالح الخلق ببعثته والله يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداء ما يحتمل بالحقه من المشقة والاذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال سيصيب الذين اجرموا اي انقطعوا الى الكفر وادوا عليه يعني بهم المشركين من اكابر القرى الذين تقدم ذكرهم صغار عند الله اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله ويصيبهم ان يصغروا عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون في الدنيا الجزاء على مكرهم **قوله عز وجل** فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون آية **القراءة** قرأ ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها هنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد **الحجة** الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج فقد جعله وصفا بالمصدر كما قيل قمن وفرد ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من

الصعود من قرية صعدا او يصعد فادغم ومعنى يصعد انه يثقل الاسلام عليه فكانه يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شيء كقولهم يتجرع ويتحسى ونحو ذلك مما يفعل
شيئا بعد شيء ويتصاعد مثل يتعقد في المعنى ونحوه مثل تفاعل وتضاعف [illegible] من المستقر وصعود التي من ذلك قوله سأرهقه صعودا
[illegible] صعود [illegible] عذابا صعودا وعقبة صعود اي شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما يتصعدني شيء كما يتصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي شيء مشقتها
اللغة الحرج والحرج ضيق الضيق وقال ابو زيد حرج عليه السحر يحرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر فحرم عليه [illegible] حرجت على المرأة الصلوة حرمت
بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الامر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معنى الهداية والهدى والضلال والاضلال في سورة البقرة ومما يجوز
[illegible] الامرين [illegible] لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين المعنى لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقيبه ما يفعله سبحانه بكل من
الفريقين فقال فمن يرد الله ان يهديه قد ذكر في تاويل الاية وجوه احدها ان معناه من يرد الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره للاسلام في الدنيا بان يثبت
عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وانما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه
بهدى الله وقبوله اياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا اي ومن يرد
ان يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقا حرجا عقوبة له على ترك الايمان من غير ان يكون سبحانه منعه عن الايمان وسلبه القدرة عليه بل ربما

[illegible]

[illegible]

هذه

هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لانه لم يكن كما في قول الشاعر في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وان المفتوحة لا بد لها من ص ٤٠٤
اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء وهي انما بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج الى الهاء لانها بمعنى ما يكون من حروف الابتداء فلا تحتاج الى
اضمار وانما لم يبن بين كل لانه حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد لان ما حذف منه المضاف اليه من قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فانه لا
يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه احوج الى البناء وليس كذلك كل لانه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن المعنى ثم
عز وجل مما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر الجن والانس والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف ومنها العشرة لانها تمام
العقد الم يأتكم رسل منكم هذا احتجاج عليهم بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتأكيدا للحجة عليهم وانما قال منكم وان كان خطابا لجميعهم لان الرسل
الانس خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الآخر كما قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب كما يقولون اكلت
الخبز واللبن وانما يؤكل الخبز ويشرب اللبن فهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه رسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كانت الرسل يرسلون ٧ رسل الانس كما رسل الجن
الى الانس ثم بعث محمد الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن قال مجاهد الرسل من الانس
والنذر من الجن يقصون عليكم آياتي اي يقرؤن عليكم آياتي اي حججي وبيناتي وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا
اليوم وحشره ولكم منه تعيين يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترفنا بذلك وغرتهم الحياة الدنيا
اي زينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم في الآخرة انهم كانوا كافرين في الدنيا اي اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العذاب والعقاب ذلك حكم الله
تعالى ان لم يكن ربك اي لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون وهذا يجري مجرى التعليل اي لاجل انه لم يكن الله تعالى يهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى
يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا
لان ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزيهه تعالى عنه ولكل اي ولكل عامل من واهلها مصلحون
طاعة او معصية درجات مما عملوا اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازيه عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج
في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا
لصفة اهل الجنة وما ربك يا محمد وايها السامع بغافل عما يعملون اي لا يشذ شيء من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه ١٠ اي ساه
وتذكير للخلق من كل امورهم قوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت
وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم
مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء الحجة من قرأ مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر
في اكثر الامر مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما ان حلسوا في الندى فاحلام عاد ... من قرأ من يكون بالياء فلان
العاقبة مصدر كالعافية وتأنيثه غير حقيقي فمن ذكر فهو كقوله فاخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين جائز اللغة
الانشاء الابتداء انشأ الله الخلق اي خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم انشأ فلان قصيدة والانشاء الاحداث من اول ولا يقال نصيب ولولا ان يقال اصبا نصيبا
لقلت بمعنى انشأ الصغار وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد لان الوعد في الخير والايعاد في الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان
من قوم مكناء وقد مكن مكانة الاعراب الكاف في قوله كما انشأكم في موضع نصب اي مثل ما انشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم اعطيتك
من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبدلا منه ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله انما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار
في موضع رفع بالابتداء وخبره يكون له عاقبة الدار وتقديره اينا تكون له عاقبة الدار ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بتعلمون فيكون بمعنى
الذي المعنى لما امر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين انه لم يأمر بها لحاجة لانه يتعالى عن النفع والضر فقال وربك اي خالقك وسيدك الغني عن
عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم لان الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة ذو الرحمة اي صاحب النعمة على
عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم لان انعامه وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال ان يشأ يذهبكم اي يهلككم
وتقديره يذهبكم بالاهلاك ويستخلف من بعدكم ما يشاء اي وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكونون خلفاء لكم كما انشأكم في الاول من ذرية قوم آخرين تقدموكم
وهذا خطاب لمن تقدم ذكرهم من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف خلقا آخر كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوما
آخر لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الآية دلالة على ان خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس لم يفعل ذلك انما
توعدون من القيمة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدركات لآت لا محالة وما انتم بمعجزين اي فائتين
فيقال فلان يعجز فلانا يقال يعاجز من ملكه وقدرته والاعجاز ان يأتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى
لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب قل يا محمد لهم يا قوم اعملوا على مكانتكم اي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه
من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالكم عن الجبائي اي اقيموا على حالكم التي انتم عليها فاني مجازيكم اني عامل الخير

عمل الخير

ص ٤٠٥ عن النبي اني عامل بما امرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والاول الصحيح فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار اي فستعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفر
الظالمون بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لانه سبحانه قال في موضع والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم قوله
عز وجل وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون آية القراءة قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهو قراءة يحيى بن ثابت والاعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي الحجة والفُتك
القول فيه انهما لغتان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفتك والفتك والفتك والود والود والود اللغة الذرء الخلق على وجه الاختراع واصله الظهور ومنه ملح
ذرآني وذرآني اي ظهر بي وسمي والذرأة ظهور الشيب قال وقد علتني ذرأة بادي بدي وذرأت الحنطة اذا ثبت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام الاخفاء
جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطء ولا يقال للذوات الخف الا انعام المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه وجعلوا لله اي كفار
مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم مما ذرأ من الحرث اي مما خلق من الزرع والانعام اي المواشي من الابل والبقر والغنم نصيبا اي حظا
وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو وجعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الاوثان وانما جعلوا الاوثان شركاءهم لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها فشاركوها في نعمهم فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل في معناه اقوال
احدها انهم كانوا يزرعون لله زرعا وللاصنام زرعا فكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه
اليها ويقولون ان الله غني والاصنام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للاصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا لله وقالوا هو غني وكانوا يقسمون
النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره وثانيها انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام
بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما جعل لله بما جعل للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا انخرق الماء من الذي لله في الذي للاصنام لم يسدوه واذا انخرق من الذي
للاصنام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغنى عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ائمتنا وثالثها انه كان اذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه مما جعل لله واذا هلك
ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل للاصنام عن الحسن والسدي ساء ما يحكمون اي ساء الحكم حكمهم هذا قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم
ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون آية القراءة قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم
بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع الحجة شركاؤهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعول ولا يجوز ان يكون
شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم لان زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم واضيف المصدر الذي هو قتل الى
المفعولين الذين هم الاولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف من المصدر الفاعل في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير واما قراءة ابن عامر ٧ وتقديره ان قتل شركائهم اولادهم
وكذلك زين فانه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل واضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فالاسم الله هنا فاعل
كما ان الشركاء في الآية فاعلون في المصدر فاضافه الى الشركاء الذين هم فاعلون في المعنى قتل شركائهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعوله والمفعول
مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بحوزي المراتع لم يرع بواديه من قرع
القسي الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه في هذه الآية قراءة اخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وهو قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كانه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه فقال ٣ ليبك يزيد قيل
زينه شركاؤهم ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه لما قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع اللغة الارداء الاهلاك
والردى الهلاك يقال ردي يردى اذا هلك وارديته اهلكته والمرداة الحجر يرمى به لانه يهلك المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وكذلك اي وكما جعل
اولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك زين لكثير من المشركين اي مشركي العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات ووأدهن احياء
خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الاوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من
الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت كل امرأة منهن
عشيرتها غير ابنة قيس فانها ارادت من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم ليردوهم اي ليهلكوهم واللام لام العاقبة ٧ اي ليخلطوا عليهم دينهم
لانهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب وليلبسوا عليهم دينهم اي ليخلطوا
عليهم الشبهات فيه ولو شاء الله ما فعلوه معناه ولو شاء الله ان يمنعهم من ذلك ويضطرهم الى تركه لفعل او فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون
ذلك منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اي اتركهم وكذبهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فانه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل
دعه وما اختاره وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله تعالى وقالوا هذه انعام
وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون آية القراءة
قرئ في الشواذ حرج بتقديم الراء عن ابي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار الحجة الحرج يمكن ان يكون معناه الى الحجر فانهما يرجعان
الاصل الى معنى الضيق فان الحجر سمي حجرا لضيقه والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب اللغة الحجر الحرام العقل

العقل وقال ان حجر القاضي من حجرت حجر الشيء فمنع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المراة وحجرها بالفتح والكسر حضنها الاعراب افتراء منصوب بقولوا لا يذكرون له
وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكانه قال يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة اخرى من عقائدهم الفاسدة فقال وقالوا
يعني المشركين هذه انعام اي مواشي وهي الابل والبقر والغنم وحرث زرع حجر اي حرام عنى بذلك الانعام والزرع اللذين جعلوهما لالهتهم وطواغيتهم لا يطعمها الا
من نشاء بزعمهم اي لا ياكلها الا من نشاء ان ناذن له في اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة
اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعني الانعام التي حرموا الركوب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي
٢ طائفة ج حمى ظهره اذا ركب ... فلا يركب لا يحمل عليه وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها عن
مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها ... وقيل هي التي اذا ذكوها اهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك افتراء عليه اي كذبا

[illegible]

[illegible]

ما يحمل عليه من الإبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية أخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد وعن ... الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر
والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية أخرى فكأنه ذهب إلى أنه يدخل في الأنعام الحافر على وجه التبع ... ينتفعون به
في الحمل وما يفرش للذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن أبي مسلم قال وهو كقوله فإذا وجبت جنوبها وعن الربيع بن أنس أن الفرش ...

[illegible]

وإنا لصادقون فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ... اللغة ... الظفر ...

[illegible]

على ما قالوه فلله الحجة البالغة والحجة البينة الصحيحة المصححة للاحكام وهي التي تقصد الى الحكم بشهادة مأخوذة من حج اذا قصد والبالغة هي التي تبلغ قطع عذر
المحجوج بان تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدي الى العلم فلو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء
لالجاكم الى الايمان وهداكم جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان يفعله حسنا لان الالجاء ينافي التكليف فهذه المشيئة تخالف المشيئة المذكورة في
الآية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالاولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الالجاء وقيل ان المراد لو شاء
لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء به ولو كان الامر على ما قاله اهل
الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكافر على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لان الطاعة هي امتثال الامر المراد
لا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراده منهم فاي حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم منسد غير
ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذا صفته فهو فاسد لا محالة فقال قل يا محمد هلم شهداءكم اي احضروا وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعونه
من ان الله حرم هذا اي هذا الذي ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها فان شهدوا فلا تشهد معهم معناه فان لم يجدوا
شاهدا يشهد لهم على تحريمها فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم انما نهاه عن الشهادة معهم لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم
قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم ان يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك شهدوا لانفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد اي انتم تشهدهم
لانها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداءكم من غيركم ولم يكن يجد غير العرب ليشهد على ذلك لانه كان للعرب شرايع شرعوها لانفسهم
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا الخطاب للنبي والمراد به متابعه اي لا تعتقد مذهب من يعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يحبو
بهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منه ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التي تلحقه فيعتقد الذي
الفاسد ومنها ان يكون نشا على شيء والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك تمييز مما يستحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالآخرة اي ولا تتبع اهواء
الذين لا يؤمنون بالآخرة انما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لان منهم من يكون مع الاقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب ومنهم من يكون مع الانكار
كحال عبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا وهو المثل وفي الآية دلالة على فساد التقليد لانه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم بالحجة وعجزهم
عن الاتيان بها ودلالة على بطلان قولهم وايضا فانه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى **قوله تعالى** قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا
به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون آية **اللغة** تعالوا مشتق من العلو على تقدير ان الداعي في المكان العالي وان كان في مستو من الارض كما
يقال للانسان ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الاول
والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لانه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع في العطية
والفواحش جمع فاحشة وهو القبح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك
الفاحش **الاعراب** ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل والمعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز ان يكون في موضع نصب بحرم
لان التلاوة بمنزلة القول فكانه قال اقول اي شيء حرم ربكم عليكم اهذا ام هذا فجائز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا
ويكون الا تشركوا منصوبا بمعنى طرح اللام اي ابين لكم الحرام لان لا تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه
فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون الا تشركوا به شيئا محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم الا تشركوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون
على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين احسانا هذا كله قول الزجاج وتشركوا يجوز ان يكون منصوبا
بان ويكون لا للنفي ويجوز ان يكون مجزوما بلا على النهي واذا كان منصوبا فيكون قوله ولا تقتلوا اولادكم عطفا بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الا ضعفها يجوز ان يقف على عليكم ثم يبتدئ بان لا تشركوا اي هو ان لا تشركوا اي هو
الاشراك اي المحرم الاشراك ولا زائدة زيدت ويجوز ان يكون ما استفهاما فيقف على قوله ربكم ثم يبتدئ فيقول عليكم ان لا تشركوا اي عليكم ان لا تشركوا اي
عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل تعالوا عند قوله بلقاء ربهم لا يؤمنون لان قوله وان هذا صراطي مستقيما فيمن فتح معطوف على قوله
ما حرم اي اتل هذا وهذا وعن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم آتينا اي وقل آتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول المعنى **المعنى** ثم بين سبحانه
ما حرمه عليهم وما حرمه وعقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه قل يا محمد لهؤلاء المشركين تعالوا اي اقبلوا وادنوا اتل اي اقرأ ما حرم ربكم عليكم اي منعكم عنه بالنهي ثم
بالتوحيد فقال ان لا تشركوا به شيئا وتقديره فقولوا حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من الملل في الاعراب وقوله
ايضا ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا كقوله سبحانه عليكم انفسكم وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين احسانا والزموا وصوا بالوالدين حسنا
ويدل على ذلك ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة امر بالاحسان اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا
تقتلوا اولادكم من املاق اي خوف الفقر عن ابن عباس وغيره نحن نرزقكم واياهم اي فان رزقكم ورزقهم جميعا علينا ولا تقربوا الفواحش اي المعاصي القبائح كلها
ما ظهر منها وما بطن اي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السر بأسا ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه في الحالين عن ابن عباس والضحاك

٧ غيرهم

والسدي وروي مثله عن ابي جعفر عليه السلام ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالة وقيل ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وعلى
هذا العموم فائدة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق انما افرد قتل النفس بالذكر بعد دخوله في الفواحش تعظيما لشانه وتعظيما لامره والنفس المحرمة هي نفس
المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة اشياء القود والزنا بعد احصان والكفر بعد ايمان ذلكم خطاب لجميع الخلق اي ما ذكر في هذه
الآية وصاكم به اي امركم به لعلكم تعقلون اي لكي تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما احله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم على ان الوصية
مضمرة في اول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيئا دلالة على ان التكليف قد يتعلق بان لا يفعل كما يتعلق بالفعل على انه يستحق الثواب و
العقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب **قوله تعالى** ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا
نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون آيتان **القراءة** قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد
وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها كلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرآ بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن
عامر فانه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير صراطي بالسين وقرأ حمزة بين الصاد والزاي **الحجة** القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء
الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله لايلاف قريش الا ليعبدوا وقوله وان هذه
امتكم امة واحدة انا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا فيكون على تقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال وان
هذا فان الخفيفة في قوله تتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذا الشريطة تخفف وان الخفيفة
كالمكسورة اذا خففت على هذا قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل والفاء التي في قوله فاتبعوه على قوله من كسر عاطفة جملة
على جملة وعلى قول من فتح زائدة **اللغة** الاشد واحدها شد مثل الاشر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما
ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنترة عهدي به شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين لا واحد
فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضعفت العين تعدى الى مفعولين كما في قوله يذكرنا بنات حنين العجوز ونوح الحمامة
تدعو هديلا ويقول ذكره فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما ان تفاعل مطاوع فاعل **المعنى** ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلوه عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم المراد بالقرب
التصرف فيه وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه لا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد وتناول الرغبة اليه اسد فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله
وان كان ذلك واجبا في مال كل احد الا بالتي هي احسن اي بالخصلة او الطريقة الحسنى لذلك ثم قد قيل في معناه اقوال احدها ان معناه الا بتثمير ماله بالتجارة عن مجاهد
والضحاك والسدي وثانيها بان يأخذ القيم عليه بالاكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي وثالثها بان يحفظ عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف في معناه فقيل
انه بلوغ الحلم عن الشعبي وجماعة وقيل ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة اذا بلغ خمسا وعشرين
سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه
وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده فادفعوا اليه بدليل قوله ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا واوفوا الكيل والميزان اي اتموا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والوفاء من غير بخس لا نكلف نفسا الا وسعها اي ما لا يسعها الا ما يضيق عن معناه انه لما
كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى اي
فقولوا الحق ولو كان على ذي قرابة لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من اكد الدواعي
اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه ذا نسب او قرابة وهذا من الاوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة
حروفها الاقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعهد الله اوفوا يحتمل عهد الله وجهين احدهما
ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم وتقدم القول فيه والدلالة عليه والآخر ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى المراد
اوفوا بما عاهدكم الله عليه من ذلك ذلكم اي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل وحسبان البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على قدر
الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد ذلكم وصاكم الله سبحانه به لعلكم تذكرون اي لكي تذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل
به والقيام بما يلزمكم منه وان هذا صراطي مستقيما اي وبان هذا صراطي ومن خففه فتقديره ولان هذا صراطي مستقيما من كسر ان فانه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا
دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لان امتثال ذلك على ما امر به يؤدي الى الثواب والجنة فهو طريق
اليها والى النعيم فيها مستقيما اي قيما لا عوج فيه ولا اشتقاق فيه وهو منصوب على الحال فاتبعوه اي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته وحلوا حلاله وحرموا حرامه ولا
تتبعوا السبل اي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس فتفرق بكم عن سبيله اي تشتت
وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون اي لكي تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب
بيده ان هذا لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم عليكم ربكم الآيات قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا

٧ واحد منفرقة

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ القراءة في الشواذ قرائة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع الحجة قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لانه حذف المبتدأ العائد على الذي لان تقديره على الذي هو احسن وحذف هو من صلة الذي من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول بطال الاسم بصلته فحذفوا الهاء لذلك وليس المبتدأ بمنفعة ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسوى بالذي هو قائل لك وقال المرار مثل الفتيان في غير الايام ينسون ما عواقبها اي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاما وعواقبها خبرها كقولك قد علمت من ابوك وعلى الوجه الاول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول له وكذلك تفصيلا لكل المعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام والتفصيل انزلناه في موضع رفع بانه صفة كتاب المعنى ثم آتينا موسى الكتاب قيل معناه ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن وثم يقتضي التراخي وجوه احدها ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قل تعالوا اتل وثانيها ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب يكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب ويؤيده قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده ورابعها انه متصل بقوله في قصة ابراهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب فعدد سبحانه نعمه عليه بان جعل في ذريته من الانبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما آتى موسى من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي تماما على الذي احسن قيل فيه وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء وثانيها تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد يحذف من الذين كما في البيت وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ورابعها ان معناه تماما لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وخامسها ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي وسادسها ما قاله ابو مسلم انه متصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابراهيم لجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه لو قال تماما ولم يأت بعلى الذي احسن لم يدل على مضاعفة قيل وتفصيلا لكل شيء اي وبيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق وهدى اي ودلالة على الحق والدين يهتدى بها الى التوحيد والعدل والشرائع ورحمة اي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشانه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا وهذا كتاب يعني القرآن وصفه بهذا الوصف ليبين انه مما ينبغي ان يتبع لانه اجل الحكم انزلناه يعني انزل جبرئيل الى محمد فاضاف التنزيل الى نفسه توسعا مبارك وهو ما يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وتصلة النبوة ومنه بركات الفال في قوله وما يجيء من الخيرات الا بركات الفال اقرار ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله فاتبعوه اي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه واتقوا معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا وانما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما انهم اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما توافون في الآخرة والثاني اتقوا لترحموا اي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب قوله تعالى أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ آيتان الاعراب قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اي لان لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك وتكون الحال تنبئ عن الضمير فيقولون نصب تقولوا بانه معطوف على ان تقولوا اي لكراهة ان تقولوا وان تقولوا وانه مفعول له على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو في هذا لا يقع فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو فكانه قيل ولو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا على ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال ابو عمرو كم غلو ابن بني بجيلة ادنى لجولو الى بني لخوم المعنى ثم بين سبحانه انه انما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يا اهل مكة ولئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اي انزلنا عليكم هذا الكتاب ليقطع حجتكم وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم لم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لانهم كانوا اهله دوننا ولو بعث الينا رسول كما بعث اليهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم في المبادرة الى قبوله والتمسك به لانا اجود اذهانا واثبت معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو او بان يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال فقد جاءكم بينة من ربكم اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن هذه حجة تكميلية للخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم وهدى ورحمة اي نعمة لمن اتبعه وعمل به فمن اظلم لنفسه ممن كذب بآيات الله وصدف عنها اي اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب

او كراهة ان تقولوا

اي شدة

اي شدة العذاب وهو ما اعده الله للكفار نعوذ بالله منه بما كانوا يصدفون اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن وعن آياته وهو حجة في هذا لان الله تعالى انما انزل القرآن لطفا للمكلفين انه لو لم ينزل لكان لهم الحجة واذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل فهل لمن قبل ما يقول من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل لهم ان عذر اولئك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم قوله تعالى هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ آية القراءة قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتيهم بالياء هاهنا وفي النحل وقرأ الباقون تأتيهم بالتاء وقد مضى الكلام في امثال ذلك المعنى ثم توعدهم سبحانه فقال هل ينظرون معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الجبائي معناه هل تنتظرون يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان لم ينتظروا غيرهم فذلك لا يعتد به من حيث لا ينتظرون من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب القبر او يأتي ربك فيه اقوال احدها او يأتي امر ربك بالعذاب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله اي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي امر ربك فيهم بالقتل وثانيها او يأتي ربك فيهم بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لانه الكلام عليه وهو قياس الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال وثالثها ان المعنى او يأتي اهلاك ربك اياهم بعذاب عاجل او آجل او بالقيامة وهذا كقوله قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم فلان اي قد اوقع بهم عن الزجاج او يأتي بعض آيات ربك فذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم موته وامر العامة يعني القيامة يوم يأتي بعض آيات ربك التي تضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته ويعرفه المحسنات والقبحات ضرورة ويعرفه انه ان حاول القبيح مع ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن وترك القبيح او كسبت في ايمانها خيرا عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال احدها انه انما قال ذلك على جهة التغليب لان الاكثر مما ينفع ايمانها حينئذ من كسبت في ايمانه خيرا وثانيها انه لا ينتفع احد بفعل الايمان ولا بفعل خير منه في تلك الحال لانها حال زوال التكليف وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه ايمانه ولا كسب في ايمانه خيرا اي طاعة وبرا لان الايمان واكتساب الخير انما ينفعان قبل تلك الحال وثالثها انه للابهام في احد الامرين فالمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم ايمان نفس اذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال الخير فانها اذا آمنت قبل نفعها كذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ ايمان من آمن من الكفار ولا طاعة من اطاع من المؤمنين فاما من آمن من قبل نفعه بانفراده وكذلك من اطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات فانا منتظرون بكم وقوعها وفي هذه الآية حث على المبادرة الى الايمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضا حجة على من يقول ان الايمان اسم لاداء الواجبات او الطاعات فانه سبحانه قد صرح فيها بان اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه اكتساب الخيرات وهي الطاعات في الايمان على نفس الايمان فكانه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم ايمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبة خيرا في ايمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد في تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقول المرجئة لانه يدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه كسب الخير وليت شعري كيف يدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه في الحكم فيه لخصمه عليه هل هذا الا عدول عن سنن العدل والانصاف قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ آية القراءة قرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي ع والباقون فرقوا بالتشديد الحجة قال ابو علي من قرأ فرقوا فقد يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول الى معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه اللغة الشيع الفرق التي يمالئ بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا اذا ظهر وشيعت النار اذا القيت عليها الحطب فكانك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم السلام اي تبعكم السلام قال الا يا نخلة من ذات عرق برود الظل شاعكم السلام ويقولون آتيك غدا او شيعه اي واليوم الذي يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكميت وما لي الا آل احمد شيعة وما لي الا مشعب الحق مشعب المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الوعيد فقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف في المعنيين بهذه الآية على اقوال احدها انهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ثم نسخها آية السيف وثانيها انهم اليهود والنصارى لانهم يكفر بعضهم بعضا عن قتادة وثالثها انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الامة رواه ابو هريرة وعائشة مرفوعا وهو المروي عن الباقر ع جعلوا دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا احزابا وفرقا لست منهم في شيء هذا خطاب للنبي ص واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افترقوا في غيره فليس منهم في شيء لانه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء وانما هو نهي للنبي عن مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسخها آية القتال عن الكلبي والحسن انما امرهم الى الله في مجازاتهم على سوء فعالهم قيل امرهم في الانظار والاستيصال الى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم الى الله ثم ينبئهم اي يخبرهم يوم القيامة بما

يوم يأتي بعض آيات ربك

معرفة

ايمانها

الضلالة

بما كانوا

بما كانوا يفعلون يوم القيمة فيظهر المحق من المبطل **قوله تعالى** من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون **القراءة** قراءة
قرء يعقوب عشر منونا امثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير الباقون عشر مضافا امثالها بجر اللام **الحجة** من قرء عشر امثالها فالمعنى له عشر حسنات امثالها فيكون عشر
امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرء عشر امثالها فيكون امثالها صفة للعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف عند
المحققين واكثر ما ياتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون امثالها غير صفة في قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فان الامثال لما كان في معنى الحسنات حكى ابو عمرو
انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقال فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم اليس بصحيفة **اللغة** الحسنة اسم للاعلى في الحسن ودخول الهاء
للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعة اما واجب او ندب اذ ليس كل حسن كذلك لان في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان
يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والمعهود ما امر الله سبحانه به **المعنى** لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقيبه بذكر الوعد وتضعيف
الجزاء في الطاعات فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب ومن جاء بالسيئة اي بالخصلة
الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل انعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما
يعفو عن ذنوب المؤمن منا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى
هذا فان اصل الحسنات التوحيد واصل السيئات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوه من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر وعد الله
من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وانما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان تميز منه الثواب بمقارنة
التعظيم والاجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب التفضل على حد فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج
ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
وقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس ويضاعف الله
سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره
الا الله تعالى وليس المراد امثاله في العدد وهذا كما يقول الانسان لاجيره لك من الاجر مثل ما عملت مثل ما تستحقه بعملك ومدد ذلك وروى ابن عمر وابو ذر
عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدق ان الله تعالى قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت احاده اعشاره **قوله تعالى** قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين ثلث ايات كوفي واية عند غيرهم **القراءة** قرء ابن عامر واهل الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قيما مفتوحة القاف مشددة
الياء وقرء اهل المدينة محياي ساكنة الياء ومماتي بفتحها والباقون محياي بفتح الياء ومماتي ساكنة الياء **الحجة** من قرء قيما فالقيم هو المستقيم فيكون صفة للدين كما
ان القيمة في قوله دين القيمة دين الملة القيمة لان الملة هي مثل الدين ومن قرء قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعوض وكان القياس
ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة في جمع ثور وجيادا في جمع جواد وكان القياس ثورة وقال الزجاج انما اعتل قيم لانه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لانه جرى على الفعل
فانه جاء على غير فعل اما اسكان الياء في محياي فانه شاذ عن القياس والاستعمال فان الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا كان ما قبلها متحركا نحو ومماتي فالفتح
جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكي عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون
لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس قال علي بن عيسى لو وصل على نية الوقف جاز كما جاء بهذا
انه ورد وانما يراد هذه الحال في الوقف كما تسكن الياء في الوقف **اللغة** الملة الشريعة ماخوذة من الاملاء كانه ما ياتي به الشرع ويورده الرسول من
الشرايع المجددة فيملي على امته ليكتب ويحفظ فاما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرايع تختلف ولهذا يجوز ان يقال دين محمد
ولا يقال ملتي بالله لان الملة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك اي عابد والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه النسائك
قال الزجاج فالنسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به الذبح انما يراد به من يؤدي المناسك اي يؤدي
ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله **الاعراب** دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلاثة اوجه احدها انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم استغنى بجري ذكر الفعل عن
ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع
كانه قال اتبعوا دينا قيما والزموا كما قال اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابرهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابرهيم المعنى هداني وعرفني
ملة ابرهيم في حال حنيفيته **المعنى** ثم امر الله نبيه فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا انني هداني اي دلني وارشدني ربي الى صراط مستقيم وقيل اي لطف
ربي في الاهتداء ووفقني لذلك وقد بينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحمد دينا قيما اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ ملة ابرهيم فانه وصف
دين النبي بانه ملة ابرهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابرهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان ولانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق حنيفا اي مخلصا
العبادة لله عن الحسن وقيل مائلا الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع معه وقول من قال الحنيف ماخوذ من الحنف في القدم عن الزجاج وقيل مستقيما والحنف على
الميل عن الباطل وما كان من المشركين يعني ابرهيم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام قل ان صلوتي وقد فسرنا معنى الصلوة فيما تقدم ونسكي اي

ذبحي

ذبحي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج انما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد
والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له ومحياي
اي حيوتي ومماتي لله رب العالمين انما جمع بين صلوته وحيوته واحدهما من فعله والاخر من فعل الله لانهما جميعا بتدبير الله وقيل معناه صلوتي ونسكي له عبادة وحياتي
ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل حياتي له لانه المنشي لها ومماتي له لانه المتوفي لي وقيل معنى قوله محياي ومماتي لله ان الاعمال الصالحة التي تتعلق
بالحيوة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حيوته ومماته الا لله لا شريك له اي لا ثاني
له في الالهية وقيل لا شريك له في العبادة والاحياء والاماتة وبذلك امرت اي وبهذا امرني ربي وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين وبعده تابع
في الاسلام عن الحسن وقتادة وغيرهما واول المسلمين لانه انما امر بذلك ليتاسى به ويقتدى بفعله **قوله تعالى**
قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي
جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ايتان **اللغة** الرب اذا اطلق افاد
المالك المصرف لغيره باتم التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك المصرف لها واصل التربية هي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير
الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزرا ووزر
يوزر فهو موزور واصله من الوزر الذي هو الملجا فحال الموزور كحال الملتجي الى غير ملجا ومنه الوزير لان الملك يلتجي اليه في الامور وقيل ان اصله الثقل ومنه قوله ووضعنا
عنك وزرك والخلائف جمع خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفة اذا جاء بعده **الاعراب**
درجات انتصب باحد امرين احدهما ان يقع موقع المصدر كانه قال رفعة بعد رفعة والثاني انه الى درجات فحذف الى كما حذف في قولك دخلت البيت تقديره الى البيت والثالث
يكون مفعولا من قولك رفع درجة **المعنى** لما امر سبحانه نبيه ببيان الاخلاص في الدين عقبه بامره ان يبين لهم بطلان اعتقاد
المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب الفوز بعبادته وهو رب
واترك عبادة من خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس يصح هذا في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها
اي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها يعني ان لها ثواب طاعتها وعليها عقاب معصيتها فلا ينفعني ما تبتغون مني ولا يغني عنه ما اثم عليه من ذلك لانه
ليس يعاقب وكل انسان يؤخذ بما كسبه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه لا يجازي احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا يؤخذ احد بذنب غيره
وانما قيل ذلك لان الكفار قالوا للنبي اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطأ فانزل الله هذه الاية وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى
ربكم مرجعكم اي مالكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض خاطب سبحانه
انه الذي جعل الخلق خلائف الارض ومعناه ان اهل كل عصر يخلف اهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق الى ان تقوم الساعة على
العصر الاخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون الا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك امة نبينا محمد جعلهم الله تعالى خلفاء الامم ونصره على
سائر الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل وقيل العلم والعمر والمال والقوة وهذا اولى لان الاول يدخل فيه ووجه الحكمة في
ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لان من كان غنيا في ماله
شريفا في نسبه يدعوه ذلك الى طاعة من يملكه ورغبة في امثاله ومن كان على ضد ذلك يدعوه الى الطاعة رهبة من امثاله ورجاء ان ينتقل عن هذه الحال الى حال
جليلة يغبط عليها ليبلوكم فيما اتيكم اي يختبركم فيما اعطاكم ومعنى المختبر مظاهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعنى الابتلاء النظر الغني في العفة
فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الادلة فيعلم ويعمل بما يعلم ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه بذلك مع تعقبه في الاخرة من حيث
ان كل ما هو ات قريب فهو اذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب لمن يستحقه في دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على
تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا انه لغفور رحيم قرن سبحانه العقاب بالغفران ولم يقابل بالثواب لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب
العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك **سورة**
الاعراف هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واسئلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فانها نزلت بالمدينة **عدد اياتها** مائتان وست
ايات حجازي كوفي وخمس بصري شامي **اختلافها** خمس ايات المص وبداكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار والحسنى على بني اسرائيل حجازي
فضلها ابي بن كعب عن النبي قال من قرء سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي
عبد الله قال من قرء سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قرءها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيمة قال
ابو عبد الله اما ان فيها اية محكمة فلا تدعوا قرائتها وتلاوتها والقيام بها فانها تشهد يوم القيمة لمن قرءها عند ربه **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة الانعام
بالرحمة افتتح هذه السورة بانه انزل كتابا فيه معالم الدين والحكمة فقال **بسم الله الرحمن الرحيم**
المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون
ايتان كوفي واية في الباقين **القراءة** قرء ابن عامر وحده قليلا ما يتذكرون وقرء اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرء الباقون تذكرون مشددة الذال

[illegible]

والكاف المجهورة قال ابو علي من قرأ تذكرون بتشديد الذال تتذكرون فادغم التاء في الذال وادغامها فيها حسن لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور انقص صوتا

[illegible]

لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد وهو فارس لم يحتج الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول

[illegible]

يحفظونه وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه ليظهر لاهل الموقف احوالهم بعلم وقيل معناه نقص عليهم اعمالهم بانا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال
ولا يحيطون بشيء من علمه اي معلومه قال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وما
كنا غائبين عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما اجابوا وذكر ذلك مؤكدا للعلم باحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء قوله والوزن يومئذ الحق ذكر فيه اقوال
احدها ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي وثانيها ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة
يوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا يجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن ولا
تقوم بانفسها فقيل توزن صحائف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس وقيل يظهر للحسنات
صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل يوزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة وثالثها ان المراد
بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فمن اتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد
افلح ومن اتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم … القول الاول … وانما قلنا ذلك لانه يستعمل من العرب قولهم
كلام فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث قال الله
… وحديث الذي هو مما … منطوق … وخير الحديث ما كان لحنا اي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقيل انه من
اللحن الذي هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا يكون معنى الوزن انه قائم في النفوس مقام … كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك … القول الثاني
الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره فمن ثقلت موازينه انما جمع الموازين لانه لا يمتنع ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيمة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنفا
من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر ان الصلوة ميزان فمن وفى استوفى فاولئك هم المفلحون اي الفائزون بثواب الله ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم اي استحقوا العذاب الابد بما كانوا باياتنا يظلمون اي يجحدون … والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس
فاذا اهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله عز وجل ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين القراءة قرأ كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش بالهمز
الحجة قال ابو علي معايش جمع معيشة واصل معيشة … زيادة تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل
كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في اخاف … الاسم لبناء الفعل يوجب في الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ونابا …
… لما كان على وزن الفعل … ولو … لم يكن على مثال الفعل … للفعل في البناء الا ترى … في الزنة وتكسيرها …
مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولان التكسير معنى لا يكون في الفعل انما
يختص به الاسم اذا كانوا قد صححوا نحو جولان وهيمان … الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فبان يصحح قولهم معايش الذي قد زال
الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه … على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها
كما همز … ومثل ذلك مما يحمل على الغلط قولهم … فتوهموه فعيلة انما هو مفعلة وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء انما تكون اذا كانت
زائدة نحو صحيفة وصحائف وانما يهمز الياء الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فاوجبوا فيها الهمزة واذا جمعت مقاما قلت مقاوم
انشدوا … اللغة التمكين اعطاء ما يصح الفعل مع رفع المنع لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى آلة والى دلالة
وسبب ويحتاج الى رفع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل ايجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت
فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدثه لانه قد يكون بحدوث غيره مما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة الى ما فيه الحيوة من جهة المطعم والمشرب
والملبس والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض
وحقيقته وضع الجبهة على الارض الاعراب قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره
عليهم
تذكرهم المعنى ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض وما خلق فيها من الارزاق مضافا الى النعم التي انعم بها بانزال الكتب وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض
اي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا وجعلنا لكم فيها معايش اي ما تعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب
والاقدار عليها بالعلم والقدرة والالات قليلا ما تشكرون اي ثم انتم مع هذه النعم التي انعمناها عليكم تشكرون قليلا ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق
فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الاخفش ثم هيهنا في معنى الواو وقال الزجاج هذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه انما ثم للشيء الذي يكون
بعد المذكور قبله لا غير وانما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد انا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك
فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم بعد الفراغ من خلق آدم فثم انما هو لما بعده وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم
يعنون بذلك اسلافهم وفي التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك اقوال اخر منها ان معناه … آدم ثم صورناكم في ظهره
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الاخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى … وغيرهم على هذا …

وقيل

وقيل ان المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء عن يمان وقول
الشاعر … من خيرها اباؤهم … وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين تقدم معنى الكلام فيه في سورة البقرة
قوله تعالى قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك
من الصاغرين اللغة الصاغر الذليل بصغر الفعل يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضي بالضيم … صغر الكبير …
يقال فلان … الاعراب ما في قوله ما منعك رفع الموضع والمعنى اي شيء منعك ولا ملغاة في قوله الا تسجد والمعنى ما منعك ان تسجد ومثله
قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لان يعلم قال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله قالوا معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية
ابى جوده لا البخل بالجر والمعنى ابى جوده لا التي تبخل الانسان قال الزجاج … يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا والمعنى ابى جوده
لا التي هي البخل فكانه قال ابى الجود البخل وقد قيل انما دخلت لا في قوله ان لا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد المعنى ثم حكى سبحانه
لابليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله قال اي قال الله تعالى ما منعك الا تسجد اي ما دعاك الى ان لا تسجد وما اضطرك اليه وما منعك من ان تسجد اذ امرتك
بالسجود لآدم قال ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول منعني كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن يقول
ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب يجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه
صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فاخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس قال ابن سيرين اول من
قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الاشرف للادون وهذا خطأ
لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم
ومنها يخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف الموجود دون الجماد قال اي قال الله سبحانه لابليس فاهبط منها
اي انزل وانحدر منها اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله سبحانه وحافظي
حدوده الى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله فما يكون لك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما
موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها انك من الصاغرين اي من الاذلاء بالمعصية في الدنيا لان
العاصي ذليل عند من عصاه او بالعذاب في الآخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس رأى معجزة يعلم بها
على ان ذلك الكلام الله فقوله سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فان التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء
وهذا صفة ذم في صفة العباد وفي صفة الله سبحانه مدح لان ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها … تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالامر والنهي
قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين … اللغة الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فرق … ضد الامهال الاسراع
والبعث الاطلاق والامر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر الاعراب لاقعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه … الكلام …
٧ اي على الطريق
وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك
كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن قال الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب وقال آخر كاني اذا اسعى لاظفر طائرا مع النجم في جو السماء يصوب
اي لاظفر على طائر المعنى قال يعني ابليس انظرني اي امهلني واخرني في الاجل ولا تمتني الى يوم يبعثون اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرني في الجزاء
الى يوم القيمة فكانه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبقي احدا حيا الى يوم
القيمة قال الكلبي اراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الاولى مع من يموت فاجيب بالانظار الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون
سنة واما الوجه في مسألة ابليس الانظار مع علمه بانه مطرود ملعون فعلمه سبحانه بانه يظاهر عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم فلم يصده ارتكابه المعصية عن
المسألة والطمع في الاجابة قال اي قال الله سبحانه لابليس انك من المنظرين اي من المؤخرين قال ابليس لما لعنه الله وطرده ثم ظفر بمسألة الانظار فاجابه الله تعالى
الى شيء منها فبما اغويتني اي فبالذي اغويتني وقيل في معناه اقوال احدها ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما … وثانيها ان المراد كما امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده فكذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتي
كما يقال اضللتني اي حكمت بضلالي عن ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه اهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر معطفة الاثناء ليس فصيلها برازئها درا ولا ميت
غوى اي ولا ميت هلاكا … ويقال غوي الفصيل اذا فقد اللبن فمات … ان يكون الكلام
على ظاهره من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر لاقعدن لهم اي لاجلسن لهم اي لاولاد آدم
صراطك المستقيم اي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لاصدنهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدا لهم وعداوة … انه لو كان يفعل الايمان
هو بعينه ما يفعل من الكفر لكان قوله فبما اغويتني … ابليس … صفة … اذا وقع بها الكفر … الايمان اولا كان
الا انه … ولا يجب ذلك ان يكون … فلا يمتنع ان

يكون

يكون مما يستعمل له الايمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وان استعمل في الايمان سميت هداية وان كان ما يقع الايمان هو بعينه ما يقع الكفر والضلال
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل في ذلك اقوال احدها ان المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة
والسدي وابن جريج ومعناه ازين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب اليهم السيئات
واحثهم عليها قال ابن عباس وانما لم يقل ومن فوقهم لان رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم ولم يقل من تحت ارجلهم لان الاتيان منه موحش وثانيها ان معنى لان فوقهم
من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد وثالثها ما روي عن ابي جعفر قال لآتينهم من بين ايديهم معناه
اهون عليهم امر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن
شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم ثم انما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لان في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين
والشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار من ابليس ان الله لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك عن حدس فصار ما ظنه
الملائكة باخبار الله تعالى اياهم وانما عرف ظنه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا ستجيبونه لكونهم اضعف منه وقيل
الاول الجبائي والثاني من الحسن وابي مسلم **قوله تعالى** قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين القراءة في الشواذ قراءة الزهري مذوما
على تخفيف الهمزة وقرا ابو جعفر وشيبة سوتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرا ابن محيصن هذي الشجرة الحجة الوجه في تخفيف السوءة انه حذف
الهمزة والقى حركتها على الواو فقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو في اللغتين واما هذي الشجرة فانه الاصل في الكلمة وانما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي
اما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فلحقت تشبيها لها بالهاء في الاضمار في نحو بهي اللغة الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو
مذؤم وذامه يذيمه ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر صحبتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الومها والدحر الدفع على وجه الهوان
والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى امر بصوت خفي كالهينمة والخشخشة قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اون تاوين العقق وقال
الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل والابداء الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضد الاخفاء وكل شيء للحلي
ابدل عند الشاعر فقد بدا والمواراة جعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة
والسوءة الفرج لانه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم القسمة قال الاعشى رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق والمقاسمة لا يكون الا من اثنين
القسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاه الله وقيل ان جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة
المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش وهو خلاص العمل من الفساد الاعراب اللام في قوله لمن تبعك
منهم لاملأن اللام الاولى لام الابتداء والثانية لام القسم من الشرط وهو في موضع رفع بالابتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لانها لا تقلب الماضي الى الاستقبال
وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء احق بالذكر من جواب القسم كقولك ان
تاتني والله لاكرمك ... بمعنى لا اضرب ... كما يجوز والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى لا اضرب لان الايجاب
لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام وانما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم كما قال فعموه وقوله الا ان تكونا ملكين
الا كراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف وهو في موضع نصب بانه مفعول له وقيل ان تقديره لان لا تكونا ملكين فحذف لا والاول اصح وقوله اني لكما لمن الناصحين تقديره اني لكما
ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقا بالناصحين لان ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين
تقديره وانا على ذلكم شاهد ثم بينه بقوله من الشاهدين المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال وما فعله بآدم من الاكرام والاجلال فقال اخرج منها
اي من الجنة او من السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤما اي مذموما عن ابن زيد وقيل معيبا عن المبرد وقيل مهانا لعينا عن ابن عباس وقتادة مدحورا اي مطرودا عن
مجاهد والسدي لمن تبعك منهم اي من بني آدم معناه من اطاعك واتبعك من بني آدم لاملأن جهنم منكم اي منك وممن تبعك من كفار بني آدم اجمعين وانما جمعهم في الخطاب
لانه لا يكون في جهنم الا ابليس وحزبه من الشياطين وكفار الانس ضلال لهم الذين تقادوا له وتركوا امر الله ولا تباعه ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة هذا امر
بالسكنى دون السكون وانما لم يقل وزوجك لان الاضمار اليه قد اغنت عن ذكره وابانت عن معناه فكان الحذف لما فيه من الايجاز من غير اخلال بالمعنى فكلا
من حيث شئتما اباح سبحانه لهما ان ياكلا من حيث شاءا ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اي من الباخسين نفوسهم الثواب
العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة فوسوس لهما اي لآدم وحواء الشيطان الفرق بين وسوس اليه ووسوس له ان معنى وسوس اليه القى اليه المعنى
بصوت خفي ومعنى وسوس له انه وهمه النصيحة في ذلك ليبدي لهما اللام ليظهر لهما ما ووري اي ستر عنهما من سوآتهما اي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب ان يكون ابليس علم ان
من اكل هذه الشجرة بدت عورته وعمر بدت عورته لا يترك في الجنة فلهذا لحالة في اخراجهما منها بالوسوسة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين والمعنى انه اوهمهما انهما اذا اكلا منها تغيرت صورتهما الى صورة الملك وان الله تعالى قد حكم بذلك وبان لا تبيد حياتهما اذا اكلا منها وروي
عن يحيى بن ابي كثير انه قرا ملكين بكسر اللام قال الزجاج ويدل على هذا قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على الملكين اختيارية قلت ويحتمل ان يكون المراد بقوله الا ان

تكونا ملكين انهما اذا اكلا منها اوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان يكون فلانا وانما يريد ان
المنهي انما هو فلان دونك وهذا المعنى ذكره في الشبهة والتلبيس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه وقاسمهما اي وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة اني لكما
لمن الناصحين في المخلصين النصيحة في دعائكما الى التناول من هذه الشجرة ولذلك ما كذب لشبهة عندهما اذ ظنا ان احدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى الا صادقا فدعاهما
ذلك الى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا ملكين على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا لان ابليس رغبهما بالتناول في منزلة الملائكة حتى
تناولا ولا يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله تعالى واجاب عنه المرتضى بان قال انما انكرتم ان يكون لا تحملوا على الوجه الذي ذكرناه
دون ان يكون معناه ان ينقلبا الى صفة الملائكة واذا كانت الآية محتملة لما ذكروه ايضا فما ارتفع هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا في ان ينقلبا الى صفة
الملائكة وخلقهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا يدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات والصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا
رغبا في صور الملائكة وهيئاتها ولا يكون لك حظ في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل قوله
تعالى فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء ههنا وفي الروم
والزخرف والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل ههنا وابن ذكوان ههنا وفي الزخرف وقرا الباقون جميع ذلك بضم التاء الحجة من قرا
بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون ويؤيده ايضا قوله كما بداكم تعودون ومن قرا بالضم
فحجته قوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى اللغة دلاهما اي حطهما من منزلة الى ادنى وهو من تدلية الدلو وهو ترسيلها في البئر و
الغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصل الغرور طي الثوب يقال اطوه على غره اي على كسر طيه فالغرور تمثيل لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا
بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وبات يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي لكنه
خاصف النعل في الحجرة يعني عليا والاخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو حد يسمى العشرة بعضها واحد يسمى الاثنين كذلك لا بعض للواحد لانه لا
ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو النافي بنصرته في وقت الحاجة الى معونته والولي هو الذي ينصر في وقت الحاجة اليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو نفس
بعينه لان المصدر يجيء على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا الا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس
باصل المعنى فدلاهما بغرور اي ... وقيل معناه دلاهما من الجنة الى الارض ... من قولهم تدلى الحبل
اذا نزل الى جهة السفل عن ابي عبيدة اي حطهما عن درجتهما بغروره فلما ذاقا الشجرة اي ابتدا بالاكل وتناولا منها شيئا يسيرا لذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن تناولهما
شيئا قليلا من ثمرة الشجرة على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب ليعرف الطعم وهذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يجب الندم فكيف بالاستيفاء وقضا
الوطر منه بدت لهما سوآتهما اي ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلبي فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فابصر كل واحد منهما سوءة صاحبه
فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اي اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سوآتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة
وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا انما كان لمصلحة في اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض لا على وجه العقوبة لان الانبياء لا يستحقون
العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اي عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ظاهر العداوة قالا اي قال آدم وحواء لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب النهي ربنا ظلمنا انفسنا معناه بخسنا
الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه يحمل على نقص الثواب اذ كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فاما
من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب طاعاتها شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف ان حواء وآدم لم يستحقا العقاب
وانما قالا ذلك لان من جلت في الدين قدمه كثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول الى الارض ومفارقة العيش الرغد وان لم تغفر لنا معناه
ان لم تستر علينا لان المغفرة هي الستر على ما تقدم بيانه وترحمنا اي ولم تتفضل علينا بنعمتك التي نتم بها ما فوتنا نفوسنا من الثواب بحضرتك بفضلك لنكونن
من الخاسرين اي ممن خسر ولم يربح ولا اخلص ان قبل ذلك يدخل عليهما ضرر غير مستحق فلا يدفع عنها ضررا اعظم منه لا يجلب نفعا نرجو عليه انه يجبر
ان تعاقب نكون من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قد مر تفسيره في سورة البقرة قال الله تعالى فيها تحيون
في الارض تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على ان الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الارض التي حيوا فيها
بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها في يوم الحشر واذا افناها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى يقال لها الساهرة وتفنى هذه كما قال فاذا هم
بالساهرة **قوله تعالى** يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون
ثلاث آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس التقوى بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي اما النصب فانه حمل على انزلنا عليكم

لباسا لباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبر خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع الكلام من الاول واستأنف بجملة مبتدأ وذلك صفة او بدل
وخير خبر ومن قال ان ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز ان يكون على احد ما ذكرناه وخبر لباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له
الى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اللغة اللباس كل
ما يصلح للبس من ثوب او غيره من نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطع وكسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه لبسا واللباس بكسر اللام قال الشاعر فلما كشفن اللبس
عنه مسحنه باطراف طفل زان غيلا موشما والغيل الساعد الريان الممتلئ والريش والاثاث من متاع البيت من فراش او دثار وقيل الريش متاع الجمال ومنه ريش
الطائر وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه فريشي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما قال الزجاج ما ستر الرجل بجسمه ومعيشته يقال
تريش فلان اي صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطاه رجلا بريشه اي بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء
والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتن الصحفي قال الشاعر رخيم الكلام قطيع القيام وامسى فؤادي بها فاتنا القبيل الجماعة من قبائل شتى وان كانوا
من اب وام واحد فهم قبيلة المعنى لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تبوئته الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في اللباس فقال يا بني آدم وهو خطاب عام لجميع اهل
الازمنة من المكلفين كما يوصي الانسان ولده وولد ولده وولد ولده فيقول يا بني ولا يجوز خطاب المعدوم اذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف قد انزلنا
عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع آدم وحوا حين امر بالاهباط عن الجنة وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لان البركات
تنسب الى انها تأتي من السماء كقوله وانزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبد فقد
انزله عليه ليس ان ثمة علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي الى فلان ورفعت قصتي الى الامير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما
قال وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي يواري سوآتكم اي يستر عوراتكم وريشا اي اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن
مجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الاخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فانه يدخل فيه الا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر و
لباس التقوى هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع اذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن
من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والآلات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير
وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي والاولى ان يحمل ذلك على الجميع ذلك خير من جميع ما يلبس ذلك من آيات
الله اي ذلك الذي خلقه الله تعالى لكم من حجج الله تدل على توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتذكروا ويتفكروا فيؤمنوا بالله ويصيروا الى طاعته وينتهوا عن معاصيه
ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان يدعوكم الى المعاصي التي تميل اليها النفوس
انما صح ان ينهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك
التحذير منه كما اخرج ابويكم من الجنة نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان كان خروجهما بامر الله تعالى
تحقيقا للنهي عنهما لرجع الى فعل الله ولكنه يذكر بهذه الصفة ليبادر الى فعله عن عظم الفعل ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما قيل لباسهما من ثياب الجنة وقيل
كان لباسهما الظفر عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه ليريهما سوآتهما اي عورتهما انه يعني الشيطان يراكم هو وقبيله
اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين من حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى جعلهم يجرون
من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة
الا من عصم الله وانما قال لا ترونهم لانا اذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي ان نكون على حذر مما نجده في انفسنا من الوسوسة خيفة ان يكون ذلك من
الشيطان وانما لا نراهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج رؤيتها الى فضل شعاع وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الاخشيد يجوز ان يمكنهم الله فيتكثفوا فيراهم من
يحضرهم اليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد ابو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الاقوى عندي
وقال الجبائي لا يجوز ان يرى الشياطين والجن لان الله تعالى قال لا ترونهم وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسامهم على الانبياء كما يجوز ان يرى الناس
الملائكة في زمن الانبياء انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي
حكموا بذلك حكما باطلا وانما خص الذين لا يؤمنون بذلك على انهم مع جهلهم لا يتمكنون من حال المؤمنين المتيقظين منهم وانما يتمكنون من الكفرة الجهال والفسقة
الاغفال واذا فعلوا فاحشة كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف
في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب عن ابن عباس والحسن وقال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدونه على حقويهم يسمى حوفا وان عمل من صوف يسمى رهطا وكانت تضع المرأة
على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله يعني الفرج لان ذلك لا يستر سترا تاما وفي الاية حذف تقديره واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها
قالوا وجدنا عليها آباءنا قيل من اين اخذها آباؤكم قالوا الله امرنا بها وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا
والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بان قال ان الله لا يأمر بالفحشاء ثم انكر عليهم من جهلهم فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا فقد نقضوا مذهبهم
وان قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج تقولون على الله ما تكذبون عليه قوله عز وجل قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون آيتان بتمام

الاية

الاية الاولى تعودون عند الكوفي مخلصين له الدين عند البصري اللغة اصل القسط العدل فاذا كان على جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا
كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة
خالصا دون غيره والبدء فعل الشيء اول مرة والعود فعله ثاني مرة ويكون فعل اول خصلة ومنه عكسه ما افعلوه بدا القراءة وبدأ ابدا الفعل والفريق جماعة انفصلت
من جماعة والاتخاذ افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على غيره
فالقوة تميزه من اعتقاد التقليد والتبخيت والتجويز يميزه من العلم لان مع العلم القطع الاعراب واقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان وتقديره
فقد يعصم الشيطان واقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره قل امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فضمير المخاطبين فاعلين وفريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة منصوب بعطف فعلا على فعل تقديره وفريقا اضل فاضمر فعل ما فسره
ما بعده فاغنى عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما قال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف
عليه لو وقع على تقدير احدهما كذا والاخر كذا الحال كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة المعنى ثم بين سبحانه انه لا
يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقيبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو جامع للخيرات فقال قل يا محمد امر ربي بالقسط اي بالعدل والاستقامة عن
مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا اله الا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابي مسلم واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الى الجهة التي
امركم الله بالتوجه اليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلاة عن الجبائي وغيره وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلاة
في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو حسن المغربي ورابعها ان معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة بالجماعة
لهادنا عند الاكثر وحمها عند الاقلين وخامسها ان معناه اخلصوا وجوهكم لله في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين
هذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارغبوا اليه في الدعاء بعد اخلاص الحكمة له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون
في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق
الاول فانه يبعثكم فتعودون في الخلق الثاني وثانيها انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون اي فليس بعثكم باشد من
ابتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وثالثها انه كلام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابي مسلم قال
قتادة بدأكم من التراب واليه تعودون قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك تبعثون يوم القيامة وروي عن النبي انه قال تحشرون يوم القيامة
عراة حفاة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما متم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر فريقا
هدى اي جماعة هداهم الله اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم الهدى ولطف لهم بما اهتدوا عنده وهداهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع وفريقا حق اي وجب عليهم الضلالة
اذ لم يقبلوا الهدى وحق عليهم الخذلان لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى
والضلال بعد العود والبعث ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وانما
اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون ومعناه ومع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون القراءة قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو
علي من رفع جعله خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبيينا للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن ان يكون للذين آمنوا خبرا وخالصة
خبرا آخر ومن نصب خالصة كان حالا مما في قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام
من معنى الفعل وهي خالصة يوم القيامة والمعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها
يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على الحال اشبه بقوله ان المتقين في جنات وعيون آخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا
كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا في تأويل الحال كانك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا
خالصة يوم القيامة قال ابو علي في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة اضرب احدها ان يكون في الحياة الدنيا للذين آمنوا ويكون في الحياة الدنيا ظرفا والعامل فيه الظرف الذي هو
قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين فقد خلصها للمؤمنين يوم القيامة ففي هذا الوجه تقديرها مقدم على اللام الجارة لان الظرف للذين
والظروف ان كان العامل فيها المعاني فان تقديمها عليها جائز وان لم يجز ذلك في الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحياة الدنيا متصلا بالصلة التي هي آمنوا
العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم الدنيا وخالصة على هذا منصوب ويجوز ان يكون في الحياة الدنيا في موضع حال
هو من والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة خالصة يوم القيامة ولا يجوز هذا الوجه الا في الوجه الذي قبله
تقدم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الاول فلان قوله في الحياة صلة الذين لا يجوز تقديم الصلة على الموصول واما في الوجه الآخر فلانه في موضع
الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل هذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحق وما قراه من رفع خالصة والنصب جعله منصوبا على الحال

العامل

الغامل في قوله في الحيوة الدنيا على تأويل الحال الى اخر كلامه فينبغي ان يعلم ان من نصب خالصة جعل خبرا ثانيا وان يكون في الحيوة الدنيا ظرفا للذين امنوا والعامل فيه معنى
الفعل جاز ان يكون متعلقا بامنوا وظرفا له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكرنا الوجهان الاولان لا يحتاج معهما الى تقدير شيء حتى يتعلق بما قبله ما اذا كان ظرفا
للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم وان كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه واما اذا جعلته حالا فانه ينبغي ان يقدر فعلا او اسم
فاعل يكون في موضع الحال ويكون متعلقا به [illegible]

[illegible]

فكانه قال حرم ربي الفواحش التي منها الاثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي
ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والاثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الاثم ما دون
الحد عن الفراء [illegible]

بغير حق

[illegible]

فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالآخر عذابهم على الاغواء قال الله
تعالى لكل ضعف اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون ايها المضلون والضالون ما لكل فريق منكم من العذاب وقالت
اوليهم لأخريهم اي قال المتبوعون للتابعين فما كان لكم علينا من فضل اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت ٢ من الله
الامة السابقة للامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم قوله عز وجل ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين القراءة
قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة
ومجاهد والشعبي وابن يعمر حتى يلج الجمل بالضم والتشديد وعن سعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس الجمل بضم
الجيم وسكون الميم والجمل بفتحتين وعن ابن السمال الجمل بفتح الجيم وسكون الميم الحجة حجة من قرأ لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة اي
من خفف قوله ففتحنا ابواب السماء واما الجمل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظ من القنب قيل هو حبل السفينة وقيل الحبال
المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن وكذلك الضم ويجوز ان يكون كالاسد وقد قال ابن جني واما الجمل فيبعد ان يكون مخففا من جمل
لخفة الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله وما كل مبتاع ولو سلف صفقه براجع ما قد فاته برداد اللغة السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه سم القاتل لانه ينفذ
بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقبة في البدن لطيفة فهو سم وجمعه سموم وقال الفرزدق فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا
تخش شيئا ورائيا يريد بسميه ثقبي انفه ويجمع السم القاتل سماما والخياط والمخيط الابرة كاللحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء
وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اي بعيدة القعر والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا
الامر اي وطأته له والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلانا اي يأتيه الاعراب قال ابو علي النحوي في نحو
غواش وجوار قولان احدهما مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا
يجتمع معها فدخلها وانما حذفت هنا الياء لالتقاء الساكنين كما يحذف من قولهم في الوقف هذا قاض وفي نحو والليل اذا يسر ذلك ما كنا نبغ وقد حذفت في الوصل ايضا وكان الذي
حسن ذلك انها قد صارت بمنزلة الحركات لانها قد صارت عوضا منها بدلالة تعاقبها انها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها اكثر وكان هذا الجمع
خارجا عن الابنية الاول وثانيا لزم الحذف والقول الآخر ما حدثنا السراج عن المازني قال نظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي الى جواري بابه فكان من الصحيح لا يلحقه ٧ عن المرتع
التنوين لم يلحقوه المعتل وما كان يلحقه التنوين من الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الاول المعنى ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه
ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تفتح ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي
لا تفتح لاعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر انه قال اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها
واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة
عن الجبائي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة
كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظ قال الشاعر اذا شاب
الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقال آخر فرجي الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي آبا وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد
للتبعيد واليأس من وجوده وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي المجرمين المكذبين بآيات الله لهم اي لهؤلاء من جهنم مهاد اي فراش ومضجع
ومن فوقهم غواش مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى ان النار محيطة بهم من اعلاهم واسفلهم وكذلك نجزي الظالمين قال ابن عباس يريد
الذين اشركوا بالله واتخذوا من دونه الها قوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا
ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون القراءة قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرأ ابو عمرو
وحمزة والكسائي اورثتموها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقون اورثتموها غير مدغمة الحجة قال ابو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها
فاغنى التباسها بها عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ووجه من ترك الادغام في اورثتموها فلتباين المخرجين وكان الحرفين في حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة
الا ترى انهم لم يدغموا في لو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك الثاء قد يقع بعد التاء
منها غير التاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان التاء والثاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك اللغة الغل الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب يقل
ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل الذي يجمع اليد الى العنق بانغلاله فيها والصدر ما يصدر من جهة التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس
صدر والجري انحدار المائع فالماء يجري والدم يجري وكل ما يصح ان يجري فهو مائع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء
بطريقة يا فلان الاعراب لا نكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بانه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكانه قيل منهم الا من غيرهم ونحو قوله السمن منوان

بدرهم

بدرهم اي منوان منه ويجوز ان يكون اعتراضا ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلكم
الجنة يجوز ان يكون بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنئة بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير
بانه تلكم الجنة قال الشاعر اكاشره واعلم ان كلانا على ما ساء صاحبه حريص المعنى لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين
بالخلود في الجنان فقال والذين آمنوا اي صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها وعملوا الصالحات اي ما اوجب الله عليهم او ندبهم اليه لا نكلف نفسا الا
وسعها اي التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع دون الطاقة ووجه اتصالها بما
قبله بين اذا جعلته خبرا لان معناه لا نكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكانه لما وعد المؤمنين بالجنات والكافرين بالنيران
بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه ثم قال من استحق النار فمن نفسه اتي اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مقيمون ونزعنا ما في قلوبهم صدورهم من غل اي واخرجنا
ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه تجري من تحتهم الانهار قيل انه في موضع الحال اي تجري الانهار من تحت
ابنيتهم واشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو مستأنف وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا
عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدي لما صيرنا
الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم لولا ان هدانا الله هذا اقرار من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم بدخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك
لانه لا تكليف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا اقرار منهم بان ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته ونودوا اي ويناديهم مناد
من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم ان تلكم الجنة اي هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل هذه لهم تلكم التي وعدتم
بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة اورثتموها اي اعطيتموها وهي ارث وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل
معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم عما كان اعده للكفار لو آمنوا وروي عن النبي انه قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث المؤمن
منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اي توحدون الله وتقولون بفرائضه قوله تعالى ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون آيتان القراءة قال الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح
وقرأ اهل المدينة والبصرة ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب الحجة قال الاخفش نعم ونعم لغتان والكسر لغة كنانة وهذيل
والفتح لغة باقي العرب ان التي تقع بعد العلم انما هي المشددة والمخففة عنها اذن تؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلى ارادة اضمار القصة و
الحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها ولا تخفف الا
لا يكون كذلك والفصل بينهما ان المفتوحة موصولة والموصول يقتضي صلته فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها
الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك اللغة قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو علي والذي يريده بقوله
عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطيني فقلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا ٤٢ فهذا
اذا قال قد كان كذا فقلت نعم ولا عدة فليس يخلو هذا القول من سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزاء لانه اذا يكون جوابا في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت
اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال الست بربكم قالوا بلى والذين يصدون
في موضع جر بانه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول به بمعنى يبغون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون بها هذا الضرب
من الطلب كما تقول رجع القهقرى رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكى واشتمل الصماء والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في
الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر المعنى ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال ونادى اي وينادي
اصحاب الجنة اصحاب النار اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقيق المعنى فجعل ما سيكون كانه قد كان لانه كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع ان قد
وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعد
الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة وانما سألوهم هذا السؤال لان الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لانفسهم من
الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار قالوا نعم اي قال اهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من العقاب
وصدقا فاذن مؤذن بينهم اي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين اي غضب الله وسخطه واليم عقابه على الكافرين لانه وصف الظالمين بقوله
الذين يصدون عن سبيل الله اي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على انه يؤدي الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اي دينه والحق الذي دعا اليه
ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها ويوهمون انه يقدح فيها وانها يوهمون
معوجة عن الحق بتناقضها وهم بالآخرة اي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء كافرون جاحدون وقيل ان المؤذن مالك خازن النار وروي عن ابي الحسن الرضا
انه قال المؤذن امير المؤمنين ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا ورواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية
عن علي انه قال انا ذلك المؤذن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس ان لعلي في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فاذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا

لعنة الله على الظالمين الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي قوله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين آيتان اللغة الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للخصي محجوب وحاجب الامير وحاجب العين والاعراف الاماكن المرتفعة اخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ فظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وقال الفراء كل كثيب عند العرب عرف وجمعها اعراف كالعلم الموقوف على الاعراف يعني نشوز من الارض والسيما العلامة وهو فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل اصل وزنه فعلى من وسم فقلبت كما قالوا له جاه في الناس اصله وجه كما قالوا اضمحل وامضحل وارض خامة اي وخمة وفيه ثلاث لغات سيما بالقصر وسيماء بالمد وسيمياء بزنة كبرياء قال الشاعر له سيمياء لا تشق على البصر والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان تقول هو تلقاءه كما تقول هو حذاءه والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر فيقال له بصر بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالامور المعنى ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال وبينهما حجاب اي بين الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل وعلى الاعراف رجال اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ابو بكر بن عبد الله المزني قال الحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الحسنات عن الجنة ثم قال جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم يعني اهؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن امر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي ص انه قال يا علي كأني بك يوم القيامة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين الى النار وروى ابو القاسم الحسكاني باسناده رفعه الى الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي ع فاتاه ابن الكواء فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكواء نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فادخلناه النار وقيل يعرفون كلا بسيماهم يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيماء المطيعين واهل النار بسيماء العصاة ونادوا اصحاب الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون اصحاب الجنة ان سلام عليكم وهذا تسليم تهنئة وبشارة وهب الله لهم لم يدخلوها اي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهم يطمعون ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي واذا صرفت ابصارهم يعني ابصار الذين على الاعراف تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لان نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت ابصارهم لان نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع الظالمين اي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله بن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله ع قوله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون آيتان اللغة النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الامن وهو الثقة بانتفاء المكروه الاعراب هؤلاء مبتدأ وخبره الذين اقسمتم ويجوز ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف وتقديره اهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لان الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين احدهما ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والآخر انه يبقى المبتدأ بلا خبر المعنى ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب النار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب الاعراف رجالا من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اي بصفاتهم يدعونهم باسمائهم وكناهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا قالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في الدنيا

وما كنتم تستكبرون اي واستكباركم عن عبادة الله تعالى وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فاين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد للانبياء في الدنيا عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله بخير ورحمة ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور وآمنه كما مر والمراد بهذا تقريع الذين تردوا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطرب اقوال المفسرين والقائلين بهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لانه المروي عن ائمتنا ع قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون آيتان اللغة الافاضة اجراء المائع من علو ومنه قولهم افاضوا في الحديث اي اخذوا فيه من قبله لانه بمنزلة اجراء الماء من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها اللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء الاعراب قال ان افيضوا من الماء علينا او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه لان كان المعنى افيضوا هذا وهذا لانه جاء على قولهم جالس الحسن او ابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم المعنى ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب النار وهم المخلدون في النار وفي عذابها اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار او مما رزقكم الله اي اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد قالوا يعني اهل الجنة جوابا لهم ان الله حرمهما على الكافرين وسئل فقيل كيف ينادي اهل الجنة واهل النار واهل الجنة في السماء على ما جاءت به الروايات واهل النار في الارض وبينهما ابعد الغايات فقيل يجوز ان يزيل الله عنهم ما يمنع من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اصلا دينهم الذي شرعه الله لهم باللهو واللعب عن التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته لعبا ولهوا فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا وتبعوا اهواءهم وغرتهم الحياة الدنيا اي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكان الدنيا غرتهم فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا اي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي وما كانوا بآياتنا يجحدون ما في الموضعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل ان الجميع كلام الله تعالى على غير جهة الحكاية عن اهل الجنة عند قوله حرمهما على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنة الى قوله الدنيا الحياة ثم استأنف الكلام بقوله فاليوم ننساهم قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون آيتان اللغة الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتابة حروف مسطورة تدل باتلافها على معان مخصوصة والتفصيل التبيين والتقسيم نظائر ينظرون اي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وقيل الانتظار الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وانما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري واليه ذهب المرتضى الاعراب هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستئناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لانه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد بالرفع على تقدير او هل نرد فنعمل وهل يكون لنا رد فان نعمل اي فيعمل مثل ذلك غير ما كنا عملناه المعنى لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد اتاهم الكتاب الحجة فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القرآن فصلناه بيناه وفسرناه على علم اي ونحن عالمون بما فيه من المصالح لما كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما يوجب في صفة الموجود كذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لانهم المنتفعون به هل ينظرون الا تأويله اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول حال امرهم اليه عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وانما اضاف اليهم مجازا لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وانما كان ينتظر به المؤمنون لايمانهم بذلك وعلمهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي يوم يأتي تأويله يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به يقول الذين نسوه من قبل اي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناسي له عن مجاهد والزجاج قد جاءت رسل ربنا بالحق اعترفوا بان ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب او نرد اي وهل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعصية قد خسروا انفسهم اي اهلكوها بالعذاب وضل عنهم ما كانوا يفترون على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير حفص يغشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي غشي فعل متعد الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالامرين فالتضعيف فغشاها ما غشى فما في موضع نصب بانه المفعول الثاني وقال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول محذوف والمعنى فاغشيناهم العمى وفقد الرؤية عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين فكلا الفريقين قراءتها جاء في التنزيل ونحو

يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منصوب بانه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وما في السماء الشمس والقمر فاذا اخبر بتسخيرها حسن الاخبار عنها به كما انك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب اللغة قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى الى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحثيث السير السريع بالسوق لتصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال الاعراب قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل والمفعول او منهما جميعا مثله قوله فاتت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا المعنى لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اي ان سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله الذي خلق السموات اي انشأ اعيانها وابتدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عمد يدعمها والارض اي وانشأ الارض ايضا كذلك في ستة ايام اي في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا لانه لا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك في لحظة ولكنه خلقهما في هذه المدة لمصلحة ورتبهما على ايام الاسبوع فابتدأ بالاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي جمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون فاعلها عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه على مشيته وقيل انه سبحانه علم خلقه التثبت والرفق في الامور عن سعيد بن جبير ثم استوى على العرش اي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير ابدا قال الشاعر اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقال آخر ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب وقيل معناه ثم استوى عليه بان رفعه عن الحسن وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال ويدل عليه قوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والارض وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال اقرؤه كما جاء لا افسره يغشي الليل النهار يعني يأتي باحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشي النهار الليل لان الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع آخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا اي يتلوه فيدركه سريعا وهذا توسع بمنزلة ما يطلب الشيء في سرعة لحاق الشيء طالبا له والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي مذللات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فانه منصوب على الحال الا له الخلق والامر انما فصل بين الخلق والامر لان فائدتهما مختلفة لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر ان له ان يأمر في خلقه بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين المحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اي البركة في ذكر اسمه رب العالمين اي خالقهم ومالكهم وسيدهم

قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين

القراءة قرأ ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان اللغة التضرع التذلل وهو اظهار الذل في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب من الامور واصل التضرع الميل في الجهات ومنه قولهم ضرع الرجل يضرع اذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل اليه ومنه المضارعة المشابهة لانها تميل الى شبه النظير ونبت لا يسمن لانه يميل مع كل داء والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنية وقالوا خفيت الشيء اذا اظهرته قال الشاعر يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل ويمكن ان يكون خفيت الشيء اي ازلت اظهاره واذا ازلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى ازلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب وضده الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب الاعراب تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال اي ادعوه متضرعين مخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال ايضا اي خائفين عقابه وطامعين رحمته قال الفراء انما ذكر قريب لم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لان كل ما قرب في مكان او نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز ان يكون اراد بالرحمة هنا المطر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر يا ايها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت اي ما هذه الصيحة وقول الآخر ان السماحة والمروءة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح المعنى ثم امره سبحانه بعد ذكر الدلائل على توحيده بدعائه على وجه الخشوع كما قال عبيد فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور فما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وروي ان النبي كان في غزاة فاشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال عليه السلام يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر يعني علانية وسرا عن ابي مسلم ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره انه لا يحب المعتدين في الدعاء وقيل هو ان تطلب منازل الانبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم الموسوم في جميع العبادات والدعوات ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها معناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الارض بعد ان اصلحها الله بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك

والكلبي

عن الكلبي وقيل بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن بعث الانبياء اصلاحها اذا وعدهم الله تعالى بها ... فقال لا تفسدوها بقتل المؤمن ... نبيا وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروى ميسر عن ابي جعفر في هذه الآية قال ان الارض كانت فاسدة فاصلحها الله بنبيه وادعوه خوفا وطمعا من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة وقيل خوفا من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من النيران وطمعا في الجنان عن عطاء ان رحمت الله قريب من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ونحوه فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك لانه يقتضي ان رحمة الله واصلة الى فاعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل الى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة

قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون

القراءة قرأ ابن كثير الريح واحدة وقرأ الباقون الرياح جمعا وقرأ اهل المدينة والبصرة الرياح جمعا نشرا بضم النون والشين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف والباقون نكدا بالكسر الحجة قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة واما في الجمع القليل فصحت لانه لا شيء فيه يوجب الاعلال الا ترى ان الحركة لا توجب اعلال هذه الواو في نحو عوض وحول فاما في الجمع الكثير فرياح فقلبت ياء للكسرة التي قبلها واذا كانت تنقلب في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فان تقلب في رياح اجدر لوقوع الالف بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تأخرت عن الواو اوجبت فيها الاعلال وكذلك الالف لشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاء والبعير ان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال الشاعر فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم فمن نصب حمله على المعنى لان المراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير ومن جمع الريح اذا وصفها بالجمع الذي هو نشر لان الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ ومما جاء في الحديث ان النبي كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر عاتية وريح فيها عذاب اليم قال ابو عبيدة نشر متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي وهبت له الريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي المياه نسيمها والريدة والريدانة الريح قال الاردني ريدانة نسمة ... ومن قرأ نشرا احتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فاذا جعلته جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب فكان المعنى ارياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشر جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقائل وقتل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر نشرا يحتمل الوجهين احدهما ان يكون على فعول وفاعل وخفف العين كما في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كنازل ونزل وعائط وعيط واما من قرأ نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تأويل ابي عبيدة ان يكون متفرقة في وجوهها والآخر ان يكون النشر الذي هو الحيوة في نحو قوله يا عجبا للميت الناشر فاذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول اتانا ركضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كانه قال ارسال الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوائد من المصدر كما قال والله انبتكم من الارض نباتا وان شئت كان مصدرا من غير لفظ الفعل والضرب الآخر ان يكون نشرا ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على يرسل الرياح نشرا وتنشر نشرا من قوله كما تنشر بعد الطية الكتب ومن قرأ بشرا كان نشر الميت وقراءة عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشير على بشر ككتاب وكتب والوجه فيما روي عن ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نكدا ونكدا الا انه لم يثبت بهما رواية اللغة الاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الارض التي تجمع الخلائق الكثيرة والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل قال الشاعر واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد المعنى لما اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بانه خلق السموات والارض وما فيهما من البدائع عطف على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته تعدادا للنعم على بريته اي يطلقها بجريها منتشرة في الارض او محيية للارض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر حتى اذا اقلت اي حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بالماء سقناه لبلد ميت اي الى بلد ميت وموت البلد تعفي مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير الى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا اتصل السحاب انزل المطر فانزلنا به الماء يجوز ان يكون الضمير في به راجعا الى البلد اي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز ان يكون راجعا الى السحاب اي فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به اي بهذا الماء المنزل وبهذا البلد من كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض ويحتمل ان يكون لتبيين الجنس كل

نخرج الموتى اى كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بان نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون اى لكى تذكروا وتتفكروا وتعتبروا بان من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فانه يقدر على احياء الاموات بان يعيدها الى ما كانت عليه ويخلق فيها الحيوة والقدرة واستدل ابو القسم البلخي بهذه الاية على ان كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لان الله تعالى بيّن انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك انما ينكر قول من يقول بقدم الطبائع وان الجمادات فاعلة فاما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا ننكره في ذلك كما نقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة بان يخرج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما يقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الارض التي ياتيها المطر

آدم في الالف الاول الاولى وبعث في الالف الثانية وهو ابن اربع مائة وقيل بعث ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك الالف ثلثة قرون عاشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرقت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروى اكثر من ذلك ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ثم قال اخاف ولم يقطع لانه جوز ان يتوبوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال قال الملأ من قومه يعني الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الاشراف والرؤساء الذين يملئون الصدر هيبة عن ابي مسلم انا لنراك في ضلال مبين

عاما وهو في قومه يدعوهم مائتي عام وفي عمل السفينة خمس مائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان ثم أن ملك
الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح فقال له ما جاءك يا ملك الموت فقال جئتك لأقبض روحك فقال له تدعني أتحول من
الشمس إلى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال له يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه

قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة
وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون
قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أ
تجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ثماني آيات اللغة السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه إذا كان خفيفا قال مؤرج السفاهة الجنون
بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب أن العجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يتعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لأنه قد يكون حسنا
في المثل الأخير بمن لا يتعجب من العجب وردا منه للمتعجب من غير عجب وخلفا جمع خليفة وهو كالبدل من غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على
اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجاز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل طريقة وطرائف والآلاء النعم واحدها أربع لغات ألى مثل معى وإلى مثل قفى وإلى مثل
رمى وإلى مثل حسى قال الأعشى أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلا قيل أراد نقول الألا والشديد حنفة وهو لعبد العزى
الوقوع السقوط والرجز والرجس العذاب قيل الرجس الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر ألا لحى الله بني السعلات عمرو بن يربوع
شرار النات أي الناس ليسوا بأعفاء ولا أكيات يريد أكياس الإعراب انتصب أخاهم هودا بقوله أرسلنا في أول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وأرسلنا
إلى عاد أخاهم هودا وحسن هو الخفة كأمس فتحل يا قوم موضع ويتوصب لأنه نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في صفته إلا النصب وقوله ولكني رسول استدراك بلكن
لأن فيه معنى ما عاداني إلى السفه ولكن دعاني إلى الرشد المعنى ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال وإلى عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح
أخاهم يعني في النسب لا في الدين هودا وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عن محمد بن إسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح بن جلوث بن عاد بن عوص بن إرم بن
سام بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لأنه أبلغ في الحجة عليهم إذ اختار للرسالة إليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا إليه أسكن وبه آنس وعنه
أفهم قال هود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره تقدم تفسيره أفلا تتقون استفهام يراد به التقرير قال الملأ الذين كفروا من قومه تقدم تفسيره إنا لنراك
يا هود في سفاهة أي جهالة ومعناه نراك سفيها وإنما قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغمسا في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين أي كذبوه
ظانين لا مستيقنين عن الحسن والزجاج وقيل إن المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد ومعناه أيقنوا
قال هود يا قوم ليس بي سفاهة أي لم يحملني على هذا الإخبار السفاهة ولكني رسول من رب العالمين هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح
لكن يقتصر على ما أضيف إليه بنفي النفس أبلغكم رسالات ربي أي نبوات ربي وإنما قال رسالات على ما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة تضمنت أشياء كثيرة من الأمر
والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإذا قال في غيره رسالة بلفظ الواحد فلأن لفظه مشتملة على هذه الأشياء بطريق
الإجمال وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه من طاعة الله وتوحيده أمين أي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه
كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم أي لا تعجبوا أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان على رجل منكم والتنبيه
بينكم وقيل معناه أن كيف تعجبون من بعثة رجل منكم ولا تعجبون من عبادة حجر لينذركم ليخوفكم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح معناه
واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان وزادكم في الخلق بسطة أي طولا وقوة عن ابن عباس ومجاهد قال
الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وقيل كان أقصرهم اثني عشر ذراعا قال أبو جعفر الباقر كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو
الجبال بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة وكانوا أطول من غيرهم بمقدار ما يمد الإنسان يده فوق رأسه باسطا فاذكروا آلاء الله أي نعم
الله لعلكم تفلحون أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة قالوا أجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر عبادة ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام فأتنا بما تعدنا من
العذاب إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله إلينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام قال هود لقومه جوابا عما قالوه قد وقع عليكم أي وجب
عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع من ربكم رجس أي عذاب وغضب أي العذاب عن ابن عباس وقيل الغضب من الله إرادة العذاب بمستحقيه ومثله السخط أتجادلونني أي أتناظرونني وتخاصمونني
في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم في أصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها أسماء فسميتموها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء وقيل معناه تسميتهم
لبعضها أنه يسقيهم المطر والآخر أنه يأتيهم بالرزق والآخر أنه يشفي المرضى والآخر أنه يصحبهم في السفر ما نزل الله بها من سلطان أي حجة وبرهان ولا بينة لكم
البينة بما ادعيتم وسميتم وليس علي أن آتيكم بالبينة على ما تعبدونه من دون الله فلا علة لكم وعلي أن آتيكم بسلطان مبين أن الله هو المعبود ولا معبود سواه
وأني رسوله فانتظروا عذاب الله فإنه نازل بكم إني معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحسن والجبائي فأنجيناه والذين معه برحمة منا أي فخلصنا هودا
والذين كانوا آمنوا معه من العذاب بأن أخرجناهم من بينهم قبل نزول العذاب بهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي واستأصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب

الاستيصال

الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مؤمنين بالله وبرسوله وإنما قال ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حالهم أنهم لو أبقاهم لما كانوا يؤمنوا
كما قال في موضع آخر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا
عقب لهم قصة هود عليه السلام على ما ذكره السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والأحقاف
وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار طويلة وأجسام عظيمة وكانوا أصحاب أصنام يعبدونها فبعث
الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل
ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجؤوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد
عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فبعث عاد وفدا منهم إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء
الذي نزل بهم شق ذلك عليه فقال هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فشكى ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم
وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما فيسقي أرض عاد إن عادا قد
أمسوا ما يبينون الكلاما وإن الوحش تأتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما وأنتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا
لقوا التحية والسلاما فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال
رجل منهم قد آمن بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم ثم خرجوا إلى مكة ليستسقوا بها لعاد وكان قيل بن عنز رأس الوفد فقال اللهم
إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذا السحاب فاختار السحابة
السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة إلى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب أليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة
ومن معه لا ما يلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وإنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم وروى أبو حمزة الثمالي عن سالم عن أبي
جعفر قال إن لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب
وإسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون
من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا
الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا
قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين سبع آيات القراءة قرأ ابن عامر وحده وقال الملأ بإثبات الواو والباقون
بغير الواو الحجة قد تقدم القول في نحو هذا الواو وأن إثباتها وحذفها حسن اللغة البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به وأصلها
من البيان والدليل يقال لعبر منه أي مطاء ونوق وجمل لعلها جوده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوئة التمكين من المنازل
يقال بوأته منزلا إذا مكنته منه ليأوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر وبوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوؤها أي نزلت ومكنت والقصور جمع قصر
هو الدار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الحبس على منزلة دون منزلة ومنه القصيرة لأنه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لأنه قصر
عليه العثو الفساد يقال عثى يعثي وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عقر الحوض أصله قال امرؤ القيس بإزاء الحوض أو عقره والعتو
تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا إذا اضطرب من تحتهم وأرجف الناس بالشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك
على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدأ الجثوم الإعراب ثمود يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم
الحي مذكرا ومن ترك صرفه جعله اسم القبيلة كما قال ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله
هذه ناقة الله انظروا إلى هذه الناقة آية أي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضا نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من
قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد حرف الجر وقوله يا صالح ائتنا إن وصلته همزته وإن ابتدأت به قلت يا صالح ايتنا
كذلك لأن أصله ائتنا بهمزتين فكره اجتماعهما فقلبوا الثانية بالكسرة ما قبلها وإذا وصل سقط همزة الوصل فظهر همزة الأصل المعنى ثم عطف سبحانه على ما
تقدم قصة صالح فقال وإلى ثمود أخاهم صالحا أي وأرسلنا إلى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله وحده ما لكم من إله غيره تعبدونه قد جاءتكم بينة من ربكم أي دلالة معجزة شاهدة على صدقي هذه ناقة الله لكم آية أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله
سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وإنما قيل أضافها إليه لأنه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء
تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم

شرب يومهم لا تقرب فيه ما وهم عن السدي وابن اسحق وجماعة وقيل انما اضافها الى الله لانه لم يكن لها مالك سوى الله تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه فذروها اي اتركوها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء اي بعقر او نحر فياخذكم اي يصيبكم عذاب اليم اي مولم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الارض ومكنكم فيها من بعدهم وبوأكم في الارض اي انزلكم فيها جعل لكم فيها مساكن وبيوتا تأوون اليها وتتخذون من سهولها قصورا السهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اي تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها وتنحتون الجبال بيوتا قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا ليكون بيوتهم في الشتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ وروي انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتا في الجبال لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله اي نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اي ولا تضطربوا في الارض لا بثا لعوا فيها بالفساد قال الملأ الذين استكبروا اي تعظموا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه من قومه اي من قوم صالح للذين استضعفوا اي الذين استضعفوهم من المؤمنين لمن آمن منهم انما ذكره لئلا يظن ان المستضعفين لم يكونوا كلهم مؤمنين لانه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال الله سبحانه هذه الشبهة اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اي مصدقون قال الذين استكبروا انهم حين سمعوا منهم الايمان والاعتراف بنبوة صالح انا بالذي آمنتم به اي صدقتم به كافرون جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله فعقروا الناقة اي نحروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ان كنت من المرسلين ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله فاخذتهم الرجفة اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر في ديارهم بالجمع جاثمين اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اي اعرض عنهم لانه انما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اي اديت النصح في تبليغ الرسالة ولكن لا تحبون الناصحين اي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لانه مر الحق الينا نافيا منه قصة صالح عليه السلم وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فبعثه الله اليهم وهو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما راى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسألوني حتى اسأل الهي فيجيبكم فيما تسألون وان شئتم سألت آلهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا ارى آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل الهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فاذا كان يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع راسها فتفحج لهم فيحلبون ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوق ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية وكان له مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه

فانطلقوا

فانطلقوا فلما دخلوا الغار وارادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك فاذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله اما رضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة بتبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من شراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم و كان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان اتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكا حزينة لاجل الناقة ولاجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت ثم زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا اليه يعتذرون انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم اليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم فماتوا جميعا في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا يتنفس الا اهلكها فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابرهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل حين رقى في القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ومعه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله راسه واسرع السير حتى جاز الوادي قوله تعالى

ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتاتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة حققهما اهل الكوفة الا حفصا بينهما بالف وابن كثير و ابو عمرو ورويس يحققون الاولى ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالالف الحجة قال ابو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها الى شيء فمن الحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها بقاها على الخبر فاذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتاتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية اللغة قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لان العجمي لا يشتق من العربي وانما قال لانه لو وجد الاعلام في اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوط بقلبي من ذاك اي الصق اللبطة الفتر للصوق ما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة فيما من فعل الله تعالى والارادة من فعلنا يقال اشتهى يشتهي شهوة قال واشعث يشتهي النوم قلت له ارحل اذا ما النجوم اعرضت واستكرت فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال لها خذها بكفيك خرت والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى عض بما ابقى المواسي له من امه في الزمن الغابر الاعراب انما نصب فلوط لخفته بكونه على ثلاثة احرف ساكن الوسط فقامت الخفة احد السببين يجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب عليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الا امراته استثناء متصل لانه يجوز ان يدخل الزوجة في الاهل على التغليب لجهله ذو التفضيل لم يقل من الغابرات لانه اراد انها ممن بقيت مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتاكيد كقولك ضربت ضربا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ولوطا اي وارسلنا لوطا وقيل اذكر لوطا قال الاخفش يحتمل المعنيين جميعا هيهنا فانه لما ذكر في قصة عاد وثمود الا ارسلنا فهنا كان اي وهو

يحتمل

لوط بن هاران بن تارخ بن اخي ابرهيم الخليل ع وقيل انه كان ابن خالة ابرهيم وكانت سارة امراة ابرهيم اخت لوط اذ قال لقومه اتاتون
الفاحشة اي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار
قال الحسن كانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء معناه انكم تاتون الرجال في ادبارهم
اشتهاء منكم اي تشتهونهم فتاتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي اباحها الله لكم بل انتم قوم مسرفون اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد متوغلون في
جميع المعاصي باتيان الذكران وغيره وما كان جواب قومه اي لم يجيبوه عما قال الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقابلوا النصح والوعظ بالسفاهة فقالوا
اخرجوا لوطا ومن امن معه من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يريد بالقروي من
يسكن المدن انهم اناس يتطهرون اي يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون
عن افعالكم وطرائقكم فانجيناه اي فخلصنا لوطا من الهلاك واهله المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امراته كانت
من الغابرين اي من الباقين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن
وقتادة وامطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال في اية اخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
معناه تفكر وانظر بعين العقل كيف كان مآل امر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة والخلود
في النار قصة لوط مع قومه مجملة مختصرا رووا عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر ع ان لوطا لبث في قومه ثلثين سنة و
كان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة
بخلاء اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة الى الشام ومصر وكان ينزل
بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما فعلوا ذلك لتنكل
النازلة عليهم من غير شهوة بهم الى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخيا
كريما يقري الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط اذا نزل به الضيف
كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرئيل في نفر من
الملائكة فاقبلوا الى ابرهيم قبل لوط فلما راهم ابرهيم ذبح عجلا سمينا فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابرهيم انا رسل
ربك ونحن لا ناكل الطعام انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابرهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل
اضفنا الليلة فقال لوط ان اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم وياخذون اموالهم قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت
امراته كافرة فقال قد اتاني اضياف في هذه الليلة فاكتمي امرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق
السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم من كل ناحية يهرعون
ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرئيل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما راوا ذلك علموا انه قد اتاهم العذاب فقال جبرئيل يا لوط اخرج
من بينهم انت واهلك الا امراتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية
فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الارضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها
عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد ان امطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امراته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت
المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي اول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم
اخصبت فانتجعها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا الى دبره ثم عنوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت ٧ فنكح في دبره
الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم وامر الارض ان تخسف بهم قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ثلث ايات اللغة الايفاء اتمام
الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره
بالذراع او ما زاد عليه والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلا عن حال ينتفع بها وضد الافساد الاصلاح والصد
الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صد عن الامر اي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح ٧ يصده
العين في العود وكل ما يرى كالحائط ونحوه والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف ماخوذ من انها تجتمع على الطوف الاعراب مدين اسم للمدينة او
القبيلة لا ينصرف للتعريف والتانيث ويجوز ان يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف هنا الباء وعلى وفي تقول الثلثة
لاقعدن بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع في هذه الاحرف الثلاثة معنى فان الباء للالصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو

قد علا

قد علا المكان وفي للمحل وهو قد حل المكان ومن امن في موضع نصب بانه مفعول به اي وتصدون المؤمنين بالله وانما قال فاصبروا ولم يجعل الصبر جزاء وهو لازم
على كل حال لان المعنى فسيعلم كل من بقي منا ما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانتم مصبوبون على حكم الله بذلك المعنى ثم عطف بالجزاء على ما تقدم
من قصة شعيب فقال والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قيل ان مدين ابن ابرهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين
بن ابرهيم وقال قتادة هو شعيب بن يويب وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابرهيم وام ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه بعث الى اهل مدين وقيل الى اصحاب الايكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين مرة والى اصحاب الايكة مرة فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اي اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام في المعاملات
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
يعني لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بان لا تؤمنوا فيهلك
الله الحرث والنسل ذلكم الذي امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بالله فانما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال
حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله سمعا فابتغيه لم يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له فكانه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلك خير لكم ويمكن ان يكون المراد لا ينفعكم
ايفاء الكيل والوزن الا بعد ان تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لان الله تعالى لم يذكرها له في القران وهو غلط لانه لا يجوز
ان يخلي الله تعالى نبيا من معجزة وهذا قد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جوابا للجزاء ويجوز ان يكون له معجزات وان لم تذكر في القران
كما ان اكثر ايات نبينا ومعجزاته غير مذكورة في القران ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يقعدون
على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وثانيها انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه عن ابي هريرة وعبد
الرحمن بن زيد ويمكن ان يكونا ارادا بانهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى معنى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا
بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه ويقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتوعدونه وتصدون عن سبيل الله من امن به
تمنعون عن دين الله من اراد ان يؤمن به من الناس وتبغونها عوجا ابتغاء ان تجعلوا السبيل عوجا اي عادلا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذب وهذا باطل وما
اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل يريدون لها عوجا والعدول عن القصد
عن الزجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين ابن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج
جائز ان يكون كثر عددكم وجائز ان يكون جعلكم اغنياء بعد ان كنتم فقراء وجائز ان يكون كثركم بالقدرة والقوة فكثرتهم وجائز ان يكون عددهم قليلا فكثرهم وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين فكروا في عاقبة امر عاد وثمود وقوم لوط ونزول العقاب بهم واستيصالهم وما حل بهم من البوار وان كان طائفة اي جماعة منكم امنوا بالذي
ارسلت به مصدقين وطائفة لم يؤمنوا او لم يصدقوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس
عني فان جميل العاقبة لي ويحكم الله بين الفريقين بما يستحقه كل واحد منهما في الدنيا او الاخرة دون الدنيا وهو خير الحاكمين لانه لا يجوز عليه الجور ولا
المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي امرهم في هذه الاية بالكف عما كانوا يفعلونه من الصد عن الدين والايعاد عليه الكف عنه خير وشر له
بامرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية كما يذهب اليه بعض اهل النظر قوله عز وجل قال الملا الذين
استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان
عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ايتان اللغة العود الرجوع وهو مصير الشيء الى حال كان عليها وشرعاه الله الخالق ويستعمل لفظة العود في
الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة يقال اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان
مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك تاويله انه قد لحقني منه مكروه وقال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب الاقرام شتوق بي
الاديم وهو مثل الاخلاق والافعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرار الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه
حتى توطاه ومنه الملال وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرر الحمى عليها الفتح الحكم والفاتح والفتاح
الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي يغلق على غيره وفاتحه في كذا اي قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن تقول لزوج بيني
وبينها كلام تعال انطلق فاحاكمك الى القاضي اي احاكمك اليه المعنى ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال قال الملا الذين استكبروا من قومه اي رفعوا
انفسهم فوق مقدارها لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا اي لنخرجنك واتباعك المؤمنين بك من بلدنا الذي هو وطنك ومستقرك او
لتعودن في ملتنا او لترجعن الى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان يخفي
دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا اتباعه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به لتصيرن الى ملتنا او لتدخلن في ديننا طريقا لان العود يذكر ويراد
به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وحقيقة المعنى انا لا نمكنك
من المقام في بلدنا وانت على غير ملتنا فاما ان تخرج من بلدنا او تدخل في ملتنا قال اولو كنا كارهين اي قال شعيب لهم انعيدنا في ملتكم وتردونا اليها

ولو كنا

لو كنا كارهين للدخول فيها المعنى أتامركم أن نعود في ملتكم مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا أنه رجع فأدخل همزة الاستفهام على واو العطف والمعنى أنكم لا تقدرون على ردنا إلى دينكم على كره منا فنكون على هذا كارهين تعني مكرهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها أي إن عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها وأوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم إليه وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا قيل في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الأصنام أقوال أحدها أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز أن يختلف العبادة فيه وفي شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بها وينقلنا إليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي وثانيها أنه سبحانه علق ما لا يكون بما علم أنه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الأصنام والقبائح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها أن المراد إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله أو لو كنا كارهين ورابعها أن يعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما أن ذكر الملة تقدم فيكون تحقيق الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكيا عنهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن في ملتنا على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول بعده إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكان الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه إنما شاءه بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأه على كل حال ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم ذلك فكأنه قال إن ملتنا لا يكون فيها أحد أبدا إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الإيمان والاجتماع معنا على ملتنا وسع ربنا كل شيء علما انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل إلى نفسه فيه من حيث اللفظ وتحقيقه المعنى ويحتمل وجها آخر وهو قبلة أن الله إنما يتعبدنا على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى أنه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو أعلم بما هو أصلح لنا فيتعبدنا به وقيل إن المراد به أنه عالم بما يكون منا من عود أو ترك على الله توكلنا في الانتصار منكم وفي كل أمورنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق هذا سؤال من شعيب ورغبته منه إلى الله في أن يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع إليه سبحانه وإن كان من المعلوم أن الله سيفعله لا محالة وقيل معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبين أنا على حق وهذا استعجال منه للنصر وأنت خير الفاتحين أي خير الحاكمين والفاصلين قوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين آية اللغة غني بالمكان يغنى غنى وغنيانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل وأصل الباب الغنى قال حاتم طي غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر والأسى شدة الحزن يقول أسي يأسى أسى قال يقولون لا تهلك أسى وتجمل الإعراب إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله لئن وإذا هيهنا ملغاة لأنها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الأولى في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يغنوا فيها وإنما أعيد ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيبا مع تنبيه أنهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوا إلى ذلك من أهل الإيمان وقوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل لأن المضمر لا يوصف لأنه يحتاج إليه للتوكيد ليتمكن معناه في النفس وأن الذي بعده من المعرفة لا يخرجه عن معنى الخبر ولذلك كان لا يدخل الخبر النكرة المعنى ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه أي من قوم شعيب للباقين منهم لئن اتبعتم شعيبا في دينه وتركتم دينكم انقياد الأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الأول فيما دعا إليه إنكم إذا لخاسرون والخسران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كنتم بمنزلة من يذهب رأس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون فأخذتهم الرجفة أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل أرسل الله عليهم رعدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا الجوف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وأنضجهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن أبي عبد الله ع وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم أهلكوا بالرجفة وقوم أصحاب الظلة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها أي كأنهم لم يقيموا فيها قط لأن المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعمروا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا أعاد اللفظ تأكيدا وتغليظا كانوا هم الخاسرين معناه بين سبحانه أنهم الخاسرون دون من آمن به فتولى عنهم شعيب أي أعرض عنهم لما رأى إقبال العذاب عليهم إعراض الآيس منهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي فيما أمرني فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه أن ما نزل بكم من البلاء وإن كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على أنفسكم فكيف آسى أي فكيف أحزن على قوم كافرين حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع يصلح لا بالنفي وإنما يدخله معنى الإنكار لتبيح لهذه العلة وهذا كما قال العجاج أطربا وأنت قنسري وهذا أشد من شعيب لما يكره

حاله منهم ومن محنته لهم ونادته نداء بالله وبعد إليهم وأنه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير وأنه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين قوله تعالى وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون آيتان اللغة التبديل وضع أحد الشيئين مكان الآخر وأصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من أخيه شيء فمعنى قوله حتى عفوا تركوا حتى كثروا وقال ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات اللحم كوم والبغتة الفجاءة وهي الأخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتا وبغتة قال وأنكأ شيء حين يفجأك البغت الإعراب أصل يضرعون يتضرعون فأدغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء لأن في الضاد استطالة وإنما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو موضع رفع بأنه خبر لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال المعنى ثم ذكر سبحانه بعدما اقتص من قصص الأنبياء وتكذيب أممهم إياهم ما نزل بهم من العذاب سنته في أمثالهم تسلية لنبينا ص فقال وما أرسلنا في قرية من القرى التي أهلكناها بالعذاب وفي الكلام حذف من نبي فكذبوه يعني من نبي هو ممن يؤدي عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم إلا أخذنا أهلها يعني أهل تلك القرية بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون أي ليتضرعوا ويعلموا أنه مقدمة العذاب فيتضرعوا ويتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في أنفسهم وبالضراء ما نالهم في أموالهم وقيل إن البأساء الجوع والضراء الأمراض والشدائد عن الحسن وقيل إن البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي دفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لأنها تسوء صاحبها قال الجبائي في هذا الموضع على سبيل التوسع المجاز حتى عفوا أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمنوا عن الحسن وقيل أعرضوا عن الشكر عن أبي مسلم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء أي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم فينتقلوا فأخذناهم بغتة أي فجأة عبرة لمن بعدهم وهم لا يشعرون أي لم يعلموا أن العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية أنه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم تارة بالشدة وتارة بالرخاء فإذا أفسدوا على الأمرين جميعا أخذهم فجأة ليكون ذلك أعظم في الحسرة وأبلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه قوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أربع آيات القراءة قرأ أوأمن بفتح الواو عراقي وابن فليح والباقون أو أمن بسكون الواو إلا أن ورشا قرأ على أصله في إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال أو امن الحجة قال أبو علي أو حرف يستعمل على ضربين أحدهما أن يكون بمعنى أحد الشيئين أو الأشياء في الخبر والاستفهام والآخر أن يكون للإضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما أن أم المنقطعة في الاستفهام كذلك فأما التي تكون لأحد الشيئين أو الأشياء فمثاله في الخبر زيد أو عمرو جاء وضربت زيدا أو عمرا كما تقول أحدهما جاء وأحدهما ضربت وهي إذا كانت للإباحة كذلك أيضا وهو قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وأما التي تجيء للإضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك أنا أخرج ثم تقول أو أقيم أضربت عن الخروج وأثبت الإقامة كأنك قلت لا بل أقيم كما أنك في قولك إنها لإبل أم شاء مضرب عن الأول ولا يقع بعدها هذه الأجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا إنك لو قلت أو لا تطع كفورا انقلب المعنى وإنما كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثما أو كفورا فكأنه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فإنما المراد لا تطع أحدا منها لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة كما جاء في قوله جالس الحسن أو ابن سيرين لأن كل واحد منهما أهل أن يجالس ولو قال ولا تطع منهم آثما أو كفورا لكان يقوله ولا تطع قد أضرب عن ترك طاعة الأول ولو كان يجوز أن يطيعه مع جواز أن يطاع مجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال ولا تطع منهم آثما أو كفورا لكان المعنى وجه قوله من قرأ أو أمن أنه جعل أو للإضراب لا على أنه أبطل الأول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال أم يقولون افتراه فجاء هذا ليبصر ما فعلهم فكان المعنى أو أمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم وإن شئت جعلته والتي في قولك ضربت زيدا أو عمرا كأنك أردت أفأمنوا إحدى هذه العقوبات ووجه قراءة من قرأ أو أمن أنه أدخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله أثم إذا ما وقع وقوله أو كلما عاهدوا عهدا ويجمع من قرأ ذلك أنه أشبه بما قبله فيما بعد الآية من قبله أفأمن أهل القرى أو لم يهد للذين يرثون فكما أن هذه الأشياء عطف عليها حرف الاستفهام كذلك ما أدخل البركات الخيرات النامية وأصله الثبوت والأمن والثقة والطمأنينة نظائر في اللغة وضد الأمن الخوف وضد الطمأنينة الانزعاج الأمن الثقة بالسلامة من الخوف البأس العذاب والبؤس الفقر وأصل الباب الشدة ومنه رجل بئيس شديد القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى العين يضعف الحس وفي المثل أصبح نائما الرجل ينام نوما وهو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو إذا كان خاملا لا يؤبه به ورجل نومة بفتح الواو إذا كان كثير النوم والنيم الفرو لأنه من شأنه أن ينام فيه ولأنه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار في وقت انبساط الشمس قبل الظهر ومن قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا وضحوا ولعل ذلك الأمر ضاحيا إذا فعله ظاهرا والأضحية لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال بإظهار خلاف الإضمار وقيل إن أصل المكر الالتفاف ومنه ساق ممكورة أي ملتفة حسنة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب والمكور شجر ملتف قال ابن مقبل على دكوره ومعنى قولهم مكر فلان بفلان مكرا التف تدبيره عليه مكروه الإعراب بياتا بمعنى بائتين ومعناه تعلق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقة كان وكون فيها هذا المعنى على طريقة يكون والفرق بينهما أن تعلق الثاني بالأول الذي يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كقولك إن أمن هذا الكافر استحق الثواب

وهذا مقدر وليس كذلك لو لانها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع فاعل وانما فتحت ان بعد لو لانها وقعت في
الموضع الذي يختص بالفعل فان لو ليس يدخل الا على الفعل ان تمنع سمها خبرها فجاز ما قبل الاسم مقدر فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى امنوا فيكون ان
مع ما بعده في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن اهل القرى لانها للاستفهام والعطف
بخلاف لانهما انما يتنافيان في المفرد لان الثاني اذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستيناف قد خرج من ان يكون منه ولا يتنافى عطف جملة على
جملة منعه لانه على استيناف جملة بعد جملة المعنى ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الامم المتقدم ذكرهم انما اتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال ولو ان اهل القرى
التي اهلكناها بتكذيبهم امنوا وصدقوا رسلنا واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ناميه من السماء بانزال المطر ومن
الارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الايات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض
[illegible]

زادتهم رجسا الى رجسهم وان كانت السورة لم يزدهم ذلك عن جعفر بن حرب البلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالته على انهم لا يؤمنون كالطبع
على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم قبل ... ما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل الملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون وما
وجدنا لاكثرهم اي ما وجدنا لاكثر المهلكين من عهد اي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد ليس بحافظ للعهد ويجوز ان يكون المراد
بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا هو قول الحسن وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اللام ان للتاكيد والمعنى وانا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد
فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون
[illegible]

الى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فاذا هو بين وهذا موضع كرفع وهو كما قال على بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون
على الحال نحو خرجت فاذا الناس وقوفا اجاز النصب هنا لانه توقفا نكرة والحال لا يكون الا نكرة فاذا اضمرت بطل الحال فان المضمر معرفة والمعرفة
لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فاذا الناس وقوف المعنى ثم عقب سبحانه بقصة موسى على ما تقدم من قصص الانبياء فقال
ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد هؤلاء الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم موسى باياتنا اي بدلائلنا وحججنا الى فرعون وملائه اي اشراف
قومه وذوي الامر منهم فظلموا بها اي ظلموا انفسهم بجحدها عن ابن عباس والجبائي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الايمان بها الكفر والجحود
لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان في قوله فظلموا بها دلالة عليه فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين يعني ما آل اليه امرهم من الهلاك وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين هذه حكاية قول موسى لفرعون ونداءه له اني رسول
اليك من قبل رب العالمين بعثني اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعمائة عام حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق
وقال الامام العلامة الزمخشري يقول انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثله ناطقا به فتقول العرب
فلان يدعي العلم بالطريق وعلى فايدعى هو العلم بها قال الفراء معناه حقيق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على
القوس وبالقوس وجاءني فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الحق عن ابي عبيدة قد
جئتكم ببينة اي بحجة ومعجزة من ربكم اي خالقكم ورازقكم فارسل معي بني اسرائيل اي فاطلق بني اسرائيل من عقال التسخير وخلهم يرجعوا الى الارض المقدسة
وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه
ذلك قال فرعون ان كنت جئت باية اي بحجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله فات بها ان كنت من الصادقين في انك رسول الله فالقى عصاه الفاء فاء
الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس او يمكن تخييل انه
حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية اخذت قبة فرعون بين فكيها وكان ما بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من سريره
وهرب واحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها انا اؤمن بك فاخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها منها
ثمانين ذراعا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وقيل ان فرعون قال له هل معك اية اخرى قال نعم فادخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها
اخرجها منه واظهرها فاذا هي بيضاء ولونها ابيض نوري ولها شعاع تغلب نور الشمس وكان موسى آدم فيما يروى ثم اعاد اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول
عن ابن عباس والسدي ومجاهد سؤال قيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كانها جان والثعبان الحية العظيمة
والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخبارا عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التي كانت
العصا فيها جانا كانت في ابتداء النبوة والحالة التي كانت فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فالسؤال ساقط وقد اجيب ايضا عن ذلك بانه
شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز حديث العصا قد ذكرنا في موسى
في سورة البقرة واما عصا فقيل انه اعطاه ملك حين توجه الى مدين وقيل انها عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكان يدور بين اولاده حتى انتهت
النبوة بالنوبة الى شعيب فكان ميراثا له مع اربعين عصا كانت لآبائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصا قال له خذ عصا من تلك العصا
فوقع تلك العصا بيد موسى فاسترده شعيب قال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة يقع بيده عليها دون غيرها فتركها في يده وفي المرة الرابعة فلما
خرج من عنده متوجها الى مصر ورأى نارا واتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وامره بالقائها فالقاها فصارت حية فولى هاربا فناداه الله
سبحانه خذها ولا تخف فادخل يده بين لحييها فعادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الانبياء ياخذون العصا تجنبا من الخيلاء
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله تعصوا فانها من سنن اخواني المرسلين وقال امير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله من خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر وتلا هذه الآية ولما
توجه تلقاء مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عاد ومن كل ذات حمة حتى يرجع الى اهله ومنزله وكان معه سبعة
وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل اول من اخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة قوله تعالى قال الملأ من قوم
فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
القراءة قرأ اهل المدينة والكسائي وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همز ويصلون الهاء بياء الا ان نافعا والكسائي وخلفا يشبعون كسر الهاء ولا يشبع ابو جعفر
قالون عن نافع بل يكسر الهاء وقرأ عاصم وحمزة ارجه بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقون ارجئه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ كل سحار
بالالف بعد الحاء كوفي غير عاصم ههنا وفي يونس وقرأ الباقون ساحر بالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء انه بالالف بعد الحاء الحجة قال
ابو علي ارجه اصله من الارجاء وهو التاخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره والاحسن ان لا يبلغ الواو لان الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه جمع بين ساكنين
ومن قال ارجهو فالحق الواو فلان الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لان الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو امتنع نحو عليهو
لاجتماع حرفين متقاربين مع ان الهاء ليس بحاجز قوي ومن قرأ ارجهي فوصل الهاء بياء فلان هذه الهاء توصل في الادراج بواو او ياء نحو بهو وبهي وضربهو

وقرى

وعن قوم ارجه فلان في ارجائه لغتين ارجأت وارجيت فاذا قال ارجه كان من ارجيت قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو ان هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني
هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وان هاء التانيث يجوز اسكانها واستشهد ببيت مجهول وهو لما راى ان لا دعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف
فاضطجع قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطأ وحجة من قرأ سحار قوله فالقي السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله بساحر
احتج من قرأ ساحر قوله سحار لانه قد وصفه بعليم فكان يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك ان يذكر باسم الدال على المبالغة في السحر اللغة السحر
لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم انها معجزة وقال الازهري السحر صرف الشيء عن حقيقته الى غيره واصل السحر خفاء الامر في السحر اخر الليل لخفاء الشخص بقية ظلمته
السحر الرئة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها عن اصوله فقلب الارض ظهرا لبطن يسحرها سحرا والارض مسحورة فشبه سحر الساحر
بتخييله الى من يسحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به الاعراب ماذا تأمرون موضعه ما يحتمل ان يكون نصبا ان يكون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى والذي تأمرون ويحتمل ان
يكون نصبا بان يكون ما وذا اسما واحدا فيكون بمعنى فاي شيء تأمرون وياتوك مجزوم لانه جواب الامر وعامل الاعراب فيه محذوف وتقديره فانك ان ترسل ياتوك
الباء في قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى مع اي ياتوك ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية تقول ذهبت به واذهبته بمعنى
واتيته المعنى ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال قال الملأ من قوم فرعون لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين ان هذا لساحر عليم بالسحر يريد ان
يخرجكم من ارضكم معناه يريد ان يستميل بقلوب بني اسرائيل الى نفسه فيتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجكم من بلدكم فماذا تأمرون قيل ان هذا قول الاشراف بعضهم
لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وانما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه
فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تأمرون وهو قول الفراء والجبائي قالوا ارجه واخاه اي قالوا لفرعون اخره واخاه هرون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فيكون
مجلك حجة عليك عن الزجاج وقيل اخره اي احبسه والاول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما راى من تلك الآيات وارسل في المدائن التي حولك
حاشرين اي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط ارسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن
عباس ياتوك بكل ساحر عليم اي يحشرون اليك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه قوله تعالى وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم
وجاءوا بسحر عظيم اربع آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرأ الباقون بهمزتين محققتين غير ان اهل الكوفة غير حفص
وقرأ ابو عمرو آئن بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير روح بهمزة غير ممدودة الحجة قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لانهم يستفهمون عن الاجر وليس
يقطعون على ان لهم الاجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء على الحذف همزة الاستفهام قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ان
من يذهب الى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا وهذا اقبح من قوله واصبحت فيهم امنا
لا كمعشر اتوني فقالوا من ربيعة ام مضر لان ام تدل على الهمزة الاعراب يحتمل ان يكون موضع ما يكون اكيدا للضمير المتصل كما يحتمل ان يكون
فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف معنى لا يجوز الوقف عليه لانه في الوجوب نظير لا في النفي ثم جاز الوقف على كل واحد منهما لانه جواب الكلام ويستغنى
بدلالة ما عليه عما يتصل به والواو في قوله وانكم واو العطف وكانه قال لكم ذلك وانكم لمن المقربين وهو يخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسر الالف
من انكم لانه في موضع ابتداء فاما لم يكسر لدخول اللام في الخبر لانه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة واما دخلت ان في قوله اما ان تلقي ولم تدخل في اما
يعذبهم واما يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقي اي اما الالقاء واما الالقاء منا فموضع ان نصب ويجوز ايضا ان يكون التقدير اما الالقاء
مبتدأ وخبره اما الالقاء فموضع ان على هذا يكون نصبا المعنى وجاء السحرة فرعون في الكلام حذف كثير لقلة فارسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون
السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن عباس ابن اسحق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضع وثلثون الفا
الثالث عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي قالوا لفرعون ان لنا لاجرا
فقالوا انه متصل بالكلام الاول لان المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه ان لنا لاجرا اي جزاء على عملنا وجزاء بالخير ان كنا نحن
الغالبين لموسى قال نعم اي قال فرعون مجيبا لهم عما سألوه نعم لكم الاجر وانكم لمن المقربين اي وانكم مع حصول الاجر لكم لمن المقربين الى المنازل الجليلة والمراتب
الخطيرة التي لا يحظى بها الا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدرك فوهه بهم ولحسنوا الظن فيه لنفوسهم لانه من المعلوم انه لم يحتج الى
السحرة الا لعجزه وضعفه قالوا يعني قالت السحرة لموسى يا موسى اما ان تلقي ما معك من العصا واما ان نكون نحن الملقين لما معنا من العصي والحبال اولا
قال لهم موسى القوا انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله تعالى سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان
كنتم محقين فالقوا فلما القوا سحروا اعين الناس اي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق حتى تحركت
بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وانما سحروا اعين الناس لانهم اروهم شيئا لم
يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فانهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لانها لو صارت حيات لم يقل
انه سبحانه سحروا اعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واسترهبوهم اي استدعوا رهبتهم
عند ورهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد وجاءوا بسحر عظيم وصف سحرهم بالعظم لبعد مداه الحيلة فيه وشدة التمويه فهو لذلك عظيم في

عند من رآه من الناس لانه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا او حبل فلما القوه وخيل الى الناس انها تسعى تحظوا
ذلك وخافوه قوله تعالى واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا
هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ثلاث آيات القراءة قرأ حفص عن عاصم
تلقف خفيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف وجميعها الحجة تلقف تلقم واحد اصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعة
في تفعل وثبتت التاء التي للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا قال الشاعر انت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يأفكه اللغة
الافك قلب الشيء عن وجهه في الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهة الصواب واصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة
من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي
الى الهلاك وهو نقيض الحق فان الحق كون الشيء بحيث يؤدي الى النجاة والغلبة الظفر بالبغية من العدو حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر
الصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صغرا وصغرا وصغارا اذا ذل واصله صغر القدر الاعراب ان الق يجوز ان يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة
المصدر فيكون تقديره واوحينا الى موسى بان الق اي بالالقاء ويجوز ان يكون بمعنى اي لانه تفسير لما اوحي اليه ما يأفكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يأفكو
نه اي تلقف المأفوك الذي جاءوا به من الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما بمعنى المصدر اي وبطل عملهم
ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي اي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه واذا كانت بمعنى المصدر لا
ان ينقل الفعل نقلين الى المصدر والى الاستقبال ولا ينقله ما الى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع لان ويعجبني ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه لتدل
على بعد المكان المشار اليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار اليه فهنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم فيه معنى الاشارة كما ان ذا
مبهم وانما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الاشارة للتشعر بتأكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليعتبر على بعد المشار اليه من المكان
والبعيد احوج بعلامة التنبيه من القريب المعنى ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال واوحينا الى موسى اي القينا اليه من جهة الخفية الا هو ان الق عصاك
التي معك فاذا هي تلقف ما يأفكون معناها فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هي تبتلع ما يكذبون فيه من انها حيات عن مجاهد فوقع اي ظهر الحق وهو امر موسى وصحة
نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وقع الحق ان صارت العصا حية في الحقيقة وبطل ما كانوا يعملون اي بطل تمويههم عن الجبائي وانما ظهر ذلك لهم لا
لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه امر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها اكلها
حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم في بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا
نقصان وكل من هذه الامور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا هنالك
اي قهر فرعون وقومه عند ذلك الجمع وبهت فرعون وخلى سبيل موسى ومن تبعه وانقلبوا صاغرين اي انصرفوا اذلاء مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني ان
السحرة لما شاهدوا تلك الآيات علموا انها من عند الله تعالى امنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهرون سجدا لله
تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وانما قال القي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القاهم ما رأوا من عظيم آيات الله بان دعاهم
الى السجود لله تعالى والخضوع له عن قتادة وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند تلك الآيات ووقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وكان لمن دله
ليس يفعل ذلك بغيره قالوا آمنا اي صدقنا برب العالمين الذي خلق السموات والارض وما بينهما رب موسى وهرون وخصوهما بالذكر بعد دخولهما
جملة العالمين لانهما دعوا الى الايمان بالله تعالى لشرف ذكرهما لتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة التعظيم لهما وقيل انهم فسروا بهما
قالوا آمنا برب العالمين لئلا يتوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي انه رب العالمين فازالوا الابهام لئلا يتوهم
الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون قال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما انه لم يزل سميعا لا مسموع لانها صفة
غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور وهو المملوك ولا يطلق الرب الا على الله تعالى لانه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه و
يقال لغيره رب الدار ورب الفرس مثل خالق لا يطلق الا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاديم قوله تعالى قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين
قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين اربع آيات القراءة قرأ حفص
عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم يحققون الاولى ويلينون
الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف الحجة وجه الخبر فيه انه يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام انه على وجه
التقريع والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فانه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لان الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من آمن تصل
بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها ان يجعلها بين بين اللغة الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله من صلابة الشيء والقراء كلهم على تشديد
اللام من التصليب الا ابن محيصن يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابي النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق
بين النقمة والاساءة ان النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والاساءة لا تكون الا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة والافراغ صب ما في الاناء لجمع حتى يخلو

مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل المعنى ثم حكى سبحانه ما قصد عن فرعون عند ايمان
السحرة فقال سبحانه قال فرعون آمنتم به اي صدقتم به بالتصديق من قبل ان آذن لكم اي من قبل ان امركم بالايمان به وآذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة لتخرجوا منها اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا بالملك
ملككم وقيل معناه ان هذا الصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل
اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ثم لاصلبنكم اجمعين اي لا ادع واحدا منكم الا اصلبه وقيل ان اول من قطع الارجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع
النخل على شاطئ نهر مصر قالوا يعني السحرة جوابا لفرعون انا الى ربنا منقلبون اي راجعون الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله
تعالى هو الانقلاب الى جزائه وعرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه هو عقاب الله وما تنقم منا الا
ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا معناه وما تطعن علينا ولا تكره منا الا ايماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا
منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بآيات ربنا يعني ما اتى به موسى وعلمنا انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا الصبر عند
القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد والطف لنا ما نصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه وتوفنا مسلمين اي وفقنا للثبات على الايمان والاسلام
الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة واخر النهار شهداء بررة وقيل انه لم
يصل اليهم وعصمهم الله منه قوله عز وجل وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل
ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون آية القراءة روي عن علي بن ابي طالب وابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك وعلقمة ومجاهد ويذرك والاهتك
وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك بالرفع وعن الاشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك والهتك وقرأ اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف
والباقون سنقتل بالتشديد الحجة اما الالهة فانه الربوبية والعبادة فمن قرأ والاهتك فمعناه ويذرك وعبادتك عن ابن عباس عن الزجاج وقيل وعبادتك
عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الالهة والاهة لانهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذرك بالرفع فانه على الاستيناف اي وهو يذرك واما من سكن فقال
فانه تخفيف كقراءة ابي عمرو ان الله يأمركم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذرك فانه على جواب الاستفهام بالفاء فيكون المعنى ايكون منك ان تذر موسى
وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرأ سنقتل بالتخفيف فانه قد يقع ذلك على التكثير ومعنى التكثير والتقليل هذا المعنى اخص بالموضع
اليق المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه وقال الملأ من قوم فرعون لما اسلم السحرة محرضين له على موسى اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
اي اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وقيل ليفسدوا في الارض بعبادة غيرك والدعاء الى
خلاف دينك وقيل ليفسدوا بنيها بالغلبة عليها واخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس انه لما آمن السحرة اسلم من بني اسرائيل ستمائة الف نفس واتبعوه ويذرك
والهتك قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقربا اليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمر
ايضا بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار وقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه
ومن قرأ والاهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يعبد ولا يعبد قال فرعون سنقتل ابناءهم الذين هم
فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ونستحيي نساءهم اي نبقيهن ونستبقيهن لكي لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة وكان فرعون قد انقطع طمعه
عن قتل موسى وقومه ولم يقدر على قتل موسى وقومه لما رأى من علو امره وعظم شانه فاشتغل الى عذاب المستضعفين منهم من بني اسرائيل بقتل ابنائهم
ايضا وانا فوقهم قاهرون اي عالون عليهم بالقهر قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من
قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون آيتان المعنى قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابنا
بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى لقومه استعينوا بالله في دفع بلاء فرعون
عنكم واصبروا على دينكم وعلى اذى فرعون ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اي ينقلها الى من يشاء نقل المواريث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما اورثها فرعون
وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون دعاء لهم الى الصبر والعاقبة للمتقين معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فان حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدي اليه
البادية الا انه اذا قيل العاقبة له فهو في الخير واذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا
من قبل ان تأتينا اي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل ان تأتينا بالرسالة وقيل قبل ان جئتنا ومن بعد ما جئتنا اي بعد ما بعثت الينا واخذ اموالنا
وتكليفنا الاعمال الشاقة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدل على انه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى ومعظم بني
اسرائيل فلهذا قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه انما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى من النجاة من فرعون وقومه فجدد لهم الوعد
على الله تعالى ليثقوا به قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال الزجاج عسى طمع واشفاق الا ان ما اطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب وانما
اوجبه على نفسه ان يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض اي يملككم ما كانوا يملكونه في الارض بعدهم فينظر كيف تعملون اي فيرى ذلك بوقوعه منكم لان
الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك مشاهدا فيظهر معلوما وقيل ليبتليكم بالنعم ليظهر شكركم كما ابتليكم

ابتليكم

ابتليكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب في تعليق الحال اعمالا حسنا تعملون ام قبيحا اي شاكرين ام
كافرين لنعمته وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فاورث بني اسرائيل ارض مصر بعد ان اهلك عدوهم قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم
لا يعلمون آيتان القراءة في الشواذ قراءة الحسن الا انما طيرهم عند الله بغير الف الحجة الطير جمع طائر في قول ابي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم
للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وعن قطرب ان الطير قد يكون واحدا وجمعا كما ان الطائر واحد ويجوز ان يكون الطائر جمعا كالجامل انشد ابن الاعرابي كانه
بهتان يوم ماطر على رؤس كرؤس الطائر اللغة العرب يقول اخذتهم السنة اذا كانت مجدبة ويقال اسنت القوم اذا اجدبوا وانما قيل للسنة المجدبة
ولم يقل للمخصبة لانها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر لحق بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي يذكر به قالوا وجدنا البلاد سنين مجدبا قال ولو في
اللئام بكل ارض تجحفها الجوايح والسنون قال الحكم كان الناس قد نفدوا علينا نعاجا في بلد سنينا اي في بلد جدب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشأم به
واشتقاقه من الطير وطائر الانسان عمله اخذ من ذلك لان العرب كانت تزجر الطير فتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي
يأتي من قبل اليمين قال الشاعر زجرت لها طير الشمال فان تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها ثم كثر ذلك حتى قيل لكل من تشأم بشيء تطير ويقال طار له من القسم
كذا وكذا وانشد ابن الاعرابي فاني لست منك ولست مني اذا ما طار من مالي الثمين يريد الزوجة اذا اخذت منها من ماله المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون وقومه
عليه فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال فالآل خاصة الرجل الذين
يؤل امرهم اليه وامره اليهم معنا ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدب والقحوط ونقص من الثمرات اي واخذناهم مع القحط وجدب الارض بنقص من الثمار لعلهم
يذكرون اي لكي يخافون فيوحدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك فيرجعوا الى الحق قال الزجاج انما اخذوا بالضراء لان احوال الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي يتذكروا ان فرعون لو كان الها لما كان يسلم لذلك الضر وفي هذه
الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في انه سبحانه يريد الكفر فانه بين انه اراد منهم التذكر والرجوع الى الله فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب والنعمة
في الرزق والسلامة في البدن والعافية قالوا لنا هذه اي انا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمتنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند
الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدوا شكر النعمة فيه وان تصبهم سيئة اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي يطيروا بموسى
ومن معه اي يتطيروا ويتشأموا به وبمن معه في الطاعة وتفسيره يتشأموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرا ولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم الا انما طائرهم
عند الله معناه الا انما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه
ان الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن
معناه الا انما الشؤم محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله به يوم القيمة ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يتفكرون ليعلموا قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من
آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
آيتان القراءة في الشواذ قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف اللغة الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الارض وهو مأخوذ من الطوف
فيها قيل هو مصدر كالرجحان والنقصان وقال الاخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان
قال ابو عبيدة هو الحمنان واحده حمنة وحمنانة الاعراب مهما قال الخليل اصلها ما ما الا انهم ادخلوا عليها ما التي يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما وهي متى ما
الفها بان ابدلوا الهاء الثانية لكي يرد ضمانها مما سما فيها من معنى الحصر وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التي للجزاء والقرينة بينها وان لها خاصة
للجزاء وفيها الاشتراك لانه قد يكون اسما وقد يكون نائبا وبمعنى الذي وبمعنى الخبر وتأتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه حذف الياء وانما حذفت الياء الجزم لانه من
حروف العلة اللين فيجب ان تستحق الاعراب ومن شأن الجازم ان يحذف حركة فاذا لم يصادف حركة على نفس الحرف ليكيلا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى ما
وتقديره اي شيء تأتنا به والضمير في بها يعود الى آية آيات مفصلات انتصب على الحال المعنى وقالوا اي قال قوم فرعون لموسى مهما تأتنا به من آية اي شيء تأتنا به من
المعجزات لتسحرنا بها لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين اي مصدقين بنبوتك وانما قالوا بهذا القول لاصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقون
وان اتى بجميع الآيات ثم زاد الله تعالى سبحانه في الآيات تأكيدا للامر وتوجيها كما قال فارسلنا عليهم الطوفان اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة
الهادم للبنيان القالع للاشجار والزرع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله ذلك
على ابكار آل فرعون فاقعصهن فلم يبق منهم انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهم اول من عذبوا به فبقي في الارض عن ابي قلابة وقيل هو امر
من امر الله طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والجراد هو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبا
وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس في رواية عكرمة ومجاهد وقتادة والكلبي وقيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل
القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الحمنان ولذلك قرأ الحسن القمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن
جبير والضفادع والدم آيات مفصلات اي معجزات مبينات ظاهرات اي ادلة واضحات عن مجاهد وقيل مفصلات اي بعضها منفصل عن بعض فاستكبروا
اي تكبروا وانفوا عن قبول الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين القصة قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده

عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا وابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان
لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات
ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة
وقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان
فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك فانبت الله لهم في تلك السنة من الكلاء والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم
واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم في الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت
زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتأكل الابواب والامتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع
من ذلك جزعا شديدا وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى نخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من
السبت الى السبت وقيل ان موسى برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كان لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي
عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما
يكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الارض كلها وقيل امر موسى ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فاتاه
فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب احدهم فيعضه وكان يأكل احدهم الطعام فيمتلئ قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل
يخرج عشرة اجربة الى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم
كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لاكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب
القمل بعدما اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم
وامتلأت منها بيوتهم وابنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها
كان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا فلما راوا
ذلك بكوا وشكوا الى موسى فقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثيقهم
ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة ارسل عليهم الدم فسال
ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فاذا شربه الاسرائيلي كان ماء واذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه
في في فكان اذا صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في
ذلك سبعة ايام لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا
الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع
لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون
فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ثلث آيات اللغة اصل الرجز الميل عن الحق ومنه والرجز فاهجر يعني عبادة الاوثان
والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لانها تميل بها لعدولها عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك
وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة تتحرك بها ثم تسكن ثم تستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة داوية
ودجى ليل كانهما يم تراطن في حافاته الروم والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة الاعراب اذا ظرف المفاجأة وعلى ما تقدم بيانه وليست
مضافة الى الجملة بل هي بمنزلة هنالك وقد يكتفي بالاسم كما تقول خرجت فاذا زيد وفيه معنى خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء وكانه قال
الراي عجب من نكثهم واذا هذه جواب لما ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولا يجوز ان يجاب الشرط باذا الا ان تكون في معنى لا يكون الا للوقف
الماضي والجواب انما يكون بعد الاول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم
ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما انزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون
الف انسان وهو العذاب الثامن عن سعيد بن جبير ومثله ما روي عن ابي عبد الله ان اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله
قالوا يعني فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك انه لو آمنوا
لرفع عنهم العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم المعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لما دعوت الله لكي يكشف هذا عنا لئن
كشفت عنا الرجز اي العذاب لنؤمنن لك اي لنصدقنك في انك نبي ارسلك الله ولنرسلن معك بني اسرائيل اي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الاعمال الشاقة
فلما كشفنا عنهم الرجز اي فلما رفعنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعني الاجل الذي غرقهم الله فيه وقيل هو الاجل المقدر عن الحسن اذا هم ينكثون اي ينقضون
العهد فانتقمنا منهم اي فجازيناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال فاغرقناهم في اليم اي البحر بانهم كذبوا بآياتنا اي فعلنا ذلك بهم جزاء
بتكذيبهم بآياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها وكانوا عنها غافلين معناه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول

ذلك بهم وقيل معناه انا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لاسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون تعليلا لهم عن الآيات **قوله عز وجل**
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون **القراءة** قرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها **الحجة** هما لغتان
فصيحتان والكسر أفصح **اللغة** قال ابو عبيدة يعرشون يبنون يقال عرش مكة اي بناؤها **الاعراب** يجوز أن يكون مشارق الأرض ومغاربها انتصب بانه
مفعول أورثنا ويجوز أن يكون ظرفا على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها وقيل انما انتصب مشارق الأرض ومغاربها على الظرف للاستضعاف
والتقدير وأورثنا القوم الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها على هذا تكون الهاء في فيها تعود الى التي وهي صفة للأرض
المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني بني إسرائيل فان القبط كانوا
يستضعفونهم فأورثهم الله بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم بعد هلاك فرعون وقومه القبط بما كانوا ورثوا منهم مشارق الأرض
ومغاربها التي كانوا فيها يعني جهات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من اوله الى اقصاه وقيل هي ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل
هي ارض الشام ومصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الارض التي باركنا فيها باخراج الزرع والثمار وسائر صنوف
النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك
عدوهم واستخلافهم في الأرض وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنى قوله سبحانه ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الى قوله يحذرون وقال الحسنى وان كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لانه وعدهم بما يحبون قال الحسن اراد وعد الله لهم بالجنة بما
صبروا على اذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا
ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار وما كانوا يعرشون من الاشجار من الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن
عباس **قوله تعالى** وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون
ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ثلاث آيات **القراءة**
يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان **اللغة** المجاوزة الاخراج عن الحد جاز الوادي يجوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة
وتجاوزه اجتيازا واصل البحر الشق ومنه البحيرة لشق اذنها وتبحر في العلم اذا اتسع فيه وقوي تصرفه والعكوف على الشيء المواظبة عليه لازما له
ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والتتبير من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لانه يبار حتى يحدث آنية ما شبهها
والاجر ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبر وكسارته تبره **الاعراب** كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لان ما بعدها جملة وقال البصير
هو احد ما جاء في هذا الفن ما ههنا مصدرية اي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله كما سيف عمرو لم تخنه
مضاربه ويجوز ان يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه والهة بدل من ذلك الضمير او ترفع باضمار اي هي الهة فحذف هي وما هم فيه موصول له
صلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل اغير الله ابغيكم الها بغى يتعدى الى مفعولين وطلب يتعدى
الى مفعول واحد لان معنى قولك بغيتك الخير اعطاك الخير وليس كذلك طلب لانه غير متضمن بالمطلوب وعلى هذا يكون الها مفعولا به ثانيا ويكون غير
منصوبا على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم الها غير الله وقد يجوز ان يكون بمعنى ابغي لكم ويكون غير الله منصوبا بانه
مفعول ابغي وتقديره اطلب غير الله لكم معبودا فيكون الها منصوبا على الحال **المعنى** ثم اخبر الله سبحانه عن احوال بني إسرائيل فقال وجاوزنا ببني إسرائيل اي
قطعنا بهم البحر يعني النيل نهر مصر بان جعلنا لهم فيه طرقا يابسة حتى عبروا ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه فأتوا على قوم اي فمروا على قوم يعكفون على اصنام
لهم اي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل البقر
وذلك اول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة اي انصب لنا شيئا نعبده كما لهم اوثان يعبدونها وهذا كفر وانما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين
الاخيار وانما قالوا ذلك لان الانسان يحسن العابد لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات
من حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجعول لا يكون الها وان الاصنام لا يكون آلهة ويمكن ان يكون قد ظنوا انه يجوز ان يتقرب الى الله تعالى
بعبادة غيره وان اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه لم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى قال انكم قوم تجهلون هذه الحكاية عما اجابهم به موسى اي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي
وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس ان هؤلاء يعني القوم الذين عبدوا الاصنام متبر اي مدمر مهلك ما هم فيه من عبادة الاصنام وباطل ما كانوا
يعملون اي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا فكأنه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه لبطلان انتفاء المعنى بعده وبانه لا يصح معتقده
فالاول كبطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان الآخر مع الله فلا يصح علمه ولا وجوده قال بعض قال موسى لقومه بعد ما انكر عليهم الاصنام وعلى من
كان يعبدها اغير الله ابغيكم الها اي التمس لكم اطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله الها اي من قومه الها اي معبودا تعبدونه سوى
الله وهو فضلكم على العالمين يحمل على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو ان ارسل اليكم رسلا

منكم لتكونوا اقرب الى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم **قوله عز وجل** واذ انجيناكم من
آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم **القراءة** قرأ ابن عامر انجاكم على
لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد **الحجة** قد مضى الكلام في امثال ذلك فيما تقدم
اخرى فالوجه للاطالة بما بنا اليه **المعنى** ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعم على اسلافهم
واذ انجيناكم اي واذكروا اذ خلصناكم من آل فرعون يسومونكم اي يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا سوء العذاب يقتلون ابناءكم اي يكثرون قتل ابنائكم
ويستحيون نساءكم اي يستبقونهن للخدمة والمهنة وفي ذلكم اي وفيما فعل بكم من النجاة بلاء اي نعمة من ربكم عظيم وقد قيل معناه وفي تخليته اياكم وفرعون
فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة **قوله تعالى** وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين
ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين **اللغة** الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل
من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدرا او لا ولذلك مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها **المعنى** ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ولم يقل اربعين ليلة كما قال في سورة البقرة لفائدة ذكر فيها وجوه احدها ان العدة كانت ذا القعدة
وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول
مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق واكثر المفسرين وثانيها انه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصومها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت
المناجاة وقيل هي عشر التي نزلت التوراة فيها لذلك افردت بالذكر وثالثها ان موسى قال لقومه اني اتأخر عنكم ثلاثين يوما ليسهل عليهم ثم زاد عشر
عليهم وليس في ذلك خلف لانه اذا تأخر عنهم اربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن ابي جعفر الباقر وقريب منه ما روي عن الحسن ان الموعد كان اربعين
ليلة في الاصل فاجمل هناك وفصل ههنا على وجه التأكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة انما قال هذا مع ان ما تقدم دل على هذه العدة للبيان والتفصيل
الذي يتميز الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز ان يتوهم انه اتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهم
وقيل معنى الموعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا ان اربعين هنا منصوب على الحال والتقدير معدودة اربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه الى الميقات لاخيه
هرون اخلفني اي كن خليفتي في قومي واصلح فيما بينهم واجر على طريقتي في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل اصلحهم اي احملهم على الطاعة
ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عونا للظالمين وانما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب اخاه وانما امر موسى هرون
بان يخلفه وينوب عنه في قومه مع ان هرون كان نبيا مرسلا لان الرياسة كانت لموسى عليه السلام ولم يكن يجوز ان يقوم هرون مقام موسى الا باذنه وفي هذا
دلالة على ان منزلة الامامة منفصلة عن النبوة وغير داخلة فيها وانما اجتمع الامران لانبياء مخصوصين لان هرون لو كان له القيام بامر الامة من حيث كان نبيا لما
احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه **قوله تعالى** ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين آية
القراءة جعله دكاء بالمد ههنا وفي الكهف كوفي غير عاصم وافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين **الحجة** قال الزجاج جعله
دكا بالتنوين معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكوات الروابي التي مع الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن اما قال جعله دكا فانه قال
دكه ولم يرد جعله ذا دك وقال ابو عبيدة جعله كالارض مندكا وناقة دكاء ذاهبة السنام كانه جعله كالناقة الدكاء فيكون اكثر والدك المستوي من الارض
هل غير غاد دك غارا فانهدم وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا **اللغة** التجلي الظهور ويكون تارة بالدلالة قال الشاعر
تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائيا اراد الشاعر تدبيره دل عليه يقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى امره لشهرته
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض كانه قال انا ابن الذي جلا اي وضح وكشف **المعنى** ثم ذكر سبحانه حديث
الميقات فقال ولما جاء موسى لميقاتنا معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه له وامرناه بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التوراة ويمكن ان يكون المراد
بالميقات الوقت الذي وقته الله تعالى لذلك الكان فيه فان اقتضاء الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الاحرام فانها الامكنة التي لا يجوز
مجاوزتها لاهل الآفاق الا وهم محرمون وكلمه ربه من غير سفير ووحي كما كان يكلم الانبياء على السنة الملائكة ولم يذكر في اي موضع سمع كلامه وذكر
في موضع آخر انه سمع كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لان الكلام عرض لا يقوم الا بجسم ... الموضع كان فيه من الغمام قال رب
ارني انظر اليك اختلف العلماء في وجه مسألة الرؤية مع علمه بانه سبحانه لا يدرك بالحواس على اقوال احدها ما قاله الجمهور وهو
الاقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال بعد ما اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا فاضاف ذلك الى السفهاء وسأل على هذا فقال ابو علي الجبائي ان سؤال الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن
معه معرفة السمع انه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصلح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه
جسما لا يصح معرفة السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات ولا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع
ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا يثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان ذلك

صلاحا للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا وثانيها انه لم يسأل الرؤية بالبصر لكن سأله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية يفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر وبين الله سبحانه ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القسم البلخي وثالثها انه سأله الرؤية لقومه على ضرب وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع يصح ايضا معه وهذا ضعيف لان الامر وان كان على ما ذكروه فان الانبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم قال لن تراني هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابدا لان لن ينفي على وجه التأبيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بحركة بان يستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر ربه لاهل الجبل بحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لاهل الجبل يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته وكل آية يحدثها الله سبحانه فكأنه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى ربه امره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل قال ابن عباس معناه ظهر نوره للجبل قال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل جعله دكا اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فنى عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلثة بالمدينة وثلثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحراء وروي ذلك عن النبي وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت لانه قال فلما افاق ولا افاق للميت وانما يقال عاش او حيي واما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس يوم عرفة وافاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التورية وقيل معناه خر ميتا عن قتادة فلما افاق من صعقته ورجع اليه عقله قال سبحانك اي تنزيها لك من ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من ان تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية تبت اليك من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انما قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة وانا اول المؤمنين بانه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن ونحوه عن ابي عبد الله قال معناه انا اول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي وقيل اول المؤمنين بانك لا ترى من بني اسرائيل عن مجاهد والسدي **قوله تعالى** قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين ايه القراءة قرأ اهل الحجاز وروح برسالتي على التوحيد والباقون برسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه اللغة اللوح صحيفة مهيأة للكتابة فيها واصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح اذا لمع وتلألأ والتلويح التغيير لوحته الشمس غيرته تغييرا يتبين عليه اثره لانه يلوح بما نزل به واللوح هو لانه كاللامع فيه فاللوح يلوح المعاني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع الحقوق المعنى ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وامره بالشكر بقوله قال الله سبحانه يا موسى اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس برسالاتي من غير كلام وبكلامي من غير رسالة وخص الناس لانه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمدا عند سدرة المنتهى فخذ ما آتيتك اي تناول ما اعطيتك من التورية وكن من الشاكرين اي المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب رتبتها فكلما كانت النعمة اعظم واجل وجب ان تقابل بالشكر بما يكون اكمل واتم والوجه في تشريفه وتخصيصه بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة وتشريف منه تعالى عليه لانه كلمه بحكمه من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان اجل رتبة ممن اخذه ممن هو دونه وكتبنا له يعني لموسى في الالواح يريد الواح التورية عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زبرجد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبي وقيل انهما كانا لوحين قال الزجاج ويجوز في اللغة ان يقال للوحين الواح ويجوز ان يكون الواحا جمع اكثر من اثنين من كل شيء قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء يحتاج اليه من امر الدين مع ما اداه من الآيات موعظة هذا تفسير لقوله كل شيء يبين البعض ما خلا محمد تفصيلا لكل شيء يحتاج اليه في الدين من الاوامر والنواهي والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والاخبار وتفصيلا ايضا تفسير لقوله كل شيء فخذها بقوة اي بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب وأمر قومك يأخذوا باحسنها اي بما فيها من احسن المحاسن من الفرائض والنوافل فانها احسن من المباحات وقيل معناه بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لان المنسوخ قد خرج من ان يكون حسنا وقيل ان المراد بالاحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو اهون عليه وكقوله ولذكر الله اكبر عن قطرب سأريكم دار الفاسقين يعني جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف امر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأريكم منازل القرون الماضية ممن خالف امر الله لتعتبروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن ابرهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم **قوله تعالى** سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا

وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ايه القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين الحجة هما لغتان ويحكى عن ابي عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد في الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا رشدا فهذا في الدين وقوله فان آنستم منهم رشدا هو في اصلاح المال والحفظ له وعندهما الرشد في غير الدين قال حسان الا نعم الدهر قلت لها ابى بلا عطى التوفيق والرشد اللغة الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا ورشدا وضده الغي غوى يغوي غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو ان تأخذ البعير نفخة في بطنه من نبات الكلاء عليه يقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه المأمور به يقال حبط المعنى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض ذكر في معناه وجوه احدها انه اراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المتكبرين في الارض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فان موسى كان يقبل من القبط وكان احد منهم لا يجسر ان يتأملكم ولا خوفا من القبط وعبر بنو اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه عن ابي علي الجبائي والآيات على هذا التأويل يحتمل ان تكون سائر الادلة ويحتمل ان تكون معجزات الانبياء وفي قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا بيان ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم وثانيها ان معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الانبياء بعدما قامت الحجة بما تقدم من المعجزات التي تثبت بها النبوة لان هذا الضرب من المعجزات انما يظهر اذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بان لا يظهرها جملة او بان يعمي عن مشاهدتها ونظرها ممن يجب ان ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لان ما بعده يليق به من قوله وان يروا سبيل الرشد الى آخر الآية وثالثها ان معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها الا عليهم واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال ان الله تعالى يجعل الليل ما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها ادلة وحججا ويكون تقديره سأصرف المبطلين والمتكبرين عن القدح في دلالاتي وآياتي وحكمتها من الحجج والبينات وجرى ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه من ابطال الحجة وللخلافة الكريمة من ان قدحوا فيها والاحتجاج عليها ويكون على قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بلا فصل من قوله وان يروا تحيرتم وخرست السنتهم عن الطعن فيه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى قوله سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك او المنع من غير اهلاك سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لا يرجع الى قوله سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك او المنع من غير اهلاك ونظيره قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما على القدح فيها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحملها الانبياء ويكون قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا بقوله وان يروا سبيل الرشد الى آخره يعني قوله الذين يتكبرون في الارض اي يرون لانفسهم فضلا على الناس وحقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الانبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله بغير الحق تأكيد وبيان ان التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقد مضى ذكر امثاله وان يروا كل آية اي كل حجة ودلالة لا يدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يؤمنوا بها هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه انما صرفهم عن آياته لذلك وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يعني ان يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغي اي طريق الضلال يتخذوه سبيلا اي طريقا لانفسهم يعملون به وقيل الرشد الايمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل امر مذموم ذلك اشارة الى صرفهم عن الآيات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي وتركهم طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك بانهم كذبوا بآياتنا اي بحججنا ومعجزات رسلنا وكانوا عنها غافلين اي لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها المراد بالغفلة ههنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما اعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبه حالهم حال من كان غافلا ساهيا ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة يعني القيمة والبعث والنشور حبطت اعمالهم التي عملوها لا يستحقون بها مدحا ولا ثوابا لانها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لم يعمل هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ معناه ليس يجزون الا ما عملوه ان خيرا فخير وان شرا فشر النظم قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه احدها انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين سبحانه بقوله سأصرف عن آياتي انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم ذكر معجزات موسى عقبه بان الله سبحانه لا يظهر المعجزات على يدي من ليس بنبي وان غير موسى يجهله لكان المعجزة وثالثها انه الخطاب لموسى وبيان ما في الباطن مما عذبه في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه ان لا يبين بهم فصلحوا عن الاعتراض على آياته والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون وقومه آمنا من اعتراض الطاعنين **قوله تعالى** واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ايه القراءة قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام الحجة من قرأ بضم الحاء فانه جمع على فعول نحو ثدي وثدي وجمعه لانه اضاف الجمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسر الكسر وكره الخروج من الضمة الى الكسرة واجراه في ذلك مجرى عصي ومن قرأ حليهم فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير اللغة الاتخاذ اجتباء الشيء لامر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي يحلى حلاوة في الفم وحليت الرجل تحلية اذا وصفته بما يرى منه وتحلى بكذا اذا تزين به والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو جسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وشبهه كالثغاء للغنم والصياح ... للانسان

والعطاس الاعراب موضع من حليهم نصب تقديره اتخذ من حليهم عجلا وهو مفعول من الاخذ وجسدا بدل من عجل المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل ما احدثوه عند خروج موسى الى الميقات به فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن تابعه على طريقته وقيل يعني جميعهم لانهم من بين عابد العجل ومنهم من عبد ومنهم من لم ينكره وانما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب من بعده اي من بعد خروج موسى الى الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو اسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا الحلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا وهو ولد البقرة جسدا اي مجسدا لا روح فيه وقيل لحما ودما له خوار اي صوت وروي في الشواذ عن علي ع جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرئيل يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز ان يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وانما اضاف سبحانه الصوت اليه لانه كان يحله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فادعى ان موسى قد مات لما لم يرجع على راس الثلاثين فدعاهم الى عبادة العجل فاطاعوه ولم يطيعوا هرون وعبدوا العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال الم يروا اي الم يعلموا انه لا يكلمهم بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضرا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم الى الخير ليأتوه ولا الى الشر ليجتنبوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي الى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون الها معبودا اتخذوه اي اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين باتخاذهم له الها واضعين للعبادة في غير موضعها

قوله تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين آية القراءة لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا ربنا بالرفع الحجة من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لان عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا انني اسكنت من ذريتي ربنا واتنا ما وعدتنا اللغة معنى سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجد مما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واسقط في يده وبغير الف افصح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده المعنى ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل فقال ولما سقط في ايديهم اي فلما لحقتهم الندامة ورأوا انهم قد ضلوا اي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين جاء اليهم موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة العجل لنكونن من الخاسرين عن ابن اسحاق وقال الحسن كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولاخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقال غيره انما عبده بعضهم قوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين آيتان القراءة قرأ ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم ابن ام بالكسر هاهنا وفي طه وقرأ الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وحكي عن مجاهد ايضا فلا تشمت بالياء الحجة من قرأ ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر يا ابن امي ويا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد قال ابو علي بني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بني على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لا رجل كذلك وكما ان مكانك اذا اردت به الامر لا يكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فان قال قائل فلم لا تقول انها نصبة والمراد يا ابن اما فحذفت الالف كما حذفت ياء الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء من يا غلام اثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم يكن يحذف كما لم يحذف في قوله يا ابنت عما لا تلومي واهجعي والالف لا يحذف حيث يحذف الياء الا ترى ان من قال والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل لما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذفت الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم ورهط ابن المعل يريد المعلى وانشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني يريد بلهفي فحذف الالف فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة فلا ينبغي ان يحمل قوله يا ابن ام على هذا وجها قياس من اجاز ذلك ان يكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا ابنت عما قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فانه اضافه الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا اللغة الاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والاسف الحزن والتلهف ايضا يقال خلفه بخير او بشر بما يحب او بما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بالعاقبة يقال شمت به شماتة واشمته الله واشمت به العرضة لتلك الحال الاعراب غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى كغضبان وغضبى ولا ينصرف لان فيه الالف والنون المضارعتين لالفي التأنيث في حمراء المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى حين رجع من الميقات ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا عن ابن عباس وقيل الاسف المتلهف الغضب عن ابي الدرداء وقيل معنى الغضب والاسف واحد وانما كررهما للتأكيد ولاختلاف اللفظين كما قال الشاعر

عطاء

متى ادن منه ينأ عني ويبعد عن ابي مسلم وقيل معناه غضبانا على قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي اعجلتم امر ربكم اي سبقتم امر ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن عدة ربكم الذي وعدني من الاربعين ليلة وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن ابي علي الجبائي والقى الالواح معناه انه القاها لما دخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي انه قال يرحم الله اخي موسى ليس المخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره به حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يده فرجع الى قومه ورآهم فغضب والقى الالواح وقد تقدم ذكر ما في الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قيل في معناه وجوه احدها ان موسى انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فاجرى موسى اخاه هرون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذه الامور تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع كراما في آخر وثانيها انه عز اسمه اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد وقصد بذلك مدة المعاتبة لهم واعلامهم عظم الحال عندهم لينزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان وثالثها انه انما جره الى نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه فلما ظهر لموسى براءة هرون تركه ودعا له ولنفسه ورابعها انه لما رأى بهرون مثل ما به من الجزع والقلق اخذ براسه متوجعا له مسكنا فكره هرون ان يظن الجهال انه استخفاف فاظهر براءته ودعا له موسى وازال التهمة وخامسها انه انكر على هرون ما بينه في طه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري على ما فسر قال يعني قال هرون يا ابن ام قال الحسن والله لقد كان اخاه لابيه وامه ولكنه نسبه الى الام لان ذكر الام ابلغ في الاستعطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين تركتني بين اظهرهم اتخذوني ضعيفا وكادوا يقتلونني يعني هموا بقتلي وقربوا من قتلي لشدة انكاري عليهم فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسرهم بان تفعل بي ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي لا تجعلني مع عبدة العجل في موجدتك عليهم ولما اطفأ الغضب والمؤاخذة علي قال موسى حين تبين له ما نبهه هرون عليه من خوف التهمة وزوال التهمة عن القوم رب اغفر لي ولاخي وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان وقع منه او من اخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه دعاء بهذا لبني اسرائيل انه لم يجر بسببه تعصيا وجدوه وانما فعله كما يفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي وادخلنا في رحمتك اي نعمتك وجنتك وانت ارحم الراحمين ظاهر المعنى وانما يذكر في اخر الدعاء ليبان شدة الرجاء من جهته فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله قوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ثلث آيات اللغة النيل اللحوق وصله من النيل الشيء الذي يبلغه منه قولهم نالك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فانه يلحقك خيره والسكوت والسكون هو الامساك عن الكلام لحبسه فيه بشيء هو يتكلم به وقد قيل كيف وصف الغضب بانه سكت وانما ذلك لانه لما كان يقوم داعيا على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكت ملك الغضب كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه الاعراب قال الذين هم لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجل جاز دخول اللام تقدم او تأخر كما قال تعالى ردف لكم المعنى ثم اوعدهم سبحانه فقال ان الذين اتخذوا العجل فيه حذف اي اتخذوه الها ومعبودا من دون الله سينالهم غضب اي سيلحقهم على عبادتهم اياه عقوبة من ربهم وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لانه ابلغ في الزجر عن القبيح وذلة في الحيوة الدنيا يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية واخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد ابناءهم للقتل كذلك نجزي المفترين اي مثل هذا الوعيد للعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمفترين وانما سموا مفترين لانهم عبدوا العجل وقالوا انه الههم فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله والذين عملوا السيئات اي الشرك والمعاصي ثم تابوا من بعدها وامنوا اي ورجعوا الى عمل الايمان وقيل معناه تابوا وامنوا بان الله قابل للتوبة ان ربك من بعدها اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات لغفور لذنوبهم رحيم بهم ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب قيل معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لان توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لانهم تابوا اخذ الالواح التي كانت فيها التورية وفي نسختها اي وفيما نسخ فيها اي كتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل في نسختها التي كتبت ونسخت منها هدى اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين ورحمة اي نعمة ومنفعة للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الاية دلالة على انه يجوز القاء التورية للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون القاؤها لغير معنى قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين آية اللغة الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيرته بين شيئين فاختار احدهما الاختيار والايثار بمعنى والفتنة الكشف الاختبار وقال الشاعر اذ تستبيك باصلتي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع اي لتكشفه وتبرع الاعراب واختار موسى قومه تقديره واختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصب وانما حذف من لان الفعل يدل عليه مع ايجاز اللفظ قال الفرزدق ومنا الذي

يعني هرون

اختير

اخير الرجال سماحة وجودا اذا هب لن عارع وقال غيلان وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين اذ ردت على الابلعرو قال الحق فقلت له اخترها
قلوصا سمينة وما باعلينا مثل ما بلت في الحيا **المعنى** ثم اخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التورية فيكونوا شهداء
له عند بني اسرائيل لما لم يثقوا بخبره ان الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله تعالى فابتدأ
سبحانه بحديثه ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميقات الاول الذي ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم جماعة من المفسرين
هو الصحيح ورواه علي بن ابرهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا
ارنا الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل
على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بانهم ماتوا عن السكر والحر قال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا ان قالوا
اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة وروي عن علي بن ابي طالب انه قال انما اخذتهم الرجفة
من اجل دعويهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبر وشبير ابني هرون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله
فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا
منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون أقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا لن نعصى بعد اليوم فاخذتهم الرجفة
وصعقوا وقيل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة فقلقلوا
ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما راى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له
مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام الله قال اي قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
اي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالان ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا معناه
النفي وان كان بصورة انكار الاكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فبهذا نسالك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعل السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى
انهم اهلكوا لاجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك
ومحنتك اي تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابي العالية والربيع ومثله قوله او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين يعني بذلك الامراض والاسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمي ذلك فتنة لانه يشتد الصبر عليها ومثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون اي لا يبتلون بشدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون فكانه
قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سؤالهم الرؤية تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اي تصيب بهذه الرجفة من تشاء
وتصرفها عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك
ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء انت ولينا معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اي خير
الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون آية **القراءة** في الشواذ قراءة الحسن وعمرو والاسواري من اساء والقراءة
المشهورة من اشاء والوجه ظاهر **المعنى** هذا تمام ما قاله موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة سأل الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة
وانما سمي النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما ان النعمة تقبلها النفس كما ان الطاعة يقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله وانما
ذكر بلفظ ولم يقل واجعل لنا واوجب لنا لان الكتابة ابقى واثبت وادوم فقال اكتب ذي فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مر الازمان وفي الاخرة معناه
واكتب لنا في الاخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الاخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا
التوفيق للاعمال الصالحة وفي الاخرة المغفرة والجنة انا هدنا اليك اي رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى عذابي اصيب به من اشاء
ممن عصاني واستحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران في العقل ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي
يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا يجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش
فيها فاذا صار في الاخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل الجميع فيها
لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث ان النبي قام في الصلوة فقال اعرابي وهو في الصلوة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم
رسول الله قال للاعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل اورده البخاري في الصحيح فساكتبها للذين يتقون اي فساوجب رحمتي للذين يتقون الشرك اي
يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي ويؤتون الزكوة اي يخرجون زكوة اموالهم لانه من اشق الفرائض وقيل معناه ويطيعون الله ورسوله عن ابن عباس
والحسن وانما فسره بذلك لان الزكوة تزكية النفس وتطهيرها والذين هم باياتنا يؤمنون اي بحججنا وبيناتنا يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انها لما نزلت ورحمتي

كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون الى اخر الاية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكوة ونؤمن بايات
ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول الامي الاية **قوله عز وجل** الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي
كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون آية **القراءة** قرء ابن عامر وحده اصارهم على الجمع والباقون
اصرهم على التوحيد **الحجة** قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله ربنا لا تحمل علينا اصرا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله هل نحدثكم بالاخسرين اعمالا وقوله فيذرهم ما
حرب الناس من عشي وتضربين عشي نضر شيء فان يجمع لاختلف من المآثم احدد ويقوي ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم والثقل مصدر كالاصر
والصغر والكبر **اللغة** قال الزجاج اختلف اهل اللغة في معنى قوله عزروه وفي قولهم عزرت فلانا العزوة والعزره عزرا فقيل معناه رددته وقيل معناه المنديق
غربته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا اعدائه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لان منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا ادبته
ضربا دون الحد انه يمنعه نصرته اياه من معاودة مثل عمله فيجوز ان يكون عزرته اي رددته ومعناه فعلت به ما يردعه عن المعصية **الاعراب** قوله يامرهم بالمعروف يجوز
ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف ويجوز ان يكون يامرهم بالمعروف مستانفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يامرهم ان كان يعني
ان ذلك مراد لانه لا شيء يدل على حذف ولا نعلمهم ينهجون فواهذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدي الى مفعولين وتكون يفعلون ان والمعنى يجدونه ذكره
مكتوبا عندهم في التورية او اسمه فالمفعول الاول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لان المكتوب هو الاسم الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون
الاول في المعنى قال فاما قوله يامرهم بالمعروف فهو مثل تفسير المكتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم كما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فان
قلت لم لا يجعله حالا من المفعول الاول فلان ذلك يمتنع في المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره واسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يامرهم حالا منه لان الاسم
الذكر لا يامر انما يامر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون حالا في مكتوب من الضمير لان الضمير هو المفعول الاول في المعنى **المعنى** ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة
اخرى فقال الذين يتبعون الرسول النبي اي يؤمنون به ويعتقدون نبوته يعني نبينا محمدا الامي ذكر في معناه اقوال احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرء وثانيها
انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة الامة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالامة العرب لانها لم تكن تحسن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على
ما ولدته امه قبل تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
والمعنى يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لانه مكتوب في التورية في السفر الخامس اني ساقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول
لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب واما ابن الامة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما واوخره لامة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سيناء وتجلى
من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها نعطيكم فارقليط اخر يكون معكم اخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح
للحواريين انا اذهب وسياتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وقيل انه اذا
جاء فند اهل العالم يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التورية والانجيل يكون موصولا بما قبله بيانا لما كتب له من الولاية والمحبة
ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبي والمعروف الحق والمنكر الباطل لان الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف
مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الاول ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل
لهم ما حرم عليهم رهابينهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع
عنهم اصرهم اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب
حرمة للنبي عن الحسن وقيل الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه اخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التورية عن ابن عباس والضحاك والسدي وجمع المفسرين وقال
الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل والاغلال التي كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم جعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق
للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال التي تكون في ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من جلودهم وما اشبه ذلك من
تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين فالذين امنوا به اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته
وعزروه اي عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعدائه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما ان الضياء نور في العيون ويهتدى به الخلق
في امور الدين كما يهتدون بالنور في امور الدنيا الذي انزل معه اي انزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه انزل في زمانه وعلى عهده وروي
ان النبي قال لاصحابه اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون
قالوا فنحن يا نبي الله قال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون انما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب **قوله عز وجل** قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له
ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون آية الاعراب

جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله لا انه لا يجوز ان يتقدم على حرف الاضافة
قد صار بمنزلة العامل المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله ارسلني اليكم جميعا
ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي فيما اوديه اليكم وانما ذكر جميعا للتاكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة الذي له التصرف في السموات والارض غير
دافع ومنازع لا اله الا هو ولا شريك له في الالهية يحيي الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد على الاحياء والاماتة سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحيا
فان من شان القادر على الشي ان يكون قادرا على ضده فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله يعني لم يامركم بالايمان حتى آمن هو اولا وعليه ارادة
التكليف من اداء الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن واتبعوه لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
الى الثواب الجنة قوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه
ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اللغة قال الازهري السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فعيل اسباط واشتقاقها من السبط وهو شجر
الواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة الشعر والمرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الاصابع طويلها وسبط
الكف سمحها ومطر سبط وسبط متداول وسباطة سعته السبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجي بعد قرن والصحيح
ان الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل فولد كل والد من اولاد يعقوب سبط وكل والد من ولد اسمعيل قبيلة وانما سموا هولاء بالقبائل وهولاء
بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الاسباط من السبط لانه جعل اسحق بمنزلة شجرة وجعل اسمعيل
بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة واولاده بمنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا
معنى الاسباط والسبط الاعراب اثنتي عشرة اسباطا يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك انث اسباطا بدل من اثنتي عشرة وتقديره وقطعناهم اسباطا ويجوز
كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب انما نعت الاسباط المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق اي جماعة تدعو الى الحق ويرشدون الى الدين وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الامة من هم على اقوال احدها انهم قوم
من وراء الصين بينهم وبين الصين واد جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر الباقر قالوا
ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغنا ان بني اسرائيل لما
قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنتي عشرة سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرئيل انطلق بالنبي ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر
سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله
وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروى ان
ذي القرنين رآهم وقال لو امرت بالمقام لسرني ان اقيم بين ظهرانيكم وثانيها انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى في وقت ضلالة القوم وقتلهم
انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى امة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر القول الاول وقال لو كانوا
باقين لكانوا كفرة بجحد نبوة محمد وليس هذا بشيء لانه لا يمتنع ان يكون قوم لم تبلغهم دعوة النبي فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا
وثالثها انهم الذين آمنوا بالنبي مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفي حديث ابي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى لما اخذ الالواح قال رب اني
لاجد في الالواح امة هي خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون
في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة كتبهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد
قال رب اني اجد في الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة
اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها وان هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال موسى رب اجعلني من امة احمد
قال ابو حمزة فاعطي موسى آيتين لم يعطوها يعني امة احمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا وفي حديث غير ابي حمزة قال ثم تلا النبي لما قرأ وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها
وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما اي وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا يعني اولاد يعقوب فانهم كانوا اثنتي عشر وكان لكل واحد منهم اولاد
ونسل فصار لكل فرقة منهم سبطا وامة وانما جعلهم سبحانه امما ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم الى رئيسهم فيخف الامر على موسى ولا يقع بينهم
اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي طلبوا منه السقيا ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه
بكثرة وكان يبتدى الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها مفسرة هناك
فلا معنى لاعادته قوله تعالى واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد

المحسنين

المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر و
يعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ
ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرأ ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء الحجة من قرأ نغفر
بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم اي ان دخلتم غفرنا والتي في البقرة نغفر بالنون هذا الحسن لقوله واذ قلنا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء
مضمومة فلانه اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فانث وبنى الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية في سورة
البقرة فلا وجه لاعادته قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم
ولعلهم يتقون القراءة قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر بن حوشب وابي نهيك يعدّون وعن الحسن يسبتون بضم الياء
الحجة من قرأ معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة قال سيبويه لو قال رجل لرجل
معذرة الى الله واليك من كذا وكذا النصب ومن قرأ يعدّون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها الى العين فصار يعدّون ومن قرأ
يسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقيمون عمل السبت
على هذا نعلم يقول سبت يسبت سبتا اذا عظم يوم السبت اللغة حيتان جمع حوت واكثر ما تسمي العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوا
وعدوانا وعداء اذا ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور ومنه الشريعة والشريعة لكونها في مكان ظاهر من النهر ومنه شرع السقف لظهوره وهو
المعذرة والعذر والعذرى والعذرة واحد مصدر عذرته على ما فعل والمعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يري انه معذور وهو
المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذري الاعراب اذ يعدون موضعه نصب على معنى سلهم عن عدوهم اي عن
وقت التعدي اذ تاتيهم في موضع نصب ايضا بيعدون والمعنى سلهم اذ عدوا في وقت الاتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب
بنبلوهم ويحتمل ان يكون على ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك اي لا تاتيهم شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تاتيهم ويكون نبلوهم مستانفا والاول
اجود ولم تعظون اصله لما ولكن حذفت الالف تخفيفا مع ما في فيم وعلام وبم المعنى ثم ابتدأ سبحانه بخبر آخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطبا للنبي
واسألهم اي اسأل [illegible] وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطئ
البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين قرية بين ايلة والطور عن الزهري اذ يعدون في السبت اي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد فيه من البر
اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤسها قال الحسن كانت تشرع على ابوابهم مثل
الكباش البيض لانها كانت آمنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي ويوم لا يكون السبت تغوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة
في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وفي رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض
فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فياخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اي مثل ذلك
الاختبار الشديد نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استانف فقال نبلوهم قوله تعالى
امة اي جماعة منهم اي من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلث فرق فرقة اصطادت وفرقة ساكتة وفرقة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون
قوما الله مهلكهم اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لاياسهم عن ان يقبل اولئك القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من
القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة قالوا اي قال الواعظون في جوابهم معذرة
الى ربكم اي موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتادية لفرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم تعظوهم ولعلهم بالوعظ يتقون ويرجعون قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين القراءة
قرأ اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرأ ابو بكر غير حماد بيئس على وزن فيعل والباقون بئيس
على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بئس على وزن فعل وعن زيد بن ثابت بئس على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بئس وعن طلحة بن مصرف [illegible]
عن مجاهد بايس على وزن فاعل وعن الحسن بئس بكسر الباء وفتح السين الحجة قال ابو علي من قرأ بيس فانه يحتمل امرين ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس اذا كان
شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد ويجوز ان يكون صفة على فعيل نحو النذير والنكير في قولهم عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض فوصف بالمصدر والتقدير
بعذاب ذي بيس اي ذي بؤس ومن قرأ بعذاب بئس فانه جعل بئس الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله ان الله ينهى عن قيل وقال وعن قال وقيل ومثله
من شب الى دب فلما استعملت هذه الالفاظ اسماء وافعالا فكذلك بئس جعله اسما بعد ان كان فعلا فصار وصفا مثل ضيغم وحيد قال ولا يجوز كسر العين من فيعل
[illegible] ما كان عينه ياء او واوا مثل طيب وسيد لم يجي مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه ما بال عينك كالشعيب العين فينبغي ان يحمل
[illegible] على الوهم قال ابن جني فكانها انما جاءت الهمزة لما يتهلحو في العلة ولما بنيت على فعل فانه جاء على بئس الرجل اذا شجع فكانه عذاب مقدم عليهم
متاخر عنهم ويجوز ان يكون مقصورا من بئيس فيكون مثل نبو من نبو ولتاب بيخ ونحس فكانه اراد بئيس فخفف الهمزة فصار بيئس فلما قارب الياء اسكنها

طلبا للحجة فضلت في اللفظ بئيس ونحوه من ذلك قول ابن مياده وكان يوم تسلها حكمها اراد بوم تسل فخفف وقرا باشر باسم الفاعل من بئس ولكن ابو حاتم قراءة
يحسن بئس وقال لو كان كذا لما كان يقع بها من نابئة اكثر ما اللغة قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبوس باسا اذا كان شديد الباس وفي البوس هو الفقر بئس
الرجل يبوس باسا والباسا الاسم العتو الخروج الى الفحش الذنوب العاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاسئ المطرود المبعد عن الخير من يباس
خسا الكلب اي اقصيته وخسا هو بعد المعنى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما ترك اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بحبسه
السمك انجينا الذين ينهون عن السوء اي خلصنا الذين ينهون عن المعصية واخذنا الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس اي شديد بما كانوا يفسقون اي بفسقهم
وذلك العذاب لحقهم قبل ان مسخوا قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام من الهالكة وروى عن ابن عباس انهم ثلثة انجى الله
اثنتين الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي وقال الثاني انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله عم والثالث
التوقف فيه وروي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرء هذه الاية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان
وانجى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختار الجبائي وقال الحسن انه نجى الفرقة الثالثة لانه ليس شيء ابلغ
في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقال قتل المؤمن اعظم والله من اكل الحيتان فلما
عتوا عما نهوا عنه اي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه بل تمردوا في الفساد والجراة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء وجاء الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك ابلغ في الاية النازلة
بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوي بعد ان كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا ثلثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا
عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لان القردة ليست
من اولاد ادم كما ان الكلاب ليست منهم وورد في الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فجعل له نسلا وعقبا القصة
القصة في زمن داود وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي امرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت
الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها الماخض لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدونها ثم اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها
يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم ياخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلام على
ذلك فلما لم يات العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحوا من اثني عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية
ولم تساكنهم فاصبحوا يوما ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرف نسيبها من الانس ولا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم
الم ننهكم قالت برؤوسها ان نعم قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله تعالى واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من
يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون الاعراب منهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوبا بالتمكن في الظرفية وقد مثل على قول ابي ايتان
الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع رفع وجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيمة يفصل بينكم بين في موضع رفع ليناسبه مقام الفاعل وان
كان الفيدين ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف واقام صفته مقامه المعنى ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال واذ تاذن ربك معناه واذكر يا محمد اذ تاذن
واعلم ربك فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تالى ربك اي اقسم القسم الذي يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم اي على اليهود
الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اي من يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية والمعني به امة محمد صلى الله عليه وآله عند جميع المفسرين وهو المروي عن ابي
جعفر عم وهذا يدل على ان اليهود لا يكون لهم دولة الى يوم القيمة ولا عز واما معنى البعث هاهنا فهو الامر والاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع
على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ان ربك لسريع العقاب لمن يستوجبه على الكفر والمعصية وانه لغفور
رحيم ظاهر المعنى وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخرا الى يوم القيمة لان كل ات فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء ان يعاقبه في الدنيا
وقطعناهم في الارض امما معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد انما فرقهم بان فرق ديارهم حتى افترقوا
في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة اخذ الجزية لانهم لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل انه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى
فريق ثم اخبر عنهم فقال منهم الصالحون اي من هؤلاء الصالحون اي من بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه ومنهم دون
ذلك اي دون الصلاح اي الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين اشتغلوا بنظر لا وامر ونهي وعصوا بعض المعاصي انما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم
كفرهم وذلك قبل ان يبعث فيهم عيسى وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى ومنهم الكافرون عن عطاء ومجاهد وبلوناهم بالحسنات والسيئات معناه
اختبرناهم بالرخاء في العيش والحظ في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وبالشدائد في العيش والمصائب في الانفس والاموال فكانه قال بلوناهم بالنعم
والنقم والرخاء والشدة فان فعل النعم يقتضي الرغبة الى الله تعالى في ادامتها وفعل النقم يقتضي الرغبة الى الله في كشفها لعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا
الى الله تعالى وينيبوا الى طاعته وامتثال امره ونهيه قيل كيف يصح الرجوع الى امر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه ان الذاهب عن الشيء قد يقال له ارجع اليه
اي صر اليه كما ان من ابي عن مسالك الهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم وان لم يكن سلكه قبل وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اسلافهم

الفصرة قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين القراءة قرء ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة
السلمي وادارسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم اللغة قال الزجاج يقال للقرن الذي يجيء في اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب عنك قال الفراء يقال
هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الاخر قال حسان لنا القدم
الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع والاغلب في الفتح ان يستعمل في المدح والعرض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض القائم بالجسم عرضا لانه يعرض في البين
الوجود ولا يجب له من اللبث ما للاجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى يمحى اثره
امسك ومسك وتمسك واستمسك بالشيء بمعنى واحد اي اعتصم به الاعراب ياخذون عرض هذا الادنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا الكتاب
صفة لخلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الاية الى قوله ما فيه
خبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع اجرهم لان المصلح
هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول المعنى ثم ذكر
سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف فقال فخلف من بعدهم خلف معناه فعقب اولئك وقام مقامهم قوم اخرون ورثوا الكتاب يعني التورية فان الميراث ما صار للباقي
من جهة البادي ياخذون عرض هذا الادنى معناه ما اشرف لهم من الدنيا اخذوه وعن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر جميع متاع الدنيا عرض
وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس اراد بقوله هذا الادنى هذا العاجل وقيل اراد عرض
هذا العالم الادنى وهو الدار الفانية ويقولون سيغفر لنا وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا
كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار وقيل
معناه وان جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك اخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء عن الحسن الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التورية
ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله موسى في التورية من الوعد والوعيد عن ابن عباس فيما يتمنوا المغفرة مع الاصرار ودرسوا ما فيه
اي وقرؤا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به
والدار الاخرة خير للذين يتقون معناه ما عند الله لاوليائه في الدار الاخرة من النعيم والثواب للمطيعين خير للذين يجتنبون معاصي الله افلا تعقلون
من قرء بالياء افلا يعقل هذه الطائفة ومن قرء بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون بالكتاب
التورية لا يحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القران والمتمسك به امة محمد عن عطاء واقاموا الصلوة وانما خص الصلوة بالذكر لجلالة
موقعها في الشريعة تاكيدا انا لا نضيع اجر المصلحين اي لا نضيع اجر اعمالهم بل نثيبهم على ما يستحقونه قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اللغة النتق قلع الشيء من اصله وكل شيء قلعته ثم رميت به فقد
نتقته ومنه قيل للمراة الكثيرة الاولاد ناتق لانها ترمي بالاولاد رميا هذا قول ابي عبيد وقيل اصل النتق الرفع ومنه امراة ناتق لرفعها الاولاد وقيل
المراة فهي ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم الظلة كل ما اظلك من
ستر اكمن سقف او سحاب او جناح حائط المعنى عاد الكلام الى قوم موسى فقال سبحانه واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من
اصله فرفعناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى فرسخا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم كانه ظلة اي غمامة وقيل سقيفة عن عطاء وظنوا انه واقع بهم اي
علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي خذوا اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اي خذوا ما الزمناكم
من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم بالعمل بما فيه
لعلكم تتقون اي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الاية في سورة البقرة مشروحا قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون ثلاث ايات القراءة قرء ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم
على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرء ابو عمرو ان يقولوا او يقولوا بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا
وقد يكون واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه جمعا وما جاء فيه واحدا قوله
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال ان الله يبشرك بيحيى وهذا مثل قوله هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واما قراءة ابي عمرو ان يقولوا
بالياء فلان الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرء بالتاء فلانه قد جرى في الكلام خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون
في المعنى الاعراب من ظهورهم بدل من قوله من بني ادم والمعنى اخذ ربك من ظهور بني ادم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقديرها واشتقاقها فيما

نفلة وقوله أن تقولوا تقديره كراهة أن تقولوا ولئلا تقولوا وقد مضى الكلام في أمثاله المعنى ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعد ما
عقبت أذكره من المواثيق التي في الكتب جمعا بين دلائل السمع والعقل وإلزاما للحجة فقال وإذ أخذ ربك أي واذكر لهم يا محمد إذ أخرج ربك
من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي من ظهور بني آدم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية
في هذا الإخراج والإشهاد على وجوه أحدها أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال إني آخذ على ذريتك ميثاقهم أن
يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلي أرزاقهم ثم قال لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل إن الله تعالى
جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم إلى صلب آدم والناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه في ذلك الوقت فكل من ثبت على الإسلام فهو على
الفطرة ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك أخبارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة ويجعلونها تأويلا للآية ورد
المحققون هذا التأويل وقالوا إنه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره

[illegible]

وأخلد أكثر وأصله اللزوم على الدوام وقيل رجل مخلد إذا أبطأ عنه الشيب وأخلد إلى الأرض لصق بها قال مالك بن نويرة [illegible]
أقاموا فأخلدوا اللهث أن يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللهثى أنها تفطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد
من شدة الإعياء الإعراب نصب مثلا لأنه تفسير المضمر في ساء التي هي بمعنى بئس ويكون فعلا ماضيا غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر
والتقدير ساء المثل مثل القوم ثم حذف المثل الأول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني وأقيم المضاف إليه مقامه لأن المعنى مفهوم المعنى ثم أمر الله
سبحانه أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني إسرائيل فقال واتل أي واقرأ عليهم يا محمد نبأ الذي آتيناه أي خبر الذي أعطيناه آياتنا أي حججنا وبيناتنا
فانسلخ منها أي خرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده فأتبعه الشيطان أي تبعه وتبع وأتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وأدركه
حتى أضله فكان من الغاوين أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائي واختلف في المعني به فقيل هو بلعام بن باعوراء عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى

[illegible]

اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثلث آيات القراءة قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الحجة قال ابو الحسن لحد والحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد وفي القرآن ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرء والانشاء والاحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول تجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت قال ابو عبيدة لحدت الميت والحدت بمعنى ولحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وانما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر وللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الآخر اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر بالم وجوه بعد الوجد واعرج فكل والدة للموت ما تلد قال علي بن عيسى لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة المعنى ثم بين سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقيب بيانه احوالهم والمصير الى المآل فقال ولقد ذرأنا اي خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز ان يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ونظائر ذلك لا تحصى والمراد بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار لهم قلوب لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون دلائل الله وبيناته ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد ولهم آذان لا يسمعون بها لا يسمعون بها لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليس له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم بل هم اضل من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل هاهنا للرجوع عن الاول ولكن للاضراب عنه مع بقائه وقيل انما قال بل هم اضل من الانعام لان الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها لان الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة فهم اسوأ حالا منها اولئك هم الغافلون عن آيات الله وحججه وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها وفي البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب ولله الاسماء الحسنى خبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى ومعانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال ان جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة متضمنة لمعان حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والاله والقديم والسميع البصير ومنها ما هي صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة فادعوه بها اي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها ان يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض فكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر اورده مسلم في الصحيح وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بانه ابن الله وفيه دلالة على انه لا يجوز ان يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه سيجزون ما كانوا يعملون في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة وممن خلقنا امة يهدون بالحق خبر سبحانه ان من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله والى دينه وهو الحق ويرشدونهم اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال هي لامتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال الربيع بن انس قرأ النبي هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا نحن هم النظم قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين في الآية المتقدمة ان قوما من الكفار يغفلون عن الحق بين في هذه الآية ان من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر انه يتصل بقوله ولقد ذرأنا فكانه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وكذا وقوما صفتهم كذا قوله عز وجل

والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون خمس آيات القراءة قرأ اهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون بالنون والرفع الحجة من قرأ بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى وهو يذرهم ويكون مقطوعا عن الاول على الوجهين ولم يكن خرج بالامر ومن جزم فانه عطفه على موضع الفاء وما بعدها من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم يلحق الفاء الفعل لقال لولا اخرتني اصدق لان

معنى

معنى لولا اخرتني اخرني اصدق ومثله قول الشاعر اني سالكت فانني لك ناصح وعلى انتقاصك في الحيوة وازدد وقول ابي داود فابلوني بليتكم لعلي اصالحكم واستدرج نوايا حمل استدرج على موضع الفاء المحذوف من قوله فلعلي اصالحكم وموضعه جزم اللغة الاستدراج اصله من الدرجة وهو ان يؤخذ قليلا قليلا ولا يباغت كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوي منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج يقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التاخير والامهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها اي قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار على الحال من غير ثبات ومنه مليت الكتاب ومنه الملا للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب ومنه الكيد والمكر والجنة الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم للمالك الذي ليس بمملوك المعنى لما ذكر سبحانه المؤمنين الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال والذين كذبوا بآياتنا التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة اي نقربهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهو الطريق ودرج اذا مشى سريعا اي سناخذهم من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فالطرق كلها علي ومرجع الجميع الي لا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب وقيل انه من الدرج اي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت امر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الجبائي ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال لان الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فان السين تختص المستقبل ولانه جعل الاستدراج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر واملي لهم معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فانهم لا يفوتونني ولا يفوتني عذابهم ان كيدي متين اي عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين القول اولم يتفكروا اي هؤلاء المكذبون بمحمد في نبوته وفي اقواله وافعاله فيعلموا انه ليس بمجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون فتم الكلام عند قوله اولم يتفكروا ثم ابتدأ فقال ما بصاحبهم من جنة اي ليس بمجنون وذلك ان رسول الله صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ان هو الا نذير مبين اي ما هو الا معلم موضع المخافة ليتقى وموضع الامن ليجتنى ومعنى مبين يبين لهم ما امرهم به وقيل مبين لهم عن الله امره ونهيه ثم قال اولم ينظروا معناه اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وعجيب صنعهما فينظروا نظر المستدل المعتبر فيعرفوا بان لهما خالقا مالكا ويستدلوا به على وحدانيته وما خلق الله من شيء اي ويتفكروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلق الله من خلق دلالة واضحة على اثبات توحيده وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي اولم يتفكروا ولم ينظروا في ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم وهو حلول موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون فباي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر احد منهم ان ياتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله فلا هادي له قد ذكرنا معناه ويذرهم في طغيانهم يعمهون معناه ويتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين قوله تعالى

يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون آية اللغة ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها ابانا والساعة هاهنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرسيها مثبتها ورسا الشيء يرسو فهو راس اذا ثبت قال ... ثابت والحفي المستقصي في السؤال احفى فلان بفلان في المسئلة اذا اكثر عليه والح قال الاعشى فان تسئلي عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا ومنه احفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفا مقصور اذا اكثر عليها المشي والحفاء ممدود المشي بغير نعل الاعراب الكاف في يسئلونك المفعول الاول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان مرسيها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين ايان مرسيها ومرسيها في موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في تاتيكم النزول قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن المعنى لما تقدم الوعيد بالساعة سئلوا عن وقتها فقال تعالى يسئلونك يا محمد عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيمة وهو وقت قيام الناس للحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي ايان مرسيها اي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي قل يا محمد انما علمها عند ربي اي انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه احدا من خلقه وانما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا ياتي بها الا هو عن مجاهد ثقلت في السموات والارض ذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على اهل السموات والارض لانه من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره وقال ابو علي الفارسي اصل هذا قولهم خطب عليها اي ذلك لعلمي غالبا عليه فخفي عليه لم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك وثانيها ان معناه عظمت على اهل السموات والارض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم

وتكوير

وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج وقيل ثقلها وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها لما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ورابعها ان المراد ثقل السموات والارض اي لا تطيق السموات والارض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الاحوال من انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تاتيكم الا بغتة اي فجاة لتكون اعظم واهول يسألونك كانك حفي عنها معناه يسألونك عنها كانك حفي بها قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصلها من حفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته اي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس انه قرأ كانك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفا للدلالة عليها كما يكون في التقدير الاول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا للدلالة عليها ايضا الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد ان يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك الا لحفاوته بها وقيل فيه معنى آخر وهو ان يكون تقديره يسألونك عنها كانك حفي بهم اي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسألة هي الاشاعة بالمسؤول عنه وقيل معناه كانك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فان السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصله بعن تقديره كانك حفي بالمسألة عنها او فسألت عنها فعلمتها قل يا محمد انما علمها عند الله لا يعلمها الا هو وانما اعاد قوله هذا القول لانه وصله بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيئتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم باعيانهم الى يوم القيامة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم آخر الائمة ان القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل انما علمها عند الله وهذا ضعيف لانه غير ممتنع ان يعلم آخر الائمة انه لا امام بعده وان لم يعلم وقت قيام الساعة لانه لا يعلم وقت فناء الخلق وموتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت آخر الائمة لظهور اشراط الساعة ولعل ان فيها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون

النزول قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل منها الى الارض التي قد اخصبت فانزل الله هذه الآية

المعنى قل يا محمد لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ان يملكني اياه فاملكه بتمليكه اياي ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فيه قولان احدهما وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت في وقت الرخص لوقت الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الافضل فالافضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسئل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير اي لاجبت عن كل ما اسئل عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسني السوء اي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت عالما بكل شيء اجبت عن كل ما اسئل فتصدقونني ولا تكذبونني وقيل ما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاتحرز منه ان انا الا نذير مخوف بالعذاب وبشير مبشر بالثواب لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة فيه لما صح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عندهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب

النظم وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم الجواب عن سؤال القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب مختص به والملك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل الآية في معنى جواب سؤالهم ايضا فكانه قال اذا انا لا املك لنفسي نفعا الا ان ادفع عنها ضرا فكيف اعلم الغيب قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون

القراءة قرأ اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وفي الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم في الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد

الحجة من قرأ شركاء فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك او ذوي شرك فالقراءتان على هذا تؤولان الى معنى واحد فان معنى جعلا له شركا جعلا لله ذوي شرك والضمير في له يعود الى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فانه ينبغي ان يكون اصله الثقيلة كقراءة الجماعة الا انه حذفه تخفيفا للثقل التضعيف قالوا ... اي قسها وقال ابو زيد خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس احسن به وقيل انه من المرية اي شكت احملت ام لا وعن الحسن شكت على امجانية وروي ان عبد الله بن عمر قرأ فمارت به وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت به معناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لان استفعل يأتي في اكثر الامر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فانه في المعنى مثل القراءة الاخرى وقال ابو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعا اذا سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى تبعهم تبعا

المعنى لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال هو الذي خلقكم والخطاب لبني آدم من نفس واحدة يعني آدم وجعل منها زوجها يعني حواء ليسكن آدم اليها ويأنس بها فلما تغشاها اي فلما اصابها كما يصيب الرجل المرأة يعني وطئها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفا فمرت به اي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب

كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل من شيء من التصرف فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل كما يقال اتمرت النخلة صارت ذات تمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال اصاف دخل في الصيف واشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به دعوا الله ربهما يعني آدم وحواء سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها لئن آتيتنا صالحا اي لئن اعطيتنا ولدا صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا صالحا اي معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل بشرا سويا عن ابن عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا قال الجبائي وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يؤنسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا ويحتمل ايضا ان يكون الله اعلمهما ان لهما ولدا صالحا فطلبا الولد الصالح فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اختلف في من يرجع اليه الضمير في جعلا له على وجوه احدها انه يرجع الى النسل الصالح اي المعافى في البدن لا في الدين وانما ثنى لان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله من الاصنام والاوثان عن الجبائي وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو الاصح ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يئدوا البنات فلما آتاهما صالحا يعني الاب والام جعلا له شركاء فيما آتاهما لانهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله فتعالى الله عما يشركون فالكناية في جميع الآية متعلقة بآدم لانهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله فتعالى الله عما يشركون وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من تلك النفس حواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وحواء والخطاب لهما ثم خص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سألوا وجعلوا له شركاء فيما آتاهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ونحو ذلك كثير في الكلام قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر بانهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له شركاء في عطيته قال ويجوز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ذكرهما من قوله الاصم قال ونظيره قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وقالوا انها الصحيح مع مثله في التنزيل كثير قال سبحانه ... وثالثها ان يكون الهاء في جعلا له راجعة الى الولد لا الى الله ويكون المعنى انهما طلبا من الله تعالى امثال الولد الصالح الذي وهبه لهما فاضافا اليه مثله فصار ذلك شركا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل اي الى آدم وحواء ويكون التقدير جعلا له شركاء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتقديره جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف وعلى هذا الوجه يكون الكناية من اول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء واذ قتلتم نفسا والمعنى قتل اسلافكم كما ان المراد اتخذ اسلافكم العجل ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون وروايتها ما ورد به الخبر انه يرجع الى آدم وحواء وانهما جعلا لله شركا في التسمية وذلك انهما كانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما ولد تسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحارث فولد لهما ابن فسمياه عبد الحارث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء لما حملت اتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك ان يكون في بطنك بهيمة فقالت ذلك لآدم فقال لعله من ذلك ثم اتاها فقال ان سألت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحارث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحارث برضا آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد باتفاق المفسرين فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الانبياء فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا تحتاج الى ابانته فان الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين في ولدهما بان سمياه عبد الحارث وليس في ظاهر الآية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراك في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية خارجة الطبري وذكر العلماء في تفسير قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون توبيخ وتعنيف للمشركين انهم يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا مما يستحق به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون وقوله وهم يخلقون انما جمع بالواو والنون لانه اخرج الكلام مخرج الاسماء التي تعقل لانها تعبد فيقال ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى في ما ذكروه من اشراك ابليس فيما قال القوم يخلقون على لفظ العقلاء وان كان الاصنام جمادا لانه اراد به الاصنام والعابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصفونها على صفة من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي وهم يشركون بعبادته من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه ما اراد به الضر ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قيل معناه وان تدعوا الاصنام التي عبدوها الى الهدى فانها لا تقبل الهدى عن ابي علي الجبائي بين بذلك ضعفها وضعف امرها بانها لا تهتدي غيرها ولا تهتدي بانفسها ان دعيت الى الهدى وقيل معناه ان تدعو المشركين الذين اصروا على الكفر الى الدين فانهم لا يؤمنون وهو نظير قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي سواء عليكم دعاؤكم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم ليكون في مقابلة ادعوتموهم ليفيد المضي والحال فان المقابلة كانت تقتضي ان تكون الصورتان اللفظيتان على معنى الحال ومثله قول الشاعر سواء عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر قوله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله

عِبادٌ أَمثالُكُم فَادعُوهُم فَليَستَجيبوا لَكُم إِن كُنتُم صادِقينَ أَلَهُم أَرجُلٌ يَمشونَ بِها أَم لَهُم أَيدٍ يَبطِشونَ بِها أَم لَهُم أَعيُنٌ يُبصِرونَ بِها أَم لَهُم آذانٌ يَسمَعونَ بِها قُلِ ادعوا شُرَكاءَكُم
ثُمَّ كيدونِ فَلا تُنظِرونِ ﴿ القراءة ﴾ قرء ابو جعفر وحده يبطشون بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان والباقون بكسرها وقرء هشام ويعقوب
كيدوني بياء في الوقف والوصل وافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسمعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرء تنظروني بالياء في الحالين يعقوب ﴿ الحجة ﴾
بطش يبطِش ويبطُش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعهما في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد
الزموا القوافي حذف هذه الياءات قال الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان يأتين والياء التي هي لام كذلك نحو قوله [illegible]
[illegible] من ابتب فلان الاثبات ﴿ المعنى ﴾ ثم احتج سبحانه الحجة على المشركين بقوله ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام يدعونهم آلهة
عباد امثالكم اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير لامر الله عن الاخفش ولما كانت الاصنام ممتنعة
مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فان العبد الذليل [illegible] مملوك [illegible] ان عبد بني الرسيل اي ذلتهم وتخدم
ضرب من الخدم فادعوهم هذا الدعا الاول والمراد به فادعوهم لنفعكم او لكشف الاسوء عنكم فليستجيبوا لكم هذا لام الامر على معنى التعجيز والتعجيب كما قال
هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة ثواب او شفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه
بني آدم عليهم فقال ألهم ارجل يمشون بها اي الهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها في مصالحكم ام لهم ايد يبطشون بها اي يأخذون بها الدفع عنكم ومعنى
البطش التناول والاخذ بشدة ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها اي ليس لهم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتم وعبدتم من له الحيوة و
منافعها اللازم كم الذم واللوم بذلك لانها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من انتم افضل منه ثم زاد سبحانه في تعجيزهم فقال قل يا محمد ادعوا شركاءكم اي هذه
الاوثان التي زعمتم انها آلهة وتشركونها في اموالكم وتجعلون لها حظا من الحرث والانعام وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا بالله ثم كيدون باجمعكم و
لا تنظرون اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فان قدرتم على ضري فاجتمعوا انتم ومعبودكم وتظاهروا
على كيدي ولا تمهلون والكيد الاضرار [illegible] فان معبودي يدفع كيدكم عني ﴿ قوله تعالى ﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحينَ وَالَّذينَ
تَدعونَ مِن دونِهِ لا يَستَطيعونَ نَصرَكُم وَلا أَنفُسَهُم يَنصُرونَ وَإِن تَدعوهُم إِلَى الهُدى لا يَسمَعوا وَتَراهُم يَنظُرونَ إِلَيكَ وَهُم لا يُبصِرونَ ثلاث آيات ﴿ المعنى ﴾
ثم بين سبحانه بعد انه ناصر نبيه وحافظه فامره ان يقول للمشركين ان وليي اي ناصري وحافظي والدافع شركم عني الله الذي نزل الكتاب اي القرآن يؤيدني وينصرني
كما انزل علي وهو يتولى الصالحين بنصره المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دونه الآلهة لا يستطيعون نصركم اي
لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون كرر هذا لان ما تقدم فانه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا فانه على وجه الفرق بين
صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان من اعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه وان تدعوهم يعني
ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى الهدى اي الى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان تدعو المشركين الى الدين عن الحسن لا يسمعوا
اي لا يسمعوا دعاءكم وتراهم ينظرون اليك على ما صوروه عليه من الصورة [illegible] جعل الله تعالى عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لان
النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال داري تنظر الى دار فلان اذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي قوله تعالى خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجاهِلينَ وَإِمّا
يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزغٌ فَاستَعِذ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ ﴿ اللغة ﴾ قد تقدم ما قيل في العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر
ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر لا يذهب العرف بين الله والناس والنزغ الازعاج
بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصله الازعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغا وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج النزغ
ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة ﴿ المعنى ﴾ لما امر سبحانه بالدعاء اليه وتبليغ رسالاته علمه محاسن الافعال ومكارم الاخلاق والخصال فقال خذ العفو
اي خذ ما عفا من اموال الناس اي ما فضل من النفقة وكان رسول الله يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكوة فصار منسوخا
بها فان هذه مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه الرضا بالتساهل وترك الاستقصاء
في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع رحم الله عبدا سمحا بايعا شاريا قاضيا مقتضيا وقيل العفو هو
قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذة بالاساءة وروي انه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله جبرئيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم اتاه فقال يا محمد
الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وأمر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند العقلاء
وقيل بكل خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاراة السفيه تضع
عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لانها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي كيف يا رب
والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ومعناه ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يسول للانسان [illegible] وقيل معناه ان عرض لك من
الشيطان عارض في شيء مما امرتك به من هذه الاشياء فاستعذ بالله اي سل الله ان يعيذك منه انه سميع لدعائك عليم بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك
وقيل ان النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن فلذلك فصل الله بين النزغ والمس في هذه الآية [illegible] للناس اذا مسهم طائف من الشيطان

قوله

قوله تعالى إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُم طائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّروا فَإِذا هُم مُبصِرونَ وَإِخوانُهُم يَمُدّونَهُم فِي الغَيِّ ثُمَّ لا يُقصِرونَ وَإِذا لَم تَأتِهِم بِآيَةٍ قالوا لَولا
اجتَبَيتَها قُل إِنَّما أَتَّبِعُ ما يوحى إِلَيَّ مِن رَبّي هذا بَصائِرُ مِن رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ ثلاث آيات ﴿ القراءة ﴾ قرء اهل البصرة وابن كثير
والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن يزيد والباقون طائف بالالف وقرء اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم
وفي الشواذ عن الجحدري يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد ﴿ الحجة ﴾ الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا اذا الم به في المنام فمعناه اذا
مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كالخطرة وطائف كالخاطر والطيف كالخطرة قال الا يا قوم لطيف الخيال [illegible] وقال
الاعشى وتصبح من غب السرى وكانما الم بها من طائف الجن اولق وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال
وبنين وامددناهم بفاكهة وامددتونني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ويمدهم في طغيانهم فهذا يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة
من قرء يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب اليم فبشره بمغفرة والله اعلم ويمادونهم يفاعلونهم منه اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في اقصر يقصر يقال اقصر
عنه اذا تركه مع قدرته عليه وقصر عنه اذا ضعف عنه ﴿ اللغة ﴾ المس [illegible] الاجتباء افتعال من الجباية وتطلع
الاصطفاء وهو [illegible] الاستخراج [illegible] من جبيت الماء في الحوض [illegible] قال
الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتديه
الرجل لم يكن اعده قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر [illegible] قال الاشعر الجعفي راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي
يعدو بها عتد وأي والبصيرة الترس جمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وبيانه ﴿ الاعراب ﴾ اذا الاولى ظرف [illegible] ويكون لها جواب
الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجاة كقولك خرجت فاذا زيد ﴿ المعنى ﴾ ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرض لهم وسواس الشياطين فقال ان الذين اتقوا
الله باجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني
اذا طاف عليهم الشيطان بوسوسته وقال سعيد بن جبير هو الرجل الذي يغضب الغضبة فيذكر فيكظم غيظه وقال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل
يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون للرشد واخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين
من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي ويزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ثم لا يقصرون ثم لا يكفون يعني الشياطين عن استغوائهم ولا يرحمونهم
عن مجاهد وقتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي
وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها معناه انك يا محمد اذا جئتهم بآية كذبوا
بها واذا ابطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلا اجتبيتها من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحيا من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تأتهم بآية
مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم قل يا محمد لهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا آتي بالآيات
من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما اتبع الوحي ولا افتعله وليس لي ان اسأل انزال الآيات
الا بعد اذنه في السؤال هذا بصائر من ربكم اي هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر بها الاشياء [illegible] وهدى ورحمة اي
ودلالة تهدي الى الرشد ونعمة في الدين والدنيا لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على ان
افعال النبي واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي والقياس ﴿ النظم ﴾ قيل ان هذه الآية اتصلت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن
الآيات فاذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يبقون في الضلالة واذا لم تأتهم بآية يسألون
عنها فقالوا كذا قوله عز وجل وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ وَاذكُر رَبَّكَ في نَفسِكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً وَدونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ
بِالغُدُوِّ وَالآصالِ وَلا تَكُن مِنَ الغافِلينَ إِنَّ الَّذينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحونَهُ وَلَهُ يَسجُدونَ ثلاث آيات ﴿ اللغة ﴾ الانصات السكوت مع
استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصته غيره عن الازهري والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل
فالآصال جمع الجمع وتصغيره اصيلان على ابدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر الى المغرب والتضرع التمسكن ﴿ الاعراب ﴾ تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال
اي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه منصوب يكون في موضع الحال اي وغير رافعين اصواتكم حتى تبلغ حد الجهر ﴿ المعنى ﴾ ثم امر الله سبحانه بالاستماع
للقرآن عند قراءته فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا واختلف في الوقت المأمور بالانصات للقرآن والاستماع له فقيل انه في الصلوة خاصة خلف الامام الذي
يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلوتهم ويسلم
بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة امروا بالانصات والاستماع الى الامام يوم
الجمعة عن عطاء وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه اقوى الاقوال الاول
لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الا حالة قراءة الامام في الصلوة فان على المأموم الانصات والاستماع فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات
والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله انه قال يجب الانصات للقرآن في الصلوة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي
كهمس عن ابي عبد الله قال قرأ ابن الكوا خلف امير المؤمنين لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فانصت له امير المؤمنين وعن عبد الله بن يعقوب عن ابي

وانصت له — وانصت — وسعيد بن جبير — عبد الله

عبد الله قال قلت له الرجل يقرأ القرآن ايجب على من يسمعه الانصات له والاستماع قال نعم اذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع قال الزجاج
ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه لان معنى قول القائل سمع الله دعاءك اجاب الله دعاءك لان الله سميع عليم وقال الجبائي انها
نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفقهوا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في الصلوة لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه
واذكر ربك في نفسك خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام وقيل هو خطاب المستمع للقرآن والمعنى واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد
وروى زرارة عن احدهما عليهما السلام قال معناه اذا كنت خلف الامام فأتم به وانصت وسبح في نفسك وقيل اراد الذكر في نفسك في الدعاء وتعظيمه العليا واسمائه الحسنى تضرعا وخيفة
يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فان الدعاء بالتضرع والخوف اقرب الى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لانه ابعد من الرياء والعجب ودون الجهر من القول
معناه ارفعوا اصواتكم قليلا لا تجهروا بها جهرا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلوة
بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس بالغدو والآصال اي بالغدوات والعشيات عن مجاهد والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال الفراغ
والذكر عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء وقيل ان الامر متوجه الى من امر بالاستماع للقرآن والانصات وكانوا اذا سمعوا القرآن
رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة والنار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الآية دليل على ان الذين رفعوا اصواتهم عند الدعاء مخطئون وعلى
خلاف ما تقدم ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال ان الذين عند ربك يعني الملائكة عن الحسن وغيره لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو منزلتهم
يعبدون الله ويذكرونه وغاية ذلكم لا يستكبرون عن عبادته من هو عظيم الامر لا يستكبر عنها انما قال عند ربك تعريفا للملائكة باضافتهم الى نفسه لم يرد به قرب
المكان تعالى عن ذلك ويسبحونه وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى مجازا كما يقال عند الامير كذا وكذا من الجند المراد انهم
في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال والمراد به ذلك المجاز وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله احسانا
ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف ان فيها السجود وهي اول سجدات القرآن واختلف
في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا سورة الانفال مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع
آيات نزلت بمكة واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخرهن وقيل نزلت باسرها في غزاة بدر عن الحسن عكرمة عدد آيها سبع وسبعون آية شامي وست حجازي بصري وخمس
كوفي اختلافها ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري فضلها ابي بن كعب عن النبي انه قال من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة انه برئ من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله عم قال من قرأ الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله عن ابي بصير
نفاق ابدا وكان من شيعة امير المؤمنين حقا ويأكل يوم القيمة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عم قال في سورة الانفال
جدع الانوف تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الاعراف بقصص الانبياء وختمها بذكر نبينا افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين
قومه فقال بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين القراءة قرأ ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وزيد بن
علي وجعفر بن محمد الصادق عم وطلحة بن مصرف يسألونك الانفال الحجة قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الاخرى
التي هي عن الانفال وذلك انهم انما سألوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب صريح بالتماس الانفال وبيان عن الغرض
في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كانه قال يسألونك عن الانفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به قيل
هذا شاذ انما يحمله الشعر واما القرآن فيختار له افصح اللغات وان كان قد جاء واختار موسى قومه اي من قومه لكن من هذا لاظهر بما قدمناه اللغة الانفال
جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا اذا زدته يقال ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي والعجل والنفل العطية ونفلتك اعطيتك
النافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلوة والنوفل الرجل الكثير العطية المعنى يسألونك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال اختلف
المفسرون في الانفال هيهنا فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا
عن الحسن عن ابن ابي نجيح وقيل هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال وما اشبه ذلك عن عطا وقيل هو للنبي خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو
ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى وروي عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي من شاء وقيل هي الخمس
الذي جعله الله لاهل الخمس عن مجاهد في رواية اخرى وصحت الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير
قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيئا وميراث من لا وارث له وقطايع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية
والارضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء وقالا ان غنائم بدر
كانت للنبي خاصة فسألوه ان يعطيهم وقد صح ان قراءة اهل البيت عم يسألونك الانفال فقال الله تعالى قل يا محمد الانفال لله والرسول وكذلك ابن مسعود وغيره
انما قرأوا كذلك على هذا التأويل وعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي فقال هؤلاء ان اصحابه سألوه ان يقسم غنيمة بدر بينهم فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك
لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعنى يسألو

الانفال

الانفال ان يعطيهم ويؤيد هذا القول قوله فاتقوا الله الى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة باية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء
وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال الاخرون انهم سألوا النبي عن حكم الانفال لا ان يعطيهم
ويؤيد هذا القول قوله فاتقوا الله الى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة باية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست
بمنسوخة وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل وعليها فقالوا لمن كان الانفال وتقديره يسألونك عن الانفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الانفال لله و
الرسول وقال الاخرون انهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم وبين لهم انها حلال واختلفوا في سبب سؤالهم
فقال ابن عباس ان النبي قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن جاء باسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان
ما كان قد نفلهم النبي فقال الشيوخ كنا ردءا لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ
كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه
الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر
وقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبي واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحته ورجعت
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسألونك الآية
فخفت ان يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت الى رسول الله قال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن
عباس كانت المغانم لرسول الله خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله ان
يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج اختلف من شهد بدرا من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا ثلاثا فنزلت الآية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه
الله وقال مجاهد هي الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الانفال لله والرسول يقسمها كما شاء او ينفل منها ما شاء فاتقوا الله باتقاء معاصيه و
اتباع ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا خلاف امرهما واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن
المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح اي في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم او اصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه
اصلحوا حقيقة وصلكم كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها
يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي واطيعوا الله
ورسوله اي تقبلوا ما امرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج وقيل معناه واطيعوهما فيما يأمرانكم به وينهيانكم عنه ان كنتم مؤمنين مصدقين للرسول فيما يأتيكم به
من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي ان الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وانما شرع يوم احد وفيه انه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة وانها
لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه اي ما غنمتم بعد بدر وروي ان رسول الله قسم
غنائم بدر عن بواء اي على سواء ولم يخمس قوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى
ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
اللغة الوجل الخوف والفزع واحد يقال وجل يوجل وياجل وييجل وييجل اربع لغات حكاها سيبويه واجودها يوجل قال الشاعر لعمرك ما ادري واني
لاوجل على اينا تعدو المنية اول والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج اليه يقال وكلت الامر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به والوكيل القائم بالامر لغيره الاعراب
لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت تعظيما له وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده على
المعاصي بالعقاب انزل له عليه فاما اذا ذكر نعم الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى
كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافي بين الآيتين لانهما في حالتين وجل وخوف وهو ان المؤمن ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومننه لديه
وعظيم مغفرته ورحمته اطمأن قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه لربه او لامره وان كان بنواهيه وجل قلبه واضطرب نفسه بالوجل الخوف مع شدة الحزن وانما
يستعمل على الغالب الفلب واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تصديقا ويقينا الى يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم
بما انزل الله اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالاولى والثانية والثالثة وكل ما يأتيهم من عند الله فيزداد تصديقهم وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون امورهم
الى الله فيما يخافونه من السوء وعلى الله يتأملون فيما يرجونه من قبول اعمالهم في الآخرة الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص
الصلوة والزكوة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد امرهما وليكون داعيا الى المواظبة على فعلهما اولئك هم المؤمنون حقا اي هؤلاء الجامعون لهذه الخصال هم الذين
لهذه الصفات الذين يستحقون هذا الاسم على الحقيقة لهم درجات عند ربهم يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضائل استحقوها
في ايام حيوتهم عن مجاهد ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دائم لا يشوبه ضرر لا يبغيه كدر ولا يخاف عليه فنا ولا نقصان ولا انقطاع
من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه محمودة واستدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الايمان بهذه الآيات فقال ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير
متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكانه قال لا يكون احد مؤمنا الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه صفة خيار المؤمنين وافاضلهم فكانه قال انما
المؤمنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وان لم يتفاضلوا في الايمان بل يدل على ذلك الاجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بشرط

واما

وانما هو من المندوبات وان الصلوة قد يدخل فيها الفرائض والنوافل والانفاق كذلك فعلمنا ان الاشارة بالاية الى خيار المؤمنين وأماثلهم فلا بدّ اذا علان
من كان دونهم في المنزلة خارج عن الايمان وقد قال البلخي انه سبحانه اراد ان المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية
عنه **قوله عز وجل** كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اربع ايات اللغة المجادلة المنازعة التي يفتل بها عن مذهب الى مذهب سميت بذلك
لشدته واصل الجدل شدة الفتل ومنه الاجدل للصقر لشدته ودرع جديل شديد الفتل وقيل اصله من الجدالة وهي الارض يقال طعنه فجدله اي اوقعه على
الارض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمي صاحبه الارض والسوق الحث على السير والشوكة الحدة يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح
وشائك وشاك من الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل الصائف قال الشاعر فتوسموني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم
واصله من الشوك ودابر الامر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لانه يقع موقعه الذي
هو له وعكسه الباطل **الاعراب** الكاف في قوله كما اخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لان في هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقيل قل الانفال ثابتة لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك اي هذا كائن لا محالة كما ان ذلك كان لا محالة وقيل انه يتعلق بيجادلونك
وتقديره يجادلونك في الحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق وتقديره هذا الذكر الحق كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله
انها لكم في موضع نصب على البدل من احدى الطائفتين وتقديره يعدكم ان احدى الطائفتين لكم ونظيره هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم المعنى كما اخرجك ربك
من بيتك معناه على التقدير الاول قل الانفال لله يقسمها عنكم مع كراهتكم ويشق ذلك عليكم لانه اصلح لكم كما اخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من
المؤمنين لذلك لان الخروج كان اصلح لكم من مقامكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي منها الى بدر ويكون معنى اخرجك ربك دعاك الى
الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال اضرب زيدا عمرا وضربه على التقدير الثاني وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له
كما جادلوك بالمجاهدين اخرجك ربك كارهين للخروج كرهوا كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء
لا ندري الى العير نخرج ام الى القتال فشبه جدالهم بخروجهم لان القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد
لذلك فهذا هو جدالهم على تاويل مجاهد اما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهة جماعة منكم خير لكم وقد تبين ما جاء
في حديث ابي حمزة الثمالي فالله ناصرك كما اخرجك من بيتك وقوله بالحق اي بالوحي وذلك ان جبرئيل اتاه وامره بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك الحق وقيل
معناه اخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد وان فريقا من المؤمنين اي طائفة منهم لكارهون لذلك المشقة التي لحقتهم يجادلونك في الحق بعدما
تبين معناه يجادلونك المشقة فيما دعوتهم اليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك
لا تأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدته عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه او في تأخير الخروج الى الحرب وقيل معناه يجادلونك
في القتال يوم بدر بعدما تبين صوابه انه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعدما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراهتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت
وهم يرونه عيانا وينظرون اليه والى اسبابه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم اي نعني اذكروا واشكروا الله اذ يعدكم الله احدى الطائفتين لكم اما العير
واما النفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لئلا يلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش
من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كني بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة
ذات السلاح ويريد الله ان يحق الحق بكلماته معناه والله اعلم بالمصالح منكم فاراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم
على ايديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اي بامره لكم بالقتال ويقطع دابر الكافرين اي يستأصلهم فلا يبقي منهم احد يعني كفار العرب ليحق الحق اي انما يفعل
ذلك ليظهر الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر باهلاك اهله ولو كره المجرمون اي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله واذ يعدكم الله الاية نزلت قبل قوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها قصة غزاة بدر قال اصحاب السير وذكر ابو حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم
في بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم وهي اللطيمة فيها اربعون راكبا من قريش فندب النبي اصحابه للخروج اليها لياخذوها وقال لعل الله
ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله يلقى كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا يرونها الا غنيمة لهم
فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم في اصحابه فخرج ضمضم سريعا
الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلث ليال ان رجلا اقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا الى مصارعكم
ثم وافى بجمله على ابي قبيس فاخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابه منه فلذة فانتبهت فزعة فقصتها على العباس فبلغ ذلك عتبة
بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك ابا جهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننظرن ثلثة

ايام

ايام فان يكن ما رأت حقا والا لنكتبن كتابا بانه ما من اهل بيت من العرب اكذب رجالا ولا نساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث اتاهم ضمضم ينادي باعلى
الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما اراكم تدركون ان محمدا والصباة من اهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج
وما بقي احد من عظماء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل
بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون بالدفوف وخرج رسول الله في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر اخذ عينا للقوم فاخبره بهم وفي حديث ابي حمزة
بعث رسول الله عينا له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله اخبره اين فارق العير ونزل جبرئيل على رسول الله فاخبره بنفير المشركين من مكة
فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما امنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب
وفي حديث ابي حمزة قال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كانا فرسا رهان فقال اجلس
فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق
والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هيهنا قاعدون ولكنا نقول امض
لامر ربك فانا معك مقاتلون فجزاه رسول الله خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا علي ايها الناس انما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوا بالعقبة قالوا
انا برآء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو
وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بابي انت وامي يا رسول الله كانك اردتنا فقال نعم قال بابي انت وامي يا رسول الله انا قد آمنا بك وصدقناك و
شهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز
وجل يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله وقال سيروا على بركة الله فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف
الله وعده والله لكاني انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وامر رسول الله بالرحيل وخرج الى بدر وهو بئر وفي حديث
ابي حمزة الثمالي بدر رجل من جهينة والماء ماؤه فانما سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب رسول الله وقالوا لهم من
انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله يصلي فانفتل من صلوته وقال ان صدقوكم ضربتموهم
وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة الى
عشرة فقال رسول الله القوم تسع مائة الى الف رجل وامر بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة ابا البختري بن هشام
فقال اما ترى هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت ان ما في العير من
اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد واصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي
فانه حليفك فقال له علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فصر اليه واعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال
فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فانه من بني عبد مناف وابنه معه يريد ان يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب او نأخذهم
اسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا
ودعوا محمدا والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول بالجحفة فاراد عتبة ان يرجع فابى ابو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان
من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول الله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه اذ تستغيثون ربكم وما بعده **قوله عز وجل** اذ
تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز
حكيم اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ست آيات وعند الاقدام آية وكل بانهم
بلا خلاف **القراءة** قرأ اهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرأ اهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب
وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما
ليطهركم به ما بمعنى الذي **الحجة** قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما ان يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي فيكون في الاية المفعول الثاني محذوفا
والاخر ان يكونوا جاؤوا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا اي يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاؤوا بعد وردفني واردفني واحد قال الشاعر اذا
الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا وهذا الوجه كانه ابين لقوله اذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جائين بعد استغاثتكم ربكم
وامداده اياكم بهم فمردفين على هذا صفة الالف وقال الزجاج معناه يأتون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا ان يكون
حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بالفتح الملائكة وقرئ في الشواذ مردفين ومردفين والاصل فيهما مرتدفين فادغم التاء في الدال فالتقى الساكنان
حرك الراء لالتقاء الساكنين وضمت تارة اتباعا لضمة الميم وكسرت تارة لان الساكن اذا حرك حرك بالكسر ومن قرأ يغشاكم ويغشيكم فلانه اشبه بما بعده من قوله
وينزل عليكم فكما انه مسند الى اسم الله فكذلك يغشيكم ويغشى ومن قرأ يغشاكم فانه يسند الفعل الى النعاس كما في قوله امنة منه نعاسا يغشى واغشى وغشى معنا

وجد

فاحده قد جاءنا النزيل قال سبحانه فاغشيناهم وقال فغشيها ما غشى وممن قرء ما ليطهركم به فان ما هيهنا موصولة وصلتها الجار والمجرور بعده كانه قال
ما للطهور كقولك كسوت الثوب الذي للدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ما ليطهركم به لام المفعول له وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
لك الله ويتعلق بنفس الفعل اللام التي في قراءة من قرء ما ليطهركم به اي الذي للطهارة به فمتعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف اللغة الرعب الخوف
يقال رعبته رعبا الرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا فالرعب يقطع حال السرور
جملة من انزعاج النفس بتوقع المكروه وذعب السيل فهو راعب اذا امتلاء منه الوادي لانه انقطع اليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين
بنانه ويقال للاصبع بنانة واصله اللزوم واصله انه اثبت الشيء اذا لزمت قال الشاعر لا ليتني قطعت منه بنانه ولاقيته في البيت يقظان حاذرا
القفان العصيان واصله الانفصال يقال شقه فانشق وتشاققا اذا صار في شق عدوه وعليه منه اشتقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما يحتمل الاصل
الاعراب العامل في اذ من قوله اذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل تقديره واذكروا اذ على الوجه الاول يكون متصلا بما قبله وعلى الوجه الثاني
يكون مستانفا والهاء في جعله عائدة الى الامداد لانه معتمد الكلام وقيل عائدة الى الخبر بالمدد لانه تقديم ذلك اليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة الى
الارداف وامنة منتصب بانه مفعول له والعامل فيه يغشي اذ يوحي في موضع نصب على معنى وما جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت ويجوز ان يكون على تقدير
واذكروا اذ يغشيكم النعاس واذ يوحي ذلكم فذوقوه تقديره الامر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف ويكون كما قال الشاعر وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة
الحيين خلو كما هيا اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيدا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره ما ظاهر كيف في ذلكم لا موضع
له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا ويحتمل رفعا فالرفع بالعطف على ذلكم وكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين عذاب
النار مع او النصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحي بان للكافرين والجر على ان يكون معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله والرفع اليق بالظاهر
وشاقوا بالظاهر التضعيف مع الجزم لغة اهل الحجاز وغيرهم يدغم النزول قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا
بالنصر فانصره فاستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله اذ تستغيثون ربكم الى اخره وقيل ان النبي لما نظر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل
القبلة وقال اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبه فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم الاية عن
عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر قال العلماء امسى رسول الله جنب الليل الذي يتصبح ابصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل
لا يثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذا حتى لبد الارض وثبتت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي والقي الله في قلوبهم الرعب كما قال سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب المعنى ثم ذكر سبحانه ما اتى المسلمين من النصر فقال اذ تستغيثون ربكم اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسلونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم
فلم يكن لكم مفزع الا التضرع اليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المغوثة والغوث وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير
ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة المسئلة ومعناه فاغاثكم واجاب دعاءكم اني ممدكم اي مرسل
اليكم مددا لكم بالف من الملائكة مردفين اي متتبعين الفا اخر من الملائكة لان مع كل واحد منهم ردفا له عن الجبائي وقيل معناه مردفين متتابعين جاءوا على القاب
في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بالف من الملائكة جاؤا على اثار المسلمين عن ابي حاتم وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم معناه وما جعل الله
الامداد بالملائكة الا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم ولتزول الوسوسة عنها والا فملك واحد كان للتدبير عليهم كما فعل جبرئيل بقوم لوط فاهلكهم بريشة
واحدة واختلف في ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر ام لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد انما
امدهم بالف مقاتل من الملائكة فاما ما قاله سبحانه في ال عمران بثلاثة الاف وبخمسة الاف فانه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله ابو جهل
من اين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم وعن ابن عباس ان الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت وما النصر الا من عند الله
معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وانما كان من قبل الله لانهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر
من عند الله ينصر من يشاء قلّ العدد او كثر ان الله عزيز لا يمنع عن مراده حكيم في افعاله يجريها على ما يقتضيه الحكمة اذ يغشيكم النعاس قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا والنعاس اول النوم وقيل ان يثقل الانسان لما نامت عين العلة وقيل من الله لان الانسان لا يأخذه النوم في حال الخوف فامنهم الله تعالى
بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر والامن منيم والامنة الدعة التي تنافي المخافة وايضا فانه قواهم بالاستراحة على القتال من الغد وينزل عليكم
من السماء ماء مطرا ليطهركم به وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار الى الماء فنزلوا على كثيب رمل فاصبحوا محدثين ومجنبين واصابهم الظماء ووسوس اليهم الشيطان فقال
ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ اقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به ارضهم
واوحلت ارض عدوهم ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد
وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم بالاحتلام وليربط على قلوبكم اي وليشد على قلوبكم معناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر
ويثبت به الاقدام اي اقدامكم في الحرب بتلبيد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والهاء في به ترجع الى الماء المنزل
وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني الملائكة الذين امد بهم المسلمين اي اني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال
فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من القي اليه الملائكة فثبتوا الذين

امنوا يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم فقاتلوا وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن
الحسن وقيل ثبتوهم باشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها عن الزجاج سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف من اوليائي فاضربوا فوق الاعناق يعني
الرؤس لانها فوق الاعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وجائز ان يكون هذا امر للمؤمنين وجائز ان يكون امر للملائكة وهو الظاهر وقال ابن الانباري ان
الملائكة حين امرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعني الاطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج
والسدي وقيل يعني اطراف الاصابع اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الانباري ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله معناه ذلك العذاب لهم ولامر بضرب الاعناق
والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله وحاربوا رسوله وقيل صاروا في عدد المخالف ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب في الدنيا بالاهلاك وفي الاخرة بالتخليد في النار ذلكم فذوقوه اي هذا الذي اعددت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا
وان للكافرين اجلا في المعاد عذاب النار قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم وللكافرين في الاخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق
للطعام وهو طالب ادراك الطعم تبينا واليسير بالفم لان معظم العذاب بعده تمام القصة ولما اصبح رسول الله يوم بدر عبأ اصحابه فكان في عسكره فرسان
فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله وعلي بن ابي طالب ومرثد بن ابي مرثد الغنوي
يتعاقبون على جمل المرثد بن ابي مرثد وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله قال ابو جهل ما هم الا اكلة
راس لو بعثنا اليهم عبيدنا لاخذوهم اخذا باليد فقال عتبة بن ربيعة ارى لهم كمينا او مددا فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارسا شجاعا فجال بفرسه حتى طاف
على عسكر رسول الله ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم
ملجأ الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رايكم فقال له ابو جهل كذبت وجبنت فانزل الله تعالى وان جنحوا للسلم
فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابدا بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جملا له احمر
فنظر اليه رسول الله وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ان يك عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب
عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمدا له الذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقا فانتم اعلى عينا به وان
يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره فغاظ ابا جهل قوله وقال جبنت وانتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلي يجبن ستعلم قريش اينا الام واجبن واينا المفسد
لقومه ولبس درعه وتقدم هو واخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقال ارجعوا
انما نريد الاكفاء من قريش فنظر رسول الله الى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر
الى علي بن ابي طالب فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفي نور الله ويابى
الله الا ان يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء
كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على راسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فاطنها فسقطا جميعا وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين
حتى انثلما وحمل امير المؤمنين علي على الوليد فضربه على حبل عاتقه فاخرج السيف من ابطه قال علي لقد اخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت
ان السماء وقعت على الارض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي اما ترى الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي ثم قال يا عم طأطئ راسك وكان حمزة اطول
من شيبة فادخل حمزة راسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فاجهز عليه وفي رواية اخرى ان حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي
للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي الوليد فضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي وحمل الى رسول الله فاستعبر فقال يا
رسول الله الست شهيدا قال بلى انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم باهل يثرب فاجزروهم جزرا
وعليكم بقريش فخذوهم اخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا
اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله فقال لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد ثم اصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبرئيل قد اتاكم في الف من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد
رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف فقال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى
اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعنا قائلا
يقول اقدم حيزوم قال فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان النبي قال يوم بدر هذا جبرئيل
اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب رواه البخاري في الصحيح وعن عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا اهل
البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن
بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه
ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة وقد
سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

وقد قدم وقال ابو لهب هلم الي يا ابن اخي فعندك لعمري الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما الا تستحييان ان اباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه باعلى مكة الى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعد هيئته كذا وكذا فقال لقد اعانك عليه ملك كريم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ثلث آيات اللغة اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد والزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني يقال زحف يزحف زحفا وازحفت للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبتت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدو لهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولاه دبره اذا جعله يليه فهو يتعدى الى مفعولين وعنه الا ما البلد من الولاية ماده وتولاه هو اقبل الولاية والولاء نعمة لانه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف ومنه الاحراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس هي جماعة منقطعة عن غيرها ذكر الفئة في هذا الموضع حسن جدا وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعته الاعراب زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لان معناه متزاحفين مجتمعين متحرفا او متحيزا منصوبان على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء اي الا ان يكون رجلا متحيزا او لن يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالاعراب لانه متمكن اضيف على تقدير الاضافة الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلانه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فاشبه الاسماء المركبة المعنى لما امد سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عن الفرار عنهم فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا وقيل انه خطاب لاهل بدر وقيل هو عام اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال فلا تولوهم الادبار يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اي فلا تنهزموا ومن يولهم يومئذ دبره اي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه الى جهة الانهزام واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل الا متحرفا الى القتال اي الا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول وقال الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطردا كانه يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويرى انه يفر ثم يكر والحرب كر وفر او متحيزا الى فئة اي منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم فقد باء بغضب من الله اي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله ومأواه جهنم اي مرجعه الى جهنم وبئس المصير واكثر المفسرين على ان هذا الوعيد لمن يوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك وورد الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة فاتينا المدينة فتخبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات ان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وانما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم المشركين حتى قتلوهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرئيل قال للنبي يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله لما التقى الجمعان لعلي عليه السلام اعطني قبضة من حصى الوادي فناوله كفا من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وعلى هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله فانه من عجائب المعجزات وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي لينعم عليهم نعمة حسنة اي فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير في منه راجع الى النصر ومن ذلك النصر يجوز ان يكون راجعا الى الله ان الله سميع لدعائكم عليم باحوالكم ومما يكرهه وانما يقال للنعمة كما يقال للمضرة بلاء لان اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر والصبر فيبلي سبحانه عباده بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر صبرهم عليها فالضمير الموجب للاجر البلاء الحسن هنا هو النصر والغنيمة والاجر والمثوبة النظم قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان احدهما انه سبحانه لما امرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته

لقتال

تذكيرا

تذكيرا للنعمة عن ابي مسلم والاخر انهم لما امروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلت فلانا وانا فعلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا باعمالهم قوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اربع آيات القراءة قرأ اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتثقيل غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرأ الباقون موهن بالتنوين والتخفيف كيد بالنصب الا حفص عن عاصم موهن بالتخفيف كيد بالنصب وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص وان الله مع المؤمنين بفتح الالف والباقون بكسر الالف الحجة من قرأ موهن فانه من اوهنته اي جعلته واهنا ومن شدد فانه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فانه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبد الله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه ان يكون على تقدير ولان الله مع المؤمنين اي لذلك لن تغني عنكم فئتكم اللغة الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي يفتح به بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتاح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى وامرته فأتمر الاعراب ذلكم موضعه رفع وكذلك وان الله في موضع رفع والتقدير الامر ذلكم الامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدأ وفذوقوه خبره فقد اخطأ لان ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه المعنى ذلكم اشارة الى البلاء الحسن خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الامر ذلكم الانعام او ذلكم الذي ذكرت وان الله موهن كيد الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم قال ابن عباس يقول اني قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت خيارهم واسرت اشرافهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قيل انه خطاب للمشركين فان ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا يعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فاي الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاهدى الفئتين فقد جاءكم النصر اي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطاء وابي علي الجبائي معناه ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله وان تنتهوا اي تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين فهو خير لكم وان تعودوا نعد معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بان ننصرهم عليكم فتأسرهم بقتالكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا اي ولن يدفع عنكم جماعتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الغنائم والاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن تغني عنكم حينئذ جمعكم شيئا اذا منعناكم النصر عن عطاء والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لانه لم يعتد بغيرهم لاعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالا لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ولا تولوا عنه اي ولا تعرضوا عن رسول الله وانتم تسمعون ما يأمركم به ويدعوكم اليه وينهاكم عنه عن ابن عباس وقيل معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون الكلام خرج معناه ولا تكونوا كمن يقول بلسانه هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوا سماع عالم قابل له وليسوا كذلك لان السماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن اسحق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم اهل الكتاب من اليهود وقريظة والنضير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركوا العرب لانهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد قوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون آيتان اللغة الشر اظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضرر لا يكون شرا بان يعقب خيرا واصل الشر الاظهار من قولهم شر الى الناس شره يقال اشرت كلبا بالاكف الاصابع والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض الا انه يختص في العرف بالخيل المعنى ثم ذم سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان الصم البكم الذين لا يعقلون يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعقلونه ولا يقرون به فكانهم صم بكم لا يتفكرون ولا يعقلون فيما يسمعون فكانهم لم ينتفعوا بسمعهم وعقلهم انتفاعا صاروا كالدواب قال الباقر نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت في النضر بن حارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم معناه ولو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عنه عن الحسن وقيل معنى لاسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج بل معنى لاسمعهم قول قصي بن كلاب كانهم قالوا احي لنا قصيا كلابا يشهد بنبوتك عن الجبائي ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي لاعرضوا وهذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وانما لا يلطف لمن يعلم انه لا ينتفع به قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب آيتان القراءة قرأ امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر والربيع بن انس وابو العالية لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن الحجة قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لان احديهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والاخرى لا تصيبنهم ويمكن ان يكون حذف الالف من لا تصيبن تخفيفا واكتفى بالفتحة

منها

منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الفا وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفا فان قلت فهل يجوز ان تحمله على
انه اراد لتصيبن ثم اشبع الفتحة فافشا عنها الفا كقول عنترة ينباع من ذفرى غضوب جسرة اراد ينبع ومثله قول ابن هرمة فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال
بمنتزاح اي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب يشبه ما ذكرناه واما الوجه في قوله لا تصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان
هذا الكلام جزاء فيه طرف من النهي فاذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النهي والمعنى انزل ان تنزل عنه لا يطرحك فاذا
اتيت بالنون الخفيفة والثقيلة كان اوكد للكلام ومثله قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز
ان يكون نهيا بعد امر ويكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا تتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون معنى
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انها امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمن
ومعناه للنمل كما يقول لا ارينك ههنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الاية كاحتمالها للقول الثاني فاما القول الثاني فقول
ابي الحسن ولا يصح عندنا الا قول ابي الحسن لان قوله لا تصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لان دخول النون فيه يكون ضرورة
الشعر كما انشده سيبويه ومهما تشاء منه فزارة تمنعا واما ان يكون نهيا بعد امر فاستغني عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية
بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلثة رابعهم كلبهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال ولا يحتمل ان يكون
جواب الامر بلفظ النهي كما يستحيل ان يكون جواب الشرط بلفظ النهي لان جواب الامر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ
النهي والمعنى معنى الجزاء لان الجزاء خبر فحكمه ان يكون على الفاظ الاخبار والفاظ الاخبار لا يجيء على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم بزيد وما يليه
على تاويل ليس بخبر ودخول النون فيه والنون لا يدخل في الجزاء لما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو ربما اوفيت في علم
ترفعن ثوبي شمالات المعنى ثم امر سبحانه بطاعة الرسول فقال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اي اجيبوا الله والرسول فيما يامركم به
فاجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان اليه اذا دعاكم لما يحييكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي وهو
الشهادة فان الشهداء احياء عند الله تعالى وقال الجبائي دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصرة الله اياكم وهو معنى قول الفراء وثانيها ان
معناه اذا دعاكم الى الايمان فانه حيوة القلب والكفر موته عن السدي وقيل الى الحق عن مجاهد وثالثها ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لان الجهل
موت والعلم حيوة والقرآن سبب الحيوة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة ورابعها ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحيوة الدائمة ونعيم الابد عن
ابي مسلم اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة
ودعوا التسويف عن الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه اقرب اليه من حبل الوريد فان الحائل بين الشيء وغيره اقرب
الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة والاولى به تحذير شديد وقيل معناه انه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب
والابصار كانهم خافوا من القتال فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم امنا بان يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله
قال ان الله يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم عنه قال معناه يحول بينه
وبين ان يعلم ان الباطل حق اورده العياشي في تفسيره وقال مجاهد معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا في معنى قول الحسن وانه اليه تحشرون معناه
واعلموا انكم تحشرون اليه اي مجموعون للجزاء على اعمالكم يوم القيمة ان خيرا فخير وان شرا فشر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة حذرهم الله تعالى من هذه
الفتنة وامرهم ان يتقوها فكانه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم لان قوله لا تصيبن نهي مسوق على الامر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمامور
بالاتقاء كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة ههنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا
يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن قال نزلت في
علي وعمار وطلحة والزبير وقال قد قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى اصابتنا خاصة وقيل نزلت في اهل
بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه
بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين احدهما انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعذبون واما المؤمنون
فممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروي انه سئل عنها فقال ابهموا ما ابهم الله والثاني انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس من الظلم وتقديره واتقوا عذابا يصيب
الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرا لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فانه مفسر على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان
الالف لاشباع الفتحة على ما تقدم ذكره وقال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب لانه لا تظلموا فياتيكم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظلم
اعلموا ان الله شديد العقاب لمن يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع
مسرع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي قال لعمار يا عمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم
بعضا وحتى يبرأ بعضهم من بعض فاذا رايت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن ابي طالب فان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك
وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده

عن علقمة

عن علقمة والاسود قالا اتينا ابا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني وحدثنا عنه السيد ابو الحمد مهدي
ابن نزار الحسيني حدثني محمد بن القسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال
حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خالد الاحمر عن ابرهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية و
اتقوا فتنة قال النبي من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكانما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآويكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون اية اللغة الذكر ضد السهو وهو
احضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الاخذ بسرعة انتزاع يقال تخطف وخطف واختطف المعنى ثم ذكرهم سبحانه
حالتهم الاولى في القلة والضعف انعامه عليهم بالنصر والتاييد والتكثير فقال واذكروا معشر المهاجرين اذ انتم قليل مستضعفون في العدد كانوا كذلك قبل الهجرة في
ابتداء الاسلام مستضعفون يطلب ضعفكم بتوهين امركم في الارض اي في مكة عن ابن عباس والحسن تخافون ان يتخطفكم الناس اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم
منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب فآويكم اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة وايدكم بنصره اي
قواكم ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم وقيل يعني في جميع ما اعطاكم من الاطعمة اللذيذة لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا والمعنى انه نقلكم من
حالكم التي انتم عليها الان بتلك الحال المتقدمة ليبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم ايتان اللغة الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التادية فيه
وهي ضد الامانة واصلها ان تنقص من ائتمنك امانته قال زهير بارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب ولا خلاء اي لم ينقص من فراهتها الاعراب وتخونوا
مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش وهو معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وهو في معنى قول السدي النزول قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرئيل النبي فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا
فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه الاية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي فيفشونه
حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
رسول الله الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك رسول الله
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله فاتاهم فقالوا ما
ترى يا ابا لبابة اننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فاتاه جبرئيل فاخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت
قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال
لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالي فقال النبي يجزيك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله المعنى ثم امرهم سبحانه بترك الخيانة فقال يا ايها الذين
آمنوا لا تخونوا الله والرسول اي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وشرائعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد
خان الله ورسوله عن الحسن وتخونوا اماناتكم يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لا تنقضوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله
والرسول فقد خانوا اماناتهم عن السدي وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة واعلموا اي وتحققوا واتقوا
انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلية عليكم ابتلاكم الله بها فان ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم وان الله
عنده اجر عظيم لمن اطاعه وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الاموال والاولاد بين سبحانه بهذه الاية انه يختبر خلقه بالاموال والاولاد
ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب والى هذا اشار امير المؤمنين
علي في قوله لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله
تعالى يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم المعنى يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون ان تتقوا الله اي ان تتقوا عقاب الله باتقاء
معاصيه واداء فرائضه يجعل لكم فرقانا اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا
والاخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا
وثوابا في الاخرة وخذلانا ومعقوبة لاعدائكم وذلا وعقابا بكل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة عن الجبائي ويكفر عنكم سيئاتكم التي عملتموها ويغفر
لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فاذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق اكراما منه وجودا فانه لا يمنعهم ما استحقوه
بطاعاتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه اتمام ذلك بنعيم الاخرة باستحقاق وغير استحقاق النظم قيل اتصلت الاية باول السورة من الامر
بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخالفوه فيما امركم به من الجهاد يجعل لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا

والاخرة

والاخرة قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين آية اللغة

المكر الميل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء واصل المكر الالتفات من قولهم جارية ممكورة [illegible]

[illegible]

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وما كان الله معذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك

الله سبحانه لم يعذب قوما حتى اخرج نبيهم منها [illegible]

[illegible]

معناه فيقع منهم الانفاق لها ثم تكون عليهم حسرة معناه ثم يكشفهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم لا ينتفعون بذلك الانفاق
لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالا عليهم ثم يغلبون في الحرب فيغلبهم المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي صلعم لانه اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على
ما اخبر به والذين كفروا الى جهنم يحشرون اي يجمعون الى النار بعد حسرتهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما افاد قوله والذين كفروا ان جماعة ممن
انفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة ليميز الله الخبيث من الطيب معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين ويجعل الخبيث بعضه على
بعض اي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض فيركمه اي فيجمعه جميعا في الآخرة فيجعله في جهنم فيعاقبهم به كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله
الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن ابي مسلم وقيل بان يجعل الكافر في جهنم والمؤمن
في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم يضيق بها عليهم فيركمه جميعا اي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بان يكون بعضهم فوق بعض في النار
مجتمعين فيها فيجعله في جهنم اي فيدخلهم جهنم اولئك هم الخاسرون قد خسروا انفسهم كانهم اشتروا بانفاق الاموال في المعصية عذاب الله في الآخرة قوله تعـ
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان
الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير ثلث آيات اللغة الانتهاء الامتناع من الشيء لاجل النهي عنه نهاه عن كذا
فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال خالد الهذلي فلا تجزعن من سنة انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها والتولي عن الدين الذهاب عنه الى خلافه
المولى هنا هو الذي يتولى الحفظ والحق ومتابعته الاعراب وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله موليكم في موضع الجواب وانما جاز ذلك لانه تغير معنى الخبر فكانه قال
ويجب عليكم لعلمكم بان الله موليكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه بدعائهم الى التوبة والايمان فقال قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا اي يتوبوا عما هم عليه من الشرك
يغفر لهم ما قد سلف اي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان ينتهوا عن المحاربة الى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين معناه
وان يعودوا الى القتال ودا موا على الكفر فقد مضت سنة الله في آبائكم وقيامه في نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين والاستئصال والاغراق وانما ذكر ذلك تحذيرا لهم
اضاف السنة اليهم لانها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد ارسلنا فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت تجري على ايديهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضافها الى
نفسه لانه هو المجري لها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا خطاب للنبي والمؤمنين ان يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس والحسن وقيل حتى لا يكون
كافر بغير عهد لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه يدعو الناس الى دينه فتكون الفتنة في الدين عن الحسن وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين كله لله
اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملونه فيكون الدين كله حينئذ لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله ع انه قال
لم يجئ تاويل هذه الآية وليبلغن دين محمد صلعم ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الارض كما قال تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيئا فان انتهوا عن الكفر فان الله
بما يعملون بصير معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها العالم بها لا يخفى عليه منها شيء وان تولوا عن دين الله
وطاعته فاعلموا ايها المؤمنون ان الله موليكم اي ناصركم وسيدكم وحافظكم نعم المولى اي فنعم السيد والحافظ ونعم النصير هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل
من هو ناصره قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير آية اللغة الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفيء
ما اخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن ائمتنا وقال قوم الغنيمة والفيء واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما
افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل
امه الا الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذي يحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شانه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني وابن السبيل المسافر المنقطع به سمي
ابن السبيل لانه لزم السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره الاعراب فان لله خمسه قيل في فتح ان قولان احدهما ان تقديره فعلى ان لله خمسه ثم
حذف حرف الجر والآخر انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره واعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه المعنى
ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال مخاطبا للمسلمين واعلموا انما غنمتم من شيء اي مما قل او كثر فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى اختلف العلماء في كيفية
قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال احدها ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للامام
القائم مقام الرسول صلعم وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس
وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر ع وروى ايضا عن ابي العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انهما قالا سهم
الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا
السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطاء والثالث انه يقسم على اربعة اسهم سهم لذي القربى لقرابة النبي صلعم والاسهم الثلثة المذكورة
بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلثة اسهم لان سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لان الانبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم
ذي القربى قد سقط لان ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطي فقراء
ذوي القربى سهما والآخرين ثلثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لان
هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وهو مذهب الشافعي ورووا ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي صلعم وقال اصحابنا ان

الجزء العاشر من القرآن

بنو عبد مناف وبنو المطلب
الخمس

الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه
الآية فان في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود الى تاويل الآية قوله فان لله خمسه قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لان الاشياء
كلها له عز وجل والمراد به مصروف الى الجهات المقربة الى الله والرسول قالوا وكان للنبي سهم من خمسة اسهم يصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح
والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول صلعم على ما ذكرناه وقال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع في سبيل الله وسهم ذي
القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم الذي فيشترك فيه الغني والفقير وحكي عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وذي القربى للامام القائم من بعده
ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا واليتامى والمساكين وابن السبيل والوا ان هذه الاسهم الثلثة لجميع الناس وانه يقسم على فقرائهم
بقدر حاجتهم وعندنا انه مختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم ان كنتم آمنتم بالله قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم متعلقا بقوله
فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان امر فايقنوا ان الله ناصركم اذ كنتم قد شاهدتم من
نصره ما شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول يامران فيه بما يريدان ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما امرتم
به في الغنيمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اي وآمنتم بما انزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم
على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لان الله تع فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزاز هؤلاء وقمع اولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلثمائة وبضعة
عشر رجلا وجمع الكافرين وهم ما بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين واسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة
لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا وقيل كان لتسع عشرة من شهر رمضان وقد روي ذلك عن ابي عبد الله ع والله
على كل شيء قدير وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمرو سالت علي بن الحسين وعبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله
يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال ايتامنا ومساكيننا وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله ع قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يساله عن موضع الخمس فكتب اليه
ابن عباس ان الخمس لنا فزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابي عبد الله ع قال ان الله تعالى لا اله الا هو لما حرم علينا الصدقة انزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس
لنا حلال والكرامة لنا حلال قوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي
الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم
في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور
ثلث آيات كوفي واربع عند غيرهم القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرا نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حيي باظهار الياءين
والباقون حي بالادغام الحجة الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي وعينان حمر مآقيهما كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر في الضم وفارس لا يحل
الحي عدوته ولوا سراعا وما هموا باقبال ومن قرا حيي فللزوم الحركة في الثاني يجري مجرى رد واجاز جماعة قالوا احيوا فخففوا وقد جاء مدغما نحو حيوا قال ابو
عبيد ابرهم كما عيت ببيضتها الحمامة ومن اختار الاظهار قال لا يمتنع الادغام في مضارعه هو يحيا فاجرى الماضي على شاكلة المستقبل اللغة العدوة شفير الوادي
وللوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى والدنيا تانيث الادنى من دنوت والقصوى تانيث الاقصى ما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فان العرب تحوله الى
الياء نحو الدنيا العليا استثقلوا الواو مع ضم الاول الا ان اهل الحجاز قالوا القصوى فاظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الابعد والقصي البعد
تصوب عنه اقصى والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو والسفل والنوم ضرب من السهو يزيل العقل ومعظم الحس
المنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل والتنازع الاختلاف
الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه عما هو عليه السلامة النجاة من الآفة سلم الانسان وسلمه الله
اذا طلب السلامة والصدر الموضع الذي يكون فيه القلب وذات الصدور الاجتماع قد يكون في معنى
الاتصال كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك ويقال للعسكر اذا تصافا التقيا والتقى العين على العين الاعراب اسفل نصب لان تقديره في مكان اسفل
في مكان اسفل فهو في موضع جر فهو غير منصرف ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج يجوز الرفع في اسفل على
انك تريد والركب اسفل اي اشد تسفلا المعنى ثم بين سبحانه نصره للمسلمين ببدر فقال سبحانه اذ انتم ايها المسلمون بالعدوة الدنيا قال ابن عباس يريد بها
تدبير على نصركم وانتم اذ ذاك نزول بشفير الوادي الاقرب الى المدينة وهم يعني المشركين اصحاب النفير بالعدوة القصوى اي نزول بالشفير الاقصى من المدينة
والركب يعني ابا سفيان واصحابه والعير اسفل منكم اي في موضع اسفل منكم الى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلثة اميال فذكر الله سبحانه مقام
الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد و
العدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه
لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتاخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلفتم
بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد تاكيدا لامره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر
ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه ولكن قدر الله تع التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله امرا

كان

كان كائنا لا محالة وهو اعزاز الدين واهله واذلال الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه اذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولا
كونه لا محالة وقيل الامر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه انه كان في علمه مفعولا لا محالة من اظهار الاسلام واعلاء كلمته على عبدة الاصنام
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اي ليموت من يموت منهم بعد قيام الحجة عليه بما راى من المعجزات الباهرة للنبي صلى الله عليه وسلم في يوم بدر وغيرها
ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي فيما اتاهم به من عند
الله وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فيكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكا له ومن اهتدى بعد قيام الحجة عليه يكون بقاؤه من بعده على الايمان حيوة
له وقوله عن بينة يعني بعد بيان وان الله لسميع لاقوالهم عليم بنياتهم فهو مجازيهم بما يكون منهم اذ يريكهم الله العامل في اذ ما تقدم وتقديره اذكر النصر
اذ كنتم بشفير الوادي اذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد اذ يريكهم الله اي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر في
منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر معناه يريكهم الله في نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم هذا قول اكثر
المفسرين وهذا جائز لان الرؤيا في النوم تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون ذلك كذبا ولا جهلا لان كثيرا مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء
ضحكا قال الزجاج ويجوز ان يريه الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لان الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جاء معه قطع ولا ان اصل المعنى ونما ذلك على مثل
ما يخيل الشيء ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز ان يلهمه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به لان ذلك يكون جهلا لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والرؤيا على
اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تاويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام الا الرؤيا من قبل
الله تعالى التي هي الهام في المنام ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك اي عينك التي تنام
بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لانه خلاف الظاهر ولو اريكهم كثيرا على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في امر القتال
فكان يقول بعضكم نقاتلهم وبعضكم نخرج الى القوم ويقول بعضكم لبعض تقدم انت في القتال وهو يتاخر بنفسه ولكن الله سلم اي سلم المؤمنين عن الفشل والتنازع
واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم واحسانه اليهم حتى بلغوا ما ارادوه من عدوهم انه عليم بذات الصدور اي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عددهم
لرغبتم عن القتال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين بين ان الرؤيا في النوم الى النبي لان
رؤيا الانبياء لا يكون الا حقا فصارت رؤية العين اليهم قلل الله المشركين في اعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجراتهم عليهم وقلل المؤمنين في اعين
المشركين لئلا يتاهبوا لقتالهم ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى ويقللكم في اعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل بجنبي
تراهم سبعين قال اراهم مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالايدي اخذا ولا تقاتلوهم وقيل كيف قللهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم قالوا فالقول
انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما غبار او ما شاكله فيخيلوهم باعينهم قليلا من غير رؤية على الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى ليقضي
الله امرا كان مفعولا انما كرره سبحانه مع ذكره في الاية الاولى لتكرير الفايدة لان المعنى في الاية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من التقاء
تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالاول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الانجاز
على النصرة وقيل انما كرر للتاكيد وانما قال كان مفعولا والمعنى يكون في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة فهو بمنزلة ما كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة والى
الله ترجع الامور مرجعنا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ثلث
ايات اللغة الريح الدولة قال عبيد بن الابرص كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد اي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها الى
البطر التنوق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح الاعراب فتفشلوا منصوب باضمار ان على جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهب
ويصدون في محل النصب بالعطف على قوله بطرا ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى بطرين ومرائين وصادين ولا يجوز ان يكون عطفا على خرجوا اذ لا
يعطف مستقبل على ماض المعنى ثم امر سبحانه بالقتال والثبات فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا وانما اطلق الفئة لان من
المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الا الفئة الكافرة والباغية فحذف للايجاز واذكروا الله كثيرا مستعينين على قتالهم به متوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا
ما وعدكم الله من النصر على الاعداء في الدنيا والثواب في الاخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات في القتال لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا وتظفروا بالنصر والظفر بهم والثواب عند الله يوم
القيمة واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به ولا تنازعوا فتفشلوا اي لا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم وتذهب ريحكم
معناه تذهب دولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الاخفش دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا جرى امره
على ما يريد كذلك وركدت ريحه اذا ادبر امره وقيل ان المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره وعلى من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا على قتال الاعداء ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا اي بطرين يعني قريشا خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقينات والمعازف
يشربون الخمور ويعزف عليهم القيان ورئاء الناس اي ليرى الناس انهم كانوا اولى بالبيت وعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك الى الناس كانوا يبغون ان يقال انهم ... وابعد ذكرا في الناس
انهم لا يبالون بالمسلمين في قلوبهم من الرعب ... ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن دين الله والله بما يعملون محيط اي عالم
بما عملوه فيجازيهم عليها لا يخفى عليه منها شيء القصة قال ابن عباس لما راى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل الى قريش ان ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع

حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اية المعنى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم دخلت الواو عطفا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورئاء الناس يعني وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعني واذكروا اذ زين الشيطان
للمشركين اعمالهم اي حسنها في نفوسهم وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة
عددكم وقوتكم واني مع ذلك جار لكم اي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الامان من عدوكم من قولهم هو يجير ولا يجار عليه فلما تراءت
الفئتان اي التقت الفرقتان نكص على عقبيه اي رجع القهقرى منهزما وراءه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الامان و
السلامة لاني ارى من الملائكة الذين جاؤوا لنصر المؤمنين المسلمين ما لا ترون وكان ابليس يرى الملائكة وهم كانوا يعرفونه اني اخاف الله اي اخاف عذاب الله على
ايديهم والله شديد العقاب لا يطاق عقابه وقيل معناه اني اخاف ان يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فان الملائكة لا ينزلون الا لقيام الساعة والعقاب
وقال قتادة كذب عدو الله ما به مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم عند
هذا يكون قوله اني ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون واخاف الله ان يهلكني فيمن هلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل ان قريشا لما اجمعت
المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فكان ذلك يثنيهم فجاء ابليس في جند من الشياطين فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن
جعشم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم من كنانة كما قال الشاعر ...
كل الحوادث ... فلما راى ابليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان ابليس في
صف المشركين اخذا بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يا سراقة اين اتخذلنا على هذه الحالة فقال له اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى الا جعاسيس يثرب فقالوا انك
فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي ورويت ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وقيل ان ابليس لا يجوز ان يقدر على خلع صورته و
لبس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل ابليس في صورة سراقة علما للنبي ص وانما فعل ذلك لانه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين فانهم لا يخرجون عن
ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم منهم فصوره بصورة سراقة حتى تم المراد في اعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان ابليس لم يتصور في صورة الانسان
وانما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو المشهور في التفاسير ورايت في كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله
عنه انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على ان يتجمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع
الحيوان لان اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهواء ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد
ولم تنقص وقد استفاض الخبر ان ابليس تراءى لاهل دار الندوة في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل ظهر لاصحاب رسول الله
في صورة دحية الكلبي قال وغير محال ايضا ان يغير الله تعالى صورهم ويكثفها في بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان قوله عز وجل اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وحده اذ تتوفى بالتاء والباقون يتوفى بالياء والتاء الحجة من قرا
بالتاء فلتانيث لفظ الملائكة ومن قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقي الاعراب العامل في اذ يجوز ان يكون لا تبدل او التقليب ان ذ يقول ويجوز ان يكون
التقدير ذكر اذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرايت منظرا عظيما او امرا عجيبا وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فان ذكره يخص جهة والحذف يعم الاحتمال
لوجوه كثيرة وموضع ما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع بكونه خبر ذلك والثاني النصب بان يكون متصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقديره وبان الله ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقديره وذلك ان الله كما تقول هذا العبد
المعنى اذ يقول المنافقون هذا يتعلق بما قبله معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان والذين
في قلوبهم مرض اي الشاكون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الاسلام وقيل انهم فتية من قريش اسلموا بمكة وحبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر منهم قيس بن الوليد
بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمعة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة لما راوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم اي
غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لانفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فبين الله تعالى انهم هم المغرورون
بقولهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم معناه ومن يسلم لامر الله ويثق به ويرض بفعله وان قل عدده فان الله ينصره على اعدائه لانه عزيز لا يغلب
كذلك لا يغلب من توكل عليه هو حكيم يضع الامور مواضعها على ما يقتضيه الحكمة ولو ترى يا محمد اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة اي يقبضون ارواحهم عند
الموت يضربون وجوههم وادبارهم يريد استاههم لكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد
يضربون اجسامهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال
الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروي عن الحسن قال ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال ذاك ضرب الملائكة وروي عن مجاهد

ان رجلا قال للنبي اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر راسه فقال سبقك اليه الملائكة وذوقوا عذاب الحريق اي ويقول الملائكة للكفار
استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الاخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين التهبت النار في جراحاتهم
فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم اي بما قدمتم وفعلتم وانما اضافه الى اليد على التغليب لان اكثر الافعال تكون
باليد والمراد فذلك بجناياتكم الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد اي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي
هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان ياخذ ابن بذنب غيره لان هذا غاية الظلم وقد
بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد قوله تعالى كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم
ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب ال فرعون والذين

[illegible]

من موضع تاكيد المطلوب من التعجيل لان النون يدخل للتاكيد المطلوب فيما يدل على الطلب وفي تثنيته موضع النهي والامر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما

[illegible]

هذه الاية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... وقيل انها ليست بمنسوخة لانها في الموادعة لاهل الكتاب ... الاوثان وهذا هو الصحيح لان قوله فاقتلوا المشركين والاية الاخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة ... وصالح رسول الله اهل نجران بعدها قوله

... يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ... عزيز حكيم ... اللغة الخدع والخديعة اظهار المحبوب ... الامر مع ابطان المكروه ... التأييد التمكين ...

[illegible]

عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم القراءة قرأ ابو جعفر ان تكون بالتاء ... والباقون ان يكون بالياء ... الحجة من قرء بالتاء فلان الجمع مؤنث ومن قرء بالياء فلانهم مذكرون ...

والاسرى ... وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى ...

[illegible]

الاية في وفي اصحابه كان معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلعم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضأ لصلوة الظهر فما صلى يومئذ حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ويحثي فاخذ فكان العباس يقول هذا خير مما اخذ منا وارجو المغفرة وان يريدوا خيانتك معناه وان يريد الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بان يعودوا لحربك او ينقضوا عهدك فقد خانوا الله من قبل بان خرجوا الى بدر وقاتلوا المشركين وقيل بانه كفروا بالله واضافوا اليه ما لا يليق به فامكن منهم اي فامكنك منهم يوم بدر بان غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك والله عليم حكيم معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الاشياء حكيم فيما يفعله قوله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير الاية القراءة قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب الباقون ولايتهم بفتح الواو الحجة قال الزجاج من قرأ بالفتح فان الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو لان في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة وكل ما كان من جنس الصناعة مكسور نحو الخياطة والصياغة قال ابو عبيدة وابو الحسن ولايتهم مصدر المولى وتلك في السلطان الولاية بكسر الواو ومعنى الاخرى لغة اللغة الهجرة المهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد ولعله من الهجر ضد الوصل الجهاد تحمل المشاق في قتال العدو الذين من جهده الامر جهدا الايواء ضم الانسان غيره اليه بانزاله عنده وتقريبه له يقال اواه يؤويه ايواء واوى يأوي اويا واوى يتعدى معنا حجة الى المأوى والولاء عقد النصرة والموافقة في الديانة النزول قيل نزلت الاية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي امن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر كانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه الاية وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي المعنى ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما يجب الايمان به وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا وقاتلوا العدو باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي في طاعة الله ولاعزاز دينه والذين اووا المهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار ونصروا اي نصروهم على اعدائهم وبذلوا النفس في نصرتهم اولئك بعضهم اولياء بعض اي هؤلاء بعضهم اولى ببعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من قراباتهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ امان بعضهم على بعض فان واحدا من المسلمين لو امن انسانا نفذ امانه على سائر المسلمين والذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فلا يحصل بينكم التوارث فان الميراث كان منقطعا في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين ويروى عن ابي جعفر انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى وقيل معناه ما لكم من ولايتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر معناه فان طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار ولقتالهم في الدين فعليكم النصر والمعاونة لهم ولكن عليكم نصرتهم وعونهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا ان يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم عهد يجب الوفاء به ولا تنقضوا عهدهم لما فيه من نقض العهد والله بما تعملون بصير اي باعمالكم عليم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ثلث ايات اللغة الفتنة اصلها الامتحان ثم تستعمل في اشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب في نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اي معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله ان خفتم ان يفتنكم اي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم هذا التفصيل ماخوذ من قول الصاحب والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا الاعراب قوله فعليكم النصر يجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيدا ولم يقرأ بها المعنى ثم ذكر سبحانه حكم الكافرين فقال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي بعضهم انصار بعض عن ابن اسحق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وابي مالك الا تفعلوه وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به في الاية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الامر وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل الى الضلال وبالفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هو الكفر لان المسلمين اذا والوهم تجرءوا على المسلمين ودعوهم الى الكفر فهذا يوجب التبرء منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تقطعوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدها ادى الى الفتنة في الارض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج على الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعني من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك لاعلاء دين الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا اي اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لان النبي قال لا هجرة بعد الفتح ولان الهجرة الانتقال من دار

الكفر الى دار الاسلام وليس يصح مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام الا ان يكون نادرا لا يعتد به وقيل ان الهجرة من الاعراب الى الامصار باقية الى يوم القيمة عن الحسن ولا يمتنع ان يكون حكم الهجرة باقيا لان من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى بلاد دار الاسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية ويروى عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فانهم اعراب وانما سمى الجهاد سبيل الله لانه الطريق الى ثواب الله وذكر ان لهم مغفرة ورزق كريم لانه لا ينقصه شيء وقيل الرزق الكريم ههنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا والذين امنوا من بعد اي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه امنوا من بعد ايمانكم وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم ايها المؤمنون فاولئك منكم اي مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم ونصرتهم وان تأخر ايمانهم وهجرتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعض من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا وصار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمواخاة فان النبي كان اخى بين المهاجرين والانصار في كتاب الله اي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض دلالة على ان من كان اقرب الى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم عصبة او غير عصبة ومن وافقنا في توريث ذوي الارحام يستثني منها الفرائض والعصبة ومن لا يرد ذلك خلاف الظاهر ان الله بكل شيء عليم ظاهر المعنى ولكن

هذا تمام المجلد الرابع من التفسير وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لعلوم القرآن والكاتب يستعين بالله في اتمامه بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التوبة وهي مدنية

هذه السورة في قصة براءة كلها وقال بعضهم غير ايتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وحج رسول الله حجة الوداع سنة عشر قال قتادة ومجاهد هي اخر ما نزلت على النبي صلعم بالمدينة عددها مائة وتسع وعشرون اية كوفي وثلاثون في الباقين اختلافها ثلاث بريء من المشركين بصري عذابا اليما شامي وعاد وثمود حجازي اسماؤها عشرة سورة التوبة سميت بذلك لانها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من الكفار التوبة سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فان تبتم فهو خير لكم ثم تاب عليهم ليتوبوا الفاضحة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى خشينا ان لا تبقي احدا الا ذكر وسميت بذلك لانها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم المبعثرة عن ابن عباس ايضا سماها بذلك لانها تبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها المقشقشة عن ابن عمر سماها بذلك لانها تبرئ من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لانهما تبريان من الشرك والنفاق يقال تقشقش المريض من علته اذا افاق وبرئ منها البحوث عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لانها تضمنت ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم المدمدمة عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم الحافرة عن الحسن لانها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسرونه المثيرة عن قتادة لانها اثارت مخازيهم ومقابحهم سورة العذاب عن حذيفة لانها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه اسماؤها العشرة فضلها ابي بن كعب عن النبي صلعم قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له الخبر بتمامه قد مضى ذكره مع ما في معناه اول الانفال وروى عن ابي عبد الله عم الانفال والبراءة واحد وروي ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي باسناده عن عائشة عن رسول الله صلعم انه قال ما نزل علي القرآن الا اية اية وحرفا حرفا خلا سورة البراءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا علة ترك التسمية في اولها قراءة وكتابة للعلماء والمفسرين فيه اقوال احدها انها ضمت الى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة اذ الاولى في ذكر العهود والثانية في رفع العهود عن ابي بن كعب وثانيها انه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على راس سورة براءة لان بسم الله للامان والرحمة ونزلت براءة لرفع الامان بالسيف عن علي وسفيان بن عيينة واختاره ابو العباس المبرد وثالثها ما روي عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى براءة وهي من المئين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطول ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي ينزل عليه الايات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله ولم يبين انها منها فوضعناهما في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكان ابن عباس في القرينتين تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بايجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بانه تعالى ورسوله بريئان منهم كما امر المسلمين بالبراءة منهم فقال قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ايتان اللغة معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة وبرئت من الدين براءة والسيح السير على مهل يقال ساح سيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز والعجز ضد القدرة والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح الاعراب براءة ترتفع على انها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الايات براءة ويحتمل ان يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله الى الذين وجاز ان يكون المبتدأ نكرة لانها موصوفة والاول اجود لانه يدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه خلقا حسنا والله اي هذا خلق حسن المعنى براءة من الله اي هذه براءة من الله ورسوله اي انقطاع للعصمة ورفع للامان وخروج من العهود الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب للنبي صلعم وللمسلمين والمعنى برئوا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فان الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها اذا نكثوا فان قيل كيف يجوز ان ينقض النبي العهد فالقول فيه انه يجوز ان ينقض ذلك على احد ثلاثة اوجه اما ان يكون العهد مشروطا بانه يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوحي واما ان يكون قد ظهر من المشركين خيانة ونقض فامر الله سبحانه بان ينبذ اليهم عهدهم واما ان يكون مؤجلا الى مدة فينقضي

الذين ينقض العهد وقد وردت الرواية بان النبي شرط عليهم ما ذكرناه وروي ايضا ان المشركين كانوا قد نقضوا العهد وهموا بذلك فامره الله سبحانه ان
ينقض عهودهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال فسيحوا في الارض اي سيروا في الارض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف اربعة اشهر فاذا
انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمائكم واموالكم واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لانكم حيث
كنتم في سلطان الله وملكه وان الله مخزي الكافرين اي مذلهم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر الى العاشر من
شهر ربيع الاخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله وقيل انما اجلهم الاشهر الاربعة من شوال الى اخر المحرم لان هذه الاية نزلت
في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى اخر المحرم لانه كان فيهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي فجعل الله
له ذلك وقيل ان من كان له عهد من النبي اكثر من اربعة اشهر حط الى الاربعة اشهر ومن كان له عهد اقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحق وقيل كان ابتداء الاشهر
الاربعة يوم النحر لعشرين من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة
الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى عن الجبائي القصة اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما
نزلت براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابي بكر ثم اخذها منه ودفعها الى علي واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وامره ان يقرأ عشر آيات من اول هذه السورة
وان ينبذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا خلفه لياخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله العضباء حتى ادرك ابا بكر بذي الحليفة فاخذها عهده
منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شيء فقال لا الا خير ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرأ علي براءة على الناس وكان ابو بكر اميرا على الموسم
عن الحسن وقتادة وقيل انه اخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي وقال لا يبلغ عني الا انا او رجل مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي
هريرة وروى اصحابنا ان النبي ولاه ايضا الموسم وانه حين اخذ البراءة من ابي بكر رجع ابو بكر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن سماك بن حرب عن انس
بن مالك ان رسول الله بعث ببراءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده فقال لا يذهب بهذا الا رجل من اهل بيتي فبعث عليا وروى
الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن ابي هريرة قال كنت انادي مع علي حين اذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه قال فقلت يا ابه اي شيء كنتم تقولون قال
كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله مدة فان اجله الى اربعة اشهر
فاذا انقضت الاربعة الاشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر قال خطب علي الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفن
بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كانت له مدة فهو الى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرين من ذي الحجة
ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وقال يوم النحر يوم الحج الاكبر وذكر ابو عبد الله الحافظ باسناده عن زيد بن نفيع قال سألنا عليا باي شيء
بعثت في ذي الحجة قال بعثت باربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام
بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر وروي انه قام عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم بان لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا
عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من اول براءة وروي انه لما نادى فيهم ان الله بريء من المشركين ابى من كان
مشركا قال المشركون نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبي حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذي الحجة
ومحرم وصفر وليالي من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل قوله تعالى وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله
فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا
عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ‌ٰبيان القراءة قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسوله بالنصب وهو قراءة الحسن وابن ابي
اسحق وعيسى بن عمر وقرأ عطاء بن يسار ثم لم ينقضوكم بالضاد المعجمة الحجة من قرأ ورسوله بالرفع فانه على الابتداء والخبر
محذوف ويدل عليه ما تقدمه تقديره ورسوله بريء منهم ويجوز ايضا ان يكون معطوفا على المضمر في بريء وحسن العطف عليه لان كلاما قد وقع فصلا لانه قوله
من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه جهة ثالثة وهو ان يكون معطوفا على موضع ان وهذا وهم منه لان ان المفتوحة مع ما بعدها في تقدير المفرد غير حكم المبتدأ
وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على موضعهن فكذلك لا يجوز العطف على موضع ان وانما يجوز العطف
على موضع ان المكسورة كما قال الشاعر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ولعل سيبويه توهم انها مكسورة ويحمل على موضعها فقد قرئ في الشواذ
ان الله بريء بالكسر فلعله تاول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله وعلى هذا فيكون خبرهما محذوفا وانما قرأ من قرأ لم ينقضوكم لان معناه لم
ينقضوا اموركم ومعهودكم اللغة الاذان الاعلام يقال آذنته بكذا فاذن اي اعلمته فعلم وقيل ان اصله من النداء الذي يسمع بالاذن ومعناه اوقعته في اذنه
واذن بمعنى اذن كما يقال يقن وايقن والمدة والزمان والحين نظائر واصله من مد الشيء فكأنه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للمعدود من
حركات الفلك وهو حدث الاعراب واذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل ان تقديره وعليكم اذان لان فيه معنى الامر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن
عيسى ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر قوله ان الله بريء على حذف الباء كانه قال بان الله وعلى الوجهين الاولين يكون موضع نصب على انه مفعول له وقوله الا الذين
عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الاذان اي اذن وبشر عن ابي مسلم المعنى ثم بين سبحانه انه يجب اعلام المشركين بانه منهم

لئلا ينسبوا المسلمين الى الغدر فقال واذان من الله ورسوله الى الناس معناه واعلام وفيه معنى الامر اي اذنوا الناس يعني اهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن
والمشرك لان الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله الى الناس اي للناس يقال هذا اعلام لك واليك يوم الحج الاكبر فيه ثلاثة اقوال احدها انه يوم عرفة عن عمر وابن سعيد
بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وروي ذلك عن علي ورواه مسور بن مخرمة عن النبي قال عطا الحج الاكبر الذي فيه الوقوف والحج الاصغر الذي ليس فيه وقوف
هو العمرة وثانيها انه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله ورواه ابن ابي اوفى عن النبي
قال الحسن وسمي الحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك وثالثها انه جميع ايام الحج عن مجاهد ايضا وسفيان فمعناه ايام الحج كلها كما يقال يوم
الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما ان الله بريء من المشركين اي من عهد المشركين ورسوله
معناه ورسوله ايضا بريء منه وقيل ان البراءة الاولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان فان تبتم اي رجعتم عن الكفر فهو خير لكم معناه فان تبتم في هذه الايام
عن الشرك الموجب لعذاب الله فهو خير لكم من الاقامة على الشرك لانكم تنجون به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة وان توليتم اي عن الايمان واصررتم على الكفر فاعلموا
انكم غير معجزي الله اي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتونه بانفسكم من ان يحل بكم عذابه في الدنيا وفي هذا اعلام بان الامهال ليس بعجز وانما هو لاظهار الحجة والمصلحة
ثم اوعدهم بعذاب الاخرة فقال وبشر الذين كفروا بعذاب اليم اي اخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار في الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين
قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوما من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من اجلهم تسعة اشهر امر باتمامها لهم لانهم لم يظاهروا على المؤمنين
ولم ينقضوا عهد رسول الله وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله عهد قبل براءة وينبغي ان يكون اراد ابن عباس بذلك من كان بينه وبينه عهد
ولم ينقضوا عهدهم ولم يتعرضوا بعداوة ولا ظاهروا عليه عدوا لان النبي صالح اهل هجر واهل البحرين وايلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ اليهم بنقض
عهد ولا حاربهم بعد وكانوا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله ووفى لهم بذلك من بعده ثم لم ينقصوكم شيئا معناه لم ينقصوكم من شروط العهد شيئا وقيل معناه لم
يضروكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى انقضاء مدتهم ان الله يحب المتقين
بين انه يحب المتقين لنقض العهود قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه
مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون ‌ٰبيان اللغة الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا
وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والاسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورصدته ارصده رصدا ‌ٰالاعراب قال الاخفش
قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يجوز في هذا الا على تقدير حرف الجر لان المرصد اسم للمكان كما ان المذهب
مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا اذا جعلت المذهب المدخل اسمين للمكان لم يحمل على ولا الى تقدير حرف الجر الا ان يا الحسن ذهب الى ان المرصد اسم للطريق
ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا اذا جعلت المذهب والمدخل اسمين للمكان لم يجز ان يكونا ظرفا ولا يحسن الا بتقدير حرف الجر وذلك ان سيبويه حكاه
واذا كان اسما للطريق مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى اليه الا بحرف جر نحو ذهبت الى الطريق الا ان يجيء في ذلك اتساع
قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط وقال ابو اسحق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا فان
جعل الطريق ظرفا كالمذهب ليس الطريق بظرف لانه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ان يحمل قول الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه فيه
كما عسل الطريق الثعلب على انه قد حذف منه حرف الجر فاذا كان كذلك فالمرصد مثله في الاختصاص وان لا يكون ظرفا الا
كان اسما للطريق وقوله احد مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره والمعنى وان استجارك احد قال الزجاج من زعم انه يرفع احدا بالابتداء فقد اخطأ
لان ان للجزاء لا يتخطاه ما يرفع بالابتداء ويعمل في ما بعده فلو اظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم اكرمه ولا يجوز ان احد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرفع زيد بفعل مضمر
الذي ظهر تفسيره ويجزم انما جاز في ان لانها ام الجزاء ولا تزول عنه ولا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ لانك تقول فيها ان اتاني قريبا
فالموضع موضع المبتداء قال ابو علي اعلم ان جواب الشرط انما كان نعم الفعل لا يحل فيه الفعل الفاء واذا وانما ابدلا لانه قولهم مؤنثهم على قراءة من قرأ
بالجزم فحمول على الموضع من قوله فلا هادي له ولما قول ابي اسحق لا يجوز ان تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولعمري انه لا يجوز ان تضمر الفعل فترفع الاسم الذي يقع لا بد
بالفعل المضمر نحو قولك ان زيد قربت بيوم لان الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لان الجزاء موضع فعل كما
ان الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع ابو اسحق جوازها جائزة لا اشكال في جوازها وهي قولك ان تقم زيد يقم وقد نص سيبويه على جواز ذلك قال الزجاج انما
يجوز الفصل في باب ان لانها ام الجزاء ولا تزول عنه الى غيره فاما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر قال في فصل بينها بمجرور وعطف عليه كما قال الشاعر
بين سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قيل هي الاشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد
جماعة قيل هي الاشهر الاربعة التي حرم القتال فيها جعل الله للمشركين ان يسيحوا في الارض فيها امنين على ما ذكرناه من الخلاف والمفسرين فيها على هذا منهم من قال معناه فاذا انسلخ
الاشهر الحرم بانسلاخ المحرم لان المشركين من قال كان منهم له عهد لهم الاربعة اشهر من حين نزلت براءة في شوال ومن لا عهد له فاجلهم من يوم نزول النداء وهو
يوم عرفة او يوم النحر الى تمام الاشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فاذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضى الاجلان وحل قتالهم ومنهم
من قال معناه اذا انسلخ الاشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وخرجنا بها

سورة براءة الجزء العاشر من القرآن

دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها آمنين فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اي ضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الاشهر الحرم وغيرها في الحل والحرم
هذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض عنهم خذوهم قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم على وجه
التخيير في اعتبار الاصلح من الامرين وقوله واحصروهم معناه واحبسوهم واسترقوهم او فادوهم بالقتل وامنعوهم حول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا
لهم كل مرصد اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معنى القتل والسبي فان تابوا اي
رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي قبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة لان عصمة الدم لا يقف على اتمام الصلوة واداء
الزكوة فخلوا سبيلهم اي دعوهم يتصرفون في بلاد الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معنى فخلوا سبيلهم الى البيت اي
دعوهم يحجوا معكم ان الله غفور رحيم واستدلوا بهذه الآية على ان من ترك الصلوة متعمدا يجب قتله لان الله تعالى اوجب الامتناع من قتل المشركين بشرطين ان

[illegible]

الجزء الحادي والثلثون من الكتاب

عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين خمس آيات القراءة قرأ اهل الكوفة والشام ائمة الكفر بهمزتين وقرأ الباقون ايمة بهمزة واحدة وياء بعدها

[illegible]

قوم مؤمنين يعني بني خزاعة الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لانهم كانوا حلفاء النبي ويذهب غيظ قلوبهم معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب
المؤمنين التي امتلأت غيظا لكثرة ما نالهم من الاذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال ويتوب الله على من يشاء اي يقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعديهم ... والله
عليم حكيم عليم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امركم بقتالهم اذا نكثوا ... ان يتوبوا ويرجعوا لان افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذه دلالة على نبوة نبينا لانه اخبر عن ...
النظر والوحي ... قوله ويتوب الله على من يشاء ... البشارة بان منهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان ...

[illegible]

[illegible]

الله انما عاجلا واما الجلاو فيه وعيد شديد عن الحسن الجبا وقيل بفتح مكة عن مجاهد قال بعضهم وهذا الاصح لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين مضى تفسيره قوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم
يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثلاث ايات اللغة الموطن الموضع الذي يقوم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن
بالمكان اذا اتخذه وطنا وحنين اسم واد بين مكة والطائف والاعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة المكان
بعضه الضيق وقولهم مرحبا معناه اتيت سعة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر ... مكينة ... والجنود
الجموع التي تصلح للحروب الاعراب مواطن لا ينصرف لانه جمع ليس على مثال الاحاد ويوم حنين ... ويوم حنين عطف على موطن ... يوم حنين وانما
حنينا حنين لانه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على انه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر ...

ابن ام ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا وقولى اذا ما الفضل كر بسيفه على القوم اخرى
يا بني ليرجعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع ولما راى رسول الله هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صيتاً اصعد هذا الظرب
فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا اهل بيعة الشجرة الى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك
وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله الان حمي الوطيس انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة
قبيحة ومروا في كل وجه لم يزل المسلمون في اثارهم ومر مالك بن عوف فدخل حصن الطائف وقتل منهم زهاء مائة رجل وغنم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وامر رسول الله
بالذراري والاموال ان يحدروا الى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى في اثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف فحاصر اهل الطائف بقية
الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف واتى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب
رسول الله ...

اسلم اهل نجدة وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم بالجزية المأخوذة من اهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل باباحة الغنائم واذا سئل عن معنى المشية في قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الاكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشية وقيل انما علقه بالمشية لينقطع الآمال الى الله تعالى وطلب الغناء منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد ان الله عليم بالمصالح وتدبير العباد حكيم فيما يامر وينهى قوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون آية اللغة الدين في الاصل الطاعة قال زهير لئن حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك والجزية فعلة من جزى يجزي مثل العقدة والجلسة وهي عطية مخصوصة جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار الذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا وهو صاغر الاعراب عن يد في موضع نصب على الحال تقديره كما يقال يدا بيد ابتداء النزول قيل نزلت هذه الآية حين امر رسول الله بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل على العموم المعنى ثم بين الله سبحانه من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله لا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما يذهب اليه اصحابنا الى انه لا يجوز ان يكون مجهولا الكفار من هو عارف بالله تعالى وانما يكونوا معتقدين لذلك اعتقادا ليس بعلم لانه صريح في ان اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لانهم بمنزلة من لا يقر به في عظم الجرم فالحال انهم لا يضيفوا اليه ما لا يليق به فكانهم لا يعرفونه وانما جمعت هذه الاوصاف اليهم ولم يذكروا الكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله موسى وعيسى من كتمان نعت محمد وقيل يعني ما حرمه محمد ولا يدينون دين الحق وقيل الحق هنا هو الله اي دين الله والعمل بما في التورية من اتباعها نبيا وقيل الحق هو الله ودينه الاسلام عن قتادة وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام عن ابي عبيدة وقيل معناه ولا يعترفون بالاسلام الذي هو الدين الحق من الذين اوتوا الكتاب وصف الذين ذكرهم بانهم من اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد يدفعونها بايديهم الى من يده فلا يبعثون من غيرها كما يقال كلمته فاه بفيه وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم ونعمة لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم وهم صاغرون اي اذلاء مقهورون يجرون الى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالعنف حتى يودوها وقيل هو ان يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون آيتان القراءة قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير منونا والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده يضاهئون والباقون يضاهون بغير الهمزة الحجة قال ابو علي من نون عزير جعله مبتدأ وجعل ابنا خبره واذا كان كذلك فلا ينبغي الا التنوين في حال السعة والاختيار لان عزيرا ونحوه ينصرف عجميا كان او عربيا واما من حذف التنوين فانه حذفه على وجهين احدهما انه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لان الساكنين لما التقيا صيرا كلمة واحدة فحذف الاول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين في هذا الباب اذا كان منفردا وان كان الاصل لانهم جعلوه من الاصول المرفوضة كما ان اظهار الاول من المثلين في نحو طست لا يجوز في الكلام فاذا كان بمنزلة اسم مفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بد من اضمار خبر يعتقد انضمامه اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدأ او خبر مبتدأ فيكون التقدير معبودنا او نبينا عزير بن الله ان قدرت المضمر المبتدأ وان قدرت عكس ذلك كان فهذا احد الوجهين والوجه الآخر لا تجعلها اسما واحدا ولكن تجعل الاول الابن المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى على هذا كالمعنى في اثبات التنوين ويكون القراءتان متفقتين الا انك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر حميد الذي امج داره اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع وقال وحاتم الطائي وهاب المئي فاما يضاهئون فقال الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امراة ضهياء وهي التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض معناها انها قد اشبهت الرجل في انه لا ثدي لها وكذلك اذا لم تحض وضهياء فعلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمال وغرقئ البيض لا نعلم الهمزة زيدت غير اولا الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون فعيل وان كانت فعيل ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاهئون من امراة ضهياء لان هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس فعيل لانه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وانما اراد انه من اشتقاق يضاهون وقد يجوز ان يجيء الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى اللغة الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع راهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى المعنى ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال وقالت اليهود عزير ابن الله قال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤوا الى النبي منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وانما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقرضوا وان عزيرا املى التورية من ظهر قلبه بعد ما علمه جبرئيل فقالوا انه ابن الله لا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وانما يقوله الازارقة منهم خاصة ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيبه وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم معناه انهم يقولون ذلك القول بافواههم ولم يأتهم كتاب ولا

رسول ولم تقم عليه حجة وبرهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقرونا بالافواه الا اذا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يضاهئون يشابهون عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن قول الذين كفروا يعني عبدة الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والفراء في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله وقيل اي شابه النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن قاتلهم الله اي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فاذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق الى الافك الذي هو الكذب فكانه قال لاي رجع ما لوا الى ذلك القول اتخذوا احبارهم اي علماءهم ورهبانهم اي عبادهم اربابا من دون الله روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا اما والله ما صاموا لهم ولا صلوا لكنهم احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية اتخذوا احبارهم ورهبانهم حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم والمسيح بن مريم واتخذوا المسيح الها من دون الله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اي معبودا واحدا هو الله تعالى لا اله الا هو اي لا تحق العبادة الا له ولا يستحق العبادة سواه سبحانه تنزيها له عما يشركون عن شركهم و عما يقولونه وعما لا يليق به قوله تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون آيتان اللغة الاطفاء اذهاب ضوء نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والافواه جمع فم واصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لانه حرف صحيح من مخرج الواو ومشاكل لها والاباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر وان ارادوا ظلمنا ابينا منعا من الظلم الاعراب قوله الا ان يتم نوره انما دخلت الا لان في ابى معنى النفي من الجحد تقول ابيت الا ان افعل كذا فيكون معناه ما اردت الا فعل قال الشاعر وهل لي ام غيرها ان تركتها ابى الله الا ان اكون لها ابنما قال الزجاج في الآية حذف تقديره ويأبى الله كل شيء الا اتمام نوره قال ولا يكون الا بجاب جحد او تحاذ ذلك على ان يكون عند طرف من الجحد لجاز كرهت الا اخاك ومثل ابيت الا ان ابيت حرف يستعمل معها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم يريدون ان يطفؤا نور الله وهو القرآن والاسلام عن اكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لانهما يهتدى بهما كما يهتدى بالانوار عن الجبائي قال لما سمي الحجج والبراهين انوارا سمى معارضتهم اياه اطفاء ثم قال بافواههم لان الاطفاء يكون بالافواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شانهم وتضعيف كيدهم لان الفم يؤثر في الانوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ويأبى الله الا ان يتم نوره معناه ويمنع الله الا ان يظهر امر القرآن وامر الاسلام وحجته على التمام ولا يتصل الاباء الا بالمنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان ابي الضيم وهو ابي الضيم ولا تمدحه بكراهية الضيم لانه يستوي فيه القوي والضعيف وانما المدح في الامتناع والمنع منه لو كره الكافرون اي على كره من الكافرين هو الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى اي بالحجج والبينات والدلائل ودين الحق وهو الاسلام وما تضمنه من الشرائع التي يستحق عليها الجزاء بالثواب الديانات التي يؤدي بها الى الجنة كل دين سواه باطل يستحق به العقاب ليظهره على الدين كله معناه ليعلي دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الارض دين الا مغلوب ولا يغلب احد اهل الاسلام بالحجة وهم يغلبون اهل سائر الاديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي اهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل اراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى اهل دين الا اسلم او ادى الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر ان ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى احد الا اقر بمحمد وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز واما بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم الله من اهله فيعزوا به واما يذلهم فيدينون له وقيل ان الهاء في ليظهره عائدة الى الرسول اي ليظهر الرسول على الاديان كلها اي لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس ولو كره المشركون اي وان كرهوا هذا الدين فان الله يظهره رغما لهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون آيتان اللغة الكنز في الاصل هو الشيء الذي جمع بعضه الى بعض يقال للشيء المجتمع مكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعة قال ... سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لانها تنفض اي تتفرق ... والاحماء جعل الشيء حارا وهو فوق الاسخان وضد التبريد يقال حمي ... والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن الاعراب الذين يكنزون لانه معطوف على اسم ان ويكون المعنى ان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ويجوز ان يكون رفعا على الاستيناف وفي قوله ولا ينفقونها وجوه احدها انه اراد ولا ينفقون الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام والثاني انه لما ذكر الذهب والفضة رد على الاموال فكانه قال ولا ينفقون الاموال والثالث ان الذهب مؤنث وهو جمع واحده ذهبة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده الا الهاء يذكر ويؤنث ثم الصحيح الثالث انه كان كل واحد منهما يؤخذ من صاحبه في الزكوة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التأنيث والرابع انه اكتفى باحدهما عن الآخر للايجاز ورد الضمير الى الفضة لانها اقرب اليه كما قال حسان ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ... المعنى ثم بين سبحانه حال الاحبار والرهبان فقال يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ... الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي واكلها

بالباطل تملكه من الجهات التي حرم منها اخذه لا انه اكله لان معظم التصرف والتملك للاكل فوضع الاكل موضع ذلك وقيل ان معناه ياكلون اموال
الناس من الطعام فكانهم ياكلون الاموال لانها ثمن الماكول كما قال الشاعر ذر الآكلين الماء ظلما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم الماء اي ثمن الماء ويصدون
عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن اتباع الاسلام الذي هو سبيل الله المؤدي الى ثوابه وعن اتباع محمد والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله اي يجمعون المال ولا يؤدون زكوتها فقد روي عن النبي انه قال كل مال لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان
مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي ع ما زاد على اربعة الاف فهو كنز ادي زكوته او لم تؤد وما دونها
نفقة وتقدير الاية والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله ويكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الاول لدلالة الثاني عليه
كما حذف المفعول من الثاني لدلالة الاول عليه في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله والذين يكنزون على الاستئناف
وان المراد بذلك مانعوا الزكوة من هذه الامة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محمولا على العموم في الفريقين فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بعذاب موجع
روى سالم بن ابي الجعد ان رسول الله ص لما نزلت هذه الاية قال تبا للذهب تبا للفضة يكررها ثلاثا فاشتد ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله
اي المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوقد على الكنوز او على الذهب والفضة في نار جهنم
حتى يصير نارا فتكوى بها اي بتلك الكنوز المحماة والاموال التي منعوا حق الله فيها جباههم وجنوبهم وظهورهم وانما خص هذه الاعضاء لانها معظم
البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشر الكانزين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في اجوافهم وفي هذا المعنى الذي اشار اليه ابو ذر خص
المواضع بالكي لان داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لان الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظهر
محل الحدود وقيل لان الجبهة محل السجود فلم يقم فيه بحقه والجنب مقابل القلب الذي لم يخلص في معتقده والظهر محل الاوزار قال يحملون اوزارهم على ظهورهم
عن الماوردي وقيل لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن ابي بكر الوراق هذا ما كنزتم لانفسكم اي
يقال لهم في حال الكي او بعده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله فيها وجعلتموها ذخيرة لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا العذاب
بسبب ما كنتم تكنزون اي تجمعون وتمنعون حق الله منه وحذف لدلالة الكلام عليه قال رسول الله ص ما من عبد له مال لا يؤدي زكوته الا جمع يوم القيمة
صفايح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي ص قال من ترك كنزا مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يتبعه ويقول ويلك
ما انت فيقول انا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي باسناده عن الاعمش عن المعرور بن
سويد عن ابي ذر قال اتيت رسول الله ص وهو في ظل الكعبة فلما رآني مقبلا قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فدخلني غم وجعلت اتنفس وقلت
هذا شيء حدث في قال قلت من هم فداك ابي وامي قال الاكثرون الا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم و
روي عن ابي ذر انه قال من ترك بيضاء او حمراء كوي بها يوم القيمة قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين آية القراءة قرء ابو جعفر
اثنا عشر واحد عشر وتسع عشر بسكون العين والباقون بفتحها الحجة الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد بني الاول منهما لانه كصدر الاسم
والثاني منهما تضمنه معنى واو العطف جعل تسكين اول الثاني ليدل على انهما قد صارا كالاسم الواحد اللغة والاعراب كافة بمعنى الاحاطة ماخوذ من كافة
الشيء وهي حرفه واذا انتهى الشيء الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو الممنوع البصر كافة نصب على المصدر ولا يدخلها الالف و
اللام لانه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع مصدر هو في معنى المصدر الذي هو في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة
هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة نصب على الحال وهو مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم
لا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين المعنى لما ذكر الله سبحانه
وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكوة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدي الى
مثل حاله وشرعه في المنقلب فقال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وانما تعبد الله المسلمين
ان يجعلوا سنيهم على اثني عشر شهرا ليوافق ذلك عدد الاهلة ومنازل القمر دون ما كان له اهل الكتاب والشهر ماخوذ من شهرة امره لحاجة الناس اليه في معاملاتهم و
محل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله في كتاب الله معناه في الكتاب الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه و
قيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله يوم خلق السموات والارض متصل بقوله عند الله والعامل فيها الاستقرار وانما قال ذلك لانه
يوم خلق السموات اجرى فيها الشمس والقمر وبسيرهما تكون الشهور والايام وبهما تعرف الشهور منها اربعة حرم اي من هذه الاثني عشر شهرا اربعة اشهر حرم
ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها
حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه فيها لم يهجه لحرمتها وانما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور اعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها
ولانه ربما ادى ذلك الى ترك الظلم اصلا لانطفاء النائرة وانكسار الحمية في تلك المدة فان الاشياء تجر الى اشكالها والمحرم سمي بذلك لتحريم

القتال

القتال فيه وصفر سمي بذلك لان مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لانه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه صفرت
فيه وطابهم من اللبن وشهرا ربيع سميا بذلك لانبات الارض وامراعها فيهما وقيل لارتباع القوم اي اقامتهم وجماديان سميا بذلك لجمود الماء فيهما ورجب سمي
بذلك لانهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت ولا غيرهم ابغي لنفسي جنة ولا غيرهم ممن اجل وارجب وقيل سمي
بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب اذا كان اقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي ص انه قال ان في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل
من صام يوما من رجب شرب منه شعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن ابي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي ص قال انما سمي شعبان لانه يتشعب فيه خير كثير لرمضان
وشهر رمضان سمي بذلك لانه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله تعالى وشوال سمي بذلك لان القبائل كانت تشول فيه
تبرح عن مكانها وقيل لشولان النوق اذنابها فيه وذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه ذلك الدين القيم اي ذلك الحساب
المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسيء ومنه قول الكيس من دان نفسه اي حاسبها والدين الدوام عليه لزومه كلزوم الدين والعبادة
وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبي وقيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل
في هذه الاشهر الحرم لانه يعظم عقابه واختاره الفراء قال لانه لو اراد الاثني عشر شهرا لقال فيها انفسكم بترك اوامر الله وارتكاب نواهيه اذا كان النهي في
جميع الشهور فانه يكون نهيا عن الظلم في جميع العمر واذا عاد الى الاشهر الحرم ففائدة التخصيص ان الطاعة فيها اعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا وفي ذلك حكم
الله في جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة وقاتلوا المشركين كافة اي قاتلوهم جميعا مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم كافة اي جميعا كذلك فيكون كافة
حالا عن المسلمين ويجوز ان يكون حالا من المشركين اي قاتلوا المشركين جميعا لا يتمسكوا منهم بعهد لا ذمة الا من كان من اهل الجزية واعطاها عن صغار والاول
هو الاولى وقيل معناه قاتلوهم خلفا بعد سلف كما انه يخلف بعضهم بعضا في قتالكم عن الاصم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والولاية وفي هذه الاية دلالة
على ان الحساب في السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولشهور هذه ذلك على الحساب
والعام قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين
لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين آية القراءة قرء ابو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وروي عن جعفر بن محمد عليهما السلم والزهري النسي مخففا
في وزن الهدي بغير همز وروي مثل ذلك ايضا عن شبل عن ابن كثير والباقون النسيء بالمد والهمز وقرء يضل بضم الياء وكسر الضاد ابو عبيدة ورويه من طريق ابن مقسم عن
ابي عمرو وروي عن يعقوب والباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الحجة قال ابو علي النسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول
كما قاله بعض الناس لانه ان حمل على ذلك كان معناه انما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة وانما الزيادة في الكفر تاخير حرمة الشهر الى شهر
ليست له تلك الحرمة فاما نفس الشهر فلا واما ما روي من النسي بالياء فلا يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التاخير كما ان ارجيت لغة في ارجأت
وما روي من النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لان النسي بتشديد الياء على وزن فعيل بتخفيف قياسي كان
مقروة في مقروءة بتخفيف قياسي وليس النسي كذلك وذكر ابن جني ثلاثة اوجه احدها ان يكون اراد النسيء ثم خفف بابدال الهمزة ياء كما قال الشاعر اهبي التراب
من فوقه اهبيا اراد اهباء والثاني ان يكون فعلا من نسيت لان الشيء اذا اخر كانه نسي والثالث وهو اضعفها ان يكون اراد النسيء على فعيل ثم خفف وادغم فصار
النسي ثم قصر فعيل الى فعل بابه فصار نسي ثم اسكن عينه فصار نسي كما قيل في سميع سمع وفي رطيب رطب وفي جديب جدب فاما قوله يضل فليس فيه اشكال ولا
يضل لان الضال لغيره ضال بفعله الضلال لغيره فاما يضل فالمعنى فيه ان كبراءهم واشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التاخير في الشهور وفي بعض الشواذ يضل
بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت واضل اللغة قال ابو زيد نسأت الابل في ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك المصدر النسيء يقال نسأت الابل عن
الحوض انسأها اذا اخرتها عنه والمواطاة الموافقة يقال واطأت الشعراء اذا قال بيتين على قافية واحدة واطأه مثله المعنى لما قدم سبحانه ذكر السنة
والشهور عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسيء فقال انما النسيء زيادة في الكفر يعني تاخير الاشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما
تمسكت به من ملة ابراهيم واسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فكانوا يؤخرون تحريم
المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يردون التحريم الى المحرم ولا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله
زيادة في الكفر انهم كانوا احلوا ما حرم الله وحرموا ما احل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول
انا الذي لا اعاب ولا اخاب ولا يرد لي قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهرا واخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر واحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينساها
حين جاء الاسلام جنادة بن عوف بن امية الكناني قال ابن عباس واول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف وقال ابن اسلم رجل من بني كنانة يقال له القلمس
كان يقول اني قد نسأت المحرم العام وهما العام صفران فاذا كان العام القابل قضينا فجعلناهما محرمين قال شاعرهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وقال الكميت
ونحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم
حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ص في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة
فذلك حين قال النبي ص وذكر في خطبته الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اراد بذلك ان الاشهر الحرم رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء

يضل به الذين كفروا اى تحيل بهذا النسئ الذين كفروا ومن قرء بضم الياء فمعناه يضلون به غيرهم وليضل الله بهم يفعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي
حرم الله القتال فيها واوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذى هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه يجوزوا ذلك عليهم حتى تخلو
باتباعهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما اى يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال لم يفعلوا ذلك ليواطؤا عدة ما حرم الله معناه انهم لم يحلوا شهرا
من الحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم ليكون موافقة في العدد فذلك المواطاة
زين لهم سوء اعمالهم اى زينت لهم انفسهم وزين لهم الشيطان سوء اعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك باهوائهم والله لا يهدي القوم الكافرين تفسير قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير آيتان اللغة النفر الخروج الى الشيء لامر هيج عليه ومنه
نفور الدابة يقال نفرت الدابة تنفر نفورا ونفر الى الثغر نفرا ونفيرا والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطؤ وضده التسارع والتسرع والمتاع الاستمتاع
بما يظهر بالحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها اثمان فيها متاع بيته والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له
الاعراب اثاقلتم اصله تثاقلتم وادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها ثم ادخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله اداركوا واتابع في قول الشاعر
تولي الضجيع اذا ما استافها خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل النزول نزلت الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان رسول الله لما رجع من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك
الثمار فاحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج الى القتال وكان صلى الله عليه وآله قلما خرج في غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة
العدو ليتأهب الناس فاخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس انزل الاية المعنى ثم عاتب سبحانه المؤمنين في تثاقلهم
عن الجهاد فقال يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم اى اذا دعاكم رسول الله وقال لكم انفروا في سبيل الله اى اخرجوا الى مجاهدة المشركين وهو هيهنا غزوة
تبوك عن الحسن ومجاهد اثاقلتم الى الارض اى تثاقلتم وملتم الى الاقامة في الارض التي انتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لان
جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم يراد به الخصوص بدليل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحيوة الدنيا الفانية
على الحيوة في الاخرة الباقية والنعيم الدائم فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل اى فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الاخرة ومقاصدها الا قليل
لانقطاع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ومعناه ان لا تخرجوا الى القتال الذي دعاكم اليه الرسول
وتقعدوا عنه يعذبكم الله عذابا اليما مولما في الاخرة وقيل في الدنيا ويستبدل بكم قوما غيركم لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم اهل
اليمن عن ابي روق وقيل هم الذين اسلموا بعد نزول هذه الاية عن الجبائي ولا تضروه شيئا اى ولا تضروا الله بهذا القعود شيئا لانه غني لنفسه لا يحتاج الى شيء عن
الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضروا الرسول شيئا لان الله عصمه من جميع الناس ينصره بالملائكة او بقوم آخرين من المؤمنين والله على كل شيء قدير فهو قادر
على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الاشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم آية القراءة قرء يعقوب وحده وكلمة الله بالنصب والباقون بالرفع الحجة من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع استأنف وهو ابلغ لانه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال الاعراب ثاني اثنين نصب على الحال وللعرب
في هذا مذهبان احدهما قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلثة ورابع اربعة وخامس خمسة اى احد اثنين واحد ثلثة واحد اربعة واحد خمسة والاخر قولهم هذا ثالث اثنين ورابع ثلثة وخامس
اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وجعل اربعة فالاول اضافة حقيقية محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال اذ هما في الغار بدل من قوله اذ اخرجه الذين كفروا
وضع احد الزمانين موضع الاخر لتقاربهما المعنى ثم اعلمهم الله سبحانه انهم ان تركوا نصرة رسوله لم يضره ذلك شيئا كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة وهم به الكفار
فتولى الله نصره فقال الا تنصروه فقد نصره الله معناه ان لم تنصروا النبي على قتال العدو فقد فعل الله به النصر اذ اخرجه الذين كفروا من مكة فخرج يريد
المدينة ثاني اثنين يعني انه كان هو وابو بكر اذ هما في الغار وليس معهما ثالث اى وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفردا من كل شيء الا من ابي بكر والغار
النقب العظيم في الجبل واراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة اذ يقول لصاحبه اى يقول الرسول لابي بكر لا تحزن اى لا تخف ان الله معنا يريد انه مطلع علينا
عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر الغار ارسل الله زوجا من حمام حتى باضا في اسفل النقب والعنكبوت حتى نسج بيتا فلما
جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله احد لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن
دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا الى قدامهم لرأونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز
فما زال يقفو اثر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف بهم على باب الحجر فقال هذه قدم محمد صلى الله عليه وآله والله اخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة او ابنه وقال ما جازوا هذا
المكان اما ان يكونوا صعدوا في السماء او دخلوا في الارض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشعاب
فليس هيهنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله لو ابصرونا ما استقبلونا
بعوراتهم فانزل الله سكينته عليه يعني على محمد صلى الله عليه وآله القى في قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه عن الزجاج وايده اى قواه ونصره بجنود لم تروها اى بملائكة
يضربون وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه وقيل معناه قواه بالملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه واعانه بالملائكة يوم بدر واخبر الله سبحانه

صرف عنه كيد اعدائه وهو في الغار ثم اظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبي وقال بعضهم يجوز ان يكون الهاء التي في عليه راجعة الى ابي بكر وهذا بعيد
لان الضماير قبل هذا وبعده تعود الى النبي صلى الله عليه وآله بلا خلاف وذلك في قوله الا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله اذ اخرجه وقوله لصاحبه وقوله وايده فكيف
يتخللها ضمير عائد الى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الاية بالسكينة كلاما رأينا الاضراب عن ذكره احرى لئلا ينسبنا ناسب الى شيء وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية واراد بذلك انه نقل عليهم للنبي صلى الله عليه وآله وتخويفهم اياه وابطله بان نصره عليهم وقيل عنى بذلك بانه جعل كلمتهم
السفلى الا انه خلق كلمتهم وكلمة الله هي العليا اى هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لانها لا يجوز ان تدعو الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة
الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قول لا اله الا الله معناه جعل كلمة الكفار السفلى باخذ جملة واذلة اسفلين وجعل كلمة الله باعزاز الاسلام والمسلمين والله
عزيز في انتقامه من اهل الشرك حكيم في تدبيره قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم و
الله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ثلاث آيات القراءة في الشواذ قراءة الاعمش
لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في اوائل سورة البقرة اللغة القاصد السهل المقتصد من غير طول لانه مما يقصد لسهولته ويسمى العدل
قصدا لانه مما ينبغي ان يقصد الشقة القطعة من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون
من المشقة والشقة السفر البعيد والشاقة وقريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعد وقيس يكسرونها المعنى ثم امر سبحانه بالجهاد وقيل
تأكد وجوبه على العباد فقال انفروا اى اخرجوا الى الغزو خفافا وثقالا اى شبابا وشيوخا عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطا وغير نشاط
عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن ابي صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال
اهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركبانا ومشاة عن ابي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا ضيعة وغير ذي ضيعة عن ابن زيد وقيل عزابا ومتاهلين
عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على اى حالة كنتم لان احوال الانسان لا تخلو من احد هذه الاشياء وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع منهما
لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع ذلكم خير لكم معناه ان الخروج الى الجهاد بالنفس والمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد الى المباح ان كنتم تعلمون
ان الله عز اسمه صادق في وعده ووعيده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الاية اشتد شأنها على الناس فنسخها
الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية لو كان عرضا قريبا معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا اى قريبا هينا وقيل قاصدا اى
ذا قصد نحو تامر ولابن عن المبرد وقيل سهلا متوسطا غير شاق لاتبعوك طمعا في المال ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة يعني غزوة تبوك امروا فيها بالخروج الى
الشام وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم معناه ان هؤلاء سيعتذرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا
معكم ثم اخبر سبحانه انهم يهلكون انفسهم بما اسروه وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقون عليهما من العقاب والله يعلم انهم لكاذبون في هذا
الاعتذار والحلف وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله اذ اخبر انهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما اخبر به وفيه دلالة واضحة على ان القدرة
قبل الفعل لان هؤلاء لا يخلوا اما ان يكونوا مستطيعين للخروج قادرين عليه ولم يخرجوا او لم يكونوا قادرين عليه انما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا
فان كان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد كذبهم الله تعالى في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك ايضا حجة على من قال
على المقعد فان حملوا الاستطاعة على وجود الالة وصحة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان كذلك لا
عذر في التأخر وعدم القدرة اصلا للحرج ولا ان يكون عذرا لهم خاطب النبي بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه الى تبوك فقال عفا
الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنك قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما النبي صلى الله عليه وآله لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما
تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بدأه بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائي كان قبيحا ووقع صغيرا لانه لا يقال في المباح لم فعلته
وهذا غير صحيح لانه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره اذا رآه يعاتب اخا له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له
معاتبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحا وقد قال سبحانه في موضع آخر فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل معناه ادام الله لك
العفو لم اذنت لهؤلاء في الخروج لانهم استأذنوا فيه تملقا ولو خرجوا لاذوا بالجبال والفتنة ولم يعلم النبي صلى الله عليه وآله ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم حتى يتبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين اى حتى تعلم من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون عملك اذنك لمن اذنت له على علم قال ابن عباس ان رسول الله لم
يكن يعرف المنافقين يومئذ وقيل انه انما خيرهم بين الظعن والاقامة متوعدا ولم يأذن فاغتنم القوم ذلك وفي ذلك اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان
يلزمهم الخروج معه حتى اذا لم يخرجوا ظهر نفاقهم لانه متى اذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم ام لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين منهم جد بن
قيس ومعتب بن قشير وهما من الانصار قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين
انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ثلاث آيات المعنى ثم بين سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان

فقال لا يستاذنك اي لا يطلب منك الاذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستاذنك في الخروج لانه مستغن عنه بدعائك له الى ذلك بل يبادر
لعزمه على الجهاد الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والمعنى ان يجاهدوا وحذف في فاضى الفعل والله عليم بالمتقين قال ابن عباس هذا
تعيير للمنافقين حين استاذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه والمعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين الا لانه علم انهم ليسوا
منهم انما يستاذنك في التاخر عن الجهاد والتخلف عن القتال معك بغير علة في الخروج لان المنافق انما يستاذن في الخروج تعللا ولا يتاهب كما يتاهب المؤمنون
مثل الذين لا يؤمنون بالله اي لا يصدقون به واليوم الآخر يعني بالبعث والنشور وارتابت قلوبهم اي اضطربت وشكت فهم في ريبهم يترددون فهم في شكهم يذهبون
ويجيئون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرة بعد اخرى مثل التحير وارادوا به المنافقين يستوفقون لاذن لشكهم في دين الله وفي ما وعد المجاهدين لو
انهم كانوا مخلصين لم يتعللوا بالقعود ويثوابا الله فبادروا الى الجهاد ولم يستاذنوك فيه قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد
ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ثلاث آيات اللغة العدة والاهبة والآلة نظائر والانبعاث الانطلاق
بسرعة في الامر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه ومثله التربيث والخبال الفساد والخبال الموت والخبال
الاضطراب في الرأي والخبل تكون لثناء وفيهما الجنون والخبل فساد الاعضاء قال ابن لبيد يا بني لبيد انما لم يد الا يد المخبولة العضد والايضاع الاسراع في السير قال
امرؤ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وقيل اوضع الراكب يضع بعيره وضعا وضعت الناقة تضع ضعا وخعو وواوضعها علي ايضا قال
بالتبني منها جذع احب فيها واضع خلالكم اي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا في الصفوف لا يتخللكم الشياطين كانها بنات حذف والتقليب تصريف
الشيء بجعل اعلاه اسفله ورجل حول قلب كانه يقلب الآراء في الامور ويحولها المعنى اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال ولو ارادوا الخروج مع النبي ص
نصرة له ودفعة فحمها الكفار كما ارادوا المؤمنون ذلك لاعدوا له عدة اي لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يعد لامر يحدث مثل وتعوضى المراد لاخذوا اهبة الحرب
من الكراع والسلاح لان اشارة من اراد امرا ان يتاهب له قبل حدوثه ولكن كره الله انبعاثهم معناه ولكن كره الله خروجهم الى الغزو لعلمه انهم لو خرجوا لكانوا يمشون
بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيونا للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة فثبطهم عن الخروج كذا ... عن الخروج لذي ... الا الكفر والنفاق
طاعة ولا ينبغي ان يقال كيف كره انبعاثهم ... في الآية الاولى لانه انما امر بذلك على وجه الذب عن الدين وتنبيه الجهاد وكره ذلك على حد النفر والفساد
فقد كره غير ما امر به ومعنى ثبطهم بطأ بهم وخذلهم لما يعلم منهم من الفساد وقيل اقعدوا مع القاعدين اي وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل ان يكون
القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي ص الى الجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي ص لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن
يجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم في القعود الذي عاتبه الله تعالى عليه اذ كان الاولى ان لا ياذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا يدل على الاستئذان
كان في الخروج وان الاذن من النبي لهم كان في الخروج لانه كره الله سبحانه خروجهم واراد قعودهم ... اذن النبي ص في قعودهم فلا عتب عليه لكنهم استاذنوا في الخروج
تملقا واراد ... فاذن النبي ص لهم فيه ولم يعلم ما في نياتهم فلما اعلمه الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهة
انبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا شرا وفسادا
وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك وقيل يريد عجزا وجبنا عن ابن عباس اي انهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الامر عليكم ولاوضعوا خلالكم اي لاسرعوا في
الدخول بينكم بالنميمة وافشاء السر والفتنة ويريد لسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولاعدوا الابل وسطكم وقيل معناه لاوضعوا
ابلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي يبغونكم الفتنة يعني لا يبل وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم او فيكم اي يطلبون
لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انكم مهزومون
وان عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك وفيكم سماعون لهم اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم
قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن اسحق وجماعة والله عليم بالظالمين اي بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما اضمروا
عليه من الفساد منهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قيظي ثم اقسم الله سبحانه فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل الفتنة اسم يقع على كل شر وفساد والمعنى لقد
طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم وتشتت اهوائكم وافتراق اراءكم من قبل غزوة تبوك اي في يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي باصحابه وخذل النبي ص
حتى صرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم وقيل اراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل اراد بالفتنة الفتك بالنبي ص في غزوة
تبوك ليلة العقبة كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي ص عن سعيد بن جبير وابن جريج وقلبوا لك الامور اي احالوا في توهين امرك
وايقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل ما امكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدهم وجها من التدبير فاذا لم يتم ذلك فيه تركوه و
طلبوا المكيدة في غيره فهذا تقليب الامور عن ابي مسلم حتى جاء الحق معناه حتى جاء النصر والظفر الذي وعد الله به وظهر امر الله دينه وهو الاسلام على الكفار
على رغمهم وهم كارهون اي في حال كراهيتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال قوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا
وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده

او بايدينا

او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون اربع آيات القراءة القراءة المشهورة لن يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن
مسعود النزول قيل ان رسول الله ص لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد بن قيس اخو بني سلمة بن الخزرج فقال
يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر فاني اخاف ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي الآيات عن ابن عباس ومجاهد فلما
نزلت هذه الآية قال رسول الله ص لبني سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال ص واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء
بن المعرور فقال حسان بن ثابت فيه وقال رسول الله ص والقول لاحق بمن قال منا من تعدّون سيدا فقلنا له جد بن قيس على الذي نبخله فينا وان كان انكدا فقال وأي
ادوى من البخل ... وسود بشر بن البراء بجوده وحق لبشر ذي الندى ان يسودا اذا ما اتاه الوفد انهب ماله وقال خذوه انه عائد غدا المعنى
ثم من المنافقين من يقول ائذن لي في القعود عن الجهاد ولا تفتني ببنات الاصفر عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم اصفر لان حبشيا غلب على ناحية الروم و
كان له بنات قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا وقيل معناه لا توقعني في الاثم بالعصيان لمخالفتك امرك بالخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر
لي عن الحسن وقتادة والجبائي والزجاج الا في الفتنة سقطوا معناه الا في العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم امرك بالخروج الى الجهاد وقيل معناه الا تعذبني بتكليف الخروج
في شدة الحر الا قد سقطوا في حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم يدل عليه قوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا وان جهنم لمحيطة بالكافرين
اي تحيط بهم فلا مخلص لهم منها ان تصبك حسنة تسؤهم هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ص ومعناه ان نالتك نعمة من الله وفتح وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك
مصيبة معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس او المال يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اي اخذنا حذرنا واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد
معناه اخذنا امرنا من قبل ما وقع من الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه ويتولوا وهم فرحون اي يرجعوا الى بيوتهم فرحين بما اصاب المؤمنين من الشدة قل يا محمد لهم لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا اي كل ما يصيبنا من خير وشر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن
وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة امرنا الا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وانا نظفر بالاعداء فيكون النصر حسنا لنا او نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا
ايضا اي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلمنا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي هو مولانا اي هو ناصرنا وحافظنا وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا بنعمه
ويتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمن
قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين معناه هل تنتظرون لنا الا احدى الخصلتين الحميدتين والنعمتين اما الغلبة والغنيمة في العاجل
واما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وان كان حرف الاستفهام فمعناها هنا التقريع بالتربص لوقوع ما ليس الا كل ما
يكره من خيبة وفوز خصمه من هلاكه ويجامعه خصمه من شقوته سعادة خصمه ونحن نتربص بكم اي ونحن نتوقع بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا
اي يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بايدينا فتربصوا ظهور صورة الامر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم انا معكم
انا معكم متربصون بالمؤمنين القتل مطيعين لله انا معكم متربصون اي منتظرون اما الشهادة والجنة واما الغنيمة والاجر لنا واما البقاء في الذل
الخزي واما الموت والقتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا بنا انا معكم متربصون
هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في ابطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في اظهار دينه ونصرة نبيه واستئصال مخالفيه قوله تعالى قل انفقوا
طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى
ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ثلاث
آيات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء الحجة وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند الى مؤنث في اللفظ ووجه الياء ان
التأنيث ليس بحقيقي جاز ان يذكر كما جاء فمن جاءه موعظة اللغة الطوع الانقياد بارادة لم يحمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع
الفعل ينافيه وهو عطف وحبس فمنع ان يفعل به فهو لا ممنوع من ان يفعل به قبول نفقتهم والزهوق الخروج بصعوبة اصله الهلاك يقال هلك وزهق وهو
يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد لانه هالك بثقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم اذا ذهب يقال انهم حتى يهلك
منهم والاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني الاعراب انفقوا طوعا او كرها لفظه امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طائعين
او مكرهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فلم يأمرها بالاساءة ولكن اعلمها انها ان اساءت او احسنت
فهو على عهدها فكانه قال ان احسنت او اسأت فلا الام قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الامر في معنى الجزاء قيل له اذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون
لفظ الخبر في معنى الامر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحم الله زيدا ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ان تقبل في موضع نصب تقديره من ان تقبل وانهم كفروا
بالله في موضع رفع المعنى فما منعهم من قبول نفقاتهم الا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله منه الا لانهم كفروا المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين
لا ينتفعون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال قل يا محمد انفقوا طوعا او كرها اي طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين معناه انما
لم يتقبل منكم لانكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المؤمنين المخلصين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اي وما يمنع هؤلاء المنافقين ان يثابوا على نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله وذلك مما يحبط الاعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها ولا يأتون الصلاة
الا وهم كسالى اي متثاقلين والمعنى لم يؤدوها على الوجه الذي امروا ان يؤدوها على الوجه ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك لانهم انما يصلون وينفقون للرياء

تستر

والستر بالاسلام لا لابتغاء لمرضات الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرايع لانه تعالى ذمهم على ترك الصلوة والزكوة ولولا وجوبهما عليهم لم يذموا بتركهما فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الخطاب للنبي صلعم والمراد جميع المؤمنين وقيل بل المراد لا تعجبك ايها السامع اي لا تأخذ بقلبك ما تراه من كثرة اموال هؤلاء المنافقين وكثرة اولادهم ولا تنظر اليهم بعين الاعجاب انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا فذكر في معناه وجوه احدها ان فيه تقديما وتأخيرا اي لا تعجبك اموالهم واولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقا باموالهم واولادهم ومثله قوله تعالى فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وثانيها ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وامرهم بالانفاق في الزكوة والغزو فيؤدونها على كره منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوابا في الاخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبلخي وثالثها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا

[illegible]

لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اي يغضبون ويعيبون وقال ابو عبد الله عليه السلام اهل هذه الاية اكثر من ثلثي الناس ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك رضوا بما اعطاهم الله ورسوله وقالوا مع ذلك حسبنا الله اي كفانا الله وكافانا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله اي سيعطينا الله من فضله انعاما ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا انا الى الله راغبون في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن اموال الناس وقيل يعني راغبون اليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب جواب لو محذوف وتقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم فحذف الجواب مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم اية الاعراب قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لان قوله انما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء

[illegible]

من الصد واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كانه اذن ورحمة فان هذا لا يمتنع لان الاذن في معنى مستمع للأقوال الثلاثة التي تقدمت فكانه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت فهلا استغنى بشمول الخير للرحمة وتقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لا يمتنع قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الانسان وان كان قوله خلق يعم الانسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت من الخير لم يمتنع ان يعطف فيخص الرحمة بالذكر وان كان الخير قد عمه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف الا ترى ان من قرأ وقيله يا رب انما يحمله على وعنده علم الساعة وقيله اللغة الفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق قد يكون من غير صفة الفعل كقولك زيد احق بالمال والاصلح لا يقع هذا الموقع لانه من صفة الفعل تقول الله احق بان يطاع ولا تقول اصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة وهي والمخالفة والمجانبة والمعاداة نظائر واصله المنع والحديدة ما يمنع الاثنان من الزرق لانه يمتنع من الواجب الخزي الهوان وما يستحيى منه الاعراب اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يضفه جعل خيرا صفة لاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم او على المعنى لان معنى يؤمن يصدق فعدي باللام كما عدي مصدق في نحو قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق وايمان الامان قوله فان له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احد امرين اما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم او فبان له نار جهنم واما ان يكون ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج واقول ان هذا على مذهب ابي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله انه له نار جهنم بالظرف ومضمر محذوف ومن هذا الموضع لطول الكلام وتقديره فلان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فامره وشأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمر لان الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب الشرط اذا كان مبتدأ وخبرا او جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولا انه لذلك هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرئ انه بكسر الهمزة على وجه الاستيناف لكان جائزا فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرأ به احد النزول قيل نزلت في جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فان محمدا اذن سامعة فانزل الله الاية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم حديث النبي ص الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية قيل انها نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ص من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الاية عن مقاتل والكلبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي ص فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كذاب فنزلت الاية عن قتادة والسدي المعنى ثم رجع سبحانه الى ذكر المنافقين فقال ومنهم اي ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي والاذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هيهنا بالقول ويقولون هو اذن معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله قل يا محمد اذن خير لكم اي هو اذن خير يستمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يستمع الخير ويعمل به ومن قرأ اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذنا اصلح لكم لانه يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف يعيبونه بما هو خير لكم واصلح يؤمن بالله يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل الا الخبر الصادق من الله ويصدق المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فايمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يؤمن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقى اليهم من الامان ولا يؤمن المنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا ورحمة للذين آمنوا منكم اي وهو رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان بهدايته ودعائه اياهم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في الآخرة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلبا لمرضاتكم والله ورسوله احق ان يرضوه اي والله ورسوله احق واولى بان يطلبوا مرضاتهما ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله مقرين بنبوة محمد ص وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف والمعنى نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله اي من يجاوز حدود الله التي امر المكلفين ان لا يتجاوزوها وانما قال الم يعلموا لانه لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم في التخلف عن علمه اي هلا علموا بعد ان مكنوا من علمه وقيل هو امر بالعلم اي يجب ان يعلموا هذا الخبر بالدلائل وقيل معناه الم يخبرهم النبي ص بذلك عن الجبائي فان له نار جهنم خالدا فيها اي دائما ذلك الخزي اي الهوان والذل العظيم قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ثلث آيات القراءة قرأ عاصم ان نعف نعذب فيهما بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء طائفة بالرفع الحجة قال ابو علي حجة من قال ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قال ان يعف فالمعنى معنى نعف وانما تعذب بالتاء فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث اللغة الحذر اخذ الشيء على ما يتقى الضرر ورجل حذر متيقظ متحرز ورجل حذرياني كثير الحذر والفزع والمنافق الذي يظهر الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لانه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون اذا اتي من احدهما خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجيل اللذة كفعل الصبي لذلك قالوا ملاعب الاسنة اي انه شجاع يتقدم على الاسنة كفعل الصبي

الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق الى الباطل يقال اجرم اذا انقطع وجرم الثمر اذا صرمه وتجرمت السنة اذا تصرمت النزول قيل نزلت في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله عند رجوعه من تبوك فاخبر جبرئيل رسول الله ص بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب بوجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ص وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله ص انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن ابي جعفر الباقر ع مثله الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن نقول انما كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الاية ولئن سألتهم ليقولن عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك الى المدينة وكان بين يديه اربعة نفر او ثلاثة يستهزءون ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبرئيل واخبر رسول الله ص بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزءون بي وبالقرآن اخبرني جبرئيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فاقبلوا الى النبي ص يعتذرون فانزل الله تعالى الايات عن الكلبي وعلي بن ابراهيم وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله ص واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله ص بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الاية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بواد كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الاية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فيه قولان احدهما انه اخبار انهم يحذرون ان يفشوا سرائرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انهم يحذرون من ان ينزل الله عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهروه على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين رأوا رسول الله ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض احذروا ان لا ينزل فيكم وحي يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون ما قالوا قد نزل عليه الوحي فيفضحوا عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مجاهد والثاني ان هذا اللفظ لفظ الخبر ومعناه الامر فهو كذلك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لان موضع الكلام على التهدد قل استهزءوا معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزءوا والامر بالاستهزاء امر تهديد وهو وعيد بلفظ الامر ان الله مخرج ما تحذرون اي مظهره والمعنى ان الله سيبين لنبيه باطن حالكم ونفاقكم ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي وبالمسلمين ليقولن انما كنا نخوض ونلعب واللام للتاكيد والقسم معناه قالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللعب واللهو وكان عذرهم اشد من جرمهم قل يا محمد ابالله وآياته اي حججه وبيناته وكتابه ورسوله محمد كنتم تستهزءون ثم امر الله سبحانه نبيه ان يقول لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة قد كفرتم بعد ايمانكم اي فانكم باضماركم قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين للايمان الذي يحكم لمن اظهره بانه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون على ما قدمنا الدليل وذكرنا في غير هذا الموضع ان المؤمن لا يجوز ان يكفر ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اي كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد يقع الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فقد ورد في الآثار عن ائمتنا ان اقل من يحضر عذابهما واحد من المؤمنين فصاعدا ويروى ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهزئ اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشي بن حمير فعفى الله تعالى عنه قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اربع آيات اللغة الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او آجلا وقال الزجاج الخلاق النصيب الذي هو عنده حظ وافر والمؤتفكات جمع مؤتفكة ائتفكت بهم الارض اي انقلبت الاعراب موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب اي وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذي خاضوا نصب بانه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعا مثل استمتاعهم وخضتم خوضا مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وهو قول يونس والاخفش الذي مصدرية والتقدير كالخوض الذي خاضوه ومثل هذا الخلاف في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به وعلى قول يونس والاخفش ذلك تبشير الله عباده المعنى ثم ذكر سبحانه احوال اهل النفاق فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض معناه جملة معنى بعضهم مضاف الى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول انا من فلان وفلان مني اي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض

الكلبي وقيل بعضهم من بعض على الحقيقة ومقت الله بهم جميعاً ان يعملوا يامرون بالمنكر اي بالشرك والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الافعال الحسنة التي امر الله بها وحث
عليها ويقبضون ايديهم اي يمسكون اموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون ايديهم عن الجهاد في سبيل الله عن الجبائي نسوا الله
فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم عن الاصم وقيل معناه جعلوا الله كالمنسي حيث لم يتفكروا ان لهم صانعاً يثيبهم ويعاقبهم ويمنعهم لذلك
عن الكفر والافعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لان النسيان لا يجوز عليه تعالى ان المنافقين هم الفاسقون اي الخارجون
عن الايمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المتمردون في الشرك وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم اخبر سبحانه انه وعد الذين يظهرون
الاسلام ويبطنون الكفر وكذلك الكفار وانما فصل النفاق من الكفر وان كان النفاق كفراً ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين خالدين فيها اي دائمين فيها هي حسبهم
اي جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما يقال عذبتك حسب فعلك وحسب فلان ما نزل به اي ذلك على قدر فعله ولعنهم الله اي ابعدهم من جنته وخيره ولهم عذاب مقيم اي دائم لا
يزول كالذين من قبلكم اي وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا امثال فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل فعلكم معناه فعلكم كفعل الذين
من قبلكم من كفار الامم الخالية كانوا اشد منكم قوة في ابدانهم واكثر اموالاً واولاداً فلم ينفعهم ذلك شيئاً وحل بهم عذاب الله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم
اي بنصيبهم وحظهم من الدنيا بان صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم اي فاستمتعتم انتم ايضاً بحظكم من الدنيا كما استمتعوا وخضتم كالذي خاضوا اي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الاولون اولئك
الذين حبطت اعمالهم التي يقع طاعة من المؤمنين مثل الانفاق في وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها اذ لم يستحقوا عليها ثواباً في الاخرة ولا تعظيماً وتبجيلاً
في الدنيا لكفرهم وشركهم واولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واهلكوها بفعل المعاصي المؤدية الى الهلاك وورد في الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الاية
ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا اعلم الا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب
لدخلتموه وروي مثل ذلك عن ابي هريرة وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال لتأخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وباعاً بباع حتى لو ان
احداً من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وقال عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم
ببني اسرائيل سمتاً وهدياً تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قلنا وكيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه واورد ذلك جميعاً الثعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه الم يأتهم اي
الم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم نبأ الذين من قبلهم اي خبر من كان قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ذكر سبحانه الامم الماضية
القرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك سبحانه قوم نوح بالغرق وعاداً قوم هود
بالريح العقيم وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين
اسم نسب البلدة اليه وقد مر ذكره والمؤتفكات اي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع
والمؤتفكة اهوى فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المدينة عليهم اتتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج والمعجزات فما كان الله ليظلمهم اي ما ظلمهم
الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ولكن عاقبهم باستحقاقهم اذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فاهلكهم بكفرهم وعصيانهم قوله تعالى والمؤمنون و
المؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله
ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير ثلاث آيات اللغة العدن الاقامة والخلود
نظائر ومنه المعدن قال الاعشى فان يستضيفوا الى حلمه يضافوا الى راجح قد عدن والرضوان مصدر رضي يرضى رضى ورضواناً والجهاد ممارسة الامر الشاق وفعله
من الجهد المعنى لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضد اوصافهم ليتصل الكلام بما يقابله النقيض
بالنقيض فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المرأة تهيئ اسباب السفر
لزوجها اذا خرج وتحفظ غيبته في زوجها لا نهم يد واحدة على من سواهم يأمرون بالمعروف وهو ما اوجب الله تعالى فعله او رغب فيه عقلاً او شرعاً وينهون عن المنكر و
هو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلاً او شرعاً ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اي يداومون على فعل الصلوة واخراج الزكوة
من اموالهم ووضعها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون ارادتهما ورضاهما اولئك سيرحمهم الله اي الذين هذه صفتهم يرحمهم
الله في الاخرة ان الله عزيز حكيم اي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الاية دلالة على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الاعيان
لانه جعلها من صفات جميع المؤمنين ولم يخص قوماً منهم دون قوم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها الانهار
والماء فيها خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب العيش فيها بناها الله من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر لا اذى فيها ولا وصب ولا نصب عن الحسن في جنات
عدن اي في جنات اقامة وخلود وقيل هي بطنان الجنة اي وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى والناس حولهم
الجنان حولها عن الضحاك وقيل ان عدناً اعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محفوفة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله عز وجل حتى ينزلها
اهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان

المسك الابيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين
والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك ورضوان من الله اكبر يعني على الابتداء ورضا الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي انما صار الرضوان
اكبر من الثواب لانه لا يوجد شيء منه الا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لان ما يصل الى القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع اللذات مع
رضوان لانه استئناف للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك النعيم
الذي وصفته هو النجاح العظيم الذي لا شيء اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والقتال والمنافقين واختلفوا في كيفية
جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجبائي وقيل جهادهم باقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكثر وقيل جهادهم بالانواع بحسب
الامكان بيده فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يقدر فليكفهر في وجوههم عن ابن مسعود وروي في قراءة اهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين
قالوا لان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين وانما كان يتألفهم لان المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم اذ كانوا يظهرون الايمان واغلظ عليهم
ومعناه واسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم ومأويهم جهنم اي منزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد مآل الفريقين وبئس المصير بئس المرجع
والمأوى قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله
فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير آية اللغة الهم مقاربة الفعل بالعزيمة
في النفس يقول هم بالشيء يهم هماً وليس الهم من العزم في شيء الا ان يبلغ نهاية القوة في النفس ويبلغ حد الامر يقال نال الشيء وتمناه اي ادركه وقد نقم منه شيئاً
اي انكر قال ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان جهلوا والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما واما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله
وان لا يفعله النزول الخلاف فيمن نزلت فيه هذه الاية فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فلم يلبثوا ان
طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس
وقيل خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال لهم يا اهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله خطب ذات
يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجساً وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل والله ان محمداً
لصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وآله ان
يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قاله ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم انزل على نبيك الصادق
منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون آمين فنزل جبرئيل قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله
قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحق ومجاهد وقيل
نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فانهم ائتمروا في ان يغتالوا
رسول الله صلى الله عليه وآله في عقبة عند مرجعهم من تبوك وارادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسوا به فاطلعه الله على ذلك وكان من جملة معجزاته لانه لا يمكن معرفة مثل
ذلك الا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة وعمار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والاخر يسوقها وامر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان
الذين هموا بقتله اثني عشر رجلاً او خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه عرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسماهم باسمائهم واحداً واحداً عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة
مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش واربعة من العرب المعنى ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال يحلفون بالله ما قالوا
يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حقق عليهم ذلك واخبر سبحانه بانهم قالوا ذلك لان اللام في لقد لام القسم وكلمة الكفر كل كلمة فيها جحد
لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الاسلام وكفروا بعد اسلامهم اي بعد اظهارهم الاسلام يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطناً وهموا بما لم ينالوا فيه ثلاثة
اقوال احدها انهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة والتنفير بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرهما وثانيها انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن
قتادة والسدي وثالثها انهم هموا بالفتك والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله معناه انهم عملوا بضد
الواجب فجعلوا موضع شكر النعمة ان نقموها وبينا انهم نقموا فيما ليس بموضع للنقمة فانه لم يكن للمسلمين سبب يتمونه منهم بل الله تعالى اباح لهم الغنائم واغناهم
بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم ان يقابلوها بالشكر وقد مر هذا اللفظ عند قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية في سورة المائدة وانما لم
يقل من فضلهما لانه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيماً لله تعالى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لمن سمعه يقول من اطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد
غوى بئس خطيب القوم انت فقال كيف اقول يا رسول الله قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل انما
لم يقل من فضلهما لان فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم اي فان يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا الى الحق يكن ذلك خيراً لهم
في الدنيا والاخرة فانهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة وان يتولوا اي يعرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق المستقيم يعذبهم الله عذاباً
اليماً مؤلماً في الدنيا بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وفي الاخرة بعذاب النار وما لهم في الارض من ولي اي ليس لهم في الارض من ولي اي محب ولا نصير ينصرهم ويدفع
عنهم عذاب الله قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم

معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله
علام الغيوب ربع آيات اللعنة المعاهدة من أن تقول على عهد الله لا نفعل كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد
حكم بذلك وقد وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الإعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لأن من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز أن
يكون البخل منع الواجب لمشقة الإعطاء كما قال زهير إن البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم قال لأنه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب
من غير مشقة الإعطاء وكان من قضى ديناً عليه يكون جواداً لأنه أدى الواجب من غير مشقة وأما قال زهير فإنه لأن البخل صفة نقص قال ومن منع ما لا ينضر

والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون المعنى ثم وصفهم بصفة أخرى فقال الذين يلمزون أي يعيبون المطوعين أي المتطوعين بالصدقة من المؤمنين ويطعنون
عليهم في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم أي ويعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل أتيه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم
تملأ الكف وأتيه عليه بن زيد الحارثي بصاع تمر فقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلي وصاعاً أقرضته ربي وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال
معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل إن عبد الرحمن رجل يحب الرياء ويبتغي الذكر بذلك وإن الله غني عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالرياء والمقل بالإقلال

للدعاء فانه كان اذا صلى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلوة على المنافقين والوقوف على قبرهم والدعاء ثم بين سبب النهي فقال
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون فاسقون فما صلى رسول الله بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية دلالة على ان القيام على القبر للدعاء عبادة
مشروعة ولولا ذلك لم يخص بالنهي عنه الكافر وروي انه صلى على عبد الله بن ابي والآية نزلت بعد ذلك قبل ان ينهى عن الصلوة على المنافقين وعن ابن عباس انه

عند مخافة ان يحمل عليها التي شبع على سفره والفيض الجري عن امتلاء من قوله فاض الاناء بما فيه والحزن الم يقوي يلحقه من حزن الا نعمى ولا تعلي
الكلك الاعراب حزنا نصب لانه مفعول له اي يكون للحزن ولا يجدوا منصوبان في موضع ان لا يجدوا انصب تظهيره لان لا يجدوا احد الجار فوصل
النزول الآية التي نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر جاء الى رسول الله فقال يا نبي الله اني شيخ ضرير

السوء بضم السين في سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرء ورش واسمعيل عن نافع قربة بضم الراء والباقون قربة بسكون الراء الحجة قال ابو علي
الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة او بمنزلة العافية والعاقبة والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلة محيطة بالانسان حتى لا يكون
له منها مخلص واضيف الى السوء على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولو لم يضف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء
الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سوء في المعنى وان كان اللفظ واحدا يدلك على
ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الاخبار واما دائرة السوء بالضمة فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة
اليهما من حيث يريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه
من قولهم سؤته مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدم
اما قوله قربة فالاصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والاذن والطنب واما قربة فينبغي ان يكون الاسكان فيها لان ما اصله التخفيف نحو الظلمات و
الغرفات فان تحرك الحركة الثانية في الكلمة الواحدة الجد ومثل قولهم قربة وقربة وبسرة وبسرة وهذه وهذه حكاه محمد بن يزيد اللغة رجل عربي اذا كان
من العرب ممن يسكن البلاد ورجل اعرابي اذا كان ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله واجدر ماخوذ من جدر الحائط
بسكون الدال وهو اصله والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير جناية واصله لزوم الامر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي لازما وحب غرام اي لازم والغريم
يقال لكل واحد من المداينين للزوم احدهما الآخر وغرمته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك
بالشيء لعاقبته والدوائر جمع دائرة وهي الحادثة من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة من النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة هي طلب الثواب والكرامة من
الله تعالى بحسن الطاعة الاعراب اجدر ان لا يعلموا ان في موضع نصب لان الباء محذوفة والمعنى احق بترك العلم تقول انت جدير ان تفعله وجدير بان تفعل له هذا الفعل
معترك واذا حذفت الباء لم يصلح الا بان وان اثبت الباء صلح بان وغيرها تقول انت جدير بان تقوم وجدير بالقيام وانما صلح مع ان الحذف لان ان يدل على
الاستقبال فكأنها عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب تقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول قربات وقيل صلوات
معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق قربة الى الله وصلوات الرسول عن الجبائي المعنى لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه ان الاعراب منهم اشد في ذلك
اكثر جهلا فقال الاعراب اشد كفرا ونفاقا اي الاعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لانهم اقسى واجفى من اهل المدن وهم ايضا ابعد من
سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه ان سكان البوادي اذا كانوا كفارا او منافقين فهم اشد كفرا من اهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم وعن سماع
الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله اي هم احرى واولى بان لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال
والحرام والله عليم باحوالهم حكيم فيما يحكم به عليهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي ومن منافقي الاعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وسبل الخير غرما
لحقه لانه لا يرجو به ثوابا ويتربص بكم الدوائر اي وينتظر بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الفراء والزجاج كانوا
يتربصون بهم الموت والقتل كانوا ينتظرون موت النبي ليرجعوا الى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والعافية الى البلاء
يقولون كانت الدائرة عليه وكانت الدائرة له ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال عليهم دائرة السوء اي على هؤلاء المنافقين دائرة البلاء يعني ان ما ينتظرونه
بكم هو لاحق بهم وهم المغلوبون ابدا والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه من الاعراب المؤمنين المخلصين فقال
ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ومنهم من يجمع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيمة والجنة والنار ويتخذ ما ينفق قربات عند الله اي
يريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة اي طاعات عند الله وتعظيما له وقربات حقيقة وقيل معناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب
بذلك ثوابه ورضاه وصلوات الرسول اي دعاء الرسول بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه انه يرغب في دعاء النبي الا انها قربة لهم معناه ان
صلوات الرسول قربة لهم يقربهم الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قربة لهم الى الله سيدخلهم الله في رحمته هذا وعد منه سبحانه بان يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه
مبالغة بان الرحمة عمتهم ووسعتهم ان الله غفور لذنوبهم رحيم باهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة قوله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم آية القراءة قرء يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرء ابن كثير وحده من تحتها بزيادة
من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرء الباقون تحتها بغير من وعلى ذلك سائر المصاحف والمعنى واحد الحجة من قرء بالرفع عطفه على قوله والسابقون ومن قرء بالجر
عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفعه وجره ويجوز ان يكون معطوفا على الانصار والقرب منه الاعراب
السابقون مبتدأ والاولون صفته من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقين كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الابتداء رضي
الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضي والوقف على قوله خالدين فيها ابدا النزول قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين
وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال من ادرك البيعة فهو من المهاجرين الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رباح وقيل هم الذين اسلموا
قبل الهجرة عن الجبائي المعنى لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال والسابقون الاولون اي السابقون الى الايمان والى
الطاعات وانما مدحهم بالسبق لان السابق الى الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابعا له فهو امام فيه وداع الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوء

حالا وهذه الصفة من المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة والانصار اي ومن الانصار الذين سبقوا نظراءهم من اهل المدينة الى الاسلام ومن قرء والانصار
بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة والذين اتبعوهم باحسان اي بافعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم ويدخل في ذلك من يجيء
بعدهم الى يوم القيمة رضي الله عنهم ورضوا عنه اخبر سبحانه انه رضي عنهم ورضي افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم ويقينهم
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا يبقون ببقاء الله منعمين ذلك الفوز العظيم اي الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على
فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصرة الدين فمنها مفارقة العشائر والاقربين ومنها مباينة المألوف من الدين ومنها نصرة الاسلام مع قلة
العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الايمان والدعاء اليه واختلف في اول من اسلم من المهاجرين فقيل اول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن ابي طالب وهو قول
ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد بن ارقم ومجاهد وقتادة وابن اسحق وغيرهم قال انس بعث النبي يوم الاثنين وصلى علي معه يوم الثلثاء وقال مجاهد وابن اسحق
انه اسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله اخذه من ابي طالب وضمه الى نفسه يربيه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكلبي انه اسلم وله تسع سنين وقيل احدى عشرة
سنة عن ابي الاسود قال السيد ابو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسمعيل بن اياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرءا تاجرا فقدمت مكة ايام الحج
فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر فيبيعه ايام الموسم فبينما انا والعباس بمنى اذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في
السماء فرمى ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام
والمرأة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن اخي محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد زوجة محمد قد تابعاه على دينه
وايم الله ما على ظهر الارض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعدما اسلم ورسخ الاسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعا وروي ان ابا طالب قال لعلي
اي بني ما هذا الدين الذي انت عليه قال يا ابت آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له اما ان محمدا لا يدعو الا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى
عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا يقول انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كذاب مفتر صليت
قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعا الى ابي ايوب عن النبي قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها احد
غيري وغيره وقيل ان اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر عن ابراهيم النخعي وقيل اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم
ابو القاسم الحسكاني باسناده مرفوعا الى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الاولون قال هم عشرة من قريش اولهم اسلاما علي بن ابي طالب قوله عز و
جل وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم اللغة حول الشيء المحيط به من جانبيه من حال يحول اذا دار بالانقلاب
ومنه الحول للسنة والحالة لانها تدور ومنه المحول والمرد اصله الملاسة ومنه صرح ممرد اي مملس والامرد الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره
علي بن عيسى وقيل اصله الظهور ومنه المارد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ويقال مرد الرجل
يمرد مرودا اذا عتا وخرج من الطاعة والعيا خبثا ومنه شيطان مارد ومريد وفي المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان الاعراب ومن اهل المدينة ردوا على قوله
مردوا وحذف الموصوف ويجوز ان يكون التقدير ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون عطف على قوله من
الاعراب منافقون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قدرته ومنهم آخرون المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه وممن حولكم اي ومن جملة من حولكم يعني
مدينتكم من الاعراب الذين يسكنون البدو اذا كانوا مطبوعين على العربية منافقون يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار
وكانت منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة اي ومنهم منافقون وانما حذف لدلالة الاول عليه مردوا على النفاق اي مرنوا على النفاق وتجرأوا عليه عن الفراء وقيل معناه
اقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوا فيه وابوا غيره عن ابن اسحق وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب
منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضا مثل ذلك عن الزجاج لا تعلمهم يا محمد اي لا تعرفهم نحن نعلمهم اي نعرفهم سنعذبهم مرتين فيه اقوال احدها ان معناه
نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فان النبي ذكر رجالا منهم واخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا فانكم منافقون ويعذبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي
وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة بعذاب القبر عن مجاهد وروي عنه ايضا عذبوا بالجوع مرتين وقيل احدهما اخذ الزكوة منهم والآخر عذاب القبر
عن الحسن وقيل احدهما غيظهم من اهل الاسلام والاخرى عذاب القبر عن ابن اسحق وقيل الاولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر
وقيل ان الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك يحتمل غير انا نعلم ان المرتين قبل ان يردوا الى عذاب عظيم اي يرجعون يوم القيمة الى
عذاب مؤبد في النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم يعني اهل المدينة ومن الاعراب آخرون اقروا بذنوبهم ولم يرجع الى المنافقين والاعتراف الاقرار بالشيء عن معرفة خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا يعني انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا سيئة قبيحة والتقدير وعملا آخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم قال المفسرون عسى من الله واجبة
انما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذه دلالة على بطلان القول بالاحباط بانه لو صح الاحباط لكان
احد العملين اذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الامة من هذه الآية وقد استعمل
لفظ الخلط في الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدراهم والدنانير وقيل انه يجري مجرى قوله استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف في الخير وخلط بالتشديد

في الشرك إن الله غفور رحيم هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة الملائة غفور رحيم النزول قال أبو حمزة الثمالي بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار أبو لبابة بن
عبد المنذر وثعلبة بن وديعة وأوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله عند مخرجه إلى تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم
بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا لا يحلون أنفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم فقال رسول الله وأنا أقسم لا أكون
أول من حلهم إلا أن أومر فيهم بأمر فلما نزل عسى الله أن يتوب عليهم عمد رسول الله إليهم فحلهم فانطلقوا فجاؤوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك
فخذها وتصدق بها عنا فقال ما أمرت فيها بأمر فنزل خذ من أموالهم صدقة الآيات وقيل إنهم كانوا عشرة رهط منهم أبو لبابة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية
منهم أبو لبابة وهلال وكردم وأبو قيس عن سعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن أبي جعفر الباقر أنها نزلت في أبي لبابة ولم يذكر غيره
معه وسبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريظة حين قال إن نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي في غزوة تبوك فربط نفسه
بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال أبو لبابة يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله قال يجزيك يا أبا لبابة
الثلث وفي جميع الأقوال أخذ رسول الله ثلث أموالهم وترك الثلثين لأن الله قال خذ من أموالهم ولم يقل أموالهم قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثلاث آيات القراءة قرأ أهل الكوفة غير
أبي بكر إن صلواتك [illegible] وهو صلواتك على التوحيد وقرأ الباقون إن صلواتك على الجمع الحجة قال أبو علي الصلوة في اللغة الدعاء قال الأعشى في
لخمر وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم فكان معنى صل عليهم فإن دعائك لهم تسكن إليه نفوسهم وتطيب فأما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا
يقال إنهم ينالون دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في ويل للمطففين ونحوه إنه دعاء عليهم ولكن المعنى فيه أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا النحو من الكلام
وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم التاء وهذا مذهب سيبويه فإذا كانت الصلوة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فإذا اختلف جاز أن يجمع
لاختلاف ضروبه كما قال إن أنكر الأصوات فأما من زعم أن الصلوة أولى لأن الصلوة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن متجها لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما
يقع على القليل كقوله وهم في الغرفات آمنون وقوله إن المسلمين والمسلمات وقوله إن المصدقين والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل الإعراب
قوله تطهرهم إنما وقع لأحد أمرين إما أن يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتأنيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة وإما أن يكون التاء
خطابا للنبي فإن تطهرهم بها فتكون صفة لصدقة أيضا ويكون الضمير في بها للصدقة المعروفة الموصوفة وأما وتزكيهم فلا يكون إلا للخطاب ولا
يجوز أن يكون على الاستئناف ويحمله على الاتصال أولى المعنى ثم خاطب سبحانه النبي وأمره بأخذ الصدقة من أموالهم تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال خذ يا محمد
من أموالهم أدخل من للتبعيض لأنه لم يجب أن يتصدق بالجميع إنما قال من أموالهم ولم يقل من مالهم حتى يكون ما على أجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ
من سائر أموال المسلمين لاستوائهم في أحكام الدين إلا ما خصه الدليل صدقة قيل أراد بها الأمر بأن يأخذ الصدقة من أموال هؤلاء التائبين زيادة في التكليف وليست
بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي أصابوها عن الحسن وغيره وقيل أراد بها الزكوة المفروضة عن الجبائي وأكثر أهل التفسير وهو الظاهر لأن
حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون المراد بأن يأخذ من المالكين النصاب الزكوة من الورق إذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا ومن الإبل إذا
بلغت خمسا ومن البقر إذا بلغ ثلاثين ومن الغنم إذا بلغت أربعين ومن الغلات والثمار إذا بلغت خمسة أوسق تطهرهم وتزكيهم بها معناه تطهرهم بتلك الصدقة عن دنس
الذنوب وتزكيهم بها أي تنسبهم إلى الزكاء أو تدعو لهم بما يجري بين الزكاء وقيل معناه تطهرهم أنت وتزكيهم أنت بها فيكون كلا الفعلين مضافا إلى النبي وصل عليهم هذا
أمر من الله تعالى للنبي أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وروي عن النبي أنه كان
إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله بن أبي أوفى أتيته بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى رواه البخاري ومسلم في الصحيح إن صلواتك سكن لهم أي دعاؤك لهم
مما تسكن نفوسهم إليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل قربة ووقار يعني لهم أن الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبيت لهم عن أبي عبيدة والله سميع عليم يسمع دعاءك
لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقة ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ما أشبههم إذا ردها النبي كما يجب أن يعلم المخاطب إذا رجع إلى نفسه وفكر فيما نبه عليه أنه لا بد
وإنما وجب أن يعلم أن الله يقبل التوبة لأنه إذا علم ذلك كان ذلك داعيا إلى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة إليها ما هو داع يوجب العلم بوجوب قبول العفو بالتوبة كان لا
من العقاب والسبب فيه أنهم لما سألوا النبي أن يأخذ من أموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك انتظار الإذن من الله سبحانه فبين الله سبحانه أنه ليس قبول
التوبة إلى النبي ولكن ذلك إلى الله عز اسمه وأنه الذي يقبلها ويأخذ الصدقات أي يقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله أخذ النبي والمؤمنين الصدقات
أخذا من الله على وجه التشبيه المجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي أنه قال إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل والمراد بذلك أنها تقع هذا
التنزيل ترغيبا للعباد في فعلها وذلك يرجع إلى تضمن الجزاء عليها وأن الله هو التواب الرحيم عطف على ما قبله ولذلك فتح أن وقد تقدم تفسيره وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون هذا أمر من الله سبحانه للنبي أن يقول للمكلفين اعملوا ما أمركم الله به عمل من يعلم أنه مجازى على فعله فإن الله سيرى عملكم وإنما أدخل سين
الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به الرؤية فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل أراد بالرؤية ههنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه إلى مفعول واحد
أي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله أي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل أراد بالمؤمنين الشهداء وقيل أراد بهم الملائكة الذين
هم الحفظة الذين يكتبون الأعمال وروى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على أئمة الهدى فيعرفونها وهم المعنيون

بقوله

بقوله والمؤمنون وإنما قال فسيرى الله مع أنه سبحانه عالم بالأشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك أنه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالما بأنها ستوجد
هو كونه عالما بوجودها إذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك وستردون إلى عالم الغيب والشهادة أي سترجعون إلى الله الذي يعلم السر والعلانية فينبئكم أي يخبركم بما
كنتم تعملون ويجازيكم عليه قوله تعالى وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم آية القراءة قرأ أهل المدينة والكوفة
غير أبي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤون بالهمز الحجة قال الأزهري الإرجاء همز ولا يهمز أرجأت الأمر وأرجيته أخرته ومنه أرجأت الحامل دنت أن يخرج ولدها
فهي مرج ومرجية وأرجيت بغير همز أيضا النزول قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الأوس والخزرج
كان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه إنما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله فقال والله ما لي من عذر ولم يعتذر إليه بالكذب فقال
صدقت فقم حتى يقضي الله فيك وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله عن مكالمتهم وأمر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فأقاموا على ذلك
خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك [illegible] حتى نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل
وهو قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وأصبح المسلمون يبكتونهم ويبشرونهم قال كعب فخرجت إلى رسول الله إذا سر استبشر كأن وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه
يبرق من السرور أبشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك أمك قال كعب فقلت أمن عند الله أم من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلث ماله
شكرا على توبته المعنى ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال وآخرون مرجون لأمر الله أي ومنهم آخرون مؤخرون لما يريد الله من أمرهم
إما يعذبهم وإما يتوب عليهم لفظة إما لوقوع أحد الشيئين والله سبحانه عالم بما يصير إليه أمرهم ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه ولكن أمرهم عندكم على
أي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لأنه سبحانه بين أن قوما من العصاة يكون أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذبهم وإن شاء قبل توبتهم
تفضلا عنهم ويدل أيضا على أن قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لأنه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشية والله عليم بما يؤول إليه حالهم حكيم فيما يفعله بهم قوله
تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم
لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على
تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم أربع آيات القراءة قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم
الألف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقون أسس بنيانه فيهما وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أسس بنيانه على ورويت قراءة نصر على أساس بنيانه وقرأ ابن
عامر وحمزة وحماد ويحيى عن أبي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقون جرف بالتثقيل وقرأ يعقوب وسهل إلى أن على أنه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدري
ورووا البرجمي عن أبي عبد الله وقرأ الباقون إلا أن بتشديد اللام وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وسهل وروح عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد
وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقون تقطع بضم التاء مشددا الحجة من أثبت الواو في والذين اتخذوا عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا
مسجدا ومن حذف الواو فإنه ابتدأ الكلام وأضمر الخبر بعده كما أضمر في قوله إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله والباد والمعنى فيه ينتقم منهم
أو يعذبون ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتدأ وصلته ويجوز أن يكون على أن يضمر ومنهم الذين اتخذوا كما أضمر الخبر في مع الفعل في قوله
أما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم أي فيقال لهم أكفرتم ولا يجوز أن يكون الذين بدلا من قوله وآخرون مرجون لأن المرجين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجدا
ضرارا فلا يجوز أن يبدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما أسند البنيان إليه في قوله بنيانا فالمعنى مضاف إلى الفاعل الباني والمؤسس ومن
بنى الفعل للمفعول به لم يبعد أن يكون في المعنى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فأما من قرأ أسس بنيانه في الموضعين فإن أساس بنيانه
بالإضافة فإنهما بمعنى واحد وجمع الأس إساس كقفل وأقفال وجمع الأساس أسس مثل [illegible] فالأصل فيه ضم العين والإسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل
والطنب والطنب ومن قرأ إلا أن تقطع قلوبهم فمعناه تتقطع بالبلاء لا يتلج قلوبهم بالإيمان أبدا ومن قرأ تقطع بفتح التاء فهو في المعنى مثل الأول إلا أن الفعل
إلى القطع المبني للقلوب بالموت وفي الأول أسند إلى القلوب لما كانت هي الآلية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك مما أسند فيه الفعل إلى من حدث فيه وإن لم يكن
منه تقطع يسند الفعل فيه إلى القطع جملة وإن لم يذكر في اللفظ فأسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى أن تقطع فإنه جعله غاية وهو
أنهم حتى في الحياة وهذا يدل على أنهم يموتون على نفاقهم فإذا ما توهم فزوا بالموت [illegible] اللغة الضرار هو طلب الضرر وتعاو
كما أن الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرارا والإرصاد الانتظار تقول رصدته أرصده رصدا وأرصدت له إرصادا قال الكسائي رصدته ترقبته وأرصدت أعددته والبنيان
مصدر قال أبو علي وهو جمع على حد شعيرة وشعير لأنهم قالوا بنيانة في الواحد قال أوس كبنيانة القري موضع رحلها وآثار نسعيها من الدف أبلق وجاء المصدر على هذا
المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بنيانة لأن فعلانا إذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم تلحقه التاء قال أبو زيد يقال بنيت بنيا وبنى بنيانا وبنية
وبناية وجمعها البنى [illegible] الأرض فراشا والسماء بناء فإن
لما كان [illegible] يقابل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والتقي صفة مدح لا تطلق على من يستحق الثواب والتقوى
لأنها من وقيت وإنما أبدلت العرب من الياء تاء في [illegible] التشفير وحرفه نهايته في المساحة [illegible] الذي ينحفر
بالماء أصله هو [illegible] هار أصله هائر وهو مقلوب

يقال لاث الشيء به اذا دار فهو لاث والاصل لائث وكما قالوا شاكي السلاح في شائك قال فتعرفوني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم وكما قال العجاج لاث به الاشاء والعبري اي مطيف به قال ابو علي والهمزة من هار منقلبة عن الواو لانهم قالوا تهور البناء اذا تساقط وتداعى وفي الحديث … حتى انهار الليل … وهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء لانهيار والانهيار يفاد بانه في المعنى كما يفاد بانه في اللفظ الاعراب قد تقدم ذكرنا الاعراب في قوله والذين اتخذوا يجوز ان يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك الى الغي فلا تسمع منه فاذا قدرته فلا تسمع عاد تقديره وكذلك التقدير في الاية لا تقم في مسجدهم ابدا … للاختصاص ويجوز ان يكون خبر الذين قوله افمن اسس بنيانه … منهم هؤلاء ام من اسس من الذين اتخذوا والضرار منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا … على المعنى لان اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا من اول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومذ هذا الاكثر استعمالها في الزمان ومن جائز دخولها ايضا لانها الاصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومنه قول زهير لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر … ان تقوم في موضع نصب الى احق بان تقوم فيه فنصب الموضع بقوله تقوم وفيه من قوله فيه رجال في موضع رفع لانه خبر مبتدأ مقدم عليه المبتدأ رجال ولا يجوز ان يكون من نوع الموضع بكونه صفة المسجد … والوقف التام على قوله احق ان تقوم ثم استونف الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لانا لو جعلنا الظرف الذي هو فيه صفة المسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو احق وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو علي القول فيه انه يجوز ان يكون المعادلة وقعت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام المؤسس بنيانه غير متق لان قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كانه ابناء من اسس بنيانه متقيا خير ام بناء من اسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر وقع على المبني مثل الخلق اذا عنيت به المخلوق وضرب الامير اذا عنيت به المضروب كذلك نسج اليمن … فلا يجوز ان يكون الحدث لانه انما يوسس البنيان الذي هو عين … وقوله على شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وعلى شفا جرف هار في موضع نصب على الحال تقديره افمن اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه غير متق وفاعل انهار البنيان اي انهار البنيان به في نار جهنم لانه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الراء من التكرير فكانك لفظت براءين مكسورتين فحسنت الامالة لكثرة الكسر ومن لم يمل فلان ترك الامالة هو الاصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم … استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه …

النزول قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا الى رسول الله ان ياتيهم فاتاهم وصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجدا نصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحارث فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء فلما فرغوا منه اتوا رسول الله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال اني على جناح سفر ولو قدمنا اتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الاية في شان المسجد

المعنى ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال والذين اتخذوا مسجدا والمسجد موضع السجود في الاصل وصار بالعرف اسما للبقعة المخصوصة المبنية للصلوة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة ضرارا اي مضارة يعني للضرر باهل مسجد قبا او مسجد الرسول ليقل الجمع فيه وكفرا اي ولاقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخاذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله والاسلام وتفريقا بين المؤمنين اي لاختلاف الكلمة وابطال الالفة وتفريق الناس عن رسول الله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اي وارصدوا ذلك المسجد اي اتخذوه واعدوه لابي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي المدينة حسده وحزب عليه الاحزاب ثم هرب بعد فتح مكة الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله ابا عامر الفاسق وكان قد ارسل الى المنافقين ان استعدوا وابنوا مسجدا فاني اذهب الى قيصر واتي من عنده بجنود واخرج محمدا من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ان هؤلاء يحلفون كاذبين ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على اهل الضعف والعلة من المسلمين فاطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال والله يشهد انهم لكاذبون وكفى بشهادة الله سبحانه بكذبهم خزيا فوجه رسول الله عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه واحرقاه وروي انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه وامر بان يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه ان تقوم في هذا المسجد فقال لا تقم فيه ابدا اي لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسم فقال لمسجد اسس على التقوى اي بني اصله على تقوى الله وطاعته من اول يوم اي منذ اول يوم وضع اساسه احق ان تقوم فيه اي اولى بان تصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قبا عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري ورووه عن النبي انه قال هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للاسلام واريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال فيه اي في هذا المسجد الذي اسس على التقوى رجال يحبون ان يتطهروا اي يحبون ان يصلوا لله تعالى متطهرين بابلغ الطهارة وقيل يحبون ان يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق وروي عن النبي انه قال لاهل قبا ماذا تفعلون في طهركم فان الله قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم والله يحب المطهرين.

ثم فرق سبحانه بين المسجدين فقال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم … المراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما ان من بنى على جانب هذا النهر فانه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فان عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الانكار وليس معنى خير في الاية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر ويقال الخير والشر في قرن فالخير متبع والشر … والله لا يهدي القوم الظالمين … لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكا في قلوبهم … الا ان تقطع قلوبهم اي الا ان يموتوا والمراد بالاية انهم لا ينزعون عن خطيئتهم ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم … الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما … والله عليم حكيم … قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله بن مسعود والاعمش التائبين العابدين بالياء الى اخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله

الحجة قال ابو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلانهم يقاتلون اولا في سبيل الله … ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لان المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فان لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله فيقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون فعلى القطع والاستئناف اي هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله اي لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون … واما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جرا وان يكون نصبا اما الجر فعلى ان يكون صفة للمؤمنين اي من المؤمنين التائبين واما النصب فعلى المدح كانه قال اعني او امدح التائبين

اللغة السائح … من ساح في الارض يسيح سيحا اذا استمر في الذهاب ومن ذلك السيح الماء الجاري ومن ذلك سمي الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى

الاعراب وعدا نصب على المصدر لان قوله اشترى يدل على انه وعدهم … صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها

المعنى لما تقدم ذكر المؤمنين … بالترغيب في الجهاد فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة حقيقة الاشتراء لا يجوز على الله تعالى لان المشتري انما يشتري ما لا يملك وهو عز اسمه المالك للاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطفا لتأكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على جهة المجاز … يبذلون انفسهم في الجهاد في سبيل الله واموالهم ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة … ولا بد من اقامة الدليل على صحة … ولا يكون الا بالنية … لان النفس والمال لله … والتمر … انت … تنبيه لهم … ولذلك عظم … بيعا … يقاتلون في سبيل الله هذا بيان الغرض الذي لاجله اشتراهم فيقتلون المشركين ويقتلون … وعدا عليه حقا معناه ان ايجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه … في التوراة والانجيل والقرآن وهذا يدل على ان كل امة امرت بالقتال ووعدت عليه الجنة عن الزجاج ومن اوفى بعهده من الله معناه لا احد اوفى بعهده من الله لانه لا ينسى ولا يخلف فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا بهذه المبايعة … وذلك هو الفوز العظيم اي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم الانفس والاموال فقال التائبون اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح العابدون اي الذين يعبدون الله وحده … بطاعته … وقيل هم الذين … فيعبدون الله في السراء والضراء … الحامدون … الذين يحمدون الله على كل حال … هم الشاكرون لنعم الله … السائحون اي الصائمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وروي مرفوعا عن النبي انه قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسيحون في الارض فيعتبرون بعجائب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض لطلبه عن عكرمة الراكعون الساجدون اي المؤدون للصلوة المفروضة التي فيها الركوع والسجود الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ادخل الواو هنا لان الامر بالمعروف يقتضي النهي عن المنكر فكانهما شيء واحد لانه قرين

النهي عن المنكر بالامر بالمعروف في اكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة والحافظون لحدود الله والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدون فرائض
الله واوامره ويجتنبون نواهيه لان اوامر الله حدود الله واوامره ونواهيه انما ادخل الواو لانتجاوره وهو اقرب الى المعطوف وبشر المؤمنين هذا امر للنبي ان يبشر
المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد ذكر اصحابنا ان هذه صفة الائمة المعصومين لانه لا يكاد
يجمع هذه الاوصاف على تمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى
من المؤمنين الاية فقال اتم الاية الاخرى التائبون العابدون الى اخرها ثم قال اذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج قوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم اللغة اصل الاواه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوه تأوها وأوه تأويها
قال المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين ولو جاء منه فعل ... قال ابو عبيدة العرب تقول أوه من كذا بكسر
الواو وتسكين الهاء قال فأوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض بيننا وسماء والعامة تقول آه وفيه خمس لغات بسكون الواو وكسر الهاء ... بالتنوين

[illegible]

بالتاء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وابو عبد الرحمن السلمي وعكرمة
وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء الاول ان يضمر فيها القصة والحديث
ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وان كان لا يحتمل الضمير القصة انما هو القصة في الابتداء لان الخبر لازم لكاد فاشبه العوامل الداخلة على الابتداء المزيل الخبر له
قال ولا يجوز ذلك في عسى لان عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الامر فلا يلزمه الخبر كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
فاذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد ... الافعال التي تسند الى فاعليها مما لا يدخل على المبتدأ والثاني ان يضمر في كاد ذكر مما تقدم
لما كان النبي والمهاجرون والانصار قبيلا واحدا وفريقا واحدا جاز ان يضمر في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الاسماء المفردة
الدالة على الجمع وقال بعضهم يحمله على المعنى مثل قوله من آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه والثالث ان يكون
فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ... ان كان فيه ذكر من القلوب لم يمتنع من حيث

[illegible]

سورة التوبة الجزء الحادي عشر من الكتاب

وضاقت عليهم أنفسهم هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفونها فيه وقيل معناه ضاقت نفوسهم صدورهم بالهم والحسرة
فيها وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وأيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به يلجئون إليه غيره تعالى ومعناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به ولا ينجيهم
من عذاب الله إلا التوبة ثم تاب عليهم ليتوبوا أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية وقيل معناه ثم
تاب على الثلاثة وأنزل توبتهم على نبيه ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن والله ما سفكوا من دم ولا أخذوا من مال ولا
قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله وتخلف هؤلاء وكان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لأهله والآخر طلب اللذة ثم
ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم إن الله هو التواب أي الكثير القبول للتوبة الرحيم بعباده. النظم اتصلت الآية الأولى بقوله التائبون الآية أثنى الله سبحانه عليهم
وبين في هذه الآية قبول توبتهم وتضاعفهم باتباعهم للنبي في ساعة العسرة عن أبي مسلم وقيل إنه سبحانه لما ذكر أن له ملك السماوات والأرض وأنه ما من أحد دونه
عقبه برحمته بالمؤمنين ورأفته بهم وقبول توبتهم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. القراءة في مصحف عبد الله وقراءة ابن
عباس من الصادقين وروي ذلك عن أبي عبد الله. اللغة الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح لا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه. المعنى
ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين والمصدقين المقرين بنبوة نبيه فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي اتقوا معاصي الله واجتنبوها وكونوا مع الصادقين الذين
يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبوهم ورافقوهم كذلك كقولك أنا مع فلان في هذه المسألة
أي أقتدي به فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء
الصادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب
جعفر بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي وأصحابه وروى جابر عن أبي جعفر في
قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد وأصحابه عن نافع وقيل مع الذين
صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس وقيل إن معنى مع هنا معنى من وكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين
ويعضده قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان لأن مع للمصاحبة ومن للتبعيض فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم قال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد
ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا إن شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة قوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا
عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون
من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما
كانوا يعملون آيتان. اللغة الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظمأ شدة العطش والنصب التعب مثله الوصب قال النابغة
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب والمخمصة المجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الأرض
والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغيظه. المعنى لما قص الله سبحانه قصة الذين تخلفوا عن الخروج مع النبي إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم
عن ذلك وتوبتهم منه وأنه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ثم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والأزراء على ما كانوا فعلوه فقال ما كان
لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل
مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه في غزاة تبوك ذكر ظاهراً بغير عذر وقيل إنه عنى مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم ولا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه هذه فريضة ألزمهم الله إياها لحق رسول الله فيما دعاهم إليه من الهدى
الذي به نجوا من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي
ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ذلك أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف بأنهم لا يصيبهم ظمأ أي عطش ولا نصب أي ولا تعب في أبدانهم ولا مخمصة
في سبيل الله أي ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار أي لا يضعون أقدامهم موضعاً يغيظ الكفار وطؤهم إياه ويغيظ دار الحرب فإن
الإنسان يغيظه ويغضبه أن يطأ غيره موضعه ولا ينالون من عدو نيلاً أي ولا يصيبون من المشركين أمراً من قتل أو جراحة أو مال أو أمر يغمهم ويغيظهم إلا كتب لهم به عمل صالح
وطاعة رفيعة إن الله لا يضيع أجر المحسنين أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحقون بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وإتمام الخير ولا ينفقون نفقة
صغيرة ولا كبيرة أي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبيل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك إعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله
تعالى ولا يقطعون وادياً أي ولا يجاوزون وادياً إلا كتب لهم ثواب ذلك ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون أي يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم
من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل إن الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال ما هو واجب ومندوب ومباح وإنما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح
فيقع الجزاء على الحسن لا على الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يثيبهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والإتيان هنا لأن على قدر الجهاد
مع رسول الله وخطر التخلف عنه بعد الخلف في ذلك فقيل المراد جميع من دعاه النبي إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ثم اختلف
فيه من وجه آخر فقيل إنه خاص بالنبي ليس لأحد أن يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل إن ذلك لأول هذه الأمة
وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل إن هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فلما الآن وقد كثر الإسلام وأهله فإنه منسوخ

الجزء الثالث والثلاثون من الكتاب

وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد هذا هو الأقوى لأنه لا خلاف أن الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان قوله تعالى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون يا أيها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه
إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أربع آيات. اللغة التفقه تعلم الفقه والفقه العلم
بالشيء وفي حديث سلمان أنه قال لامرأة فقهت أي علمت وفهمت فأما فقهت بضم القاف فمعناه صار فقيهاً وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل
عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال لله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة قال الزجاج يقال غلظة وغلظة وغلظة ثلاث
لغات قال أبو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي لغة بني تميم والمراد بالمرض في الآية الشك لأنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما أن الفساد في البدن يحتاج إلى المداواة ومرض القلب
أعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطباؤه أقل. الإعراب لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتحضيض إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود
غيره ليتفقهوا أي ليتفقه الباقون لأنه إذا نفرت طائفة منهم تفقه من بقي منهم وإن شئت جعلته للنافرة لأنه من نفر منهم إذا رجع يتعلم ممن بقي فصار كلهم فقهاء
وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرون. النزول قيل كان رسول الله إذا خرج غازياً لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذورون فلما أنزل الله
تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ولا سرية أبداً فلما أمر رسول الله بالسرايا إلى الغزو
نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله وحده فأنزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي وقيل إنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله خرجوا
في البوادي فأصابوا من الناس معروفاً وخصباً ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس ما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك
حرجاً وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد. المعنى لما تقدم الترغيب في الجهاد والأمر بالنفر والترهيب لمن يتخلف
عنه بالغ الترغيب والترهيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في التأخر من تأخر عنه فقال سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة وهذا نفي معناه النهي أي ليس للمؤمنين
أن ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم ويتركوا النبي فريداً وحيداً وقيل معناه ليس عليهم أن ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ليتعلموا الدين ويضيعوا من وراءهم ويخلوا
ديارهم عن ابن عباس فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدة يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل
بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم إن الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فيتعلمه السرايا فذلك قوله ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم
أي وليعلموهم القرآن ويخوفوهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر كان هذا حين كثر
الناس فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفة ويقيم طائفة للتفقه وأن يكون الغزو نوباً وثانيها أن التفقه والإنذار يرجعان إلى الفرقة النافرة وحثها الله تعالى على التفقه لترجع
إلى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا
إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبرونهم أنهم لا يدان لهم بقتال النبي والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يقاتلوا النبي فينزل بهم ما نزل بأصحابهم
بأصحابهم من الكفار عن الحسن وأبي مسلم قال أبو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وإنذار قومهم وثالثها أن التفقه والإنذار يرجعان إلى النافرة والتقدير وما كان
لجميع المؤمنين أن ينفروا إلى النبي ويخلوا ديارهم ولكن لينفر إليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك
وتنذرهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وإنما سمي ذلك نفراً لما فيه من مجاهدة أعداء الدين قال القاضي أبو عاصم في هذا دليل على اختصاص
الغربة بالتفقه وأن الإنسان يتفقه في الغربة ما لا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أي قاتلوا
من قرب منكم من الكفار الأقرب منهم فالأقرب في النسب والدار قال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل
كل بلد أن يخرجوا إلى قتال الأبعد ويدعوا الأقرب والأدنى لأن ذلك يؤدي إلى الضرر وربما منعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الأقرب موادعة
فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد على ما يراه الإمام المتولي لأمور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لكان لا يصح لأنه لا حد للأبعد يبتدأ منه كما للأقرب
وفي هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس أمروا أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى
من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر هم الروم لأنهم سكان الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وكان الحسن إذا سئل عن قتال الروم
والترك والديلم تلا هذه الآية وليجدوا فيكم غلظة أي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليجدوا منكم بغضاً لهم
وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجراً لهم واعلموا أن الله مع المتقين عن الشرك أي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصره لم يغلبه أحد فأما إذا نصره سبحانه
بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فمنهم أي من
المنافقين من يقول على وجه الإنكار أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيماناً وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في إيمانهم ضعف أيكم زادته هذه
السورة إيماناً أي يقيناً وبصيرة فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً معناه فأما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقاً بالفرائض مع إيمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة
الإيمان أنهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما نزل الآن وهم يستبشرون أي يسرون ويبشر بعضهم بعضاً قد تهللت وجوههم فرحاً بنزولها وأما
الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق فزادتهم رجساً إلى رجسهم أي نفاقاً وكفراً إلى نفاقهم وكفرهم لأنهم يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور
فذلك هو الزيادة وسمي الكفر رجساً على وجه الذم له وأنه يجب تجنبه كما يجب تجنب الأرجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها مثله كفى بالسلامة داء

وقول الشاعر وحسبك داء ان تبيت ليلة وماتوا وهم كافرون اى وادّاهم شكهم فيما انزل الله تعالى من السور الى ان ماتوا على كفرهم ابوا شر عاقبة قوله تعم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم القراءات اولا يرون بالتاء حمزة ويعقوب في قراءة ابن ... والقراءة المشهورة من انفسكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن محيصن والزهري من انفسكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة الحجج من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تقريع للمنافقين بالاعراض عما يجب ان لا يعرضوا عنه من التوبة والاقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرأ من انفسكم فمعناه من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا انفس المتاع اى اجوده وخياره واشتقاقه من النفس كما شرفها ... الا انها اللغة العزيز الشديد والعزيز في صفة الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريد والعزم امتثال الشيء ... منه ما يجاوزه منه هو على ثلاثة اوجه مثال الشيء بالطاقة او بالتلاوة بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والاذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة تعنت عنتا اذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكانه شق عليه الجري واكمة عنوت شاقة المصعد حسبي الله اى كافي الله وهو من احسب الامر ... يعطي بحسب الكفاية الى تقنع عن ... ويديه من نعمه ما لا يبلغ الى حكمة نهاية اذ نعمة انه ومنه مشورة منظاهرة والتوكل تفويض الامر الى الله تعالى على التقرب بحسن تدبيره وكفايته الاعراب اولا يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان تكون المتعدية الى مفعولين وان تكون من رؤية العين فاذا كانت المتعدية الى المفعولين سد مسدهما وان كانت من رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال والتقدير حسبي الله مستحقا لاخلاص العبادة والاقرار بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرئ بالرفع على ان يكون صفة الرب لجاز المعنى ثم شنع على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال اولا يرون ولا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل معناه اولا يبصر كانهم يفتنون اى يمتحنون في كل عام مرة او مرتين اى دفعة او دفعتين بالامراض والاوجاع وهو رائد الموت ثم لا يتوبون اى لا يرجعون عن كفرهم ولا هم يذكرون اى لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون من نصرة الله ... رسوله ما ينال اعداءه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض معناه واذا انزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي كرهوا ما فيه ... ونظر بعضهم الى بعض نظر ابو ... هل يريكم من احد انما يفعلون ذلك لانهم منافقون يحذرون ان يعلم بهم فكانهم يقول بعضهم لبعض هل يريكم من احد ثم يقومون فينصرفون وانما يفعلون ذلك مخافة ان تنزل آية تفضحهم كانوا لا يقولون ذلك بالسنتهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكانه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم الى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ثم يقولون هل يرينا احد من المسلمين فاذا تحقق لهم انهم لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا ان يراهم احد منهم كفوا عنه ثم انصرفوا اى انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به صرف الله قلوبهم عن الفوائد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي وقيل انه على وجه الدعاء عليهم اى خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعا الله على عباده وعيدا لهم واخبارا بلحاق العذاب عن ابي مسلم بانهم قوم لا يفقهون اى ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لانهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق واكد خطابه بالقسم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عنى بالرسول محمدا اى جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسمعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب لانه ليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق وروي عن ابن عباس عن النبي انه قال انا ولدي من نكاح اهل الجاهلية شيء وما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وانما من الله سبحانه عليهم بكونه منهم لانهم اذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيرا وكبيرا وعرفوا حاله في صدقه وامانته ولم يعثروا على شيء يوجب نقصا فالحري ان يكونوا اقرب الى القبول منه لا نفيا له عزيز عليه ما عنتم معناه شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه ما اثمتم عن الكلبي والضحاك وقيل ما اعنتكم وضركم عن القتيبي وقيل ما اهلككم عليه عن ابن الانباري حريص عليكم معناه حريص على من لم يؤمن ان يؤمن عن الحسن وقتادة بالمؤمنين رءوف رحيم قيل هما واحد والرأفة شدة الرحمة وقيل رءوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رءوف باقربائه رحيم باوليائه رءوف لمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا النبي فانه قال بالمؤمنين رءوف رحيم وقال ان الله بالناس لرءوف رحيم فان تولوا اى ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يامرهم به واعرضوا عن قبوله وقيل معناه فان تولوا عنك عن الاقرار بنبوتك فقل حسبي الله اى كافي الله فانه القادر على كل شيء لا اله الا هو عليه توكلت به وثقت وعليه اعتمدت وامري اليه فوضت وهو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر تفخيما لشانه ولانه اذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه رب الملك العظيم في السموات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال آخر القرآن عهدا بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة

سورة يونس هي مكية في قول الاكثرين عن ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخرهن وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن به الآية فانها نزلت في اليهود بالمدينة عدد آيها مائة وتسع آيات عند الجميع غير الشامي فانه يقول وعشر آيات اختلافها ثلاث آيات مخلصين له الدين شفاء لما في الصدور الشاكرين ... فضلها ابي بن كعب عن النبي قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ودعو عن ابي عبد الله قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه ان يكون

سورة يونس

من الجاهلين وكان يوم القيمة من المقربين تفسيرها لما ختم الله سورة البراءة بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره وما انزل عليه من القرآن فقال بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين القراءة قرأ الر بامالة الراء ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم الا يحيى وقرأ الباقون بالتفخيم وقرأ لساحر بالالف ابن كثير واهل الكوفة وقرأ الباقون لسحر بكسر السين من غير الف الحجة قال ابو علي من امال فقال را ويا فلانهما اسمان لما يلفظ بها من الاصوات المنقطعة في مخارج الحروف كما ان غاق اسم للصوت الذي يصوت الغراب فجازت الامالة فيهما من حيث كانت اسماء ولم تكن كالحروف التي يمتنع فيها الامالة نحو ما ولا فتشبههما من الحروف ... ان الاسماء لا تكون على حرفين احدهما حرف لين وانما يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما ولا فالقول ان هذه الاسماء لا يمتنع ان تكون على حرفين احدهما حرف لين لان التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق بها ان تبقى على حرف واحد فاذا امن ذلك لم يمتنع ان يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذه شاة ومجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التانيث به كذلك قولك ذا ... وجعلوا ذا لان الاحسن ... كذلك قولهم كي فانه قد قال وبدل على قول من قال السحر قوله سبحانه قالوا هذا سحر وانا به كافرون وبدل على ساحر قوله قال الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا الى رجل منهم فمن قرأ ساحرا اراد الرجل ومن قرأ سحرا اراد الذي اوحي سحر اللغة الآية العلامة التي تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن متصل بالآيات متضمن الحكم الآيات للشبهات والحكيم ههنا بمعنى الحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها وانشد ابو عبيدة لابي ذويب ... لتزلم ولم يشعر ان اذا خليفة تخلف عن خلفته او عد قيل هو بمعنى الحاكم ودليله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال الازهري القدم الشيء الذي تقدم قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المتقدم كالنقض في المنقوض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج زل بنو العوام عن الحكم وتركوا الملك لملك ذي قدم وقال الازهري ولان يمشي القدمية والتقدمية اذا تقدم في الشرف قال ابو عبيدة والكسائي كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم في الاسلام وهو مؤنث يقال قدم حسنة قال حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع وقال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر الاعراب تلك آيات الكتاب لانها ابعاض الكتاب كان سورة ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بانه اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بان انذر فحذف الجار وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر لكان جائزا لان البشارة في معنى القول الا انه لم يقرأ به واضيف القدم الى الصدق لانهم قدموا صدقا كما يقال مسجد الجامع المعنى قد مضى الكلام في معنا الحروف المعجمة المذكورة في اوائل السور ومن قيل تلك آيات الكتاب الحكيم معناه ان الآيات التي جرى ذكرها او الآيات التي انزلت على محمد هي آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك هي هذه السور آيات الكتاب الحكيم اي اللوح المحفوظ وسماه محكما لانه ناطق بالحكمة وقيل لانه جامع للعلوم والحكم وقيل انما وصف الكتاب بالحكيم لانه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولانه يؤدي الى المعرفة التي تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس هذه الف استفهام المراد به الانكار وقيل ان المراد بالناس هنا اهل مكة قالوا لعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب فقيرا كان ابعد ... الى رجل من الناس بان يبعثهم عجبا معناه لماذا تعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي يجب جعله عند كل العقلاء فان الله تعالى لما اكمل العقلاء حقوقهم وكلفهم معرفته وشكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الا بداع يدعوهم اليه ومنبه ينبههم عليه وجب في الحكمة ان يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذي لاجله يبعث الداعي فقال ان انذر الناس اي خبرهم بالعذاب خوفهم به وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي ان لهم منزلة الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والاجلال لصالح الاعمال وقيل انهم قدموا سلفا لهم اجرا حسنا وعن الزجاج وغيره جزاء ما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عن ابي سعيد الخدري ان القدم سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وتقويه قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل هو تقديم الله تعالى اياهم في البعث يوم القيمة بيانا قوله نحن السابقون الاولون الآخرون يوم القيمة وقيل ان القدم اسم للحسن من العبد واليد اسم للاحسان من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معناه تقدم شفاعة محمد لهم يوم القيمة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله قال الكافرون ان هذا لساحر مبين يعنون النبي اي قالوا هذا ساحر وظهر للسحر فيه الذي به سحر بين على الخلاف القراءتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا الى وصفه بالسحر قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اية ثلث القراءة قرأ ابو جعفر المدني انه يبدؤ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها الحجة من قرأ انه فتقديره وعد الله حقا لانه يبدؤ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الامر العظيم فانه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا انه يبدؤ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعد قال ابن جني ولا يجوز ان يكون انه منصوبا الموضع بنفس وعد لانه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصلة من صفته واما اذا كان ما بعد الصلة من صفته فاما قول الحطيئة ازمعت يأسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحر كالياس فان قوله من نوالكم ليس من صلة ياس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله يأسا مبينا فكانه قال فيما بعد يئست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعولا كانه في قول الشاعر احقا عبادا الله ان لست زائرا ... تلقى الثريا رقيبها اللغة القسط العدل ومنه المقسط اى العادل والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في الرجلين والحميم

سورة يونس الجزء الحادي عشر من الكتاب القرآن

الماء الذي يحمى بالنار واشد اسخانا قال المرقش الاصغر وكل يوم لها مقطرة فيها كباء معد وحميم آن الا غراجيعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر
لان قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا منصوب على الحق ذلك حقا عن الزجاج واضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول
كعب بن زهير تسعى الوشاة جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اي ويقولون قيلهم المعنى ان ربكم ايها الخلق ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصرفكم من
امركم ونهيكم الذي يجب عليكم عبادته الله الذي خلق السموات والارض اخترعهما وانشاهما على ما فيهما من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة في ستة ايام بلا زيادة ولا نقصان
مع قدرته على انشائهما دفعة واحدة والوجه ان في ذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم فالخبر والاعتبار لك كذلك تعريض الانسان بالابتداء واخراج الثمار والاوقات
شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك فاقل من لمح البصر ثم ذلك بعد من توهم الاتفاق وبه ثم استوى على العرش مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور
هنا هو السموات والارض لانهن من بناه والعرش البناء واما العرش المعظم الذي تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والاعظام له وعناه بقوله الذين يحملون العرش ومن
حوله فهو غير هذا وقيل ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير تقديره اي ثم استوى عليه فبناه التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء

الجزء الرابع والثلاثون من الكتاب

دار السلام اي طيبة اللغة الغفلة والسهو من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضه اليقظة والدعوى قول يدعو الى امر والتحية التكريم بالحال الجليلة
لذلك سموا الملك التحية قال ... وهو ماخوذ من قولهم حياك الله اي احياك وطيبة المعنى ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن آياته
المنقعة المكذبين بالمعاد فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لقاء جزائنا وثوابنا ... يحتمل ان يكون المعنى لا يخافون
عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... فلا يعملون لها ولا يجتهدون
كما جعل ... ورضوا بالحياة الدنيا اي رضوا بها عوضا من الآخرة ... والذين هم عن آياتنا غافلون
لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ... واطمأنوا بها اي سكنوا الى الدنيا ... فقال ان الذين آمنوا

الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل الثواب وانما غرضه زوال ما هو فيه من الالم والشدة وقيل ان تقديره واذا مس الانسان الضر مضطجعا او قاعدا او قائما
دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير فلما كشفنا عنه ضره اي فلما ازلنا عنه ذلك الضر ووهبنا له العافية مر اي استمر على طريقته الاولى

[illegible]

[illegible]

كنتم تعملون تلك آيات القراءة قرء روح وزيد عن يعقوب سهل عكرمون بالياء والباقون بالتاء وقرء ينشركم بالنون والشين من النشر ابو جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين ... بالنصب والباقون بالرفع الحجة من قرء يمكرون بالياء فلقوله اذا لهم مكر في آياتنا ومن قرء بالتاء فللخطاب ... قل لهم ان رسلنا يكتبون ما تمكرون ومن قرء يسيركم فقوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله قل سيروا في الارض ...

[illegible]

ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ايتان القراءة ... قراءة الاعرج والشعبي وابي العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف ... وازينت ...

[illegible]

وافضل ما يمكن وهي تابعة للاحسن زيادة وذكر في ذلك وجوه احدها ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهي المضاعفة
المذكورة في قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وثانيها ان الزيادة هي ما يعطيهم الله من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة عن ابي
جعفر الباقر وثالثها ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن علي وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ورابعها ان الزيادة
هي النظر الى وجه الله تعالى ورووا ذلك عن ابي بكر وابي موسى الاشعري وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ولا
يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار ولا ذلة الى هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتادة وروى العياشي باسناده عن
ابي جعفر الباقر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عين ترقرقت بمائها الا حرم الله ذلك الجسد على النار فان فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مر معناه والذين كسبوا السيئات اي كسبوها او ركبوها جزاء سيئة بمثلها اي لهم جزاء كل سيئة مثلها يعني يجزون بمثل
اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لان ذلك تفضل يحسن
فعله ابتداء فالمراد هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان وترهقهم ذلة اي يلحقهم هوان وذلك لان العقاب يقارنه الاهانة والاذلال ما لهم من الله من عاصم اي ما
لهم من حافظ ومانع يمنع عقاب الله عنهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اي كانما البست وجوههم ظلمة الليل المراد وصف وجوههم بالسواد كقوله
سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المراد قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك

[illegible]

كانوا يفترون اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه بافترائهم من الشركاء مع الله تعالى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال
فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ثلاث آيات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي حم المؤمن على الجمع وكذلك
في سورة المؤمن والباقون على التوحيد الحجة قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين احدهما ان يكون جعل ما اوعد به الفاسقون كلمة وان كانت في الحقيقة كلمات
لانهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة والآخر ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر ببطن شريان يعوي الذئب فاما من جمع فانه جعل الكلم التي توعدها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات كما تجمع غيرها
كذلك حقت الكاف في موضع نصب اي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون يكون الكلمة وعدا بمن العقاب المعنى ثم قرر سبحانه ادلة التوحيد فاحتج
عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من يرزقكم اي من يخلق لكم الارزاق من السماء بانزال المطر والغيث ومن الارض باخراج النبات بانواع الثمار والرزق في
اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند الا ان كل رزق فان الله هو الرازق به لانه لو لم يطلقه على يدي ذلك الانسان لم يحصل فلا يطلق اسم الرزاق الا
على الله تعالى ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب الا عليه ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز ان يملك الله تعالى عبدا من عبيده التصرف فيه
بما به قوام الغذاء ام من يملك السمع والابصار معناه ام من يملك ان يعطيكم الاسماع والابصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها ومن يخرج

[illegible]

على غير مثال يقينية ثم نعيده يوم القيمة فانى تؤفكون اى كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الايمان ثم استانف الحجاج فقال لنبيه قل يا محمد هل من شركائكم من
يهدى الى الحق اى هل من هذه الاصنام من يهدى الناس الى الرشد ويرشد الى الصلاح والنجاة والخير بان ينصب لها حججا يظهرها فلا بد من ان يجيبوا بلا فقل انتم
الله هو الذى يهدى للحق الى طريق الرشاد يقال هديته الحق وهديته للحق بمعنى واحد افمن يهدى الى الحق معناه افمن يهدى غيره الى طريق التوحيد والرشد للحق احق ان يتبع
امره ونهيه ام من لا يهدى احدا الا ان يهدى او لا يهتدى هو الا ان يهدى والاصنام لا تهتدى ولا تهدى احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها لكن الكلام نزل على
انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها الهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك الا ترى الى قوله ويعبدون من دون ترى
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وانما هم موات الا ترى انه قال فادعوهم
فليستجيبوا لكم ارجل لهم يمشون بها الاية وكذلك قوله وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فاجرى عليهم اللفظ كما يجرى على من يعلم
على هذا نقول الا ان يهدى الا بمنزلة حتى فكانه قال ام من لا يهتدى حتى يهدى ام لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وان كان لو دل او علم لم يستدل
لو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم في قلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم وقال البلخي لا يهدي الا ان يهدى لا يهتدى بمعنى واحد يقال هدى
فهدى اى اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لانهم يهتدون اذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون الى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا
يهدى الا ان يهدى لا يتحرك الا ان يحرك ولا ينتقل الا ان ينقل كقول الشاعر حيث يهدى ساقه قدمه اى يحمل وقيل معناه الا ان يركب الله فيه آلة التمييز
ويرزقه فهما وعقلا فان هدى اهتدى فما لكم قال الزجاج هذا كلام تام كانه قال اى شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع كيف تحكمون هذا تعجب من حالهم اى كيف قال
تقضون بان هذه الاصنام الهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجبه الحجة ولا تشهد بصحته الادلة وما يتبع اكثرهم الا ظنا اى ليس يتبع
اكثر هؤلاء الكفار الا ظنا الظن الذى لا يجدى شيئا من تقليد ابائهم ورؤسائهم ان الظن لا يغنى من الحق شيئا لان الحق انما ينتفع به من علمه حقا وعرفه معرفة
صحيحة والظن ان يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم ان الله عليم بما يفعلون من عبادة غير الله ثم يجازيهم عليه وفيه ضرب
من التهديد قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون
افتريه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين اربع ايات اللغة القرآن عبارة عن هذا الكلام الذى هو
في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل التبيين والتمييز نظائره وضده التلبيس والتخليط والسورة جملة من التنزيل تحيط بايات الله كاحاطة
سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة التي يستطاع بها الجوارح للفعل وهي ماخوذة من الطوع والقدرة ماخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل
وان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى الاعراب وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اى لان يفترى ويجوز ان يكون المعنى ما كان هذا القرآن افتراء ويكون محله
رفع وموضع نصب بانه خبر كان وتصديق عطف عليه اى ولكن كان تصديق الذى بين يديه ام يقولون افتريه ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل يقولون وكيف في موضع نصب
على انه خبر كان المعنى ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله وقولهم ان النبي افترى هذا القرآن فقال وما كان هذا القرآن ان
يفترى اى افتراء من دون الله فاعلم ان صح الفعل من غير المعتمد بل هو وحى من الله وعلم منه لكن تصديق الذى بين يديه من الكتب كما قال في موضع مصدقا لما بين
يديه وهذه شهادة من الله بان القرآن مصدق وشاهد لما تقدم في التورية والانجيل والزبور بانها حق ومن الله وهو شاهد لها من حيث انه مصدق لها في المتفق
على ما تقدم من البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذى بين يديه من البعث والنشور والحساب والجزاء وتفصيل الكتاب اى تبيين المعاني المجملة في القرآن من
الحلال والحرام والاحكام الشرعية وقيل معناه تبيين الادلة التى تحتاجون اليها في امور دينكم لا ريب فيه من رب العالمين اى لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه
سحر لا يقدر احد على مثله وهذا غاية في الاحتجاج ام يقولون افتريه هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضى حجة اخرى بل يقولون افتريه هذا الزمهم على هذا وتقديره
الاصل الفاسد ان كان كما تزعمون فقل لهم فاتوا بسورة مثله اى مثله في البلاغة لانكم من اهل اللسان وقد عجزتم عن ذلك انتم ايضا على الاتيان بمثله
في ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله غير انه قيل بسورة مثله وقال مثل سورة وقال مثله لانه انما التمس منه شبه الجنس
وادعوا من استطعتم من دون الله اى وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا بهم على المعارضة بسورة مثله ان كنتم صادقين في ان هذا القرآن من
من دون الله وهذا ايضا غاية في الحجاج والتعجيز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى كذبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه لان في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج
الى الفكر فيه والرجوع الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم انشاء مثلها لجهلهم بنظمها وترتيبها قال الحسن معناه بل كذبوا من
غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والثواب والعقاب ولما ياتهم تأويله اى لم ياتهم بعد حقيقة ما وعدوا في الكتاب مما
يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه ان في القرآن اشياء لا يعلمونها ولا يمكنهم معرفتها الا بالرجوع الى النبي فلم يرجعوا اليه وكذبوا به فلم ياتهم تفسيره وتأويله
فيكون معنى الاية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم ياتهم تفسيره ولو رجعوا فيه الى رسول الله لعلموه وروى عن ابي عبد الله انه قال خص هذه الامة بايتين من
كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الاية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه الاية وقيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرئ ما يحسنه من قوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن

ذكرنا

ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في لحن القول كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل تكذيب
هؤلاء كذبت الامم السالفة رسلها فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اى كما كان عاقبة اولئك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من
جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه الى الافتراء من سيؤمن به في المستقبل ويعتقد انه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال ومنهم من يؤمن
به ومنهم من لا يؤمن به واراد سبحانه انه انما يهلكهم في الحال لما يعلم في تبقيتهم من الصلاح قيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته الا انه
يعانده ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكانه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون وربك اعلم بالمفسدين اى بمن يديم على الفساد
ويعلم من يتوب قوله تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع
الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه فقال وان كذبوك يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك فقل لهم لي عملي فان كنت كاذبا فوباله علي ولكم عملكم اى ولكم
جزاء عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون نظيره قوله قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تع كقوله اعملوا على مكانتكم ونحو
وقيل ان هذه الاية منسوخة باية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الاية واية القتال لانها براءة ووعيد وذلك لا ينافي الجهاد ومنهم من يستمعون اليك معناه
ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع منهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم فلذلك لزمهم الذم فانهم اذا سمعوا على هذا
الوجه كانهم صم لم يسمعوا حيث لم ينتفعوا به افانت تسمع الصم هذا خطاب للنبى بانه لا يقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون قال الزجاج معناه ولو
كانوا جهالا وهذا قول مثل الشاعر اصم عما ساءه سميع ومنهم من ينظر اليك اى ومن جملتهم من ينظر اليك يا محمد فلم يجر بلفظ الجمع هنا لانه حمله على اللفظ وقال
من يستمعون فاخبر بلفظ الجمع حملا على المعنى اى ينظر الى افعالك واقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون
اى وكما انك لا تقدر ان تجعل العمى يبصرون كذلك لا تقدر ان تنفع بالادلة من ينظر اليها الا لطلب الانتفاع بها وقوله افانت تسمع المراد به النفى وقيل ان معنى
الايتين منهم من يستمع الى كلامك استماع المتعنت وينظر الى جهادك نظر الطاعن القادح فيها للتكذيب بها الراد عليها فلا تقدر ان تنفعهم بمثل هذا الاستماع
والنظر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون مدح سبحانه في هذه الاية بانه لا يظلم احدا من الناس شيئا بان ينقص من حسناتهم ويزيد على سيئاتهم
لكنهم ينقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح والمعنى هنا ان الله تع لا يمنع احدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والادلة ولكنهم يظلمون
انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتفويتهم انفسهم الثواب وادخالهم عليها العقاب ففي الاية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فيبطل قول المجبرة في اضافة كل ظلم
الى خلقه وارادته النظم قيل في اتصال الاية الاولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوات فعاندوا وكذبوا امرهم فيما بعد بقطع الطمع عنهم وتسلية له
واما الاية الاخرى وهي قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في اتصالها بما قبلها انها تتصل بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعنى انهم استحقوا ذلك
الاهلاك وسوء العذاب بافعالهم وما ظلمناهم وقيل انها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر فكانه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم بل مكنهم وبين
لهم وهداهم وازاح علتهم ولكن ظلموا انفسهم بترك الانتفاع به عن ابى مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه لا يظلمهم اى لا ينقص من
حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم قوله تعالى ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين
واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ثلاث ايات القراءة قرأ حفص عن عاصم يوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة والاعراب قال ابو علي يحتمل قوله كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ثلثة اوجه احدها
ان يكون صفة من النهار ليوم والاخر ان يكون صفة للمصدر المحذوف والثالث ان يكون حالا من الضمير في يحشرهم فاذا جعلته صفة ليوم احتمل ضربين من التأويل احدهما
ان يكون التقدير كان لم يلبثوا قبله الا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اى كون من
قبله وكذلك قوله يتربصن بانفسهن اى بعدهم ويجوز ان يكون المعنى كان لم يلبثوا قبله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصفة كقولك الناس رجلان رجل اكرمت
ورجل اكرمته ومثل هذا في حذف المضاف واقامة الصفة المضاف اليه مقامه قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير جزاؤه واقع بهم
وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذى وصفنا وتمثلنا وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء من اللفظ لان الذكر من الحال قد عاد الى
الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة ولما نحشرهم فانه يصلح ان يكون معمولا لاحد شيئين احدهما ان يكون معمول يتعارفون والاخر ان يكون لما
دل عليه قوله كان لم يلبثوا فاذا جعلته معمولا لقوله يتعارفون انتصب على وجهين احدهما ان يكون ظرفا معناه يتعارفون في هذا اليوم والاخر ان يكون معمولا على
السعة على قوله يا سارق الليلة اهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل امرين احدهما ان يكون المعنى يتعارفون مدة اماتتهم التي وقع حشرهم بعدها فحذف المفعول لدلالة الكلام عليه
ونحو ذلك كثير ومعنى تفاعل كما يكون في قوله تخافتا او يكون اعمل الفعل الذى دل عليه يتعارفون الا انه يرى قد دل على يتعلمون ويتعرفون
مدة اللبث بينهما كما تعرفونها قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والاخر في التعارف ما جاء من قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والاخر ان يوم نحشرهم معمول ما دل عليه قوله
كان لم يلبثوا الا ساعة لان المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث فيعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمتنع المعنى من ان يعمل في الظرف وان تقدم الظرف عليه كقوله اكل
يوم لك ثوب وان حملته على هذا لم يجز ان يكون صفة للمصدر لان الموصول الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشرا كان لم يلبثوا

او لم يلبثوا

يتقدم عليها ما تعمل فيه ولا يجوز ايضا ان يجعل صفة ليوم على هذا لان الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح الموصوف كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فان
قلت فاذا قدرت كان لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولا له فان ذلك لا يجوز لان العامل في الحال يحشر ويحشر قد اضيف اليوم اليه
ولا يجوز ان يعمل في المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لان ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجز القتال زيدا حين تاتي واذا جعلت يتعارفون
العامل في يوم يحشرهم لم يجز ان يكون صفة ليوم على انك كانك وصفت اليوم بقوله لم يلبثوا ويتعارفون ووصفت يوم يحشرهم بجملتين لم يجز ان
يكون معمولا لقوله يتعارفون لان الصفة لا تعمل في الموصوف وجاز وصف اليوم بالجمل وان اضيف لان الاضافة ليست محضة فلم تعرفه ويدل على النون في
نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجمعناهم جمعا ونحشرهم يوم القيمة اعمى ويدل على الياء قوله يجمعكم الى يوم القيمة وكل واحد منهما يجري مجرى الاخر في
المعنى ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال ويوم يحشرهم اي يجمعهم من كل مكان الى الموقف كان لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة
ومعناه انهم استقلوا ايام الدنيا فان المكث في الدنيا وان طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الاخرة عن الضحاك وجماعة وقيل استقلوا ايام مقامهم
في الدنيا لقلة انتفاعهم باعمارهم فيها فكانهم لم يلبثوا الا يوما فيها لقلة فائدتها وقيل انهم استقلوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه
بذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يغتر بطول ما يامله من البقاء في الدنيا اذ كان فانيا الى الزوال يتعارفون بينهم معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضا في ذلك
الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر قال الكلبي يتعارفون اذا خرجوا من قبورهم ثم ينقطع التعارف لشدة
العذاب تبرء بعضهم من بعض قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين للحق قال الحسن معناه خسروا انفسهم لانهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا
مهتدين في الدنيا لم يخسروا انفسهم معناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها الى المعاصي وخسروا نعيم الاخرة حين فوتوها على انفسهم بمعاصيهم واما نرينك يا محمد
في حيوتك بعض الذي نعدهم اي نعد هؤلاء الكفار من العقوبة في الدنيا فالواو فيها فعد بدل او نتوفينك اي او نميتك قبل ان ينزل ذلك بهم ونفعل ذلك
بهم بعد موتك فالينا مرجعهم اي الى حكمنا مصيرهم في الاخرة فلا يفوتوننا وقيل انه سبحانه وعد نبيه ان ينتقم له منهم اما في حيوته او بعد وفاته ولم
يحده بوقت فقال ان ما وعدناه حق لا محالة ثم الله شهيد على ما يفعلون اي عليم بافعالهم حافظ لها فيجزيهم عقاب معاصيهم لكل امة رسول اي
لكل جماعة على طريقة واحدة في الدين واحد كامة محمد وامة موسى وعيسى رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة التي يؤديها اليهم فاذا جاء رسولهم ههنا حذف
والتقدير فاذا جاءهم رسولهم وبلغ الرسالة فكذبه قوم وصدقه اخرون قضي بينهم فهلك المكذبون ونجي المؤمنون وقيل معناه فاذا جاء رسولهم يشهد عليهم
يوم القيمة عن مجاهد وقيل في الدنيا بما اذن الله له من الدعاء عليهم قضي بينهم اي فصل بينهم الامر على الحتم بالقسط اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من
طاعاتهم ولا يزاد في عقاب سيئاتهم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا
جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم
به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون المعنى الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى
من الشر هذا اذا فصل فان اجمل وقع الوعد على الجميع النفع هو اللذة والسرور او ما ادى اليهما او الى واحد منهما والضر الالم والغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما
والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر كاجل الدين واجل الانسان الاعراب متى سؤال عن الزمان واين سؤال عن المكان بياتا منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل
يجوز ان يكون ما في موضع رفع وذلك اذا كان ذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز ان يكون في موضع نصب وذلك اذا
جعلت ما وذا اسما واحدا والمعنى اي شيء يستعجل المجرمون من العذاب او من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان اتيكم محذوف وتقدير الكلام ارايتم ماذا يستعجل
العذاب المجرمون ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ووقع ان اتيكم في وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل منه الانكار اي ليس يحلي العذاب شيء يستعجل به
وجاء على صيغة الاستفهام لانه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله اثم دخلت الف الاستفهام على ثم التي للعطف لتدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الاولى مع ان الالف
صدر الكلام والعامل في اذا قوله امنتم به وقوله الان وقد كنتم به تستعجلون تقديره الان تؤمنون به المعنى ثم اوعد سبحانه المكذبين من عقيبته ثم استعجلوا ذلك
على سبيل التكذيب والرد فقال ويقولون اي ويقول هؤلاء المشركون متى هذا الوعد الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل من العذاب ان كنتم صادقين في
ذلك قل يا محمد جوابا لهم لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على ضر ونفع الا ما شاء الله ان يملكني ويقدرني عليه فكيف املك لكم لاني اذا لم اقدر على ذلك
من انزال العذاب عن معرفة وقته اعجز ويكون معناه اذا لم املك لنفسي شيئا من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك لكم تقديم القيمة وتعجيل العقوبة قبل الوقت
المقدر له لكل امة اجل اي لكل امة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فلا يتاخرون عن ذلك الوقت ولا
يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت بعينه قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب ارايتم اي اعلمتم ان اتيكم عذابه اي عذاب الله بياتا اي ليلا او نهارا ماذا
يستعجل منه المجرمون وهذا استفهام معناه التفظيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو في امر يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد
وقال ابو جعفر الباقر يريد بذلك عذابا ينزل في اخر الزمان على فسقة اهل القبلة نعوذ بالله منه ثم اذا ما وقع امنتم به هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احين
وقع بكم العذاب المقدر الموقت امنتم به اي بالله في وقت الياس وقيل بالقران وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم الان تؤمنون وقد اضطررتم وحل بكم وقد
كنتم به تستعجلون من قبل مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه انكم سوف تؤمنون به حين وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونقول الان وقد عصيت قبل ثم قيل للذين
ظلموا ذوقوا عذاب الخلد اي يقال يوم القيمة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام في الاخرة بعد عذاب الدنيا هل تجزون الا بما كنتم تكسبون معناه انكم ما

قدمتم

وهديتم وبين لكم الادلة وازيحت عنكم العلة فابيتم الا التمادي في الكفر والانهماك في الغي فذوقوا جزاء اعمالكم ولفظ ذوقوا ما يذاق وهو الذي يطلب الطعم
بالفم لاتمام الاحساس وقيل لانهم يتجرعون العذاب بدخول اجوافهم قوله تعالى ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان
لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق
ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون اللغة الاستنباء طلب النباء الذي هو خبر والافتداء ايقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه
به يقال فداه يفديه فدية وفداء وافتداه افتداء وفاداه مفاداة الاعراب الا كلمة تستعمل في التنبيه واصلها لا دخلت عليها حرف الاستفهام فصارت
تنبيها وكسرت ان بعدها لان الا يستانف بعدها الكلام فصارت بمعنى الابتداء ولذلك يقع بعدها الامر والدعاء كقول امرء القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
المعنى ويستنبئونك يا محمد اي يطلبون منك ان تخبرهم احق هو اي احق ما جئت به من القرآن والنبوة والشريعة وقيل احق ما تعدنا من البعث والقيمة والعذاب
عن ابن عباس قل يا محمد اي وربي اي نعم وحق الله انه لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين اي بسابقين فائتين وهذا الاستخبار يحتمل ان يكون منهم على جهة التعرف
والاستفهام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما ينهى عنه ما في الارض من الاموال لافتدت به
من هول ما يلحقها من العذاب واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اخفوا الندامة اي اسر الرؤساء الندامة من الاتباع والسفلة وقيل اسروا الندامة اي اخلصوها
والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وقيل اسروا اي اظهروا وهو من الاضداد عن ابي عبيدة والجبائي قال الازهري هذا غلط لانه انما يكون بمعنى الاظهار ما يكون بالشين المعجمة من
وقضي بينهم بالقسط اي فصل بينهم بالعدل وهم لا يظلمون فيما يفعل بهم من العذاب لانهم جنوه على انفسهم وروي عن ابي عبد الله انه قال انما اسروا الندامة لانهم
في النار وكراهية لشماتة الاعداء على انفسهم الا ان لله ما في السموات والارض اي له ملك السموات والارض وما فيهما فلا يملك احد على منعه من احلال العقاب بمن هو
المستحق له الا ان وعد الله باحلال العقاب بالمجرمين حق ولكن اكثرهم لا يعلمون صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما اتى به النبي هو يحيي اي يحيي
الخلق بعد كونهم امواتا ويميت اي يميتهم بعد ان كانوا احياء ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيجازيهم على اعمالهم قال الجبائي في هذه الاية دلالة على
انه لا يقدر على الحيوة الا الله تعالى لانه تعالى تمدح بكونه قادرا على الاحياء والاماتة النظم وجه اتصال الاية بما قبلها ان قوله ويستنبئونك
عطف على ويستعجلونك المعنى انهم يستعجلونك ويقولون متى تكون القيمة والعذاب ويستخبرونك احق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله الا ان
لله ما في السموات والارض بما قبله اتصال الاثبات بالنفي وتقديره وليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك لله وقيل انه متصل بما قبله بمعنى ان من يملك
السموات والارض يقدر على ايقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله الا ان وعد الله حق بما قبله انه اذا خلق السموات والارض بل المنافع للخلق فلا يجوز
عليه خلف الوعد ايضا فانه من صفة الخالق ان يكون عالما لذاته غنيا غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والداعي الى القبيح اما الجهل بقبحه
او الحاجة اليه فاذا لا يجوز الخلف عليه اذ لا داعي له اليه قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون القراءة قرء ابو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرء يعقوب
برواية رويس فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما جميعا وروي ذلك عن النبي وابي بن كعب والحسن في رواية وزيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروي ذلك
عن ابن عباس وقتادة وجماعة والباقون بالياء فيهما جميعا الحجة قال ابو علي قوله بفضل الله وبرحمته الجار فيه يتعلق بمضمر يستغنى عن ذكره لدلالة ما
تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم كما ان قوله الان وقد عصيت قبل يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم من الفعل كذلك قوله الان وقد كنتم به
تستعجلون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فان الجار في قوله فبذلك فليفرحوا يتعلق بفليفرحوا لان هذا الفعل يصل بالباء يقال فرحت به كما
فاما الفاء في قوله فليفرحوا فزائدة يدل على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الاية قول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي فالفاء في قوله
فاجزعي زائدة كما كانت الفاء في قوله فليفرحوا زائدة ولا تكون الزيادة الاولى لان الظرف انما يتعلق باجزعي فاما من قرء فلتفرحوا بالتاء فانه اعتبر الخطاب
الذي قبله وهو قوله قد جاءتكم موعظة ورحموا انه الامر وهي قليلة نحو لتضرب وانت تخاطب فاما من قرء هو خير مما تجمعون بالتاء فعلى انه عني المخاطبين والغيب
جميعا الا انه غلب المخاطب على الغيبة ومن قرء بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اي افرحوا بفضل الله ورحمته فان ما اتاكم من الموعظة
وشفاء لما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التي حزتموها المعنى لما تقدم ذكر القران
وما فيه من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلالة موقع القران وعظم محله فقال يا ايها الناس خطاب لجميع الخلق وتنبيه لهم وقيل انه خطاب لقريش قد جاءتكم
موعظة من ربكم يعني القران والموعظة بيان ما يجب ان يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن الفساد وشفاء لما في الصدور والشفاء معنى
كالدواء لازالة الداء فداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه عسر واطباؤه اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في البدن لشرف القلب
وهدى اي ودلالة تؤدي الى معرفة الحق ورحمة للمؤمنين اي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القران موعظة ورحمة لجميع الخلق لانهم
الذين انتفعوا به وصف الله سبحانه القران في هذه الاية باربع صفات بالموعظة والشفاء لما في الصدور والهدى والرحمة قل بفضل الله وبرحمته معناه قل يا
محمد بافضال الله وبنعمته فانه يجوز اطلاق الفاضل على الله تعالى فوضع الفضل موضع الافضال كما وضع نباتا في قوله والله انبتكم من الارض نباتا موضع
الانبات وقيل اضافة الفضل الى الله يقتضي الملك كما في العبد اليه بانه ماله فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله
بفضل الله وبرحمته وهو يدل على انه يعني به القران اي فبذلك فليفرح الناس لانه خير لكم يا محمد واصحابه مما يجمعه هؤلاء الكفار من الاموال ومتاع

قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها اذا فرحتم بشيء فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بانزال هذا القرآن وارسال محمد اليكم فانكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القرآن ورحمته الاسلام عن ابي سعيد الخدري وروى انس عن النبي انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيمة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الاية وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد وغيرهما وقال ابو جعفر الباقر فضل الله رسول الله ورحمته علي بن ابي طالب وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قوله تعالى ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون

سبحانه اي تنزيهاً عما قالوا وهو الغني عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال له ما في السموات وما في الارض معناه اذا كان له ما في السماوات وما في الارض
ملكاً وملكاً وخلقاً فهو غني عن اتخاذ الولد لان الانسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف او ليستغني به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك واذا استحال اتخاذ
الولد حقيقة عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة وبرهان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون
هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه ما لهم على ذلك فقال قل يا محمد ان الذين يفترون اي يكذبون على الله الكذب باتخاذ الولد وغير ذلك لا يفلحون
اي لا يفوزون بشيء من الثواب واصل الافتراء من القطع من فري الاديم اي قطعه فمعناه يقطعون بالكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله متاع في الدنيا معناه
[illegible] ثم تنقضي وقوله ثم الينا مرجعهم ثم الى ما حكمنا مصيرهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وهو عذاب النار بما كانوا يكفرون اي بكفرهم قوله تعالى

[illegible]

[illegible]

ومنها والفتنة أصلها البلية وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة يقال فتنت الذهب إذا أحرقته بالنار ليظهر الخلاص ومنه قوله يوم هم على النار يفتنون
أي يحرقون لما فيه من إظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة أشد من القتل معناه التعذيب للمرتد عن الدين لما فيه من إظهار النصرة أشد الإعراب يا قوم
حذفت منه ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء لحسن أنها القوة النداء على التغيير والفاء في قوله فعليه الواو فإن العطف وجواب الأمر كما تقول
قال السائل كذا فقال المجيب كذا وإنما جاز دخول الفاء في الجواب لأن مخرج الواو لأن الفاء تقتضي ترتيب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالأول وليس كذلك
الواو المعنى ثم بين سبحانه من قوم موسى فقال فما آمن لموسى أي لم يصدق موسى مع ما ادعى من النبوة مع ما أظهره من المعجزات الظاهرة إلا ذرية من قومه
أي أولاد من قوم فرعون وقيل أراد من قوم موسى وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر اختلف من قال بالأول فقيل إنهم قوم كانت أمهاتهم من بني إسرائيل
وآباؤهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل إنهم ناس يسير من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجاريته وامرأة هي ماشطة ابنة
فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل إنهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى واختلف من قال بالثاني فقيل هم جماعة من بني إسرائيل أخذهم فرعون
ليعلم السحر جعلهم من جملة السحرة فآمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني إسرائيل وكانوا ستمائة ألف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين إنسانا فتوالدوا
حتى بلغوا ستمائة ألف وإنما سماهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقال مجاهد أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل
لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء على خوف من فرعون يعني آمنوا وهم خائفون من معرة فرعون وملئهم من أشرافهم ورؤسائهم قال الزجاج إنما
جاز أن يقال وملئهم لأن فرعون ذو أصحاب يأتمرون له وقيل إن الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط
أن يصرفوهم عن دينهم ويعذبوهم أن يفتنهم أي يصرفهم عن الدين يعني أن يمتحنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفوا عن الدين وكان خوفهم أن يعذبون
بنو إسرائيل كان خوفهم منه منهم وإن فرعون لعال في الأرض أي مستكبر باغ طاغ في أرض مصر ونواحيها وإنه لمن المسرفين أي من المجاوزين الحد في العصيان
لأنه ادعى الربوبية وأسرف في القتل والظلم والإسراف التجاوز عن الحد في كل شيء وقال موسى لقومه الذين آمنوا به يا قوم إن كنتم آمنتم بالله كما تظهرون
فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين أي فأسندوا أموركم إليه إن كنتم مسلمين على الحقيقة وإنما أعاد قوله إن كنتم مسلمين بعد قوله إن كنتم آمنتم بالله لتبيين المعنى
باجتماع الصفتين التصديق والانقياد أي إن كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لأمره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لأمره
ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا إليه فقالوا على الله توكلنا أخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وأنهم قالوا أسندنا أمورنا إلى الله ثم قالوا ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين أي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتتن بها
الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفرنا عليهم عن الحسن وأبي مجلز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله أن معناه لا تسلطهم علينا
فتفتنهم بنا ونجنا وخلصنا برحمتك من القوم الكافرين أي من قوم فرعون واستعبادهم إيانا وأخذهم جماعتنا بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة قوله تعالى
وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون
وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال
قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ثلاث آيات القراءة قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد الحجة
من قرأ بالنون الشديدة كسرها لوقوعها بعد ألف التثنية فأشبهت نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها الساكن فاختفتها فحركت بالكسرة
كأنها وليت الألف من قرأ بالتخفيف فإنه يمكن أن يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما خففوا رب ونحوها إلا أنه حذف الأولى من المثلين كما أبدلوا الأولى
من المثلين في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامة ولو شئت والتقاء الساكنين
كان على لفظ الخبر والمعنى الأمر كقوله يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا تضار والدة بولدها أي لا ينبغي لك ولو شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما
غير متبعين ويدل على ذلك قول الشاعر فلا أسعى ولا أتمنى شربي بيوم يلاذا أو ردّ ما في وكقول الفرزدق بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى
بها حين سلت اللغة تبوأ اتخذ يقال تبوأ لنفسه بيتا أي اتخذه وبوأته له بيتا أي اتخذته له ويقال إن تبوأ وبوأ بمعنى أي اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل
وخلص وتخلص قال أبو علي تبوأ فعل يتعدى إلى مفعولين واللام في لقومكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فدخلت
اللام على غير المطاوع كما دخل على المطاوع في قوله تبوءا لقومكما والطمس محو الأثر يقال طمست عينه أطمسها طمسا وطموسا قال الريح آثار الديار الطمس
تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول الإعراب مصر غير منصوب ولو صرفت لجاز كما
صرف هند لكان جائزا وترك الصرف فيه قوله بيوتا مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاص والبيوت هنا كالغرف في قوله لنبوئنهم من الجنة
غرفا فلا يؤمنوا يحتمل جهتين من الإعراب النصب والجزم فأما النصب فعلى وجهين أحدهما أن يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء والآخر أن يكون عطفا على ليضلوا
أي ليضلوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا يكون قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا وأما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم
تقديره فلا آمنوا ومثله قول الأعشى فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم المعنى ثم أوحينا إلى موسى وأخيه أي أمرناهما أن تبوءا لقومكما
بمصر بيوتا أي اتخذا للمؤمنين بكما من بني إسرائيل في البلدة المعروفة بمصر بيوتا تسكنونها وتأوون إليها واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف في ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعد
ما أهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وأن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت أذن الله

أن ترفع

أن ترفع الآية وقيل إن فرعون أمر بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والنخعي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير وأقيموا
الصلاة أي أديموها والمواظبة على فعلها وبشر المؤمنين بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب بأنواع النعيم الخطاب لموسى عن أبي مسلم وقيل الخطاب للنبي ص وقال
موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه أي أعطيت فرعون وقومه زينة يتزينون بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة الاستغناء
وأموالا يستعظمون بها في الحياة الدنيا وإنما أعطاهم الله ذلك الإنعام عليهم مع تعريضهم من وجوه الفساد ربنا ليضلوا عن سبيلك اللام للعاقبة المعنى وعاقبة
أمرهم أنهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز أن يكون لام الغرض لأنا قد علمنا بالأدلة أنه سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يريد أيضا منهم
الضلال وكذلك لا يؤتيهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذف لا كقوله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف لا لدلالة
الكلام عليه وقيل إنه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وإنما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته إظهار البراءة منهم كما
يلعن إبليس ويدل عليه أنه عاد فقوله ربنا اطمس على أموالهم فدل ذلك على أنه أراد به الدعاء عليهم المراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها
قال مجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير صارت جميع أموالهم حجارة حتى السكر والفانيد واشدد على قلوبهم معناه تثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم
فيكون ذلك أشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم وقيل أنه عبارة عن الخذلان والطبع فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فيه ذكر وجوه قيل معناه
أنهم لا يؤمنون إيمان إلجاء حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيار أصلا ثم أخبر سبحانه أنه أجاب لهما الدعوة فقال قال أي قال الله تعالى لموسى
وهارون قد أجيبت دعوتكما والداعي كان موسى لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمن على دعائه فسماهما داعيين عن عكرمة والربيع وأبي العالية وأكثر
المفسرين ولأن معنى آمين اللهم استجب هذا الدعاء فاستقيما أي فاثبتا على ما أمرتما به من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى ولا تدعوا الوعظ قال ابن جريج
مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة وروي ذلك عن أبي عبد الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون نهاهما سبحانه عن أن يتبعا طريقة من لا يؤمن
بالله ولا يعرفه ولا يعرف نبيه قوله تعالى وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت
أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك
آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ثلاث آيات القراءة قرأ أهل الكوفة غير عاصم آمنت إنه بكسر الألف والباقون أنه بالفتح وعن
نافع الآن بإلقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرأ ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة أبي
بن كعب ومحمد بن السميفع ننحيك بالحاء الحجة قال أبو علي من قرأ آمنت أنه بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف
حرف الجر وصل الفعل إلى أن فصار في موضع نصب أو جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت إنه بالكسر حمله على القول المضمر كأنه قال آمنت فقلت إنه وإضمار القول
في هذا النحو كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلا من آمنت ومن فتح جعله معمول آمنت وأما الآن فإن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت
الهمزة كان في تخفيفها وجهان أحدهما أن تلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فتقول ألحمر وقد حكى ذلك سيبويه وحكى أبو الحسن أن ناسا يقولون
لحمر فيحذفون الهمزة التي للوصل قال فقد كنت تخفي حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذي أنت بائح فأسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة
كما لم يعتد بها في الوجه الأول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في نحو اليوم ننجيك وننحيك معنى واحد أي نلقيك على نجوة من الأرض قال أوس بن حجر فمن بنجوته
كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننحيك بالحاء فإنه نفعلك من الناحية أي نجعلك في ناحية وقيل نحيت الشيء
فتنحى أي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الحطيئة تنحي فاجلسي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا اللغة المجاوزة عن محل الخروج من حد إلى حد
الاتباع والإتباع طلب اللحاق اتبعته إتباعا وتبعه بمعنى وحكى أبو عبيدة عن الكسائي أنه قال إذا أريد أنه اتبعهم خيرا أو شرا قالوا بقطع الهمزة وإذا أريد أنه
اتلوهم واتبع أثرهم قالوا اتبعه بالتاء ووصل الهمزة والبغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل
وأصلها من النجاة وارتفاع الإعراب بغيا وعدوا مصدران في موضع الحال أي باغين وعادين الآن فصل بين الزمانين الماضي والمستقبل
مع أنه إشارة إلى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الآن بالألف واللام وليس متضمن حرف التعريف لأنه في معنى منزلة المضمر في أنه ليس صورة وهي
في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل في قوله الآن فعل تقديره آمنت الآن المعنى ثم بين سبحانه حال فرعون وقومه فقال وجاوزنا ببني إسرائيل البحر
أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقا فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا أي ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك أن
الله سبحانه لما أجاب دعاء موسى أمره بإخراج بني إسرائيل من مصر ليلا فخرج فتبعهم فرعون بجنوده مصبحين حتى انتهوا إلى البحر فأوحى الله سبحانه إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر
فانفلق اثني عشر فرقا وصار لكل سبط طريق يابس وارتفع من كل طريقين الماء كالجبل وصار في الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل
فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان أدهم فجاء جبرائيل على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما حصان
شم أدهم فرعون ريح فرس جبرائيل اقتحم خلفه في الماء واقتحم الجنود خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم أولهم أن يخرج انطبق الماء عليهم حتى إذا أدركه الغرق
أي وصل إليه الغرق وأيقن بالهلاك قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين كان ذلك إيمان إلجاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه
الآن وقد عصيت قبل قيل لعنه الله الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلجاء وقد عصيت من قبل الإيمان في حال ما ينفعك الإيمان فهلا آمنت

امنت قبل ذلك وكنت من المفسدين في الارض بقتل المؤمنين وادعاء الالهية وانواع الكفر واختلف في قائل هذا القول فقيل قاله جبرئيل ع وقيل ذلك كلام
الله تعالى قاله له على جهة الاهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى ع وروى علي بن ابراهيم بن هاشم باسناده عن الصادق ع قال ما اتى جبرئيل ع رسول الله ص الا كئيبا
حزينا ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الاية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبرئيل ما اتيتني الا وتبينت
الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فاخذت حماة فوضعتها في فيه ثم قلت له الان
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني الله على ما فعلت فلما كان الان وامرني ان اؤدي اليك ما قلته انا لفرعون
امنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما اغرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني اسرائيل غرق فرعون

[illegible]

ما كثرهم لنبوته فيه قولان احدهما انه امر بان يسال مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد
والضحاك والاخر ان المراد سلهم عن صفة النبي المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول قوي لان هذه السورة مكية وابن سلام وغيره انما
اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الاية نزلت في السماء فان صح ذلك فقد كفى المؤونة ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله ع وقيل ايضا ان المراد بالشك
الضيق والشدة بما يعاينه من تعنتهم واذيتهم اي ضقت ذرعا بما تلقى من اذى قومك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فاصبر كما صبر اولئك لقد جاءك الحق
من ربك يعني بالحق القرآن والاسلام فلا تكونن من الممترين اي الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي من جملة من يجحد بايات الله ولا يصدق بها

[illegible]

العذاب عنكم فاخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد وبين البهائم واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم ومر يونس على وجهه مغاضبا كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وارادوا ان يدفعوها فسألهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتا عظيما فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع السهم على يونس فاخرجوه فالقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر به في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه في الماء فان ههنا عبدا عاصيا آبقا فوقعت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الآبق والقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت فاوحى الله الى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه اني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما لك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوما وقد سأل بعض اليهود امير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر القلزم ثم خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج في دجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فانبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت قال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه فآمنوا به وقيل انه ارسل الى قوم غير قومه الاولين قوله تعالى **ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون** آيتان **القراءة** قرأ ونجعل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقون بالياء **الحجة** من قرأ بالنون فانه ابتدأ بالاخبار عن الله ومن قرأ بالياء فلانه تقدم ذكر الله تعالى **اللغة** المشيئة والارادة والايثار والاختيار نظائر وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه ذاته وعينه الا انه قد يؤكد بالنفس والنفس اخوة من النفاسة **الاعراب** كلهم تأكيد لمن وجميعا نصب على الحال **المعنى** لما تقدم ان ايمان الملجأ غير نافع بين سبحانه انه لو كان ينفع لاكره اهل الارض عليه فقال ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الارض اي لآمن اهل الارض كلهم جميعا معناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الايمان كما قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لان الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لانه ينافي التكليف واراد بذلك تسلية النبي وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى لم يزل كان شائيا وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لانه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر ولكنه لم يشأ ذلك لم يوجد ولو كانت مشيئته ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيئته فعله الا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد وما كان لنفس ان تؤمن معناه انه لا يمكن احد ان يؤمن الا باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل الا باذنه ههنا امره كما قال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل ان الاذن هنا علمه اي لا تؤمن نفس الا بعلم الله من قولهم اذنت بكذا اذا سمعته وعلمته واذنته اعلمته فيكون خبرا عن علمه سبحانه بجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم الى فعله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكأنهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم اي يحكم عليهم بانهم كفار ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس ينقلب الى الرجز والرجس والرجز بمعنى واحد قال ابو علي وكان الرجس ههنا ضرب من ذكرنا ان يكون في معنى العذاب ويجوز ان يكون بمعنى القذر والنجس اي يحكم بانهم رجس كما قال سبحانه انما المشركون نجس قوله تعالى **قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين** ثلاث آيات **القراءة** قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد ايضا فيه والباقون ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقون ننجي بالتشديد **الحجة** من قال ننجي فلقوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين كانوا حسن قال الشاعر ونجى ابن هند سابح ذو غلالة اجش هزيم والرماح دواني **اللغة** النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظر يحيى حتى لو قلت توقع يحيى لم يكن قد امرته بالثبات والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى تقربه من ضربه كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة ماخوذ من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة ماخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة السلامة البراءة من العطب **الاعراب** وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الاول فتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر اي يحق حقا وقيل انه على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال جامع العلوم النحوي الضرير ويجوز ان ينتصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينتصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لان الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولين معها وقد بينا ذلك في موضعه فان جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين

ولا يؤكد بالذات

حقا كان الوقف على كذلك **المعنى** ثم بين سبحانه ما به يدرك الحق ويتبين لقوم ارشادهم فقال قل يا محمد لهم سلوا الايات النظر وانظروا ماذا في السموات والارض من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والافلاك وما خلق من الجبال وما انبت من الاشجار والثمار واخرج من انواع الحيوان فان النظر في ذلك يؤدي الى الايمان والمعرفة بالصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه وما تغني هذه الدلالة اذا لم ينظروا فيها وما تغني الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكرا ولا يريدون الايمان وقيل ما تغني معناه اي شيء تغني عنهم والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها الا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون فيها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال وما تغني الحجج عن قوم لا يقبلونها قال ابو عبد الله عليه السلام لما اسري برسول الله صلى الله عليه وآله اتاه جبرئيل بالبراق فركبها فاتى بيت المقدس فلقي من لقي من الانبياء ثم رجع فاصبح يحدث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الانبياء فقالوا يا رسول الله كيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرئيل بالبراق فركبته وآية ذلك اني مررت بعير لابي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلوا جملا لهم احمر وقد همّ القوم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاء راكب سريع ولكنكم قد اتيتم الشام وعرفتموها فسلوه عن اسواقها وابوابها وتجارها فسألوه عن ذلك وكان رسول الله اذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينا هو كذلك اذ اتاه جبرئيل فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله فاذا هو بالشام فقالوا له اين بيت فلان ومكان كذا فاجابهم في كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم الا قليل وهو قول الله تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال ابو عبد الله عليه السلام فنعوذ بالله ان لا نؤمن بالله وبرسوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين مرّوا بالايمان فلم يؤمنوا ولم ينظروا في الادلة فلم يستدلوا الا العذاب والهلاك في مثل الايام التي هلك فيها من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة اراد بذلك وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالايام كما يقال ايام فلان يراد به ايام دولته وايام محنته واللفظ الايام ههنا والمراد به النقم والمحن قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فاني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا من بينهم ونخلصهم من العذاب عند نزوله وقيل من تنزيلهم وعدانهم مكروههم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قال الحسن معناه كما اهلكنا الامة والذين آمنوا من بينهم ونجيناهم كذلك حقا علينا وقيل معناه كذلك اذا اهلكنا هؤلاء المشركين ننجيك يا محمد والذين آمنوا بك كما نجينا الذين آمنوا من الامم الماضية ننجي انبياءهم ونجينا الذين آمنوا بهم كذلك حقا علينا على طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الاخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال ابو عبد الله عليه السلام لاصحابه ما يمنعكم من ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الامر انه من اهل الجنة ان الله تعالى يقول كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قوله تعالى **قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم** اربع آيات **اللغة** الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فانه لا يكون لاحد الصفتين عنده مزية والحنيف هو المائل الى الحق وقيل هو المستقيم على الاعتقاد عند ابي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه ابو هاشم وقال الحسن معناه هو الخالص القاطع على الاخرى والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع واقام بالمكان استمر فيه كانه مثل القيام في جهة الاستقامة والمماسة والمطابقة والمجاورة نظائر وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الادراك ومكان الضر ههنا ساتر يمنع من ادراك الانسان **الاعراب** ان كنتم في شك شرط وجوابه قوله لا اعبد وانما صح ذلك لان تقديره ان كنتم في شك من ديني فلا تطمعوا في ان تشككوني حتى اعبد غير الله كعبادتكم **المعنى** امر سبحانه نبيه بالبراءة عن كل معبود سواه فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الحق وهو ان لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فشككتم في ديني ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يقبضكم ويقدر على اماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لان وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك مع انهم كانوا على يقين من اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه احدها ان يكون المعنى من كان شاكا في امري فهذا حكمه والثاني انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه من انفسهم عند ورود الآيات والثالث ان فيهم من كان شاكا فادخل ذكرهم في الكلام وامرت ان اكون من المؤمنين اي وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العبادة له وان اقم وجهك للدين هذا عطف على ما قبله كأنه قال وقيل لي اقم وجهك للدين اي استقم في الدين باقبالك على ما امرت به من القيام باعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه واقم وجهك في الصلوة بالتوجه نحو الكعبة حنيفا اي مستقيما في الدين ولا تكونن من المشركين هذا نهي عن الاشراك مع الله سبحانه غيره في العبادة ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته ولا يضرك ان عصيته وتركته اي لا تدعه الها كما يدعو المشركون الاوثان آلهة وانما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم يحسن عبادته ايضا لامرين احدهما ان معناه ما لا ينفعك نفع الاله ولا يضرك ضرره والثاني انه اذا كان عبادة غير الله ممن ينفع ويضر قبيحة فعبادة من لا ينفع ولا يضر اقبح فان فعلت فانك اذا من الظالمين معناه فان خالفت ما امرت به من عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك بادخالك الضرر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها الى النبي في الظاهر فالمراد به امته وان يمسسك الله بضر معناه وان احل الله بك ضرا من بلاء او شدة او مرض فلا كاشف له الا هو اي لا يقدر احد على كشفه غيره كما انه سبحانه المالك لدفعه لا ينفع ولا يضر غيره بل كونه قادرا على النفع والضر وان يردك بخير من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها فلا راد لفضله اي لا يقدر احد على منعه تقديره وان يردك بخير ويجوز فيه التقديم والتاخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير يصيب به من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته ويعلمه من المصلحة وهو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قوله تعالى **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين** آيتان

جبرئيل

تقديره

والجبا علينا من

المعنى

المعنى ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية للنبي ص والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه قل يا محمد مخاطبا للمكلفين يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ص ومعجزاته الظاهرة فمن اهتدى بذلك بان نظر فيه وعرفه حقا وصوابا فانما يهتدي لنفسه معناه فان منافع ذلك من الثواب غيره يعود عليه دون غيره ومن ضل عنه وعدل عنه تقليدا للاسلاف لا لدليل فانما يضل عليها اي على نفسه لانه يجني عليها وما انا عليكم بوكيل اي ما انا بحفيظ لكم عن الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انما ليس علي الا البلاغ ولا يلزمني ان اجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر واتبع ما يوحى اليك واصبر على اذى الكافرين وتكذيبهم حتى يحكم الله بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء امره وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل والصواب

سورة هود هي مكية كلها في قول الاكثرين وقال قتادة الا آية وهو قوله واقم الصلوة طرفي النهار فانها نزلت بالمدينة عدد آيها هي مائة وثلث وعشرون آية كوفي واثنان شامي والمدني الاول واحدى في الباقين اختلافها سبع آيات بريء مما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكي شامي والمدني الاخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الاول مختلفين عراقي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء وروى الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي جحيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتيك حديث الغاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابي عثمان عن ابي جعفر ع قال من قرء سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيمة في زمرة النبيين وحوسب حسابا يسيرا ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيمة تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي فقال

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير اربع آيات

اللغة الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبها يميز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين احدهما ان يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعل اي محكم افعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل والثاني ان يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بانه حكيم لم يزل الاعراب قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر الر وهذا غلط لان كتاب احكمت آياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير امركم بان لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى الا في قوله الا الله ايجاب للمذكور ونفي ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم جزم بانه جواب الامر في قوله ان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية ويشدد المعنى قد بينا تفسير الر والاقاويل التي فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته كتاب يعني القرآن اي هو كتاب احكمت آياته ثم فصلت ذكر فيه وجوه احدها ان معنى احكمت آياته فلم ينسخ منها شيء كما نسخت الكتب والشرائع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس وثانيها ان معنى احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وابي العالية وثالثها احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبر عن مجاهد ورابعها احكمت في نظمها بان جعلت على ابلغ وجوه الفصاحة حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض وكانه قيل احكم النظم مفصل الآيات عن ابي مسلم وخامسها احكمت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لان الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بان جعلت متتابعة بعضها على اثر بعض من لدن حكيم اي هذا الكتاب تنزيل من عند حكيم في احواله وافعاله خبير اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لانه وصفه بانه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاوصاف لا تصلح الا في المحدث لان القديم يستحيل ان يكون صادرا عن غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب ليامركم ان لا تعبدوا الا الله ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم انني لكم منه نذير وبشير هذا اخبار من النبي ص انه يخوف من مخالفة الله ومعصيته باليم العقاب ويبشر على طاعة الله بجزيل الثواب وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه معناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لان الاستغفار والتوبة واحد فيكون التوبة تاكيدا للاستغفار يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه يمتعكم في الدنيا بالنعم السابغة في الخفض والدعة والامن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه قال الزجاج يريد يبقيكم ولا يستاصلكم بالعذاب كما استاصل اهل القرى الذين كفروا ويؤت كل ذي فضل فضله قيل ان الفضل المتفضل الافضال اي ويعطي كل ذي افضال على غيره بمال او كلام او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله عائدا الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله فان من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فلا بد ان تكون الهاء في فضله عائدا الى اسم الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا عما امرته وقيل معناه وان تتولوا انتم اي تعرضوا فحذف احدى التاءين ولذلك شدد ابن كثير في رواية البزي عنه فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي كبير شانه وهو يوم القيمة وهذا الخوف ليس من معنى الشك بل هو بمعنى اليقين اي قل لهم يا محمد اني اعلم ان

لكم

لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الاهوال الى الله مرجعكم اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم بان يعيدكم للجزاء وهو على كل شيء قدير يقدر على الاعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور القراءة روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد يثنوني صدورهم على يفعوعل وروي عن ابن عباس ايضا ليثنون وعن مجاهد ليثنين وروى ذلك ايضا عن عروة الاعشى الحجة اما يثنوني على مثال يفعوعل فهو من مثله المبالغة تقول اعشب البلد فاذا كثر ذلك فيه قلت اعشوشب كذلك احلولى واخشوشن واما يثنون ويثنين فقد قال ابن جني انهما من لفظ الثن وما هو هش وضعف من الكلاء وانشد ابو زيد تكفي اللقوح اكلة من ثن ويثنين بالهمز اصله يثنان فحركت الالف لسكونها وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما يثنون فاصله يثنونن فلزم الادغام لتكرير العين اذ كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصار يثنون اللغة اصل الثني العطف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الاخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لانه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى وتغشى قالت الخنساء ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري الاعراب الا معناها التنبيه ولا حظ لها في الاعراب وما بعدها مبتدأ النزول قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله ص بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله ص طاطا احدهم راسه وظهره هكذا وغطى راسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله ص فانزل الله هذه الآية المعنى لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال الا انهم يعني الكفار والمنافقين يثنون صدورهم اي يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يثنونها على عداوة النبي ص عن الفراء والزجاج وقيل انهم اذا عقدوا مجالسهم على معاداة النبي ص والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون ليستخفوا منه اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فانهم كانوا يبلغ من شدة جهلهم بالله ان ظنوا انهم اذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى سرهم وعلى القول الاول معناه ليستتروا من النبي ص الا حين يستغشون ثيابهم معناه الا انهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون في ما كانوا يدبرونه على النبي ص وعلى المؤمنين ويكتمونه عن ابن عباس فبين الله سبحانه انه يعلم ما يسرون وما يعلنون وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الازل انه عليم بذات الصدور اي بحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستغشاء ثيابهم عن الليل لانهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ثلاث آيات اللغة الدابة الحي الذي من شانه ان يدب وهو في العرف مختص بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الاصل الاعراب اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها دخلت على ان التي للجزاء ولام الابتداء انما هي للاسم وما ضارع الاسم باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لانه اذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تاخر فتوسط الغي ويوم ياتيهم نصب على الظرف من مصروفا اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم ياتيهم العذاب المعنى وما من دابة في الارض اي ليس من دابة تدب على وجه الارض الا على الله رزقها اي والله سبحانه يتكفل برزقها يدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الارض من الجن والانس والطير والانعام والوحوش والهوام الا على الله رزقها اي يوصله اليها على ما تقتضيه المصلحة وتوجبه حكمته ويعلم مستقرها ومستودعها اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاب الاباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تاوي اليه من الارض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير اليه كل في كتاب مبين هذا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ وانما اثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة ولمن يخبر بذلك وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه انشاهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقهما في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشاة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره ستة ايام لانه لم يكن هناك ايام بعد فان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها وكان عرشه على الماء في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والارض وكان الماء قائما بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لاهل الانكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله ومما يعرشون اي يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء ابدع واعجب عن ابي مسلم ليبلوكم ايكم احسن عملا معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المحسن فانه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المختبر المبتلي لكم لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من حسن اخر لان حقيقة لفظة افعل يقتضي ذلك ولئن قلت يا محمد لهم انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ليس هذا القول الا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرا ساحر فالمراد ليس هذا يعنون النبي ص الا ساحر قال الجبائي في الآية دلالة

على انه كان قبل خلق السماوات والارض الملائكة لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف المكلف يمكن الاستدلال به فلا بد اذن من مكلف وقال علي بن عيسى لا يمتنع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه لئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة معناه ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيمة عن الجبائي وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدي في اخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ليقولن على وجه الاستهزاء ما يحبسه اي اي شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقا الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم بين ان هذا العذاب الذي يستبطئونه اذا نزل بهم في الوقت المعلوم لا يقدر احد على صرفه عنهم ولا يتمكن من اذهابه عنهم اذا اراد الله اتيانهم به وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي ونزل بهم الذي كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحقق النظم يحتمل ان الاية الاولى لما انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيبه كيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو يرزقهم واذا وصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وقوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرناه ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السموات الاية فان اصل الخلق التقدير الذي لا يحتمل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم الذات قوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير ثلاث آيات اللغة الذوق تناول الشيء بالفم لادراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالانسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل احلام نوم او كظل زائل والنزع قلع الشيء عن مكانه واليؤس فعول من يئس واليأس القطع بان الشيء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها لانهما اخرجا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات ولا يجيئان من الاعراض ومن الناس من قال هما جنسان والفخور الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه الاعراب اللام في ولئن اذقناه لام القسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمة انه ليؤس فانه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مغن عن جواب الشرط وواقع موقعه مثله قول الشاعر لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وامكنني منها اذا لا اقيلها التقدير والله لا اقيلها ولو كانت جواب ان لكانت لا اقلها الا الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لانه اسم الجنس في نحو قوله ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وقال الزجاج والاخفش هو استثناء ليس من الاول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفراء المعنى بين سبحانه حال الانسان فيما يقابل به نعمه من الكفران فقال ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي احللنا به نعمة من الصحة والكفاية والسعة في المال والولد وغير ذلك من الدنيا ثم نزعناها منه اي سلبنا تلك النعمة عنه اذا راينا المصلحة فيه انه ليؤس اي قنوط وهو الذي شديد عادته اليأس كفور وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الاية منصرف الى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع الا ما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح ولئن اذقناه اي احللنا به واعطيناه نعماء بعد ضراء مسته بعد بلاء اصابه ليقولن عند نزول النعماء به ذهب السيئات عني اي ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهي هنا الشدائد والآلام والامراض عني فلا تعود الي ولا يؤدي شكر الله عليها انه لفرح فخور يفرح بها ويفخر بها على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة الا الذين صبروا معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر وعملوا الصالحات اي واظبوا على الاعمال الصالحة اولئك لهم مغفرة واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ثلاث آيات اللغة ضائق وضيق بمعنى واحد الا ان ضائقا هنا احسن لوجهين احدهما انه عارض والاخر انه اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز وهو في الشرع اسم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكوة وغيرها وان لم يكن مدفونا والافتراء والاختلاق والاختراص والخلق والخرص والخرق اذا الكذب والاستجابة في الاية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ويقال استجاب واجاب بمعنى واحد والفرق بين الاجابة والطاعة ان الطاعة موافقة الارادة الجاذبة الى الفعل برغبة او رهبة والاجابة موافقة الداعي الى الفعل من اجل انه دعا به الاعراب ان يقولوا في موضع نصب بانه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا او حذر ان يقولوا وقيل ان يقولوا في موضع جر بدلا من الهاء في قوله ضائق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل يقولون افتراه وهو بمعنى الاستفهام النزول روي عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله فقالوا يا محمد ان كنت رسولا فحول لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بملائكة تشهد لك بالنبوة فانزل الله تعالى فلعلك تارك الاية وروى العياشي باسناده عن ابي عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه قال لعلي اني سالت ربي ان يواخي بيني وبينك ففعل وسالت ربي ان يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بال احب الينا مما سأل محمد ربه فهلا سأله ملكا يعضده على عدوه او كنزا يستعين به على فاقته فنزلت الاية المعنى ان سبحانه رسوله بالثبات على الامر وحثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب الهتهم ولا تبلغهم اياه دفعا لشرهم وخوفا منهم وضائق به صدرك اي ولعلك يضيق به صدرك لما يقولونه

وتبا يلحقك من اذيتهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم ان يقولوا اي كراهة ان يقولوا او مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز من المال او جاء معه ملك يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على ادائها كما يقول احدنا لغيره وقد علم من حاله انه مطيعه لا يعصيه ويدعوه غيره الى عصيانه لعلك تترك بعض ما امرتك به لقول فلان وانما يقول ذلك ليؤيس من يدعوه الى ترك امره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا يضيق صدرك بسبب مقالتهم هذه انما انت نذير اي منذر والله على كل شيء وكيل اي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضر عنه ام يقولون افتراه معناه بل ايقولون اختلق القرآن واخترعه واتى به من عند نفسه قيل ان ههنا حذفا وتقديره ايكذبونك فيما اتيتهم به من القرآن ام يقولون افتراه على ربك و حذف لدلالة ما ابقي على ما القي وعلى هذا فيكون ام هذه هي متصلة قل يا محمد لهم فأتوا بعشر سور مثله مفتريات اي ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فأتوا انتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فان القرآن نزل بلغتكم وقد نشأت بين ظهرانيكم فان لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وانها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لانه لو كانت جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق لان البلاغة ثلاث طبقات فاعلى طبقاتها معجز وادناها واوسطها ممكن فالتحدي في الاية انما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة لكان الركيك من الكلام ابلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الاية لا يجوز ان يكون المراد به مثله في الجنس يكون حكاية فلا يقع بها التحدي وانما يرجع المثل الى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضا كما اشتهر من مناقضات امرء القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وجرير والفرزدق وغيرهم قوله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن ان كنتم صادقين في قولكم انه افتراه ويعني بقوله من استطعتم من خالف نبيا محمدا من جميع الامم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لانه اذا ثبت ان النبي تحداهم به واوعدهم بالقتل والاسر بعد ان عاب دينهم والهتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس على ابطال امره حتى بذلوا مهجهم واموالهم في ذلك فاذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته فذلك ايسر واهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا الى الحرب والقتل وتكلفوا الامور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم اذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لان العاقل لا يعدل عن الامر السهل الى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منهما فكيف لو بلغوا غاية امانيهم في الامر الشاق وهو قتله لكان لا يحصل غرضهم من ابطال امره فان الحق قد يقتل فان قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب ان التحدي انما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز ان يتحداهم مرة بالاقل ومرة بالاكثر فان لم يستجيبوا لكم قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فان لم يجبكم هؤلاء الكفار الى الاتيان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن فاعلموا ايها المسلمون انما انزل القرآن بعلم الله عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة ولا تهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل ان الخطاب للرسول اي فان لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيما والغرض التنبيه على اعجاز القرآن وانه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه وذكر في قوله بعلم الله وجوه احدها ان معناه ان الله عالم به بانه حق منزل من عنده وثانيها ان معناه بعلم الله مواقع تاليفه في علو طبقته وانه لا يقدر احد على معارضته وثالثها انه انزله الله على علم منه بترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك وان لا اله الا هو اي واعلموا انه لا اله الا هو لانه لا يقدر على هذا المعجز ولا يقدر عليه الا الله الواحد الذي لا اله الا هو فهل انتم مسلمون اي هل انتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مسلمون منقادون له معتقدون للتوحيد وهذا استفهام ومعناه الامر مثل قوله فهل انتم منتهون قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون آيتان القراءة روي في الشواذ عن ابي وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون الحجة الوجه فيه ان يكون باطلا منصوبا بيعملون وما مزيدة للتوكيد فكانه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اللغة الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة او حلية او هيئة يقال زانه يزينه زينة وزينه تزيينا والتوفية تأدية الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس لانه يظلم غيره بنقصان حقه وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس الاعراب قال الفراء كان هنا زائدة وتقديره من يرد الحيوة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك غير كان لانها ام الافعال قال ابو علي الشرط والجزاء لا يقعان الا فيما يستقبل فجزاء الجزاء يحيل معنى المضي الى الاستقبال لا محالة ولو جاء وقوع الماضي بعدها على معناها الماضي الا ترى انه لو لم يجز ان كان فيها معنى الشرط والجزاء لو وقع الماضي بعد على بابه نحو لو جئتني امس لاكرمتك المعنى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الاخرة نوف اليهم اعمالهم فيها اي نوفر عليهم جزاء اعمالهم في الدنيا تاما وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون شيئا منه واختلف في معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون اعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل والكف عن ظلم واغاثة المظلوم والاعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطير ونحوه فان الله يعجل لهم جزاء اعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتاع بما خولهم وصرف المكاره عنهم عن الضحاك وقتادة وابن عباس يقال لمن مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض ويمنع الله عنه في الاخرة من العذاب بقدره فاما ثواب الاخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبي للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الاخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بان جعل لهم نصيبا في الغنيمة عن الجبائي وقيل ان المراد به اهل الرياء فان من عمل عملا من اعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب في الاخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وفي الحديث ان النبي قال بشر امتي بالسناء والتمكين في الارض فمن عمل

منهم عملا للدنيا لم يكن لهم نصيب في الآخرة أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار بالمراد وحبط ما صنعوا فيها فلا يستحقون عليه ثوابا لأنهم أوقعوه
على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه وباطل ما كانوا يعملون أي بطل أعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبنا إليه من أن الإحباط هو عن
إبطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره أن رجلا من أصحاب النبي ص خرج من عند أهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة
فجلس عندها فقامت فأهوى بيده إلى عارضها فمضت فأتبعها بصره ومضى خلفها فلقيه حائط فخمش وجهه فعلم أنه أصيب بذنبه فأتى رسول الله ص فذكر له
ذلك فقال أنت رجل عجل الله عقوبة ذنبك في الدنيا إن الله إذا أراد بعبد شرا أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وإذا أراد به خيرا عجل له عقوبة
ذنبه في الدنيا النظم وجه اتصال الآية بما قبلها أنه سبحانه لما قال فهل أنتم مسلمون فكأن قائلا قال إن ظهر منا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا
فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سوا أرادها بإظهار الإسلام أو أرادها بسائر المساعي فسبيله هذا قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة
الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون
الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا
جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون آيات اللغة البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض إظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال
عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند والعرض على الله أنهم يقفون في المقام الذي يرد للمطالبة بالأعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والأشهاد
جمع شاهد فهو كصاحب وأصحاب ويجوز أن يكون جمع شهيد كشريف وأشراف والعوج العدل عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي العصا عوج بالفتح
فرقا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب على الفتح والكسر والإعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه بقاء حقيقة الاستطاعة
القوة التي يطاع بها الجارحة للفعل لذلك لا يقال في الله تعالى إنه مستطيع لصل الجرم القطع لا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا أنه كثر حتى
صار كالمثل وهو قول الشاعر ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا أي قطعتهم إلى الغضب وأنه الفراء في قراءة الغضب المعنى كسبتهم
كسبتهم أن يغضبوا وغيره يرفعها بمعنى الفعل الإعراب من كان على بينة مبتدأ خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الأوصاف
التي ذكرتها كمن لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله ولعلك تلقيتم لو شيئا لنا رسوله سواه ولكن لم يجد لك مدفعا موقفا وكتاب موسى عطف على
قوله ويتلوه شاهد منه أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب إماما ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالآخرة هم كافرون كرر قوله
هم مرتين كما قال أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون كرر أنكم مرتين ووجهه أنه لما طال الكلام كرر كلمة أخرى للتوكيد قال سيبويه جرم فعل
ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار فقال لا أي ليس لهم الجنة ثم قال جرم أي كسبهم قولهم أن لهم الحسنى أن لهم النار
وقيل جرم بمعنى وجب أي وجب أن لهم النار المعنى أفمن كان على بينة من ربه فيه حذف تقديره هل الذي كان على برهان وحجة من الله المراد
بالبينة هنا القرآن والمعني بقوله أفمن كان على بينة النبي ص وقيل المعني به كل محق يدين بحجة وبينة لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب
محمد ص عن الجبائي ويتلوه شاهد منه أي ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرئيل يتلو القرآن على النبي ص من الله تعالى عن ابن
عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله محمد ص وروي ذلك عن الحسين بن علي ع واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي يتلو القرآن بلسانه عن
محمد بن علي ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن أبي طالب يشهد للنبي ص وهو منه وهو المروي عن أبي جعفر وعلي بن موسى الرضا ع ورواه
الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله عن علي ع وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينة حجة من ربه وأضاف البينة إليه تعالى لأنه نصب
الأدلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن أبي مسلم ومن قبله يعني ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام
وقيل معناه ومن قبل محمد ص كتاب موسى يتلوه أيضا في التصديق لأن النبي بشر به موسى في التورية إماما أي يؤتم به في أمور الدين ورحمة أي ونعمة من الله تعالى
على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به أولئك يؤمنون به معناه أولئك الذين على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد وتقدير
الآية أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة إلا أنه اختصر الكلام وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد على
صدقه ونقله شاهد أمر هذه كله كمن أراد الحيوة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال أولئك يؤمنون به وقوله ومن يكفر به من الأحزاب
فالنار موعده معناه ومن يكفر بالقرآن أو بمحمد من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث
أن النبي ص قال لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار فلا تك في مرية منه أي في شك منه الخطاب للنبي ص والمراد جميع
المكلفين وقيل إن تقديره لا تك أيها الإنسان أو أيها السامع في مرية من ربك أي من أمره أو أنزله إنه الحق من ربك الهاء راجعة إلى القرآن وقيل إلى محمد
قيل معناه إن الخبر الذي أخبرتك به حق من عند الله تعالى ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بصحته لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لنبوة نبيه ص ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا أي لا أحد أظلم منه لأنه خرج بخروج لا يستحقها ليكون بالغ أولئك يعرضون على ربهم يوم القيمة أي يوقفون موقفا يراهم الخلائق
للمطالبة بما عملوا ويسئلون عن أعمالهم ويجازون عليها ويقول الأشهاد يعني الملائكة الذين يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك

وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين هؤلاء الذين كذبوا على ربهم أي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا إلى الله ما لم ينزله ألا لعنة الله على الظالمين
هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من كلام الأشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإضلالهم لأنهم
ولعنة الله إبعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله أي يعوقون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون
ذلك بإلقاء الشبهة إليهم وقد يكون أيضا بالترغيب والترهيب والإطماع والتهديد وغير ذلك وإنما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الصد
لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد إلى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي يصح التكليف ويبغونها عوجا أي ويطلبون
لسبيل الله زيغا من الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل أن يبغيهم العوج هو زيادتهم ونقصانهم في الكتاب لتغيير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ص كما كان
يفعلها اليهود وقيل هو إيراد الشبهة وكتمانهم المراد وتحريفهم التأويل وهم بالآخرة أي بالقيمة والبعث والنشور والثواب والعقاب هم كافرون أي
جاحدون غير مقرين أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وأنهم الذين يصدون عن سبيل
الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض بأنها من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم كما لم يعجزه الهارب من عدو وقد جد في طلبه وإنما خص الأرض بالذكر وإن كانوا
لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى أن يكون لهؤلاء
الكفار عاصم فيه ومانع من عذابه وما كان لهم من دون الله من أولياء معناه أنه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد
إيقاعه بهم في الدنيا من المكاره وفي الآخرة من أنواع العذاب يضاعف لهم العذاب قيل في معناه وجوه أحدها أنه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون
عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وثانيها أن معناه أنه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر
من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائما مؤبدا وكل ذلك على قدر الاستحقاق وثالثها أنه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم أنفسهم لدعائهم الأتباع
إليه وهو العذاب بالإضلال وعذاب الصد عن الدين ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فيه وجوه أحدها يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عنادا وذهابا عن الحق فأسقط الباء عن الكلام كما في قول الشاعر نغالي اللحم للأضياف نيا و
نبذله إذا نضج القدور أراد نغالي باللحم عن الفراء والبلخي وهذا الوجه أبعد معنى قوله يضاعف لهم العذاب وثانيها أنه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها
وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وإن أعماهم لم ينفعهم مع إعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يبصروا وتمام يجري هذا المجرى قول الأعشى ودع هريرة
إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل وقد علمنا أن الأعشى كان يقدر على الوداع وإنما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال
وثالثها أنه إنما عنى بذلك آلهتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أولئك الكفار وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال يخبر عن الآلهة ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس ورابعها أن ما للنفي بل يجري مجرى قولهم لا أصلنك ما لاح نجم والمعنى أنهم
معذبون ما داموا أحياء أولئك الذين خسروا أنفسهم من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران أنفسهم وخسران النفس أعظم الخسران لأنه
ليس عنها عوض وضل عنهم ما كانوا يفترون معناه بطل ما كانوا يفترون مضى قال الزجاج لا ترد لما ظنوا أنه ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون
أي كسب لهم ذلك الفعل الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة أنهم وقيل معناه حقا ويستعمل في أمر يقطع عليه ولا يرتاب فيه أي لا شك أن هؤلاء الكفار هم
أخسر الناس في الآخرة النظم اتصلت الآية الأولى بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله والمراد أنهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على بينة كمن لا يكون على بينة
معه وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا أي من كان يجتهد في الدين كمن كان همه الحيوة الدنيا وزينتها وجه اتصال الآية الثانية ومن أظلم قوله
من أظلم ممن افترى على الله كذبا أنه سبحانه أراد أن يبين حال العاقل والغافل فكأنهم قالوا وما ضرنا أن لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن
أن يكذب على الله ومن أظلم ممن كذب على الله قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل
الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون اللغة الإخبات الطمأنينة وأصله الاستواء من الخبت وهو الأرض المستوية
الواسعة فكان الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والعمى عبارة عن فقد آلة الرؤية والبصر عبارة
الأبصار وكذلك الصمم عبارة عن فقد آلة السمع لأن أن يصح الإدراك أيضا ليس بمعنى المعنى لما تقدم ذكر الكفار وما أعد الله لهم من العذاب عقبه
سبحانه بذكر المؤمنين فقال إن الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته وعملوا الصالحات التي أمرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها وأخبتوا
إلى ربهم أي أنابوا وتضرعوا إليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له وخشعوا إليه عن قتادة والكل متقارب وقيل إلى
معناه ولجؤا إلى ربهم توضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه أوحى لها بمعنى أوحى إليها وقال ينادي للإيمان أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون المعنى ثم
ضرب سبحانه مثل المؤمنين والكافرين فقال مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع مثل فريق المسلمين كالبصير السميع ومثل فريق الكافرين
كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وإنما دخل الواو ليبين أن حال
الكافر كحال الأعمى وحده وكحال الأصم وحده وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا هل يستويان مثلا أي هل يستوي حال الأعمى الأصم وحال
البصير السميع عند عاقل كما لا يستويان في الحال عند العقلاء كذلك لا يستوي حال الكافر والمؤمن أفلا تذكرون أي أفلا تتفكرون في ذلك فتعلموا الصحيح
مما ذكرناه قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين

كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم
أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون [illegible] قرأ [illegible] نافع وابن عامر [illegible]
إني لكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ أبو عمرو ونصير عن الكسائي بادئ الرأي بالهمز والباقون بادي بالياء غير مهموز وقرأ أهل الكوفة غير أبي
بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعميت بفتح العين مخففة الحجة قال أبو علي من فتح أني فإنه حملها على أرسلنا أي أرسلنا بأني لكم نذير
مبين [illegible] لأن نوحا اسم للغيبة [illegible] لأن الخطاب بعد الغيبة [illegible] وكتبنا له في الألواح
ثم قال فخذها بقوة [illegible] القول المضمر لأنه مما قد أضمر كثيرا في القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
يقولون سلام [illegible] والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قالوا ما نعبدهم [illegible]
[illegible] لأن قوله ألا تعبدوا [illegible] على الإرسال [illegible]
لكم [illegible]
[illegible]

[illegible]

من العامل [illegible] الأباة [illegible] وأجاز الفراء [illegible]
ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجوز [illegible] في ضرورة الشعر كقول [illegible] غير مستحقب إثما من الله ولا واغل وكقول الآخر
[illegible] المعنى لما تقدم ذكر الوعد والوعيد
الترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر أخبار الأنبياء تأكيدا لذلك وتخويفا للقوم وتسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأ بقصة نوح فقال ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
إني لكم نذير مبين [illegible] أن لا تعبدوا إلا الله [illegible] أن توحدوا الله [illegible]
إلى الإخلاص في العبادة وقيل إنه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور [illegible] إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم [illegible]
مع أن عقاب الكفار مقطوع عليه [illegible] فقال الملأ الذين
كفروا من قومه [illegible] ما نراك إلا بشرا مثلنا [illegible] الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل إليهم [illegible]
[illegible] وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا [illegible]
بادي الرأي [illegible]

[illegible]

ولا ادعي علم الغيب حتى ادلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فاعلم ما تسرونه في نفوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين امنوا بك اتبعوك في ظاهر ما نرى منهم اي في بادي الرأي فقبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه الا الله تعالى ولا اقول اني ملك فاخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وانما انا بشر لا اعلم الاشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وانثى بل انا بشر مثلكم خصني الله تعالى بالرسالة ولا اقول للذين تزدري اعينكم لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحتقرونهم باعينكم لما ترون عليهم من زي الفقراء لن يؤتيهم الله خيرا اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيرا على اعمالهم ولا يثيبهم عليها بل يعطيهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الاخرة من الثواب الله اعلم بما في انفسهم اي بما في قلوبهم من الاخلاص وغيره اني اذا لمن الظالمين ان طردتهم تكذيبا لظاهر ايمانهم او قلت فيهم غير ما اعلم قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اربع ايات اللغة الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو من الجدل شدة الفتل ويقال للصقر اجدل لانه من اشد الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير ان المراء مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الانسان فيه لغيره واما افتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه والجرم والجريمة بمعنى قال طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني المعنى ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا وحاججتنا فاكثرت جدالنا اي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فاكثرت جدلنا والمعنى واحد فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في ان الله تعالى يعذبنا على الكفر اي فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك قال نوح انما يأتيكم به الله ان شاء اي لا يأتي بالعذاب الا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فان شاء عجل وان شاء اخر وما انتم بمعجزين اي لا تفوتونه بالهرب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ذكر في تأويله وجوه احدها ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بان يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سمى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا وشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم نوحا بذلك في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذي يجره اليكم قبيح افعالكم واذا اعترض الشرط على شرط كان الثاني مقدما على الاول في المعنى وان كان مؤخرا في اللفظ والتقدير لا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم وثانيها ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب ان تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم ونحو ذلك وقد تقدم فيما مضى امثال ذلك وثالثها ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وامنتم لان الله تعالى حكم بان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وحكى عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوى الفصيل اذا بشم من كثرة شرب اللبن ورابعها ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله ولولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب انما اشترط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة عليهم لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الاية فعل الكفر والدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما تعتقده المجبرة لقيام الادلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالامر به وكما لا يجوز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولانه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث رسولا يدعو الى الضلال ويظهر المعجز على يده وفي هذا ما فيه هو ربكم واليه ترجعون اي هو خالقكم ورازقكم والحاكم فيكم وعنده بصيرتكم فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قيل انه يعني بذلك محمدا والمراد يقول كفار مكة ان محمدا افترى هذا الخبر عن قوم نوح ام يقولون افتراه محمد من تلقاء نفسه قل لهم يا محمد ان افتريته واختلقته كما تزعمون فعلي اجرامي اي عقوبة اجرامي لا تؤخذون به وانا بريء مما تجرمون اي لا اؤاخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحا وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها على القول الاول انه ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله قوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اربع ايات اللغة الابتئاس حزن في استكانة وانشد ابو عبيدة ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضا والصنع جعل الشيء موجودا بعد ان كان معدوما ومثله الفعل وينفصلان من حيث ان الصنعة تقتضي صانعا والفعل تقتضي فاعلا من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لانه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التي يكتسب بها والفلك السفينة يكون واحدا وجمعا والسخرية اظهار خلاف الابطان على وجه يفهم منه استضعاف العقل ومنه التسخير التذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصا ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول بالمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز والصحيح للحلول

التحيز

التحيز الاعراب سوف تنقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور ومن يأتيه في موضع من هذه قولان احدهما ان يكون بمعنى اي فكانه قال اينا يأتيه عذاب يخزيه والاخر ان يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لان الذي ناقص مفتقر الى الصلة دون السائل المعنى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اعلم الله سبحانه نوحا انه لن يؤمن به احد من قومه في المستقبل فلا تبتئس اي فلا تغتم ولا تحزن بما كانوا يفعلون لعلمه لا يدل على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل انما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فلما اراد الله سبحانه اهلاكهم امره باتخاذ السفينة لنجاته ونجاة قومه فقال واصنع الفلك باعيننا اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن امن بك باعيننا اي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل بحفظنا اياك حفظ الرائي لغيره اذا كان بمرأى منه وذكر الاعين لتأكيد الحفظ وقيل اراد بالاعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون اليك باعينهم وانما اضاف ذلك الى نفسه كرامة لهم وتعظيما لهم قوله ووحينا معناه وعلى ما اوحينا اليك من صنعتها وحالها عن الجبائي وابي مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله عن ابن عباس اي فانا نوحي اليك بما تحتاج اليه من طولها وعرضها وهيئاتها ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم مغرقون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى بذلك امرأته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه ويصنع الفلك اي وجعل نوح يصنع الفلك كما امره الله تعالى قيل وكان نوح عليه السلام صنع السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قومه وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم وهو يعمل السفينة هزؤا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل انما كانوا يسخرون من عمل السفينة لانه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله فكان يقول لهم ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فانا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلون عن الزجاج وقيل معناه فانا نجازيكم على سخريتكم عند الغرق والهلاك فعادل به بعد العذاب الجزاء باسم المجزي به ويحتمل ان يريد انا نسخر منكم بعد الغرق على وجه التشمت لا على وجه السفه فسوف تعلمون من يأتيه العذاب بالسخرية وتعلمون عاقبة سخريتكم من يأتيه عذاب يخزيه هذا ابتداء كلام من نوح والاظهر ان يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يفضحه في الدنيا ويكون مخزيه صفة للعذاب ويحل عليه عذاب مقيم اي وينزل عليه عذاب دائم في الاخرة القصة قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للانعام والدواب وطبقة للهوام والوحش جعل اسفلها للوحوش والسباع والهوام واوسطها للدواب والانعام وركب هو ومن معه الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وروت عائشة عن النبي انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى كان اخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها وجعل يعمل سفينة وقومه يمرون عليه ويسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها فار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله قال لما اراد الله اهلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود فلما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى ان ينادي بالسريانية ان يجمع اليه جميع الحيوان فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفارة والسنور وانهم لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فأر فتناسل فلما كثروا وشكوا اليه منهم دعا بالاسد فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين امنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث اخر شكوا اليه العذرة فامر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير وقد روى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله قال امن مع نوح من قومه ثمانية نفر قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين اربع ايات القراءة قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين منونا وفي المؤمنين كذلك والباقون من كل زوجين مضافا وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم واتفقوا على ضم الميم في مرسيها الا ما يحكى في الشواذ عن ابن محيصن انه فتح الميم فيهما وقرأ عاصم يا بني بفتح الياء هنا والباقون بالكسر وروي عن علي بن ابي طالب وابي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروي عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف الحجة الوجه في قراءة حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها قال ابو علي من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الازواج اذا كانت اثنين زوجين

قال الزجاج في قوله من كل زوجين اثنين يريد بهما الشيئين ولا يريد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر فاعمد لما تعلو فمالك بالذي لا تستطيع
من الامور يدان انما يريد تشديد انتفاء قوته عنه من تكثيره ويبين هذا المعنى قول الفرزدق وكل رفيقي كل رحل وان هما تعاطى القنا قوماهما اخوان فرفيقا
اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وانما يريد الرفقاء اذا كانوا رفيقين ومن نون فقال من كل زوجين فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيء
ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون اثنين على انه صفة لزوجين فان قلت فالزوجان قد علم انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين فلما جاز
ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا الهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه الى التأكيد كقوله امس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة
قال ومناة الثالثة الاخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجريها ومرسيها ان يكون حالا من شيئين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي
فيها فان جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدما في قول من لم يرفع بالظرف وجعلت قوله مجريها مرتفعا بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجريها الا جملة في
موضع الحال من الضمير الذي فيها ولا يجوز ان يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف
قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير المبتدأ فاذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود الى ذي الحال من
الحال واذا خلا من ذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي فيها ويجوز ان يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في قوله اركبوا على ان يكون الظرف خبرا عن الاسم الذي
هو مجريها على ما كان في الوجه الاول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه المعنى ركب متعدا بسلاحه متلبسا بثيابه
التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله متمسكين بذكر الله ويكون في بسم الله ذكر يعود الى المأمورين فان قلت كيف
اتصال المصدر الذي هو مجريها بالكلام على هذا فانه يكون متعلقا بما في بسم الله من معنى الفعل جاز بعلقه به لانه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق
النجم كانهم متبركين بهذا الاسم ومتمسكين به في وقت الجري والاجراء والرسو والارساء على حسب اختلاف القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا لان
المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها وقت الجري والثبات انما المعنى اركبوا الان متبركين باسم الله في الوقتين الذين لا ينفك الراكبون فيها
من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجريها نصب على هذا الوجه بانه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الاول رفع بالابتداء او
بالظرف وقيل على انه في الوجه الاول رفع وان كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر الا في قول الشاعر انشده الاصمعي بابي انت وفوك الاشنب
كانما ذر عليه الزرنب ومجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تجريهم ومجة من ضم اجريته هم بقار بان في المعنى فان
جرى الشيء واجريته وجريت به اما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسر الياء الوجه يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم
اثنين فاذا حقرت لحقت ياء التحقير فلزم ان ترد اللام الذي حذفت لانك لو لم تردها لوجب ان تحرك بالتحقير بحركات الاعراب تعاقبها عليها وهي
لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها الا ترى ان من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخب لم يفعل ذلك في الهمز نحو افياس انما يبدلها من الهمز ياء ويدغم
فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطيئة وواو مقروءة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فاذا تبينت ان ياء التحقير جرت هذا المجرى علمت انها
لا تحرك كما لا يتحرك حروف المد التي جرت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير جعلها محذوفة في التحقير كما حذفت في التكبير للزم الياء التي
للتحقير الانقلاب كما لزم ما حرف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الالف في التكبير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكبير فرددت لذلك اللام فاذا رددت
اللام واضفتها الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الاولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا بني فاذا ناديت ظهر فيها وجهان
اثبات الياء وحذفها فمن قال يا عبادي فاثبت فقياس قوله ان يقول يا بنيي ومن قال يا عباد قال يا بني فيحذف الياء التي للاضافة وابقى الكسرة دالة عليها وهذا
الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه اراد به الاضافة كما اراده في قوله يا بني الا انه اكره الياء التي هي لام الفعل كانه قال يا بنيي ثم ابدل
من الكسرة الفتحة ومن الياء الالف فصار يا بنيا كما قال الشاعر يا ابنة عما لا تلومي واهجعي ثم حذف كما كان يحذف الياء في يا بني بعد حذفت الياء التي للاضافة
اذا ابدلت الالف منها انشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني انما هو يا لهفا فال ابو عثمان قال ابو عمار ويوضع الالف مكان الياء
في الاضافة مطرد واجاز يا زيد اقبل اذا اردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا ابت لم تعبد يا قوم لا اسئلكم وانشد وهل جزع ان قلت وا بابا هما
واما من قرأ ونادى نوح ابنه فانه اراد ابنها كما روي عن عكرمة والمعنى ابن امرأته لانه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه واهلك فحذف الالف تخفيفا كما قالوا
بني بالفتح ويا ابت وما اشبه ذلك مما حذف الالف وهو يريد الندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابناه ويا ابنا فاما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله مطوي
مثا فان له ارتان اللغة الغور الغليل المسلة الانتفاع فار القدر يفور فورا وفورانا ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره
من قبل ان يسكن والارسا امساك السفينة بما تقف عليه قال رساها الله فرست قال عنترة فصرت نفسا عند ذلك حرة رسوا اذا نفس الجبان تطلع والموج
جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع الاعراب متعلق بقوله واصنع الفلك باعيننا لا عاصم كيف عاصم مع لا مبني
لانهما بالتركيب صارا كاسم احد وقيل انه مبني لتضمنه معنى من لان هذا جواب هل من عاصم فحق الجواب ان يكون وفق السؤال لكان يجب ان يقول لا من عاصم الا
ان من حذفت وتضمن الكلام معناها فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن اليوم خبر والعامل فيه المحذوف ولا قوله عاصم لانه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته
فكان يجب تنوينه لانه يشبه المضاف كما تقول لا اصحاب في دارك ولم يقرأ احد عاصما اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والمقدر لا ذا عصمة كان
من امر الله واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاء كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لان امر مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم

فيه ثلاثة اقوال احدها ان يكون استثناء منقطعا الا ان التقدير لا من رحمه الله فيكون من مفعولا والاستثناء من عاصم استثناء عاصم على وكانه قال لكن من رحمه
الله معصوم والثاني ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكانه قال لا عاصم الا الله والثالث ان عاصم هنا بمعنى معصوم تقديره لا معصوم من امر الله الا من رحمه
الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية اي مرضية وماء دافق اي مدفوق وقال الحطيئة دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
اي المكسو وعلى القولين الاخيرين يكون الاستثناء متصلا قال ابن الكيسان فاما قال لا عاصم معناه لا معصوم لان نفي العاصم نفي المعصوم قال الا من رحم استثناء
على المعنى فيكون متصلا المعنى ثم اخبر سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال حتى اذا جاء امرنا والمعنى فلبث على هذه الحالة حتى اذا جاء امرنا بالعذاب وفار
التنور بالماء اي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور اقوال اولها انه تنور الخابزة وانه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح اذ نبع الماء من موضع
غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور كان في دار نوح بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان في ناحية
الكوفة وهو المروي عن ائمتنا ويروى المفضل بن عمر عن ابي عبد الله في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة مسجد الكوفة قال قلت
فكيف كان بدء خروج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يري قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضا وفاض الفرات فيضا وفاضت
العيون كلها فيضا فغرقهم وانجى نوحا ومن معه في السفينة فقلت كم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له
ان مسجد الكوفة لقديم فقال نعم وهو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله حين اسري به الى السماء فقال له جبرئيل هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء
السفينة استقلت بما فيها فجرت على الماء مائة وخمسين يوما بلياليها وروى ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة صلى فيه
سبعين صلوة وصلى فيه الف نبي وسبعون نبيا وفيه فار التنور وفيه نجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلام وثانيها ان التنور وجه الارض
عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض عيونا وثالثها ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار
وتقضي الليل من قولهم نور الصبح تنويرا عن علي ورابعها ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة فشبهت بالتنانير
لعلوها عن قتادة وخامسها ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم وحلت نقمته بهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وفار قدر القوم
اذا اشتد حربهم قال الشاعر يفور علينا قدرهم فنديمها ونفثاها عنا اذا حمها غلا يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا ابعد الاقوال من الاثر
وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية اولى قلنا احمل من كل زوجين اثنين اي قلنا لنوح لما فار الماء من التنور احمل في السفينة من كل جنس من
الحيوان زوجين اي ذكر وانثى وقد ذكر المعنى في حجة القراءتين واهلك اي احمل اهلك وولدك الا من سبق عليه القول اي من سبق الوعد باهلاكه
والاخبار بانه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها واغلة وابنه كنعان ومن آمن اي واحمل فيها من آمن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال وما آمن معه
الا قليل اي الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا في قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفسا حمل معه جسد
آدم عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريج وقتادة وروي ذلك عن ابي عبد الله وقيل سبعة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه
الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كنائن لهم فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك
والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث وقال اركبوا فيها اي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور
قال نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار والاهله وقومه اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها اي متبركين باسم الله وقائلين بسم الله وقت اجرائها
ووقت ارسائها اي ابتدائها وحبسها وقيل معناه بسم الله اجراؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة قال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة
قالوا بسم الله مجريها واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم الله مرسيها فوقفت ان ربي لغفور رحيم هذا حكاية عما قاله نوح لقومه وجه اتصاله بما
قبله انه لما ذكر النجاة بالركوب في السفينة ذكر النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلب بالطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال
معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودل بتشبيهها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروي
عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل بالثين ذراعا قال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى
طافت الارض كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت الى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل
بارض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابي عبد الله ان نوحا ركب السفينة في اول يوم من رجب فصام وامر من معه ان يصوموا ذلك
اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة ونادى نوح ابنه كنعان وقيل اسمه يام وكان في معزل اي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين
ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين ابيه قد اعتزله يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قيل كان في معزل من السفينة يا بني اركب معنا ولا تكن مع
دعا ابنه الى ان يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب
معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الاول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فاجابه ابنه قال ساوي الى جبل اي ساصير وارجع الى مأوى من جبل يعصمني
من الماء اي يمنعني من اغراق الماء قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله الا من رحمه الله بايمانه فآمن بالله يرحمك وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
آية اللغة البلع اجراء الشيء في الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب الشيء من اصله حتى لا يرى له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى منه شيء

عن الامر اذا تركه ولما المعنى ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي قال الله سبحانه للارض انشفي ماءك الذي نبعت به العيون واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء عن وجه الارض باوجز مدة وتجري مجرى ان قيل له ابلعي فبلعت ويا سماء اقلعي اي وقال تعالى للسماء امسكي عن المطر وهذا اخبار عن ارتفاع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكانه قال له اقلعي فاقلعت وغيض الماء اي ذهب به عن وجه الارض الى باطنها والمعنى وانشف الارض ماءها وقيل ان الارض ابتلعت جميع مائها وماء السماء لقوله وغيض الماء وقيل لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلعي ماءك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن ائمتنا وقضي الامر اي فرغ من اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الامر وقيل قضى الامر بنجاة نوح ومن معه واستوت على الجودي اي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمل وقال غيره هو بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل سبحانه ثم سبحانا نعوذ به وقبله سبح الجودي والجمد وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب النبوة مسندا الى ابي بصير عن ابي الحسن موسى بن جعفر قال كان نوح لبث في السفينة ما شاء الله وكانت مأمورة فخلى سبيلها فاوحى الله الى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل فضرب جؤجؤ السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريا اتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفي رواية اخرى يا رب هان اتقن وتأويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهرا وقيل بعدا للقوم الظالمين اي قال الله تعالى ذلك ومعناه ابعد الله الظالمين من رحمته لانه انضم موردا الهلاك وانما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون معنى هذا من قول الملائكة او من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الاية من بدائع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه فمنها انه خرج مخرج الامر وان كانت الارض والسماء من الجماد ليكون ادل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى وائتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال الى غير ذلك مما يعلمه من يتدبره وله معرفة بكلام العرب ويحكى ان كفار قريش ارادوا ان يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر اربعين يوما لتصفو اذهانهم فلما اخذوا فيما ارادوا سمعوا هذه الاية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما اخذوا فيه وافترقوا

قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين خمس آيات

القراءة قرأ الكسائي ويعقوب وسهل انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غير والباقون عمل اسم مرفوع منون غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون مثبتة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ اهل المدينة غير قالون فلا تسألني مشددة النون مثبتة الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألن مشددة النون مكسورة بغير ياء

الحجة قال ابو علي من قرأ انه عمل فنون فالمراد ان سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون الضمير في انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عمل غير صالح ويجوز ان يكون الضمير لابن نوح كانه جعل عمل غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذو عمل غير صالح فحذف المضاف ومن قرأ انه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ انه عمل غير صالح وهو يجعل الضمير لابن نوح فيكون القراءتان متفقتين في المعنى وان اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بان العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا قال عمر بن ابي ربيعة ايها القائل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابا وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهنا اذا لفه منى ومن مالئ عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال الى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدي الى مفعولين ومن كسر النون فانه يدل على تعدية السؤال الى مفعولين احدهما اسم المتكلم والاخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذفت النون من قولهم اني وكذلك وكما حذفت النون من قوله يسوء الغاليات اذا فليني وابقاء الياء في الاصل فهو الاصل وحذفها للخفة والكسرة تدل عليها

الاعراب قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الاية وجهين احدهما ان يكون كقوله كان جزائي بالعصا ان اجلدا اذا قدمت بالعصا كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واني لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين وزعم ابو الحسن ان ذلك انما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التعليق بمضمر يفسره هذا الذي ظهر بعده وان كان لا يجوز تسلطه عليه مثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين متعلق بما دل عليه الناصحين المظهر والتقدير اني ناصح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ما ليس لك به علم يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وان لم يجز ان يعمل فيه والوجه الاخر ان يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الاية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على حقيقته وليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله فان علمتموهن مؤمنات ونحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين واقرار المقر بما يدعى ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم الحكم بالشيء معه تلك من انباء الغيب تلك مبتدأ ومن انباء الغيب خبره ونوحيها اليك خبر ثان وان شئت كان تلك مبتدأ ونوحيها الخبر والجار من صلة

نوحيها اي تلك من انباء الغيب ولا يجوز ان يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لانها لا تزاد في الموجب ويجوز على قول الاخفش المعنى

ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح فقال ونادى نوح ربه نداء تعظيم ودعاء فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق معناه انك وعدتني بان تنجي اهلي وان ابني من اهلي وان وعدك الحق لا خلف فيه فنجه ان كان ممن وعدتني بنجاته وانت احكم الحاكمين في قولك وفعلك قال الله سبحانه يا نوح انه ليس من اهلك وقد قيل في معناه اقوال احدها انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لان الله سبحانه قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم من اراد اهلاكهم بالغرق فقال الا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي وثانيها ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وآله سلمان منا اهل البيت وانما اراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشاء عن الرضا قال قال ابو عبد الله ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لانه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله ويؤيد هذا التأويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان يخالفه في العمل والنية فمن ثم قيل انه ليس من اهلك وثالثها انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد حيث ان فيه منافاة للقرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعيير وتشيين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم وروي عن ابن عباس انه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الخيانة من امرأة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون والخيانة من امرأة لوط انها كانت تدل على اضيافه ورابعها انه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الاية القولان الاولان انه عمل غير صالح قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى قدس الله روحه في تأويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح ووصفا عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظآر ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اراد انما هي ذات اقبال وادبار قال وقيل ان المعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فان من امتنع من ان يقع على الانبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فاذا قيل له فلم قال فلا تسألن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم قال لا يمتنع ان يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان لم يقع يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه عن الشرك نبيه في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان لم يجز وقوع ذلك منه وانما سأل نوح نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين له تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله اني اعظك ان تكون الوعظ الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين معناه لا تكن منهم قال الجبائي يعني اني اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرفه عن الجهل وينزهه عن القبيح قال نوح عند ذلك رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي اعتصم بك ان اسألك ما لا اعلم انه صواب انك تفعله ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفقه ولا يكله الى نفسه وانما حذف ياء من قوله رب واثبته في قوله يا نوح لان ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان يأتي بحرف التنبيه والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وانما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وان لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما امر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال قيل يا نوح اهبط اي انزل من الجبل او من السفينة بسلام منا اي بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك وبركات عليك اي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال عليك وعلى امم ممن معك يعني الامم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والامة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى امم من ذرية من معك وقيل يعني بالامم سائر الحيوان الذين كانوا معه لان الله تعالى جعل فيها البركة وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم معناه انه يكون من نسلهم امم سنمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فنهلكهم ثم يمسهم بعد الهلاك عذاب مولم وانما ارتفع امم لانه استئناف الاخبار عنهم وروي عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لان الجهل يغلب عليهم والغفلة فلا يتفكرون الا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال تلك اي تلك الانباء من انباء الغيب اي من اخبار ما غاب عنك معرفته واوقات ذلك كان جائزا لان الصفات قد يكنى عنها بالتذكير كما يكنى بالتانيث نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي من قبل هذه الاخبار التي اعلمناكها لم تكن تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا العرب يعرفونها من قبل ايحائنا اليك لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه فاصبر اي فاصبر على القيام بامر الله وعلى اذى قومك يا محمد كما صبر نوح على اذى قومه ان العاقبة للمتقين كره الله قصص الانبياء عليهم السلام ليصبر النبي صلى على ما كان يقاسيه من جهة الكفار ان العاقبة للمتقين اي ان العاقبة المحمودة ونجاتهم والنصرة للمتقين كما كانت لنوح

قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء

انّ ربّنا نجّينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منّا ونجّيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربّهم وعصوا رسله واتّبعوا امر كلّ جبّار
عنيد واتّبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا انّ عاداً كفروا ربّهم الا بعداً لعاد قوم هود احدى عشرة آية كوفي وعشر في الباقين عدّ الكوفيون مما
تشركون آية اللغة الفطر الشقّ عن امر الله كما يتفطّر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لانه بمنزلة ما شقّ عنه فظهر المدرار الدارّ الكثير المتتابع على
قدر الحاجة اليه دون الزيادة المفسدة للضرّ ومفعال للمبالغة كقولهم معطاء ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه اذا اصابه قال الشاعر من القوم يعرو اجرامه
دمائم والفرق بين الانظار والتأخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه في امره والتأخير خلاف التقديم الناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة
تناصي مفازة اذا كانت الاخرى متصلة بالاولى قال في تناصيها بلاد قيّ وقال ابو النجم ان يمس رأسي اشمط العناصي كانما فرّقه المناصي اي يجاذب يقتضيه
في تربة العيكل الطائف عنيد معاند عند يعند عنوداً اذا تجبّر وعند عن الامر اذا حاد عنه فهو عاند وعنود الاعراب اخاهم نصب بفعل ارسلنا كانّه قال وارسلنا الى
عاد اخاهم وهوداً عطف بيان وعاد مصروف لان المراد به الحيّ وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال لو شهد عاد في زمان عاد لابتزّها مبارك الجلاد غيره من رفع
اراد حمل الصفة على الموضع ومن جرّ حمله على اللفظ قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال صاحب كتاب الكشف الجامع النحوي ان حرف نفي حذف تقول
فنفت جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم اعتراك بعض آلهتنا بسوء والتقدير ما نقول قولا الا هذه المقالة والفعل يدلّ على المصدر وعلى الظرف
وعلى الحال فيجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دلّ عليه من المصادر والظروف والاحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصدر الذي دلّ عليه نقول
كقوله تعالى ان نحن نتبيّن الا موتتنا الاولى فنصب موتتنا على الاستثناء لانه مستثنى من ضرب الموت الذي دلّ عليه قوله نتبيّن ومما جاء من ذلك في الظرف
قوله ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دلّ عليه يلبثوا من الاوقات ومما جاء من ذلك في الحال قوله ضربت عليهم الذلّة اينما
ثقفوا الا بحبل من الله فالمعنى ضربت عليهم الذلة في جميع الاحوال اينما ثقفوا الا متمسكين بحبل اي بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فان تولّوا تقديره فان
تتولّوا فحذفت احدى التائين لانه الكلام عليه قوله بعدا لعاد منصوب على المصدر اي ابعدهم الله بعدا فوقع موقع ابعادا كما وقع نباتا موقع انبات
في قوله انبتكم من الارض نباتا المعنى ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال والى عاد اخاهم هودا اي ارسلنا اخاهم في النسب وقيل في الدين قال يا
قوم اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا الاصنام ما لكم من اله غيره دخول من يفيد التعميم نفى ان يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله ان انتم الا
مفترون اي ما انتم الا كاذبون في قولكم ان الاصنام آلهة يا قوم لا اسألكم عليه اجرا اي لا اطلب منكم على دعائي لكم الى عبادة الله جزاء ان اجري
الا على الذي فطرني اي ليس جزائي الا على الله الذي خلقني افلا تعقلون حتى ما اقول لكم فتعلمون ان الامر على ما اقوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه قد بيّنا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في هذه اول السورة يرسل السماء عليكم مدرارا اي يرسل المطر عليكم متتابعا متواترا دارّا
وقيل انهم كانوا اجدبوا فوعدهم هود انهم ان تابوا اخصبت بلادهم واثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذي يعيشون به
وهذا مثل قوله ومن يتّق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويزدكم قوة الى قوتكم فسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة وكل
ذلك مما يتقوّى به الانسان قال علي بن عيسى يريد عزا الى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في ايمانكم الى قوة في ابدانكم ولا تتولّوا عما ادعوكم
اليه مجرمين اي مشركين كافرين قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة اي بحجة ومعجزة بيّنة صدقك وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك اي لسنا بتاركين عبادة
الاصنام لاجل قولك وقيل ان عن جعلت مكان الباء فمعناه بقولك وما نحن لك بمؤمنين اي مصدقين وانما حملهم على دفع البيّنة مع ظهورها اشياء
منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها اتّهامهم لمن جاءهم بها احتشاما لم ينظروا فيها ومنها انه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لاصول فاسدة دعتهم
الى جحدها وانما حملهم على عبادة الاوثان اشياء منها اعتقادهم ان عبادتها تقربهم الى الله زلفى ومنها ان الشيطان زيّنها في اعينهم ان عبادتها تحفظهم
في الدنيا ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبّهة فاتخذوا الاوثان على صورته عندهم فعبدوها ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء هذا تمام
الحكاية عن قوم هود اجابوا هودا والمعنى لسنا نقول فيك الا انه اصابك بعض آلهتنا بسوء فخبل عقلك لشتمك لها وسبّك اياها عن ابن عباس
ومجاهد قال اي قال هود لقومه اني اشهد الله واشهدوا اي واشهدكم ايضا بعد اشهاد الله اني بريء مما تشركون من دونه ان كنتم تزعمون ان الهتكم
عاقبتني لطعني عليها فانّي على بصيرة في البراءة مما تشركون مع الله من الهتكم التي تزعمون انها اصابتني بسوء وانما اشهدهم على ذلك وان لم يكونوا اهلا للشهادة
من حيث كانوا كفارا فساقا اقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول اعذارا وانذارا وقيل انه اراد به قوله اشهدوا العلم كما قال شهد الله
اي علم الله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي احتالوا واجتهدوا انتم والهتكم في اضراري ومكروه ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من اعظم آيات الانبياء
ان يكون الرسول وحده وامته متظاهرة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضرّه وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الآية
فان نبينا قال فان كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر الا عن وثوق بنصر الله وبانه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم ذكر هود هذا المعنى فقال اني
توكلت على الله ربي وربكم اي فوّضت امري الى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه ما من دابة الا هو
آخذ بناصيتها اي ما من حيوان يدب على وجه الارض الا وهو مالك لها يصرفها كيف يشاء ويقهرها وجعل الاخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة لان
من اخذ بناصية غيره فقد قهره واذله ان ربي على صراط مستقيم اي انه سبحانه مع كونه قاهرا على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى انه تعالى لا يجور
معناه ان ربي في تدبيره لا على طريق مستقيم لا عوج فيها لا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويفعل ما تقتضيه الحكمة فان تولوا اهذا حكاية عما

هود لقومه المعنى فان تتولوا ويجوز ان يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فان تولوهم فقل لهم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي ليس ذلك
لتقصير مني في ابلاغكم وانما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد ابلغتكم جميع ما اوحي اليّ ويستخلف ربي قوما غيركم اي ويهلككم ربي بكفركم
ويستبدل بكم قوما غيركم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه شيئا يعني اذا استخلف غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدرون له على ضرر وقيل معناه لا تضرونه
بتوليكم واعراضكم شيئا ولا ضرر عليه في اهلاككم لانه لم يخلقكم لحاجة منه اليكم ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظه من الهلاك ان شاء ويهلكه اذا شاء
وقيل معناه ان ربي يحفظني عنكم وعن اذيكم وقيل معناه ان ربي على كل شيء من اعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها ولما جاء امرنا بهلاكهم نجينا هودا
والذين آمنوا معه من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة آلاف برحمة منا اي بما اريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا اي بنعمة منا وهي النجاة
اي نجيناهم برحمة ليعلموا انه عذاب الله بعد الكفار لا بالاتفاق ونجيناهم من عذاب غليظ اي كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الآخرة والغليظ
الثقيل العظيم ويحتمل ان يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفرهم فقال وتلك عاد اي وتلك القبيلة عاد جحدوا بآيات ربهم يعني معجزات
هود الدالة على صحة نبوته وعصوا رسله انما جمع الرسل لان من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل ولان هودا كان يدعوهم
الى الايمان به وبمن تقدمه من الرسل وبما انزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعا فلذلك عصوهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اي واتبع السفلة والسقاط
الرؤساء وقيل ان الجبار من يقتل ويضرب على غضبه العنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي واتبع عاد بعد اهلاكهم
في الدنيا بالابعاد من الرحمة فان الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنين بالدعاء عليهم باللعن ويوم القيمة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا
في الدنيا منها ويلعنون بان يدخلوا النار فان اللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنه اذا قال عليه لعنة الله واصله الابعاد من الخير الا ابدا وبئس ما عادوا
كفروا ربهم اي بربهم فحذف الباء كما قالوا امرتك الخير اي بالخير الا بعدا لعاد قوم هود اي ابعدهم الله تعالى من رحمته بعدا وابعدا قوله تعالى والى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بيّنة
من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين
آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا
ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ثمان آيات القراءة قرأ اهل المدينة غير اسمعيل والكسائي والبرجمي والشموني عن ابي بكر عن عاصم من خزي يومئذ
بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ في المعارج والباقون بكسر الميم على الاضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب الا ان ثمود غير منون في جميع القرآن
وقرأ الباقون ثمودا بالتنوين ههنا وفي الفرقان وفي العنكبوت والنجم لانه مكتوب بالالف في هذه المواضع ابو بكر عن عاصم يقرأ وثمود في النجم بغير تنوين
بنون الباقون وعن البرجمي وعمد بن غالب عن الاعشى والنجم بالتنوين بالتنوين ايضا وقرأ الكسائي وحده الا بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقون
لثمود بفتح الدال الحجة قال ابو علي قوله ومن خزي يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فيحتمل الكسر في المعنى الا انه اتسع فيه فجعل اسما كما اتسع فيه في قوله
بل مكر الليل والنهار فاضيف المكر اليهما انما هو فيهما فكذلك العذاب والخزي والفزع في قوله من فزع يومئذ لما اضيف الى اليوم والمعنى على ان ذلك كله
اليوم كما ان المكر في الليل والنهار يدلك على ذلك قوله ولعذاب الآخرة اخزى وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من في السموات ومن في الارض
قوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته واما من كسر الميم من يومئذ فلان يوم اسم معرب فاضيف اليه ما اضيف من العذاب والخزي والفزع فانجر بالاضافة
ولم يفتح اليوم فتبنيه لاضافته الى المبني لان المضاف منفصل من المضاف اليه ولا يلزمه الاضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدلك على ذلك انك
تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه الا الاعراب وان كان لا يسما جعل بمعنى الحرف فلم يلزم فيها البناء كما يلزم ما يتضمن معنى الحرف نحو اين وكيف و
متى فلما لم يبن المضاف للاضافة وان كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم للاضافة الى اذ لان اضافته لم تلزم كما لم يبن المضاف
وان كان قد عمل في المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم يلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزي يومئذ ففتح مع انه في موضع جر فلان
المضاف يكتسي من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضرب والنفي في نحو قولهم ما اخذت باب
دار احد فلما كان يكتسي من المضاف اليه هذه الاشياء اكتسى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الاسماء الشائعة مثل يوم وحين ومثل وغير وهذا
الشائع لا سيما الشائعة المبنية نحو اين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتس منه البناء كما اكتسي من الاسماء الشائعة فمما جاء من ذلك
قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل في موضع رفع في قول سيبويه
وقد جرى وصفا على النكرة الا انه فتح للاضافة الى ما ومن ذلك قول الشاعر تداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل لما اضاف مثل الى المبني وكان انما
بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمان الى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم احد فبني مثلا على الفتح ولا دلالة فاطعة على هذا القول في هذا البيت لو كان
ما ذهب اليه مستقيما فاما الكسرة في اذ فلالتقاء الساكنين وذلك ان اذ فلا التقاء الساكنين من حكمها ان تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما قطع
عنها الاضافة نونت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال في حجته ثمود وجه انصرافه ان هذه الاسماء

التي تجري على القبائل والاحياء على ضربين احدهما ان يكون اسما للحي والاب والاخر ان يكون اسما للقبيلة والثالث ان يكون الغالب عليه الاب دون الحي
والحي والقبيلة والرابع ان يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون لاحد الوجهين مزية على الاخر في الكثرة فمما جاء على انه اسم للحي ثمود
ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس بنت عيلان وتميم
صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان واما ما غلب عليه اسم الحي او القبيلة فقد قالوا باهلة
ابن اعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل الا اسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم
الاب واما ما استوى فيه ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبا فمرة للقبيلة ومرة للحي وكثرتهما سواء قال
وعادا وثمودا وقال الا ان ثمود كفروا ربهم وقال واتينا ثمود الناقة فاذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على احد الوجهين
مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسنا وكذلك ان لم يصرف في موضع ولم يصرف في موضع اخر الا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراء فان القراءة
سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر كسى الله حي تغلب ابنة وائل من اللوم اظفارا بطيئا نصولها فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقبيلة ولنا
قوله اولئك اولى من يهود بمدحة اذا انت يوما قلتها لم تؤنب فقد قامت الدلالة على ان يهود استعمل على انها للقبيلة وليس للحي في قوله اولئك اولى من
يهود لانه لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن فرت يهود واسلمت جيرانها صمي لما فعلت يهود صمام وكذلك جاء في الحديث نقسم يهود ومثل يهود في هذا
مجوس قول الشاعر كنار مجوس تستعر استعارا الا ترى انه لو كان للحي دون القبيلة لانصرف اللغة الانشاء الايجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب
انشأ فلان حديثا او شعرا والاستعمار جعل القادر يعمر الارض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو ان يقول الرجل اعطيتك هذه الدار عمرك او عمري والمس
اللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بان المس قد يكون بين حيوانين واللمس لا يكون الا بين حيين لما فيه من الادراك والجثوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود
على الركبة وغني بالمكان اذا اقام به والمغنى المنزل قال النابغة غنيت بذلك اذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد واصل الغنى الاكتفاء ومنه الغنى
بالمال والغناء بالمد الصوت الذي يكتفى به والغنى الاكتفاء بالشيء ومنه غني بالمكان لاكتفائه بالاقامة فيه الاعراب لا مفعول له ههنا لانه معلق كما
يعلق اذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله لقد رايت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجواب ان الاولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته
فمن ينصرني الا انه استغنى بالاول فلم يظهر ومن ينصرني صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكانه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته انما جاز الغاء ارايت هنا
لانها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها وهو يتعلق بمعناها وان انفصل لفظها وقوله فياخذكم جواب النهي بالفاء
ولذلك نصب وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فان ياخذكم عذاب قريب فاخذ عذاب عاجل اياكم وايام اصله ايوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى فيها
المعنى ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي فقال
لهم صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مضى تفسيره هو انشاكم من الارض اي ابتدا خلقكم من الارض لانه خلق ادم من الارض ومرجع نسلكم
اليه واستعمركم فيها اي جعلكم عمار الارض بان مكنكم من عمارتها والحاجة الى السكنى فيها وقيل معناه واعمرها لكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد
وقيل معناه واطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من الف سنة الى ثلث مائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من
المساكن والزراعات وغرس الاشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لانه سبحانه امتن على عباده بان مكنهم من عمارة الارض ولو كان ذلك
محرما لم يكن لذلك وجه فاستغفروه ثم توبوا اليه اي فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة ان ربي قريب برحمته لمن وحده مجيب لمن
دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الاحوال الجميلة قبل هذا القول فالان يئسنا منك ومن خيرك بابداعك
ما ابتدعت وقيل معناه كنا نرجو ان تكون عونا على ديننا اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا استفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان ينهاهم [illegible]
عبادة ما عبد اباؤه واننا لفي شك مما تدعونا اليه من الدين مريب موجب للريبة والتهمة اذ لم يكن اباؤنا في جهالة وضلالة قال صالح لهم يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي ما قبل فاتاني منه رحمة اي ولطف اتاني الله منه نعمة وهي النبوة فمن ينصرني من الله ان عصيته اي فمن يمنع عذاب الله
عني ان عصيته مع نعمته علي فما تزيدونني غير تخسير اي ما تزيدونني بقولكم اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير نسبتي اياكم الى الخسارة والتخسير مثل التفسيق
والتفجير قال ابن الاعرابي معناه غير تخسير لكم لا لي وقال ابن عباس ما تزيدونني الا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من
يزداد الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية اشار الى الناقة التي جعلها الله معجزة له لانه سبحانه اخرجها لهم من جوف صخرة تشاهدونها على تلك الصفة
خرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتنفرد به لا ترد الماء معها دابة فاذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم
اية ومعجزة وانتصب اية على الحال من ناقة الله فكانه قال انتبهوا لها في هذه الحال والمعنى ان شككتم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي واضافها الى
الله تشريفا لها كما يقال بيت الله فذروها تاكل في ارض الله اي فاتركوها حال اكلها فتكون تاكل في ارض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز
ان يكون مرفوعا على الاستيناف والمعنى فانها تاكل في ارض الله من العشب والنبات ولا تمسوها بسوء اي لا تصيبوها بسوء من قتل او جرح او عقر فياخذكم ان فعلتم
ذلك عذاب قريب اي عاجل يهلككم فعقروها اي عقرها بعضهم ورضي البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشوم فقال صالح تمتعوا
في داركم ثلثة ايام اي التذوا بما تريدون من الملاذ كالحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلثة ايام ثم يحل بكم العذاب بعد

ذلك ويقال للبلاد دار لانها تجمع اهلها كما تجمع الدار اهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في
داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحيوة بالتمتع لان الحي يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا ثلاث مرات فقال صالح
لكل رغوة اجل يوم فاصفرت الوانهم اول يوم ثم احمرت من الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله ذلك وعد غير مكذوب اي ان ما وعدتكم به من العذاب
نزوله بعد ثلاثة ايام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه واله لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال ايها
الناس لا تسالوا نبيكم الايات فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون من لبنها مثل
الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها فعتوا عن امر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فاهلك الله
من كان في مشارق الارض ومغاربها منهم الا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له ابو رغال قيل له يا رسول الله ومن ابو رغال قال
ابو ثقيف فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا مر تفسيره في قصة عاد ومن خزي يومئذ قال ابن الانباري هذا معطوف على محذوف وتقديره نجيناهم
من العذاب ومن خزي يومئذ اي من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم والخزي العيب الذي يظهر فضيحته ويستحيى من مثله ان ربك هو القوي اي القادر على
ما يشاء العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع مما اراده واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل ان الله سبحانه امر جبرئيل فصاح بهم صيحة ماتوا بها ويجوز ان يكون
الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها فاصبحوا في ديارهم اي منازلهم جاثمين اي ميتين واقعين على وجوههم وقيل جاثمين اي باركين على ركبهم
وانما قال فاصبحوا لان العذاب اخذهم عند الصباح وقيل اتتهم الصيحة ليلا فاصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه
كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا في منازلهم قط لانقطاع اثارهم بالهلاك الا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم الا ان ثمود كفروا
ربهم الا بعدا لثمود قد سبق تفسيره قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما
راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود تسع ايات عند البصريين وثمان عند غيرهم لم يعد البصري في قوم لوط اية القراءة قرأ حمزة والكسائي قال
سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي والذاريات وقرأ الباقون قال سلام وقرأ يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون يعقوب بالرفع
وفي الشواذ قراءة الاعمش هذا بعلي شيخ بالرفع الحجة قال ابو علي اخبرنا ابو اسحق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها انه مصدر سلمت السلام
شجر قال الا سلام وحرمل والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل ان يكون مضافا الى الله تعظيما لها ويحتمل ان يكون دار
السلام من العقاب لمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلانه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكى
كما يحكى الجمل ولكنه هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل اذا قال لا اله الا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا اعملت القول في المصدر لانك ذكرت
معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه واما قوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فان سيبويه زعم ان ابا الخطاب زعم ان مثله بمنزلة قولك سبحان الله تفسيره براءة الله من السوء وقولك للرجل سلاما
تريد تسلما منك لا ابتلي بشيء من امرك فعلى هذا المعنى وجه في الاية قال وزعم ان قول امية سلامك ربنا في كل فجر بريئا ما تغنتك الذموم على قوله براءتك
ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لانه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل اي صبر
جميل امثل او يكون المعنى امري سلام وشاني سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدا ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف
المبتدا الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير الف ولام وذلك لانه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب جاز
فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على
نوح في العالمين سلام على ابرهيم سلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالالف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام علي يوم ولدت
فزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين الحقوا الالف واللام حملوه على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه
على غير المعهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين احدهما انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الاصل من نحو لم
يك ولا ادر ويوم يات والاخر انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيها الالف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقالوا لاه ابن عمك
قد جعل الجبل على نحو واما من قال سلم فان سلما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم فيكون سلم في الاية بمعنى
سلام كقولهم حلال وحل وحرم وحرام فيكون على هذه قراءة من قرا سلام وسلم بمعنى واحد وان اختلف اللفظان والاخر ان يكون سلم خلاف العدو
والحرب كانهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة قالوا انا سلم ولسنا بحرب لا عدو فلا تمتنع من تناول طعامك كما يمتنع من تناول طعام
العدو ومن قرأ ومن وراء اسحق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمل ضربين احدهما ان يكون يعقوب
في موضع جر اي بشرناها باسحق ويعقوب قال ابو الحسن هذا اقوى لان بها اشتبه بها قال وفي اعمالها ضعف لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف والاسم ان

تحمله على موضع الجار والمجرور كقولك اذا ما تلاقينا من اليوم او غدا وكقراءة من قرأ وحورا عينا بعد يطاف عليهم بكذا ومثله ولسنا بالجبال ولا الحديدا
والثاني ان تحمل على فعل مضمر كانه قال فبشرناها باسحق ووهبنا له يعقوب فاما الاول فقد نص سيبويه على قبح مثله نحو مررت بزيد اليوم وامس عمرو
عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مررت بزيد اليوم وامس عمرو لم يحسن انما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد وعمرو ففي الفصل ايضا قبح كما قبح الحمل على
الجر وذلك ان الفعل يصل بحرف الجر وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل به يصل الفعل الى المفعول به كما يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد
فاما يجعل الحال من المجرور ولم يجز التقديم عند سيبويه لان الجار هو الموصل للفعل كما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف
مثل الجار في انه يشرك والفعل كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعا اذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف على الموضع
وقبح ايضا الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لان العاطف فيهما مثله في الجار وليس العامل نفس الرافع والناصب لان العامل فيهما بعد حرف العطف ليس
الجار انما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك في الشعر قال الاعشى يوما تراها كشبه اردية الخمس ويوما اديمها نغلا ففصل بالظرف بين المشرك في النصب وما
اشركه فاذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح الفصل في الحمل على الجار فينبغي ان يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل اخر مضمر يدل عليه فبشرناها كانه قال
ولا يحمل على الوجهين الاخرين واما الرفع في قوله شيخ ففيه وجوه احدها ان يكون بعلي خبر المبتدا وشيخ بدل من بعلي فيكون كانه قال هذا شيخ والاخر ان
يكون شيخ خبر مبتدا محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه الثالث ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ هو الخبر فيكون تقديره بعلي شيخ
والرابع ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع العبودة والشيخوخة
قال ابن جني وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدا ابدا ان فيه ضميرا وان لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد اخوك
وهو يريد النسب فاذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلا من الضمير في بعلي لانه خبر عن هذا اللغة العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه
العجاجيل وسمي بذلك لتعجيل امره بقرب ميلاده والحنيذ المشوي وهو الحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال العجاج ورهبا من
حنذه ان تعرجا يعني الحمر الوحشي قال الزجاج الحنيذ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي الذي يقطر يقال العرب تقول احنذ هذا الفرس اي اجعل عليه الجل
لحمل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوي نقطا وقيل هو السميط يقال نكرته وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته
لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا وقال ابو ذويب فنكرنه فنفرن فامترست
به هوجاء هادية وهاد جرشع والايجاس الاحساس واوجس توجس احس قال ذو الرمة فقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب
ويقال اوجس خوفا اي اضمر والبعل الزوج واصله القائم بالامر ما استغنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والعجب تحير على المدهد
وعلى المتعجب منه تقول هذا امر عجيب ولا يجوز العجب من امر الله لانه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الاجناس لا يعجزه شيء فما عرف سببه لا يتعجب منه
المجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجادة اذا كرم قال الشاعر ونعت بني تميم باهل الاها ونخ لطارف على العلياء بالعمد والروع الافزاع يقال راعه
يروعه اذا افزعه قال عنترة ماراعني الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم وارتاع ارتياعا اذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي
في روعي اي في نفسي سميت بذلك لانها موضع الروع والرد والدفع واحد نقيضه الاخذ والفرق بين الرد والدفع قد يكون ان الدفع الى جهة القدام
والخلف والرد لا يكون الا الى جهة الخلف الاعراب فما لبث ان جاء بعجل ما اقام حتى جاء بعجل اذ جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كانه قال فما ابطأ مجيئه
بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل قال الفراء ويحتمل ان يكون موضعه رفعا بان يجعل ان جاء فاعل لبث فكانك قلت فما لبث مجيئه بعجل الف يا ويلتى
يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل ان يكون الف التدبير ويحتمل ان يكون ياء الاضافة فانقلبت الفا ومعنا الايذان بورود الامر العظيم كما تقول العرب يا للدواهي
اي تعالي فانه من احيانك ومحضر من شكالك ويجوز لو توقف عليه بغير ها والاختيار في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج ما
المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فان اضطر واقف ان يقف وقف عليه بغير ها واما الهمزتان في قوله أألد ففيه ثلاثة اوجه ان شئت حققت الاولى و
حققت الثانية فقلت يا ويلتى أألد وان شئت حققت الاولى وخففت الثانية وهو الاختيار فقلت يا ويلتى آلد وان شئت حققتهما جميعا فقلت ءألد
وشيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال ههنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك اذا قلت هذا زيد قائما فان كنت تقصد ان تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد
لم يجز ان تقول هذا زيد قائما لانه يكون زيدا ما دام قائما فاذا زال عن القيام فليس بزيد وانما تقول للذي يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه
والمعنى انبه لزيد في حال قيامه او اشير اليه في حال قيامه لان هذا اشارة الى ما حضر وقال غيره ان شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وان شئت العامل
جعلت فيه معنى الاشارة وان شئت لهاك فيه مجموعا وكذا ملحوظ بحريه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لان العامل ليس بفعل محض فان
قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الاشارة لم يجز وان جعلت العامل معنى التنبيه جاز يجادلنا في موضع نصب لانه حكاية حال قد مضت الا فالجد
ان يقول لما قام قمت ويضعف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلالة الكلام عليه فيكون تقديره قلنا ان ابرهيم لحليم اواه منيب
٧ يا ابرهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره اخذ يجادلنا ويجوز ان يكون لما كان شرطا للماضي وقع المستقبل فيه بمعنى الماضي كما ان ان لما كان شرطا
للمستقبل وقع الماضي فيه بمعنى المستقبل المعنى ثم ذكر سبحانه قصة ابرهيم ولوط فقال سبحانه ولقد جاءت رسلنا يعني الملائكة وانما دخلت اللام
لتاكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتؤذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل

فقيل كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله قال والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل
احد عشر عن السدي وكانوا على صورة الغلمان اتوا ابرهيم الخليل بالبشرى اي بالبشارة باسحق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجبائي وروي
عن ابي جعفر ان هذه البشارة كانت باسمعيل من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط قالوا سلاما هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابرهيم اي
سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبت سلاما او لفظا دالا على السلامة كما يقال اهلا ومرحبا كان تحية من الملائكة لابرهيم فقال
ابرهيم مجيبا لهم سلام وقد مر تفسيره فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف بتقديم الطعام بعجل مشوي لانه توهم انهم
اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابرهيم يحب الضيفان فجاؤه على احسن الوجوه اليه وصار ذلك من السنة ان يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى
حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الحنيذ ما حفر له في الارض ثم غمته وهو فعل اهل البادية عن الفراء وقيل
حنيذ مشوي يقطر ماؤه عن عطية فلما راى ابرهيم ايديهم يعني ايدي الملائكة لا تصل اليه اي الى العجل نكرهم اي انكرهم واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم
خوفا واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما راهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يامن ان يكون ذلك لبلاء وذلك
ان اهل ذلك الزمان اذا اكل بعضهم طعام بعض امنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي اثبت الحرمة بينه وبيننا باكله الطعام وقيل انه ظن
انهم لصوص جاؤوا بشر وقيل ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤوا لامر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى قالوا
له لا تخف يا ابرهيم انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي كان ذبحه ابرهيم وشواه فطفر ورعى
فعلم حينئذ انهم رسل الله وامراته سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروغ بن ارعو بن فالغ وهي ابنة عم ابرهيم قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم
عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابرهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابرهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود
وامراته قائمة وهو جالس فضحكت قيل هو الضحك المعروف الذي يعتري الانسان للفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم مع قرب نزول العذاب
بهم عن قتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الاكل وخدمتها اياهم بنفسها لهذا يقال وسر كذا انه ما يضحك قالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة
لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لانها قالت لابرهيم ضم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهولاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على
ما توهمت عن الزجاج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة تسعين سنة او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين
او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لهما الولد في حال شبابهما على هذا فيكون في الكلام تقديم وتاخير تقديره فبشرناها باسحق ويعقوب
فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر فبشرناها باسحق اي بان سيمن باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب يعني ومن بعد اسحق يعقوب وقيل الوراء
ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وعكرمة قال الشاعر وضحك
الارانب حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لغة بني الحرث بن كعب ضحكت النخلة اذا اخرجت الطلع والبسر والضحاك الطلع وانشد بعضهم الضحك
بمعنى الحيض قول الشاعر وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه ان يكون على طريق الكناية قال
الكميت فاضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن ولا ودينا قالت سارة يا ويلتى االد وانا عجوز اي هذا شيء عجيب ان الد وقد شخت وهذا بعلي زوجي شيخ ولم
تشك في قدرة الله تعالى ولكن انما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما قال موسى مدبرا حين انقلبت العصا حية حتى قيل له اقبل ولا تخف لانهى كانت عارفة
بان الله يفعل ذلك ولم ترد بقولها يا ويلتى الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب
من قدرة الله ولكنها ارادت ان تعرف هل تتحول شابة ام تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب وهذا بعلي شيخا اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو
شيخ ان هذا الذي بشرت به لشيء عجيب قالوا اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر اتعجبين من امر الله ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف
اي اتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك وبزوجك رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي ليس هذا موضع تعجب لان التعجب انما يكون من الامر الذي لا
يعرف سببه نعمة الله تعالى وكثر خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخبارا عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل
ان يكون دعاء لهم بالرحمة والبركة من الله فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل البيت كما يقال اتعجب من كذا بارك الله فيك يرحمك الله ويعني
باهل البيت اهل بيت ابرهيم وانما جعلت سارة من اهل بيته لانها كانت ابنة عمه ودلالة في الاية على ان زوجة الرجل من اهل بيته على ما قاله الجبائي
وروي ان امير المؤمنين مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة
لابينا ابرهيم ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد اي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات مجيد اي كريم هو المبتدئ
بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل ما اية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين اصابعه
فاهتز اخضر عن السدي فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي الخوف والفزع الذي دخله من الرسل وجاءته البشرى اي البشارة بالولد يجادلنا في قوم لوط اي يجادل رسلنا
في قوم لوط وتلك المجادلة انه قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد
قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال باي شيء استحقوا عذاب الاستئصال
وهل ذلك واقع لا محالة ام هو تخويف ليرجعوا الى الطاعة وباي شيء يهلكون وكيف ينجي الله المؤمنين عن الجبائي ولما سالهم سؤال مستقص سمي ذلك [illegible]

جدا الا انه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض ان ابراهيم لحليم اواه منيب قد مضى تفسيره في سورة براءة منيب راجع الى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة الى
ان تلك المجادلة من ابراهيم لم تكن من باب ما يكره لانه مدحه بالحلم وبان ذلك كان في امر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والاواه ذلك لانه دل على الخلق الكريم في
النار فقالوا له يا ابراهيم اعرض عن هذا وهو حكاية ما قالت الملائكة لابراهيم فانهم نادوه بان قالت يا ابراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم
لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر انه قد جاء امر ربك بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة وانهم آتيهم عذاب غير مردود يعني غير مدفوع عنهم اي لا يقدر احد على
رده منهم قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك
لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد
الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد سبع آيات بلا خلاف وتمام الآية السادسة عند المدني الاخير قوله سجيل وعند الباقين قوله منضود القراءة
في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبة اوي بالنصب
والقراءة العامة بالرفع وقرأ اهل الحجاز فاسر باهلك من السرى موصول الهمزة والباقون فاسر من اسرى بقطع الهمزة حيث كان وقرأ ابن كثير وابو عمرو الا امرأتك
بالرفع والباقون بالنصب الحجة اما قوله هن اطهر لكم فان سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها احتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جني وانما ضعف ذلك عنده
لانه ذهب الى انه جعل هن فصلا وليست بين احد الجزئين اللذين هما مبتدأ وخبر نحو قولك ظننت زيدا هو خيرا منك وكان زيد هو العالم ويجوز ان يكون
بناتي هن جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوه هو وان يكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى الاشارة كقولك هذا
زيد هو قائما فمن قرأ او آوي بالنصب فيكون تقديره لو ان لي بكم قوة او أويا الى ركن شديد ويكون منتصبا باضمار ان وعليه بيت الكتاب فلولا رجال من
رزام اعزة وآل سبيع او اسوءك علقما والتقدير او ان اسوءك فكانه قال او اياك فما ومن قرأ فاسر باهلك باثبات الهمزة في اللفظ او بغير الهمزة
فان سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد وسرى وقال امرؤ القيس سريت بهم حتى تكل
مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان وقال سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ومن قرأ الا امرأتك نصبا فانه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه ونصب المستثنى
كما ينصب مع الايجاب الواجب لا قبل الرفع على البدل لان المعنى ما اتاني احد الا زيد فكما اتفقوا في ما اتاني الا زيد على الرفع وكان ما اتاني احد الا زيد
بمنزلته وبمعناه واختاروا الرفع مع ذكر احد ومما يقوي ذلك انهم في الكلام واكثر الاستعمال يقولون ما اتاني الا امرأة ما جاءني الا امرأة فيذكرون حملا
على المعنى ولا يؤنثون ذلك الا في الشعر كما في قول الشاعر فما بقيت الا الضلوع الجراشع وكقول ذي الرمة وما بقيت الا النحيزة والالواح والعصب
زعموا ان في حرف عبد الله او ابي فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من نصب اللغة سيء بهم
يعني بهم من السوء فاسكنت الواو ونقلت كسرتها الى السين ويقال سؤته فسيء كما يقال شغلته فشغل وسررته فسر والفرق بين السوء والقبيح ان السوء ما يغمهم
مكروه عندهم والقبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله ويقال ضاق فلان بامره ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا العصيب الشديد في الشر
خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء اي شددته وعصبته ومنه انا لندرونا انه عصبو ويوم عصيب وعصبصب كانه التف على الناس بالشر او
يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر فانك الا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب وقال عدي بن زيد وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد
سلكوك في يوم عصيب وقال الراجز يوم عصيب يعصب الابطالا عصب القوي السلم الطوالا والاهراع الاسراع في المشي قال مهلهل فجاؤا يهرعون وهم
اسارى تقودهم على رغم الانوف وقال ابو عبيدة الاهراع السوق الحثيث قال ابو مسلم القران بالسوق ليسمي بركن معتمد البناء بعد الاساس ومنه اركان الجبل
جوانبه قال الراجز يا وي لي ركن من الاركان في عطلس مجدبان والشدة تجمع يصعب معه التفكك وقد يكون الشدة تقتضيا معه التخلص
القطع القطعة العظيمة تمضي من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع نصفين والالتفات فعال من اللفت وهو اللي يقال لفتت فلانا عن رأيه اي صرفته
امرأة لفوت لها ولد من غير زوجها وكانها تلفت الى ولدها منه وفي حديث صفة النبي انه كان اذا التفت التفت معا اي كان لا يلوي عنقه يمنة و
يسرة والسجيل فارسي معرب سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديدة وانشد لابن مقبل ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى
به الابطال سجينا وسجيل وسجين بمعنى والعرب تعاقب بين النون واللام فقلبت النون هنا لاما وقيل انه مشتق من اسجلته اي اعطيته فكانه
انها مثل العطية في الادرار وقيل انه من السجل وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الارسال وقيل انه من اسجلته اذا ارسلته فكانها مرسلة
عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكانها مسجلة لهم والمراد كتب الله عليهم ان يعذبهم بها المنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض المسوم
المعلم بالسيما وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسلة في المرعى وذلك ان الابل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيما للتمييز الاعراب
اليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم لانهما حذف منهما المضاف لو ان لي بكم قوة جواب لو محذوف تقديره لحلت بينهم
وبينكم انه مصيبها ما اصابهم الهاء في انه ضمير الشان والحديث مصيبها مبتدأ وما اصابهم موصول وصلة في موضع رفع بكونه صفة لحجارة اي كائنة
فاعل مصيبها وقد سد مسد خبر المبتدأ من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة اي كائنة من سجيل مسومة صفة اخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصبا على

الحال

الحال من الضمير المستكن في منضود المعنى ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند ابراهيم وقطعهم بينهم وبين قوم لوط فقال ولما جاءت
رسلنا لوطا اي الملائكة في صورة الآدميين سيء بهم اي ساء مجيئهم لانه خاف عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمجيئهم ذرعا اي قلبه لما رأى لهم من حسن الصورة
وحسن البشارة وقد دعوا الى الضيافة وقد عرف قومه كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا
الى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل الى الذكور وهذا قوله في وصف الغلمان المرد واصله ان الشيء اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعير ضيق
الذرع عند تعذر الامكان كما استعير الاتساع وقال هذا يوم عصيب اي هائل شديد كثير الشر التفت الشر فيه وانما قال ذلك لانه لم يعلم انهم رسل
الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحوهم وقال الصادق جاءت الملائكة لوطا وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه وراى هيئة حسنة عليهم ثياب
بيض وعمائم بيض فقال لهم المنزل فقدمهم ومشى خلفهم فقال في نفسه اي شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من
خلق الله وكان قد قال الله لجبرئيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث شهادات فقال جبرئيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم
لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرئيل هذه ثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرئيل هذه الثالثة
ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون
فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه اي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل معناه يأتون ولبس هناك يسوقهم بعضهم
بعضا يسوق بعضا عن ابي مسلم الهاء في اليه كناية عن لوط ومن قبل اي من قبل اتيان الملائكة وقيل من قبل مجيء قوم لوط الى الضيف وقيل من قبل بعث
الى ذا بعض الجبائي وقيل انه من قبل بعثة لوط اليهم كانوا يعملون السيئات اي يعملون الفواحش مع الذكور قال لوط يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم معناه
قال ان لوطا لما هموا باضيافه وجاهروا بذلك فالقوا جلباب الحياء فعرض عليهم نكاح بناته وقال هن احل لكم من الرجال فدعاهم الى الحلال او خلع
في ذلك فقيل اراد بناته لصلبه وقيل اراد النساء من امته لانهن كالبنات له فان كل نبي ابو امته وازواجه امهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف في كيفية عرضهن
فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز ايضا في مبتدأ الاسلام وقد زوج النبي بنته من ابي العاص بن الربيع قبل ان
تسلم ثم نسخ ذلك وقيل اراد التزويج بشرط الايمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انه كان لهم سيدان مطاعان
فيهم فاراد ان يزوجهما بنتيه عورا وزيتا فاتقوا الله اي فاتقوا الله الذي فاتقوا عقاب الله في مواقعة الذكور ولا تخزون في ضيفي اي لا تلزموني عارا
ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على ضيفي فان الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها المضيف اليس منكم رجل رشيد اي اليس في جملتكم رجل قد اصاب
الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم الى الحق قالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم الى النكاح المباح اي ما لنا في بناتك من حاجة لان ما لا يكون للانسان
فيه حاجة فانه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لانا لم نتزوجهن وكانوا يقرون بان من لم يتزوج
بامرأة فانه لا حق له فيها عن الجبائي وابن اسحاق فالقول الاول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ وانك لتعلم ما نريد اي تعلم ميلنا الى الغلمان
دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بان قال لو ان لي بكم قوة اي منعة وقدرة وجماعة اتقوى بها عليكم فادفعكم
عن اضيافي او آوي الى ركن شديد او انضم الى عشيرة منيعة تشد ظهري فتمنعني من دفعكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق فقال جبرئيل لو
يعلم اي قوة له فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح بهم جبرئيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم وهو قوله
فطمسنا اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط الا في عز من عشيرته ومنعة من قومه وروي عن النبي انه قال رحم الله اخي لوطا كان
يأوي الى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه قالوا يا لوط انا رسل ربك ارسلنا لاهلاكهم فلا تغتم لن يصلوا اليك
اي لا ينالونك بسوء ابدا فاسر باهلك ليلا اي سر باهلك ليلا وقال السدي لم يؤمن بلوط الا ابنتاه بقطع من الليل اي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل
بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي ولا يلتفت منكم احد قيل في معناه وجوه احدها لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كانهم
تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة والثاني لا يلتفت احد منكم الى ماله ولا متاعه بالمدينة وليمض معي ولا يتخلف عن الرفقة عن الجبائي كانه اراد الا
النظر اليهم عبرة فلم ينهوا عنها والثالث معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس والرابع انه امرهم ان لا يلتفتوا اذا سمعوا الوجبة والهدة الا امرأتك
انها التفتت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماه فاصابها حجر فقتلها وقيل الا امرأتك معناه لا تسر بها انه مصيبها ما اصابهم اي يصيبها من العذاب ما
اصابهم امروه ان يخلفها في المدينة ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب لما اخبر الملائكة لوطا بانهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة
لضيق صدره وشدة غيظه عليهم فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل ظرفا وجعله خبر ان لان الموعد هو الصبح انما قالوا اليس الصبح بقريب
تسلية للوط وقيل انه انما قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا ذلك فيه لا لان على ان الله سبحانه انما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وان صبا اشد بعض
بمعنى ويجوز ان يكون قد جعل الصبح ميقاتا لاهلاكهم لان النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع فلما جاء امرنا فيه اقوال احدها لما جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم
لوط والثاني جاء العذاب لكنه قيل لكن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب على هذا
فالامر هو نفس العذاب الثالث جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها اي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فان الله تعالى امر جبرئيل فادخل جناحه

الارض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتجلجلون فيها الى يوم القيمة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بامرنا وانما اضافه الى نفسه لانه بامره وامطرنا عليها حجارة اي وامطرنا على القرية اي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرئيل وقيل انما امطر عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي المؤتفكات سدوم وعاموراء وداذوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب من سجيل اي سنك وكل عن ابن عباس وسعيد بن جبير يعني بذلك صلابتها وشدتها وانها ليست من جنس ما جرت به عاداتهم في سقوط البرد من الغيوم وقال ان السجيل الطين عن قتادة ويؤيده قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضا انه بحر معلق في الهواء بين الارض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الاجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كانت اصل الحجارة طينا فشددت عن الحسن وقيل ان السجيل اسم من اسماء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من سماء الدنيا منضود وهو من صفة سجيل اي نضد بعضها على بعض حتى صار حجرا عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع اي كان بعضها في اثر بعض وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس مسومة هي من صفة الحجارة اي معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نضح من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجر منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض عن ابن جريج وقيل نحوه عن الحسن والسدي وقيل مشهورة عند ربك اي في علم ربك وخزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد الا بامره وما هي من الظالمين ببعيد اي وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يا محمد ببعيد اراد بذلك ارهاب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن تخطئهم وذكر ان حجرا بقي معلقا بين السماء والارض اربعين يوما يتوقع به رجلا من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منها فاصابه قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود اثنتا عشرة آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين الحجة اما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبعد في الشر خاصة ومصدره البعد مثل بعد الله فانه منقول من بعد لانه يتعدى وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وانما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك انه يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون بعده الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اي المبعد فلا ابعد الشيء نفصل له فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد اللغة الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بالة التعديل واذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق الصواب الا انه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس لك جنسا بعينه وانما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وانما لم يكن الموفق للطاعة الا الله تعالى لان احدا لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه والشقاق المشاقة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة وشقه والفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علما لضرب من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلائل السمعية واصول الدين علم بمدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشد والرهط خشبة الاكل ومنه الراهطاء لجحر اليربوع لشدته وتوسعه ليختبي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والاعز الاقوى الامنع يقال عز يعز اذا عز ينفض لا اذل والظهري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينسى يقال للكلام لا تجعلنا بامرك فيجعل فلان هذا الامر بظهر والظهير وقيل لا تكون حاجتي بظهر فلا تجعلنا على جوانبها الاعراب وان نفعل موضع ان نصب على معنى تامرك ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما يعبد آباؤنا والتقدير اصلوتك تامرك ان نترك عبادة آبائنا او فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز ان يكون قوله ان نفعل معطوفا على قوله ان نترك لان المعنى يصير فاسدا واو هنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما واجرى بهما وموضع من في قوله من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب لك وجهان من الاعراب احدهما ان يكون معلقا بقوله تعلمون فيكون استفهاما وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز ان يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب فيكون معطوفا على الهاء من يخزيه اي ويخزي الذي هو كاذب والثاني ان يكون من في قوله من ياتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفا عليه ادخلوا هو في قوله من هو كاذب لانهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد انما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر من شارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار كأن لم يغنوا فيها

مجل

يحتمل ان يكون كان مخففة من الثقيلة على ان يضمر فيها كما يضمر فيما من قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ويجوز ان يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر المعنى ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الانبياء فقال والى مدين اي وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فحذف اهل واقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدين ابن ابراهيم نسبوا اليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اي لا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن اني اريكم بخير اي برخص السعر وخصب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النقمة ان لم يتوبوا وقيل اراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني اريكم في كثرة الاموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم الى نقصان الكيل والوزن واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة ويعني انه محيط عذابه بجميع الكفار لا يفلت منه احد منهم اراد يوم القيمة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لان اليوم يحيط بكل من حاضر سعة وذلك يظهر في الوصف ما هو له في النفس ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي اوفوا حقوق الناس في المكيلات والموزونات بالكيال والميزان بالعدل ولا تبخسوا الناس اي لا تنقصوا الناس اشياءهم اي اموالهم في معاملاتهم ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا تسعوا بالفساد ولا تضربوا في الارض بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي ما بمعنى الباقي اي ما ابقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لانها تبقى ثوابها ابدا والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا الآية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري وما انا عليكم بحفيظ اي ما انا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان تزول عنكم وانما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه ما انا بحافظ لاعمالكم وانما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه ما انا بحافظ عليكم كيلكم ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا انما قالوا ذلك لان شعيبا كان كثير الصلوة وكان يقول ان الصلوة رادعة عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر فقالوا اصلوتك التي تزعم انها تامر بالخير وتنهى عن الشر امرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه ادينك يامرك بترك دين آبائك عن الحسن وعطاء وابي مسلم قالوا كني عن الدين بالصلوة لانها من جملة امور الدين وانما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء او ان نفعل في اموالنا ما نشاء في اموالنا من البخس والتطفيف انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوا ذلك على وجه الهزء والتهكم وارادوا به ضد ذلك اي السفيه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك انت الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد قال شعيب يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة وبصيرة ورزقني منه رزقا حسنا قيل ان الرزق قال الحسن هيهنا النبوة وقيل معناه هدى الله ووسع علي في نعمه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق وحسن في الكلام حذف اي فاعدل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وانما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي لست انهيكم عن شيء وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسي ومعنى اخالفكم اليه ما اقصد بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقيل معناه وما اريد بالجزاء منفعة الى نفسي بما انهيكم عنه لا امركم بترك التطفيف في الكيل والوزن لتكون منفعته ما يحصل بالتطفيف لي ان اريد الا الاصلاح اي ما اريد بما امركم به وانهاكم عنه الا اصلاح اموركم في دينكم ودنياكم ما استطعت اي ما قدرت عليه وتمكنت منه وما توفيقي الا بالله معناه وليس توفيقي في امتثال ما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه الا بالله فلا يوفق غيره اي ليس ما افعله بحولي وقوتي بل بمعونة الله ولطفه عليه توكلت التوكل على الله الرضا بتدبيره مع تفويض الامور اليه والتمسك بطاعته واليه انيب اي اليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعملي وبنيتي عن الحسن معناه اي اعمالي كلها لوجه الله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي ان يصيبكم عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا يحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب شقاقه والعداوة بينه وبينهم انه خالفهم الاجداد في عبادة الاوثان وما يثقل عليهم من ايفاء الكيل والميزان مثل ما اصاب قوم نوح من الهلاك بالغرق او قوم هود بالريح العقيم او قوم صالح بالرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد اي وهم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب ان تتعظوا بهم واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه اي اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي والزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا على التوبة وقيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندم في القلب عن الماضي ان ربي رحيم بعباده فيقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم ودود اي محب لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد اي يودهم اذا طاعوه روي عن النبي انه قال كان شعيب خطيب الانبياء قالوا اي قال القوم لشعيب حين سمعوا منه الوعظ والتخويف يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهم معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه لا نعمل به وهذا كقولك اذا امرك انسان بشيء لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك ولكن لا افعله وانما قالوا ذلك بعدما الزمهم الحجة وانا لنريك فينا ضعيفا اي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر عن سفيان وقيل اعمى وكان شعيب اعمى عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير اي قد ضر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لان قوله فينا يرده الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا اي مهينا عن الحسن واختلف في ان النبي يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لان ذلك ينفر وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والامراض ولولا رهطك لرجمناك اي لولا حرمة عشيرتك وقومك

الاباء

الحجارة

بالحجارة وقيل معناه لشتمناك وسببناك وما انت علينا بعزيز اي لم ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لاجل قومك قال الحسن كان شعيب في عز من قومه وكان من
اشرافهم وما بعث نبي بعد لوط الا في عز من قومه قال شعيب يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله اي عشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون اذاي لاجل
عشيرتي ولا تتركونه لله الذي بعثني اليكم واتخذتموه وراءكم ظهريا اي اتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة الى الله عن ابن عباس والحسن
وقيل الهاء عائدة الى ما جاء به شعيب عن مجاهد المعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم وقيل انها عائدة الى امر الله عن الزجاج اي نبذتم امر الله
وراء ظهوركم وتركتموه ان ربي بما تعملون محيط اي يحصي اعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل معناه خبير باعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اي اعملوا على حالكم هذه والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمل هذا تهديد في صورة الامر وتقديره كانكم امرتم بان تكونوا على هذه الحال
من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الخزي والنبا الهون وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم اي اعملوا انتم على ما تقولون واعمل انا على ما اقول وقيل معناه
اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على انه آيس من قومه اني عامل على ما امرني ربي وقيل اني عامل على ما انا عليه من
الانذار سوف تعلمون اينا المخطئ الجاني على نفسه قيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون عاقبة الامر من ياتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق
تقديره من هو كاذب يخزى بعذاب الله وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب اني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا
العذاب واللعنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصر عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان وانا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا
عليه السلم انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
مضى تفسيره واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها مضى تفسيره الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود الا بعدا لمن رحمه الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الاهلاك كما اهلكت ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان يكون ضرب
من العذاب اهلكهم الله فيه لسخطه عليهم تقول العرب صاح الزمان بهم اذا اهلكوا وقال امرؤ القيس فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل معنى
صيح في حجراته ذهب به هلاك فالواو وانما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لانهم اهلكوا كما اهلكت ثمود بمثل ذلك من الرجفة قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا
في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد
ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود اللغة يقال قدمت القوم اقدمهم قدما اذا تقدمتهم
استعمل الازهري تقدم يقدم وتقدم وتقدم واقدم واستقدم بمعنى والورود ورود الماء الذي يورد والابل الواردة والجمع ورد ولا يراد يجاب الورود الما
او ما يقوم مقامه قال الشاعر يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة اذا اسمال التبع وقال لبيد فوردنا قبل فراط القطا ان من وردي تغليس النهل وصل
الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم والرفد العون على الامر يقال رفدته
رفدا ورفدا بفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شيء جعلته عونا لشيء او اسندت به شيئا فقد رفدته به يقال عمدت الحائط واسندته وارفدته رفدا بمعنى
واحد ويقال رفده وارفده اذا اعطاه والاسم الرفد لا تا العطا هو المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الاصل وهذا زمن الحصاد
بالحاء وكسرها ويقال حصدهم بالسيف اذا قتلهم والتتبيب نقص تب يده اي خسرت قال جرير عرابة من بقية قوم لوط الا تبا لما فعلوا تبابا والفرق بين العذاب
الاليم ان العذاب يشمل الالم قال عبيد المرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب المعنى ثم عطف سبحانه بقصة موسى على ما تقدم من قصص الانبياء فقال
ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي بحججنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته وسلطان مبين اي وحجة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه على اتم ما يمكن وقيل السلطان
ان كان في معنى الايات فانما عطفه عليها لان الايات حجج من جهة الاعتبار العظيم بها والسلطان حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة
بها اشبهه من نازعه من اهل الباطل فله سلطان وقد قيل ان سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محقا حجة وجب اتباعه واذا كان
بخلافه لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان انما سمي سلطانا لانه حجة الله في ارضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به الى فرعون وملائه اي قومه وقيل
اشراف قومه الذين يملاء الصدور هيبتهم فاتبعوا امر فرعون وتركوا امر الله تعالى وما امر فرعون برشيد اي مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم الى رشد ولا
قائد الى خير فامر فرعون كان على ضد هذه الحال لانه داع الى الشر وصاد عن الخير وفي هذا دلالة على ان لفظة الامر مشتركة بين القول والفعل والمراد
هيهنا وما فعل فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيمة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما تقدمهم في الدنيا
يدعوهم الى طريق النار وانما قال فاوردهم على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لان ما عطف عليه من قوله يقدم قومه يوم القيمة يدل عليه عن الجبائي وقيل
انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون وبئس الورد المورود اي بئس الماء الذي يرد ومن عطاش الاحيا نفوسهم النار وانما اطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود
ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الانهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار وقيل بئس الشيء الذي يرده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم النار
وانما اطلق لفظ بئس وان كان عدلا حسنا لما فيه من البؤس والشدة واتبعوا في هذه يعني الحقوا في الدنيا لعنة يعني الغرق ويوم القيمة يعني لعنة يوم القيمة وهي
عذاب الاخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة باتباعهم من الرحمة واتبعهم الانبيا والمؤمنون بالدعا عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة في القيمة

لانفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم بئس الرفد المرفود بئس العطا المعطى النار واللعنة وانما سماه رفدا لانه في مقابلة ما يعطى
الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الاخرة وسال نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله بئس الرفد المرفود فقال هو
اللعنة بعد اللعنة قال الضحاك اللعنتان اللتان اصابتهم رفدت احديهما الاخرى ذلك اي ما ذكرناه ذلك من انباء القرى اي من اخبار البلاد نقصه عليك اي نذكره
لك ونخبرك به ونذكره وتسلية لك يا محمد منها قائم وحصيد اي من تلك الديار معمور وخراب قد اتى عليه الاهلاك ولم يعمر فيما بعد وقيل معناه قائم على بنائه لم
يذهب اصلا وان كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب وذهب اثره ودرس كالشيء المحصود عن قتادة وابي مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك
وباد اهله عن ابن عباس وما ظلمناهم باهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بان كفروا وان تكبلوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لانفسهم فما اغنت عنهم الهتهم
اي اوثانهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك اي عذاب ربك وقيل امر ربك باهلاكهم وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير عن مجاهد وقتادة والمعنى
لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والخسار وانما اضاف الهلاك الى الاصنام لانها السبب في ذلك فلولم يعبدوها لم يهلكوا وانما قال يدعون من دون الله لانهم كانوا
يسمونها الهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله وكذلك اخذ ربك اي وكما ذكر من اهلاك الامم واخذهم بالعذاب اخذ ربك اذا اخذ القرى
اي اخذ اهلها وحلول نقله بهم الى العقوبة والهلاك وهي ظالمة من صفة القرى وهو في الحقيقة لاهلها وسكانها ونحوه وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرء هذه الاية ان اخذه اليم شديد معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مولم شديد الالم ان في ذلك لاية اي
فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرنا على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبرة وتبصرة وعلامة عظيمة لمن خاف عذاب الاخرة اي لمن خشي عقوبة الله يوم القيمة
وخص الخائف بذلك لانه هو الذي ينتفع بالتدبر والتفكر فيه ذلك يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه الناس كلهم الاولون والاخرون منهم للجزاء والحساب والهاء
عائدة الى اليوم وذلك يوم مشهود اي يشهده الخلائق كلهم من الجن والانس واهل السماء واهل الارض اي يحضرونه ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه
وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا
ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ القراءة قرء يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرء يوم يات بغير ياء ابن
عامر واهل الكوفة غير الكسائي والباقون يات بالياء وقرء اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح الحجة من قرء يؤخره بالياء
فلانه رده الى قوله اخذ ربك ومن قرء بالنون فانه ابتدا والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يات قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يات باثبات الياء ومن حذف
هذه الياء فقد حكى سيبويه والخليل ان العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزي بالكسرة الا انهم يزعمون ان ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي فاما اثبات
الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين لانه لا شيء هيهنا يوجب حذفها في الوقف اذا قال يوم يات فلانها وان لم تكن في فاصلة امكن ان تشبهها بالفاصلة لان هذه الياء
تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان حكمها
فاما من حذفها في الوصل والوقف فلانه جعلها في الوصل مثل الوقف بمنزلة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا ادر وقوله
قول الشاعر كفاك كف لا تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما حذفنا الياء من تعطي وليس هنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقال ابو
علي حكى سيبويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد فينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا الا ان يكون
سمع فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعلته نحو غاض الماء وغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على
ولا دلالة ما تعلقه في ذلك لانه يجوز ان يكون مثل اجنه الله فهو مجنون واحبه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذف الزيادة منه كما حذف من اسم الفاعل
نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح بمعنى ملاقح فجاء على حذف الزيادة وفعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد من الحرف قول الشاعر يخرجن من اجواز ليل غاض
يريد مغض اللغة الشقاء والشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق
اخر نهاقه قال رؤبة حشرج في الجوف صهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق والزفير ترديد النفس مع الصوت حتى ينتفخ الضلوع واصل الزفير الشدة من
قولهم للشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدائد وزفرت النار اذا سمع لها صوت من شدة
توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من جوف عند النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود الكون في الامر ابدا والدوام البقا
ابدا ولهذا يوصف سبحانه بانه دائم ولا يوصف بانه خالد والجذ القطع يقال جذه يجذه جذا وجذ الله دابرهم قال النابغة يجذ السلوقي المضاعف
نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب ويقال جذها جذ العير الصليانة وهي نبت الاعراب اي لا ينبغي ان يكون فاعل يات ضمير اليوم المضاف
الى يات او اليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى يات لانك لا تقول جئتك يوم يسرك بمعنى يوم يسرك اياك ويكون
الهاء عائدة الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كانك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك
قولك هذا يوم جئته ويوم برده والمثال اليوم هذا غير جائز وكذلك لا يجوز ان تضيف الظرف الى الجملة معرفة بضمير وان كانت من مبتدا وخبر قبل
ان تقول آتيك يوم صحو بارده وليلة اولها مطير فان نونت فقلت آتيك يوم صحو بارده او ليلة اولها مطير جاز لانه خرج بالتنوين عن حد الاضافة
وهذا قول ابي عثمان المازني واذ قد تبين لك ذلك فقد تبين ان فاعل يات ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله يوم مجموع له الناس ذلك يوم مشهود اي يوم

هذا اليوم الذي تقدم ذكره لا تكلم نفس فاليوم في قوله يوم يأتي يراد به الحين والبرهة وليس على وضح النهار وقوله لا تكلم نفس الا باذنه يجوز ان يكون هذه ٥٠٠
الجملة حالا من الضمير في يأتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى يأتي لان يوم مضاف الى يأتي والفعل نكرة فلا يتعرف يوم بالاضافة اليه فجاز ان يوصف
بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او حذف الحرف او وصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف
من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت واذا جعلته حالا من الضمير في يأتي وجب ان تقدر فيه ضميرا يعود الى ذي الحال وتقديره غير متكلم

عن المازني وغيره واختاره البلخي وان قيل كيف يستثني من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها
وثالثها ان الاستثناء الاول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء
بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكانه قال لهم فيها نعيم الا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج
ورابعها ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر وارى لها دارا بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم

بمنزلة الأو كذلك قراءة من شدد لما وثقل ان شكله وذلك ان ان اذا ثقلت واذا خففت نصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن يخيل يشفيل ان زيدا
الا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل ان وتخفيل لما في قولهم نشدتك لما الله فعلت الا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن
واما دخول الا ولما فلان المعنى الطلب فكانه اراد ما اسالك الا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وان كان مرادا كما جاء في قولهم شر اهر ذا ناب اي ما اهر
الا شر وليس في الاية معنى نفي ولا طلب فان قال قائل لم لا فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميما فان ذلك لا يسوغ الا ترى ان الحرف المدغم اذا كان قبله ساكن
نحو ما لك نوم لم يقو الادغام فيه على ان تحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فاذا لم يجز ذلك عنه وكان التغيير يسهل عن الحذف فان لا يجوز الحذف الذي
هو اذهب في باب التغيير من تحرك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميما اجتمع في الادغام اكثر مما كان يجتمع في لما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على
امم ممن معك فاذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم اجدر

[illegible]

معنا ولا تطغيكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن ابن عباس وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه انه بما تعملون بصير اي عليم باعمالكم لا يخفى
عليه منها خافية وروى الواحدي باسناده عن ابي ادهم عن مالك بن دينار عن ابي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله لو صليتم حتى
تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتاد ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله اية
كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ولذلك قال لاصحابه حين قالوا له اسرع اليك الشيب شيبتني هود والواقعة النظم وجه اتصال الاية الاولى بما
قبلها انه لما قص نبا الامم اهلكهم بكفرهم اخرج عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه انه يوفيهم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف
الامم على انبيائهم ثم تكذيبا لهم ثم بين في هذه الاية اختلاف هؤلاء كاختلاف اولئك لان كفر لاختلافهم عن ابي مسلم كذلك اتصال الاية الثانية فانه
بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي اتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي اتيناه موسى قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

[illegible]

لبليك واعلم ان تعمل ما كاكريا او كلا ابك يحفظ عليك ما تصنع يطلع عليه سرا الذي يخفيه من الناس فاستحي لا تستحي من ربه فانها شوك
يوما لا تحقرن حسنة وان صغرت عندك وقلت في عينك فانها ستسرك واعلم انه ليس شيء اضر عاقبة ولا اسرع ندامة من الخطيئة انه ليس شيء اشد
طلبا ولا اسرع دركا للخطيئة من الحسنة اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله فتجذبه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك
قوله ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وروي عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليهما السلم يقول ان عليا اقبل على الناس فقال
اي آية في كتاب الله ارجى عندكم فقال بعضهم ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية فقال حسنة وليست اياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه قال حسنة و
ليست اياها فقال بعضهم قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال حسنة وليست اياها فقال بعضهم والذين اذا فعلوا فاحشة الآية
قال حسنة وليست اياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله يقول ارجى آية في كتاب
الله واقم الصلوة طرفي النهار وقرء الآية كلها قال يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا ان احدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فاذا
استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امه فان اصاب شيئا بين الصلوتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم
قال يا علي انما منزلة الصلوات الخمس لامتي كنهر جار على باب احدكم فما ظن احدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات اكان يبقى في جسده
درن فكذلك والله الصلوات الخمس لامتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكانها يذهبن بها وقيل
ان المراد بالحسنات التوبة فانها تذهب السيئات بان تسقط عقابها لانه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة ذلك ذكرى للذاكرين يعني ان ما ذكره من
ان الحسنات يذهبن السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه واصبر في معنا واصبر على الصلوة كما قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على اذى قومك وتكذيبهم اياك وعلى القيام بما افترضت عليك على
اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فان الله لا يبطل اجر المحسنين على احسانهم ولا يبطله بل يكافيهم عليه اكمل الثواب فلولا كان من القرون من
قبلكم اولو بقية اي هلا كان ولا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون ينهون عن الفساد في الارض الا كان يجب ان يكون قوم
منهم بهذه الصفة مع نعم الله عليهم بكمال العقل وبعثة الرسل اليهم واقامة الحجة لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم
في الفساد والمخوف انهم نموا والقرون التي عددها القرآن واخبر بهلاكها الظن العجب منهم كيف لم يكن من جملتهم بقية في الارض يامرون فيها بالمعروف وينهون
عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استاصلهم الله بالعذاب بانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم وقيل اولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل
معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة الا قليلا ممن انجينا منهم المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الانبياء والصالحون الذين آمنوا مع
الرسل فانجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وانما جعلوا هذا الاستثناء منقطعا لانه ايجاب لم يتقدمه صيغة النفي وانما تقدمه تحضيض وهو
السؤال ولو وقع لجاز في الكلام واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم واثار اللذات على امور الآخرة واشتغلوا بذلك
عن الطاعات وكانوا مجرمين وكان هؤلاء المتنعمون البطرون مجرمين مصرين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لانه سبحانه ذمهم بترك النهي
عن الفساد واخبر بانه انجى القليل منهم لنهيهم عن الفساد وتنبيه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لم يهلك الا بالكفر والفساد فقال وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن انما يهلكهم بظلمهم لانفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئا الآية وثانيها ان معناه لا يؤاخذهم بظلم واحدهم
مع ان اكثرهم مصلحون ولكن اذا عم الفساد وظلم الاكثرون عذبهم ثم قال انه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لانفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل
الكفار اذا قصدوا الحق في المعاملة ان يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطاء الواو في قوله واهلها واو الحال وروي عن النبي انه قال واهلها
مصلحون ينصف بعضهم بعضا النظم يحتمل اتصال قوله فلولا كان من القرون من قبلكم الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الامم الماضية في القرون
الخالية عقب ذلك بانهم انما اهلكهم من قبل نفوسهم لو كان فيهم مؤمنون يامرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استاصلناهم رحمة منا ولكنهم لما
عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستيصال قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه
الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض
واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اربع آيات كوفي وبصري آيات عند غيرهم والخلاف في ولا يزالون
مختلفين وانا عاملون القراءة ترجع الامر بضم الياء نافع وحفص الباقون يرجع بفتح الياء يعملون بالتاء وفي آخر النمل اهل المدينة و
الشام ويعقوب وحفص الباقون بالياء الحجة من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق والمعنى ردهم الى الله ومن فتح الياء فلقوله
والامر يومئذ لله والمعنيان متقاربان ومن قرء بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي واعتقد وهو اعم فائدة ومن قرء بالياء وجهه الى من تقدم ذكره
من الكفار وفيه ضرب من التهديد اللغة القصص الخبر عن الامور التي يتلو بعضها بعضا انه من قصه يقصه اذا اتبع اثره لانه يتبع اثر من يخبر عنه الانباء
الخبر بما فيه عظم الشأن يقولون لهذا الامر نبأ والتثبيت تمكين اقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته تثبيتا تمكينه وثبته بحكمته وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته
بالخبر عن جوده والفؤاد القلب مأخوذ من الفتاد وهو التسوق لانه كانه متأجج من جنب صحفته سفوق شرب شيء عند معناه والمكانة الطريقة التي يتمكن

من العمل عليها وله مكانة عند السلطان اي جاه وقدر والانتظار طلب الادراك لما ياتي من الامر لانه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي
في الخير خاصة والانتظار في الخير والشر الاعراب الا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فانه غير مختلف
وقوله لاملان جهنم جواب القسم وتقديره وقيل الاملاء انما تقول حلفي لاضربنك وبدا لي لاضربنك وكل فعل كان تاويله كتاويل بلغني او
قيل لي او انتهى الي فان اللام وان تصلحان فيه فتقول بدا لي لاضربنك وبدا لي ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملا لجهنم كان صوابا وكلا نقص
عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز ان يكون
نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج اليه نقص عليك ويكون ما نثبت به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله انا عاملون انا منتظرون فيه حذف
الفاء فقال فانا عاملون لان الثاني لاجل الاول وجئ لم يدخل لم تغن الفاء المعنى ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
اي على ملة واحدة فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بان يلجئهم الى الاسلام بان يخلق في قلوبهم العلم بانهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن
ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لان الغرض به استحقاق الثواب فلذلك لم يشاء الله ذلك ولكنه شاء ان يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب
وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه
لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم ولا يزالون مختلفين في الاديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقتادة وعطاء والاعمش وقيل
في الاحكام والمذاهب الباطلة عن الحسن وفي رواية اخرى عنه انهم يختلفون في الارزاق والاحوال وتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا في الكفر
تقليدا من غير نظر فان قولك خلف بعضهم بعضا قولك اختلفوا سواء كان قولك قتل بعضهم بعضا قولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم الا من رحم ربك
من المؤمنين فانهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل الا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون
عنده ويستحقون به الثواب فان من هذه صفته ناج من الاختلاف بالباطل ولذلك خلقهم في معناه قيل يريد للرحمة خلقهم عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بان قيل لو اراد ذلك لقال ولتلك خلقهم لان الرحمة مؤنثة وهذا غلط
لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا ذكر فعلى معنى التفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وان رحمة الله قريب ومثله قول امرئ القيس
برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال فامت تنكيد على قبره من لي من بعدك يا عامر تركتني
في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال الخنساء فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين
شب وقودها اراد الرزء وفيها نال ذلك كثير وعلى ان قوله الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد ولان
يرحم خلقهم وقيل ان المعنى وللاختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد ان الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تؤول الى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرانا
لجهنم عن الحسن ومالك ولا يجوز على هذا ان يكون اللام للغرض لانه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم ولو اراد ذلك منهم لكانوا
مطيعين له في ذلك الاختلاف لان الطاعة حقيقتها موافقة الارادة والامر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا وانما ذلك على معنى الاختلاف على
ما قاله ابو مسلم فيجوز ان يكون اللام للغرض وقيل ان ذلك اشارة الى اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويدل
هذا قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال المرتضى قدس الله روحه يمكن تاويل قوم ان معنى الآية ولو شاء ربك ان يدخل الناس اجمعهم الجنة فيكونوا
في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة لفعل ذلك ويكون هذه الآية مجرى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فانه اراد هديها الى طريق الجنة ويدل على هذا انه
يمكن ان يكون لفظة ذلك اشارة الى ادخالهم الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها وتمت كلمة ربك اي وصل خبره ووعيده الذي
لا خلف فيه بما الى عباده وقيل تمت كلمة ربك صدقا بان وقع مخبرها على ما اخبر به عن ابن عباس وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم
ربك عن الحسن لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين بكفرهم وكلا اي وكل القصص نقص عليك من انباء الرسل اي من اخبارهم ما نثبت به فؤادك اي
نقوي به قلبك ونطيب به نفسك نزيدك به ثباتا على ما انت عليه من الانذار والصبر على اذى قومك الكفار وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة عن ابن
عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الانباء عن الجبائي والحق انه الصدق من الانباء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر
هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في ان الخلق يجازون باعمالهم في قوله وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم وقد جاءه في القرآن كله
الحق ولكنه ذكرها هنا توكيدا وليس في قوله وجاءك في هذه الحق يجب ان يكون لم ياتك الحق الا فيه ولكن بعض الحق اوكد من بعض عن الزجاج وموعظة
اي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي وذكرى للمؤمنين تذكرهم لآخرتهم وقل يا محمد للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم هذا
مثل قوله اعملوا ما شئتم انا عاملون على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى وانتظروا اي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب
انا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور انا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج
ولله غيب السموات والارض معناه ولله علم ما غاب في السموات والارض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه ما لله ما غاب في السموات
والارض عن ابن عباس وجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدل والتشيع قد ظلم الشيعة الامامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل
على ان الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة ان الائمة يعلمون الغيب ولا شك انه عنى بذلك من يقول بامامة الاثني عشر ويدين بانهم

افضل الانام بعد النبي فان هذا دابه ودابه نبينهم تشنيع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وبث القبائح والفضائح اليهم ولا نعلم احدا منهم ادعى
الوصف بعلم الغيب لاحد من الخلق فانما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا
يشركه فيه احد من المخلوقين ومن اعتقد ان غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الاسلام فاما ما نقل عن امير المؤمنين ورواه
عنه الخاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومئ الى صاحب الزنج كاني به يا احنف وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار
ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام وقوله يشير الى مروان اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو
الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا الفن عن ائمة الهدى من ولده مثل ما قاله ابو عبد الله لعبد الله بن
الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبايعوا ابنه محمدا والله ما هي اليك ولا الى ابنيك ولكنها لهم واشار الى العباسية وان ابنيك
لمقتولان ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له ارايت صاحب الرداء الاصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده
يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري وقبر
هرون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لابي حبيب النباجي قد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله لزدناك وقوله في حديث
علي بن احمد الوشا حين قدم مرو من الكوفة معك حلة في السفط الفلاني دفعتها اليك ابنتك وقالت اشتر لي بثمنها فيروزجا والحديث مشهور الى غير ذلك
مما روي عنهم فان جميع ذلك متلقى عن النبي مما اطلعه الله تعالى عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الاخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب
هل هذا الا سب قبيح وتضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير واليه يرجع الامر كله اي الحكم يرجع في المعاد
كل الامور لانه في الدنيا قد يملك غيره بعض الامر والنهي والنفع والضر فاعبده وتوكل عليه يريد ان من له ملك السموات والارض واليه يرجع جميع
الامور يحق ان يعبد ويتذلل له ويتوكل عليه وتفوض الامور اليه وما ربك بغافل عما تعملون اي عن اعمال عباده بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها بما
يستحقه من ثواب او عقاب فلا يحزنك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التورية خاتمة هود

سورة يوسف

مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين
عدد آيها مائة واحدى عشرة آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير عن ابي عبد الله قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم او في كل ليلة
بعثه الله يوم القيمة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيمة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال انها كانت في التورية مكتوبة وروى
اسمعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله عن ابيه عن ابائه قال قال رسول الله لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف
علموهن الغزل وسورة النور تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص الانبياء والرسل افتتح هذه السورة بان من تلك القصص قصة يوسف
واخوته وانها من احسن القصص فقال بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين القراءات الاعراب قرآنا عربيا
فيه وجهان احدهما ان قرآنا انتصب بانه بدل من الهاء في انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرآنا والثاني انه توطئة للحال لان عربيا حال وهذا كما تقول مررت
بزيد رجلا صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجعل رجلا توطئة للحال وقوله بما اوحينا اليك هذا القرآن نصب هذا لانه نصب لمعمول اوحينا هو هذا او بدل او
عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام ولا يجوز القراءة بهما اما الجر فعلى البدل من ما اوحينا اليك هذا القرآن واما الرفع فعلى
ما اوحينا اليك كان قائلا قال ما هو فقيل هذا القرآن المعنى تقدم الكلام في اول البقرة ولتمام تعداد آية لانه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآي
وقد غلط آية لانه قبله روي الى تلك آيات الكتاب قيل معناه الاشارة بتلك على احدها انه اشارة الى ما تقدم ذكرها على وجه التوقع لها والثاني
انه اشارة الى السورة اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين والثالث ان معناه الآيات هذه تلك الآيات التي وعدتم بها في التورية كما قال الم ذلك
الكتاب عن الزجاج والمبين المظهر الحلال والحرام ومعاني المراد وقيل عن مجاهد وقتادة والمبين الحلال بيانا وقيل ابن البيان هو الدلالة انا انزلناه يعني القرآن
اي انزلنا هذا الكتاب وقيل انزلنا خبر يوسف وقصته عن الزجاج قال لان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف فقال انا انزلناه قرآنا عربيا على مجاري كلام العرب في محاوراتهم وروي ابن عباس عن النبي قال احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن
عربي وكلام اهل الجنة عربي لعلكم تعقلون اي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا انه من عند الله اذ كان عربيا وعجزتم عن الاتيان
بمثله وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث وانه غير الله لانه وصفه بالانزال وبانه عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه نحن نقص
عليك احسن القصص اي نبين لك احسن البيان وهذا كقولهم صمت احسن الصيام وقمت احسن القيام مما يكون انتصابا على انه قائم مقام المصدر والمعنى
لك احسن تبيين واحسن نقصيا بما اوحينا اليك اي بوحينا اليك هذا القرآن ودخلت الباء لتبيين القصص ان القصص يكون قرآنا وغير قرآن والقصص
هيهنا بوحي القرآن وقيل انما سمي القرآن احسن القصص لانه يبلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاؤم والتشاكل
بين المقاطع والفواصل وقيل لانه ذكر فيه اخبار الامم الماضية واخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيمة [illegible]

نظم وترتيب وقيل اراد باحسن القصص قصة يوسف وحدها لانها تتضمن من الفوائد والنكت والغرائب ما لا يتضمنه غيرها ولانها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها
مثلها وقوله احسن القصص يدل على ان الحسن يتفاضل ويتعاظم لان لفظة افعل حقيقتها ذلك وانما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه لا على هذا
فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لانه في العرف انما يستعمل فيمن يتمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما انه سبحانه لا يسمى معلما ولا مفتيا
ان وصف نفسه بانه علم القرآن وبانه يفتيكم في النساء وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين معناه وما كنت من قبل ان اوحينا اليك هذا القرآن ومن
نزول القرآن عليك الا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف عن الحكم التي فيها قوله تعالى اذ قال
يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها
على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ثلاث آيات القراءة قرأ ابو جعفر وابن عامر يا ابت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير وقف
على الهاء يا ابه والباقون بالتاء وروي في الشواذ عن ابي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان احد عشر بسكون العين والقراء بفتحها وقرأ الكسائي الا ابا
الحارث وقتيبة بامالة رؤياك والرؤيا في جميع القرآن وروى ابو الحارث الرؤيا عند فتح رؤياك وامالة الباقي وقتيبة امال الرؤيا بالتعريف فقط وقرأ
خلف في اختياره بامالة ما فيه الف ولام والباقون بالتخفيف تفخيم وخفف همزه في جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا ان ابا جعفر يدغم
الواو في الياء فيجعلها مشددة الحجة قال الزجاج من قرأ يا ابت بكسر التاء فعلى الاضافة الى نفسه وحذف الياء لان ياء الاضافة تحذف في النداء وانما ادخلت التاء
التانيث في الاب فانما دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التانيث ويوصف بما فيه تاء التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام
يفعة ورجل ربعة فلزمت التاء في الاب عوضا من ياء الاضافة والوقف عليها بابه يا ابه بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك اذا كسرت وقفت
بالتاء لا غير واذا فتحت وقفت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح واما يا ابت بالفتح فعلى انه ابدل من ياء الاضافة الفا ثم حذف الالف كما يحذف الياء
الاضافة وبقيت الفتحة قال ابو علي من فتح فله وجهان احدهما ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من الاسماء التي فيها تاء
التانيث اكثر ما يدعى مرخما فلما كان كذلك ردت التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك يجري على الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح ولم يعتد
بالتاء واقحمها والوجه الآخر ان يكون اراد يا ابتا فحذف الالف كما يحذف الياء فتبقى الفتحة دالة على الالف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة
هذا الوجه كثرة ما جاء هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر وهل جزع ان قلت وا ابا هما وقول الاعشى ويا ابتا لا تزل عندنا فانا نخاف بان تخترم
ويقول رؤبة يا ابتا علك او عساكا فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموها القلب والحذف على ان ابا عثمان قد رد ذلك مطردا في جميع هذا الباب
واما وقف ابن كثير على الهاء فلان التاء التي للتانيث يبدل منها الهاء في الوقف فيتغير الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بان ابدل منه
الالف ومن قرأ احد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد بني الاول منهما لانه كصدر الاسم من عجزه جعل تسكين
اول الثاني دليلا على انهما قد صارا كالاسم الواحد كذلك يفعل العدد الى تسعة عشر الا اثني عشر واثنتي عشرة فانه لا يسكن العين لسكون الالف والياء قبلها قال
الزجاج الرؤيا فيها اربع لغات رؤيا بالهمز ورويا بالواو من غير همز ورييا على الادغام وريا بكسر الراء قال ابو علي الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا
والشورى الا انه لما صار اسما لهذا المتخيل في المنام جرى مجرى الاسماء كما ان درا لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال
فلا يعمل واحد منهما اعمال المصادر ومما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصارت بمنزلة ظلم والمصادر في الاكثر لا تكسر الرؤيا على تحقيق
الهمزة فان خففت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة كما تقلب في مخوطي ولان الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير
لازمة فلا يقع الاعتداد بها فلذلك اولها قوم فقالوا ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلبا على غير حد التخفيف ومن كسر الراء فكما كسروا من قولهم قرن الوى
وقرون لي اللغة الرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الانسان المعنى توهم انه يراه الكيد طلب الحيلة في
اللام في يكيدوا لك لام التعدية كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيده كيدا وكاد له والاجتباء
اختيار معالي الامور للمجتبى واصله من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته الاعراب تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذكر كانه قال اذكر اذ قال يوسف قال
الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لان الله تعالى لم يقص عليه هذا القصص في وقت قول يوسف وكوكبا منصوب
على التمييز وقوله رايتهم كرر الرؤية توكيدا ولان الكلام قد طال والمعنى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدة لانه لما وصفها
بالسجود كما يوصف العقلاء اجرى فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى
ومثل ما رايت يجتبيك ربك ويعلمك المعنى ثم ابتدأ سبحانه بقصة يوسف فقال اذ قال يوسف لابيه يعقوب وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص
ابن اسحق نبي الله ابن ابرهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي رايت في منامي قال ابن عباس ان يوسف راى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر احد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له
ورايت الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس والقمر ابواه والكواكب اخوته الاحد عشر وقال السدي الشمس ابوه والقمر خالته وذلك ان امه
راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس امه والقمر ابوه وقال وهب كان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا

عصا صغيرة ثم تثبت عليها حتى قلعتها وغلبتها فوصفت ذلك لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشرة سنة ان
احد عشر كوكبا والقمر والشمس سجدت له فقصها على ابيه فقال لا تقصصها على اخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه وبين مصير ابيه واخوته اليه
معه اربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن لما طال الكلام كرر رأيتهم واعاده للتأكيد وقيل اراد بالرؤية الاولى رؤية
الاعيان والاشخاص وبالرؤية الثانية رؤية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمته لا لعبادته وقيل معناه
الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغتهم رؤياه قالوا ما رضي ان تسجد له اخوته حتى
يسجد له ابواه قال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك لا تخبرهم بها فيكيدوا لك كيدا اي فيحتالوا لك بما فيه هلاكك ذلك ان
رؤيا الانبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها فيخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغون الغوائل ان الشيطان للانسان عدو مبين
اي ظاهر العداوة فيلقي بينهم العداوة ويحملهم على ان الكروه بك وكذلك اي كما اراك هذه الرؤيا اكرمك ربك وبين ان اخوتك يخضعون ويخشعون
لك ويسجدون لك يجتبيك ربك اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل بالحسن الخلق والخلق ويعلمك من تأويل الاحاديث قيل معناه و
يعلمك من تعبير الرؤيا لان فيها احاديث الناس عن رؤياهم سماه تأويلا لانه يؤول امره الى ما رأى في المنام عن قتادة قال ابن زيد كان اعبر الناس للرؤيا وقيل
معناه ويعلمك عواقب الامور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الاشياء قبل كونها معجزة لك لانه اضاف التعليم الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي

طول وهو مذكر المعنى ثم اخبر سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ومعناه لقد كان في حديث يوسف واخوته
عبر للسائلين عنهم واعاجيب فمنها انهم نالوه بالاذى ودبروا في قتله واجمعوا على القائه في البئر للحسد مع انهم اولاد الانبياء فصفح عنهم لما مكنه
الله منهم واحسن اليهم ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد
المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد لانه لم يقرأ كتابا فعلم انه لم يأته ذلك الا من جهة الوحي فهو تبصير للذين سألوه ان يخبرهم بذلك و
معجزة دالة على صدقه واخوته هم اولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون
ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن
يامين وولد له من سريتين له اسم احديهما زلفة والاخرى بلهة اربعة بنين دان ونفتالي وجاد واشر وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قال اخوته
حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب اياه فقال اذ قالوا اي قال بعضهم لبعض ليوسف واخوه لابيه وامه بنيامين احب الى ابينا يعقوب منا وذلك ان يعقوب كان
شديد الحب ليوسف وكان يوسف من احسن الناس وجها كان يعقوب يؤثره على اولاده فحسدوه ثم رأى الرؤيا فصار احدهم له اشد وقيل انه كان يرحمه
واخاه ويقربهما لصغرهما فاستثقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق به ويأكل هو وعياله منه وان
سائلا مؤمنا صواما اعتر ببابه عشية جمعة عند اوان افطاره وكان مجتازا غريبا فهتف على بابه واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يئس ان يطعموه

وابو هيم النخعي وفي الشواذ قراءة العلاء بن سيابة نرتع بالياء بكسر العين ويلعب ... وقراءة ابي رجاء نرتع ويلعب الحجة قال الزجاج يجوز تأمنا
ان تدغم وتبين ... اشمام النون الضم مع الادغام وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن القراء والاشمام بالضمة والادغام ... الا ان الحرفين من جنس واحد تامنا
بالاظهار ... النون الاولى ... على فعل كما قالوا ... وهي قراءة يحيى بن وثاب وهذه القراءة
مخالفة للمصحف وان كانت في العربية جائزة ... نرتع ويلعب فقد قال ابو علي قراءة من قرأ نرتع بالنون وكسر العين ويلعب ...

[illegible]

بلا عوض ... قال قوم من اصحابنا ... ودم كذب اي مكذوب فيه وهو مصدر ... وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز ان يقع
المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر مثل قول الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا ولم يجز سيبويه قال المفعول
لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسوره ودع معسوره ... كذلك ليس لفؤاده معقول اي ما يعقل به ...
انها قرأت بدم كذب ... والتسويل تزيين النفس ... الاعراب ...

[illegible]

في الجب وكان فيما أوحى الله إليه أن اكتم حالك واصبر على ما أصابك فإنك ستخبر إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف وقيل وهم لا يشعرون بأنه أوحى
إليه عن ابن عباس وقيل إن معنى قوله لتنبئنهم لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعده بمجازاة سوء فعله لأنبئنك ولأعرفنك أي لأجازينك وقيل إن الله كان
أنهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطن فقال إن هذا الجام ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم ألقيتموه في الجب وبعتموه بثمن
بخس فهذا تنبئتهم بأمرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا إلى أبيهم فقال وجاؤوا أباهم يعني وانقلب إخوة يوسف إلى أبيهم عشاء أي معنى قوله
ليلا في آخر النهار ليلبسوا على أبيهم وليكونوا أجرأ على الاعتذار يبكون وإنما أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون وفي هذا دلالة على أن البكاء
لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع بكاءهم فزع فقال ما لكم قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي نشتد ونعدو على الأقدام
لننظر أينا أعدى وأسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه ننتضل بترامي فننظر أي السهام أسبق إلى الغرض عن الزجاج وفي قراءة عبد الله ننتضل
وتركنا يوسف عند متاعنا أي تركناه عند رحالنا ليحفظه فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا أي ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين جواب لو محذوف
أي ولو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا في أمر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لأنه اتهمهم وسوء
ظنه بهم لما ظهر له من أمارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف وجاؤوا على قميصه بدم كذب معناه أن إخوة يوسف جاؤوا أباهم ومعهم قميص يوسف
ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب قيل إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل جديا ثم نسوا أن يمزقوه
لم يخطر ببالهم أن الذئب إذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه قيل إن يعقوب قال لهم أروني القميص فأروه إياه فقال لما رأى القميص صحيحا قال يا بني والله
ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروي أنه ألقى ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلك ذئب رحيم أكل لحمك ولم
يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب بدم مكذوب عليه أو فيه كما يقال ماء سكب أي مسكوب وشراب صب أي مصبوب قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم
مقلدة أعنتها صفونا أراد نائحة عليهم وقيل إنه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين جاؤوا
عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه عن الشعبي وقيل إنه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قتلوه
وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي قال يعقوب لهم إنما أتهمكم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله اللصوص
ولكن زينت لكم أنفسكم أمرا فعلتموه عن قتادة وقيل سهلت لكم بعضكم لبعض أمرا في يوسف غير الذي قلتموه حتى سهل عليكم ففعلتموه عن أبي مسلم الجبائي
وإنما رد يعقوب عليهم بوحي من الله عز اسمه وقيل كان ذلك استدلالا بما أبصره وبما تقدم فصبر جميل أي فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى
الناس وقيل صبر جميل الحسن وهو من الجزع الذي لا يغني شيئا وقيل إنما يكون الصبر جميلا إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان
الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المخصوص وصفه بأنه جميل وقيل إن البلاء نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على صغره بلا ذنب كان
منهما ذاك يعقوب على حزنه وانطلق يوسف في رقه وكل ذلك بعين الله ويعلم حتى أتى بالفرج وكان ذلك امتحانا والله المستعان على ما تصفون أي بالله أستعين
على دفع ما تصفون أو به أستعين على تحمل ما تصفون عن الجبائي مكث يوسف في الجب ثلاثة أيام قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال
يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين القراءة قرأ أهل
الكوفة يا بشرى بغير ألف إلا أن حمزة والكسائي وخلفا يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون يا بشراي بفتح الياء وإثبات الألف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن
أبي إسحاق والحسن يا بشري الحجة قال أبو علي من قال يا بشراي فأضاف إلى الياء التي للمتكلم كان للألف التي هي حرف الإعراب عنده موضعان من وجهين
أحدهما أن الألف في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الإعراب الذي في غلامي والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قوله كسرت فلولا أن حرف الإعراب
الذي يلي ياء الإضافة في موضع كسر لما كسرت القاف كما كسرت من قولهم بغيك وكما فتحت من قولهم رأيت ذاك المكان في موضع الفتح الذي
في قولك رأيت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعها الضمة المقدرة فيها كما أن في قولك هذا غلامك كسرة كذلك في قولهم كسر نحو
هذا يدلك على أنه ليس بمعرب من مكانين لأنك ترى أنها تتبع حركة غير الإعراب في قولك كسر يا هذا كما تتبعت حركة الإعراب في رأيت فاك ومن قال يا بشرى
احتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء والآخر أن يكون في موضع نصب وذلك لأنك أشعت النداء ولم تخصص كما فعلت
في الوجه الأول ولكنها كقوله يا حسرة على العباد لأن التنوين لم يلحق بشرى لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشري فإن ذلك لغة هذيل قال أبو ذؤيب سبقوا هوي وأعنقوا
لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع وقال الحطيئة في عكب في مقعدة ويطعن بالصملة في قفيا فإن لم تثأرا لي من عكب فلا أرويتما أبدا صديا والسيارة الكثيرة
اللغة الوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء ليستقي ويقول أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر لتملأها ودلوتها إذا أخرجتها ملأى والبضاعة قطعة من المال
يجعل للتجارة من بضعت الشيء إذا قطعته منه المبضع لأنه يبضع العرق والشراء البيع قال الشاعر وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة والثمن بدل
الشيء من العين أو الورق يقال في عرضها أيضا والبخس النقص من الحق يقال بخسه في الكيل أو الوزن إذا نقصه من حقه منه الإعراب قال الزجاج
معنى النداء في يا بشرى ونحوه في معناها أنما لا يجيب ولا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة إذا قلت يا عجبا فكأنك قلت اعجبوا ويا أيها العجب هذا
من حينك وكذلك إذا قلت يا بشرى فكأنك قلت أبشروا ويا أيتها البشرى هذا من إبانك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعلين إياه بضاعة
ودراهم في موضع جر بأنه بدل من ثمن ومعدودة صفة للدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليس من صلة الزاهدين وكانوا من الزاهدين فيه ثم بين

وأي شيء زهدوا فقال فيه وكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظرف جائز ولا يجوز ذلك في المفعول به لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لأن زيدا من
صلة الضاربين ولا يتقدم الصلة على الموصول المعنى ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد إلقائه في الجب فقال وجاءت سيارة أي رفقة مارة قالوا وإنما
جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وإنما هو للرعاة
والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل وكان الجب بظهر الطريق فأرسلوا واردهم أي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن ذعر ليطلب
لهم الماء فأدلى دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي صلى الله عليه وآله أعطي يوسف شطر الحسن والنصف
الآخر لسائر الناس وقال كعب الأحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير
السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل
وكان يشبه آدم يوم خلقه الله عز وجل وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية ويقال إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت
سدس الحسن فلما رآه المدلي قال يا بشرى هذا غلام عن قتادة والسدي وقيل إنه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرأى يوسف فقال هذا غلام فأخرجوه من
الجب وقيل إن بشرى اسم صاحب له ناداه عن السدي وأسروه بضاعة أي وأسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة أن يطلبوا منهم الشركة فيه
عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسره إخوته يكتمون أنه أخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق
ليوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه إلينا لنبيعه عنهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسر إخوته يكتمون أنه أخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق
واختفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت أنا أخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس والله عليم بما يعملون أي بما
يعمل إخوة يوسف وشروه بثمن بخس أي باعوه بثمن ناقص وقيل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخسا
لأنه لا بركة فيه ولا منه وقيل لم يكن دراهم معدودة أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل إنهم كانوا لا يزنون ما كان أقل من الأوقية وكانوا يزنون
الأوقية وهي الأربعون وما زاد عليها كانت الدراهم عشرين درهما عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين قال وكانوا عشرة فاقتسموها
درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت أربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن أبي عبد الله واختلف في من باعه فقيل
إخوة يوسف باعوه وكان يهوذا منتبذا ينظر إلى يوسف فلما أخرجوه من البئر أخبر إخوته فأتوا مالكا فباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين وقيل باعه
الواجدون بمصر عن قتادة وقيل إن الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن
ذعر وأصحابه يتعرفون من الله الخير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك فقال مالك بن ذعر لأصحابه فإنه
يكون ما لك بعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فالتزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك أن يهب
لي ولدا فدعا يوسف ربه أن يجعل له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان وكانوا فيه من الزاهدين قيل يعني بهم الذين اشتروه وكانوا
من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الأحرار وخلاف أهل البر النيل فلم يرغبوا فيه مخافة أن يلحقهم تبعة في استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهد
في نفس يوسف لم يشتروه للغبطة وإنما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من إخوته كانوا زاهدين في يوسف لأنه لم يكن لكنهم باعوه حتى لا
يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولأنهم في هذه الأقوال
يتجه حمل الآية على جميعها وقيل إن الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا أنه لقطة وليست بضاعة قوله تعالى وقال الذي اشتراه
من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن
أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين اللغة الثواء الإقامة والمثوى موضع الإقامة والإكرام إعطاء المراد
على جهة الإعظام وهو نقيض الإهانة ومنزلة ما يستحق بالنبوة وأدناه ما يستحق بخصلة من الطاعات والأشد جمع لا واحد له وقيل هو واحد وإن كان
على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص وقيل إنه جمع واحده شد كما أن واحد الأشر شر قال الشاعر هل غير أن كثر الأشر وأهلكت حرب الملوك أكاثر
الأموال الإعراب مصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة وأن ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وهذه تامة لأنها تمت بفاعلها واللام في قوله ولنعلمه
محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه اللغة المعنى ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد أن بيع فقال وقال الذي اشتراه أي اشترى يوسف من مصر
أي من أهل مصر لامرأته أكرمي مثواه معناه أي هيئي له موضعا كريما يليق به وتفقديه لأنه يحملوا إلى مصر باعوه وجد ذلك الملك له عليه
كان المشتري خازن فرعون مصر خليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا يأتي النساء وقيل إن اسمه أظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز
من يسمى بالعزيز من لم يكن بمكانه من النساء فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن ذعر منه بأربعين دينارا وزوج
نعل وثوبين أبيضين عن ابن عباس وقيل إنه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن
وقال لامرأته راعيل ولقبها زليخا أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أي نبيعه فنربح على ثمنه أو نتخذه ولدا فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف
من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل إن هذا الملك
لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعد حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك
مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة وإخراجه من البئر مكناه في الأرض بأن عطفنا حيث

عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الامر والنهي في الارض التي كان يستولي عليها الملك وهي ارض مصر ولنعلمه من تاويل الاحاديث قيل في
معناه اي اوّل النبوة والله غالب على امره اي على امر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك والنبوة ولا يكله الى غيره وقيل معناه والله غالب
على امر نفسه لا يعجزه شيء من تدابيره وافعاله فهو الفاعل لما يشاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله غالب على امر نفسه او امر يوسف وقيل معناه لا
يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤول اليه حاله ولما بلغ يوسف اشده اي منتهى شبابه وقوته وكمال عقله وقيل الاشد من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة
عن ابن عباس وقيل اقصى الاشد اربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الاكثرين وفي الحديث من عمّره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل ان ابتداء الاشد
من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك آتيناه حكما اي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو الى الحكمة وعلما وهو
تبيين الشيء على ما هو به مما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء الى دين الله والعلم علم الشرع وقيل
اراد الحكم على الناس والعلم بوجوه المصالح فان الناس كانوا اذا تحاكموا الى العزيز امره بان يحكم بينهم لما رأى من عقله واصابته في الرأي وقيل هو العالم العامل به
وهو الحكيم وكذلك نجزي المحسنين اي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من احسن اي فعل الافعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوائب
عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل اراد به محمدا اي كما فعلنا بيوسف واعطيناه الملك بعد ما قاسى البلاء والشدة كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جرير
قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون آية
القراءة قرأ اهل المدينة والشام هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء وروي عن علي
وابي رجاء وابي وائل ويحيى بن وثاب هئت لك بالهمز وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا
هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وروي ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي ايضا عن ابن عباس هييت لك الحجة قال الزجاج في هيت
لك لغات اجودها هيت لك بفتح الهاء والتاء قال الشاعر ابلغ امير المؤمنين اخا العراق اذا اتينا ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا اي فاقبل وتعال
وحكى قطرب انه انشده بعض اهل الحجاز لطرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة هيت هم يجيبون ذا هلم سراعا كالابابيل لا يغادر بيت ثم
فهذا شاهد لابن كثير وكلها اسماء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وايه والحركات في اواخرها لالتقاء الساكنين فاما الفتح فلان قبل التاء ياء فهو كاين وكيف
والكسر لان الاصل في التقاء الساكنين حركة الكسر واما الضم فلانها في معنى الغايات كانها قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها
بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هئت بالهمز وضم التاء ففعل يقول اهيء هيئة اي تهيأت قالوا ايضا هئت لها كجئت اجيء وانما هئت
لك فعل صحيح كقولك تهيأت لك واللام يتعلق بنفس هيت وهئت وهيت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك اللغة المراودة المطالبة بامر
بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لانه يعمل به ولا يقال في المطالبة بدين راوده واصله راد يرود اذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب اهله وهو في
الاية كناية عما تريده النساء من الرجال والتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحه وانما شدد ذلك لتكثير الاغلاق او للمبالغة في الايثاق الاعراب معاذ
الله نصب على المصدر على تقدير اعوذ بالله معاذا تقول عذت عوذا وعياذا ومعاذا ومعاذة المعنى ثم اخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقعها وغلقت الابواب اي
اغلقتها عليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل اراد باب الدار وباب البيت وقالت هيت لك عن ابن عباس والحسن ومعناه اقبل وبادر الى ما هو مهيأ
لك قال معاذ الله اي اعتصم بالله واستجير به مما دعوتني اليه واتقيه وعياذا بالله ان اجيب الى هذا فكانه عليه السلام اظهر الاباء وسأل الله سبحانه ان يعيذه
بعصمته من فعل ما دعته اليه انه ربي احسن مثواي اي ان الهاء عائد الى زوجها عند اكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي احسن تربيتي واكرامي وتبليغي
ورفع منزلتي فلا اخونه وانما سماه ربا لما كان يثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عائد الى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من محلي ومكن
لي وجعلني نبيا فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالما وفي هذه الاية دلالة على ان يوسف لم يهم بالفاحشة
ولم يردها بقبيح لان من هم بالقبيح لا يقول مثل ذلك قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء و
الفحشاء انه من عبادنا المخلصين آية القراءة قرأ اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن الحجة قال ابو
حجة من كسر اللام قوله مخلصين له الدين ومن فتح اللام فيكون من بني الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحدا فاذا اخلصوا دينهم فهم
مخلصون واذا اخلصوا فهم مخلصون اللغة الهم في اللغة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي ارادوا ذلك وعزموا
عليه ومنه قول حنظلة البرجمي هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله وقول حاتم طي ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الايام
والدهر مقدما وقول الخنساء وفضل مرداسا على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني ان الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم ههنا عزما لما كان الله وليهما لان العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان
يكون الله تولى من عزم على الفرار عن نصرة نبيه ويقوي ذلك قول كعب بن زهير فكم فيهم من فارس متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم ففرق بين الهم
والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اي كاد يفعله قال ذو الرمة اقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم دمعي ان تلج اوائله و
الدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب قال ابو الاسود الدؤلي وكنت متى تهمم بشيء تريد به لتفعل خيرا يقتبسك شمالكا وعلى هذا جاء قوله تع يريد

ان ينقض

ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل ومنها الشهوة وميل الطباع يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه
اليه هذا اهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا من همي واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ننفي عن نبي الله يوسف ما لا يليق به وهو العزم على القبيح
لان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز المعاصي والقبائح عليهم وجوزنا عليهم ما سواه من معاني الهم لان كل واحد من ذلك يليق بحاله المعنى ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اختلف العلماء فيه على قولين احدهما انه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير والاخر انه وجد منه العزم على القبيح
ثم انصرف عنه فاما الاولون فانهم اختلفوا في تاويل الاية على وجوه احدها ان الهم في ظاهر الاية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لانه قال
ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز ان يراد ويعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فاذا حملنا الهم في الاية على العزم
فلا بد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم به وقد امكن ان يتعلق عزمه بغير القبيح ويجعله ضربها او دفعها عن نفسه فكانه قال ولقد همت به ان يجامعها
وهم يوسف بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اي بضربه وايقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه
اراه برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه وادعت عليه المراودة على القبيح وقذفته بانه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فاخبر
سبحانه انه صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوفا
كما حذف في قوله تع ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم
اليقين لا يلهكم التكاثر ومثله قول امرء القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا يريد فلو انها نفس تموت سوية لتقضت وفنيت
فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جواب لولا لان
جواب لولا لا يتقدم عليه وثانيها ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ولما رأى برهان
ربه لم يهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقد كنت قتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي
لقتلت وان كان لم يقع هلاك ولا قتل ومثله قول الشاعر فلا يدعني قومي ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل وقال الآخر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن
كنت مقتولا ويسلم عامر وفي القرآن ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها هذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الاول وثالثها ان معنى قوله وهم بها اشتهاها
ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان يسمى الشهوة هما على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهى وقد روي
هذا التاويل عن الحسن قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروي الضحاك عن ابن عباس انه قال همها القصد
وهمه تمنيها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لولا ان رأى برهان ربه متعلقا بمحذوف ايضا كانه قال لولا ان رأى برهان ربه لعزم او
فعل فان قالوا ان قوله ولقد همت به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح قلنا ان الظاهر لا يدل
على ما تعلق به الهم فيهما جميعا انما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة القرآن والآثار بذلك لانها ممن يجوز عليه فعل القبيح والشاهد بذلك من الكتاب
قوله وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين وقوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله حكاية
عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية
والفاحشة واما يوسف فقد دلت الادلة العقلية التي لا يتطرق اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فاما الشاهد من القرآن
على انه ما هم بالفاحشة فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن حاش لله ما علمنا عليه
من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء واما الفرقة الاخرى فانهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته الى الانبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجليها وحل تكة
سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثنن وجلس منها مجلس الرجال الى غير ذلك من الروايات وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء
وامثال ذلك مما قدمناه فاما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه احدها انه حجة الله سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني
عن محمد بن كعب والجبائي وثانيها انه ما آتاه الله سبحانه من آداب الانبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم وثالثها انه النبوة المانعة
من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح وروي ذلك عن الصادق ورابعها انه كان في البيت صنم فالقت المرأة عليه ثوبا فقال لها لم فعلت هذا قالت استحيي منه
فقال انا احق ان استحيي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين وخامسها انه اللطف الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها فاختار لاجله
الترك عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فاما ما ذكر في البرهان من الاشياء البعيدة بان
قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فاذا زنى ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضا على انامله وقيل انه رأى كفا بدت فيما بينهما
مكتوبا عليها النهي عن ذلك فلم ينته فارسل الله سبحانه جبرئيل وقال ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضا على اصبعه وكل هذا تشنيع على
الانبياء مع ان ذلك ينافي التكليف ويقتضي ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوابا وهذا من اقبح القول فيه كذلك لنصرف عنه السوء كذلك اريناه
البرهان لنصرف عنه السوء اي الخيانة والفحشاء اي ركوب الفاحشة وقيل السوء الاثم والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين اي المصطفين المختارين
للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد اي من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله واخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره
عن ركوب القبيح والعزم عليه قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان

يسجن

ليسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين القراءة في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القارئ من قبل ومن دبر بثلاث ضمات من غير تنوين الحجة قال ابن جني ينبغي ان يكونا غايتين كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد كانه قال من قبله ومن بعده كانه يريد قدت قميصه من دبره وان كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه وهي الهاء وهي مرادة صار المضاف غاية نفسه بعد ما كان المضاف اليه غاية له اللغة القد شق الشيء طولا مثل قد الاديم يقال قده يقده قدا فهو مقدود اذا كان ذاهبا في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب ابكارا كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولا والالفاء المصادفة قال ذو الرمة ومطعم الصيد هبال لبغيته الفى اباه بهذا الكسب يكتسب اي وجد اباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه اباه والخطيئة العدول عما يدعو اليه الحكمة الى ما تزجر عنه يقال خطئ يخطأ خطأ فهو خاطئ اذا وقع ذلك منه عن قصد فاذا وقع من غير قصد قيل اخطأ القصد فهو مخطئ فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمي بقصد او غير قصد قال امية عبادك يخطئون وانت رب بكفيك المنايا والحتوم الاعراب انما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لان تقديره الا ان يسجن او عذاب ومن في قوله قد من دبر ومن قبل لابتداء الغاية لان ابتداء القد كان منها ومن في قوله من الكاذبين للتبعيض لانه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لانه ذهب مذهب القول في الحكاية كان قوله يوصيكم الله في اولادكم كذلك والتقدير يوصيكم الله ان للمال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المبرد ان يكن ويجاز ذلك في كان لانها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زيدا ولم يجز ما اصبح احسنه قال ابو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية ههنا يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى رؤية العين فلا يكون رؤية العين رؤية للقد فيكون قوله قد من دبر في موضع الحال وانما يكون رؤية للقميص والاخر ان يكون بمعنى العلم فيكون رؤية للقد وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث المعنى واستبقا الباب يعني تبادرا الى الباب اي طلب كل واحد منهما السبق الى الباب اما يوسف فانه كان يقصد الهرب منها واما هي فانما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد ان تغلق الباب تمنعه من الخروج تراوده ثانيا عن نفسه وقدت قميصه من دبر اي جذبت يوسف قميصه فشقته طولا من خلفه لان يوسف كان هاربا وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف اي الابواب قد انفتحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هاربا وقيل بل انفتح الباب وكانت متعلقة بقميصه من خلفه فشقته والفيا سيدها لدى الباب اي صادفا زوجها عند الباب سماه سيدها لانه مالك امرها قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم يعني ان المرأة سبقت بالكلام لتوهم التهمة على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد باهلك خيانة الا ان يحبس او يضرب بالسياط ضربا وجيعا عن ابن عباس والوجع والوصف جنبها لم تقل ذلك لانها تريد على نفسها الكريهة اياه وكان تهمة فقال هي راودتني عن نفسي لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بدا من تنزيه نفسه بان اصدق ولو كف عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء ودعتني اليه وشهد شاهد من اهلها قال ابن عباس وسعيد بن جبير انه صبي في المهد وقيل كان الصبي ابن خال زليخا وهو ابن ثلاثة اشهر وعن ابن عباس انه في اربعة لم يخرج عن حد الولادة وعكرمة انه رجل حكيم من اهلها بيّنه يوسف اختاره الجبائي قال لو كان طفلا لكان قوله معجزا لا يحتاج معه الى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدي ان كان قميصه قد اي شق من قبل فصدقت المرأة وهو من الكاذبين فيما قال يعني يوسف لانه كان هو القاصد وهي الدافعة وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت المرأة وهو اي يوسف من الصادقين لانها هاربة وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح فلما رأى قميصه قد من دبر اي فلما رأى زوجها قميص يوسف شق من خلفه عرف خيانة المرأة فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل هو من قول الشاهد انما وصف كيدهن بالعظم لانها حين رأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتحير في امرها وتركت الذنب على يوسف ولان قليل حيل النساء اسبق الى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال يوسف اعرض عن هذا يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف اعرض عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد عن ابن عباس وقيل انما قاله زوجها اي قال معناه لا تلتفت يا يوسف الى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم الجبائي ثم اقبل على زليخا فقال واستغفري لذنبك اي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك انك كنت من الخاطئين اي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيورا وسلبه الله الغيرة لطفا منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبي اليه فان الذنب كان منك لا من يوسف فانهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الاصنام قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين آيات القراءة روي عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف ويحيى بن يعمر وابن محيصن قد شعفها بالعين وروي عن ابي جعفر متكا بغير همز مشددة التاء والباقون متكأ بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكا

مخففة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وروى ذلك الحسن حاشا وقرأ ابو عمرو حاشا لله والباقون حاش لله والباقون روي عن ابن مسعود وابي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الاله وفي رواية اخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده رب السجن بفتح السين والباقون بكسرها الحجة قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال اي رؤوس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا اي قد ذهب به الحب اقصى المذاهب وقال ابن جني معناه وصل حبه الى قلبها فكاد يحرقه لحدته واصله من البعير يهنأ بالقطران فيصل حرارة ذلك الى قلبه قال امرؤ القيس لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي واما القراءة المشهورة شغفها بالغين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل الى قلبها اما المتكأ فهو ما اتكئ عليه لطعام او شراب او حديث واصله موتكأ مفتعل من وكأت مثل موتزن من الوزن واما من قرأ متكا فيجوز ان يكون مفتعلا من قوله اذا شرب المرضة قال اوكي على ما في سقائك قد رويتا يقال اوكيت السقاء اذا شددته واما متكا فانهم قالوا المتك الاترج واحدته متكة وقيل هو الزماورد واما حجة ابي عمرو في قوله حاشا لله فقول الشاعر حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وقال ابو علي لا يخلو قولهم حاش لله من ان يكون حرف جر في الاستثناء كما ذكرناه في البيت او فاعلا من قولهم حاش يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لا يدخل على مثله ولان الحرف لا يحذف اذا لم يكن فيه تضعيف فاذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشا الذي هو الناحية والمعنى انه صار في حشا اي في ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به لله اي لخوفه من الله ومراقبته امره ومن حذف الالف فكما حذفت من لم يك ولم ادر واذا اريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلث لغات قال الشاعر حشا رهط النبي فان منهم بحورا لا تكدرها الدلاء واما من قرأ حاش الاله فعلى اصل اللغة ويكون حرف جر كما جاء في البيت حاشا ابي ثوبان ولعل حاش الاله محذوف من حاشا تخفيفا وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشاعر لعن الاله وزوجها معها هند الهنود طويلة الفعل واما حاش لله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولا اسكان الشين بعد حذف الالف ولا موجب لذلك واما من فتح السين من السجن فجعله مصدرا ومعناه ان السجن احب الي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب الي اللغة العزيز الممتنع بقدرته عن ان يضام في امره وسمي بذلك لانه كان ملكا ممتنعا بملكه والامتناع منه فكذا قال ابو دؤاد درة غاص عليها تاجر جليت عند عزيز يوم طل والفتى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال ابو مسلم الزجاج تسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيلة الى ما يراد من الطلبة وجاءته بمكرهن اي بمقولة النسوة واعتدت هيأت مأخوذة من العتاد ومثله اعددت والمتكأ الوسادة وهو النمرق الذي يتكأ عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمتنع ان يقال قد كان في ذلك المجلس فواكه واترج فما انكر ذلك من هذا القول واكبرنه اي اعظمنه والاكبار الاعظام والاجلال وقال قوم معناه حضن حين رأينه وانشدوا قول الشاعر يأتي النساء اذا اكبرن اكبارا انكر ذلك ابو عبيدة قال ابو عبيدة لا يعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز ان يكن قد حضن من شدة اعظامهن اياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والحجز المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجنا والاعتصام الامتناع عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعالى الصاغر والصغار صغر يصغر وهو الذل والهوان والصبي من الصبوة يقال صبا يصبو صبوا وصبى فهو صاب قال الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي وقال الصبوة بالمجد وهو تجوح ذلك حد بالا تصرف عني هاهنا جزم الاعراب قال نسوة انما حذف منه علامة التأنيث لان تأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل بانه لا يجمع اسم اثنان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال واذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشرا على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فاما بنو تميم فلا يعملون قال الشاعر ما انوي وبنو ابي جميعا فما هذا سوى ان نموت الى الموت يشب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان وروي عن الحسن انه قرأ ما هذا بشرا اي ليس هو بمملوك وهو شاذ ذلكن كن للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الاعراب وذا هو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتنني فيه موصول وصلته في موضع جر وليكونا من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي تلحق بها القسم اذا وقفت عليها وقفت بالالف تقول وليكونا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلا قال الاعشى وصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا اي فاعبدن فابدلت في الوقف من النون الفا ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدا لهم بدا وقد اظهره الشاعر في قوله لعلك والموعود حق لقاؤه بدا لك في تلك القلوص بداء ولا يجوز ان يكون ليسجننه في موضع الفاعل لان الجملة لا تكون فاعلا المعنى ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال وقال نسوة في المدينة اي جماعة من النساء في المصر التي كان فيها الملك وزوجته وهي امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه اي امرأة العزيز تدعو مملوكها الى نفسها ليفجر بها قد شغفها حبا اي احبته حبا دخل شغاف قلبها انا لنراها في ضلال مبين اي في خطأ بين وذهاب عن طريق الرشد بدعائها مملوكها الى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امرأة ساقي الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امرأة الحاجب فلما سمعت بمكرهن اي لما سمعت المرأة بتعييرهن اياها وقصدهن اشاعة امرها وسماه مكرا لان قصدهن من هذا القول كان ان يرين يوسف لما وصف من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرا وقيل لانها اطلعتهن على امرها واستكتمتهن ذلك فاظهرنه فسمي ذلك مكرا ارسلت اليهن اي استضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن واعتدت لهن متكأ اي اعدت لهن وسائد يتكئن عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل الى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي طعمنا عنده واصله ان من دعي الى طعام يعد له المتكأ فسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمة هو كل ما يحز بالسكين لانه يؤكل في الغالب على متكأ قال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وقال الحسن ما لا يتسع به قيل فيه انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس كل مجلس فيه ما يحز بالسكين يقال له متك وآتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكينا

لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس وقالت اخرج عليهن وقالت امراة الملك ليوسف وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فامرته بالخروج عليهن في هيئته اما للخدمة واما للسلام او لتريهن ولعلها [illegible] لانه لم يخرج الا بمنزلة العبد لها عن الزجاج فلما رأينه اكبرنه اي عظمنه وتحيرن في جماله اذ كان كالقمر ليلة البدر وقطعن ايديهن بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما احسسن الا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشتغال قلوبهن بيوسف عن مجاهد المعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدك تريد قد خدشتها وقيل ابنّ ايديهن حتى القينها عن قتادة وقلن حاش لله وحاشى لله اي حاشا يوسف [illegible] في ناحية مما قذف به او لم يلابسه المعنى تبعيد يوسف عن هذا الذي رمي به لله اي لخوفه [illegible] من الله هذا قول اكثر المفسرين [illegible] ليوسف [illegible] امراة العزيز وقال [illegible] هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله [illegible] ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اي [illegible] ونفع الله [illegible] عن منزلة البشر [illegible] معناه انه [illegible] ان يكون بشرا او ليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم [illegible] وروي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلا صورته صورة القمر ليلة البدر فقلت يا جبرئيل من هذا قال هذا اخوك يوسف بل معناه ليس هذا الا ملك كريم [illegible] قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من آدم لانهن ذكرن من هو في نهاية الفضل لم ينكر الله تعالى ذلك عليهن [illegible] الانه يحكي عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله [illegible] بالملك [illegible] ما الثواب الذي هو حقيقة الفضل انما لم ينكره سبحانه عليهن لانه علم انهن لم يقصدن [illegible] الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن نفين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب لم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم انهن يقصدن بذلك تشبيهه بجمال الملائكة قالت امراة العزيز للنسوة اللاتي عيرنها على محبتها ليوسف فذلكن الذي لمتنني فيه اي هذا هو ذلك الذي لمتنني في امره وفي حبه شغفني بجماله [illegible] قال المعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتني في حبي اياه وانا انظر اليه آناء الليل والنهار ثم اعترفت بين يديهن بانها راودته على نفسها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع وقيل معناه امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه فقالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين اي وان لم يجبني الى ما ادعوه اليه ليحبسن في السجن وليكونا من الاذلاء فلما راى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه معناه يا رب ان السجن احب الي واسهل علي مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه الى مثل ما دعته اليه امراة العزيز وفي حديث [illegible] عن علي بن الحسين ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن الى يوسف سرا من صاحبتها تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فانها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استاذن امراة العزيز بان تخلو كل واحدة منهن تدعوه الى ما ارادته منه الى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن الى نفسها فلذلك قال مما يدعونني اليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب الي مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو مصدر فان السجن معصية كما ان ما دعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اريده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطين النفس على السجن احب الي من توطين النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي والا تصرف عني كيدهن لان كيدهن قد وقع وحصل اصب اليهن اي امل اليهن او الى قولهن بهواي وطبعي ولطافة الطبع واكن من الجاهلين اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين [illegible] فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اي اجاب له ربه فيما دعاه به فعصمه من مكرهن فان قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بان الله سيفعله لا محالة فالجواب انه يجوز ان يتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وانا وجدنا اللطف لمنع قلنا لما وجد نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح علم ان الله سبحانه يعصم نبيا بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبيا قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لان يوسف كان عالما بانه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك لا مدخل للآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون مسألته بتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن في ذلك لطفا فاما مثل الاما جوزان لا يكون لو لم يدع انه هو السميع العليم اي السميع لدعاء الداعي العليم باخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده ثم بدا لهم اي ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات وانما لم يقل بدت مع تقدم ذكر النسوة لانه اراد به الملك وقيل اراد به الجماعة فغلب المذكر واراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبر وحز الايدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الاياس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لهم بداء ليسجننه حتى حين ودل ليسجننه عليه فان السجن هو الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لانه انما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فارادت ان يكون بقربها حيث اذا اشرفت عليه رأته وقوله حتى حين قال الى سبع سنين عن عكرمة وقيل الى خمس سنين عن الكلبي وقيل الى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبرهما القراءة قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت

ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اللغة قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شابا كان او شيخا وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر مما يؤول اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان ياتيكما وتأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه التعليم تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى والقلب لا تباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالاول الاعراب هم الثانية دخلت للتوكيد لانه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الاولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف في الحبس فقال ودخل معه السجن فتيان اي لما ادخل يوسف السجن دخل معه فتيان اي شابان حدثان وقيل انهما مملوكان للملك الاكبر واسمه ريان بن الوليد وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه [illegible] وظن انهما [illegible] على ذلك وكانا وكيعا وسرقا والسكر قال احدهما اني اراني اعصر خمرا هو من رؤيا المنام كان يوسف لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبدين لصاحبه هلم فلنجربه ولا من غير ان يكونا رايا شيئا عن ابن مسعود وقيل بل راياه على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والآخر صادقا عن ابي مجلز ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره ايضا عنهم والمعنى قال احدهما وهو الساقي رأيت اصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف قال الزجاج ان الاشياء العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه اذا وضح المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والعصير قال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرا وحكى الاصمعي عن معتمر بن سليمان انه لقي اعرابيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنبا وفي قراءة عبد الله وابي جميعا اني اراني اعصر عنبا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منه نبئنا بتأويله اي اخبرنا بتعبيره وما يؤول اليه امر هذه الرؤيا انا نراك من المحسنين اي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان اذا مرض رجل في السجن قام عليه واذا ضاق عليه المكان وسع له وان احتاج جمع له وروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل وقيل المحسنين اي ممن يحسن تأويل الرؤيا قالوا وهذا دليل على ان امر الرؤيا صحيح وانها لم تزل في الامم السالفة وفي الحديث ان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وتأويله ان الانبياء يخبرون بما سيكون والرؤيا تدل على ما سيكون وقيل المحسنين في الآية انا نعلمك ونظنك ممن يعرف تعبير الرؤيا وعن علي عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسنه وقال ابو مسلم ان يوسف [illegible] من المحسنين لنا ان فسرت لنا الرؤيا وهو قول ابن اسحق ثم ذكر لهما يوسف ما يدل على انه عالم بتعبير الرؤيا فقال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما الا نبأتكما بتأويله في اليقظة قبل ان ياتيكما التأويل وذلك انه كره ان يخبرهما بالتأويل لما على احدهما فيه من البلاء فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن اسحق وقيل انه انما قدم هذا ليعلما ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا ياتيكما طعام من منازلكما الا اخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل ان ياتيكما كما قال عيسى عليه السلام وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والجبائي ذلكما مما علمني ربي كانهما قالا له كيف عرفت تاويل الرؤيا ولست بكاهن ولا عراف فاخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك تعليما وقد يكون بان يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الجليلة الا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني الله بهذه الكرامة واتبعت ملة آبائي اي شريعة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان نعدل عن التوحيد وذلك اشارة الى التمسك بالتوحيد والزهد في الشرك وقيل النبوة والعلم من فضل الله علينا بان خصنا بها وعلى الناس بان ارسلنا اليهم وبان هداهم بنا ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعالى وقد كان يوسف في ما بينهم مقاما ولم يجد الله سبحانه وتعالى الذين كانوا يعبدون الاصنام لانه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رآهم عارفين بما حسنا مقبلين عليه رجا منهم القبول فدعاهم الى التوحيد على ما امر الله سبحانه في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة [illegible] ان صاحبي السجن قالا له لقد احببناك حين رايناك فقال لا تحباني فوالله ما احبني احد الا دخل علي من حبه بلاء احبتني عمتي فدخل الي السرقة واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فالقيت في السجن قوله تعالى يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين اربع آيات اللغة الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص به وخلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة واصحاب النبي للازمتهم وكونهم معه في رأيه واصحاب السجن هم الملازمون له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها المعنى يا صاحبي السجن هذه حكاية نداء يوسف المستفتين له عن تاويل رؤياهما اي يا ملازمي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اي املاك متباينون من حجر وخشب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهر لا اشتباه والمراد به التقرير والزام الحجة والقهار هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء

تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ابدا بحجة الشيئين ثم خاطب بلفظ الجمع لانه قصد جميع من هو في مثل حالهما
وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها باسماء يعني الارباب والالهة هي اسماء فارغة عن المعاني
٤٠ اي ما الحكم والامر الا لله لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها ان الحكم الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه وقد امركم ان لا تعبدوا غيره
ذلك الدين القيم اي ذلك الذي بعث لكم من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره الدين القيم اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال ابن عباس
ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما اقوله لعدولهم عن النظر والاستدلال ثم عبر رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي
ربه خمرا اما هو لا هم وهو لدعائه الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقي فروي انه قال اما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام تبقى
في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه تجري على ما كان صفة الرب لانه عبده فاضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة واما الاخر
فيصلب فتأكل الطير من رأسه يريد بالاخر صاحب الطعام وروي انه قال بئس ما رأيت اما السلال الثلاث فانها ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك
فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئا وكنت العب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ من الامر الذي تسألان وتطلبان معرفته ما
قلته لكما فانه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة [illegible]
على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحى اليه لا كما يعبر احدنا الرؤيا على جهة التأويل وقال يوسف للذي ظن انه ناج منهما معناه للذي علم من طريق الوحي
انه ناج اي متخلص كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه هذا قول الاكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة للذي ظنه ناجيا لانه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والاول
اصح اذكرني عند ربك اي اذكرني عند سيدك باني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه يعني انسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس
من الناجي منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه فلبث في السجن بضع سنين اي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن
الحسين وابي عبد الله ع وقيل معناه فانسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك لم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن اسحق والجبائي والبلخي وعلى
هذا التقدير فانساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روي عن النبي ص انه قال عجبت من اخي يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه ص قال لولا
كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وروي عن ابي عبد الله ع قال جاء جبرئيل فقال
يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربي قال فمن حببك الى ابيك دون اخوتك قال ربي قال فمن ساق اليك السيارة قال ربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال
ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فان ربك يقول ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البث في السجن بما قلت بضع سنين وفي
رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيطان فتأذى باهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوما ويسكت يوما فكان في اليوم الذي يسكت اسوأ
حالا والقول في ذلك ان الاستغاثة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا ص يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين
والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فوجهه ان يوسف ع ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه في كل اموره دون غيره وقتا ما ابتلاه
تشديدا وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان
جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث الى الخمس عن ابي عبيدة وقيل الى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج ويقول قطرب وقيل عن مجاهد
٤٢ الاصمعي وقوله عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي
مخرجا عن ابي عبد الله ع قال علم جبرئيل يوسف ع في حبسه فقال قل في دبر كل صلوة فريضة اللهم اجعل لي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب
العقرقوفي عنه قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فاني اتوجه اليك بوجه
ابائي الصالحين ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ففرج الله عنه فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادع بمثله اللهم ان كانت ذنوبي قد
اخلقت وجهي عندك فاني اتوجه اليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام قوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل
الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما
تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون سبع
ايات القراءة قرأ حفص دأبا بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن
عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي ع وادكر بعد امه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة وقرأ جعفر بن محمد ع وسبع قرأ ايضا ما قرأتم
لمن قرأه هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة الحجة قال ابو علي انتصب دأبا بما دل عليه تزرعون وفيه علاج دؤب
فكانه قال تدأبون فانتصب دأبا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشمع وشمع ونهر ونهر ويعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به
الضغط الذي يلجؤون فيه من ادهانهم واشربتهم مثل الزيتون والسمسم والعنب ويخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لان من البلاد لبن يحكي انهم لم يعصروا
اربع عشرة سنة زيتا ولا عنبا فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي اتيكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو

الالتجاء الى ما يقدر به النجاة قال ابن مقبل فهو وهل نحل يحول بين حمار الوحش والعصر اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة و
قال ابو زبيد الطائي صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود قال ابو عبيدة يعصرون ينجون انشد للبيد فبات واسرى القوم اخر ليلهم وما كان وقافا
بغير معصر واما من قرأ تعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لان ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان
يريدهم وغيرهم لانه غلب الخطاب على الغيبة كما تغلب التذكير على التأنيث واما الامه فهو النسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي انشد ابو عبيدة امهت
وكنت لا انسى حديثا كذاك الدهر يودي بالعقول والامة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصر
والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحاب ماءها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله ع قال قرأ رجل على امير المؤمنين ع قال ثم وجل
هذه الاية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك اي شيء يعصرون ايعصرون الخمر فقال الرجل يا امير المؤمنين كيف اقرأها قال انما نزلت
وفيه يعصرون مضموم الياء مفتوح الصاد اي يمطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اللغة الملك القادر الواسع
المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرؤيا ما يراه النائم ويرجع الى الاعتقاد يكون على وجوه فمنها ما يكون من الله تعالى على يد ملكه وهو الذي له
تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته ويكون بقية اعتقاد كان اعتقده العجف الهزال
اعجف والانثى عجفاء وجمعها عجاف وجمع فعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرؤيا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والضغث
الحزمة من كل شيء قال الزجاج الضغث ملء اليد من الحشيش ومنه خذ بيدك ضغثا اي قبضة والفعل منه ضغثت وقيل الضغث خلط قش الندى وهو
غير متشاكل ولا متلائم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو رؤيا في النوم يقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو
الاناة وكان اصل حلم النوم من هذا لانه اناة وسكون وتأويل الرؤيا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من
الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الدال في الدال ويجوز ذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وطلب الذكر ونظيره الاشكار
والتذكر والامة الجماعة يوم امر والامة المدة وهي جملة من الحين الصديق الكثير التصديق للحق مثل هو الكثير التصديق وفعيل بناء المبالغة والكرو
الفتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثلث والربع وتسمى
المخابرة ايضا هي مأخوذة من حمل وفعل خير الداب العادة يقال داب يداب دابا ويقال داب في عمله يداب دأبا اذا اجتهد وادأبته انا اذا ... بمعنى لم يجيء منها
لقصد المافعل سيغني عن ذلك ... والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اشياء في العقد والبدن والزمان والغضب والالم والشراب
البدن والاحصان مثل الاحراز احصنا جعلناه حرزه العون هو نفع يأتي على شدة حاجة بنفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث
البلاد يغيثها وغيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث نبت عن ما اليمام وجمعه غيوث والغياث اصله المأوى ومنه الغوث وغوث تغويثا اذا قال وا
غوثاه من يغيث ويغاث يحتمل ان يكون من الواو ويحتمل ان يكون من الياء الاعراب ان كنتم للرؤيا تعبرون وهذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم
بين باللام فقال للرؤيا عن الزجاج وهذه اللام زائدة في المفعول به اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم
يرهبون وقد جاء في ما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم ولم تنصرف اخر لانها لا تنصرف عن جهة صواحبها التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت بغير
الف ولام لكنها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسطى والكبر ولا تقول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلما خالف اخواتها ان صرفها موضعها
الاية ان يعبر تقديره وفي اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به يا يوسف يجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يا زيد
اقبل وزيد اقبل قال محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا اراد يا محمد المعنى ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن وهو
انه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته واشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يعني قال ملك مصر
وهو الوليد بن الريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثرون اني ارى في المنام سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف اي سبع بقرات اخر عجاف اي مهازيل قد دخلت السمان
في بطون المهازيل حتى لم ير منهن شيء وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر اي وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبتها اي غلبن عليها يا ايها الملأ اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف والجماعة وقيل جمع السحرة والكهنة
قص رؤياه عليهم افتوني في رؤياي اي عبروا ما رأيت في منامي وبينوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة ان كنتم للرؤيا تعبرون معناه ان كنتم عالمين بالرؤيا وقيل ان
اللام تفيد معنى الى كنتم توجهون العبارة الى الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منام
كاذبة لا يصح تأويلها وما نحن بتأويل الاحلام التي هذه صفتها بعالمين وانا نعلم تأويل ما اصح وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لان
الساقي تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن ناما فخبرنا بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فان
اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم فارسلون عن الكلبي وقوله وادكر بعد امة
معناه ذكر شان يوسف وما وصفه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو فارسلوه الى يوسف
فارسل فاتى يوسف في السجن فقال له يوسف ايها الصديق اي الكثير الصدق فيما تخبر به افتنا في سبع بقرات سمان الى قوله يابسات فان الملك رأى هذه الرؤيا
ما شبه تأويلها لعلي ارجع الى الناس يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون

تأويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما أما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون المجدبة وأما السبع السمان والسنابل السبع
الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وأنتم تزرعون فيها فذلك قوله تزرعون سبع سنين دأبا أي فازرعوا سبع سنين متوالية عن ابن عباس أي زرعا متوالية
في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأبا بالجد والاجتهاد في الزراعة ويجوز أن يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين فما حصدتم
من الزرع فذروه اتركوه في سنبله لا تذروه ولا تدوسوه إلا قليلا مما تأكلون وإنما أمرهم بذلك ليكون أبقى وأبعد من الفساد يعني فما أردتم أكله فدوسوه
واتركوا الباقي في السنبل وقيل إنما أمرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وإن بقي مدة من الزمان وإذا صفي أسرع إليه الهلاك ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد أي
سبع سنين مجدبات تشتد على الناس يأكلن ما قدمتم لهن معناه تأكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لهن وإنما أضاف الأكل إلى السنين لأنه يقع فيها كما قال
ونهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم وتسعى لما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم وقيل أراد بالأكل
الإفناء والإهلاك كما يقال أكل السير لحم الناقة أي ذهب به قال زيد بن أسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم
قربه إليه فأكله كله فقال هذا أول يوم من السبع الشداد إلا قليلا مما تحصنون معناه إلا قليلا مما تحرزون وتدخرون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث وقيل يغاثون من الغوث والغياث أي ينقذون وينجون من القحط وفيه يعصرون
الثمار التي تعصر في الخصب كالعنب والزيت والسمسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ينجون من الجدب من العصرة والاعتصام الالتجاء قال عدي
بن زيد لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري وهذا القول من يوسف خبر لما لم يسألوه عنه ولم يكن في رؤيا الملك بل هو مما أطلعه الله
تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته قال البلخي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول إن الرؤيا على ما عبرت أولا لأنهم كانوا قالوا
هي أضغاث أحلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها قوله تعالى وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة
العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي إن
النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ست آيات القراءة قرأ ما بال النسوة بضم النون الأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم الباقون بكسر
النون وهما لغتان وقد تقدم ذكر قراءة أبي عمرو حاشا لله بالألف وتوجيهها اللغة الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخاطب لأجله فيه صاحبه يقال هذا خطب
جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة أي بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره إذا استأصل قطعه
وأزاله عن الرأس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وثباته ومثله كبوا وكبكبوا وكفه وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق
قال قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوما غير تهجاع وحصحص البعير ثفناته في الأرض إذا حركها حتى تتبين آثارها فيها قال حميد وحصحص في صم الحصا ثفناته
ورام القيام ساعة ثم صمما الكيد الاحتيال [illegible] إلى الغير الإعراب ذلك في موضع الابتداء وإن شئت على خبر الابتداء كأنه قال الأمر ذلك وموضع
ما رحم ربي نصب على الاستثناء المعنى ثم أخبر سبحانه عن إخراج يوسف من السجن فقال وقال الملك ائتوني به وفي الكلام حذف يدل الظاهر عليه وهو فلما رجع
الشرابي وهو رسول الملك إلى الملك بجواب يوسف في تعبير رؤياه قال الملك ائتوني بهذا الذي عبر رؤياي فلما جاءه الرسول أي فلما أتى يوسف رسول
الملك فقال له أجب الملك أبى يوسف أن يخرج مع الرسول حتى تتبين براءته مما قذف به وقال للرسول ارجع إلى ربك أي سيدك وهو الملك فاسأله ما بال
النسوة أي ما حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ليعلم صحة براءتي ولم يصرح بامرأة العزيز بالذكر حسن
عشرة منه وتأدبا وكونها زوجة الملك أو زوجة خليفة الملك [illegible] بالنسوة وقيل أراد [illegible] لأنهن كن شاهدات لما عليها الأمر أنها [illegible]
حصحص الحق وهذا يدل على أن النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت
في نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذي راود امرأته وقيل أشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره متهم بفاحشة فأحب أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما
كان فيه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى
أشترط أن يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن
ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر إنه كان حليما ذا أناة إن ربي بكيدهن عليم أي إن الله عالم بكيدهن قادر على إظهار براءتي
وقال ابن زيد الذي هو العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن أبي مسلم والأول هو الوجه قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه معناه أن
الرسول رجع إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف فأرسل إلى النسوة ودعاهن فقال لهن ما شأنكن وما أمركن إذ طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه إلى أنفسكن
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وهذه حكاية [illegible] أنهن نزهن يوسف مما اتهم به فقلن معاذ الله ما علمنا عليه من سوء [illegible]
شيئا مما نسب إليه اعترفن ببراءته وأنه حبس ظلما قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أي ظهر وتبين عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقتادة
وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وثباته أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهمت يوسف به
وإنما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف خلالها براءته [illegible] عما قذف به من الشبهة والإقرار حتى لا يبقى موضع شك ذلك ليعلم هذا من كلام
يوسف أي ذلك الذي فعلت من رد رسول الملك إليه حتى سأل النسوة ليعلم الملك والعزيز أني لم أخنه بالغيب في زوجته أي في حال غيبته عن الحسن ومجاهد

قتادة

قتادة والضحاك وأبي مسلم اتصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك
يفعلون وقوله يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وهو من كلام الملأ ثم قال فماذا تأمرون وهو حكاية قول فرعون قال الفراء وهذا من أغمض ما يأتي في
الكلام أن يحكي عن واحد ثم يتصل إلى شيء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الإقرار ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب و(في غيبته)
[illegible] الذنب عليه وإن خنته بحضرته وعندما شاهدته عن الجبائي وأن الله لا يهدي كيد الخائنين أي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم وما أبرئ نفسي هذا من يوسف
كلام عند أكثر المفسرين وقيل هو كلام المرأة عن الجبائي أي ما أبرئ نفسي عن السوء والخيانة وأمر يوسف إن النفس لأمارة بالسوء أي كثيرة الأمر بالسوء تتهم (الصفة)
قد تدعو الإنسان إلى المعصية لأن الألف واللام للجنس فيكون المعنى أن كل النفوس كذلك ويجوز أن يكون للعهد فيكون المعنى أن نفسي هذه لأمارة بالسوء إلا
من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز أن يكون معناه إلا مدة ما عصم ربي وقيل إنه من كلام يوسف قال إنه أراد
الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية أي لا أبرئ نفسي مما لا يعري منه طباع البشر وإنما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهذا
لا ينفي قال الحسن إنما قال وما أبرئ نفسي لأنه كره أن يكون قد زكى نفسه إن ربي غفور لعباده رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي
فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء
نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون أربع آيات القراءة قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون
بالياء الحجة قال أبو علي من قرأ بالياء فلأن [illegible] الغائب كما أن يتبوأ كذلك ويقوي ذلك قوله وأورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فكما أن قوله
نتبوأ الفعل المسند [illegible] كذلك قوله حيث يشاء ومن قرأ بالنون فإنه على الحد [illegible] أن يكون لسند المشيئة [illegible] وهو ليوسف في المعنى لأن
مشيئته لما كانت بقوته وإقداره عليها جاز أن ينسب إلى الله سبحانه كما قال سبحانه وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فأضيف الرمي إلى الله لما كان
بقوته وإن كان الرمي للنبي والأخرى أن يكون الموضع المتبوأ موضع نسك وقرب فالكت فيه قربة إلى الله تعالى فهو لتقواه وبريده [illegible] في قوله
ليوسف في قوله إنا مكنا له في الأرض فيجوز أن يكون على حد الذي في قوله ردف لكم وللرؤيا تعبرون يدل على ذلك قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وقوله
يتبوأ في موضع نصب على الحال تقديره مكنا متبوئا حيث يشاء وأما قوله حيث يشاء فيحتمل موضعه أمرين أحدهما أن يكون في موضع نصب بأنه ظرف والآخر
أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول به يدل على جواز هذا الوجه قول الشماخ وحلأها عن ذي الأراكة عامر أخو الخضر يرمي حيث تكوى النواجز اللغة الاستخلاص
طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد أن يكون خالصا له وفي حديث سلمان الفارسي أنه كاتبه أهله على أن يغرس [illegible] فيه خلاص أي ما أخلصته النار من الذهب
وكذلك الخلاصة والمكين من المكانة وأصله التمكن في الأمر يقال مكن مكانة فهو مكين إذا كان له علو وجاه يتمكن بهما مما يريد والتبوء اتخاذ منزل يرجع إليه أصله
من باء بسوء إذا رجع المعنى وقال الملك ائتوني به معناه أن الملك لما تبين له أمانة يوسف وبراءته من السوء وعلمه بما أخبره فقال ائتوني به أستخلصه لنفسي أي
أجعله خالصا لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي وأعمل على إشارته في مهمات أموري فلما كلمه هاهنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف دعا فخرج من السجن ودخل
على الملك وكلمه عرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدل بكلامه على عقله وبعفته على أمانته قال إنك اليوم لدينا مكين أمين أي إنك عندنا ذو مكانة
متمكن في المنزلة والقدر فافذ القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون الثقة قال ابن عباس يريد مكناك في ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني [illegible] قال الكلبي
إن رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فأقبل يوسف فنظف من درن السجن ولبس ثيابا وأتى الملك وهو
يومئذ ابن ثلثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال أيعلم هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فاقعد وقص عليه رؤياه وكتب
يوسف لما خرج من السجن على بابه هذا قبور الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء قال وهب لما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره
وجل ثناؤه ولا إله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال
له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي إسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب كان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما
كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان
شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينا تنظر إليهن وتعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا
يبسه فخرج من حماته ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا أنت تنظر وتتعجب إذا سبع سنابل
خضر وأخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا أنت تقول في نفسك أنى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن
في الماء إذ هبت ريح فذرت الأوراق من اليابسات السود على المثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا
ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال يوسف
أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الأهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه سنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب
وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر من حولها ويأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك بحكمك ويجتمع عندك

من الكنوز فان يجتمع لاحد ذلك فقال الملك من لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك قال يوسف اجعلني على خزائن الارض الالف واللام في الارض للعهد وقيل للجنس يعني اجعلني على خزائن ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها الي فاني حفيظ اي حافظ لما استودعتني لحفظه عن ان تجري فيه خيانة عليم بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق اضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحق والجبائي وقيل حفيظ عليها اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يفدون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة [illegible] وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه وانه ممن [illegible] حاله ليقيمه في الامور التي فيها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل ذلك تحت قوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج يوسف الملك راعيل امراة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها يوسف وانها لما رأته في موكبه بكت ثم قالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها ذكره في تفسير علي بن ابرهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين المجدبة افتقرت امراة العزيز واحتاجت حتى سالت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحيي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فاقبل يوسف في موكبه فقامت اليه وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف انت تيك فقالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في النكاح قالت دعني بعدما ايست اتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فامر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقالت له يا يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فاني بليت ببلاء لم يبل به احد قال وما هي قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا وبليت بانه لم تكن بمصر امراة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسال الله ان يرد علي شبابي فسال الله فرد عليها شبابها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لولاه من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قال ابن عباس فاقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت السنة من يوم سال الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وامر بان يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم امره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فهذا قول الله عز اسمه وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه قدرنا ليوسف على ما يريد في الارض يعني ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء اي نخص بنعم الدين والدنيا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضا كثير من الناس هذا في الدنيا ولاجر الآخرة اي ثواب الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون لخلوصه من الشوائب والانكاد وفي هذا اشارة الى ان الله سبحانه يؤتي يوسف في الآخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما آتاه الله في الدنيا من الملك والنعمة سؤال قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكافر الظالم وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما كان ذلك وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى وانما سال الولاية ليتمكن من الامور التي له ان يفعلها وايضا فانه علم انه بسبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى دينه والدعوة وفي الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله فيها دلالة ايضا على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا كان يتمكن بذلك من اقامة احكام الدين وفي قوله يتبوأ منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا امر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي [illegible] قال سمعت الرضا يقول واقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون واقبلت المجدبة اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الاولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صار في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا امة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبيد يوسف فملك احرارهم وعبيدهم واموالهم وقال الناس ما راينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا ثم قال يوسف للملك ايها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر واهلها اشر علينا برايك فاني لم اصلحهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء لاكون بلاء عليهم ولكن الله نجاهم على يدي قال له الملك الراي رايك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك ايها الملك اني قد اعتقت اهل مصر كلهم ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزيني وفخري ان لا اسير الا بسيرتك ولا احكم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاني عزيزا لا يرام وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسوله فاقم على ما وليتك فانك لدينا مكين امين وقيل ان يوسف كان لا يمتلئ شبعا من الطعام في تلك الايام المجدبة فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع **قوله تعالى** وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه

وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ايات **القراءة** قرا اهل الكوفة غير ابي بكر لفتيانه والباقون لفتيته **الحجة** قال ابو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية اخوة ونارة في جمع اخ ونار ومثله وقيعة في جمع ناره وقاع ومثل فتيان برقان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار وتاج فقد يقع البناء الذي للقليل مقام الكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلة ولا اعلال وذلك نحو ارجل اقدام وارسان في الكثير وقولهم ثلاثة شسوع فاذا فعل ذلك فيما لا اعلال فيه فان يرفض فيما يؤدي الى الاعلال وقلب اللام اولى **اللغة** جهازهم البيت متاعه وجهزت فلانا هيات جهاز سفره ومنه جهاز العروس والرحال الاوعية واحدها رحل وجمعها في القليل ارحل قال ابن الانباري يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل واصله الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن **المعنى** ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما اصابهم من القحط وقد نزل ذلك بال يعقوب ونزل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي جاؤا ليمتاروا من مصر لما اصابهم القحط ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين اخا يوسف لامه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ولانهم راوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم انه يصير الى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه وكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف كلموه بالعبرانية فقال لهم من انتم وما امركم فاني انكرت شانكم وفي تفسير علي بن ابرهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم من انتم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو اب واحد وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن ولو تعلم بابينا لكرمنا عليك فانه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا ايها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا اتاه الحزن من قبلنا ولكن كان له ابن كان اصغرنا سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فاكله الذئب فلم يزل بعده كئيبا حزينا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من اب واحد قالوا ابونا واحد وامهاتنا شتى قال فما حمل اباكم على ان سرحكم كلكم الا حبس واحدا منكم يانس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا الا انه اخو الذي هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فقال يوسف فائتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين وانا ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي بعضكم رهينة حتى تاتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وقيل ان يوسف اختار شمعون لانه كان احسنهم رايا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله ولما جهزهم بجهازهم يعني حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني ابن يامين الا ترون اني اوفي الكيل اي لا ابخس الناس شيئا واتم كيلهم وانا خير المنزلين اي المضيفين ماخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للاضياف انزلهم فاحسن انزالهم وضيافتهم وغيرهم ماخوذ من المنزل وهو الدار فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل ولا تقربون اي لا تقربوا داري وبلادي خاطبهم بالوعيد قالوا سنراود عنه اباه اي نطلبه من ابيه ونسال اباه برسالة ان يبعثه معنا قال ابن عباس معناه سنجتهد حتى يخرجه معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به قال وكان يوسف يكلمهم بترجمان فانه يعرف العبرانية ولكنه كان لا يكلمهم بنفسه ليشتبه عليهم فانهم لو عرفوه لما كانوا يهتمون في الارض حيث نزل بهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم اياه مفسدة وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اي قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل الاعوان اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا به في اوعيتهم قيل كانت بضاعتهم النعال والادم وقيل كانت الورق عن قتادة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم اي لعلهم يعرفون منة يوسف اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يرجعون بعد ذلك لطلب الميرة مرة اخرى وانما فعل ذلك ليعرفوا ان يوسف انما فعل ذلك اكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل استحى ان ياخذ منهم ثمن الطعام [illegible] عن الكلبي وقيل انه راى لؤما ان ياخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم تحملهم على رد بضاعتهم اذا وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك امر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه [illegible] كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه بشدة حزن ابيه له ولم يخبرهم [illegible] فالجواب انه لم يؤذن له في التعريف تشديدا للمحنة على يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديد البلية ليعرضه الله للثواب وقيل انما لم يعرفهم نفسه لانهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا اليه ولم يحملوا اخاه اليه والاول هو الوجه الصحيح **قوله تعالى** فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اربع آيات **القراءة** قرا يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرا حافظا بالالف اهل الكوفة غير ابي بكر والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة يحيى ردت الينا بكسر الراء **الحجة** قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير الا ترى انهم انما يميرون اهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير [illegible] فاما قالوا نكتل ان يكون اخوهم داخلا معهم اذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وقد [illegible] قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل فيصيبه احدنا فارسله نكتل اما معناه لنصيبه احدنا فارسله ووجه الياء انه يكيل حمله كما نكتال نحن احمالنا ووجه من قرا خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقولهم وانا له لحافظون فاضافوا الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسب الى انفسهم وان كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف كما ان قوله اين شركائي لم يثبت لله شريك وانما المعنى الشركاء الذين نسبتموهم الى انفسكم وان كان منكم تفريط في حفظ يوسف فالله خير حافظ ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرا خير حافظا نسبه الى التمييز

نسبتموهم الى فكان المعنى على الحفظ الذي نسبتموه الى انفسهم وان كان منهم تفريط فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حفظا من حفظكم الذي

دون الحال كما كان كذلك حفظا ولا يستحيل الاشتباه فان الله خير حافظا وخير الحافظين كما يستحيل خير حفظا فان قلت فهل كان ثم حافظ كما يقتضيه لكن
حفظ لما تقدمه فالقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا له لحافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله
خير من حفظكم لان الله سبحانه حافظه كما ان المحفوظ حافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خير من حفظكم فتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لانه سبحانه
من الحافظين كما كان من الراحمين واما قوله ردت فان فعل من المضاعف والمعتل العين يجيء على ثلثة اوجه احدها لغة فاشية ... فاقوى اللغات
في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو ضم الاول وكسر ثم قولهم شد ورد باخلاص الكسرة وهو اقل واقوى اللغات في المعتل العين كسر اوله
نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضم والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول وبوع ...
واحمالها اللغة يقال كلت فلانا اذا اعطيته الشيء كيلا واكتلت عليه اخذت منه كيلا ... الابرة الاخضر التي
تحمل من بلد الى بلد ويقال ... ميرا اذا اتيتهم بالميرة ... من يغيب الاعراب
الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله ما نبغي ... موضعه نصب والمعنى اي شيء نريد ويكون المراد به
الجحد ويجوز ان يكون المراد بما ايضا نفيا كانهم قالوا ما نبتغي شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب والمعنى لا ... الا الاحاطة بكم ...
مفعولا له قال الزجاج والاهلية يعني تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا الا لاخذ الدراهم والا ان تأخذ الدراهم المعنى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع
منا الكيل قيل انهم لما دخلوا على يعقوب سلموا عليه سلاما ضعيفا فقال ... ما لي لا اسمع فيكم صوتكم ... فقالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا لم ير مثله
مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن كان لك شبيه فانه شبيهك ولكنا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى نرسل معنا ابن يامين
برسالة منك اليه يخبره عن حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه فيما يستقبل لانه قال فان لم تأتوني به فلا
كيل لكم عندي فارسل معنا اخانا ابن يامين نكتل اي نأخذ الطعام بالكيل اي ان ارسلته اكتلنا والا منعنا الكيل ومن قرأ يكتل بالياء فالمعنى يأخذ اخونا ابن
يامين وقر بعير يكال له وانا له لحافظون من ان يصيبه سوء ومكروه قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل اي لا امنكم على ابن يامين الا
بما امنتكم على يوسف ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه واهلكتموه وغيبتموه عني وانما قرعهم بحديث يوسف والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما
لا يجوز فالله خير حافظا اي حفظ الله خير من حفظكم وهو ارحم الراحمين يرحم ضعفي وكبر سني ويرده علي وقد ورد في الخبر ان الله سبحانه قال فبعزتي لاردنهما
اليك من بعد ما توكلت علي ولما فتحوا متاعهم يعني اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي اي ما نطلب بما اخبرناك عن ملك مصر الكذب
وقيل معناه اي شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة اراد ان تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم ثم تم الكلام ثم قالوا ابتداء هذه بضاعتنا
ردت الينا اي فلا ينبغي ان تخاف على اخينا من قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد فاي شيء نريد منك دراهم نعطيناها نرجع بها اليه بل تكفينا في الرجوع اليه بضاعتنا
هذه فان الملك اذا فعلنا ما امرنا به في اخينا يفي بما وعدنا وارسله معنا ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام ونحفظ اخانا في السفر حتى نرده اليك ونزداد كيل
بعير لاجله لانه كان يكال لكل رجل وقر بعير ذلك كيل يسير اي ذلك الكيل سهل يسهل على الذي يمضي اليه عن الزجاج المعنى انه هين على الملك لا يصعب عليه
ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير اخينا عن الحسن وقيل يسير على من يكاله لا مؤنة فيه ولا مشقة
عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في ارسال اخيهم معهم فلما رأى يعقوب رد البضاعة وتحقق عنده اكرام الملك اياهم وعزم على ارسال ابن يامين معهم
قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي تعطوني ما يوثق به من يمين وعهد من الله لتأتنني به اي لتردنه الي قال ابن عباس اي حتى تحلفوا لي بحق محمد
خاتم النبيين وسيد المرسلين اي لا تغدروا باخيكم ولتأتنني به اللام فيه لجواب القسم الا ان يحاط بكم اي الا ان تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى
لا تطيقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به عن الزجاج فلما آتوه موثقهم اي اعطوه عهودهم ثم حلفوا له بحق محمد
ومنزلته من ربه عن ابن عباس قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اي شاهد حافظ ان اخلفتم انتصف منكم ... التوكل على الله سبحانه في جميع
المهمات والتفويض اليه في كل الامور وفيها دلالة ... على ان يعقوب انما ارسل ابن يامين معهم لانه علم انهم لما كبروا وندموا على ما كان فرط منهم في امر يوسف
... على ذلك ... انما غيرهم بحديث يوسف ... على حفظ اخيهم قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني
عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضيها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اللغة الغنى الكفاية ومنه الغنى في
المال لانه الكفاية به ... والغناء بكسر الغين بالمد من الصوت يقال منه غنى يغني غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا ...
وغني القوم في دارهم اقاموا والمغاني المنازل لانهم اكتفوا بها والغانية المرأة لانها تكتفي بزوجها عن غيره او بجمالها عن التزين المعنى ولما تجهزوا
للسير قال يعقوب يا بني لا تدخلوا من باب مصر الواحد وادخلوا من ابواب متفرقة خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال وهم اخوة اولاد
رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابي مسلم خاف عليهم حسد الناس اياهم وان يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم او يقتلهم
خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر العين وذكر انه لم تثبت بحجة وجوزه كثير من المحققين ... وروي في الخبر عن النبي ان العين حق
والعين تنزل الحالق والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل العين كانها تحط ذروة الجبل من قوة اخذها وشدة بطشها وورد في الخبر انه عليه

والسلام كان يعوذ الحسن والحسين ان يقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وذكر ان ابراهيم عوذ ابنيه وان موسى عوذ
ابني هرون بهذه العوذة وروي ان بني جعفر بن ابي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت اسماء بنت عميس يا رسول الله ان العين اليهم سريعة افاسترقي لهم من العين فقال
نعم وروي ان جبرئيل رقى رسول الله ص وعلمه الرقية وهي بسم الله ارقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروي عن النبي انه قال لو كان شيء يسبق القدر
لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه الاصابة بالعين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة الى الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتتصل
به وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصية في بعض الاعين كالخواص في الاشياء وقد اعترض على ذلك بانه لو كان كذلك لما اختص ذلك ببعض الاشياء دون بعض
ولان الاجزاء تكون جواهر والجواهر متماثلة ولا يؤثر بعضها في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ... شرح
للشريف الاجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما احببت ايراده في هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك
الافعال التي يفعلها فغير ممتنع ان يكون تغيير نعمة زيد مصلحة لعمرو واذا كان يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب نعمة زيد اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الاخرة
بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه عنها واعطاه بدلا منها عاجلا او اجلا فيمكن ان يتأول قوله العين حق على هذا الوجه على انه قد ورد
عنه ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر امره واذا كان الامر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين
اليه واستحسانه وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه قال لما سبقت ناقته العضباء وكانت اذا سوبق بها لم تسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله
منه ويجوز ان يكون ما امر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعوذه بالله والصلوة على رسول الله ص قائما في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك
لان الرائي لذلك قد اظهر الرجوع الى الله تعالى والاعاذة به فكانه غير راكن الى الدنيا ولا مغتر بها انتهى كلامه رحمه الله وما اغني عنكم من الله من شيء اي وما ادفع
من قضاء الله من شيء ان كان قد قضي عليكم الاصابة بالعين او غيرها ان الحكم الا لله عليه توكلت فهو القادر على ان يحفظكم من العين ومن الحسد ...
وعليه فليتوكل المتوكلون اي وليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولما دخلوا مصر من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة كما امرهم يعقوب وقيل كان لمصر يومئذ اربعة ابواب
فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضيها اي لم يكن دخولهم مصر كذلك يغني عنهم او يدفع عنهم
شيئا اراد الله تعالى ايقاعه بهم من حسد او اصابة عين وهو ع كان عالما انه لا ينفع حذر من قدر ولكن كان ما قاله لبنيه حاجة في قلبه فقضى يعقوب تلك
الحاجة اي ازال به اضطراب قلبه لان لا يحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان تصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين عن
الزجاج قال وحاجة استثناء ليس من الاول يعني لكن حاجة وانه لذو علم اي ذو يقين ومعرفة بالله لما علمناه اي من اجل تعليمنا اياه عن مجاهد ...
الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل العلم بتعليمنا اياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اي يعلم ما علمناه فيعمل به لان من علم شيئا ولا يعمل به كان كمن لا
يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله للرؤيا تعبرون ولكن اكثر الناس لا يعلمون مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المشركون
ما الهم الله اولياءه عن ابن عباس قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك
ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ثماني ايات القراءة في الشواذ قراءة ابي رجاء صوع الملك بفتح
الصاد وقراءة ابي عبد الله بن عون صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة ابي هريرة ومجاهد صاع الملك
والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة الحسن وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير اعاء اخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل يرفع درجات بالياء والباقون
بالنون وقرأ اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وفوق كل ذي عالم عليم الحجة الصواع والصاع والصوع
والصوع واحد وهو مكيال واما الصوغ فمصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوغ وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ اعاء فاصله وعاء
ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وشاح اشاح وفي وسادة اسادة ومن قرأ وعاء بالضم فانه يكون لغة والهمزة فيه قياس كما قالوا اقتت واعد
في وجوه ومن قرأ درجات بالتنوين فان من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات ومن قرأها بغير تنوين فان من يكون في موضع جر بالاضافة
وقال ابن جني ان قراءة من قرأ وفوق كل ذي عالم عليم تحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل ذي شخص يسمى عالما
اي يقال له عالم عليم مثل قول الكميت اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والباب اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي
وعليه قول الاعشى فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني ان يكون
عالم مصدرا كالباطل ونحوه والثالث ان يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكانه قال وفوق كل عالم عليم اللغة يقال اوى الحجر اليه يأوي
اويا اذا ضمه اليه ومنه الابتئاس ابتئاء والابتئاس الاغتمام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية الاناء الذي يسقى فيه وهو مشربة وقيل السقاية والصواع واحد
والاذان والتأذين واحد وهو النداء ليسمع بالاذن ويقال اذن به اي علم واذنته اي اعلمته وكثرت ... العير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي
فيها الاحمال والاصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيرا وقيل العير الابل السائرة المركوبة والجمع عيرات والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل جمعه احمال

وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضا القائم بامر القوم وهو الرئيس قالت ليلى الاخيلية حتى اذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على
الخميس زعيما الاعراب تالله معناه والله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في تراث وتجاه
وتخمة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان احدهما ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرق الانسان الموجود في
رحله السرق فهو يكون قوله فهو جزاؤه جملة اخرى ذكرت زيادة في الابانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه زيادة في البيان وعلى هذا يكون من
موصولا ويكون تقديره استرقاق الذي وجد في رحله السرق فحذف المضاف والاخر ان يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شرطية في موضع
الخبر العائد على المبتدأ الاول من الجملة الاولة الاولى جزاؤه من قوله فهو جزاؤه فكانه قال فهو هو اي فهو الجزاء والاظهار فيها احسن لئلا يقع في
الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فخمت الشيء جعلت العائد اليه اعادة اللفظ بعينه وانشد لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرق ان وجد في رحل رجل منا فالموجود في رحله السرق جزاؤه استرقاقه قال صاحب الكشف تقديره جزاء السرق من وجد
في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فمن نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير
جزاؤه انسان وجد في رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمر قال وليس في التنزيل من نكرة الا في هذا الموضع موضع لكان من كذلك كذا
نصب بانه صفة مصدر محذوف وموضع ان لنا بالله نصب لما سقط الباء افضى الفعل اليها فنصب والتقدير لا يمين بالله المعنى ثم اخبر سبحانه عن
دخولهم عليه فقال ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه اي لما دخل اولاد يعقوب على يوسف ضم اليه اخاه من ابيه وامه ابن يامين وانزله معه عن الحسن وقتادة وقيل
انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا الذي امرتنا ان نأتيك به فقال احسنتم ثم انزلهم واكرمهم ثم اضافهم وقال ليجلس كل بني ام على مائدة فجلسوا وبقي ابن يامين
قائما فردا فقال له يوسف ما لك لا تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني ام على مائدة وليس لي فيهم ابن ام فقال يوسف فما كان لك ابن ام قال بلى قال يوسف فما
فعل قال زعم هؤلاء ان الذئب اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتققت له اسما من اسمه فقال له يوسف اراك قد عانقت
النساء وشممت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي ابا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الارض بالتسبيح فقال له يوسف تعال فاجلس
معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف واخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مائدته وروي ذلك عن الصادق ع قال اني انا اخوك اي اطلعه
على انه اخوه وقيل انه قال انا اخوك مكان اخيك الهالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلعه على انه ولكنه اراد ان يطيب نفسه فلا تبتئس بما كانوا يعملون اخوه
اي فلا تحزن ولا تغتم بشيء سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعبي فلما جهزهم بجهازهم اي فلما اعطاهم ما جاؤا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي
جاؤا لاجله وجعل لكل منهم حمل بعير يسمى حمل التاجر جهازا جعل السقاية في رحل اخيه معناه امر حتى جعل الصاع في متاع اخيه وانما اضاف الله الفعل
اليه لوقوعه بامره وقيل ان السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب
عن ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله ع وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة بالجوهر عن عكرمة ثم ارتحلوا و
انطلقوا ثم اذن مؤذن اي نادى مناد مسمعا معلما ايتها العير اي القافلة والتقدير يا اهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد انكم لسارقون
قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير امره ولم يعلم بما امر به يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي وقيل ان يوسف امر المنادي
بان ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عنى به انكم سرقتم يوسف عن ابيه والقيتموه في الجب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام
كانه قال ائنكم لسارقون فاسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر كذبتك عينك ام رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ويؤيده ما رواه هشام
بن الحكم عن ابي عبد الله ع انه قال ما سرقوا وما كذب وعن قيل كيف جاز ليوسف ان يحزن والده واخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان
الغرض فيه التسبب الى احتباس اخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بامر الله تعالى وروي انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك به واذا كان ادخال هذا
الحزن سببا مؤديا الى ازالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك انه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فاما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لان وجود السقاية
في رحله يحتمل امورا كثيرة غير السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع علمه بانهم اولاد الانبياء توجهت اللائمة عليه قالوا اي قال اصحاب العير واقبلوا
عليهم اي على اصحاب يوسف ماذا تفقدون اي ما الذي فقدتموه من متاعكم قالوا نفقد صواع الملك اي صاعه وسقايته ولمن جاء به حمل بعير اي وقال المنادي
من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام وانا به زعيم اي كفيل ضامن قالوا اي قال اخوة يوسف تالله لقد علمتم ايها القوم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين وانما اضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لان معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد اخرى
ما تعلمون به انه ليس من شأننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لانهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير اذن يوسف
اي فاذا كنا تحرجنا عن هذا فقد علمتم انا لا نسرق لانه من رد ما وجد لا يكون سارقا من الكيل وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا افواه دوابهم كيلا
يتناولوا الحرث والزرع وفي هذا دلالة على ان ما فعله اخوة يوسف به انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن انفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح
قالوا فما جزاؤه اي قال الذين نادوهم فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم انا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه اي قال اخوة يوسف جزاء السارق الانسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة
في بني اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحق والجبائي وكان سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب ان يستعبد و

ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف سألهم فما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يؤخذ بسرقته كذلك
نجزي الظالمين اي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه فبدأ
باوعيتهم قبل وعاء اخيه اي بدأ يوسف في التفتيش باوعيتهم لازالة التهمة ثم استخرجها يعني السقاية من وعاء اخيه وانما بدأ باوعيتهم لانه لو بدأ بوعاء اخيه لعلموا
انه هو الذي جعلها فيه وانما قال استخرجها لانه اراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر ويؤنث قالوا فلما [illegible]
ابن يامين ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم كذلك كدنا
ليوسف اي مثل ذلك الكيد امرنا يوسف بكيد اي هيأنا له ان يحبس اخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره الى ابيه انما يوسف هذا الكيد والحيلة مجازا
هم على كيدهم بيوسف اي كما فعلوا في الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وكلاهما عن الربيع وقيل دبرنا ليوسف لانه قوله و
فوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علام من صالح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن الجبائي ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله اي ما كان يمكنه ان يأخذه
حكم الملك وقضائه وان يحبسه لم يكن ذلك في حكم ملك مصر واهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل عادته في جزاء من سرق ان يستعبد
وقيل انه كان حالا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من اخذ اخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يأمره بذلك لانه كان
لا يمكنه ان يقول هذا اخي وكان لا يمكنه حبسه من غير حيلة لانه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسترق وفي حكم الملك واهل مصر ان يضرب ويغرم
فحبس يوسف على قولهم والزمهم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن انفسهم كان ذلك مراده وقد شاء الله لانه بامره عن الحسن انما سماه كيدا لانه لولا
هذا التسبب لما تهيأ له اخذه والكيد ما يغتاله فاعله ليوصل الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه وليس المنسوب فيها من عزان يعلمه نرفع درجات من نشاء بالعلم
والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة وفوق كل ذي علم عليم يعني ان كل عالم كان فوقه عالم
اعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه لا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول من يقول ان الله سبحانه عالم بعلم قديم
لانه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر قوله تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم
شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن
ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين اللغة اليأس قطع الطمع يقال يئس ييأس وأيس يأيس لغتان واستفعل منه استيأس
وروى ابو ربيعة عن البزي عن ابن كثير استايسوا بلا همز مثل استيأس الرجل واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والنجي القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء
قال سبحانه وقربناه نجيا وانما جاز ذلك لانه مصدر وصف به والمناجاة المسارة واصله من النجوة وهو المرتفع من الارض فانه رفع السر من كل واحد الى صاحبه في خفية
والنجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى اي يتناجون وقال في المصدر انما النجوى من الشيطان وجمع النجي انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية وبرح الرجل
براحا اذا تنحى عن موضعه الاعراب قوله فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لان قوله انتم شر مكانا بدل من
ها في اسرها والمعنى فاسر يوسف في نفسه قوله انتم شر مكانا قال ابو علي ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد
فقولك رجلا تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد اضمر والآخر ان يفسر بجملة واصل هذا ان يقع في الابتداء كقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله
احد المعنى القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والامر الله احد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان واخواتها فينتقل هذا الضمير مع الابتداء بها كما ينتقل سائر
المبتدآت كقوله انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقول الشاعر وليس منها شفاء الداء مبذول والذي ذهب ابو اسحق فيه الى انه مضمر على شريطة التفسير
ليس مبتدأ فيلزمه التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسرها فاذا كان مباينا لما اصله المبتدأ لم يجز ان يفسر بجملة وايضا فان
المضمر على شريطة التفسير لم يكن الا متعلقا بالجملة التي يفسره ولا يكون منقطعا عنها الا متعلقا بجملة غيرها وما ذكره ابو اسحق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التي فيها
الضمير الذي زعم انه اضمار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فان قلت فعلام يحمل الضمير في اسرها فانما يحتمل ان يكون اضمار الاجابة
كانهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر يوسف اجابتهم في نفسه ولم يبدها لهم في الحال وجاز الاضمار لذلك لانه دل ما تقدم من مقالتهم عليه وجاز ان يكون اضمار
المقالة كانه اسر يوسف مقالتهم لان القول والمقالة واحد يكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق اي كتمها في نفسه ووعاها ولم يطرحها ارادة
للتوبيخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابي علي وقوله شيخا صفة لاب كبيرا صفة لشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذ
الله وعوذة الله وعياذ الله يقولون اللهم عائذا بك اي ادعو عائذا بك ان نأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الا من وجدنا متاعنا عنده فلما
سقطت من افضى الفعل فنصب عن الزجاج وقوله انا اذا لظالمون معناه انا ان اخذنا غيره فنحن ظالمون ونجيا نصب على الحال وما في قوله ما فرطتم لغو اي
من قبل فرطتم ويجوز ان يكون مصدرية في موضع رفع بمعنى تفريطكم في يوسف ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الا اي لن ابرح الارض الا ان يحكم الله
المعنى ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم قالوا ليوسف ان يسرق بن يامين فقد سرق اخ له يعنون من قبل فليست سرقته بامر بديع فانه اقتدى باخيه يوسف
اختلف فيما وصفوه من السرقة على اقوال فقيل ان عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة امه وتحبه حبا شديدا فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر
ولد اسحق وكانت عندها منطقة اسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقها وكان من سنتهم استرقاق
السارق

الثاني فحسنة بدل الشيء عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد ذكر ذلك عن ابي مسلم وقيل انه سرق صنما لجده من قبل امه فكسره والقاه على الطريق
عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل انه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب او بيضة فاعطاها سائلا عن مجاهد وروي ذلك عن سفيان بن عيينة ومجاهد فاسرها يوسف في نفسه اي
فاخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها ولم يبدها لهم اي لم يظهرها قال انتم شر مكانا في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون اي والله اعلم بما تصفون
عن الزجاج ويكون المعنى انتم اشر خلقا من يوسف فانه لم يكن له صنيع في السرقة وكان فعله باذن ابيه ولم تكونوا ابرياء مما فعلتموه وقيل معناه انتم شر صنيعا
صنيعا بما قدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فانتم شر مكانا عند الله ممن اسر هذه المقالة في نفسه ولم يجهر بها والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا
انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لان النبي عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخي انهم كانوا
في هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء ويجوز ان يكون الاسباط غيرهم او ان يكونوا من اولادهم قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه اي
بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه يستحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلا اشفاقا على والدهم وتلطفوا في القول على وجه الاسترحام ومعنى كبيرا في السن وقيل كبيرا في القدر
لا يحبس ابن مثله انا نراك من المحسنين الى الناس وقيل من المحسنين الينا في الكيل ورد البضاعة والضيافة فتمم احسانك هذا بان تحسن الينا وقيل ان فعلت فقد
احسنت الينا فاجابهم يوسف بان قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اي اعوذ بالله ان آخذ البريء بجرم السقيم فالا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل
من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون اي لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفي هذا دلالة على ان اخذ البريء بالجرم ظلم ومن فعله كان ظالما والله تعالى يجل عن ذلك
علوا كبيرا فلما استيأسوا منه اي فلما يئس اخوة يوسف من ان يجيبهم الى ما سألوه من تخلية ابن يامين معهم خلصوا نجيا اي انفردوا عن الناس من غير ان يكون
معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم الى ابيهم من غير اخيهم ويتدبرون في انهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ
القرآن التي هي في الغاية القصوى من الفصاحة والايجاز في اللفظ مع كثرة المعنى قال كبيرهم يعني يهودا وهو روبين وكان اسنهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نهى اخوته عن
قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهودا وكان اعقلهم عن وهب والكلبي
وقيل لاوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله اراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال لن ارسله
معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به فذكرهم ذلك ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي قصرتم في امره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فانقضتم العهد
فلن ابرح الارض اي لا ازال بهذه الارض ولا ازول عنها اي ارض مصر حتى يأذن لي ابي في البراح والرجوع اليه او يحكم الله لي بالخروج وترك اخي ههنا او يأمر
بالموت وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابي مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق قالوا امر قال لهم انا اكون
ههنا وارجعوا انتم الى ابيكم فاخبروه بالواقعة وقوله تعالى ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا
للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو
العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من
الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون سبع آيات القراءة في الشواذ قراءة ابن عباس سرق بضم السين وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد
العزيز من روح الله بضم الراء الحجة معنى سرق بضم السين نسب الى السرقة فيكون من باب فسقته وفجرته وشجعته اي نسبته الى هذه الخلال واما روح الله فيمكن ان
يكون من الروح الذي هو من عند الله بلطفه وهدايته ونحو ذلك اللغة القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة واصله من القري وهو الجمع يقال قريت الماء في الحوض
وتطلق على البلدة والمدينة والعير قد مضى معناه والكظم اجتراع الحزن وهو ان يمسكه في قلبه ولا يبثه الى غيره ويقال ما زلت افعل كذا وما فتئت افعله وما فتأت
قال اوس بن حجر فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارض اي فاسد جسمه وعقله ومنه
حرضته على كذا اي ... لانه اذا خالف الامر كان بمنزلة الهالك والحرض قال العرجي اني امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم والحرض لا يثنى ولا
يجمع لانه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته الى فلان شكوى وشكاية وشكوا واشكاني اي اعتبني من شكواي واشكاني اي احوجني
الى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه اي يفرقه وكل شيء فرقته فقد بثثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتحسس طلب الشيء بالحاسة
والتجسس نظيره وفي الحديث لا تحسسوا ولا تجسسوا وقيل ان معناهما واحد ونسق احدهما على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عني
ويبعد وقيل التحسس بالحاء البحث عن عورات الناس وبالجيم الاستماع الى حديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد احدهما عن الآخر التحسس في الخير
والتجسس في الشر والروح الراحة والروح الرحمة واصل الباب من الريح التي يأتي بالرحمة الاعراب واسأل القرية اي اهل القرية واهل العير فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه يا اسفي معناه يا اسفي والاصل يا اسفي الا ان ياء الاضافة يجوز ان يكون الف الندبة ويكون معناه ... ان الحال حال حزن وكانه قال
يا اسف هذا من اوانك تولد على يوسف من صلة الصلة تفتؤ معناه لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعلم المخاطب كما في قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا
ولو قطعوا راسي لديك واوصالي وانما جاز ذلك لانه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول تالله لتفعلن او تقول لا تفعل المعنى ثم اخبر سبحانه انه قال
لهم كبيرهم في السن او في العلم ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق في الظاهر وما شهدنا عندك بهذا الا بما علمنا اي بما شهدنا من ان الصاع
استخرج من رحله في الظاهر ويبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا ان الحكم ذلك و

لم نعلم

لم نعلم ان ابنك سرق ام لا الا انه وجد الصاع عنده فحكم بانه السارق في الظاهر وانما قالوا ذلك حين قال يعقوب لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ
بسرقته ويسترق وانما علم ذلك بقولكم وما كنا للغيب حافظين اي ما كنا نعلم الغيب حين سألناك ان تبعث ابن يامين معنا ولو ندري انه يؤول الى هذا
انما قصدنا به الخير لو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بامر يستفيد
والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه ما كنا لسر هذا الامر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق ام كذبوا عليه وانما اخبرناك بما شاهدنا
عن عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين اي انا كنا نحفظه في محضره واذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو
الليل بلغة حمير عن ابن عباس اي انا لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه واسأل القرية اي اهل القرية التي كنا فيها القرية مصر عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومعناه سل من شئت من اهل مصر عن هذا الامر فان هذا الامر شائع فيهم يخبرك به من سألته وانما قالوا ذلك لان بعض اهلها كانوا قد صاروا الى الناحية
التي كان فيها ابوهم والعرب تسمي الامصار والمدائن قرى والعير التي اقبلنا فيها اي وسل اهل القافلة التي قدمنا فيها كانوا من قوم كنعان من جيران يعقوب
انما حذف المضاف للايجاز لان المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لان يعقوب نبي صاحب معجز يجوز ان تكلمه القرية والعير على وجه خرق العادة وانما
قالوا ذلك لانهم كانوا اهل تهمة عند يعقوب وانا لصادقون فيما اخبرناك به قال بل سولت لكم انفسكم امرا في هذا الكلام حذف كثير يدل الكلام عليه تقديره فلما رجعوا
الى ابيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندكم ان الامر على ما تقولون بل سولت لكم انفسكم امرا فيما اظن فصبر جميل اي فامري صبر جميل لا جزع معه عسى
الله ان يأتيني بهم جميعا اي عسى الله ان يأتيني بيوسف وابن يامين وروبيل او شمعون او لاوي او يهودا انه هو العليم بعباده الحكيم في تدبير خلقه وتولى عنهم اي
انصرف واعرض عنهم لشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين فهاج لذلك وجده بيوسف لانه كان يتسلى به فقال يا اسفى على يوسف اي يا طول حزني على يوسف
عن ابن عباس وروي عن سعيد بن جبير انه قال لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعط الانبياء قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطاها الانبياء
لاعطاها يعقوب اذ يقول يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن والبكاء ولما كان البكاء من اجل الحزن اضاف ابيضاض البصر اليه وقيل عن الحسن انه بلغ
من حزن يعقوب على يوسف حزن سبعين ثكلى قيل كيف وقد اخبر انه ... وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل وقيل انه اشرف على
العمى فكان لا يرى الا شيئا يسيرا فهو كظيم والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء من الهم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لاهل زمانه ولا يظهره وبذلك
ولذلك لقب موسى بن جعفر الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافته لابيه ... وقال ابن عباس هو المغموم المكروب قالوا اي قال
ولد يعقوب لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اي دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحاق وقيل قريبا من الموت عن
مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك او تكون من الهالكين اي الميتين وانما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرما
ببكائه اذ تنغص عيشهم بذلك قال يعقوب مجيبا لهم انما اشكو بثي اي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن وحزني الى الله المعنى انما اشكو حزني وحاجتي
اختلال حالي وانتشارها الى الله في ظلم الليالي واوقات خلواتي لا اليكم وقيل البث ما ابداه والحزن ما اخفاه وروي عن النبي ان جبرئيل اتاه فقال يا يعقوب
ان الله يقرئك السلام ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي المساكين او تدري لم اذهبت
بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة واتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغداء امر مناديا فنادى الا من اراد
الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب واذا كان صائما امر مناديا فنادى الا من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ في صحيحه واعلم من
الله ما لا تعلمون اي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم ستسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون
عن عطاء وفي كتاب النبوة بالاسناد عن حنان بن سدير عن ابي جعفر الباقر قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فاجابه فقال له ما حاجتك
فقال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الارواح فقال لا فعلم انه حي فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال
لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنهما واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى
اي دين هو فانه القي في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وانما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله حيلة في حبسه عند نفسه ولا تيأسوا من روح الله اي لا تقنطوا
من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على ان الفاسق
الملي لا ييأس عليه من رحمة الله سبحانه خلاف ما يقوله اهل الوعيد سؤال كيف خفي خبر يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلم يوسف
بحاله ليسكن نفسه ويزول وجده والجواب قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل الى مصر فبيع من عزيزها فالزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخباره
عنه فلما تمكن احتال في ان يعرف اخوته باسبابه على الوجه الذي تمكن وكان لا يأمن لو بعث رسولا اليهم ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله
روحه يجوز ان يكون ذلك له ممكنا وكان عليه قادرا لكن الله سبحانه اوحى اليه بان يعدل عن اطلاع ابيه على خبره تشديدا للمحنة عليه ولله سبحانه ان يصعب التكليف
وان يسهله قوله تعالى فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ءانك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

١٠ء اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ست ايات القراءة قرء ابو جعفر وابن كثير ائنك لانت
يوسف بكسر الهمزة وقد قرء نافع ويعقوب غير زيد وسهل انك بفتح الهمزة غير ممدود وقرء ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب انك بالمد وقرء الباقون
انك بهمزتين ... الحجة
...

[illegible]

[illegible]

عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا ان تضعفوني في الرأي عن ابن اسحق وقيل لولا ان تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك ورووه ذلك ايضا
عن ابن عباس وقيل لولا ان تهرموني عن الحسن ومجاهد اي تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني اقطع انها ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قالوا له اشفاقا عليه ورحمة انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف وانه كان عندهم ان يوسف قد مات منذ
سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف والاماني الفاسدة فيما كان يرجوه من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه
انك لفي شقاك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على ان لفظ الضلال قد يطلق في اللغة على التقدم في الوجد فلما ان جاء البشير وهو يهوذا عن ابن عباس وروي ذلك
عند انس بن مالك القاه على وجهه فارتد بصيرا اي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فصار بصيرا قال الضحاك عاد اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه
بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما ادري ما اثيبك به هون الله عليك سكرات الموت قال يعقوب لهم الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي الم اكن علم
ان الله سيرد يوسف ويكشف الشدائد عنا وانبئكم بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله سبحانه اعلمه بحياة يوسف ولم يعلمه بمكانه قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين فيما فعلنا قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم انما لم يستغفر لهم في الحال لانه اخرهم الى السحر ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس
وروي ذلك عن ابي عبد الله وقيل اخرهم الى وقت السحر لانه اقرب الى اجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروي ذلك عن ابي عبد الله ايضا وقيل انه
كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصف اولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم
حتى نزل قبول توبتهم وروي ان جبرئيل علم يعقوب هذا الدعاء يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين اغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين
تب علي واستجب لهم **قوله تعالى** فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا
ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان
ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني
مسلما والحقني بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون **الاعراب** دخول من في قوله من الملك
ومن تأويل الاحاديث يجوز ان يكون للتبعيض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تأويل الاحاديث ويجوز ان يكون لتبيين هذا الجنس من بين الاجناس
فيكون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التأويل عن الزجاج قال وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء يدل على ان من ههنا للتبيين للجنس مثل قوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السموات والارض منصوب على وجهين احدهما ان يكون على النداء فيكون قوله رب لان المعنى يا رب فهو نداء مضاف
في موضع نصب فيكون فاطر السموات صفة له ويجوز ان ينتصب على انه نداء ثان على تقدير يا فاطر السموات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء
الغيب ويكون نوحيه اليك خبرا ثانيا وان شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي ويكون من انباء الغيب صلته **المعنى** فلما دخلوا على يوسف
ههنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب واهله من ارضهم وانتهوا الى مصر ودخلوا على يوسف وروى حنان بن سدير عن ابي جعفر ان يعقوب قال لولده تحملوا الى يوسف
من يومكم هذا باهليكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف لامين فحثوا السير فرحا وسرورا تسعة ايام الى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك
اعتنق اباه وقبله وبكى ورفعه ورفع خالته على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكرا
لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بعث مع البشير مائتي
راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسألهم ان يأتوه باهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند واهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر
قال هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وفي كتاب النبوة
بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله قال لما اقبل يعقوب الى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف هم بان يترجل ثم نظر
الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرئيل فقال له يا يوسف ان الله جل جلاله يقول لك ما منعك ان تنزل الى عبدي الصالح
ما كنت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابعه نور فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابدا عقوبة بما صنعت بيعقوب اذ لم تنزل اليه
قوله آوى اليه ابويه اي ضمهما اليه وانزلهما عنده وقال اكثر المفسرين انه يعني بابويه اباه وخالته فسمى الخالة اما كما سمي العم ابا في قوله واله آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق وذلك ان امه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وامه وكانا حيين عن ابن اسحق والجبائي وقيل ان راحيل
نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا عن الحسن وقال لهم قبل دخولهم مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين والاستثناء يعود الى الامن وانما قال آمنين لانهم
كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها الا بجوازهم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلثة وسبعون انسانا وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وخمسمائة
وبضع وسبعون رجلا ورفع ابويه على العرش اي رفعهما على سرير ملكه اعظاما لهما والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقتادة وخروا له سجدا اي خروا
على وجوههم كان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فاعطى الله هذه
الامة السلام وهي تحية اهل الجنة عجلها لهم قال عدي بن ثعلبة فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم
عن الزجاج وقيل كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الاعاجم عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكرا له كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء
في قوله له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى القبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي

عن ابي عبد الله

عن ابي عبد الله قال علي بن ابراهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ان يحيى بن اكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على ابي الحسن
علي بن محمد فكان احدها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء فاجاب ابو الحسن اما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف وانما كان
ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما كان السجود من الملائكة لآدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم الم تر انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني
من الملك الآية الخبر بتمامه وقال يوسف يا ابت هذا تأويل رؤياي اي هذا تعبير رؤياي وتصديق الرؤيا التي رأيتها من قبل قد جعلها ربي حقا اي
صدقها في اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسي
وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثماني عشرة سنة عن ابن اسحق وولد ليوسف من امرأة العزيز افراثيم وميشا ورحمة
امرأة ايوب وكان بين يوسف وبين موسى اربعمائة سنة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن اي وقد احسن الي حيث اخرجني من السجن وانعم علي وجاء
بكم من البدو اي من البادية فانهم كانوا يسكنون البادية ويرعون اغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين بالقحط فاغناهم الله تعالى
بمصيرهم الى يوسف وانما بدأ بالسجن في تعداد نعم الله دون اخراجه من الجب كرما لئلا يذكر صنيع اخوته به وقيل لان نعم الله تعالى في اخراجه من السجن كان
اكثر لان السجن كان التعذيب وكثرت محنته من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي من بعد ان افسد الشيطان بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم
وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف في تدبير عباده يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير بلطفه حصلت هذه
النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الازهري اللطيف من اسماء الله سبحانه معناه الرفيق يقال لطف فلان بفلان لطفا اذا رفق وقال عمرو اللطيف الذي
يوصل اليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الامور انه هو العليم بجميع الاشياء الحكيم في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالاسناد عن ابي عبد الله
قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا ابت دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني فقال له اخذوني واقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي انزع
قميصك فقلت لهم اني اسألكم بوجه ابي يعقوب الا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي فرفع فلان السكين علي وقال انزع فصاح يعقوب وسقط مغشيا عليه ثم افاق
فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف اني اسألك باله ابراهيم واسمعيل واسحق الا اعفيتني قال فتركه وروي ايضا ان يوسف قال ليعقوب يا ابه لا تسألني عن صنيع
اخوتي بي واسئل عن صنع ربي قال ابو حمزة بلغنا ان يعقوب عاش مائة وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلثين سنة وكان عند يوسف
بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق قام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب الى بيت المقدس في تابوت من
ساج ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد فمن ثم تنقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس وولد يعقوب وعيص في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما
جميعا مائة وسبعة واربعين سنة ثم رجع يوسف الى مصر بعد ان دفن اباه ببيت المقدس [illegible] وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة وكان اول
رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور ابائه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند ابيه وقيل انتقلت النبوة بعده الى روبيل
ثم الى يهودا وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان الحجة لله في
الارض يعقوب ام يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت الى ارض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف
بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله
قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتا عشرة سنة ومكث فيها ثماني عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قال ولما
جمع الله سبحانه ليوسف شمله واقر له عينه واتم له رؤياه ووسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا
يفنى واشتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك نبي قبله ولا بعده فتمنى احد فقال رب قد آتيتني من الملك اي اعطيتني ملك النبوة وملك
مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث اي تأويل الرؤيا فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض ومنشئهما لا على مثال سبق انت وليي اي ناصري و
مدبري وحافظي في الدنيا والآخرة تتولاني فيهما بلطفك ونعمتك توفني مسلما قال ابن عباس ما تمنى نبي قط الموت الا يوسف لما انقطعت اسباب مملكته
اشتاق الى ربه وقيل معناه ثبتني على الايمان الى وقت الممات والحقني بالصالحين اي باهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل
لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابويه واخوته احب ان يجتمع مع ابائه في الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر
وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه في النيل
فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعا فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى حين خرج من مصر ثم قال سبحانه بعد تمام القصة
الى حبيبه النبي فقال ذلك اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد من انباء الغيب اي من جملة اخبار الغيب نوحيه اليك على لسان الملك لتخبر به قومك
ويكون دلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك وما كنت لديهم اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم اي عزموا على القاء يوسف
في البئر واجمع آراؤهم عليه وهم يمكرون اي يحتالون في امر يوسف حتى القوه في الجب عن الجبائي وقيل يمكرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة **قوله
تعالى** وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكأين من
آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون
خمس آيات **القراءة** في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فايد والارض يمشون عليها بالرفع وقراءة السدي والارض نصبا والقراءة المشهورة بالجر **الحجة**

حجة

من رفع او نصب فتقف على السموات ثم تبتدأ والارض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره والعائد الى المبتدأ هاء من عليها والضمير في عنها عائد الى الاية واما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطئون الارض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله يمرون عليها ومن جر الارض على قراءة القراء فان شاء وقف الارض وان شاء وقف اخر الاية اللغة الحرص طلب الشيء باجتهاد في اصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شانها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل الماخوذ الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو كالمحل له الغاشية المجللة للشيء بانبساطها عليه غشاه يغشاه اذا غطاه والغشاء الغطاء والبغتة الفجاءة وهو مجيء الشيء من غير توقع الاعراب وكاين من مر بمعنى كم وقد مر الكلام عليه الكاف بغتة مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغتة وفجاءة المعنى لما تقدم ذكر الايات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها ابين سبحانه انهم لم يتفكروا وليس ذلك لتقصير من جهته بل التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل والجحود من جهته سبحانه الا الدلالة والبيان ولا من جهتك لانك قد دعوتهم فقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي وليس اكثر الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم اليه لانهم ارشادهم اليه لاختيارهم الكفر لا ينفع شيئا اذا كان المدعو لا يجيب وما تسالهم عليه من اجر اي وما تسالهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجرا فيصدهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فاعذارهم منقطعة ان هو الا ذكر للعالمين اي ما القرآن الا موعظة وعبرة وتذكير للخلق اجمعين وكاين من آية اي وكم من حجة ودلالة في السموات والارض تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات والحوال المتقدمين واثار الامم السالفة في الارض يمرون عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون اي هم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اختلف في معناه على اقوال احدها انهم مشركوا قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها آلهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا والهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي وثانيها انها نزلت في مشركي العرب اذا سئلوا من خلق السموات والارض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك وثالثها انهم اهل الكتاب امنوا بالله واليوم الاخر والتورية والانجيل ثم اشركوا بانكار القرآن وانكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده عن ابي عبد الله ع ورابعها انهم المنافقون يظهرون الايمان ويشركون في السر عن البلخي وخامسها انهم المشبهة امنوا في الجملة واشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس وسادسها ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة اطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فاشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدوا معه غيره عن ابي جعفر ع وروي عن ابي عبد الله ع انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا ان من الله علي بفلان لهلكت فقال لا باس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران عنهما ع انه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا ع قال انه شرك لا يبلغ به الكفر افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي افامن هؤلاء الكفار ان ياتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم وهو غاشية الشيء لانها تعمه بالشر وانما اتى بلفظ التانيث على تقدير العقوبة اي عقوبة مجللة لجميعهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق والقوارع عن الضحاك او تاتيهم الساعة يعني القيامة بغتة اي فجاة على غفلة منهم وهم لا يشعرون بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون آيتان القراءة قرا حفص عن عاصم الا رجالا نوحي اليهم بالنون حيث كان وقرا الباقون يوحي بالياء وفتح الحاء افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الانعام الحجة قال ابو علي الوجه النون لقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والوجه الياء قوله واوحي الى نوح قل اوحي الي اللغة السبيل الطريق وهو مما يذكر ويؤنث قال فلا تبعد فكل بني اناس سيصبح سالكا تلك السبيلا والبصيرة ما يبصر به الشيء اي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير لامتداده في جهة المعنى ثم امر سبحانه نبيه ان يبين للمشركين ما يدعو اليه فقال قل يا محمد لهم هذه سبيلي اي طريقي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعو اليها ديني عن مقاتل والجبائي ثم فسر ذلك بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعو الى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد انا ومن اتبعني اي ادعوكم انا ويدعوكم ايضا اليه من امن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله وقال ابن الانباري ويجوز ان يتم الكلام عند قوله ادعوا الى الله ثم ابتدا وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس ان اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة وسبحان الله معناه انزه الله عما اشركوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه عطف على الكلامين والواو فيه مثل قولك تعالى الله وهو تنزيه عن الشركاء سبحانه وما انا من المشركين الذين اتخذوا مع الله غيره او كفوا او ولدا وفي هذه الاية دلالة على فضل الدعاء الى الله سبحانه والى توحيده وعدله تعضد ذلك الحديث عنه ع قال العلماء امناء الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه ع كان يدعو الى الله في كل اوقاته وان كان يبين الشرائع في اوقات ما منها دلالة ايضا على ان الواجب في الداعي ان يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى بين سبحانه انه انما ارسل الرسل من اهل الامصار لانهم ارجح عقلا واعلم من اهل البوادي لبعد اهل البوادي عن العلم واهله عن قتادة وقال

الحسن لم يبعث الله نبيا قط من اهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك ان اهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار احفظنا افلم يسيروا في الارض اي افلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبين لرسلهم كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يقول هذا صنيعنا باهل الايمان والطاعة في دار الدنيا اذا اهلكنا عدوهم ونجيناهم من شرهم ولدار الاخرة خير لهم من دار الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع للدار الاخرة نعيمها وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع الدار الاخرة فالاخرة نعت للدار لان لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الاخرة هي التي يعادون فيها خلقا جديدا فاذا قال دار الاخرة فكانه قال دار الحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الاخرة ومثل هذا في الكلام الصلوة الاولى وصلوة الاولى فمن قال الصلوة الاولى جعل الاولى نعتا للصلوة ومن قال صلوة الاولى اراد صلوة الفريضة الاولى والساعة الاولى افلا تعقلون اي افلا تعقلون فتتقون ما قيل لهم فيعقلون قوله تعالى حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون آيتان القراءة قرا اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والاعمش وغيرهم وقرا الباقون كذبوا بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطاء والزهري وقتادة وروي عن ابن عباس ومجاهد بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرا الباقون فننجي من نشاء بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الحروف الثلثة والقراءة نصبها الحجة قال ابو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقديره وظن الرسل اي تيقنوا او ظنوا الظن الذي هو حسبان ومعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم جببته خطاته وتكذيبهم اياهم يكون بان يلقوه بذلك كقوله له وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقوله فكذبوا رسلي وقوله الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقد تعدى الى المفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الاعشى فصدقتها وكذبته والمرء ينفعه كذابه قال الشيخ كذب يكذب كذابا وقالوا الكذا بالجا وابو علي فعال وقد خففه الاعشى وقال الرهبة وقد حلفت بالله حلفت ما الذي اقول لها الا الذي ما كان الضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم واملائه لهم فان قلت كيف يجوز ان يحمل الضمير في ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل ان ذلك لا يمتنع لان في ذكر الرسل دلالة على المرسل اليهم فلا يحمل على الضمير فان لفظ الرسل من الله لا الله على المرسل اليهم وقد قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا اي بت اخال الرعد صوت دهم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقارنته بلفظ كل واحد منهما للاخر وفي التنزيل سرابيل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وان شئت قلت ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فان ذهب ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل ان الذي وعد الله سبحانه اممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى الانبياء ولا الى الصالحين عباد الله وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا اسمعيل بن علية عن ابي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يئسوا من قومهم ان يؤمنوا وان قومهم ظنوا ان الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم اتاهم نصر الله عند ذلك واما قوله فنجي من نشاء فانه يحكي حالا لان القصة فيما قد مضى وانما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما ان قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه اذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك عن شبه الفعل الا ترى ان الفعل لا يكون معهودا كما ان اسم الفاعل اذا خرج لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدث فيه بالتحقير والوصف كذلك اذا كان ماضيا اما النون الثانية من ننجي فهي مخفاة مع الجيم كذلك النون مع سائر حروف الفم لا يكون الا مخفاة قال ابو عثمان بيانها معها لحن وللنون مع الحروف ثلاث احوال الادغام والاخفاء والبيان وانما يدغم اذا كانت مع ما يقاربها كما يدغم سائر المتقاربة والاخفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربها والبيان فيها مع حروف الحلق فاما حذف النون الثانية من الخط فيشبه ان يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه الا ترى انهم كتبوا مثل العليا والدنيا ويحيى ونحو ذلك بالالف ولو لا اجتماعها مع الياء الكتبت بالياء كما كتبت حبلى ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكانهم لما كرهوا اجتماع المثلين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها الا الاخفاء ولا يجوز فيها البيان فاشبه بذلك الادغام لان الاخفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما ان الادغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانا في غير الادغام فلما وافق النون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب الى ان النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لانها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها واذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما الجمع معه من فجي فانه اذا عطف اللفظ الماضي لان القصة ماضية ويقوي ذلك انه عطف عليه فعل مسند الى المفعول به وهو قوله ولا

فيما يقاربه
برد

وهذا آخر المجلد الأول

نرد بأسنا عن القوم المجرمين ولو كان ننجي مسند الى الفاعل كقول من خالفه لكان ولا نرد بأسنا اشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذي بين يديه
وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف المبتدأ وبقي الخبر **اللغة** استياس يعني يئس كانه طلب اليأس لعلمه
بامتناع الامر والباس الشدة وهو شدة الامر على النفس ومنه البوس الفقر ومنه لا باس عليك والقصص الخبر بالامر بعضه بعضا من اخبار من تقدم والعبرة
الدلالة التي يعبر بها الى العلم والالباب العقول واحدها لب وانما سمي بذلك لانه انفس شيء في الانسان ولب كل شيء خياره **المعنى** ثم اخبر سبحانه وتعالى عن حال
الرسل مع اممهم تسلية للنبي فقال حتى اذا استيأس الرسل وفي هذا حذف يدل الكلام عليه وتقديره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا على اذاهم ابتلاء ... فاخرنا العقاب عن الامم السالفة المكذبة لرسلنا كما
اخرناه عن امتك يا محمد حتى اذا بلغوا الى حالة يأس الرسل عن ايمانهم وتحققوا يأسهم باخبار الله تعالى اياهم وظنوا انهم قد كذبوا اي تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم
تكذيبا عاما حتى انه لا يصلح احد منهم عن عائشة والحسن وقتادة وابي علي الجبائي ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم من نصر الله اياهم
واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وابي مسلم وقيل يجوز ان يكون الضمير في ظنوا راجعا الى الرسل ايضا ويكون
معناه وعلم الرسل ان الذين وعدهم الايمان من قومهم اخلفوهم وكذبوا فيما اظهروه من الايمان وروي ان سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في دعوة فسئل سعيد بن
جبير عن هذه الاية كيف يقرؤها فقال وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف يعني وظن الرسل عليهم الذين ارسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رايت كاليوم قط لو رحلت
في هذه الى اليمن لكان قليلا وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم قد اخلفوا ثم تلا قوله حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه متى نصر الله الاية وهذا بعيد قد بينا ما فيه جاءهم اي جاء الرسل نصرنا حين يئسوا بارسال العذاب على الكفار فنجي من نشاء اي نخلص من نشاء
من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون ولا يرد بأسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين اي المشركين لقد كان في قصصهم اي في قصص يوسف واخوته عبرة اي فكرة وبصيرة
من الجهل وموعظة وهو ما اصابه من ملك مصر والجمع بينه وبين ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه عبدا وقيل في قصصهم عبرة لان نبينا صلى الله
عليه وآله لم يقرأ كتابا ولا سمع حديثا ولا خالط اهله ثم حدثهم بهذه القصة احسن حديث وبراعة الفاظه ومباينته حيث لم يرد عليه احد من ذلك شيئا فهذا من ادل
الدلائل على صدقه وصحة نبوته لاولي الالباب اي لذوي العقول ما كان حديثا يفترى اي ما كان هذا الذي قص عليه حديثا يختلق كذبا ولكن
تصديق الذي بين يديه ولكن تصديق الكتاب الذي بين يديه لانه جاء كما بشر به في الكتب الحق تلاوته وتفصيل كل شيء اي وبيان كل شيء يحتاج اليه من
الحلال والحرام وشرايع الاسلام وهدى ورحمة اي ودلالة ونعمة ينتفع بها المؤمنون لقوم يؤمنون انما خصهم بذلك لانهم المنتفعون به دون
غيرهم وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل تم الجزء الخامس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن على يد افقر خلق الله العبد الاثم هاشم بن حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

انه لقرآن كريم

لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث

في كتاب مكنون

انتم مدهنون

هو الاول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الحمد لله نزل على عبده الكتاب وجعله تذكرة وذكرى لاولي الالباب وودع فيه الحكم
وفصل الخطاب مفتاحا لاسرار الحكم والطور له تخوم وعلى تخومه تخوم ظاهره انيق المعاني بهيج المباني باطنه عميق البطون بالغ تبيانا للامر انيق
باطنه عميق لا تحصى عجائبه ولا تنقضي غرائبه انزله قرآنا فرقناه بين الحلال والحرام وقرآنا عربيا عن شرايع الاحكام قرآنا لا يجمع عن حق
انشاء نور هدى لا يطفأ عن الشاهد برهانا فسبحانه ما ابلغ بيانا واحسن جمعه وقرآنه والصلوة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين المنزل على قلبه
الروح الامين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين اشرف من اتى ومضى وخير من انتعل واحتفى والمكرم بما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى كلمة الله العليا
وآيته الكبرى محمد رسول الله صلى الله عليه حبيبه المصطفى وعلى آله خزان اسرار الوحي والتنزيل الادلاء على الرشاد في كل سبيل اولي الامر
الذين امر بطاعتهم اهل الذكر الذين امر بمسألتهم والراسخون في العلم الذين عندهم القرآن كله تأويلا وتفسيرا واهل البيت الذين اذهب الله
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وبعد فلما كان** الكتاب المستطاب المسمى **بمجمع البيان** لعلوم القرآن للشيخ الجليل والامام النبيل فخر الاسلام
وعلم الاعلام وفريد في العلم والادب والوحيد من العجم والعرب آية الله العظمى المؤتمن الشيخ ابي علي **الفضل بن الحسن الطبرسي** نال في تفسيرا
وتصنيفا لطيفا على نظام انيق واسلوب حقيق في اعلى درجات التحقيق تصدى لانتشاره واشاعته وانمائه المؤمن المؤتمن المسجد وخير الزائرين
السيد **جناب الحاج احمد آقا الارشد** من بني الدال المرحوم المغفور المبرور منبع الفضل مذ نور ربه الغفور **حاجي ابراهيم** آقا
اعلى الله مقامه ودفعي في جنة الخلد علامه وطبعه وطبعه الى ... عنه المتقا **بابر هيميه** حفظه الله واولاده و...
اخويه الاكرمين اللذين هما بين الامثال والاقران كالفرقدين المتقيين **بالحاج الكريم والمشهد العلي** وقد تحرر ...
كلماته بحيث لو طالعه الطلاب المعظمون المرجون لا يرون فيه غلطا الا ما زاغ البصر وطبع بهما للتي ارقى الى الاشاعات على محمد صلى الله عليه
محمد وآله الطيبين الطاهرين وكان ذلك في سنة ١٣١٠ من الهجرة النبوية